

الذخيرة في مجاز أهل الجيرة

تأليف

أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (١٥٤٢)

تقيق

الدكتور إحسان عباس

دار الثقافة

بيروت - لبنان

الذخيرة في عجائب أهل الجيرة

تأليف

أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (١٥٤٢)

القسم الثاني - المجلد الأول

تقيق
الدكتور إحسان عباس

دار الشقافة
بيروت - لبنان

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة

١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

مقدمة التحقيق

هذا هو القسم الثاني من الذخيرة وهو يشمل تراجم أدباء الجانب الغربي من الأندلس ، أي أهل حضرة لإشبيلية وما اتصل بها من بلاد ساحل المحيط الرومي ، وقد اعتمدت في تحقيقه على أربع مخطوطات^١ يمكن أن تمثل فئتين - تضم الفئة الأولى :

(١) مخطوطة الخزانة العامة بالرباط (رقم : D 1324) وقد رمزت لها بالحرف (ط) ومجموع ورقاتها ١٥٧ ورقة ، وهي مكتوبة بخط أندلسي جميل محلي بشكل جزئي ، وعدد السطور في الصفحة الواحدة ثلاثون سطراً ، ومعدل الكلمات في السطر الواحد اثنتا عشرة كلمة ، ومسطرتها ٢٧ × ١٩,٥ وعلى هوامشها قراءات من نسخة أخرى ، وتعليقات بعضها بخط الناسخ نفسه ، وبعضها بخط متأخر في الزمن يختلف عن خط الناسخ ، وقد أثبت من القراءات المقارنة ما رمز إليه الناسخ بالحرف (خ) ، وحذفت ما صرح الناسخ بأنه ليس من أصل الذخيرة ، كما حذفت التعليقات والإضافات المتأخرة .

وقد فرغ الناسخ من كتابة هذا القسم من الذخيرة في زوال يوم الأربعاء ٢٤ ذي القعدة عام ١٠٠٥ ، وهو الذي قام بنسخ القسم الأول والثالث من هذا الكتاب أيضاً ، واسمه أحمد بن الحاج علي بن الحاج أبي القاسم بن محمد بن سودة الأندلسي . ولما كانت هذه النسخة هي خير النسخ التي حصلت عليها ضبطاً ودقة فقد أثبت أرقام أوراقها في سياق هذه الطبعة . ومع أنها

١ هناك نسخة مغربية خامسة إلا أني استبعدتها لأنها غير واضحة .

— نسبياً — متأخرة في الزمن ، فلإنها تعدّ من أقدم النسخ المتيسرة من الذخيرة وهذه مشكلة لم أستطع التغلب عليها ، فأنا — حتى اليوم — لم أستطع العثور على نسخ تتمتع بقدّم واضح ، أو حتى على الأصل الذي أخذت عنه (ط) أياً كان تاريخه .

(٢) مخطوطة بغداد ، وقد رمزت لها بالحرف (د) وتحتوي ٣٣١ صفحة ، مكتوبة بخط نسخي مشرقى حديث وعدد السطور في الصفحة الواحدة ٢٩ سطراً ومعدل الكلمات في السطر الواحد إحدى عشرة كلمة ، ومسطرتها ٢٥ × ١٤,٥ ، وقد كتب على الصفحة الأخيرة منها : « نجز والله الحمد تسويد هذا الجزء من الذخيرة لابن بسام عليه الرحمة على نسخة قديمة بخط مغربي مغلط ، وقد اجتهدت بتصحيحها حسب الإمكان ، والله المستعان . وقد وافق ذلك اليوم الحادي والعشرين من شهر المحرم سنة أربع وعشرين وثلاثمائة وألف هجرية ، على يد أفقر الورى للطف ربّه المنان : عبد اللطيف ثيان ، في بغداد المحمية ، صانها الله عن كل بلية ، آمين » .

إذن فهذه النسخة حديثة جداً ، وقد صرّح ناسخها بأنه نقلها عن أصل مغربي ، ولا ندري حتى اليوم من أمر هذا الأصل شيئاً ، ولكنني أستطيع أن أقول إنّ (د) منقولة عن أصل يشبه (ط) للتماثل الدقيق بين القراءات حتى في الخطأ ، وللتطابق التام في طول كل ترجمة ، وفيما نقص من تراجم كاملة أو أجزاء من ترجمات ، كما سيأتي بيانه بعد قليل ، وكل الفرق بين النسختين أنّ ناسخ (د) حاول أن يجتهد في بعض القراءات ، التي عدّها خطأ في الأصل ، ولم يسلم من إضافة أخطاء جديدة ، مما قد يلحق الناسخ عن طريق السهو .

وتضم الفئة الثانية من المخطوطات :

(٣) مخطوطة الخزانة الملكية بالرباط (رقم : ٩١٤٤) وقد رمزت لها بالحرف (م) وتقع في ٢٤٥ ورقة ، وهي مكتوبة بخط أندلسي ، ومسطرتها

١٩,٥ x ٢٣ ، وعدد السطور في الصفحة الكاملة ٢٢ سطراً ، ولكن هذا لا يطرد لأن الناسخ يراوح كثيراً بين الكتابة بخط ذي حجم عادي والكتابة بخط كبير جداً حتى ان عدد الأسطر في الصفحة الواحدة لا يزيد عن أحد عشر سطرًا . وهذه الكتابة بالخط الكبير لا تقتصر على عناوانات الفصول بل تشمل كل ما ظنه الناسخ بداية فقرة جديدة . وتظهر في هذه النسخة آثار الأرضية بكثرة ، وفيها خروم ضاعت بسببها أوراق كثيرة كما تنبهم الفوارق فيها بين عدد من الحروف المتقاربة في صورها ، وهي لا تشمل كل القسم الثاني ، وإنما تنتهي عند أوائل ترجمة ابن عبدون ثم نجيء في خاتمتها صورة تملك على هذا النحو : « الحمد لله : تملك هذا الكتاب عبده تعالى أبي [كذا] بكر بن أحمد بن علي أعانه الله على طاعته » . إلا أنها لا تحمل تاريخاً .

ورغم ما في هذه المخطوطة من عيوب فقد كانت ذات دور هام في ما قدمته من عون أثناء تحقيق هذا القسم ، لانفرادها عن (ط) واعتمادها على أصل آخر ، وهذا ما جعلها تحفل بزيادات غير موجودة في (ط) وقرينتها (د) ومنها زيادة في ترجمة عبد الجليل بن وهبون وأخرى في ترجمة أبي بكر ابن عبد العزيز كما أنها تنفرد إذا قورنت بالنسختين السابقتين بإيراد ترجمة ابن مرزقان .

(٤) نسخة المكتبة الوطنية بباريس رقم : ٣٣٢٢ (ورمزها : س) ، وهي منسوخة عن نسخة عدد أوراقها ٢٢٢ ورقة مثبتة أرقامها على هوامش الصفحات ، وتقع (س) في ٢٦٥ ورقة ، وعدد السطور في كل صفحة عشرون سطرًا ، ومعدل الكلمات في السطر الواحد ١٢ كلمة ، وخطها نسخي حديث ، ويبدو أن كاتبها أجنبي ، يدلّ على ذلك نوع الخط ، ومحاولة رسم الكلمات دون إدراك لمعناها ، وكثرة الأخطاء في الصفحة الواحدة ، وقد تمّ نسخها في ١١ أكتوبر سنة ١٨٨٤ .

ولا ريب في أن الأصل الذي نقلت عنه (س) قريب الشبه بالنسخة (م) وقد احتفظت النسخة الباريسية أيضاً بالزيادات التي جاءت في نسخة الخزنة الملكية بالرباط ؛ وكان لا بدّ من الاعتماد على (س) لأنّ قرينتها (م) غير كاملة ، فاستطاعت نسخة باريس أن تمدنا بترجمة لم ترد في مخطوطات الفئة الأولى وأعني بذلك ترجمة الأعمى التطيلي . أما فيما عدا ذلك فانه ليس في مقدور أيّ محقق أن يثبت جميع الفروق التي تتمتع بها (س) لأنّ أكثرها قائم على الخطأ المحض ، وإنّما كان أكثر الاعتماد عليها استثناساً بطبيعة السياق ، وترجيحاً إن أمكن الترجيح .

وبعد : فقد كان هذا القسم من الذخيرة معدّاً للنشر في النصف الأول من سنة ١٩٧٥ ، بعد الانتهاء من طبع القسم الثالث ولكن كان يمنعي من دفعه إلى المطبعة إحساسي بأنّ هناك شيئاً ينقصه ويتمثل هذا في مواطن :

١ - ترجمة أبي الوليد الباجي ، فقد كتب في هامش ط أنّ الترجمة لا يزال ينقصها ورقة ونصف الورقة ، وهو شيء لم أستطع العثور عليه في (م) أو (س) رغم انتمائهما إلى فئة مختلفة .

٢ - إن ترجمة الوزير أبي عبيد البكري لا يمكن أن تكون كاملة ، فلنّ ابن بسام لم يورد شيئاً من نثره أو شعره .

٣ - إنّ فهرست الذخيرة (في صدر القسم الأول) ينصّ على وجود ترجمة لمن اسمه « الوزير الخطيب الأديب أبو عمر ابن حجاج » تقع بعد ترجمة أبي عبيد البكري ولا وجود لها في المخطوطات الأربع ، أليس من المعقول أن تكون موجودة في مخطوطة أو مخطوطات أخرى ؟ وفي هامش (ط) ما ينبيء بأنّها ناقصة ، وكاتب هذا التعليق بخط متأخر ، ربما فعل ذلك لأنّه رآها في مخطوطة أخرى .

٤ - إن الزيادات التي وردت في نسختي (م) و (س) قد تشير

إلى أن استكشاف مخطوطات أخرى قد يتيح العثور على زيادات جديدة .

لهذا كاه آثرت التريث ، وغادرت بيروت في سبتمبر (أيلول) ١٩٧٥ إلى جامعة برنستون ، واشتدت وطأة الأحداث المؤسفة في أثناء ذلك على لبنان ، وكان أن سعى بعض أصدقائي - جزاهم الله خيراً - إلى تصوير مسودة القسم الثاني ، كما تركتها محققة ، وإرسالها لتودع عند صديقي العلامة يوسف فان اس ، بجامعة توبنجن بألمانيا ، ولم أستطع رؤية هذا القسم من الذخيرة إلا بعد عودتي إلى بيروت في حزيران (يونيه) ١٩٧٧ ؛ وفي أثناء هذه الغيبة صدر من هذا القسم قطعة تستغرق حتى آخر ترجمة أبي العلاء بن زهر ، قام بتحقيقها الدكتور لطفي عبد البديع^١ ، ولما قارنتها بما كنت حققته وجدت مصداق بعض ما قدرته فقد احتوت تلك القطعة (اعتماداً على النسخة الكتانية) ما تفتقده النسخ من ترجمة أبي الوليد الباجي ، ولعلّ هذه النسخة الفريدة (أعني الكتانية) أن تكون قد احتفظت أيضاً بكل ما قدرته من نقص في النسخ التي تسرت لي ، أو بمعظمه .

إنني أحنّب هذه المقدمة ، وقد قطع هذا القسم شوطاً غير قليل في المطبعة ، ولهذا رأيت أن أضيف إليه ما جاء من زيادة في ترجمة الباجي مستمداً من القطعة التي حققها الدكتور عبد البديع ، وأن أصنع لترجمة البكري تحشية مما ورد في المصادر من شعره ونثره ، أميزها عما عداها لأنها ليست من أصل الذخيرة ، راجياً إذا أتيح لي الاطلاع على النسخة الكتانية - وهو شيء لا أظنه سهلاً - أو غيرها من النسخ ، أن أثبت الزيادات وفروق القراءات في نهاية هذا الجزء .

لقد كنت أظن أن الصعوبات ستصبح مذلة لإخراج هذا القسم على نحو أكثر تحقيقاً للرضى ، ولكنني حين اعتبر هذه الفترة الطويلة التي مضى على

١ الهيئة المصرية العامة للكتاب : ١٩٧٥ .

الذخيرة - ولعلها أن تكون أهم مصدر من مصادر الأدب الأندلسي - دون أن تيسر للقراء والدارسين ، أحسن أن إخراجها على هذا النحو خير من التماذي في تأخير احتياجها حتى تكتمل جميع الوسائل .

ولقد كان العناء في هذا القسم - كما كان في القسمين السابقين : الأول والثالث - يستنزف موفر الطاقة ، ومنخور الجهد ، فالذخيرة لا يمثل نصاً سهلاً ، يتفق كل الناس على قراءته - وبخاصة للتباعد بين المخطوطات - ولا يمكن الاسراف فيه في ناحية على حساب ناحية أخرى ، بل لا بد من الموازنة بين الشرح والتعليق والتخريج وتزجيح القراءات ، والاقتصار على الضروري ، مع مراعاة الربط بين الذخيرة والمصادر الأندلسية (وأحياناً غير الأندلسية) الأخرى . وقد تلقت العون في تحقيق هذا القسم من اثنين يستحقان كل شكر وتقدير وهما الدكتورة وداد القاضي التي لم تأل جهداً في تدقيق الملازم الطباعية ، وتوجيه بعض القراءات التي أعياني أمرها ، والإشراف على الفهارس المفصلة الدقيقة ، والدكتور ألبير مطلق ، الذي بذل جهداً طيباً في معاونتي على مقارنة النسخ ، والتضحية بوقته في تقديم كل ما يعين على إنجاز هذا القسم .

فإليهما مرة أخرى ، تقدير عارف بمدى ما بذلاه من جهد مخلص ، والله يوفقنا جميعاً إلى ما فيه الخير .

احسان عباس

بيروت في أيلول (سبتمبر) ١٩٧٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صل الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله

فصل^١ في ذكر الأعيان المشاهير ، من أرباب صناعة المنظوم
والمنثور ، بحضرة إشبيلية ونواحيها ، وما يصاحبها ويدانيها ،
من بلاد ساحل البحر المحيط الرومي ، وهو الجانب الغربي
من جزيرة الأندلس ، وإيراد ما بلغني من غرر أشعارهم ،
ومستطرف أخبارهم ، مع ما يتعلق بها ، ويذكر بسببها

قال ابن بسام : وحضرة إشبيلية على قِدَمِ الدهرِ كانت قاعدةً هذا
الجانب الغربي من الجزيرة ، وقرارة الرياسة ومركزَ الدول المتداولة ،
ومنها مُهَدَّتِ البلادُ ، وانْبَثَّتِ الجياد ، عليها الفرسان ، كأنها العقبان ،
وبهذا الأفقِ نزل جندُ حمص من المشرق فُسِّمَتِ حمص ، ولما كانت
دارَ الأعزةِ والأكابر ، ثابتٌ فيها الخواطر ، وصارت مجمعاً لِيَصُوبَ العقول
وذوبِ العلوم ، وميدانتي فرسانِ المنثور والمنظوم ، لا سيَّما من أوَّلِ المائةِ
الخامسة من الهجرة حين فِرِحَ كل حِزْبٍ بما لديه ، وغلبَ كلُّ رئيسٍ

.....

١ نشر دوزي هذا الفصل من الذخيرة الخاص ببيي عباد ، في المجموع الذي ضم ما جاء من هذه
الأسرة في المصادر العربية ، وذلك في الجزء الأول ص ٢٠١ - ٣٢٣ .

على ما في يديه ، بعد الدولة العامرية ، فأضحّت أقطارُ الجزيرةِ يومئذٍ كبنى
الأعيان ، وأهلها كما قال أخو بني عدوان ^١ :

عذيرَ الحيّ من عدوا نَ كانوا حيّة الأرضِ
بنى ^٢ بعضهمُ بعضاً فلم يُبْقُوا على بعض

- فاشتمل هذا القطرُ الغربيُّ لأول تلك المدّةِ على بَيْتَي حسب ،
وجمهوري أدب ، مملكتان من لحمٍ وتُجيب ، مَصْرَتا بلادَةٍ ، وأكثرتا
رؤادَةٍ ، فأناه العلمُ من كلِّ فجٍّ عميقٍ ، وتبادرَهُ العلماءُ من بين سابقٍ
ومسبوقٍ ، وكلّما نشأ من هذين البيتين أميرٌ كان إلى العلمِ أطلبَ ، وفي أهله
أرغب ، والسلطانُ سوقٌ يُجْلَبُ إليه ، ما يَنْفُقُ لديه ، حتى اجتمع
في الجانب الغربيِّ على ضيقٍ أكنافِهِ ، وتَحَيَّفَ العدوُّ قصمه الله لأطرافِهِ ،
ما باهى الأقاليمَ العراقيةَ ، وأنسى بِلْغاءَ الدولةِ الديلميةَ ، فقلّما رأيتَ
فيه نائراً غيرَ ماهرٍ ، ولا شاعراً غيرَ قاهرٍ ، دَعَوْا حُرَّ الكلامِ فلبّى ،
وأرادوه فما تابى ، وطريقَتُهُمْ في الشعرِ الطريقةُ المثلّي التي ^٣ هي طريقة
البحري في السلاسةِ والمتانةِ ، والعذوبةِ والرصانةِ .

وأنا أورد في هذا القسم بعضَ ما انتهى إليّ من حُرِّ كلامهم ، في
نثرهم ونظامهم ، مَشُوباً ذلك كلّهُ بفنونٍ فوائده ومعارفَ من أخبارٍ
يَحْسُنُ الوقوفُ عليها . على أنّ الذي بلغني من شعرِ كلِّ قَطْرٍ ، ثمادٌ
مِنْ بحرٍ ، ونقطةٌ من قَطْرٍ ، ولقد فاتني كثير من الكتّاب والوزراء ،

١ هو ذو الإصبع العدواني ، انظر الأغاني ٣ . ٨٥

٢ ط س . بكى .

٣ ط س الذي .

وجملة من أعيان الشعراء ، ممن كان في ذلك التاريخ ، منهم من لم أسمع بذكره ، ومنهم من لم يَسْمَحْ نقدي^١ بإثبات ما بلغني من شعره ، وربما أجريتُ ذِكْرَ أحدهم غير مُبَوَّب عليه ، ولا مشيرٍ إليه ، إما لشيء أجادَ فيه ، وإما أن يتعلقَ ذكره بذكرٍ من أجريه ، وقد أبدأ بذكر الرجل لمكانه من الإحسان ، لا لتقدمه من الزمان ، أو لبعض ما يدعو إليه القول من نَسَقِ خبر ، أو موجبِ نظر . فأول ما ابتدأتُ به من أهل حمص آل عبادَ لباهةِ ذكرهم ، مع جَوْدَةِ شعرهم .

فصل في ذكر القاضي أبي القاسم محمد بن عباد وإيراد جملة من أخباره ، واجتلاب قطعة من أشعاره^٢

قال ابن بسام : كان ذو الوزارتين القاضي أبو القاسم محمد بن اسماعيل ابن عبادَ المتغلب على إشبيلية ممّن له في العلم والأدب باع ، ولذوي المعارف عنده بها سوق وارتفاع ، وكان يشارك الشعراء والبلغاء في صنعة الشعر وحوك البلاغة ، بسطاً لهم ، وإقامةً لهمهم ، ولما كان في طبعه من ذلك أيضاً . وقد ذكر الوزير أبو رافع الفضل بن علي بن أحمد بن حزم الفارسي^٣

.....

١ س : يسمع نفسي .

٢ لا مجال لحصر المصادر المعتمدة في أخبار بني عباد ، فقد جمع منها دوزي في كتابه :

Historia Abbadidorum (Leiden, 1846).

قسماً وإفراً ، وإنما نذكر هنا بأهم المصادر مثل البيان المغرب والقلائد والصلة والمغرب والمعجب والمغرب والاحاطة والروض المعطار ونفح الطيب وبدائع البدائع وتاريخ ابن خلدون وتاريخ ابن الأثير والخريدة وابن خلكان والنويري ، وتعد مقارنة هذا النص بما ورد في الحلة السبراء والبيان المغرب أمراً ضرورياً ، لاعتماد المصدرين على كتاب ابن بسام .
٣ هو ولد الحافظ الفقيه أبي محمد ابن حزم ، روى عن أبيه وأبي عمرا بن عبد البر وغيرهما ، وكتب بخطه علماً كثيراً ، وكان عنده أدب ونباهة وذكاء ، وتوفي بالزلافة سنة ٤٧٩ (الصلة : ٤٤٠) .

في كتابه الموسوم : « الهادي إلى معرفة النسب العبادي » كيف طلع نجمه ، وثبت في ديوان الملوك اسمه ، وقد أثبت من ذلك ما امتدَّ بي إليه سبب ، واتصل بينه وبين ما أنا بسبيله نسب ، ووَصَلْتُ به ما لم أجد لأبي رافع زيادةً على ما بيّن ، وتماماً على الذي أحسن .

قال أبو رافع^١ : القاضي ابن عباد هو أبو القاسم محمد بن ذي الوزارتين أبي الوليد اسماعيل بن محمد بن اسماعيل بن قريش بن عباد بن عمرو بن أسلم بن عمرو بن عِطَاف^٢ بن نعيم ، وَعِطَافٌ هو الداخلُ منهم بالأندلس في طالعة^٣ بلج بن بشر القشيري ، وكان عطاف من أهل حمص من صُقْعِ الشام لحمي النسب صريحاً ، وموضعه من حمص^٤ العريش ، والعريش في آخر الجفار بين مصر والشام ، ونزل بالأندلس بقرية بُومينَ من إقليم طُشَانَة^٥ من أرض إشبيلية .

قال ابن حبان^٦ : واسماعيل بن عباد قاضيهم القديم^٧ الولاية ، وَرَجُلٌ الْغَرْبِ قاطبةً ، المتصل الرئاسة في الجماعة والفتنة ، وكان أَيْسَرَ مُكَوِّرٍ^٨ بالأندلس وقته ، ينفق من ماله وَغَلَاتِهِ ، لم يجمع درهماً قط من مالٍ

.....

١ انظر الحلة ٢ : ٣٤ والبيان المغرب ٣ : ١٩٤ .

٢ بكسر العين وتخفيف الطاء (الحلة) .

٣ ط د م س ودوزي : طاعة .

٤ صوابه « الشام » .

٥ طشانة (Tocina) تقع في كورة اشبيلية .

٦ الحلة ٢ : ٣٥ .

٧ ط د س : قديم .

٨ المكور : المصمم .

السلطان ولا خَدَمَتُهُ^١ ، وكان واسع اليد بالمشاركة ، آوى صنوف الجالية من قرطبة عند احتدام الفتنة ، وكان معلوماً بوفور العقل وسبوغ العلم والركانة^٢ ، مع الدِّهَاءِ وَبَعْدَ النظر وإصابة القرطسة .

فأما ذو الوزارتين أبو القاسم ابنه فأدرك متمهلاً ، وسما بَعْدُ إلى بلوغ الغاية فخلطَ ما شاء وركبَ الجرائم^٣ الصَّعْبَةَ ، وكان القاسمُ بنَ حَمُودٍ قد اصطنعه بعد مهلك أبيه اسماعيل ، وردَّ عليه ميراثه من قضاء بلده بَعْدَ بُعْدِهِ عنه مدَّة ، [٢ ب] وحصل منه بمنزلة الثقة ، فخانهُ تَخُونٌ^٤ الأَيَّامِ عند إدبارها عنه ، إثارةً للحزم وطلباً للعافية ، فصده عن إشبيلية بلده لما قصده من قرطبة مفلولاً ، وكان الذي وطَّده ذلك نفرٌ من أكابرها المرتسمين بالوزارة ، مناغين في ذلك لوزراء قرطبة ، على تحمُّيلهم لابن عبادٍ كِبَرٌ ذلك ، لإنافته عليهم في الحال وسعة النعمة ، وإحصائهم عليه مِلْكٌ ثلث إشبيلية ضيعةً وغلَّةً ، يخادعونهُ بذلك عن نَشَبِهِ ، إبقاءً منهم على نعمهم ، وهو يشتري بذلك أَنْفُسَهُمْ ولا يشعرون ، إلى أن وقعوا في الهوَّة ، وكانوا جماعةً منهم بنو أبي بكر الزبيدي النحوي وبنو يريم^٥ صنائع ابن عباد وغيرهم ، راضين بهم الأمور واستمالَ العامة ، فلمَّا تَوَطَّأت^٦ له قَبْضَ أيدي أصحابه هؤلاء ، وسما بنفسه فأسقط جماعتهم ،

١ واضح من هذا القول أنه لم يعد توليه القضاء من الخدم السلطانية .

٢ د والخلة : والركانة .

٣ هذه هي قراءة م ؛ والجرائم : أصل الشجرة ، وقد يفهم من ذلك أنه تجسَّم صواب الأمور وفي ط د والخلة : الجرائم ؛ س : الجرائم .

٤ ط د م س : يخون .

٥ ط س : يريم ؛ م : أبريم ، د : أبرم ، البيان : مريم .

٦ ط د م : توطدت (وهي قراءة جيدة أيضاً) ؛ س : اتواطأت .

وجرت له في تدبيرهم أمور يشقّ إحصاؤها ، ركبَ فيها أحزَمَ طُرُقِ
 طُلَّابِ الدول ، حتى انفرد بسابقتها ومهدّ لدولته ، واجتمع^١ أهلُ عمله
 على طاعته ، فدانوا له ، وسلك سيرةَ أصحاب الممالك بالأندلس^٢ لأوّلِ
 وقته ، وقام بأصحّ عزمٍ وأيقظَ جِدَّةً ، واخترع في الرياسة وجوهاً تقدّم
 فيها كثيراً منهم ، وامتلأ رَسَمُ ابنِ يعيش^٣ صاحب طليطلة من بينهم في
 تَمَسُّكِه بِخِطَّةِ القضاء وارتسامه باسمه ، وأفعالهُ على ذلك أفعالُ
 الجبّارة ، وأقبلَ لأوّلِ وقتهِ يضمُّ الرجالَ الأحرارَ من كلِّ صنف ،
 ويشترى العبيدَ ، والحدُّ يساعده والأمور تنقادُ له ، إلى أن ساوى ملوكَ
 الطوائفِ وزاد على أكثرهم بكثافةِ سلطانه ، وكثرةِ غلماه ، فَنَفَعَ الله
 به كافةَ رعيّته ونجّاهم من ملك البرابرة ؛ وتدرّج في تدبير ذلك أولاً
 أولاً ، ومارسه شأنًا شأنًا ، إلى أن استولى على أمده ، ومهدّ قواعد سلطانه ،
 وشدَّ أواخيه . وأخباره مأثورة مشهورة .

قال ابن حيان^٤ : ومن أشهر أخباره أنه نظر في شأن من بقي من فتيان
 بني مروان يومئذ فسقط إليه خبر الدعيّ المُشَبَّه بهشام بن الحكم ، وكان
 قد تُحَدَّثَ أَنَّهُ أفلت من يدي سليمان قاهره ، وانه غاب ببلاد المشرق

.....

١ ط د م س : واجمع .

٢ الحلة ودوزي : الذين بالأندلس .

٣ هو يعيش بن محمد بن يعيش أحد رؤساء طليطلة عند نشوب الفتنة ، وقد استطاع أول الأمر
 إبعاد منافسيه من رؤساء المدينة ولكن مدته في الحكم لم تطل ، فأخرجهم أهلها ، وخطبوا
 اسماعيل بن ذي النون لتسلم البلد ، وقد ترجم له ابن بشكوال (المسلة : ٦٥٠) وقال
 إنه بعد مغروجه من بلده صار إلى قلعة أيوب وتوفي بها سنة ١٨٤ أو أوائل ١٩٤ (انظر الحلة
 ٢ : ٣٧ - ٣٨ التعليق رقم : ٥)

٤ البيان المغرب ٣ : ١٩٧ .

مدته الطويلة ثم عاد إلى الأندلس ، فقدح ذلك في قلوب الناس لمقدمات سلفت في ذكر هذا الرجل والشك في موته ، إذ كان سليمان قاتله قد ترك إبداءه للناس ، حسبما فعلته خدمة^١ الملوك قبيل فيمن خلعهوه ، إما استخفافاً من سليمان يومئذ بمن ملك نواصبيهم بالقهر ، أو ما شاء الله من غلط أصاب المقدار قصده^٢ ، لقضاء سبق في علم أم الكتاب ، فلم تزل طائفة من شيعته تنفي موته ، وتروي في ذلك روايات تبعد عن الحقيقة ، وتصدر عن نسوان وخصيان من أهل القصر بقرطبة ، إلى أن علق ذلك بمن فوقهم من شيع الروانية ، فشدوا أواخي خلاصه ، وقطعوا على حياته ، ووصفوا أنه اضطرب بقرطبة في دولة البرابر ممتهناً نفسه في طلب المعيشة ، ثم زعموا بعد حين أنه عبر إلى أرض المشرق ، وانساح^٣ في ذلك الأفق ، وقضى^٤ كل المناسك هنالك ، ووطيء كل بقعة ، ثم كرّ راجعاً إلى دياره لأمد محدود ولكرة الدولة الروانية ، لتحدث على يديه الأنباء البديعة ، فدأنوا — كما تسمع — بالرجعة دينونة الشيعة ، وناهوا في ذلك تيه تضليل^٥ ، سخر منهم أهل التحصيل ، إلى أن ظهر على زعمهم بالمرية سنة ست وعشرين في أيام زهير الصقلبي .

ولم تزل قصة هذا المشبه بهشام تدب في قلوب الناس ديب النار في الفحم . فدبر ابن عباد خبره ، واهتبل الغرة في ذلك ، وأنه أقل ما يجيء له

١ البيان : حزمة .

٢ قد تقرأ في ط : وارتاح ؛ البيان : وساح .

٣ ط د س والبيان : وقصر .

٤ ط : حل يده .

٥ ط : بطل ؛ دوزي : تقليد ؛ البيان : بتضليل ؛ س : تغليل .

منه دفعُ مكروهِ ابنِ حمود ، وطمعُ الناسِ على حرّبه ، [١٣] فأخبرَ
أنّه حصلَ هشامٌ عنده ، وجمع من بقي بإشبيلية من نساء القصر والحرم ،
فاعترف به أكثرهم ووقفوا على عينه ، وأومأ إلى ثقاتهم عنده بما يريد فيه ،
فاجتنبوا خلافته وابتغوا موافقته ، فوجد ابنُ عباد بذلك السبيل إلى ما
دبره من حرب ابنِ حمود^١ ، وحجبه عن أعين الناسِ ، وبثّ كتبه بذلك
إلى جميع الرؤساء ، واستنھضهم إلى الاجتماع على هذا الخليفة المخبوء لملك
الرقاب وكرة الأيام ، والجهادِ دونه ، فكثُر الخوضُ بالأندلس في ذلك ،
ومالت نفوسُ أهلِ قرطبة في نصبه إماماً للجماعة ، وأشخصوا الرسلَ
للقوف على عينِ هشام ، وتثبيت^٢ الشهادة فيه ، وزوّر ابنُ جمهور وغيره في
ذلك شهادات ، على علمٍ منهم . ابتغاءَ عَرَضِ الدنيا وإذعاناً من ابنِ
جمهور أيضاً لما رآه من دفع ابنِ حمودِ الفاغريّ فاه على حضرةِ قرطبة ،
فرجع منه سريعاً إلى الاعتراف بالخطأ بقيّة عمره بعد عظيم ما^٣ انبعثت
في ذلك من الفتن ، وجرت من المحن ، وصُرع من الجبايرة ، ونُقل
من الدول ، انتهى كلام ابنِ حيان .

قال ابنِ بسّام : وثبت^٤ القاضي ابنُ عباد - كما وصف - زاحراً العُبابِ
منألق الشهاب ، أذكى من قاسٍ وقلد ، وأدّى من أتهم وأنجد ،
يأخذُ وكأنّه يدعُ ، ويظيرُ فيحسبُ أنّه وقع ، فتغلبَ على إشبيلية
وليس له أوان ذلك معقل إلا وله شرّ راتب ، وعليه أميرٌ غالب ، فدار
الأمرُ بها عليه لتمييزه بخطّة القضاء التي لم يجاذب رداءها ، ولا سلّم لأحدٍ

١ ط م : ابن عباد ، وبياض في د .

٢ ط س ودوزي : وثبت .

٣ س م : مما .

بعدُ لواءها ، إلى أن استوثقَ الأمرُ ليحيى بن علي الحمودي - حسبما تقدم - فاضطرَّ أهلُ إشبيلية إلى الإذعان لطاعته ، والدخول فيما دخل فيه الناسُ من جماعته ، وأدارهم لأُمورٍ جَرتْ على رَهونٍ تكون بيده ، فَصَنَ كلَّ بولده ، وبادرَ القاضي فراهتهُ ابنه عباداً ، فانفرد بالتدبير ، واستولى على الأمور ، واستظهر على ذلك بهدم البيوتات ، وتشتيت ذوي الهيئات ، وأول ما بدأ به من ذلك نكبةُ شَيْخِي المصري يومئذ الزبيدي وابن يريم ، طواهما طيَّ السجل ، وقبضهما قبْضَ الظل ، فأيدَ القاضي يومئذ بحبيب وزيره ^١ ، ودارت عليه رحي تدبيره ، رجلٌ من أهلِ باديةِ إشبيلية لم تكن له نباهة مذكورة ، ولا سابقة مشهورة ، أوسعَ أهلُ زمانه شراً ، وأوسعُهُم خديعةً ومكرًا ، وأيدَ أيضاً بابنه اسماعيل طود أصالة ، وجنّي ^٢ بسالة ، مِحْشَ تلك النار ، وسابقُ ذلك المضمار ، فبين هذين استوسقت له الأمور ، وتدفقت تلك البحور ، وله أخبار مشهورة ، وقصص ماثورة ، فيها بعض الطول ، وهي عادلة عن تلك السبيل ، لكني ألتمعُ منها بلُحْعة .

قال ابن حيَّان ^٣ : تعطلت قصبة باجة في ذلك الأوان بسبب فتنة البرابرة وخربت ، على قدَمِ بنائها في الجاهلية ، واتصال عمرانها في الإسلام ، ومكانها من طيب الميرة واتساع الخطّة ، وكانت آفاتُها من اختلاف أهلها قديماً ، وبقاء شؤمِ العصبية بين العرب منهم والمولدين إلى آخر الأيام ،

١ هو محمد بن أحمد بن عامر الحيمري الملقب بحبيب والد اسماعيل مؤلف كتاب « البديع في وصف الربيع » (وسيرجم ابن بسام لابنه في ما يلي من هذا القسم) .

٢ دوزي : وجبير ٤ س : وجنبي .

٣ زاد هنا في م : وكان القاضي ابن عباد زاحراً العباب متألق الشهاب ، وقد مرت آنفاً .

فسمّا لها ابنٌ عباد وابن مسلمة المعروف بابن الافطس ، وذهبا يومئذ إلى عمارتها^١ ، فاستظهر القاضي ابن عياد في ذلك بحليفه محمد بن عبد الله البرزيلي^٢ صاحب قرمونة ، وجرد ابنه^٣ اسماعيل لبنائها ، فسبقه ولد ابن مسلمة إليها الملقب بالمظفر . وجاء مدداً لابن طيفور صاحب ميرتلة^٤ من أمراء الساحل ، فنزل ابن عباد عليه بباجة ، وضربت خيله إلى ناحية يابرة والغرب فهتكت أستاراً ، وخربت دياراً . واتصل الحصار بابن الافطس بباجة ، وانصدع الجمع عن أسره وقتل كبار رجاله ، وبعث بالأسرى إلى أبيه ، وكان في جملتهم أخ لابن طيفور صليب ياشييلية ، وحبس ولد ابن الافطس عند [٣ ب] صاحب قرمونة ابن عبد الله ، وبلغت هذه الغارة من ابن الافطس الغاية ، وتجاوز البلاء في جهته النهاية ، وهيض جناحه بأسر ابنه ، ووهن ابن طيفور بقتل أخيه ، وكان ابن عبد الله بقرمونة ، قطب رحي الفتنة ، كثيراً ما يُحرّض القاضي ابن عياد على الخروج إلى بلد ابن الافطس ، وإلى قرطبة ، فيعمّا^٥ الجهات كلّها تدويناً ، كلما آبا من جهة صاروا إلى سواها ، حتى أثرا آثاراً قبيحة ، فارتفع طمع وزراء قرطبة المدبرين لها منه ، لأنّه كان لا يوافقهم على دعوة أموي ليفرط

١ عمارتها . موضعها بياض في دس وعند دوزي ، ويكثر البياض في هذه القطعة ، إلا أنه في م ط محش بخط مختلف عن خط الأصل .

٢ تكتب أيضاً : البرزلي والبرزالي . وقد يبيع البرزالي هذا بقرمونة سنة ٤٠٤ هـ فعمرت ، وكان فارساً مهيباً ثم بايتمته استحه والمدور وأشونة ولم يزل يتولى أمورها حتى سنة ٤٣٤ هـ (البيان ٣ : ٢١١ - ٣١٢)

٣ ميرتلة : مدينة تقع إلى الشرق من بابجة (الروض المعطار : ١٩٣) .

٤ ورد النص على الافراد في م س : فيعمم . . . كلما آب . . . الخ .

شروده^١ عن الجماعة ، وإنما كان مذهبه طمس رَسْم الخلافة من معانيها^٢ بقرطبة ، وتصيُّرها أسوة لشبيلية في إسنادها إلى رئيس من أهلها ، وطرد قريش عن سلطانها ، لإبطال^٣ للإمامة ورسوخاً في الخارجية ودفعاً لأمر الله . فقطع سبل قرطبة وشدت حصرها ، فتمسك الوزراء بحبل بعض البرابر من بني برزيل بجهة شذونة ، وكانوا على قديم^٤ الأيام جمرة زناتة بأساً وصرامة ، واعتضدوا بهم مدة ، واعتضد أيضاً ابن الأفطس بطائفة أخرى منهم ، فكان في كل بلد جملة منها سالت عن أهل البلاد سيول بها ، وخطبوا الشر بين رؤسائها ، واستخرجوا بذلك ما اطمروه^٥ من دنائيرهم وخيلهم ، وجاحوا ذات أيديهم ، وعلموهم كيف تؤكل الكتف ، فطال العجب عندنا بقرطبة وغيرها من صمالك قليل عدد هُم ، منقطع مدد هُم ، اقتسموا قواعد الأرض في وقت معاً ، مضرتين بين ملوكها ، راتعين في كلاًها ، باقرين عن فلذتها ، حلتوا محل الملح في الطعام بئاسهم الشديد ، وقاموا مقام الفولاذ في الحديد ، فلا يقتل الأعداء إلا بهم ، ولا تعمر الأرض إلا في جوارهم ، فطائفة عند ابن الأفطس تقاوم أصحابها قيسل ابن عبّاد ، وطائفة عندنا بقرطبة تحيّر أهلها عن الاضداد ، فسبحان الذي أظهرهم ، ومكّن في الأرض لهم ، إلى وقت وميعاد .

وكان^٦ انطلاق المظفر من يد ابن عبد الله في ربيع الأول من سنة إحدى

.....

١ س و دوزي : شذوده .

٢ المعان : المنزل ؛ ط : معانيها ؛ م س : مغانيها ؛ د : مكانها .

٣ ط : قدم .

٤ من طمر بمعنى أخفى تحت الأرض ؛ س : اظهروه .

٥ تقاوم أصحابها : سقطت من ط .

٦ انظر البيان المغرب ٣ : ٢٠٣ .

وعشرين في خبر طويل ، وعرض عليه ابنُ عبدِ الله يومَ أطلقه أنْ يجتازَ على القاضي ابنِ عبّادٍ [ليشركه] ^١ في المنّ عليه بفكته . فأبى من ذلك وقال : مقامي في أسرك أشرفُ عندي من تحمّلِ منّيته ، فأمّا انفردتَ باليدِ عندي وإلا أبقيتني على حالي ، فأعجبَ ابنُ عبدِ الله بمقاله ، ونافسَ في إسداءِ اليَدِ عنده لكمالِ خصاله . وأكْرَمَ تشييعه ^٢ . فتنفّذَ إلى أبيه يومئذ ببطليوس وقد هدّبتُه محنته . وتمت أدواتُه وقويت حنكته ، وكان مُرجّلاً معقلاً أديباً عالماً . فرجع إلى مقاومة ابنِ عبّادٍ .

فلما كان في سنة خمس وعشرين وجّه ابنُ عبّادٍ بابنه اسماعيلَ مع عسكريٍّ إلى أرضِ العدو تحت معاهدة بينه وبين ابنِ الأفطس ، فلما أوغل اسماعيلُ ببلده يريد أرضَ غليسية ، وابنُ الأفطس مضمراً ^٣ الغدرَ به ، بادر بجميع رجال ثفره ^٤ . ورصده في شِعْبٍ ضيقٍ في طريق قُفُوله . ولم يعلم ابنُ عبّادٍ بشيءٍ من تدبيره حتى حصل في الأَنْشُوطَة ، فبادر اسماعيلُ بالنجاةِ لنفسه ، وأسلمَ جميعَ عسكريّهِ له . وجرت عليه في مَهْرَبِهِ مع جُمْلَةِ من أصحابِهِ شِدَّةٌ لَجَأَ فيها إلى ذبح خيله والاعتداء بلحومها . ونجا بدمائِهِ إلى مدينة أشبونة آخر عمله من ساحل البحر المحيط . فاصطلم ابنُ الأفطسِ عسكريه اصطلاماً لم يُسْمَعْ بمثله ، ووقع سَرَعَانُ العدو من النصارى على كثير منهم فاقتنصوهم اقتناصاً ، وقتلوا منهم أمة ، وكانت حادثةً شنيعةً بقيت بها عداوتهما إلى آخر وقتهما .

.....

١ زيادة من البيان .

٢ ط د م س : مصر .

٣ ط د م س : تعدد .

قال ابن بسام : ومن شعر ذي الوزارتين قوله ^١ :

يا حَبَّتْدا الياسمينُ إذ يَزْهَرُ فوق غصونٍ رطِيبةٍ نُضِرُ
قد امتطى للجبالِ ذروتَها فوق بساطٍ من سندسٍ أخضرُ
كَأَنَّهُ والعيونُ ترمقهُ زمرّدٌ في خلاليهِ جَوْهَرُ

وقال :

وياسمينٍ حَسَنَ المنظرِ يفوقُ في المرأى وفي المخبرِ
كَأَنَّهُ من فوقِ أغصانيهِ دراهِمٌ في مطرَفٍ أخضرِ

وقال :

ترى ناضراً الظيَّانِ فوقَ غصونه إذا هو من ماء السحابِ يفتلدي
وَحَقَّتْ به أوراقُهُ في رياضهِ وقد قُدَّ بعضٌ مثلَ بعضٍ وقد حُلدي
كصغيرٍ من الياقوتِ يُلْبَسُنُ^٢ بالفضي منضدةً من فوق قُضْبِ الزمرّدِ

فصل في ذكر المعتضد بالله عباد ابن ذي الوزارتين

القاضي أبي القاسم محمد بن عباد وسياقة مقطوعاتٍ

من أشعاره ، مع جملة من عجائب أخباره

قال ابن بسام ^٣ : ثم أفضى الأمر إلى عباد ابنه سنة ثلاث وثلاثين ،

.....

١ وردت هذه المقطعات في الحلقة ٢ : ٣٨ - ٣٩ ، والأول منها في النسخ ٤ : ٢٤٢ .

٢ الحلقة ودوزي : يلعبن .

٣ انظر الحلقة ٢ : ٣٩

وتسمّى أولاً بعصر الدولة ثم بالمعتضد ، قطبُ رُحى الفتنة ، ومنتهى غاية المحنة ، مِن رجلٍ لم يثبت له قائمٌ ولا حصيدٌ ، ولا سَلِيمٌ عليه قريبٌ ولا بعيدٌ ، جبارٌ أبرمَ الأمور وهو متناقض ، وأسدٌ قرَسَ الطلى وهو رابض ، متهورٌ تتحاماه الدهاة ، وجبارٌ لا تَأْمَنُهُ الكماة ، متعسف اهتدى ، ومُنْبَتَّ قطع فما أبقي ، ثار والناسُ حربٌ ، وكلُّ شيءٍ عليه لب ، فكفى أقرانهُ وهم غيرُ واحد ، وضبطُ شانه بين قائم وقاعد ، حتى طالت يده ، واتسع بلده ، وكثر عديدهُ وَعُدَدَه ، افتتح أمره بقتل وزير أبيه حبيب المذكور ، طعنةً في ثَغْرِ الأيام ، ملكَ بها كَفَّةً ، وجباراً من جابرة الأنام ، شَرَّدَ به مَنْ خَلَفَهُ ، فاستمرَّ يَفْرِي وَيَخْلُق ، وأخذ يجمع ويفرق ، له في كل ناحية ميدان ، وعلى كل رابية خِوان ، حَرَبُهُ سَمٌّ لا يبطىء ، وسهم لا يُخطيء ، وسلمُهُ شَرٌّ غيرُ مأمون ، ومتاعٌ إلى أدنى حين .

وذكره ابن حبان فقال^٢ : وعشيَّ يوم الأربعاء^٣ لست خلت لحماذى الآخرة سنة إحدى وستين ، طَرَقَ قرطبة نَعْيُ المعتضد عباد زعيم جماعة أمراء الأندلس في وقته ، أسد الملوك ، وشهاب الفتنة ، وراحض^٤ العار ، ومُدْرِك الأوتار ، وذو الأنباء البديعة ، والحوادث^٥ الشنيعة ، والوقائع المنيعة ، والمهمم العليّة ، والسطوة الأبيّة ، فرماه الله بسهمٍ من مراميه

١ ط د م ودوزي : وجبان .

٢ البيان المغرب ٣ : ٢٠٤ والحلة ٢ : ٤٠ .

٣ الحلة : الأحد ، والسبب في هذا الخلاف أنه توفي السبت ودفن يوم الأحد (كما سيبين في ما يلي) ولكن أخبر لم يطرق قرطبة إلا يوم الأربعاء .

٤ ط د م س : وداحض .

٥ الحلة : والجرائر .

المُصْمِيَّةِ ، أَجَلَ^١ ما كان في اعتلائه ، وأرقى ما كان إلى سمائه ، وأطَمَحَ ما كان في الاحتواء على الجزيرة ، مُحْتَفِزاً لها عند تشميره الذيلَ بفتنةٍ لا كِفَاءَ لها ، فتوقاه الله على فراشه من علّة ذبحة قصيرة الأمد^٢ ، وَحِيَّةِ الاجتهاز ، اتفقت الحكايات أنها كانت شِبْهَ الْبَغْتِ . وكانت ولايته بعد موت أبيه القاضي يوم الاثنين غرة جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين ، وقضى نَحْبَهُ يوم السبت الثاني من جمادى الآخرة سنة [٤ ب] إحدى وستين ، ودُفِنَ عشيَّ يوم الأحد بعده ، تَغَمَّدَ الله خطابه ، فلقد حُمِلَ عليه على مرّ الأيام ، في باب فَرَطِ القسوة وتجاوز الحدود ، والإبلاغ في المُثَلَّةِ ، والأخذ بالظنّة ، والإخفاف للدمّة ، حكاياتٌ شنيعة لم يبدُ في أكثرها للعالم بصدقها دليلٌ يقومُ عليها ، فالقول ينساغ في ذكرها ؛ ومهما برّىء من مغبتها^٣ فلم يَبْرَأْ من فظاعة السطوة وشدة القسوة^٤ ، وسوء الاتهام على الطاعة ، سجايا من جبلة^٥ لم يحاشِ فيها^٦ ذوي رحم واشجة .

وقد كان تَقْيِيلَ سيرة أحمد بن أبي أحمد بن المتوكل^٧ أحد أشدّاء خلفاء^٨ العبّاسيين الذي ضمَّ نَشْرَ المملكة بالشرق ، وسطا بالمتزّين عليها ، وبفقدته انهدمت الدولة ، فحمل عبّاد سمتهُ المعتضدية ، وطالع بفضل

.....

- ١ س ط د والبيان : أجَد ، الحلة : أمد .
- ٢ م : المتل (دون اعجام للتاء) ؛ س : الأمل .
- ٣ ط د س ودوزي : منيبيها .
- ٤ ط د م س : فلم يبرأ من شدة القسوة .
- ٥ الحلة : جبليته .
- ٦ دوزي والحلة : فيهن .
- ٨ هو الملقب بالمعتضد (٢٧٩ - ٢٨٩) .
- ٩ دوزي والحلة : خلائف .

نظره أخباره السياسية التي أضحت عند أهل النظر أمثلة هادية إلى الاحتواء على أمدّ الرئاسة، في صلابة العصا وشناعة السُّطّا، فجاء منها بمتهولات يدعّر مَنْ سمع بها فضلاً عن من عاينها، نسبوا إلى هذا الأمير الشهم عباد امتثالها من غير دلالة، وقد انطوى علم الله فيها وتقرر إرصاده للمكافأة بها؛ ولم يقصّر عباد في دولته التي مهّدها فوق أطراف الأسنة وصيّر أكثر شغله فيها شبّ الحروب، وكياد الملوك، وإهراج البلاد، وإحراز التلاد، من توفّر حظه الأوفى من الأمور الملوكية، والعدد السلطانية، والآلات الرياسية، فاجتفى القصور السامية، واعتمر العمارات المغلّة، واكتسب الملابس الفاخرة، وغالى الأعلّاق السنية، وارتبط الخيول السابجة، واقتنى الغلمان الرؤفة، واتخذ الرجال الذادة، تنقّاهم من كلّ فرقة، فساس طبقاتهم ما بين إدّار الاعطية وضمان الزيادة على صدق الصيال، والوفاء بالوعيد على النكول عن العدوّ، سياسة أعيّت على أنداده من أملاك الأندلس، فخرّج منهم رجالاً مساعير حروب، أباد بهم أقتاله.

ومن نادر أخباره المتناهية في الغرابة أن نال بغيته وأهلك تلك الأمم العاتية، وإنه لغائب عن مشاهدتها، متّرفه عن مكابذتها، مدبّر فوق أريكته، منفذ لحيلها من جوف قصره، ما إن مشى إلى عدو أو مغلوب من أقتاله غير مرة أو اثنتين^٢، ثم لزم عريسته^٣ يدبّر داخلها أموره، جرّده نهاره لإبرام التدبير، وأخلص ليله لتعلمي السرور، فلا يزال تدار عليه كؤوس الراح، ويُحَيّا عليها بقبض الأرواح، التي لأناسيتها من

١ ط د م س : الشظا .

٢ دوزي : دوتين .

٣ ط د : هريشته ؛ س : عن بيته .

أعدائه بباب قصره حديقة^١ تُطْلِعُ كُلَّ وقتٍ ثمرًا من رؤوسهم المهداة إليه ، مقرطة^٢ الآذان برقاع الأسماء المنوَّهة بخاملها ، ترتاح نفسه لمعاينتها ، والخلق يدعرون من التماحها ، وهو واصل^٣ نعيم^٤ ليله بإجالة^٥ كيدِه ، ومستدع^٦ نشاط^٧ لهوهِ بقوة^٨ أيده . له في كل شأن شؤنين ، وعلى كل قلب سمع^٩ وعين ، ما إن سبَرَ أحدٌ من دهاة رجاله غوره ، ولا أدرك قعره^{١٠} ، ولا أمين^{١١} مكره ، لم يزل ذلك دأبه منذ ابتدائه إلى انتهائه .

وكان محمد بن عبد الجبار الملقب بالمهدي . مفرق الجماعة بقرطبة ، ومبتعث تلك الفتنة الميرة ، سبق عباداً إلى اتخاذ مثل هذه الحديقة المطلعة لرؤوس أعدائه ، أيام أكثر^{١٢} له واضح^{١٣} الخصي العامري من إرسال^{١٤} برؤوس الخارجين عليه ، لأول وقته^{١٥} ، وأصلح بهم باب مدينته سالم ، فغرس منها فوق الخشب المعلية لها بشط^{١٦} النهر حذاء قصره حديقة^{١٧} هول عريضة^{١٨} طويلة الخطّة ، جمّة عدد الصفوف المسطورة ، فأضحت شغلًا^{١٩} للنظارة ، وذكرتها شعراؤه مثل قول صاعد بن الحسين ، من قصيدة أولها :

جِلاءُ العينِ مُبْهِجَةُ النُفُوسِ	حَدائقُ أَطْلَعَتْ ثَمَرَ الرُّؤُوسِ
هناك اللهُ مَهْدِيّ المَساعي	جَنَى الهاماتِ من تلك الغُروسِ
فلم أَرْ قبلها وحشاً جَميلاً	كَرِهَ رِوائِيهِ أنْسُ الأُنيسِ
فماذا يَمَلَأُ الأَسْماعَ منها	إِذا مُلِئَتْ مِنْ آبِاءِ الطُروسِ

وقد كانت لعباد وراء هذه الحديقة المألثة قلوب البشر ذعراً ، مباهاة^{٢٠} بخزانة^{٢١} بلكوى ، أكرم^{٢٢} لديه من خزانة^{٢٣} جوهره ، مكنونة^{٢٤} جَوْفَ قَصرِهِ ،

.....

١ ط د م س : ومبتدع ، والتصويب عن البيان .

٢ ط د س : وقعه .

أودعها هامَ الملوك الذين أبادهم بسيفه ، منها رأس محمد بن عبد الله البرزيلي شهاب الفتنة ، ورؤوس الحُجَّاب ابن خزرون وابن نوح وغيرهم الذين قرن رؤوسهم برأس إمامهم الخليفة يحيى بن علي بن حمود ، سابقِهم^١ إلى تلك الرفعة^٢ ، فخصّ رؤوسهم بالصون بعد إذالة جسومهم الممزقة . وبالغ في تطييبها^٣ وتنظيفها للتواء لا للكرامة ، وأودعها المصاون الحافظة لها ، فبقيت عنده ثاوية^٤ نجيب سائلها اعتباراً ، انتهى كلام ابن حيان .

قال ابن بسّام : فلما افتتحت إشبيلية وخليع المعتمد ، حدثتُ أنه وجد جُوالق^٥ مطبوع^٦ عليه ، وظنُّ أنه مال أو ذخيرة ، فإذا هو مملوء رؤوساً ، فأعظم ذلك وهال أمره^٧ ، فدُفِعَ كلُّ رأس منها لمن كان بقي من عقبهم بالحضرة ، أخبرني من رأى رأس يحيى بن علي بن حمود يومئذ ثابت الرسم متغيّر الشكل ، فدُفِعَ إلى بعض ولده فدفعه .

قال ابن حيان^٨ : وكان عباد أوتي أيضاً من جمال الصورة ، وتمام الخليفة ، وفخامة الهيئة . وسبّاطة البنّان ، وثقوب الدهن ، وحضور الخاطر ، وصدق الحسن ، ما فاق أيضاً به على نظرائه . ونظر مع ذلك في الأدب ، قبل ميل الهوى به إلى طلب السلطان ، أدنى نظر بأذكي طبع ، حصل منه لثقوب ذهنه على قطعة وافرة علقها من غير تعهّد لها . ولا إمعان في غمارها ، ولا إكثار من مطالعتها ، ولا منافسة في اقتناء صحائفها ، أعطته نتيجتها على ذلك ما شاء من تحبير الكلام ، وقرض قطع من الشعر ذات طلاوة ، في معان أمدّته^٩ فيها الطبيعة ، وبلغ فيها الإرادة ، واكتتبتها

.....

١ البيان : الوقعة ؛ وقد تقرأ في ط كذلك .

٢ س : تطييبها .

٣ نقل لسان الدين بعض هذا النص في أعمال الأعلام : ١٥٥ .

الأدباء للبراعة — جمع هذه الخلال الظاهرة والباطنة إلى جود كفّ باري بها السحاب . وأخبار عباد في جميع أفعاله وضروب أنحائه — عالئاته وخافئاته — غريبة بعيدة ، وكان على تجرّده في إحكام التدبير لسلطانه ذا كلفٍ بالنساء . فاستوسع في اتّخاذهن ، وخلّطَ في أجناسهنّ ، فأنهى في ذلك إلى مدّى لم يبلغه أحدٌ من نظرائه . قيل إنه خلف من صنوفهن السّريريّات خاصّة نَحْوًا من سبعين جارية ، إلى حرّته الحظيّة لديه الفدّة من حلائله بنت مجاهد العامري أخت علي بن مجاهد أمير دانية . ففشا نسلُ عباد لتوسّعه في النكاح وقوّته عليه . فذكر أنه كان له من ذكور الولد نحو من عشرين ومن الإناث مثلهم ؛ انتهى كلامه .

قال ابن بسّام : وكان المعتضد — كما وُصِفَ — ينفث بأبيات من الشعر فيما يعنّ^١ له من أمر . ورأيت ابن أخيه اسماعيل قد جمع شعر عمّه هذا في ديوان ، وسأجري هاهنا طرفاً منه .

جملة من أشعاره

مع ما ينخرط في سلوكها من عجائب أخباره

قال^٢ :

كأنما ياسميننا الغصّ كواكب في السماء تبيض^٣
والطرّق الحُمُرُ في جوانبه كخذ عذراء مستها^٤ عضّ

.. .. .

١ قد تقرأ في م : يعن .

٢ انظر البديع في وصف الربيع : ٩١ والخلة ٢ : ٤٩ وأعمال الإعلام : ١٥٧ .

٣ البديع : ناله ؛ الخلة : مسه .

وقال ١ :

إشربْ على وجه الصباحِ وانظر إلى نَوْرِ الأَقاحِ
واعلم بأنك جاهلٌ ما لم تقل بالإصطباحِ
فالدهر شيءٌ باردٌ إن لم تسخنهُ براحِ

وقال ٢ :

أتتك أمُّ الحُسْنِ تشدو بصوتِ حسنِ
تمدَّ في ألحانها مدَّ الغناء المدني
تقود مني سلسلاً ٣ كأنني في رسنِ
أوراقها أستارها إذا شدت في فننِ

[هـ ب] ومعنى هذا البيت كقول ابن المعتز :

ذُرِّي شجرٍ للطير فيه تشاجرُ كأنَّ سقيطَ الطَّلِّ فيها جواهرُ
كأنَّ القماري والبلابل حولنا قيانٌ وأوراق الغصونِ ستائرُ

وقال بعض أهل عصرنا وهو الوزير أبو محمد بن عبدون :

يا نفحة الزَّهرِ من مَسْرَاكِ وأفاني خلوصُ ريتاكِ في أنفاسِ آذارِ
والأرضُ في حُللٍ قد كادَ يَحْرِقُها توقدُ النور لولا ماؤها الجاري
والطيرُ في ورَقِ الأشجارِ شاديةٌ كأنهنَّ قيانٌ خلفَ أستارِ

١ نفح الطيب ٤ : ٢٤٣

٢ نفح الطيب ٤ : ٢٤٢

٣ النفح : ساكناً .

٤ ط د م س : شوال .

ومعنى بيت ابن عبدون الثاني من متداولات المعاني ، منها قول الآخر
ونقله إلى الدموع :

لولا الدموع وفيضهن^١ لأحرقت أرض الوداع حرارة الأكباد

وأشبه منه قول ابن رباح :

نار^٢ يُغَدِّبُهَا السحابُ بمائه فلذلك لم تك ترمي بشرار

ومن أحسن شعر المعتضد قوله^٣ :

شربنا وجفن الليل يغسل كحله بماء صباح^٤ والنسيم رقيق^٥
معتقة^٦ كالنبر أما نجارها فضخم^٧ وأما جسمها فدقيق

وقال يخاطب مجاهداً^٨ :

خلتني أبا الجيش هل يُقضى اللقاء لنا فيشتفي منك طرف أنت ناظره^٩
شط^{١٠} المزار بنا والدار دانية^{١١} يا حبذا الفال لو صبحت زواجره

وقال من جملة قصيدة يخاطب بها أباه القاضي^{١٢} :

أطعتك في سري وجهري جاهداً فلم يك لي إلا الملام ثواب^{١٣}
ولما كبا جدِّي إليك ولم يسع نفسي على سوء المقام شراب^{١٤}

١ الحلقة ٢ : ٤٩ والفج ٤ : ٢٤٢ وأعمال الاعلام : ١٥٧ والبيان ٣ : ٢٠٨ وقد وردا في اللخيرة ١ : ٥١٨ منسوبين لابن برد الأخضر .

٢ ط : الصباح .

٣ الحلقة ٢ : ٤٧ والبيان ٣ : ٢٠٨ .

٤ دانية بمعنى قرية كما أنها اسم البلد حيث مجاهد العامري أبو الجيش .

٥ الحلقة ٢ : ٤٦ .

فررتُ بنفسِي أبتغي فرجةً لها
وما هزّني إلاّ رسولُك داعياً
فجئتُ أغدّ السيرَ حتّى كأنّما
وما كنتُ بعدَ البينِ إلاّ موطناً
« ولكتك الدنيا إليّ حبيبة »
أصِيبُ بالرضى غني مسرّةً مهجتي
على أنّ حلّوَ العيش بعدك صاب
فقلتُ أميرُ المؤمنين مجاب
تطيرُ بسرّجي في الفلاة عِقاب
بعزمي على أن لا يكونَ إياب
فما عنك لي إلا إليك ذهاب ^١
وإن لم يكن في ما أتيتُ صواب

وكان المعتضد كثيراً ما يرتاح في شعره إلى ذكر الطائفة التي كانت
يومئذ تحاربه ، فمن ذلك قوله :

لقد حُصِّلَتِ يا رُنْدَة ^٢
أفادتُناكَ أرْمَاحُ
وأجنّادُ أشدّاءُ
غدوتُ يروني مولى
سأفتي مُدّة الأعداء
وتبلى بي ضلالتُهم
[أ٦] فكم من عدّة قتلتُ
نظمتُ رؤوسهم عقداً
فصرتُ للمكنا عِقْدَة
وأسيافُ لها حدّة
إليهم تنتهي الشدّة
لهم وأراهمُ عدّة
ان طالتُ بي المُدّة
ليزدادَ الهوى جدّة
ت منهم بعدها عدّة
فحلّتُ لَبّة السُدّة

وأعجب المعتضد يومئذ بهذه القطعة الرندية ، عجبَ حسان بن ثابت
بقصيدته الميمية ^٤ ، وأخذ الناس بحفظها ، وحملهم على ضبط معانيها ولفظها .

١ بيت مضمّن وهو المتنبي ، انظر ديوانه : ٤٨٢

٢ البيان ٣ : ٢٠٨ والنفع ٤ : ٢٤٣ والحلة ٢ : ٤٩ .

٣ رندة : (Ronda) مدينة قديمة من مدن تاكرنا (الروص : ٧٩) .

٤ لعله يعني قصيدته التي يقول فيها .

لنا الجفّات الفر يلعبن بالضحي وأسيافنا يقطرون من نجدة دما

وعلى ذكرها وذكرهم ، فلنُسمع بشيء من أمرهم . بدأ بغرب إشبيلية
وبها عدة رؤساء . وجماعة خلفاء ، فكانوا دخان ناره ، وزبدًا تيساره ،
إلا ما كان من ثبوت قدم قريعه المظفر بن الأفطس ، فانه نازعه لبوسها ،
وعاطاه إلى آخر أيامه كؤوسها ، ولهما في ذلك غير مجال وميدان ، وقد سرد
قصصهما أبو مروان ابن حيان ، وسألنمُ بعيونها ، وأقلب ظهورها لبطونها .

جملة من حروبه مع المظفر وغيره من أمراء الغرب

قال ابن حيان^١ : وأول ما ظهر من تفساد عباد والمظفر ان ابن يحيى
صاحب لبلّة عند هجوم عبّاد عليه استجار بالمظفر بن الأفطس ، فأجاره
وانزعج له ، ووصل يده وعطل ثغره ، وجمع جيشه وأقبل إلى لبلّة ناصراً
لابن يحيى ، مضيقاً لمن خلفه يوقد نار فتنة كان في غنى عنها ، حتى نزل
بنفسه على ابن يحيى ودافع ابن عبّاد عنه ، وحرك في ذلك من حلفائه البرابرة
جماعة ، فسارعوا إليه غير ناظرين في عاقبة أمرهم ، وتقدّموا في تحريك
يَعْسُوبِهِمْ محمد بن القاسم فانتظم به أمرهم ، وتقدّم بهم إلى إشبيلية ورحاهم
تدور على قريعه باديس بن حبّوس ، مِدْرَهُمْ في الجُلَى وَمَقْرَعَهُمْ
في النّائبة ، يُسَلِّمُونَ لرأيه ويزحمون بركته ، فأشفق الوزير ابن جهور من
حركتهم تلك ، على عادته في التقلقل لأمثالها ، وجهد جهده في صرفهم ،
وأرسل ثقات رُسُلِهِ إلى عامتهم ، إلا ما كان من الدائِلين منهم عبّاد
داعية المروانية ومحمد بن إدريس صاحب مالقة دائل الحمدوية ، فإنه تنكّبها

١ البيان : وجريه .

٢ البيان ٣ : ٢٠٩ .

بعاداً من الظنّة ، إذ كان هو وجماعة قرطبة متوقفين^١ على كل دعوة ، فلما وصلت رسله إليهم ما زادهم إلا بالحاجاً . ولم يزل ابنُ جهور يضربُ لهم الأمثال ، ويخوفهم من سوء العاقبة والمآل ، حتى صار فيهم كؤوم آل فرعون وعظماً وتذكّرة^٢ ، يتجدد^٣ منهم الأطواد الراسية ، ويرقي الحيات المتصامة . واستنّ القوم في ميدان الغي ، فلما صحّ عند ابن عباد خروجه للبلّة بمبيشه دفعا عن ابن يحيى منتظراً لخلطائه ، جرد خيلاً ضربت على بلد ابن الأفطس ، وغارت وأنجدت ، وفعلت فعلات نكأت القلوب ، وقرفت الندوب^٤ ، ثم نهض ابنُ عبّاد بنفسه إلى لبلة للقاءه ، فجرت بينهما على بابها وقعة عظيمة^٥ صعبة ، استتھما فيهما النصر في مقام واحد شقّ الأبلّسة ، وكانت < الدائرة >^٦ أولاً على ابن الأفطس ، فولّى الدبر وخاض وادبها دون مخاضة ، وقيل قُتل من رجاله عددٌ كثير ، ثم رجعت له على ابن عبّاد كربة فكشف رجاله وأصاب منهم نفراً ، ثم افترقوا ولحق بعدُ باديسُ يجمعه وخاض وادي قرطبة وجاز إلى الشرف ، وتجمّع بحلفائه ، وعاثوا في نظر إشبيلية ، وانقطعت السبل جملة ، وكثر القتل والمهرج والسلب ، وأمسى الناسُ في مثل عصر الجاهليّة ، ثمّ والى ابنُ يحيى بعد ذلك كله المعتضدَ لضرورة دفعته إلى ذلك ، فكاشفه^٧ المظفر وخانه فيما كان ائتمنه عليه من ماله وأودعه عنده ، [٦ ب] أيام تورطه في حرب المعتضد ، فانبثت

١ ط : متوقعين ؛ البيان : مترفين ؛ س : متوقفين .

٢ ط : يحدو ؛ د : يحدو ؛ س : يحدوا .

٣ ط د م س : الندوب ؛ وقرفت الندوب : قشرت الجروح .

٤ عظيمة : سقطت من ط د والبيان .

٥ زيادة من دوزي .

٦ ط : فكشفه .

بينهم العصمة ، وضربت خيلُ المظفر على صاحب لبله ، فاستغاث المعتضد^١ فلحق به خيله واقتلت مع خيلِ المظفر ، وكان ابن جهور كثيراً ما يوالي رسله إلى الاصطلاح بينهما ، فتصدر عنهما ونخبر أن ابن الأفطس أقرب إلى الملام ، بامتطاء قعود اللجاج في القطيعة .

ومن النوادر المحفوظة بينهما أن المعتضد^٢ والى حربه في شهر سنة اثنتين وأربعين فبر^٣ بلده ، وفتح عدة حصون ضمتها إلى عمله ، وشدها برجاله ، ودمر عمارات^٤ واسعة أفسد غلاتها ، وأوقع رعيته في المجاعة الطويلة ، وعجز المظفر عن دفاعه شبراً واحداً فما دونه ، استكانةً للحادثة التي هدأت ركنه ، وأفنت حمأة رجاله ، فاعتصم بحصنه بطليوس^٥ ، ولم يخرج من خيله فارساً . وجعل يشكو به إلى حلفائه ، فلا يجد ظهيراً ولا نصيراً .

فلما قضى المعتضد من تدوين بلاد طره^٦ ، وكرّ راجعاً إلى إشبيلية في شوال من العام ، وردت علينا بقرطبة يومئذ غريبة^٧ ، وذلك أن رسول المظفر في أثر هذه الوقائع عليه < ورد قرطبة >^٨ يلتمس شراء وصائف^٩ ملهيات يأنس^{١٠} بهن^{١١} ، نافياً بذلك الشماتة عن نفسه ، ولم يكن له عادة بمثله ، فنقّب له رسوله عن ذلك ، وكن^{١٢} قد عد من بقرطبة يومئذ ، فوجد له صبيتين ملهيتين^{١٣} عند بعض التجار لا طائل^{١٤} فيهما ، فاشترهما له ، وأقام رسوله يلتمس الخروج بهما فلم يستطع ، لقطع خيل المعتضد جميع الطرق ، فأقام مدة بقرطبة إلى أن شيع^{١٥} بخيل كثيفة ومضى بهما ، وأولو

.....

١ في النسخ : يغير .

٢ ط م : حمراء ؛ س : حمراء .

٣ زيادة من البيان المغرب .

النهي يتعجبون ويتعجبون^١ مما شهَرَ به نفسه من البطالة ، أيام الحروب
المحرمة لأطهار النساء على فحول الرجال العاقدة للأزرة . وعلى ما
كان يدّعيه لنفسه من الأدب والمعرفة ، وبحث على هذه الأعجوبة وما
الذي حمله على هذا الأَقْنِ فإذا به ناغى كاشحه المعتضد المرتاح بعد
الظفر لاجتلاب قينة عبد الرحيم^٢ الوزير من قرطبة ، إثر وفاته يومئذ ،
وقد استدعاها لما وُصِفَتْ له بالحدق في صنعتها ، فوجّهت نحوه ،
فتقبّله المظفر في إظهار الفراغ وطلب الملهمات ، وقد علم العالم أنه
لني شغل عنهن . فامتد شأو هذين الأميرين يومئذ في الغي وتباريا في
القطيعة حتى أفنيا العالمين ، إلى أن سقى الله بينهما الصلح ، في ربيع الأول
سنة ثلاث وأربعين ، بسعي ابن جهور أمير قرطبة ، كعادته بينهما^٣ ،
بعد كتب ورسل في ذلك ، والمظفر يمتطي اللجاجة هنالك .

فلما سكنت الحال بينهما فرغ المعتضد إلى حرب الأمراء الأصاغر
بالغرب ، كابن يحيى وابن هارون وابن مزين والبكري^٤ ، وأتيح له من
الظفر عليهم ما حاز به أملاكهم وضمها جملة إلى عمله ، ثم مدّ يده بعد
إلى القاسم بن حمود صاحب الجزيرة الخضراء ، فرضة المجاز من الأندلس

.....

١ ويعجبون : من م وحدها .

٢ البيان : قينة ابن الرمي .

٣ ط د م س : بينهم .

٤ ابن يحيى صاحب لبلة ، وقد مر من خبره ما يكفي ، وابن هارون هو سعيد بن هارون صاحب
اكشونية ، توفي سنة ٤٣٤ وخافه ابنه ومن يده أخذ المعتضد اكشونية سنة ٤٤٩ ؛ وابن
مزين هو عيسى بن محمد بن مزين صاحب شلب ، حكم فيها سنة ٤٤٠ ووال عباد الحروب
ضده وقتله سنة ٤٤٥ وانتزع مدينة شلب منه ، وأما البكري صاحب شلطيخ وأوتبة
فسورده ابن بسام خبره مع بني عباد في ما يلي .

إلى أرض العدو التي كان منها فتحها ومن قبلها ما أتاها على قدم الدهر ،
 وذلك أنه لما وجد هذا الفتى ، على نباهته وجلالة عمله ، أضعف أمراء
 البرابرة شوكة وأقلتهم رجالاً ، صمد له وحصره ، فاستغاث القاسم
 حلفاءه بالأندلس وصاحب سبته سقوت البرغواطي^١ مولى ابن حمود ،
 فأبطأ عليه حتى سقط في يده ، ونزل على أمان ، وآل أمره إلى أن لحق
 بقرطبة وأسكنها تحت كنف ابن جهور مع نظرائه من المخلوعين .

فلما كانت سنة إحدى وخمسين ، وقد أتيح له من الظفر ما أتيح ،
 اتصلت الأنباء عندنا بقرطبة بصموت منابرهِ في جميع أعماله عن ذكر إمامهِ
 هشام بن الحكم ، صاحب الرجعة ، الذي اتصل الدعاء له على منابرهِ
 من عهد قيام والده إلى آخر هذه السنة ، يومئذ إليه بالحياة في غياهِب الحُجُبِ
 من غير ظهورٍ لخاصة ولا عامة ، ودعوته على ذلك كله [١٧] مرفوعة
 عند من اتسَى بالمعتضد من أمراء شرق الأندلس ، إلى أن قطعها قاطعُ
 الأعناق عليها ابنُ عبَّاد ، فدُكِرَ أنه دعا وجوهَ حضرته فنَعَى لهم
 إمامهم هشاماً ، وكشفَ إليهم تَقَدُّمَ وفاته من عِلَّةٍ زمانية ، ووصف
 أن الحال التي كان بسبيلها من اشتداد الفتنة بينه وبين من تظاهروا عليه من
 أمراء الأندلس الدَّائنين منه عاقه يومئذٍ عن البَوحِ بوفاة هذا الإمام والشهرة
 لدفنه ، إعطاءً للحَزَمِ بِقَيْسُطِهِ ، فلمَّا سَكَتِ الحالُ وجب التصريحُ
 بالحق ، وعطف — زعموا — بكلامه على شَحْذِ بصائرهم في التمسك
 بحبل الإمامة ، والفرار عن الميتة الجاهلية . ودُكِرَ أنه خاطبَ مَنْ كان
 تحت دعوة هذا المنعِي هشام من أمراء الأندلس ناعياً له ، داعياً إلى التحوُّص
 منه ، فارتفعت الدعوة منذ ذلك الوقت ، وصارت هذه الميتةُ لحاملِ

١ سيأتي خبر سقوت في هذا القسم من الذخيرة .

هذا الاسم الميتة الثالثة ، وعساها تكونُ إن شاء الله الصادقة ، فكم قُتِلَ وكم مات ، ثم انتفض من التراب ، ومزق الكفن قبل نفخة الصور ووقعة الواقعة ، فقد كان مات في يد أول خالعه محمد بن هشام بن عبد الجبار ودُفِنَ علانية ، ثم نُشِرَ بيد واضح الصقلي فتى بني عامر ودال مُدَيِّدَةً ، ثم قتلته خالعه الثاني سليمان المستعين ودفنه خفية ، ثم أبرز صداه علي بن حمّود الحسني المتزّي ، يُذكي الطلب بثأره على الدولة ، ودفننه الدفنة التي خلناها حقيقة ، فلم يلبث أن نجّم حياً بإشبيلية بعد حبس ، فبقي هنالك ملكاً ودال قرناً إلى أن وقعت عليه هذه الميتة الثالثة ، فما نقول ونعتقد في الفرق بين هذه الميتات المتواليات ، إذ كان مائتها واحداً ، وليس إلاّ السيوف عليها أدلة ، غير إخلاص الدعاء لكلمة المسلمين في الائتلاف لما فيه الصلاح ، انتهى ما تلخصته من كلامه .

قال ابن بسام^١ : ثم غمس المعتضد يده بعد في من كان يليه من أقاتله البرازلة فصدم^٢ شرهم بشرهم ، وضرب زيدهم بعمريهم ؛ وقد كان عندما تسعرت نار الحرب ، بينه وبين رؤساء الغرب ، هادتهم على دخن ، ومتح لهم حتى ضربوا حوله يعطن ، ليقتلهم بسيوفهم ، ويستدرجهم إلى حوفهم ، فلما استقرت قدمه بشلب ، قاصية قواعد الغرب ، كان أول ما بدأ به من حربهم هجومه على الحاجب ابن نوح^٣

١ البيان المغرب ٣ : ٢١٤ .

٢ س ودوزي : فضرِب .

٣ هو محمد بن نوح الدمري الملقب بعز الدولة ثار بمورور سنة ٤٣٣ إلى أن أنهى المعتضد حكمه سنة ٤٤٥ ، وسجنه وتوفي في سجنه ٤٤٩ .

المنتزي منهم - كان - بكورة مورور^١ في غير كتيبة نظمها ، ولا مقدمة إليه قدمها ، إلا فتیان ينهان عليه : ويحملان الأموال بين يديه ، تجاسراً على ركوب الخطر الذي تحاماه الليب ، واستنامة^٢ لصرف القدر وهو لا يدري أيُخطئ أم يُصيب ، فخلص إلى ابن نوح^٣ هذا : من رجل لا يبالي دم من تجرّع ، ولا يحفل بأي شيء يصنع ، فبالغ ابن نوح في برّه ، وتضاملاً لأمره ، وحمل ذلك من فعله على أكّد أسباب السلامة ، وأتمّ وجوه الاستنامة^٤ ، وفضّ المعتضد يومها^٥ من صميم ماله ، في وجوه حماة ابن نوح ورؤوس رجاله ، ما استمال به قلوبهم ، واستنصح به جيوبهم .

ثم صار إلى ابن أبي قرّة^٦ برنّدة فسامه مثلها ، وحذا له نعلها ، فتلک اعتدّ عليهم يداً ، وجعلها لما أراد من مكروهم أمداً . وقد كان أحد أجنادهم أشار بالرأي في أمره ، وأراد أن يتطّلع عليه من ثنية مكره ، فواطأهم^٧ يومئذٍ بغدره ، ورمز لهم بالاستراحة من شرّه ، ففهمها المعتضد وجعل تلك الكلمة دبراً أذنه ، وأثبتها في ديوان إحته ، حتى حلّ بطائلها . واستقاد بعد مديدة من قائلها . وجأجأ بالحاجبين المذكورين لأول تمكّنه من القرّة ، وساعة صدره من مركزه من الحضرة ، فتهافتا تهافت الفراش على الجمره . وجاءا مجيء الحائن إلى الشفرة ، وتطفّل عليهما الحائن ابن خزرون المنتزي - كان - وقته بأركش^٨ ، فله أبوه والهدا

.....

١ مورور (Moron) : مدينة صغيرة إلى الجنوب الغربي من قرمولة ، بولاية اشهبيلية (الروص المعمار رقم : ١٨١) .

٢ م س والبيان ودوزي : الاستنامة .

٣ في النسخ : يوماً .

٤ هو أبو النور هلال بن أبي قرّة البغدادي .

٥ س ط : فواطئهم (لعلها : فراطئهم ؛ وهي قراءة توافق قوله « ورمز ») .

لم تُجْزِهِ الوفاة ، وواهاً له قتيلاً لم يتحلَّ بطائل الشهادة ، فجرَّع الكل [٧ ب] الخوف ، وحكَّم في عامَّتْهم السيوف ، واستمرَّ بعد ذلك على حرب بقاياهم ، وتتبَّع أعرامهم ، حتى تغلَّب على بلادهم ، وألوى بطارفهم وتلاذهم ، في أخبار طويلة استوفأها ابن حيان ، هي خارجة عن غرض هذا الديوان ؛ وقد أُلعتُ منها بما فيه كفاية ، إذ لا يتسع هذا المجموع لاستقصاء الغاية .

والسبب^١ الذي كان يُغْرِيه بطلبهم ، ويبيعه على التمرُّس بهم ، أن بعض مَنْ نَظَرَ بمولده كان أخبره أن انقضاء دولته يكونُ على أيدي قومٍ يطروون على الجزيرة من غير سكَّانها ، فكان لا يشكُّ أنهم تلك البرازلة الطارئون عليها في عهد ابن أبي عامر ، فأعمل في نكالهم وجوه سياسته ، وشغل بقتالهم أيامَ رياسته ، واتفق أن دخل عليه يوماً بعضُ وزرائه وبين يديه كتابٌ قد أطلال فيه النظر ، فإذا كتابُ سقوتِ المنتزعي يومئذ بسبته ، يذكر أن القومَ المثلثين^٢ المدعوين بالمرابطين قد وصلتْ مقدَّمتهم رَحبةً مراکش ، فقال له ذلك الوزير المذكور كلاماً معناه : وأين رَحبة مراکش ؟ دخلوها^٣ فكان ماذا ؟ وماتَ الحجاج قَمَةً ؟ ١ ودونهم اللجيج الحضر ، والمهامه الغُبُر ، والليالي والآبام ، والجماهير العظام ، فقال له المعتضد : هو والله الذي أنوقَّعهُ وأخشاه ، وإن طالتْ بك حياةٌ فستراه ، اكتبْ الى فلان — يعني عامله على الجزيرة — باحتراس جبل طارق حتى يأتيه أمري ،

.....

١ انظر الخلة ٢ : ٥٠ .

٢ ط د س : المثلثين .

٣ ط م س : وجلوها (اقرأ : وجلوها) .

وأخذ يريش^١ في تحصينه ، ووضع أرساده هناك وعبونه ، ويبري^٢ ، والله عزائم لا تقيها الحصون^٣ ، ولا يهتدي إليها الأرساد^٤ والعيون ، ولكل شيء أمد^٥ مكتوب ، وميقات مضروب ، ويبلغ الكتاب أجله .

فصل في ذكر المعتمد على الله محمد بن عباد

واجتلاب جملة من شعره ، مع ما يتعلق من الأخبار السلطانية بذكره

قال ابن بسام : ثم استوسق الأمر بعد المعتضد لابنه المعتمد ، وكان مع اشتغاله بالحرب ، وسعة مجاله بين الطعن والضرب ، وعلى أن أباه عبداً ما انفك يدير عليه الرحى ، ويتقرع^١ إليه كلما قرعت عصاً عصاً ، حتى صار أسوة لنجوم ليلها ، وحلناً لمتون خيلها :

لا يشرب الماء إلا من قلب دم ولا يبيت له جار على وجل^٢

فقد كان متمسكاً من الأدب بسبب ، وضارباً في العلم بسهم ، وله شعر كما انشق الكمّام^٣ عن الزهر ، لو صدر مثله عمّن جعل الشعر صناعة ، واتخذ به صناعة ، لكان رائعاً معجباً . ونادراً مستغرباً ، فما ظنك برجل .

.....

١ ويبري مطوقة على « يريش » .

٢ يقرع (من الثلاثي) فيه معنى المشاورة ، وإذا كان مضارعاً للرماحي (أقرع) : فليكن معنى الرجوع تقول : أقرع إلى الحق أي رجيع ؛ ولولا شخصية المعتضد وما تنطوي عليه من الاعتداد لصح أن تكون القراءة « ويفزع إليه » .

٣ البيت لأبي سعد الخزومي واسمه عند المرزباني (معجم الشعراء : ٩٨) عيسى بن خالد بن الوليد وقيل إنه دعي في مخزوم (طبقات ابن المعتز : ٢٩٥ - ٢٩٨) وكان يهاجى دعلج بن علي الخزاعي ؛ وقد ورد بيته هذا في معجم المرزباني وديوانه : ٥٣ .

لا يَجْدُ إلا رائيًا ، ولا يُجِدُ إلا عابثًا ، وهو مع ذلك يرمي فيصيب . ويهيم
 فيصوب ، وشعره يوضح ما شرح ويعبر عما ذكر . مع أنه قد رُوِيَتْ
 أشعارُ أولي النباهة والأعيان ، على قديم الزمان . لشرف قائلها ، مع قلّة
 طائلها . وقد رأيت أبا بكر الصوليّ أثبتَ للملوكِ بني أميةَ وخلفاء بني العباس .
 ما لو صدر مثله لصغار الناس لاستهجنَ ، أو طرأ للضعفاء السوق لاستصغُر .
 فلنا في الصوليّ أسوةٌ في إثبات هذا النوع من الشعر إن وقع في كتابنا هذا .
 [٨] والعجب من المعتمد أنه مرّى سحابه في كلتا حاله فصاب . ودعا
 خاطره فأجاب . ولا تراجعَ له من طبع . ولا بعد الخلع . بل يومه في
 هذا الشأن دهر ، وحسنته في هذا الديوان عشر . فان أجاد فما أولى . وإن
 قصّر فعذرُه أوضح وأجلى .

والبيت المتقدم^١ من جملة قصيد . للمخزومي أبي سعد^٢ ، وإنما أشار
 في معناه إلى قول بشار^٣ :

فتى لا يبيتُ على دمنة^٤ ولا يشرب الماء إلاّ بدم^٥
 وقال أبو الطيب^٦ :

ولا تردُ الغلران إلاّ وماؤها من الدم كالريّحان تحت الشقائق
 وقال محمد بن هاني^٦ :

لا يسودون الماء سنبك سابع أو يكتسي بدم الفوارس طحلبا

- - -

١ ط : المقدم .

٢ ط دم س : أبي سعيد .

٣ ديوان بشار : ٢١٧ (جمع الملوي) .

٤ دوزي . هدنة .

٥ ديوان المتنبّي : ٣٩٠ .

٦ ديوان ابن هاني : ١٨٩ .

جملة من شعر المعتمد في النسب وما يناسبه^١

قال^٢ :

دارى الغرامَ ورامَ أنْ يتكتَّمَا وأبى لسانُ دموعه فتكلَّمَا
رحلوا وأخفى وجده فأذاعه ماءُ الشؤنِ مصرحاً ومجمما
سائرُهمُ والليلُ غُفْلٌ ثوبه حتى تراءى للنواظر مُعلَّمَا
فوقفتُ ثمَّ محيراً وتسَلَّبتُ مني يدُ الإصباحِ تلكَ الأنجما

وكانَ معنى هذا البيت الأخير ، إلى قول المجنون يشير^٣ :

فأصْبَحْتُ من ليلِ الغداةِ كناظرٍ مع الصبحِ في أعقابِ نَجْمٍ مُغْرَبِ

وله^٤ في أم الربيع وقد مرضت فلم يعدها :

مرضتُ فأمسكتُ الزيارةَ عامداً وما عن قلى أمسكتها لا ولا هجرِ
ولكنني أشفقتُ من أنْ أزوركُم وأبصرَ آثارَ الخسوفِ على البدرِ

١ تتردد أشعار المعتمد في كثير من المصادر التي ترجمت له ، وقد جمع ديوانه الأستاذان : أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد (القاهرة ١٩٥١) وأرى أن أكتفي بمراجعة ما جاء في الذخيرة على هذا الديوان ، إلا استثناءات قليلة .

٢ الديوان : ٢٦ .

٣ ديوان المجنون : ٧٩ .

٤ هذه العبارة والبيتان التاليان من هامش ط ، وهما مكتوبان بخط الأصل ، وأمام العبارة لفظة : « طرة » ؛ وهما ومعهما بيت ثالث في المقتطف من أزاهر الطرف لابن سعيد الورقة :
٤٤ ، ولم ترد هذه الأبيات في الديوان أو في النسخ الأخرى .

وقال المعتمد ^١ :

أَكْثَرْتَ هَجْرِي غَيْرَ أَنْتَ رَبِّمَا عَظَفْتُكَ أَحْيَانًا عَلَيَّ أُمُورُ
فَكَأَنَّمَا زَمَنُ التَّهَاجِرِ يَبْتَسَا لَيْلٌ وَسَاعَاتُ الْوَصَالِ بِدُورِ

وهو ينظر إلى قول الأسعد بن بليطة ^٢ :

تَتَنَفَّسُ الصَّهْبَاءُ فِي لَهَوَاتِهِ كَتَنَفَّسَ الرِّيحَانُ فِي الْآصَالِ
وَكَأَنَّمَا الْخَيْلَانُ فِي لَبَاتِهِ سَاعَاتُ هَجْرٍ فِي زَمَانِ وَصَالِ

وقال ^٣ :

تَظُنُّ بِنَا أُمُّ الرِّبِيعِ سَامَةً أَلَا غَفَرَ الرَّحْمَنُ ذُنْبًا تَوَاقَعُهُ
أَهْنَجُرُ ظِيًّا فِي فَوَادِي كَنَاسِهِ وَبَدَرَ تَمَامٍ فِي ضُلُوعِي مُطَالَعُهُ
وَرَوْضَةً حُسْنٍ أَجْتَنِيهَا وَبَارِدًا مِنْ الظَّلْمِ لَمْ تُحَظَّرْ عَلَيَّ شَرَائِعُهُ
إِذْنٌ عَدِمْتُ كَفَتِي نَوَالًا تَفِيضُهُ عَلَى مَعْتَفِيهَا أَوْ عَدُوًّا تَقَارَعُهُ

وناوله بعض نساته كأس بلور مترعاً خمرآ ولمع البرق فارتاعت فقال ^٤ :

رَبَعْتُ مِنَ الْبَرْقِ وَفِي كَفِّهَا بَرْقٌ مِنْ الْقَهْوَةِ لِمَاعُ
يَا لَيْتَ شَعْرِي وَهِيَ شَمْسُ الضُّحَى كَيْفَ مِنَ الْأَنْوَارِ تَرْتَاعُ

وقال ^٥ :

-
- ١ ديوان المعتمد . ١٣ ومختارات الصيري : ١١١ .
٢ ترجمته في القسم الأول من اللخيرة ص : ٧٩٠ .
٣ ديوان المعتمد : ٢٠ ومختارات الصيري . ١١١ .
٤ الديوان : جفوني (عن المطرب والخريدة) .
٥ الديوان : ٢١ ومعاهد التنصيص ٢ : ١١٤ والمعجب : ١٦١ ومختارات الصيري . ١١١ .
٦ الديوان : ١٥ ورايات المبرزين : ٣٧ (١٠ غرسه عومس = ع) والمعجب : ١٦١ .

قامت لتُحجبَ قُرْصَ ١ الشمسِ قامتها
 عن ناظري حُجبتُ عن ناظري الغيرِ
 [٨ ب] علماً لعمرِكَ منها أنها قمرٌ
 هل تُحجبُ الشمسَ إلا غرّة ٢ القمرِ

وقال ٣ :

عَمَّا اللهُ عَنْ سِحْرِ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ
 أَسْحَرُ ظَلَمْتَ النَّفْسَ وَاخْتَرْتَ فِرْقَتِي
 وَكَانَتْ شُجُونِي بِاقْتِرَابِكَ نَزَّحًا
 وَلَا حُوسِبَتُ عَنِّي بِمَا أَنَا وَأَجِدُ
 فَجَمَعْتَ أَحْزَانِي وَهَنْ شَوَارِدُ
 فَهَا هُنَّ لَمَّا أَنْ نَأَيْتِ شَوَاهِدُ

وقال ٤ :

فَإِنْ تَسْتَلْذِي بَرْدَ مَائِكَ بَعْدَنَا
 فَبَعْدَكَ مَا نَدْرِي مَتَى الْمَاءُ بَارِدٌ

وقال ٥ :

يَا غُرَّةَ الشَّمْسِ الَّتِي
 لَوْلَاكَ لَمْ أَكُ مُؤَثِّرًا
 قَلْبِي لَهَا أَحَدُ الْبُرُوجِ
 فُرُشَ الْحَرِيرِ عَلَى السَّرُوجِ

وقال ٦ :

١ الديوان : ضوء الشمس .

٢ الديوان : صفحة .

٣ الديوان : ٨ .

٤ عد هذا البيت في الديوان لاحقاً بالأبيات السابقة .

٥ الديوان : ٥ .

٦ الديوان : ١٧ .

تَمَّ لَهُ الْحُسْنُ بِالْعِدَارِ واقترنَ اللَّيْلُ بِالنَّهَارِ
أَخْضَرُ فِي أَيْفُسٍ تَبَدَّى ذلك آسِي وذا بَهَارِي
فقد حَوَى مَجْلِسِي تَمَاماً إِنَّ يَأْكُ مِنْ رَيْقِهِ عَقَارِي
هذا كقول ابن وكيع ^١ :

شَادِنٌ غَسَدَهُ وَعَيْدُ نَاهُ وَرْدِي وَنَرْجِسِي
إِنَّ يَتَجَدُّ لِي بِخَمْرَةٍ فَلَقَدْ تَمَّ مَجْلِسِي

ما أخرجته من مقطوعاته السلطانية التي
أجراها مُجَرِّى الاخوانيات

بات الوزير أبو الأصبح بن أرقم ^٢ على قربٍ من إشبيلية ، وأعلمه أنه
وافدٌ عليه صبيحة غدٍ ، فكتب إليه المعتمد ^٣ :
أَهْلًا بِكُمْ صَحَبْتَكُمْ نَحْوَيَ الدَّيَمِ إِنْ كَانَ لَمْ يَتَجَنَّحْ لِي بِكُمْ حُلُمُ
حُتُّوا الْمَطِيَّ وَلَوْ لَيْلًا بِمَجْهَلَةٍ فَلَنْ تَضَلُّوا وَمَنْ بِشَرِي لَكُمْ عِلْمُ
سَأَكْتُمُ اللَّيْلَ مَا أَلْقَاهُ مِنْ بُعْدٍ وَأَسْأَلُ الصَّبْحَ عَنْكُمْ حِينَ يَبْتَسِمُ
وأدخلت إليه يوماً باكورة نرجس ، فكتب إلى ابن عمار يستدعيه ^٤ :

.....

١ لم يردا في ديوانه المجموع .

٢ انظر ترجمته في الذخيرة ٣ : ٣٦٠ .

٣ الديوان : ٦٠ .

٤ هذه هي قراءة م ، وفي ط د : يتنحج ؛ الديوان : يتبع ؛ س : يتحج .

٥ الديوان : ٦٤ وقد أثبت هناك جواب ابن عمار أيضاً ؛ ومختارات الصيرفي : ١١٠ .

قد زارنا النرجيسُ الذكيُّ وآنَ من يومنا العشيُّ
ونحنُ في مجلسٍ أبقى وقد ظمّنا وشمّ ريَّ
ولي نديمٌ غدا سمييَّ يا لَيْتَهُ ساعدَ السميَّ
فأجابه ابن عمّار :

لَبَيْكَ لَبَيْكَ من مُنادٍ له الندى الرَّحْبُ والندى
ها أنا في البابِ عبدُ قينَ قبْلَتُهُ وجهك السنيَّ
شرّقه والداهُ باسمٍ شرفتهُ أنتَ والنبيَّ

وسأله الوزير أبو عمرو بن غطمش^١ أن يشرّقه بالسير معه إلى منزله ،
فاجتمع الندماء بالقصر . [٩٠] بعد صلاة العصر . استقلوا ليلاً بانتقالها
إلى دار الوزير المذكور ، فبدت من ابن عمار حينئذ هنة أوجبت أن رماه
المعتمدُ ببعض الآتية . فافترقوا بعد نومه ووقوع اليأس من سيره ، ومضت
الجماعة إلى دار الوزير المذكور . فلما استيقظ المعتمد من السكر ، أخبرَ
بما وقع من الأمر . فكتب إليهم بهذين البيتين^٢ :

لولا عيونُ من الواشين ترمقني وما أحاذرُهُ من قول حُرّاسٍ
لزرتكم لأكافيكُم بجفوتكم مشياً على الوجه أو حبواً على الراسِ
وله يستعطف أباه المعتضد إذ دخل مالمقة وأخرج منها ؛ في قصيدٍ أوله^٣ :

١ كنيته في ط د : أبو عمر ؛ وقد مر ذكره عند المقرئ (النفع ٤ : ٧٧) في رسالة
كتبها المعتمد نفسه إلى الأعلم الشتمري يقول له فيها « سأك الوزير الكاتب أبو عمرو
ابن غطمش سلمه الله عن المسهب وزعم أنك تقول بالفتح والكسر . . . الخ » .

٢ الديوان : ٥٨٧ و المسالك : ٣٩٧ وابن خلكان ٥ : ٢٦ .

٣ الديوان : ٣٦ وابن خلكان ٥ : ٢٤ والحلة ٢ : ٥٦ والقلائد : ١٩ ومنها بيت واحد
في رايات المبرزين : ١٠ (غ) .

سَكَنُ فَوَادَكَ لَا تَذْهَبُ بِكَ الْفَكْرُ
وإن يكنْ قَدْرٌ قَدْ عَاقَ عَنْ وَطَرٍ
وإن تكنْ خِيَّةٌ فِي الدَّهْرِ وَاحِدَةٌ
إِنْ كُنْتَ فِي حَيَرَةٍ عَنْ جُرْمٍ مَجْتَرَمٍ

ومنها :

يَا ضَيْغَمًا يَقْتُلُ الْفَرَسَانَ مَفْتَرِسًا
قَدْ أَخْلَقْتَنِي صُرُوفًا أَنْتَ تَعْلَمُهَا
وَحَلْتُ لَوْنًا وَمَا بِالْجَسْمِ مِنْ سَقَمٍ
لَمْ يَأْتِ عَبْدُكَ ذَنْبًا يَسْتَحِقُّ بِهِ
مَا الذَّنْبُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ ذَوِي دَغَلٍ

ومنها :

لَمْ أَوْتَ مِنْ زَمَنِي شَيْئًا أَلَدُّ بِهِ
وَلَا تَمْلِكُنِي دَلٌّ وَلَا خَفَرٌ
رِضَاكَ رَاحَةُ نَفْسِي لَا فَجَعْتُ بِهِ
وَهُوَ الْمَدَامُ الَّتِي أَسْلُو بِهَا فَاذَا

١ ط والديوان : أخلقتني .

٢ الحلة : ولا تمرس بي (ولم تثبت هذه القراءة في الديوان) .

٣ ط م س : الذي .

ذكر الخبر عن حديثه يومئذ بمالقة ودخوله إياها ،
وانصرافه مفلولا دون ما تخيل من التحميم في ذراها ،
وأمل من الاستباحة لحماها

قال ابن بسام : لما سما باديس بن حبوس إلى قصبة مالقة بعد تقلص
الظلال الحمودية عن أرجائها ، وأفول النجوم العلوية في سمائها ، في خبر
خلا منه هذا المجموع حين لم يتعلّق بذيله مما وقع إليّ نظم ولا نثر ،
ولا أشرق في ليله مما حصل في يديّ للأدب كوكب ولا بدر ، فلذلك
أضربت [٩ ب] عنه ، وأخليت كتابي منه ، وأتيت بخبر المعتمد فيها حين
أنبأ به شعر ، وجرى له على لسان الأدب ذكر ، وفاء بالشرط ، وتوفية
بالقسط :

كان^١ أهل مالقة إذا جرى ذكر عبّاد ارتاحوا إليه ارتياح الغصون
تحت النسيم ، ورفعوا أصواتهم بالصلاة عليه والتسليم ، هذا على ما كان
يقْذِي عيونهم من قبح آثاره ، ويصكُّ أسماعهم من هول أخباره ، ويلفح
وجوههم من وهج ناره ، تشبّعاً لم يكن له أصل إلا شؤم الحميّة ، ولؤم
العصبية ، فاهتبلوا غرّة من باديس أميرهم ، وناجوا عبّاداً بذات صدورهم ،
والقوا إليه بأيدي تأميلهم وتأميرهم ، فجأجأوا لظمآن^٢ لا يروى على
طول الشرب ، وهزّوا سيفاً يكاد يهتك الضريبة قبل الضرب ، فجداً
فيها وشمر ، ونادى أهلها وحشتر ، وكان المعتضد إذا طول اختصر ،

.....

١ انظر البيان المغرب ٣ : ٢٧٣ .

٢ ط د م س : ساجوا الظمآن .

وإذا تُحَدِّثَ عنه على البعد حضر ، ولَبَّى دُعاةَ أهلِ مالقةَ بالخيلِ بين
 الجلالِ واللبودِ ، وبالأبطالِ أثناءَ الجريِّ والحديدِ ، وأنفذَ إليهم شوكتهُ
 الوحيَّ سُمًّا ، وأطلعَ عليهم كتيبتَه البعيدَ همًّا ، القاسطَ^١ حكمها ،
 معصبةً بابنيه جابرٍ ومحمدَ ، فلأولِ إطلالِ عسكره عليها هبتَ له ريحُ
 فتحها ، وضحك في وجهه بشرُ^٢ صُبْحها ، فحلَّ لأولِ وقته بحريمها ،
 وتحكَّم في ظالمها ومظلومها ، إلاَّ فرقةً من السودانِ المغاربةِ لاذوا بذرورةِ
 قصبَتها وهي بحيثُ ينشأُ تحتها الدَّجَنُ ، ويعجزُ دونَ مرامها الظنُّ ،
 إنافةً مكانِ^٣ ، وإطالةَ بنيانٍ ؛ وقد كان أهلُ مالقةَ أشاروا على ابني
 المعتضدِ ، حينَ خلَّوا بينهما وبين البلدِ ، بإذكاءِ العيونِ ، وإساءةِ الظنونِ ،
 وضَبْطِ ما حولها من المعاقلِ والحصونِ ، فغفلا ، واستصرخَ السودانُ المغاربةُ
 أميرَهُم باديسَ قلبَاهُم بزخرةٍ من تيساره ، وأقبَسَهُم شرارةً من ناره ،
 فلم يَرُعْ ابني عبَّادَ ، إلاَّ صهيلُ الجيادِ ، وتداعيُ الأجنادِ ، بشعارِ الجلالِ ،
 فلم ترَ إلاَّ أسيراً أو قتيلاً ، أو غازعاً إلى الفرارِ ما وجدَ إليه سبيلاً ، وامتلاَّت
 أيديُ الباديسيين من السلاحِ والكراعِ ، ورفلوا بين خيارِ البرِّ وفاخرِ المتاعِ ،
 وبلَّأُ ابنا عبَّادَ إلى رُنْدَةٍ وقد انغمسا في عارها ، وصلبها بنارها ، ورأيا
 وجهَ الموتِ في لمعانِ أسنتها وشفارها ، ومن ثمَّ خاطبَ المعتمدُ أباه
 بالشعرِ المتقدمِ الذكرِ ، وقد أخفرَ ذِمَّةً ، ونذرَ دَمَةً ، ولولا أنَّه استجارَ
 - زعموا - يومئذٍ برجلٍ من العبَّادِ كان هنالك لثبَّتَ يده ، ولحقَ إسماعيلُ
 أخاه .

١ س ودوزي : الفاظ .

٢ ط د : وجه .

٣ دوزي : اتفاق .

ورُفِعَ إلى المعتمد صَدْرَ دولته شعر ، عَزِيَّ إلى بعض الأصحاب ،
من الوزراء الكتاب ، يعرضُ بأبي الوليد بن زيدون فيه ، أوله ^١ :

يا أيُّها الملك العليّ الأعظم	اقطعْ وريدَيَّ كلَّ باغٍ ينثمُ
[واحسم بسيفك داءَ كلِّ منافقٍ	يُبْدي الجَميلَ وضدَّ ذلك يكتمُ]
لا تتركُنْ للناسِ موضعَ شبهةٍ	واحزمْ فمثلك في العظامِ يحزم
قد قال شاعرٌ كندةٌ فيما مضى	بيتاً على مرِّ الليالي يُعلَمُ
« لايسلمُ الشرفُ الرفيعُ من الأذى	حتى يراقَ على جوانبه الدم » ^٢

فلما سمعها المعتمد ، عرف الغرض الذي إليه قصد ، ووَقَّعَ على
ظهر الرقعة ، بهذه القطعة . وهي من جيد نظامه . وحرَّ كلامه ^٣ :

كذبتُ مناكم صرَّحوا أو جمَّعوا	ألدِّينُ أمتنُ والمرؤةُ أكرمُ
خُنْتُهمُ ورمتمُ أن أخونَ وإنما	حاولتمُ أن يُستخَفَّ يللم
وأردتمُ تضيقَ صدرٍ لم يَضِيقَ	والسُّمرُ في ثَغْرِ الصدورِ تحطَّم
وزحفتُمُ بمحالكمُ ^٤ لمُجربٍ	ما زال يثبتُ في المحالِ فيهزم
أنِّي رجوتُمُ غَدَرَ مَنْ جَرَّبْتُمُ	منه الوفاءَ وجورَ مَنْ لا يظلم

... ..

١ انظر ديوان ابن زيدون : ٣٠٦ والقلائد : ١٤ والإعلام : ٢ : ٣١٥ .

٢ زيادة من دوزي .

٣ ديوان المتنبي : ٢١٨ .

٤ ديوان المعتمد : ٦٧ والقلائد : ١٥ والإعلام : ٢ : ٣١٦ .

٥ الديوان : النحور (عن القلائد) .

٦ ط د م س : ورجعتمُ لمحالكم ، وبهامش ط « وزحفتُم » .

٧ دوزي والقلائد : وظلم .

أنا ذاكُمُ لا البني يُشْمِرُ غَرَسُهُ عندي ولا مبنى الصنيعة يُثْلَمُ^١
كُفُّوا وإلاَّ فارقبوا ليَ بَطْشَةً يُلْقَى السفينةُ بِمَثَلِهَا فيُحْلَمُ

ولأبي الوليد على ذلك جوابٌ شكرٍ من جملة قصيد : قال فيه^٢ :

قلْ للْبَغَاةِ الْمُنْبِضِينَ قِيسِيَهُمْ سَتَرُونَ مَنْ تُصْمِيهِ تِلْكَ الْأَسْهُمُ
أَسْرَثُمْ فَرَأَى نَجِيَّ غُيُوبِكُمْ شَيْحَانٌ مَدْلُولٌ عَلَيْهِ مُلْهُمُ
مَا كَانَ حِلْمُ مُحَمَّدٍ لِيُحِيلَهُ عَنْ عَهْدِهِ دَغِيلُ الضْمِيرِ مُدْهُمُ
فِرْقَ عَوْتٍ^٣ فَرَأَتْ زَارَةَ زَاجِرٍ رَاعَ الْكَلِيبَ بِهَا السَّبَبْنَتَى الضَّيْغَمُ
لِي مِنْكَ فليذِبِ الْحَسُودُ تَلْظِيًّا لُطْفُ الْمَكَانَةِ وَالْمَحَلُّ الْأَكْرَمُ
لَمْ تُلَفْ صَاغِيَتِي لَدَيْكَ مُضَاعَةً كَلَاً وَلَا ضَاعَ اصْطِنَاعِي الْأَقْدَمُ
بَلْ أَوْسَعْتَ حِفْظًا وَصَدَقَ رِعَايَةً ذِمَّةً مَوْثِقَةً الْعَرَى لَا تُفْصَمُ
فليُخْرِقَنَّ الْأَرْضَ شُكْرٌ مُنْجِدٌ مِنِّي تَنَاقَلَهُ الْمُحَافِلُ مُتْهِمُ

ومن كلام المعتمد الجزل ، قوله يوم كُئِلَ يخاطب الكبل^٤ :

إليك فلو كانت قبونك أشعيرت تصرّم منها كلُّ كفٍ ومعصم
مهابةً مَنْ كَانَ الرِّجَالُ بِسِيْبِهِ وَمِنْ سِيْفِهِ فِي جَنَّةٍ أَوْ جَهَنَّمِ

ومما قاله بعد زوال سلطانه وتضعضع بنيانه ، لما دُخِلَ عليه البلد يوم الثلاثاء منتصف رجب سنة أربع وثمانين ، خرج مدافعاً عن ذاته ، وذائباً عن حرّماته ، وظهر يومئذ من بأسه . ومن تراميه — زعموا — على الموت

١ د والديوان ودوزي : تهدم (من القلائد) .

٢ ديوان ابن ريدون : ٣١٤ والقلائد : ١٦ .

٣ ط م : غوت .

٤ ديوان المعتمد : ١١٢ .

بنفسه ، ما لا مزيدَ لبشرٍ عليه ، ولا تناهي لِخَلْقٍ إليه ، وفي ذلك يقول ^١

لَمَّا تَمَاسَكْتَ الدَّمْعُ	وَتَنَبَّهَ الْقَلْبُ الصَّدِيقُ
قَالُوا الْخَضُوعُ سِيَاسَةٌ	فَلْيَيْدُ مِنْكَ لَهْمُ خَضُوعُ
وَالدُّ مِنْ طَعْمِ الْخَضُوعِ	عَلَى فَمِي السَّمِ النَّقِيعِ
إِنْ تَسَلَّبَ عَنِي الدُّنَا ^٢	مُسْلِكِي وَتُسَلِّمَنِي الْجَمُوعِ
فَالْقَلْبُ بَيْنَ ضُلُوعِهِ	لَمْ تُسَلِّمِ الْقَلْبَ الْضُلُوعِ
لَمْ أَسْتَلْبِ شَرَفَ الطَّبَا	عَ أُسْتَلْبِ الشَّرَفَ الرَّفِيعِ
قَدْ رُمْتُ يَوْمَ نَزَاهِمِ	أَلَا تَحْصِنُنِي الدَّرُوعِ
وَبَدَلْتُ لَيْسَ سِوَى الْقَمِي	مِصْرَ عَلَى الْحَشَا شَيْءَ دَفُوعِ
وَبَدَلْتُ نَفْسِي كَيْ تَسِي	لَ إِذَا يَسِيلُ بِهَا النَّجِيعِ
أَجَلِّي تَأَخَّرَ لَمْ يَكُنْ	بِهَوَايَ ذُلِّي وَالْخَضُوعِ
مَا سَرْتُ قَطَّ إِلَى الْقَتَا	لَ وَكَانَ مِنْ أَمَلِي الرَّجُوعِ
شَيْمُ الْأُولَى أَنَا مِنْهُمْ ^٣	وَالْأَصْلُ تَبَعُهُ الْفُرُوعِ [١٠ب]

قوله : « ما سرت قط إلى القتال » . . . البيت ، كقول قيس بن الخطيم ^٣ :

وإني في الحرب الضروس موكل ^٤ بتقديم نفسي لا أريد بقاءها

١ ديوانه : ٨٨ وبعضها في القلائد : ٢٢ والمعجب : ٢٠٢ والاعلام : ٢ : ٣١٤ ومختارات

الصيراني : ١٢٠ .

٢ الديوان والقلائد : إن يسلب القوم العدا .

٣ ديوان قيس بن الخطيم : ١٠ .

٤ ديوان قيس : بإقدام .

وروى ابن قتيبة قال^١، قال أبو دلالة : كنتُ في عسكر مروان بن محمد أيامَ رَحَفَ إلى شيان^٢ ، فلما التقى الزحفان خرج رجلٌ منهم ينادي إلى البراز ، فلم يخرج إليه أحدٌ إلاَّ أعجله ولم يُنهيه ، فغاض ذلك مروان ، فجعل يندب الناسَ على خمسمائة ، فقتل أصحابَ الخمسمائة ، فندبهم على الألف ، ولم يزل يزيد حتى نادى بخمسة آلاف ، قال أبو دلالة : وكان تحتي فرس لا أخافُ خَوْنَهُ ، فلما سمعتُ بخمسةِ آلافِ اقتحمت الصفَّ ، فلما نظر إليَّ الخارجِجي علم أني خرجتُ للطمع ، فبرز إليَّ وهو يقول^٣ :

وخارج أخرجه حُبُّ الطمعِ
قرَّ من الموت وفي الموت وقع
من كان ينوي^٤ أهله فلا رجع

فلما وقرتُ في أذني انصرفتُ عنه هارباً ، فجعل مروان يقول : من هذا الفاضح ؟ إيتوني به ، ودخلتُ في غمار الناس .

وقيل^٥ كان أبو دلالة مع أبي مسلم في بعض حروبه مع بني أمية ، فدعا رجلاً إلى البراز فقال له أبو مسلم : اخرج إليه ، فأنشأ يقول :

....

١ انظر الشعر والشعراء : ٦٦١ والأغاني ١٠ : ٢٥٦ - ٢٥٧ .

٢ ثار في زمن مروان اثنان كل منهما يعرف بشيخان وهما شيخان بن عبد العزيز البشكري وشيخان بن سلمة (المعروف بشيخان الأصغر) ، وفي م س والأغاني : سنان ؛ د : سنان ، ط : سناس .

٣ انظر شعر الخوارج : ٢٢١ (الطبعة الثانية) .

٤ ط د م س : يهوى .

٥ الأغاني ١٠ : ٢٨٠ .

ألا لا تلمني إن هربت^١ فانتني أخاف على فخّارتي أن تحطّما
فلو أنتني أبتاع في السوق مثلها وجدك ما باليت أن أتقدّما

وحدث أيضاً أبو دلّامة قال^٢ : أتني بي المنصور وأنا سكران ، فحلف
أن يخرجني في بعث حرب ، فأخرجني مع رّوح بن حاتم المهلبّي لقتال
الشّراة ، فلما التقى الجمعان قلتُ لروح : لو أن تحي فرسك ومعك سلاحك
لاثرت اليوم في عدوك أثراً ترتضيه ، فتزل عن فرسه ونزع سلاحه ، فلما
حصل ذلك في يدي وزالت حلاوة الطمع أنشدته :

إنني استجرتك أن أقدم في الوغى لتطاعن وتنازل وضراب
فهب السيف رأيها مشهورة فركسها ومضيت في الهرب
ماذا تقول لما نجي ولا تُرى من بادر^٣ الموت بالنشاب

قال : دع عنك هذا ، وبرز رجل من الخوارج فقال : اخرج إليه ،
قلت : أنشدك الله في دمي أيها الأمير ، ان هذا أول يوم من أيام الآخرة
وآخر يوم من أيام الدنيا ، وأنا والله جائع ما تنبث مني جارحة من الجوع ،
فأمر برغيقين ودجاجة ، فأخذت ذلك وبرزت إلى الصف ، فلما رأي الخارجي
أقبل نحوي وتحدثنا ، وقلت : إن معي زاداً أحببت أن تأكله معي وما
أريد قتالك ، فجعلنا نأكل على ظهور دوابنا والناس يضحكون ، فلما
استوفيتاه ودّعني ، فلما انصرفت قلتُ لروح : قد كفيبتك قيرني فقل
لغيري يكفيك قيرته . ثم خرج آخر يدعو إلى المبارزة فقال : اخرج إليه فقلت :

١ الأغاني : فررت .

٢ الأغاني ١٠ : ٢٥٥ .

٣ الأغاني : واردات ، ط م س : واردات .

لَمَتِي أَعُوذُ بِرَوْحٍ أَنْ يَقْدُمَنِي إِلَى الْقِتَالِ فَتَخْزِي بِي بَنُو أَسَدٍ
 إِنْ الْبَرَّازَ إِلَى الْأَقْرَانِ أَعْلَمُهُ مِمَّا يَفْرُقُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ [١١١]
 إِنَّ الْمَهْلَبَ حَبُّ الْمَوْتِ أَوْرَثَكُمْ وَمَا وَرِثْتُ اخْتِيَارَ الْمَوْتِ مِنْ أَحَدٍ
 لَوْ أَنَّ لِي مَهْجَةً أُخْرَى بَلَدْتُ بِهَا لَكِنَّهَا خُلِقَتْ فَرْدًا فَلَمْ أَجِدْ
 فَضْحَكَ وَأَعْفَانِي .

رجع : ثم التوت بالمعتمد الحال أياماً يسيرة ، والناس بحضرة اشبيلية قد استولى عليهم الفزع ، وخامرهم الجزع ، يقطعون سُبُلَهَا سياحة ، ويخوضون نهرها سياحة ، ويرامون من شُرَفَاتِ الْأَسْوَارِ ، ويتوكلون مجابي الأقدار ، حرصاً على الحياة ، وحلراً من الوفاة ، فلما كان يومُ الأحدِ الموفى عشرين من رجب المؤرخ ، دُخِلَ الْبَلَدُ عَلَى الْمَعْتَمِدِ بَعْدَ أَنْ جَدَّ الْفَرِيقَانِ فِي الْقِتَالِ ، واجتهدت الفئتان في التزال ، وفي أثناء تلك الحال ، وما كان يناجي باله من البلبال ، خاطب أبا بكر المنجم الحولاني بهذه الايات ١ :

أَرَمِدْتَ أَمْ بِنَجُومِكَ الرَّمْدُ قَدْ عَادَ ضِدًّا كُلُّ مَا تَعَدُّ
 هَلْ فِي حِسَابِكَ مَا نَوَّمَلَهُ أَمْ قَدْ تَصَرَّمَ عِنْدَكَ الْأَمْدُ
 قَدْ كُنْتَ تَهْمِسُ إِذْ تَخَاطَبَنِي وَتَحْطُّ كَرَهَا إِنْ عَصْتِكَ يَدُ
 فَالآنَ لَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرٌ أَتَرَكَ غَيْبَ شَخْصِكَ الْبَلَدُ
 وَتَرَكَ بِالْعُلَرَاءِ فِي عُرْسٍ أَمْ إِذْ كَذَبْتَ سَطَا بِكَ الْأَسَدُ
 الْمَلِكُ لَا يَبْقَى عَلَى أَحَدٍ وَالْمَوْتُ لَا يَبْقَى لَهُ أَحَدُ

ثم أخرج المعتمد في ذلك اليوم إلى أن أطلقت إليه جميع أمتهات أولاده وبنيه ، وكل ما يختص به من أقاربه وذويه ، وعُمِرَ بِهِمْ مَرْكَبٌ فَرَكَبُوا .

البحر ورزقوا السلامة فيه ، إلى أن وصلوا إلى أمير المسلمين وناصر الدين ،
 أبي يعقوب يوسف بن تاشفين ، رحمه الله ، فبقوا هنالك في كَنَفِهِ وذَرَى
 فضله ، تحت إحسان عميم ، وبذل نائلٍ جسيم ، حتى انقرضت هنالك
 أيامه ، ووافاه حِمَامُهُ ، بعد مرضٍ شديدٍ أصابه ، وكانت وفاته
 في ربيع الأول سنة ثمان وثمانين ، وكان مولده في ربيع الأول سنة إحدى
 وثلاثين .

ومن النادر الغريب أنه نودي في جنازته بالصلاة على الغريب ، بعد عظيم
 سُلْطَانِهِ ، وجلالة شأنه ، فتبارك من له البقاء ، والعزة والكبرياء . وبلغني أنه
 لما أحسَّ بالوفاة ، رثى نفسه بهذه الأبيات ^١ :

قبرَ الغريبِ سقاكُ الرائحُ الغادي	حقاً ظَنَرْتُ بأشلاءِ ابنِ عبادِ
بالطاعنِ الضاربِ الرامي إذا اقتتلوا	بالخِصْبِ إنْ أُجذبوا بالرِّيِّ للصادي
نعم هو الحقُّ وافي به قَدَرٌ	من السماءِ فوافاني لميعادِ [١١ب]
ولم أكنْ قبلَ ذاكِ النعشِ أعلمُهُ	أنَّ الجبالَ تهادى فوق أعوادِ
فلا تزلْ صلواتُ الله نازلةٌ	على دفينك لا تُحصَى بتعدادِ

ثم وصَّى بأن تُثبِتَ على قبره .

وتنازعت يومئذٍ لمةٌ من أهلِ الأدبِ بأغنيات ، ورثوه بقصائد مطولات ،
 منهم أبو بحر بن عبد الصمد ^٢ ، رثاه بقصيد أوله ^٣ :

.....

١ ديوانه : ٩٦ والمعجب : ٢٢٢ والاعلام : ٢ : ٣٢٠ - ٣٢١ .

٢ ترجمته في القسم الثالث : ٨٠٩ .

٣ أبياته في القلائد : ٣١ والنفع : ٤ : ٢٢٤ ، ٢٥٩ والاعلام : ٢ : ٣٢١ .

ملك الملوك أساميع^١ فأنادي أم قد عدتكَ عن السماع عوادٍ
لما نُقِلت من القصور فلم تكن فيها كما قد كنت في الأعياد
قبَلت في هذا الثرى لك خاضعاً وجعلتُ قبرك موضع الإنشاد

وأنشد على قبره وفعل ما ذكر : قبل التراب ومرغ جبينه وعفر ، فأبكى
من حضر^١ .

وبلغني أيضاً عن بعض بني عباد أنه أنشد في النوم قبل حلول الفاقة
بهم هذه الأبيات^٢ :

ما يعلم المرء والدنيا تمرُّ به بأنَّ صرفَ ليالي الدهرِ محذورُ
بيننا الفتى متردُّ في مسرتِه وافي عليه من الأيام تغيير
وفرَّ من حوله تلك الجيوش كما تفرَّ إن عابست صقراً عصافيرُ
وخرَّ خُسراً فلا الأيام دُمنَ له ولا بما وُعِدَ الأحرار محبورُ
من بعد سبع كأحلام تمرُّ وما يرقى إلى الله تهليلٌ وتكبير
يحلَّ سوءٌ بقوم لا مردَّ له وما تُردُّ من الله المقادير

وكذلك حُكي عن رجل أنه رأى في منامه إثرَ الكائنة عليهم كأنَّ
رجلاً صعد منبرَ جامع قرطبة واستقبل الناسَ ينشدهم^٣ :

ربَّ ركبٍ قد أناخوا عيسَهم في ذرى مجدهم حين بسَقْ
سكت الدهر زماناً عنهم ثم أبكاهم دماً حين نَطَقْ

١ قارن بقوله في القلائد : « . . . وقال بعد أن طاف بقبره والتزمه ، وغر على ترابه ولثمه ،
فأنحسر الناس إليه وانجفلوا ، وبكوا لبكائه وأعولوا » .

٢ الحلة ٢ : ٦٣ .

٣ الحلة ٢ : ٦٤ والمعجب ٢١٧٠ .

فلما سمع المعتمد ذلك أيقن أنه نعي للملكه ، وإعلام بما انتشر من
سليكه ، فقال ^١ :

من عزا المجد إلينا قد صدق	لم يلتم من قال مهما قال حق
مجدنا الشمس سناء وسنا	من يرم ستر سناها لم يطق
أيها الناعي إلينا مجدنا	هل يضير المجد إن خطب طرق
لا ترغ للدمع في آماقنا	مزجته بدم أيدي الخرق
حنق الدهر علينا فسطا	وكذا الدهر على الحر حنق
وقديماً كتلف الملك بنا	ورأى منا شمساً فعشق
قد مضى منا ملوك شهروا	شهرة الشمس تجلت في الأفق
نحن أبناء بني ماء السما	نحونا تطمح الحاظ الحديق
وإذا ما اجتمع الدين لنا	فحقير ما من الدنيا افترق

قال ابن بسام: والبيتان اللذان^٢ أنشدا في المنام رواهما الرواة [١٢ أ]
في خبر النعمان بن المنذر ، وهو أنه نزل تحت شجرة . ومعه عدي^٣ بن زيد
فقال له : أندري ما تقول هذه الشجرة أيها الملك ؟ قال : وما تقول ؟ قال
تقول :

ربّ ركب قد أناخوا حولنا	بشربون الخمر بالماء الزلال
ثم أضحوا لعب الدهر بهم	وكذلك الدهر حال بعد حال

فتكدر على النعمان نعيم يومه الذي كان فيه .

.....

١ المصدر نفسه .

٢ ط م س : الذي .

٣ ط م د س : علي .

ويتعلق بذيل هذا الخبر قول الآخر ^١ : سل الأرض من غرس أشجارك
 وشق أنهارك . وجنى ثمارك . فان لم تجبك حواراً ، أجابتك اعتباراً . وقال
 بعض الحكماء ^٢ : أشهد أن في السموات والأرض آيات ودلالات ، وشواهد
 قائمات ، كل تؤدي عنه الحجّة ، وتشهد له بالربوبية .

وجلس أبو العتاهية بحانوت وراق فأخذ كتاباً وكتب على ظهره ^٣ :
 أيا عجباً كيف يُعصى الاله أم كيف يمحده جاحد
 وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

فلما انصرف اجتاز بالموضع أبو نواس فقال : لمن هذه ؟ لوددتها لي
 بجميع شعري . قبل له : لأبي العتاهية . فكتب تحتها ^٤ :

سبحان من خلق الخلق ق من ضعيف مهين
 فصاغه في قرار إلى قرار مكين
 يحول^٥ شيئاً فشيئاً في الحجب دون العيون
 حتى بدت حركات مخلوقة من سكون

ولمى هذا المعنى ذهب أبو الطيب بقوله ^٧ :

.....

١ عيون الأعار ٢ : ١٨٢ وكتاب الصنائع ١٤ : ١٤ وزهر الآداب : ٣٣٣ .

٢ زهر الآداب : ٣٣٢ .

٣ ديوانه : ١٠٤ وزهر الآداب : ٣٣٢ .

٤ زهر الآداب : ٣٣٢ - ٣٣٣ .

٥ ط م د س : فصاغها .

٦ ط د س : تجول .

٧ ديوان المتنبي : ٢٣٩ .

تُنْشِدُ أَثَوَابُنَا مَدَائِحَهُ بِالسُّنِّ مَا لَهَا أَفْوَاهُ
إِذَا مَرَرْنَا عَلَى الْأَصَمِّ بِهَا أَغْنَتْهُ عَنْ مِسْمَعِيهِ عَيْنَاهُ

ومنها قول نصيب ١ :

فَعَا جُوا فَأَثْنُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكْتُوا أَثْنَتَ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ

وقال أبو تمام ، وله بهذا المعنى بعض الإلمام ٢ :

مِنَ الْقَلَاصِ اللُّوَاقِي فِي حَقَائِبِهَا بَضَاعَةٌ غَيْرُ مُزْجَاةٍ مِّنَ الْكَلَمِ

وأخذه بعض أهل عصرنا ، وهو الوزير أبو محمد بن عبدون . فقال للمتوكل ٣ :

فَجَاءَتْهُ لَمْ تَبْصُرْ سِوَى الْبَشْرِ هَادِيَا وَسَلَهُ وَلَمْ يَسْمَعْ سِوَى الشُّكْرِ حَادِيَا
هَوَادِيٍّ عَلَى أَعْجَازِهَا قِيمَ الْبُذَى فَأَرِيحْ بِهَا مِشْرِيَّ حَمْدٍ وَشَارِيَا

وهذا المعنى الذي افتتنوا فيه نظماً ونثراً* هي النصبه ٦ الدالة بذاتها التي وصفها الجاحظ في أقسام البيان .

وجمع : وكان أبو بكر الداني ماثلاً لبني عباد بطبعه ، إذ كان المعتمدُ

١ ديوان نصيب : ٥٩ .

٢ ديوان أبي تمام ٣ : ١٨٦ .

٣ ترد ترجمته في ما يلي من هذا القسم وفيها البيتان .

٤ في النسخ : هاديا ، وصوبناه بحسب ما سيجيء في ترجمة ابن عبدون .

٥ ط د : نثراً ونظماً .

٦ النصبه هي الحال الدالة التي تقوم مقام الدلالات الأخرى من لفظ وإشارة وعقد وخط (البيان

١ : ٧٦) ، وفي ط د س م : النسبة .

الذي جذب بضبعه . وله في البكاء على أيامهم ، وانتثار نظامهم ، عدةٌ مقطوعات ، وقصائد مطولات ، يشتملُ عليها جزءٌ لطيف ، صدر عنه في صيغة تأليف . وهيئة تصنيف ، ضلّ فيه وأضلّ « والذرُّ يُعذّرُ في القدر الذي حمّل » سماءه : « نظم السلوك » ، في وعظ الملوك « ترجمة راقية بلامعنى . . ليست من الغرض الذي نحاه ولا المغزى ، على أنه كان شاعراً يتصرّف ، وقادراً لا يتكلّف ، فوفد هنالك على المعتمد وفادة وفاء ، ولا وفادة استجداء . وانقطع إليه انقطاع وداد . لا انقطاع استرفاد . وله أشعارٌ سائرة . ومعه أخبارٌ نادرة . تدلّ على كرم طُعمتِه . وبُعْدِ همّتِه ، وأنا أورد هاهنا منها ما يليقُ بالديوان . ويروق في السماع والعيان .

حدث الداني عن نفسه قال : لما أردت الانفصال عنه هنالك بعث إليّ بعشرين مثقالاً وشقةً رازي بغدادي ، وكتب مع ذلك ^١ :

إليكَ التّزر من كف الأسير	فان تقبّلْ تَكُنْ عينَ الشكورِ
تقبّلْ ما يذوبُ له حياءً	وان عذّرتهُ حالاتُ الفقيرِ
ولا تعجبْ لخطبِ غصْرٍ ^٢ منه	أليسَ الخسفُ ملتزمَ البدورِ
ورجٌ بجبره عقيبِ نداه ^٣	فكم جبرّتْ يداهُ من كسيرِ
وكم أعلّتْ علاه من حضيض	وكم حطّتْ ظبَاه من أميرِ
وكم مَن مَنبرِ حنّتْ إليه	أعالي مرتقاها ومن سريرِ
زمانَ تراجعتْ ^٤ عن جانبيه	جياذُ الخيلِ بالموتِ الميرِ

١ ديوان المتمدن . ١٠٢ والمعجب . ٢١٩ والاعلام ٢ : ٣٢٢ .

٢ ط د م س : غص .

٣ ط د م س : يداه .

٤ دوزي : تراحت .

فقد نظرتُ إليه عيونُ نحسٍ مضتُ منه بمعدومِ النظرِ
نحوسٌ كُنْ في عقبي سعودٍ كذلك تدورُ أقدارُ القديرِ

قال الداني : فرددتُ عليه صلته وكتبتُ إليه مع ذلك ^١ :

سقطتُ من الوفاءِ على خبيرٍ فذرتُني والذي لك في ضميري
تركنتُ هواك وهو شقيقُ ديني لئن شقَّتْ برودي عن غدوري
ولا كنتُ الطليقَ من الرزايا لئن أصبحتُ أجحفُ بالأسيرِ
أسيرُ ولا أصيرُ إلى اغتنامٍ معاذَ الله من سوءِ المصيرِ
أنا أدرى بفضلِكَ منك لاني لبستُ الظلَّ منه في الحرورِ
غنيُّ النفسِ أنت وإن ألحَّتُ على كفيلِكَ حالاتُ الفقيرِ
تَصَرَّفُ في الندى حيَلُ المعالي فتسمحُ من قليلٍ بالكثيرِ
أحدَثُ منك عن نبعٍ غريبٍ تفتَحُ عن جنى زهرٍ نضيرِ
جذيمةُ أنت والزَّباءُ خانت وما أنا من يقصِّرُ عن قصيرِ
وأعجبُ منك أنك في ظلامٍ وترفعُ للعُفاةِ منارِ نورِ
[رويدك سوف توسعني سروراً إذا عاد ارتقاؤك للسريـرِ
وسوف تحلتي رُتَبَ المعالي غداةَ تحلُّ في تلك القصورِ
تزيدُ على ابن مروانِ عطاءً بها وأزيدُ ثمَّ على جريرِ ^٢
تأهبُ أن تعودَ إلى طلوعٍ فليس الخسفُ ملتزمَ البدورِ ^٣

.....

١ انظر ديوان المعتد : ١٠٣ والمعجب ٢٢٠ والخريدة ٢ : ٤١ والنفع ٤ : ٩٦ - ٩٧

والاعلام ٢ : ٣٢٢ ومختارات الصيرفي : ١٢٠ - ١٢١ .

٢ يشير إلى أن جريراً مدح الأمويين بأنهم أعطوا « هنيذة » وهي مائة من الأبل .

٣ هذه الأبيات زيادة من دوزي .

قال الداني : فراجعني المعتمد بهذه الأبيات ^١ :

رد^١ برّي بغياً عليّ وبرّاً وجفا فاستحقّ^٢ لوماً وشكراً
حاط^٣ نرري إذ خاف تأكيدَ صرّي فاستحقّ الخفاءَ إذ حاط نررا
فلذا ما طويتُ في الحمدِ بعضاً عاد لومي في البعض سرّاً وجهراً
يا أبا بكرٍ الغريبَ وفاءً لا علمناك في المغارب ذخراً
أي نفعٍ يجدي احتياطُ شفيقٍ مت^٤ ضرّاً فكيف أُرهبُ ضرّاً

[١٣ أ] وهذا المصراع الأخير ، كأنه إلى بيت أبي الطيب يشير ^٥ :

• أنا الغريق فما خوفي من البلل •

قال الداني : فراجعته ^٥ :

أيّها الماجدُ السَّميدُ قدرا صرّي البرّ إنما كان برّاً
حاشَ لله أنْ أجيجَ كريماً يتشكّى فقراً وكم سدّ فقرا
ليت لي قوّةٌ أو آوي لركنٍ فترى للوفاء مني سرّاً
أنت علّمتني السيادة حتى صرت أرقى على الكواكب قدرا
ربحت صفقةً أزيل بروداً عن أديمي بها وألبس فخرا
وكفاني كلامك الرطب نيلاً كيف ألقي درّاً وأطلب تبراً
لم تَمُتْ إنما المكارم ماتت لا سقى الله بعدك الأرض قطرا

١ ديوان المعتمد : ١٠٤ والمعجب : ٢٢١ .

٢ م والديوان : حاف ؛ س : خاف .

٣ م ط د س : بت .

٤ ديوانه : ٣٢٨ ، وصدر البيت : « والمجر أقتل لي بما أراقبه » .

٥ ديوان المعتمد : ١٠٤ والمعجب : ٢٢١ وبعضها في النسخ : ٩٧ .

٦ الديوان ودوزي : ناهضت همتي .

قال الداني : وبلغت حالي عنده من التقريب والترحيب أن أفرطت في الإدلال ، وانبسطت في الاسترسال ، وخاطبته في أن يكون زادي من نعمائه ، وأن يحاول صنعته بعض إمامه ، حرصاً مني على التشريف ، وسعيّاً إلى الاستزادة من شكر المعروف . فكان ذلك على أحسن وجه ، وشكر غاية الشكر انبساطي . وتحقق به صحة ارتباطي . وكنت خاطبته في ذلك بهذه القطعة :

وداعٌ ولكني أقول سلام	وللنفس في ذكر الوداع حِمامٌ
أخادع نفساً إن تحققت النوى	فليس لها بين الضلوع مقام
قد ائلفت أهواؤها بك جملة	كما ائلفت في وكرهن حمام
وشقت عن النصح المبين جيوبها	كما شقت عن زهرن كمام
أكرر لحظي في محبتك إنه	لنور الهدى فيه عليك قسام
وأحمل من تقبيل كفك سؤدداً ^١	على عاتق الجوزاء منه حسام
أملئ بسبي النعمى قديماً ومثلها	حديثاً وأحداث الزمان عظام
لأجلستني حتى اتكأت ولم يزل	يُدلُّ على المولى الكريم غلام
عسى عند حمل العيس رحلي في غد	يهيأ من زادي لديك طعام
وميلي إلى الطاهي وطيب إرادة	ليثبت لي في وصف ذاك كلام
وكيف أزيد المجد صحف محاسن	سهرت لها والعالمون نيام

قال : فأجابني بقوله^٢ :

كلامك حرّ والكلام غلام	وسحرٌ ولكن ليس فيه حرام
ودرّ ولكن بين جنبيك بحرُه	وزهرٌ ولكن الفؤاد كمام

١ هامش ط : في أخرى : يحيا لنور الهدى فيه قسام .

٢ خ بهامش ط : من كفليك مجداً وسؤدداً .

٣ ديوان المعتمد : ١١٣ .

وبعدُ فإن ودّعني بخداةٍ
أعني^١ على نفسي بتزويد نفسها
فدونكته^٢ إذ لم أجِدْ لي حيلةً
فهنتته^٣ زاداً وفي الصدر وقدةً
لقد كان قال^٤ من سمائك مؤنس^٥
تحليت بالداني وأنت مباعد^٦
ويا عجباً حتى السّمات نخونني
أضياء لنا أغمات قربك برهةً
تسيرُ إلى أرضٍ بها كنت مضغةً^٧
وأبقى أسامُ الذلّ في أرض غربة
فبلّغتها في ظلّ أمنٍ وغبطةٍ

فحقّي^٨ أن^٩ يجني عليك ملام
بلى قول^{١٠} لا شيء^{١١} عليّ حرام
وقلبي فاعلم في الطعام طعام
وللصبر من دون الفؤاد مرام
وقد عاد ضدّاً فالغزاهُ رمام
فيا طيب بدمٍ لو تلاه تمام
وحقّ انتباهي للصديق منام
وعاودها حين ارتحلت ظلام
وفيها اكتست باللحم منك عظام
وما كنت لولا الغدرُ ذاك أسامُ^{١٢}
وسنّي لي مما يعوقُ سلامُ

قال ابن بسام : وكان الحُصْرِيّ المكفوف القروي قد طرأ على الأندلس
في مدّة ملوك طوائفها ، فهادته تهاديّ الرياض للنسيم ، وتنافسوا فيه تنافُس
الديار في الأنسِ المقيم ، ولما خلّعوا وأنحوت تلك النجوم ، وطُمِسَتْ
للشعر تلك الرسوم ، اشتملت عليه مدينة طنجة وقد ضاق ذرعُهُ ، وتراجع
طبعُهُ ، فتصدّى إلى المعتمد في طريقه ، وهو في تلك الحال ، من الاعتقال ،
بأشعار له قديمة صدرها في الرباب وفرثي ، وعجزها في الاستجداء وطلب
اللهي ، خارجة عن الغرض والمغزى ، مما كان فيه المعتمد يومئذ ، وألحَّ
عليه بالوصول بتلك الأشعار إليه ، فندبه كرمُ جبلته إلى مقارضته ،

١ ط م : أن يجني عليه .

٢ ط : أعين .

٣ ط م د س : وقول .

عند مفاوضته ، فطبع على ثلاثين مثقالاً لم يمكنه سواها ، وأدرج قطعة شعر
طيها معتلراً من نزرها ، راغباً في قبول أمرها ، فلم يجاوبه الحصريّ عما
حصل حينئذ من قبيله لديه ، فكتب المعتمد بهذه الأبيات إثر ذلك إليه ^١ :

قُلْ لمن قد جمع العدا م ومن أحصى صوابه
كان في الصرة شعرٌ فتَنَظَّرْنَا جوابه
قد أثبتناك فهلاًّ جلب الشعرُ ثوابه

واتصل فعلُ المعتمدِ بالحصريّ إلى جماعة من زعائف الشعراء ، وكلُّ
طالب حياء ، من مشحُوذِ المدينة ، في الكُدَيْةِ ، فتعرّضوا له بكلِّ
قارعة طريق ، وجاءوه من كلِّ فج عميق ، يحسبون الدفلى من حاله نَوْرُ
اجتناء ، ويعتقدون السراب في أمره غدِير ماء ، وطَيّ الحال ، كان ما لا
مزيد عليه من الاختلال ، وعند ذلك قال ^٢ :

شعراء طنجة كلّهم والمغربِ ذهبوا من الاغراب أبعد مذْهَبِ
سألوا العسير من الأسير وانه بسؤالهم لأحقُّ فاعجب واعجبِ
لولا الحياء وعزةٌ نخميةٌ طيّ الحشا ناغاهم ^٣ في المطلبِ
قد كان أن سُئِلَ الندى يُجْزِلُ وان نادى الصريخُ ببابه اركبِ يركبِ

١ ديوان المعتمد . ٩١ والمعجب : ٢٠٦ والاعلام ٢ : ٣١٥ .

٢ ديوان المعتمد : ٩١ والمعجب : ٢٠٦ والحلة ٢ : ٦٧ وغنارات الصيرفي : ١١٩ .

٣ الديوان : لحكامهم .

٤ ط د م س : النى .

وعند ذلك قال ^١ :

قل لمن يطمع في نائليهِ قد أزال اليأسُ ذاك الطمعا
راح لا يملك إلا دعوةً رحم ^٢ الله العفاة الضيعة

وسأله رجل يعرف بابن الزنجاري أن يزوده من شعره فكتب إليه ^٣ [١٤]

لو أستطيع على التزويد بالذهب فعلتُ لكنْ عدائي طارقُ النُوبِ
يا سائل الشعر يَجْتَابُ الفلاةَ به تزويدُك الشعر لا يفني عن السغبِ
زادُ من الريح لا ري ولا شيبَعُ غدا له مؤثراً ذو اللبِّ والأدبِ
أصْبَحْتُ صِفْراً يدي مما تجودُ به ما أعجب القدر المقدور في رجبِ
ذلٌّ وفقرٌ أدالا عزةً وغنىً نَعَمَ الليالي من البلوى على كُتبِ
قد كان يستلبُ الجبارَ مهجته بطشي ويَحيا قَتيلُ الفقرِ في طلبي
والملكُ يحرسه في ظلِّ واهبه غُلِبَ من العجم أو شمٌ من العربِ
فحين شاءَ الذي آتاه ينزعه لم يُجندْ شيئاً قراعُ السمرِ والقضبِ
فهاكها قطعةٌ تطوى لها حسداً «السيفُ أصدقُ أنباءٍ من الكتبِ»

ومما قاله في ابنه ، وتعجب من حاله ، قال ^٤ :

بكت أن رأيتُ للفين ضمهما وكر مساءً وقد أخنى على ألفها الدهرُ
بكت لم تُرِقْ دمعاً وأسبلتُ عبرةً يقصّرُ عنها القطرُ مهما همى القطرُ
وناحتُ وباحتُ واستراحتُ بسرّها وما نطقتُ حرفاً يبوح به سرّ

١ من أبيات في ديوانه : ١٠٨ .

٢ الديوان : جبر .

٣ ديوانه : ٩٢ .

٤ ديوانه : ٦٨ والقلائد : ٢١ .

فما لي لا أبكي أم القلب صخرة
بكت واحداً لم يشجها غير فقده
بني صغير أو خليل موافق
ونجمان زين للزمان احتواهما
غدرت إذن إن صن جفني بقطرة
فقل للنجوم الزهر تبكيهما معي
وكم صخرة في الأرض يجري بها نهر
وأبكي لآل في عديدهم كثر
يمزق ذا قفر ويفرق ذا بحر
بقرطبة النكداء أو رندة القبر
وإن لؤمت نفسي فصاحبها الصبر
مثلهما فلتحزن الأنجم الزهر

قال ابن بسام : وهذه القطعة يشبه أولها قطعة عوف بن محلم ، وما أراه إلا بها ألم ، وعلى منوالها سدّي وألحم ، وهي ١ :

وأرقني بالري نوح حمامة
على أنها ناحت ولم تذر عبرة
وناحت وفرخاها بحيث تراهما
فنحت وذو الشجو الغريب ينوح
ونحت وأسراب الدموع سفوح
ومن دون أفراسي مهامه فيح

وقال المعتمد أيضاً يبكيهما بما يفتت الكبد ، ويفت العضد ٢ :

يقولون صبراً لا سبيل إلى الصبر
هوى الكوكبان الفتح ثم شقيقه
تري زهرها في مآتم كل ليلة
يتنحن على نجمين أثلكت دا وذا
[١٤ب] أفتح لقد فتحت لي باب رحمة
توليتما والسن بعد صغيرة
سأبكي وأبكي ما تطاول بي عمري
يزيد فهل عند الكواكب من خبر
تخمش لفاً وسطه صفحة البدر
وأصبر ما للقلب في الصبر من عذر
كما ييزيد الله قد زاد في أجري
ولم تلبث الأيام أن صغرت قدري

١ طبقات ابن المعتز : ١٨٧ وابن خلكان ٣ : ٨٦ .

٢ ديوان المعتمد : ١٠٥ ومختارات الصيرفي : ١٢٠ .

٣ ط م د : صبر ؛ س : صهر .

توليتما حين لئنهت بكما العلا
فلو عدتما لاخترتما العود في الثرى
يعيدُ على سَمحي الحديدُ نشيدَهُ
مع الأخواتِ المالكاتِ عليكما
فتبكي بدمعٍ ليسَ للقطرِ مثله
أبا خالدٍ أورثني الحزنَ خالداً
وقبلكما قد أودع القلبَ حسرةً
تجددُ طولَ الدهرِ ثكلُ أبي عمرو^١
إلى غايةٍ ، كلُّ إلى غايةٍ يجري
إذا أنتما أبصرتما في الأسرِ
ثقيلاً فتبكي العين بالجرسِ والنقرِ
وأمتكما الثكلِ المضرمُ الصدرِ
وترجرها التقوى فتصغي إلى الزجرِ
أبا النّصرمذ ودّعت ودّعتني نصري
تجددُ طولَ الدهرِ ثكلُ أبي عمرو^١

قوله : « فلو عدتما لاخترتما العود في الثرى ... » البيت ، كأنّه من أشعار
النساء ، وأراه ينظر إلى قول الخنساء في صيغة المبني ، وإن خالفه في المعنى ، وهو^٢ :
فلولا كثرةُ الباكينِ حولي على إخوانهم لقتلتُ نفسي

وأبو عمرو الذي ذكره هو ابنه المقتول بقرطبة على يدي ابن عكاشة ،
حسبما يأتي شرحه في موضعه من هذا المجموع إن شاء الله .

قال أيضاً فيهما يندبهما بما يوقد الضلوع ، ويسكب الدموع^٣ :

يا عَيْنُ عَيْنِي أَقْوَى مِنْكَ تَهْتَانَا أَبْكِي لِحْزَنٍ وَمَا حُمِلَتْ أَحْزَانَا
ونارَ برقك تحبو إثرَ وَقْدَتِهَا ونارُ قلبي تُلْفِي * الدهرَ بركانا
نارٌ وماءٌ صميمُ القلبِ أصلهما متى حوى القلبُ نيراناً وطوفانا

١ أبو عمرو ابنه الملقب سراج الدولة . وسيأتي الحديث عنه في ما يلي .

٢ انظر السمت : ١٤٥ .

٣ ديوان المتعمد : ٦٩ ومختارات الصيرفي : ١٢٠ .

٤ المين . مطر أيام لا يقلع .

٥ ط م د س : يلقى .

ضدّان ألفَ صَرَفُ الدهرِ بينهما
بكيتُ فتحاً فلاذ ناديتُ^١ سلوتهُ
يا فلذتَي كبدِي يَأبَى تَقْطَعُهَا
لقد هوى بكما نجمان ما رَمِيا
مُخَفَّفٌ عن فؤادي أَنَّ تُكَلِّكُمَا
يا فتحُ قد فَتَحَتْ تلكَ الشهادةُ لي
ويا يزيدُ لقد زاد الرجا بكما
كما شَفَعَتْ أَخَاكَ الفتحَ تَبِعْهُ
مني السلامُ ومن أمّ مُفَجَّعةُ
أبكِي وتبكي وتُبكي غَيْرَنَا أَسْفَاً

لقد تلوّنَ فيّ الدهرُ ألوانا
ثوى يزيدُ فزاد القلبَ نيرانا
عن وجدها بكما ما عشتُ سلوانا
إلاّ من العلويّ بالألحاظِ كيوانا
مُثْقَلٌ ليَ يومَ الحشرِ ميزانا
بابَ الطماعةِ في لقبك جدلانا
أَنَّ يشفعَ الله بالإحسان إحسانا
لقاكما الله غفراناً ورضوانا
عليكما أبداً مَشْنَى ووحدانا
لدى التذكّرِ نسواناً وولدانا

واجتاز يوماً عليه بموضعِ ثِقافِهِ سِرْبُ القِطَا فهاج وجدّه ، وأثارَ
من لاجعِ الشوق ما عنده ، فقال^٢ :

بكيتُ إلى سربِ القِطَا إذ مرّرتُ بي
[هـ ١١] ولم تكُ واللهُ العليمُ حَسَادَةً
فأسرَحَ لا شملي صَدِيعٌ ولا الحشا
هنيئاً لها أن لم يُفَرِّقْ جميعُها
وأنّ لم تَبِتْ لَيْلاً تَطِيرُ قُلُوبُهَا
وما ذاكَ مِمَّا يَعتَرِينِي وإنّما

سوارحَ لا سِجْنٌ يَعمُوقُ ولا كِبَلٌ
ولكن حنيناً أنّ شكلي لها شكل
وجيعٌ ولا عيناَيَ يُبْكِيهما ثكل
ولا ذاقَ منها البعدَ من أهلها أهل^٣
إذا اهتزَّ بابُ السجْنِ أو صلّصلَ القفل
وصفّت الذي في جبلةِ الخلق من قبل

١ الديوان . فلاذ ما رمت .

٢ ديوان المتمدن : ١١٠ والقلائد : ٢٨ .

٣ ط م د س . الأهل .

لنفسى إلى لقيا الحمام^١ تشوق^٢ سواي يحب العيشَ في ساقه كبل
ألا عصمَ الله القطا في فراخها فلن^٣ فراخي خانها الماء والظل^٤

ومعنى البيت الخامس منها يشبه قول أبي عامر بن شهيد القرطبي^٥ :
وما اهتزَّ باب السَّجنِ إلَّا تَفطَّرتْ قلوبٌ لنا خوفَ الرَّدَى وكَبودُ
ولستُ بذي قيدٍ يرُنُّ وإنَّمَا على اللحظِ من سُخطِ الامام قبود

وقال السهمري المكي^٦ من شعراء الدولة الأموية بالعراق^٧ :
لقد جمَعَ الحدَّادُ بَيْنَ عصابة تَساءَلُ في الأقيادِ ماذا ذنوبُها
بمِثْرَلَةٍ أمَّا اللَّثِيمُ فسامنٌ^٨ بها وكرامُ الناسِ بادِ شُحوبُها
إذا حَرَسِي قَمَقَعَ البابَ أُرْعِدَتْ فرائصُ أقوامٍ وطارتْ قُلوبُها
نَرَى البابَ لا نَسْطِيعُ شَيْئاً وراءه كأنَّا قَتْنَا^٩ <قد> أَسْلَمَتِها كعوبُها

وتجوز المتمد في قوله : « وما ذاك ممَّا يَعتَرِينِي » . . . البيت ،
وأجاد فيه ما أراد .

وقال من جملة قصيد ، وقد دخل عليه بناته للسلام يوم عيد^{١٠} :

١ م س الحبيب .

٢ ديوان ابن شهيد ١٠٠ - ١٠١ .

٣ هو السهمري بن بشر بن أويس المكي ويكنى أبا الديلم (الأغاني ٢١ : ٢٥٧) .

٤ الأبيات في الأغاني ٢١ : ٢٦٤ .

٥ الأغاني : مشات ، وهو خطأ : والسامن . الذي يكتسب سمه .

٦ ط م د س . نفسي أسلمتها ؛ وقد غيرته اعتماداً على الأغاني

٧ ديوان المتمد : ١٠٠ والقلائد . ٢٥ ومختارات الصيرفي : ١١٩

في ما مضى كنت بالأعياد مسرورا
 ترى بناتك في الأطنامِ جائعة
 برزن نحوك للتسليم خاشعة
 يطان في الطين والأقدام حافية
 أفطرت في العيد لا عادت إساءته
 لا خد إلا تشكى الجذب ظاهره
 قد كان دهرك إن تأمره مُمثلاً
 من بات بعدك في ملكٍ يسر به
 فساءك العيد في أغمات مأسورا
 يفرزن للناس ما يملكن قِطميرا
 أبصارهن حسيرات مكاسيرا
 كأنها لم تطأ مسكاً وكافورا
 فكان فطرك للأعياد تقطيرا
 وليس إلا مع الأنفاس ممتورا
 فردك الدهر منهياً ومأمورا
 فلتما بات بالأحلام مغرورا

ودخل عليه ابنه أبو هاشم وهو يرسف في قيوده ، ويتقلب في حديدته ،
 فخنقت الطفل العبرة ، وكان أحبهم إليه ، وأحظاهم على صغره لديه ،
 وفيه يقول يوم الجمعة المشهور ، إذ أبلى في قتال النصارى ١ :

أبا هاشم هشمتني الشفار
 ذكرت شخيتك ما بينها
 فليله صبري للداك الأوار
 فلم يثنني جبه للفرار

وعند بكائه قال ٢ :

[١٥ب] قيدي أما تعلمني مسلما
 دمي شراب لك واللحم قد
 أبصرتني فيك أبو هاشم
 أرحم طقيلاً طائشاً لبه
 أبيت أن تشفق أو ترحما
 أكلته لا تهشم الأعظما
 فيثني والقلب قد هشما
 لم يخش أن يأتيك مسترحما

١ ديوان المتمد : ٤٨ .

٢ ديوانه : ١١٢ وانظر الإعلام ٢ : ٣٢٤ .

وارحَمُ أَحَبَّاتٍ لَهُ مِثْلُهُ جَرَّعَتْهُنَّ السَّمَّ والعَلْقَمَا
 مِنْهُنَّ مَنْ يَفْهَمُ شَيْئاً فَقَدْ خَفْنَا عَلَيْهِ للبكاءِ العَمَى
 وَالْغَيْرُ لَا يَفْهَمُ شَيْئاً فَمَا يَفْتَحُ إِلَّا لِرَضَاعٍ فَمَا

وذكرت بقوله : « ذكرت شخصيك » . . . البيت ، بيتين أنشدنيهما
 الوزير أبو بكر - هما لأخيه أبي الحسن البطلوسي^١ - لنفسه :

ذَكَرْتُ سُلَيْمَى وَحَرَّ الْوَعَى كَفَلِي سَاعَةً فَارَقْتُهَا
 وَأَبْصَرْتُ بَيْنَ الْقَنَا قَدْهَا وَقَدْ مَلَنْ نَحْوِي فَعَانَقْتُهَا

ومن شعره في الندبة على نفسه قال^٢ :

خَنَنْتُكَ أَغْمَاتِيَّةُ الْأَلْحَانِ ثَقُلْتُ عَلَى الْأَرْوَاحِ وَالْأَبْدَانِ
 قَدْ كَانَ كَالْتَعْبَانِ رُحْمُكَ فِي الْوَعَى فَعَدَا عَلَيْكَ الْقَيْدُ كَالْتَعْبَانِ
 مُتَمَدِّدًا بِحِمْلِكَ كُلُّ تَمَدُّدٍ مَنَعُطًا لَا رَحْمَةً لِلْعَانِي
 قَلْبِي إِلَى الرَّحْمَنِ يَشْكُو بِشَيْءٍ لَا خَابَ مَنْ يَشْكُو إِلَى الرَّحْمَنِ
 يَا سَائِلًا عَنْ شَأْنِهِ وَمَكَانِهِ مَا كَانَ أَغْنَى شَأْنَهُ عَنْ شَأْنِي
 هَاتِيكَ قَبْنَتَهُ وَذَلِكَ قَصْرُهُ مِنْ بَعْدِ أَيْ مَقَاصِرِ وَقِيَانِ
 مِنْ بَعْدِ كُلِّ غَرِيرَةٍ^٣ رُومِيَّةِ نُخْزِي الْحَمَائِمَ فِي ذُرَى الْأَغْصَانِ

١ ترد ترجمتهما في ما يلي من هذا القسم ، وكذلك البيتان وانظر الفيت ٢ : ١٩ .

٢ هذه القطع الثلاث المتوالية ترد في الديوان : ١١٥ ، ٩٤ ، ٩٨ وانظر الإعلام ٢ : ٣٢٤ .

٣ ط س : عزيزة

وقال من قصيدة :

تبدلتُ من عزٍّ ظلَّ البنودِ
وكان حديدي سناناً ذليلاً
فقد صارَ ذاك وذا أدهماً

بذلُ الحديدِ وثقلُ القيودِ
وعضباً رقيقاً صقيلاً الحديدِ
يعضُّ بساقِيَّ عَضُّ الأسودِ

وقال :

غريبٌ بأرضِ المغربين أسيرُ
وتندبُهُ البيضُ الصوارمُ والقنا
إذا قيل في أغماتِ قدماتِ جودهُ
مضى زمنٌ والملكُ مستأنسٌ به
برأيٍ من الدهرِ المضللِ فاسدٍ
أذلُّ بني ماءِ السماءِ زمانُهُمُ
فيا ليت شعري هل أبينُ ليلةً
بمنبتةِ الزيتونِ مورثةِ العلا
[١٦٦] براهرها السامي الذرى جاده الحيا
ويلحظنا الزاهي وسعدُ سعودِهِ
تراه عسيراً أم يسيراً منالُهُ
قضى الله في حمصِ الحمامِ وبُعْثِرَتْ

سيكي عليه منبرٌ وسريرُ
وينهلُ دمعُ بينهنَّ غزيرُ
فما يُرتجى للجودِ بعدُ نشور
وأصبحَ عنه اليومَ وهو نفور
منى صلحتُ للصالحين دهور
وذُلُّ بني ماءِ السماءِ كثير
أمامي وخلفي روضةٌ وغدير
تغني قياناً أو ترنُّ طيور
تشيرُ الثريا نحونا ونشير
غبورين والصبِ المحبُّ غيور
ألا كلُّ ما شاءَ الإله يسير
هنالك عَنَّا للنشور قبور

١ في هامش ط أبيات مطلعها ر

مؤمل للمس الشحية فرحة وتنبى الخطوب السود إلا تماديا
وبعدما قطعة قافية ، وهي بخط الناسخ نفسه ، ولكنه كتب عليها : « من غير الأصل » فلذا
لم أثبتها .

والثريا وسعد السعود والزاهي الذي ذكر في هذا الشعر أسماء قباب
ومصانع سلطانية كان تأتق في بنائها من قصور إشبيلية . وعلى هذا الشعر
أجابه أبو محمد الصقلي المعروف بابن حمديس بأبيات قال فيها ^١ :

نجيء خلافاً للأُمورِ أمورُ ويَعْدِلُ دهرٌ في الوري ويَجورُ
أتأسُّ من يومٍ يناقضُ أمسَهُ وزُهرُ الدراري في البروج تدور
وقد تنتخي الساداتُ بعد خمولها وتخرجُ من بعدِ الكسوف بدور

وفي هذا الجواب يقول :

ولما رحلتم بالندى في أكفكمُ وقُلُقِلَ رَضوى منكم وثير
رفعتُ لساني بالقيامةِ قد دنت فهذي الجبالُ الراسيات تسير

ونَعَبَتُ غربان بجدار المكان الذي كان فيه ، ثم ورد إثر ذلك النبأ
بقدوم بعض نسائه عليه فقال ^٢ :

غربانُ أغمات لا تَعْدَمُنَ طيِّبَةً من الليالي وأفناناً من الشجرِ
تُظِلُّ زُغَبَ فراخٍ تستكنُ بها من الحرور وتكفيها أذى المطرِ
كما نعبتُنَّ لي بالقالِ يعجبني مخبراتٍ به عن أطيبِ الخبرِ
أنَّ النجوم التي غابتُ قد اقتربت منّا مطالعُها تَسْري إلى القمرِ
عليَّ إن صدقَ الرحمنُ ما زعمت ألا يروِّعَنَّ من قوسي ولا وترِ
واللهِ واللهِ لا نَقَرْتُ واقعَها ولا تطيَّرتُ للغربان بالورِ
ويا عقاريها لا تعدمي أبداً شدخاً وعقراً ولا نوعاً من الضرِ

١ ديوان ابن حمديس ، ٢٦٨ .

٢ ديوان المعتد : ١٠٠

كما ملأتني قلبي مذبذباً حللت بها
 ماذا رمتك به الأيام يا كبدي
 أسراً وعسراً ولا يسر أو مله
 مخافة أسلمت عيني إلى السهر
 من تبلىهن ولا رام سوى القدر
 أستغفر الله كم لله من نظر

وقال أيضاً وهو بتلك الحال ، من الاعتقال ١ :

لك الحمد من بعد السيوف كبول
 وكنت إذا حانت لنحر فريضة
 شهدنا فكبرنا فظلت سيوفنا
 تسلي بهامات العدا فتطيل
 سجود^٢ على إثر الركوع متابع
 هناك بأرواح الكماة تسيل^٣
 بساقي منها في السجون حجول
 ونادت بأوقات الصلاة طبول

ومما قيل فيه بعد خلعه من ملكه وانتثار سلكه

من ذلك قصيد لأبي بكر الداني أنشده [١٦ ب] إياه حين فككت عنه
 القيود ، أوله ٤ :

تنشأت رياحين السلام فلأما
 وقل لي مجازاً إن علمت حقيقة
 أفكر في عصر مضى لك مشرق
 وأعجب من أفق المجرة إذ رأى
 لئن عظمت فيك الرزية إننا
 وجدناك منها في البرية أعظما
 أفض بها مسكاً عليك غثما
 لعلك في نعمي فكم كنت منعما
 فيرجع ضوء الصبح عندي مظلماً
 كسوفك شمساً كيف أطلع أنجما

.....

١ ديوان المعتمد : ١١١ .

٢ ط م س : وفود .

٣ في هامش ط قطعتان بخط الناسخ ولكنهما من غير الأصل .

٤ انظر نفع الطيب ٤ : ٢٥٧ ومختارات الصيرفي : ١٢١ .

قناةً سَعَتُ للطعن حتى تَقَصَّدَتْ
بكى آلَ عباد ولا كحمدٍ
حبيبٌ إلى قلبي حبيبٌ لقوله
وكنّا رعيّة العزّ حول حِمَاهُمُ
كأن لم يكن فيه أنيسٌ ولا التقى
ولا حَلَّتِ الآمالُ فيكَ ثُبّاً ثُبّاً
ولا اخضَرَ روضٌ في رباها فمخلتُهُ
ولا انعطفتُ فيه الغصونُ فعاثتُ
ولم تخفقِ الراياتُ فيها فأشبهتُ
ولا جرّ فيها صعدةَ الرمح خلفه

وفيها يقول :

مؤيدَ لحمٍ هل تؤمِّلُ رجعةً
حكيتَ وقد فارقتَ ملكك مالكا
ندبتك حتى لم يخلَ ليَ الأسى
ولاني على رسمي مقيمٌ فإن أمتُ
بكاك الحيا والريحُ شَقَّتْ جيوبَهَا
ومزقَ ثوبُ البرقِ واكتست الدجى
يُنْجِيكَ من نَجَى من الحبِّ يوسفاً

وسيفٌ أطالَ الضربَ حتى ثلثما
وأبنائه صوبُ السحابِ إذ همي
« عسى طَلَلٌ يدنو بهم ولعلّما »^١
فقد أجذبَ المرعى وقد أقفَرَ الحمى
به الوفدُ جمعاً والخميسُ عرماً
فقامت إليها المكرمات لُمّاً لُمّاً
توشحَ منهم لا من النور أنعماً
وشيجاً بأيدي الدارعين مقوماً
قوادمَ طيرٍ في ذرى الجوّ حوماً
فتاها فقلّتُ الصلَّ أنبعَ ضيفما

فكم أملٍ أضحي إلى النُججِ سلّما
ومن وِلَهٍ أحكي عليك متمما
دموعاً بها أبكي عليك ولا دما
سأتركُ للباكين رسمي مرسما
عليك وباحَ الرعدِ باسمك معلما
حداداً وقامت أنجُمُ الليلِ مأتما
ويؤويك من آوى المسيح بن مريما

١ مضمّن من قول حبيب أبي تمام (ديوانه ٣ : ٢٣٢) :

عسى وطن يدنو بهم ولعلما وأن تعتب الأيام فيهم فربما

قوله : « نذبتك » . . . البيت ، أغار فيه على إبراهيم الشاشي ^١ وقصر
باعه ، وضاعت فيه ذراعه ، وخلّى السبيل له حيث يقول :

لا ترحلنّ فما أبقيت من جلدي ما أستطيع به توديع مُرتَحِلٍ
ولا من الغمض ما أقرى الخيال به ولا من الدمع ما أبكى على طلل

ومن هذه القصيدة :

لله جسمي فما أبقي حُشاشتهُ على الحوادث والأسقام والعلل
يغدو سقامي على مثل الخيال ضنى ويقرع الخطبُ مني صفحة الجبل
[١٧] ولا يرى في فراشي عائدي شبحاً وأملك السرج في وجه القنا الذبل
ولا يُقِلّ ردائي عاتقي دنفاً ويحملُ الدرعَ مسلوباً عن البطل

ورأى أبو بكر الداني حفيدَ المعتمد ، وهو غلام وسيم ، قد اتخذ الصياغة
صناعة ، وكان لقبَ في دولتهم من الألقاب السلطانية بفخر الدولة ، فنظر
إليه وهو ينفخ النار بقصبة الصائغ ، فقال من جملة قصيدة ^٢ :

شكأتنا فيك يا فخرَ العلا عَظُمْتُ والرزءُ يعظمُ في من قدره عظما
طَوَّقْتُ من نائباتِ الدهرِ مِخْنَقَةً ضاقتُ عليك وكم طَوَّقْتُنا نعما
وعاد كونُكَ في دكانِ قارعةٍ من بعد ما كنت في قصرٍ حكى إرما
صَرَّفْتُ في آلة الصَوَاغِ أُنْمُلَةً لم تدرِ إلا النَّدَى والسيفَ والقلما
يدُ عهدتُكَ للتقبيل تبسطها فتستقلّ الثريا أن تكونَ فما
يا صائغاً كانت العليا تصاغُ له حَلِيّاً وكان عليه الحَلِيّ متظما

.....

١ ط س : الشاشي .

٢ المعب : ٢٢٣ والنفع ٤ : ٩٧ - ٩٨ والإعلام ٢ : ٣٢٢ ومنها أبيات في معامد
التنصيص ٣ : ٢٠ وختارات الصيرفي ١٢٤٠ .

للتنفخ في الصورِ هولٌ ما حكاَهُ سوى
وددتُ إذ نظرتُ عيني إلبكَ به
ما حطَّكَ الدهرُ لما حطَّ من شَرَفٍ
لُحَّ في العُلا كَتوكِباً إن لم تلحْ قمرأ
[واصبرْ فربَّتما أحمَدتَ عاقبةَ
والله لو أنصفتك الشهبُ لانكسفتُ
بكى حديثك حتى الدَّر حين غدا

هولٌ رأيتُكَ فيه تنفخُ^١ الفَحما
لو أن عيني تشكو^٢ قبل ذاك عَمى
ولا نحيفَ من أخلاقك الكرما
وقمُ بها ربوةٌ إن لم تقمُ علما
من يلزم الصبرَ يحمَدُ غبً ما لزم^٣
ولو وفي لك دمعُ الغيثِ لانسجما
يحكيك رهطاً وألفاظاً ومبتسماً

وله فيهم أيضاً من قصيدة يرثيهم أولها^٤ :

تبكي السماء بدمعٍ رائحٍ غادي
على الجبال التي هُدَّتْ قواعدها
عريسةٌ دخلتها النابتُ على
وكعبةٌ كانت الآمالُ تعمرها^٥
أن يُخلَعُوا فبنو العباس قد خلَعوا
نسبتُ إلا غداةَ النهرِ كونَتهمُ
والناسُ قد ملأوا العبرين واعتبروا

على البهاليل من أبناء عبادٍ
وكانت الأرضُ منهم ذاتَ أوتادٍ
أساودَ لهم^٦ فيها وآساد
فاليومَ لا عاكفٌ فيها ولا بادٍ
وقد خلتُ قبلَ حمصٍ أرضُ بغدادٍ
في المنشآتِ كأمواتٍ بالحادِ
من لؤلؤ طافياتٍ فوقَ أزبادٍ

١ في أصل ط : توقد ، وخ بهامشها : تنفخ .

٢ خ بهامش ط : شكت. [من] .

٣ ريادة من دوزي .

٤ القلائد : ٢٣ والنفع : ٤ : ٢١٤ والمعجب : ٢٠٩ ومختارات الصيرني : ١٢٢ .

٥ القلائد والنفع : بمزن .

٦ فوقها في ط : منهم

٧ القلائد والنفع : تخدمها .

حُطَّ القناعُ فلم تُستَرَّ مخدّرةٌ ومُرُقَّتْ أوجهٌ تمزيقَ أبراد
حان الوداع فضجت كلُّ صارخةٍ وصارخٍ من مُفدّاةٍ ومن فاد
سارت سفائنهم والنّوح يصحبها كأنها لأبل يحدو بها الحادي
كم سال في الماء من دمع وكم حملت تلك القطائع من قطعات أكاد

ومحاسن الداني كثيرة ، وفي القسم الثالث^١ من شعره جملة موفورة ،
ومحاسن المعتمد أيضاً أكثر من أن تعدّ فقد استوفيتها في كتابي المترجم
بـ « الاعتماد على ما صحّ من شعر المعتمد بن عباد » .

[١٧ ب] باب يشتمل على طائفة من الوزراء والأعيان ، ممّن كان
بدولة المعتمد من أبواب هذا الشأن ، واجتلاب ملح وطرف
لشعراء كانوا بذلك الأوان ، مع ما يتعلقُ بها ،
ويذكر بسببها

فصل في ذكر الوزير الفقيه أبي حفص عمر بن الحسن الهوزني^٢ وإبائ
فصول من نثره ، مع ما ينخرط في سلكها من شعره ،
وإيراد جملة من أخباره ، وحميد آثاره

هو أبو حفص عمر بن الحسن بن عبد الرحمن بن عمر بن عبد الله أبي

١ انظر الذخيرة ٣ : ٦٦٦ وما بعدها .

٢ أبو حفص عمر بن الحسن الهوزني (٣٩٢ - ٤٦٠) طلب العلم على شيوخ الأندلس ثم
ارتحل سنة ٤٤٤ (وابن بسام يقول سنة ٤٤٠) وأخذ عن علماء المشرق ، وأصبح متغنّاً
في العلوم ؛ ولما قتله عباد بيده أمر بدفنه بثيابه وقلنسوته وهيل عليه التراب داخل القصر من
غير غسل ولا صلاة (انظر الصلة : ٣٨١ والنفع ٢ : ٩٣ ومسالك الأبصار ١١ : ٤١٦
والمغرب ١ : ٢٣٤ وفيه نقل عن الذخيرة ، وترتيب المدارك ٤ : ٨٢٥) .

سعيد الداخل بجزيرة الأندلس ، وهو كان صاحبَ صلاةٍ الجماعة بقرطبة على عهد عبد الرحمن بن معاوية وهشام الرضيّ ابنه . وهوزن الذي نُسِبَ إليه ، وغلب اسمه عليه ، بطن من ذي الكلالع الأصغر .

وأفضى أمرُ إشبيلية إلى عبّاد ، حسبما تقدّم به الإيراد ، وأبو حفص يومئذ ذاتُ نفسها ، وإيالة شمسها ، وناجِذُها الذي عنه تبتسم ، وواحدُها الذي بيده يَنْقُضُ وَيَبْرِمُ . وكان بينه وبين عبّاد قبل إفشاء الأمر إليه ، ومدار الرياسة عليه ، إئتلافُ الفرقدين ، وتضافرُ اليدين ، واتّصال الأذن بالعين . ولما ثَبَتَتْ قدمُ المعتضد في الرياسة ، ودَفِيعَ إلى التدبير والسياسة ، أوجَسَ منه ذعراً ، وضاق بمكانه من الحضرةِ صدرأ ، وأحسَّ بها أبو حفص . وكان أليعياً ، وذكيّاً لودعيّاً ، لو أخطأ الحازمَ أَجَلَهُ ، ونفَعَتِ المحتالَ حِيلَهُ . فاستأذن المعتضدَ في الرحلة ستة أربعين وأربعمائة^١ ، فصادف غرَّتَهُ ، وكفي إلى حينٍ مَعَرَّتَهُ ، واحتلَّ صَقْلِيَّةَ تَضِيقُ عن فخره الآفاق ، وتهادى عجائبُ ذكرِهِ الشامُ والعراق ، ثم رحل إلى مصرَ وله هنالك صوتٌ بعيدٌ . ومقام محمود ، ووصل إلى مكّة ، وروى في طريقه كتابَ الترمذي في الحديث وعنه أخذه أهل المغرب ، ثم رجع إلى الأندلس واستأذن المعتضدَ في سكْنى مُرْسِيَّةَ : رأياً رآه ، وبلداً اختاره وتوخّاه ، وأميرها يومئذ ابنُ طاهر ؛ فلما غلب الرومُ على مدينة بَرَبُشْتَرُ^٢ سنة ست وخمسين ، وقرف الندب ، وتفاقم الخطّطب ، وضاق عن ساكنه

١ المغرب : وتناصر .

٢ انظر التعليق رقم : ٢ على الصفحة السابقة .

٣ م : مدينة ابن بشر ، وانظر الكائنة على مدينة بربرشت في الدخيرة ٣ : ١٧٩ .

الشرق والغرب ، خاطب المعتضد برقعةٍ يحضُّه فيها على الجهاد ، ويستشيرهُ إلى أين ينتقل من البلاد ، فراجعهُ برسالةٍ من إنشاءِ الوزير الكاتب أبي الوليد ابن المعلم ، وهي ثابتة في أخباره من هذا القسم ، يشير عليه فيها بالرجوع إلى بلده ، لا بل استدرجه إلى مَلْحَدِهِ ، فأذهله عما كان استشعر ، وأنساه ما كان حذر ، أَجَلَ قَرِيبَ ، وَحِمَامٌ مَكْتُوبٌ ، وَمَضْرَعٌ ، لم يكنْ عنه مدفعٌ ؛ فاستقرَّ بإشبيلية سنة ثمان وخمسين ، ولقبه المعتضد فأعلى المحلَّ ، وفوَّضَ إليه في الكثيرِ والقُلَّ ، وعوَّلَ عليه في العَقْدِ والحلِّ . فلما كان يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلةً لربيع الأول سنة ستين أحضره القصر ، وقد غلب [١٨] — زعموا — عليه السكر ، وأمر خادمين من فتيانه بقتله ، فكلاهما أشفقَ من سوءِ فعله ، وفرَّ . لا ييالي سيءَ عِبَادٍ أَوْ سُرَّ ، فقام إليه هو بنفسه وباشر قتله بيده ، فلم ينلْ عِبَادٌ بعده سولاً ، ولا مُتَّعَ بدنياء إلا قليلاً ، وإلى الله الإياب ، وعليه الحساب .

فصل من رقعة كان خاطب بها المعتضد من مرسية واستفتحها بهذه الأبيات ٢ :

أَعْبَادُ جَلَّ الرِّزُّ وَالْقَوْمُ هُجِّعٌ على حالةٍ من مثلها يُتَوَقَّعُ ٣
فلقَّ كتابي من فراغِكَ ساعةً وإن طال فالموصوفُ للطول موضع
إذا لم أُبثَّ الداءَ ربَّ دوائه ٤ أَضَعْتُ وَأَهْلٌ لِلْمَلَامِ الْمُضِيعِ

١ في الصلة : لأربع عشرة ليلة بقيت من ربيع الآخر .

٢ الأبيات في المغرب وترتيب المدارك وهي وبعض الرسالة في النفع ٢ : ٩٣ .

٣ ترتيب المدارك : يتقنع .

٤ المغرب : نخادة ؛ النفع : شكاية .

وفي فصل منها : وكتابي عن حالة يشيبُ لشهودها مَفْرِقُ الوليد ، كما يغيرُ لورودها وجهُ الصعيد ، بدوُها ينسفُ الطريفَ والتالد ، ويستأصل الوليدَ والوالدَ^١ ، تَدَرُّ النساءُ أيامي ، والأطفالُ يتامى ، فلا أيسمة إذا لم تبق أنثى ، ولا يتيم والأطفالُ في قيد الأسرى ، بل تعم الجميع جمًّا جمًّا ، فلا تنخصر ، وتزدلف إليهم قُدُماً قُدُماً ، فلا تنكسر ، طَمَتَتْ حتى خيفَ على عُرْوَةِ الإيمانِ الانقضاض ، وَطَمَتَتْ حتى خُشِيَ على عمودِ الإسلامِ منها الانقضاض ، وَسَمَتَتْ حتى تُوَقَّعَ على جناحِ الدينِ الانهياض .

وفي فصل منها : كأنَّ الجميعَ في رَقْدَةٍ أهلِ الكهف ، أو على وعدٍ صادقٍ من الصَّرفِ والكشف ، وأنَّى لملئها بالدفاع عن الحريم ، ولما نمتلأ أدبُ العزيز الحكيم في قوله : ﴿ ولولا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ (البقرة : ٢٥١) وقوله تعالى : ﴿ لَهْدَمَتِ صَوَامِعُ وَبَيْعٌ وَصُلُواتٌ وَمَساجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا . وَلِيُنصِرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ﴾ (الحج : ٤٠) ومن أين لنا دفعهم^٢ بالكفاية أو كيف . ولم نمتطِ إليهم الخوف ، ونساجلنهم السيف ، بل لَمَّا يُرَأَبُ من صدوعهم ثلم ، ولا دُؤوي من جراحهم كلثم . ولا رُدَّ في نخورهم سهم ، ان حاربوا موضعاً أرسلناه ، أو انتسفوا قُطراً سَوَّغناه ، وان هذا لأمر^٣ له ما بعده ، إلا أن يُسْتَنِّي اللهُ على يَدَيْكَ دَفْعَهُ وَصَدَّاه :

١ د : والتليد . . . الوالد والوليد .

٢ دفعهم : سقطت من ط س .

٣ م د س : الأمر .

فكم مثلها جأواء^١ نهنت فانشنت وناظرها من شدة النقع أرمد
 فمرت تنادي الويل للقاح الصفا لبعض القلوب الصخر أو هي أجلد
 وألقت ثناء كاللطائم نشره^٢ تبعد الليالي وهو غص^٣ يجدد^٤

وفي فصل منها: والحرب في اجتلائها حسناء عروس تطبي الأعمار
 بيزتها ، وفي بنائها شمطاء عبوس تختلي الأعمار غرتها ، فالأقل
 للهبها وارد ، والأكثر عن شهبها حائد ، فأخلق بمجيد عن مكانها ، وعزلة
 في ميدانها ، فوقودها شكة السلاح ، وفرندها مساقط الأشباح ، وقطارها
 متصاعد الأرواح ، فان عتس ليلها مدة من الانصرام ، أو انبجس
 وبيلها ساعة لانسجام ، فيومها غسق يرد الطرف كليل ، وتبيلها
 صيب يزيد الجوف غليلا :

أعباد ضاق الذرع واتسع الخرق ولا غرب الدنيا إذا لم يكن شرق
 ودونك قولاً^٣ طال وهو مقصر فللعين معنى لا يعبره^٤ النطق
 [١٨ب] إليك انتهت آمالنا فارمادهي بعزمك ، يدمغ هامة الباطل الحق

وما أخطأ السبيل من أتى البيوت من أبوابها ، ولا أرجى الدليل من ناط
 الأمور بأربابها ، ولرب أمل بين أثناء المحاذير مدحج ، ومحبوب في طي المكاريه
 مدرج ، فانتهاز فرصتها فقد بان من غيرك العجز ، وطبق مضاربها فكان

١ الجأواء : الكتيبة التي يملوها لون السواد لكثرة الدروع . ط س : شهواء .

٢ م : يجدد .

٣ ط : قول .

٤ س م : يمترها .

٥ بهامش ط بخط مناير : مفاصلها ، وكذلك هي في بعض أصول النسخ .

قد أمكنتك الحزّ ، ولا غرو أن يُستَمنطرَ الغمامُ في الجلب ، ويُسْتَصْحَبَ
الحسامُ في الحرب ، فالسهمُ تطيش فتختلف ، والرماحُ تلين وتقصف ،
فان جمعتَ أيها الساعي المخبُ في بُغاءِ الفرج ، وتحققت بالحثّ على
جلاء تلك اللجج ، ووجدت في فتح ذلك الباب المرتج :

فناد : أعبادُ ذا عائدُ	وقدك ، على حينها تنصرم
تُجيبك أسودُ على ضمير	معوّدة ما بفت أن يتم
كان المقاديرَ حزبُ له	فيمضي على رأيه ما حكم
سفته الحميّة جريالها	وصحت مناقبه في الكرم
فصاب لأعدائه مُمقِر	وغيث لراجيه حلّو الدّيم
كنوه بما مدّ في عمره	وكان نخورَ العدا يحترم
تقيّدنا حرّ أفعاله	وكنيته تقتضي ما رسم
فمن ذين تفريع أوصافه	وبالرمز نعي الدكيّ الفهم

وفي فصل منها : وما زلت أعتدك لمثل هذه الجولة وزراً ، وأدّخرك
في مُلمّتها ملجأً وعَصراً ، لدلائل أوضحت فيك الغيب . وشواهد رفعت
من أمرِكَ الرّيب ، فالنهار من الصباح ، والنور من المصباح ، ولئن كان
ليلُ الفساد مما دهم قد أغدِفَ جلبابه ، وصباحُ الصلاح بما ألمّ قد قُدّ
إهابه ، فقد كان ظهَرَ قديما من اختلال الأحوال ما أياس ، وتبيّن من
فسادِ التدبير ما أبلس^٢ ، حتى تدارك فتشّ ذلك سلكُك ، فرتقه جميل
نظرهم ورأبه^١ ، وصرفه مشكورُ أثرهم وشعبه :

١ م س : تخترم ؛ أصل ط : تتخرم .
٢ م س : أبس .

فعاد الشملُ منتظماً هنياً وأضَ الصَّدْعُ ملتئماً سوياً

ثم تَوَلَّيْتُ فَكَفَيْتُ، وَخَلَفْتُ فَأَرْبَيْتُ، وَبَزَعْتُ فَأَوْرَيْتُ، فَالنَّاسُ
مَذْبُوءَاتُهُمْ رَحْبَ جَنَابِكَ فِي عَطَنِ يَرْبِي عَلَى لَيْنِ الدِّمَقْسِ، وَتَحْتَ مِئْنَنٍ
تَعْلُو عَلَى مُنَى النَّفْسِ، فِي زَمَانٍ كَالرَّبِيعِ اعْتَدَلَ هَوَاؤُهُ، وَتَشَاكَهَتْ أَرْضُهُ
وَسَمَاوُهُ، وَاخْضَرَّتْ بِالنَّبْتِ أَدِيمُهَا فَكَأَنَّهَا الرَّقِيعُ، وَتَعَمَّمُ بِالنُّورِ جَمِيمُهَا فَتَقُولُ
هُوَ الرَّصِيعُ، فَفَضْلُكُمْ فِي الْأَعْنَاقِ أَطْوَقُ، وَمَجْدُكُمْ لِلْأَفَاقِ إِشْرَاقُ،
وَحَيْثُمَا حَلَلْتُ: الْأَرْضُ عِرَاقُ، فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ هُوَ^١ إِلَى تِلْكَ الْحَضْرَةِ مُشْتَاقُ،
فَلَا تَحْرِمْنِي وَصْلًا كُنْتُ جَاهِدًا فِي إِنْبَاطِهِ، وَلَا تَصِدِّقْنِي^٢ عَنْ مَنْهَلٍ كُنْتُ
صَدْرًا فِي فُرْطَاةٍ، فَأَحَقُّ الْوَرَى بِجَزِيلِ تِلْكَ الْآلَاءِ، وَأَخْلَقَهُمْ بِمَنْزِلِ تِلْكَ
السَّمَاءِ، أَنْصَحُهُمْ لَهُ جَيِّيًا، وَأَصْحَهُمْ فِيهِ غَيِّيًا :

أَعْبَادُ كَلَّا قَدْ عَكَّوْتَ فُضَائِلًا	تَقَاصَرَ عَنْهَا كُلُّ أَرْوَعٍ مَاجِدٍ
فَأَوَّلُهَا جُودٌ أَرَانَا أَكْفَهُهُمْ	جَمُودًا كَكَفٍّ لَمْ تَوْيِّدْ بِسَاعِدٍ
وَسَمِيٌّ لَمْ تَبْنِي بِخَيْلٍ سَعْيِهِمْ	تَلَاغَبَ وَلَدَانٍ أَطَافَتْ بِوَالِدٍ
وَنَصْرَ لِمَنْ وَالَيْتَ يَرْدِي عَدُوَّهُ	رَدَى أَهْلَ جَوِّي فِي وَقِيعَةِ خَالِدٍ ^٤
[١٩] مَنَعْتَ بَنِي جَالُوتَ مَا قَدَّ أَبَاحَهُمْ	سَوَاكَ بِحَرْبٍ قَبَّيَّدَتْ كُلَّ شَارِدٍ
فَمَنْ شَاءَ فَلْيَنْظُرْ أَسْوَدًا بِرُوضَةٍ	تُرَاعِي عَصَا رَاحٍ وَتَعْنُو لِرَائِدٍ
عَجَائِبُ مَجْدٍ أَعْجَزَتْ مَبْنُ سَوَاكُمُ	وَمِنْ سَرَّهَا الْمَشْهُورِ صِدْقُ الْمَوَاعِدِ ^٥

١ م : بالروض .

٢ د : من هوى ؛ وسقط من م س ، وموضعه في ط كلمة غير واضحة .

٣ د : تصرفني .

٤ جو : اليمامة ، ووقِيعَة خَالِدَ فِيهِمْ فِي حُرُوبِ الرَّدَةِ مَشْهُورَةٌ .

٥ بعد هذا البيت في م س : ومنها

فان راثَ امرئٍ فادركني برحلةٍ إلى مأمنٍ فالخوفُ أعجلُ طارد
وَحُدْبٌ مَكَانًا آتَهُ فَرَضَاكُمُ هَوَايَ وَإِنْ أَغْشَى كَرِيهَ الْمَوَارِدِ
فَقَدْ جَدَّ أَمْرٌ هَذَا شَرَعَ مُحَمَّدٍ وما مُخْبِرٌ عن حالةٍ مثلُ شاهد
لكلِّ يَبِينُ الرَّأْيُ عِنْدَ وَفَاتِهِ وهل من دواءٍ بعد نَهْشِ الْأَسَاوِدِ
أَضَاعُوا وَجْهَ الْحَزْمِ يَوْمًا فَغَزَّهِمْ^١ على أمرهم من ليس عنه بهاجد

وفي فصل منها : فالثمرةُ من ساقها ، والجبادُ على أعراقها ، ولئن
لذَّتْ تلك الثمرةُ لذائق ، وشَدَخَتْ غُرَّةُ تلك القرحةِ لرامق ، لما يبين^٢
كُنْهَ المجننى قبل تَفْطِيرِ أَكْمامِهِ ، ومِمَّا يصحح عَيْشَ الْجَنِينِ^٣ قبل أوان
فطامه ، فللوي الأبصار أدلَّةٌ على العنق لائحة ، ولأولي الألباب شواهدُ
على الكرم واضحة ، وبحقٍ أدركتَ ، فعلى السَّوابق سلكتَ ، وبمِشاعِرٍ
المعالي نَسَكْتَ فتنسكت :

« وما يكُ من خيرٍ أتوهُ فإِنَّمَا تَوَارَثَهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ »^٤
« وهل يُنْبِتُ الْخَطِيءُ إِلَّا وَشِيجَهُ » وَتُغْرِسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ
وقولُ رسولِ الله أعدلُ شاهدٍ فحُكْمَتُهُ شَرَعٌ وَمَنْطِقُهُ فَصْلُ
يقول : بنو الدنيا معادنُ ، خَيْرُهُنَّ إِذَا مَا زَكَّوْا مِنْ كَانَ قِدَمًا لَهُ الْفَضْلُ

١ في النسخ : فغزهم .

٢ ط م : لما تبين ؛ س : لما يبين ؛ وسقطت من د ، وأثبتنا ما في هامش ط .

٣ م س وهامش ط : المجننى .

٤ م ط س : وبمِشاعر .

ه البيان الأولان لزهير بن أبي سلمى ، ديوانه : ١١٥ .

وصلّى الله على رسوله فقد نبّه بتصحيح ، ودلّ دلالة نصيح ، فان
المعادن لا تؤثّر غير معهود فيلزمها ، كما لا نصح الدوائر إلا على نقطة
مركزها ، فمن طلب النبل في غير معادنه ، واستثار الخير من غير مكانه ،
أعجزه من مطلبه مرامه ، وطاشت في سهمه أعلامه ، بل قد
ضلّ قصده السبيل ، واعتسف الفلاة بغير دليل . فسقط العشاء به على
سرحان^٢ ، وأفضى القضاء به إلى الطوفان ، وإتما هو الفجر أو البحر^٣ .

ومن شعره أيضاً يحض على الجهاد ،
ويستنفر كواف البلاد^٤

قوله :

يبت الشر فلا يستزل طرق النوام سيمع أزل
فثبوا واخشوشوا واحزبوا كل ما رزى سوى الدين قل
صرح الشر فلا يستقل إن نهلم جاءكم بعد عل
بدء صعب الأرض نش وطل ورياح ثم غيم أبّل

..

١ ط م د س : واستشار .

٢ المثل في فصل المقال : ٣٦٢ والميداني : ١ : ٢٢١ والمسكري : ١ : ٤١٥ (تحقيق أبو الفضل)
والمستقصى : ٢٢٦ واللسان (سرح) وجمهرة ابن دريد : ٢ : ١٣٢ .

٣ من كلام أبي بكر الصديق ، يقول : إن انتظرت حتى يضيء لك الفجر أبصرت قصداً وإن
غبطت الظلماء وركبت العشواء هجما بك على المكروه ، يضر ب الفجر والبحر مثلاً لغمرات

الدنيا (اللسان - فجر) وانظر اللخيرة : ١ : ٣٩٤ .

٤ ط م : آل البلاد ، د س : إلى البلاد .

٥ النفع : رش : ط م د س : نشو .

قد رَجَتْ عادٌ سحاباً يُّهِيلُ^١ فإذا رِيحٌ دَبَّورٌ مِحَلٌ^٢
نَقَبُوا فالدَّاءُ رِزءٌ يَحُلُّ^٣ واغمدوا سيفاً عليكم يُسَلُّ^٤

ومنها :

يَدُنَا العليا وهمٌ وَيَكْ أَشَلُّ^٥ فَلَيْمَ استرعى^٦ الأعرَّ الأذلَّ^٧
عجبٌ الأيام ليثٌ صمل ذعرته نعمةٌ إذ تصل
« خبرٌ ما جاءنا مصمئلٌ^٨ جلٌّ حتى دقَّ فيه الأجلَّ^٩ »

قوله : « فثبوا^١ واخشوشنوا ... » من قول عمر بن الخطاب ،
رضي الله عنه : « اخشوشنوا واخشوشنوا وعليكم باللبسة المعدية » ،
وقوله : « بدءٌ صَعَقَ الأرض نشءٌ^٢ وطلَّ^٣ ... » معنىً مبتذل ، ومنه
المثل « السَّقَطُ يحرقُ الحَرَجَةَ » ، وقال الأول :

والشيء تحقره وقد ينمي^٤

وقال الفرزدق^٥ :

١ النفع خفضوا فالداء رزء أحل .

٢ م ط : بك .

٣ في النسخ : استوى .

٤ ط د : عجبوا .

٥ مفسر من الحماسية رقم : ٢٧٣ في شرح المرزوقي .

٦ فثبوا : سقطت من م ط .

٧ ط د : نشو م : نشى .

٨ صدره : ان يَأْهَرُوا فخلا لغيرهم ، الحماسية رقم : ٤٤ للمعاتر بن ولة الجرمي .

٩ حساسة البحري : ١٣٦ والمختار : ١٧٢ .

قوارص تأتي وتحتقرونها وقد يملأ القطر الاناء فيفغصم

[١٩ ب] وقال نصر بن سيار من أبيات كتب بها لمروان :^١

فان النار بالعودين تذكى وان الحرب مبدأها الكلام

وقال أبو تمام ، وعليه قول الفقيه ، ولكنه استحقته بما زاد فيه . وهو :^٢

كم من قليل جدا كثيرا كم مطر بدؤه مطير

وأخذ أبو عبادة فقال :

وأول الغيث طل ثم ينسكب^٣

وقال ابن الرومي :^٤

لا تحقرن سبباً قد قاد خيراً سبب

وقال أبو العلاء ، وحرفته إلى بعض الأنحاء ، ولكنه إليه أشار . وحواليه

دار .

فأول ما يكون الليث شبل ومبدأ طلعة البرّ الهلال

وكان له فيه إلام ، بقول أبي تمام :^٥

١ مروج الذهب ٦ : ٦٢ وفصل المقال : ٦٩ ، ٢٢٣ .

٢ المختار : ١٧٢ وزهر الآداب : ٥٧٣ .

٣ صدره : وأزرق الفجر يبدو قبل أشهبه ، ديوان البحري : ١٧١ والمختار : ١٧٢ .

٤ ديوان ابن الرومي : ١٤٦ وزهر الآداب : ٥٧٣ وروايته : كم جر (كم قاد) .

٥ شروح السقط : ١٧١٨ .

٦ ديوان أبي تمام : ٤ : ١١٥ .

إن الهلال إذا رأيت نموّه أيقنت أن سيكون بدرًا كاملاً
 وقال العباس بن الأحنف وقصد به قصده ، وكان ينفق مما عنده^١
 الحب أول ما يكون بحاجة تأني به وتسوقه الأقدار
 حتى إذا اقتحم الفتي لجج الهوى جاءت أمور لا تطاق كبار
 وقال الآخر ، وكأنه نحا به نحواً غريباً ، ولكنه نظر إلى المعنى نظراً مريباً :
 فلا تحقرن عدوّاً رماك وإن كان في ساعديه قيصر^٢
 فان السيوف تحز الرقاب وتعجز عما تنال الإبر
 ومن كلام المحدثين ما أجروه مجرى الأمثال : « ربّ عشق جنّي بلفظة ،
 وصباية غرست من لحظة »^٣ . إلى غير ذلك مما لا يُحدّث شهرة ، ولا
 يحصى كثرة .

وقال الوزير أبو حفص من جملة قصيدة :

أيا أسفا للدين إذ ظلّ نهبةً بأعيننا والمسلمون شهود
 أني حرم الرحمن يُلحد جهرةً ويجعل أشراك الإله يهود
 ويثلب بيت الله بين بيوتكم وقادره عن ردّ ذلك قعيد
 ويوضع للدجال بيت بمكة ويخفي عليكم منزع وقصود

١ ديوان العباس : ١١٦ .

٢ النسخ ٣ : ٢٣١ ، وردا غير منسوين ، وهما في التمثيل والمعاصرة : ١١٥ لابن
 نباتة السعدي وانظر نهاية الأرب ٣ : ١٠٤ واليتيمة ٢ : ٣٩٦ .

٣ في الميداني (١ : ٢١٤) رب صباية غرست من لحظة . رب حرب شبت من اللفظة .

٤ في النسخ : شهود .

أعيدكم أن تذهبنوا فيمسكم عقابٌ كما ذاقَ العذابَ ثمود
وأقبحُ بذكرٍ يستطير لأرضكم يومٌ به أقصَى البلادِ وفود
ولاعتجب أن جانس الحوض صفدعٌ وقدماً تساوي مَطْلَبٌ وشهود
يقودُ امرءاً طبعٌ إلى علم شكله كما انمازت الأرواحُ وهي جنود

وهذا المصراع الأخير ، إلى معنى الحديث^١ يشير : « قلوب المؤمنين
أجناد مجندة ، ما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف »^٢ ، وأخذه
الحسن فقال^٣ :

إنَّ القلوبَ لأجنادَ مجندةٌ لله في الأرضِ بالأهواءِ تعترفُ
فما تعارفَ منها فهو مؤتلفٌ وما تناكرَ منها فهو مختلفٌ

[٢٠ أ] وقال الوزير أبو حفص من أخرى :

تبارك من تفرّد بالبقاءِ وأسلك خَلْقَهُ سُبُلَ القناءِ
وشتتَ شملهم بعدَ انتظامِ وكدرَ وردَهم لإثرَ الصفاءِ
ولم يُجَرِّ الأمورَ على قياسِ فليست دارُها دارَ الجزاءِ
فتبصيرٌ محسناً يجزى يقبُحِ وذا ضَمَّةٍ يقاد إلى السَّناءِ
وقد كنتُ اعتلقتُ أَجَلَ مَلِكٍ وأعلمهم بنقَبٍ أو هِناءِ

..

١ م : البيت .

٢ في صحيح مسلم ٢ : ٢٩٥ - ٢٩٦ الأرواح جنود مجندة ما تعارف . الح الحديث .

٣ ديوان أبي نواس : ٤٢٨ .

٤ في النسخ : تختلف .

٥ في النسخ : اعتقلت ، وما أثبتته من هامش ط .

٦ يشير إلى المثل : « يضع الهناء مواضع النقب » والهناء : القطران ، والنقب . الحرب ،

يضرِب مثلاً للحاذق البصير في الأمور ، وهو من شعر دريد بن الصمة في الخنساء ، وصدر

البيت « متبدلاً تبدو محاسنه » .

ومن يجهد الدنيا حريصاً فليس بجائرٍ غيرَ العناء
ومن يثق الزمانَ يجده خبثاً ويَصْرَعُهُ على حين الرجاء
إذا كان الدواءُ به اعتلالِي فأَيُّ الخلقِ أرجو للشفاء

وهذا كبيت عدي بن زيد^٢ :

لو بغير الماءِ حلقي شَرِقٌ كنتُ كالغَصَّانِ بالماءِ اعتصاري

وأرى الوزير أبا حفص إنما عوَّل فيه على قول أبي بكر رضي الله عنه
وقد قيل له : لو سألنا لك الطبيب ، فقال : « الطبيبُ أعْلَيْني » .

فصل في ذكر الفقيه القاضي أبي الوليد الباجي^٣ ، من باجة الأندلس^٤ ،
والإتيان بلمعةٍ من أخباره التي زاحمت في بيوت شرفها الكواكب ،
وقطعةٍ من أشعاره التي ملأت بفوائدِها وطُوفَها المشارقَ والمغرب
قال ابن بسّام : نشأ أبو الوليد هذا وهمته في العلم تأخذ بأعنان السماء ،

١ في السح ، لدى ، وما أثبتته من هامش ط .

٢ ديوان عدي ٩٣٠ .

٣ أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد (أو سعدون) بن أيوب التجيبي ، أحد أقطاب المذهب المالكي ، وصاحب المؤلفات الفقهية القيمة ، منها المنتقى وإحكام الفصول في أحكام الأصول وغيرهما ، توفي بالمدينة سنة ٤٧٤ (انظر ترتيب المدارك ٨٥٢٠٤ والديباج المذهب . ١٢٠ والرقبة العليا : ٩٥ وبغية الملتصق رقم ٧٧٧٠ والصلة ١٩٧٠ والقلائد : ١٨٨ والمغرب ١ : ٥٤ : وتهذيب ابن عساكر ٦ : ٢٤٨) ومعجم الأديباء ١١ : ٢٤٦ والإكمال ١ : ٤٨٦ وتذكرة الحفاظ ١١٧٨ : ١١٧٨ و ابن خلكان ٢ : ٤٠٨ والشذرات ٣ : ٣٢٤ ونفح الطيب ٢ : ٦٧ و امرأة الحنان ٣ : ١٠٨ وفوات الوفيات ٢ : ٦٤ وعبر الذهبي ٣ : ٢٨٠ والروض المطار . ٧٥ .

٤ باجة الأندلس (Beja) : تقع في البرتغال على بعد ١٤٠ كم إلى الجنوب الشرقي من لشبونة .

ومكانه من النثر والنظم يسامي مناط الجوزاء ، وبدأ في الأدب فبرز في ميادينه ، واستظهر أكثر دواوينه . وحمل لواء منشوره وموزونه ، وجعل الشعر بضاعته فوصل له الأسباب بالأسباب ، ونال به مآكل القُحَم الرغاب ، حتى جُنَّ الإحسان بذكره ، وغنى الزمانُ بعرايب شعره . واستغنت مصرُ والقيروان بخبْرِهِ عن خبْرِهِ ، ولم تزل أقطار تلك الآفاق تواصله . وعجائب الشام والعراق تغازله . حتى أجابَ ، وشدَّ الركاب ، وودَّعَ الأوطانَ والأحباب ، فرحل سنةً ستَّ وعشرين ، فما حلَّ بلداً إلا وجده ملائناً بذكره ، نشواناً من قهوتيَّ نظمه ونثره ، ومال إلى علم الديانة ، وقد كان قبلَ رحلته تولَّى إلى ظله ، ودخل في جملة أهله . فمشى بمقياس . ونهى على أساس . فلم يبعد أن أصبح نسيجَ وحده ، في حلتِه وعقده . حتى صار كُثيرٌ من العلماء يسمعون منه . ويرتاحون إلى الأخذ عنه ، وحتى علم العلم أنَّهُ له أشكالا . وتيقن أهلُ العراق أن بالأندلس رجالاتاً ، ثم كرَّ ، وقد نفع وضرَّ ، وأحلى وأمرَّ ، واستقضيَ بطريقه بحلب . فأقام بها نحواً من عام . ثم نازعه [٢٠ ب] هوى نفسه ، إلى مسقط رأسه . ومنبت غرسه . من أرض الأندلس ، فورد وعشبُ بلادها نابٌ وظفر . وصوبُ عهادِها دمٌ هدرٌ ، ومالها لا عين ولا أثر ، وملوكها أضداد ، وأهواءُ أهلِها ضغائنٌ وأحقاد ، وعزائمهم في الأرض فساد وإفساد . فأسف على ما صبَّغه . وندم لو أجدى عليه ذلك أو نفعه ، على أنه لأوَّل قدمه رفع صوته بالاحتساب ، ومشى بين ملوك أهلِ الجزيرة بِصِلَةٍ ما انبتَ من تلك الأسباب ، فقام مقام مؤمنِ آلِ فرعونَ لو صادف أسماعاً واعية . بل نفع في عظامِ ناخرة ،

وعكفَ على أطلالِ دائرة ، بيد أنه كلما وفد على ملك منهم في ظاهر أمره لقيه بالترحيب ، وأجزل حظه بالناس والتقريب ، وهو في الباطن يَسْتَهْجِلُ نَزْعَتَهُ ، ويستثْقِلُ طَلْعَتَهُ ، وما كان أفطنَ الفقيه ، رحمه الله ، بأمرهم ، وأعلمه بتدبيرهم ، لكنه كان يرجو حالاً تثوب ، ومذبناً يتوب ، ولم يَخْلُ مع ذلك من تأليفِ الدواوين وتدريسها ، وتشديد المكارم وتأسيسها .

بلغني عن الفقيه أبي محمد بن حزم أنه كان يقول : لم يكن لأصحاب المذهب المالكي بعد عبد الوهاب^١ مثل أبي الوليد الباجي . وقد ناظره بميوزقة فقلَّ من غريبه ، وسبَّبَ إحراقَ كتبه ، ولكنَّ أبا محمد وإن كان اعتقد خيلافه ، فلم يطرحْ إنصافه ، أو حاول الردَّ عليه ، فلم ينسبِ التقصير إليه . وتوفي أبو الوليد الباجي ، رحمه الله ، سنة أربع وسبعين ، وهو بسبيله من تصنيف الدواوين . في علوم الدين ، وقد أخرجتُ ما وجدت من كلامه في هذا الفن الذي أنا في إقامة أوده .

ووجدت للوزير الكاتب أبي محمد بن عبد البر رقعةً كتبها عن مجاهد أمير دانية ، وقَتَّتْهُ ، إلى المظفر ببطليوس في صفته ، يقول في فصلٍ منها : الآفاق — أيَّدَكَ الله — وإن وارت الأنوار والشهب ، والأبعادُ وإن كُشِفَتْ^٢

١ هو أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر القاضي (- ٤٢٢) (انظر في ترجمته ترتيب المدارك ٤ : ٩٩١ وطبقات الشيرازي : ١٦٨ وتبيين كذب المفتري : ٢٤٩ وتاريخ بغداد ١١ : ٣١ والديباج المذهب : ١٥٩ وابن خلكان ٣ : ٢١٩ والمراقبة العليا ٤٠ : ٤١٩ والفوات ٢ : ٤١٩ وستأتي ترجمته في القسم الرابع من الأخيرة ؛ وانظر كذلك مصادر أخرى ذكرت في حاشيتي الوفيات والفوات) .
٢ في السخ : كُشِفَتْ .

الأستار والحجب ، فلن تحجب أنوار الفضل والكرم ، ولن تسد مطالع
 المآثر والهمم ، ولن تقطع تعامل التواصل والوداد ، وتدأب التضافر^١ والإنجاد ،
 وتلك حالنا فلننا على بعد الدار ، وشحط المزار ، نطوي على أنفس^٢
 متجاوزة متلاصقة ، ونأوي^٣ إلى مذاهب متوافقة ، والفقير الحافظ أبو الوليد
 الباجي غدي نعمتك^٤ ، ونشأة^٥ دولتك ، هو من آحاد عصره في
 علمه ، وأفراد دهره في فهمه ، وما حصل أحد من علماء الأندلس متفقاً
 على مثل حظمه وقسمه ، وقد تقدم له بالمشرق صيت وذِكْرٌ ، وحصل
 بجزيرتنا^٦ ونك فيه جمال وفخر ، فإنه إليك تنطف أسبابه ، وعليك
 تلتقي وتلتف آراؤه ، لكن شددت عليه يدي ، وجعلته عكس بلدي ، يشاور^٧
 في الأحكام ، ويهتدى إليه في الحلال والحرام ، فقد ساهمتك به ، وشاركتك
 فيه ، كما تساهمنا وتشاركنا في الأحوال السلطانية ، والأمور الدنياوية .

١ د : التطافر .

٢ في النسخ : فالك . . . نطوي . . . ونأوي .

٣ د : وغرس .

٤ د : بحوزتنا .

ما أخرجه من أشعاره في أوصاف شتى

فمن ذلك قوله ^١ :

إذا كنتُ أعلمُ علماً يقيناً بأن جميع حياتي كساعه ^٢
فليمُ لا أكون ضنيناً بها وأجعلها في صلاح وطاعة

وقوله في صفة قلم :

وأسمر ينطق في مشيه ويسكتُ مهما امرَّ القَدَمُ
على ساحة ليلها مشرقٌ مُنيرٌ وأبيضُها مدَّتْهِمُ
وشبهتُها بيباض المشيب يخالطُ نور سوادِ اللُّثَمُ

[ودخلَ بغداد والحيرَمان قد كساه سراويل ، ورماه بطير أبايل ، وقاضي

..

١ بهامش ط : جملة من شعر أبي الوليد ، وليس في النسخ شعر أو نثر له ؛ وقد جاء في هامش ط المقطوعتان الأوليان الثابتتان هنا ، وهناك ما يفيد أنها نقلتا من نسخة عتيقة ؛ ثم كتب بهامش النسخة نفسها بخط مغاير كثيراً لخط الأصل : « بل بقي نحو الورقة ونصف » وكتب عند نهاية الترجمة ، « بقيت خمسة أبيات » ، وهذا الذي أثبتته هنا إنما جاء في الطبعة المصرية (١٩٧٥) اعتماداً على النسخة الكتانية ؛ وقوله « ما أخرجه » - بضمير الغائب - دليل على أنه ملحق بمجهود رجل آخر عدا ابن بسام ، لعله وجده في مسودات ابن بسام نفسه ، أو لعله أضافه مشاكهاً عمل ابن بسام في المقدمات المسجوعة ، وما جاء به مسجوعاً هنا يقارب طريقة ابن بسام ، ولكنه لا يطابقها تماماً . هذا وقد خالفت قراءة الطبعة المصرية في عدة مواضع ، دون أن أشير إلى ذلك .

٢ وردت القطعة في ابن عساكر والقلائد والمغرب والفوات وبغية المنتسب والصلة والمرقبة العليا وابن خلكان ومعجم الأدباء والنفع وترتيب المدارك والديباج المذهب والروض المطار .

قضاتها السمناني ناصح الدين تاج الإسلام^١ يباري القطر ، ويحلي ديباج
 الفقر ، فقلّده معهود تحفيه ، وسقاء ماء أمانيه ، وأهبه من نوم فاقته ، وطبه
 بجودٍ أسرع في إفاقته ، واشتمل عليه اشتمالاً مع صون ماء وجهه عن إراقته ،
 أناله ما أحسبه والله وأكسبه ، فاقتصر على نداه ، واهتصر أفنان جناه .
 وقال يمدحه^٢ :

يا بعد صبرك أنهموا أم أنجدوا هيات منك تصبرٌ وتجلّدُ
 يأبى سلوكك بارقٌ متألّقٌ وشميمٌ عَرَفَ عرارةٍ ومفرّدُ
 في كل أفقٍ لي علاقةٌ خولةٌ تهدي الهوى وبكلّ أرضٍ تُهدّ
 ما طال عهدي بالديار وإنما أنسى معاهدها أسيّ وتبلّدُ
 ولقد مررتُ على المعاهد بعد ما لبس البداوةَ رسمها المتأبّدُ
 فاستنجدتُ ماء الدموع لبيّنهم فتتابعَت حتى توارى المنجّدُ
 طفقتُ تسابقني إلى أمد الصبا تلك الرُّبى ومنالُ شأوي يبعدُ
 لو كنتُ أنبأتُ الديارَ صباي نحلّ الصفا بفنائها والجلمدُ
 لله أيامُ الشبابِ وحُسْنُها وغصونهنّ المائساتُ الميّدُ
 أيامَ أنفضُ للمراح ذوابي بين اللداتِ ودرع بردي مُجسّدُ
 أتقنصُ الظبياتِ في سُبُل الصّبا فيصيدهن لي العذار الأسودُ

.....

١ هو القاضي أبو جعفر محمد بن أحمد بن محمد السمناني - سنان العراق - كان فقيهاً يتكلّم على مذهب الأشعري وقد أخذ عنه الباجي علم الكلام بالموصل لا ببغداد ، وتوفي السمناني سنة ٤٤٤ (الباب المنتظم ٨ : ١٥٦) .

٢ منها بيتان في معجم الأدباء ١١ : ٢٤٩ والنفع ٢ : ٧٦ .

٣ في البيت إشارة إلى مطلع مطلقة طرفة .

٤ النفع ومعجم الأدباء : رق .

حتى علاني الشيبُ قبل تحلُمِ
وحجَّيتُ^١ سنَّ الحلم في زمن الصبا
وسقتني الدنيا زُعاقَ خُمارها
ما هالني صعبُ المرام ولا الذي
أستقربُ الهدفَ البعيدَ بهمةٍ
أسري إذا اعتكر الظلامُ وقادني

ومن مديحه :

حيثُ التقتْ ظُبةَ السَّماحةِ والعلا
فجنابُهُ لا يُستباحُ وجارُهُ
حَرَّمَ المكارمِ لا [ينال] فيناءه
عالي محلُّ النارِ في كَلْبِ الشتاء
هذا الشهابُ المستضاءُ بنوره
هذا الذي قمع الضلالةَ بعد ما

وله في المعتضد بالله^٢ :

عبادُ استعبد البرايا
مديحه خيم^٣ كل نفسٍ
بأنعم تبليغ النعائم^٤
حتى تغنَّتْ به الحمائم^٥

.....

١ حجيت : لزمته وتمسكت به .

٢ هذا البيت قلق القراءة .

٣ معجم الأدباء ١١ : ٢٥٩ والنفع ٢ : ٧٦ .

٤ النعائم : منزلة من منازل القمر .

٥ معجم الأدباء والنفع : ضمن ؛ والهميم : الخليفة والطبع

وله يرثي ابنه ١ :

رعى الله قلوبين استكانا ببلدةٍ	هما أسكنيناها في السوادِ من القلبِ
لئن غيبًا عن ناظري وتبوعا	فؤادي لقد زاد التباعدُ في القربِ
وأبكي وأبكي ساكنيها لعلتي	سأنجدُ من صحبٍ وأسعدُ من سحِبِ
فما ساعدتُ ورق الحمام أخا أسى	ولا رَوحتُ ريح الصبا عن أخي كربِ
ولا استعذبتُ عيناى بعدهما كرى	ولا ظمئتُ نفسي إلى البارد العذبِ
أحنُّ ويشني اليأسُ نفسي على الأسى	كما اضطرَّ محمولٌ على المركبِ الصعبِ

وله يرثي ابنه محمدًا ٢ :

أحمدٌ إن كنتُ بعدك صابراً	صبرَ السليم لما به لا يسلمُ
ورزيتُ قبلك بالنبيِّ محمدٍ	ولرؤوه أدهى لدي وأعظمُ
فلقد علمتُ بأنني بك لاحقٌ	من بعد ظني أنني متقدمُ
لله ذِكْرٌ لا يزال بخاطري	متصرفٌ في صفوه متحكمُ
فلذا نظرتُ فشخصهُ متخيلاً	وإذا أصختُ فضوته متوهمُ
وبكل أرض لي من أجلك روعةٌ	وبكل قبرٍ عبرةٌ وترثمُ
فلذا دعوتُ سواك حاد عن اسمه	ودعاه باسمك ميقول بك مغرمُ

١ المغرب ١ : ٤٠٥ والقلائد . ١٨٩ ومعجم الأديباء ١١ : ٢٥٠ - ٢٥١ وترتيب المدارك

٤ : ٨٠٧ ومنها : بيتان في ابن خلكان ٢ : ٤٠٨ .

٢ ترتيب المدارك : وأمطر .

٣ القلائد : ١٨٩ والنفع ٢ : ٧٥ .

٤ القلائد والنفع . لوحة . وقفه وتلوم

حَكَمَ الردى ومناهجٌ قد سنَّها لأولي النهى والحِذْقِ أَقبلُ مُتَمَسِّمٌ
فلئن جَزَعْتُ فإن ربي عاذِرٌ ولئن صَبَرْتُ فإنَّ صَبْرِي أَكْرَمُ

وله يمدح الأمير معز الدولة أبا علوان ابن أسد الدولة ١ :

محلُّ الهوى من سرِّ حبِّكَ أَهْلٌ وَصَرَفُ النوى عن شملِ شوقي غَافِلٌ
وللهِ طَيْفٌ لا يُلَمُّ كَأَنَّمَا له من سهادي في الزيادة عاذِلٌ
غدا نافرًا لا أَسْتَطِيعُ اقْتِنَاصَهُ ولو أنَّ لي يومَ الكُتَيْبِ حَبَائِلُ
تَبَيَّتُ جُفُونِي صَادِيَاتٍ مِنَ الْكُرى وَلَكِنَّهَا مِنْ مَاءِ دَمْعِي نَوَاهِلُ
لئن أَمْطَرْتُ رَوْضَ الْخُدُودِ سَحَابُهَا لَقَدْ صَدِيتُ مِنْهَا قُلُوبٌ مُوَاجِلُ
خَلِيلِي هَا فَاسْتَعْرِضَا الرُّكْبَ مِنْهُمَا فَقَدْ دَرَجْتُ فِي الرِّيحِ مِنْهَا رَسَائِلُ
أَسْرُوا إِلَى اللَّيْلِ الْبَهِيمِ سُرَاهِمُ فَتَهَمَّتْ عَلَيْهِ فِي الشَّمَالِ شَمَائِلُ
مَتَى نَزَلُوا ثَاوِينَ فِي الْخَيْفِ مِنْ مَنَى بَدَتْ لِلْهَوَى بِالْمَآزِمِينَ مَخَائِلُ
فَلَلَّهَ مَا ضَمَنْتُ مِنْىً وَشَعَابُهَا وَمَا ضَمَنْتُ تِلْكَ الرَّبَى وَالْمَنَازِلُ
وَلَمَّا التَّقِينَا لِلْجِمَارِ وَأَبْرَزَتْ أَكْفٌ لَتَقْلِبَ الْحَصَى وَأَنَامِلُ
أَسْرَتْ* إِلَيْنَا بِالْغَرَامِ مَحَاجِرُ وَبَاحَتْ بِهِ مِنْ جِسْمٍ رَاحِلُ
سَقَى أَثْلَاتِ الْجَزَعِ مِنْ أُمِّ مَالِكٍ عَشَارُ سَحَابٍ مُتَرَعَاتِ حَوَائِلُ

١ القلائد والنفح : والحزن .

٢ منها أبيات في نفح الطيب ٢ ٨٤ وممدوح الساجي هذا هو شمال بن صالح المرداسي صاحب حلب ، فهذه القصيدة مما قاله بالمشرق .

٣ النفح : بالخيف .

٤ النفح . لتقيل (وما هنا أصوب) .

٥ النفح : أشارت (وما هنا أصوب) .

وله يمدحه :

لريّاهمُ في عَرَفٍ رَبَّعِكَ عُنْوَانُ
وفيك من الحيّ الذين تَحَمَّلُوا
وكم ليلةٍ فيها تَعَسَّفْتُ حَوْلَهَا
سريّنا كما يسري الخيالُ وَغُضِّضْتُ
لبِسْنا برودَ الليلِ حتى تشقَّقْتُ
حويّتَ معزِّ الدولة المُلْكِ فاعترى
فللمجدِ سِلْكُ قد أجيدَ نِظامُهُ

ومن حُسْنِهِمْ في حُسْنِ مِفْتَاحِ تَبْيَانُ
مُخَايِلُ أَغْصَانِ تَمِيسُ وَكُثْبَانُ
وكالَيْهَا مِنِّي مَشِيعُ وَيَقْظَانُ
على رَكْبِنَا مِنْ نَاطِرِ اللَّيْلِ أَجْفَانُ
جِيوبٌ تَضِيءُ بِالصَّبَاحِ وَأُرْدَانُ
بَذِكْرِكَ فِي الْآفَاقِ مُلْكُ وَسُلْطَانُ
وَأَنْتَ لِدَاكِ السِّلْكِ دُرٌّ وَمَرْجَانُ

وله :

تَجَنَّبْ بِجَهْلِكَ مَا صَوَّرُوا
فَإِنَّ الرِّسُولَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وإن كان في سِتْرٍ أَوْ [مِثْرَةٍ]¹
أَحَقُّ الْعَذَابِ لِمَنْ صَوَّرَهُ

وله :

تَبْلَغْ إِلَى الدُّنْيَا بِأَيْسَرِ زَادٍ
وَعُضِّ عَنِ الدُّنْيَا وَزُخْرِفِ أَهْلِهَا
وَجَاهِدْ عَنِ اللَّذَاتِ نَفْسَكَ جَاهِدًا
فَمَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِدَارٍ إِقَامَةٍ
وَمَا هِيَ إِلَّا دَارُ لَهْوٍ وَفِتْنَةٍ

فَلْيَنْتَكِ عَنْهَا رَاحِلُ الْمَعَادِ
جَفَوْنِكَ وَاحْكُلْهَا بِطُولِ سِهَادِ
فَإِنَّ جِهَادَ النَّفْسِ خَيْرَ جِهَادٍ
فَيُعْتَدُ مِنْ أَغْرَاضِهَا بَعْتَادُ
وإن قصارى أهلها لنفادُ

وله :

انظر النهي عن التصاوير في السّر في سنن النسائي ٨ : ٢١٢ . والميثرة كهينة المرفقة أو الثوب تجلجل به الثياب ، وهذه القراءة تقديرية .

يا قلبُ إمّا تُلْهِنِي كاذِباً
تُشْغِلُنِي عَنْ عَمَلٍ نَافِعٍ
أَحْزِرْ بَأْنَ تُسَلِّمَنِي نَادِماً
وَحَاقَ بِي مَا جَاءَ عَنْ رَبِّنَا
أَوْ صَادِفاً عَنْ الْهَدَى جَائِراً
فِي مَوْقِفِ الْفَلَاحِ لِي ضَائِراً
إِنْ لَمْ أَلْقِ اللَّهَ لِي عَازِراً
(وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً)

وله في معنى السفر :

إِذَا كُنْتُ رَبِّي فِي طَرِيقِي صَاحِبَا
فَسَهْلٌ سَبِيلِي وَازْوٍ عَنِّي شَرُّهَا
وَتَخَلَّفُنِي فِي الْأَهْلِ مَا دُمْتُ غَائِبَا
وَشَرُّ الَّذِي أَلْقَاهُ فِي الْأَهْلِ آيَا

وله في معنى الحمد والشكر :

الْحَمْدُ لِلَّهِ ذِي الْآلَاءِ وَالنِّعَمِ
مَنْ يَحْمَدُ اللَّهَ يَأْتِيهِ الْمَزِيدُ وَمَنْ
وَمُبْدِعِ السَّمْعِ وَالْأَبْصَارِ وَالْكَلِمِ
يَكْفُرُ فَكَمْ نِعَمٍ آتَتْ لِي نِيعَمِ

وله :

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدَ مُعْتَرِفٍ
وَأَنَّ مَا بِالْعِبَادِ مِنْ نِعَمٍ
وَأَنَّ شُكْرِي لِبَعْضِ أَنْعَمِهِ
بِأَنَّ نِعْمَاهُ لَيْسَ نُحْصِيهَا
فَإِنَّ مَوْلَى الْأَنْامِ مَوْلِيهَا
مِنْ خَيْرِ مَا نِعْمَةٍ يُوَالِيهَا

وله في قيام الليل ١ :

قَدْ أَفْلَحَ الْقَائِتُ فِي جُنْحِ الدُّجَى
فَقَائِماً وَرَاكِعاً وَسَاجِداً
لَهُ حَنِينٌ وَشَهيقٌ وَبُكْسَا
يَتْلُو الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ النَّبِيَّ
مُبْتَهِلاً مُسْتَعِيناً مُسْتَغْفِراً
يَلُحُّ مِنْ أَدَمَعِهِ تَرْبَ الْأَرَى

١ الأبيات في ابن عساكر ٦ : ٢٥٠ (ما عدا الثاني) .

إِنَّا لَسَقَرُ نَبْتِي نَيْلَ الْمَدَى فِي السَّرَى بُغْيَتُنَا لَا فِي الْكَرَى
مَنْ يَنْصَبِ اللَّيْلَ يَنْلِ رَاحَتَهُ عِنْدَ الصَّاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السَّرَى^١
وله :

وَتَقْنُ بِأَنَّكَ الدَّهْرَ تُحْمِلُ فِي كِتَابِ الْمُسْتَحْفَظِينَ الْكَرَامِ
ثُمَّ تُؤْتِي يَوْمَ الْكِتَابِ كِتَابًا نَاطِقًا بِالْفُجُورِ وَالْآثَامِ
وَأَرَى عَشْرَةَ اللِّسَانِ ، وَإِنْ لَمْ تَبْدُ ، أَنْكِي مِنْ عَشْرَةِ الْأَقْدَامِ
وَأَرَى الْقَوْلَ كَالسَّهَامِ فَإِنْ كَا نَ قَبِيحًا عَادَتْ عَلَيَّ سَهَامِي
وَمَنْ الْغِيَّ أَنْ أَصَابَ بِيَسْتَهُمْ وَأَنَا مَالِكٌ يَمِينُ الرَّأْمِي [

الوزير أبو عامر بن مسلمة^٢

طائلُ الدهر ، وعَلَمٌ بُرْدَةٌ ذَلِكِ الْعَصْرِ ، وَأَحَدُ جِهَابِذَةِ الْكَلَامِ ،
وَجَمَاهِيرِ النَّشَارِ وَالنِّظَامِ ، مِنْ قَوْمٍ طَالَمَا مَلَكُوا أَرْمَةَ الْأَيَّامِ ، وَخَصَّصُوا
بِالسِّنَةِ السِّيُوفَ وَالْأَقْلَامِ ، لَمْ يَزَالُوا أَقْمَارًا فِي آفَاقِ الْكِتَابِ ، وَصُدُورًا فِي
صُدُورِ الْمَرَاتِبِ ، وَكَانَ أَبُو عَامِرٍ هَذَا مِنْ شَرَفِهِمْ بِمَنْزِلَةِ الْفَصِّ مِنْ الْخَاتَمِ ،
وَبِمَكَانِ السَّرِّ مِنْ صُدُورِ الْحَازِمِ . وَلَمَّا ثَلَّثَتْ تِلْكَ الْعُرُوشُ الْأُمُيَّةُ ، وَاخْتَلَّتْ
تِلْكَ الدُّوَلَةُ الْقُرْطُوبِيَّةُ ، تَحِيَّزٌ إِلَى الْمُعْتَضِدِ ، لِأَمْلَاقٍ قَدِيمَةٍ كَانَتْ لَهُ فِي الْبَلَدِ ،
فَعَاشَ بِفَقْصِلِ وَفَرِهِ ، وَتَصَوَّنَ عَنِ الدُّخُولِ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ ، إِلَّا عَنْ زِيَارَةِ

..

١ انظر المثل في فصل المقال : ٢٥٤ ، ٣٣٤ والميداني ١ : ٣٠٣ والفاخر : ١٥٨ والعسكري
(بهامش الميداني) ٢ : ٦٤ .

٢ ترجمته في الجلود : ٦١ (والبنية رقم . ١٠٧) والمطبع : ٢٣ والمغرب ١ : ٩٦ .

للم ، ومنادمة في بعض الأيام ، جَذَبَتْهُ إِلَيْهَا ، وغلبه مضطراً عليها ، ولم يزل يتخادع له عن ذلك استدفاعاً لشره ، ومداراةً على بقية عمره ، حتى مات مستوراً بماله ، مبقى على أشكاله ، وله منظومٌ مطبوع ، ونثر بديع ، وقد وقع إليّ من إملأاته ، وغرائب أدواته ، تأليفٌ جمعه للمعتضد سماء على ما اقتضاه مطابقة الزمان ، ومذهب الألوان « حديقة الارتياح في صفة حليقة الراح » دلّ على كثرة روايته [١٢١] وجودة عنايته ، إلى غير ذلك من نظمه ونثره ، وأوردت منه طرفاً شاهداً على ما أجريتُ من ذكره .

جملة من شعره

نقلت من خطه قال : كتبت يوماً بهذه الأبيات إلى الأديبين أبي عليّ إدريس وأبي جعفر بن الأبار^١ مستدعياً لهما :

أبا شقيقي	إنعامٍ	ويا قسيمَي	صفاءٍ
ومن هما في ذوي الفهم	م	جوهرُ	الأدباء
تفضلاً	وأجيباً	إلى نديّ	نداء
لأنسا	بحديثٍ	وقهوةٍ	وغناء

.. .

١ م س : عل ما أخرجت .

٢ أبو عليّ إدريس بن الهادي ترد ترجمته في الذخيرة ٣ : ٣٣٦ وابن الأبار سترد ترجمته في هذا القسم . ١٣٥ .

قال ، فأجابني إدريس :

يا صَيِّتْ ماءَ السماءِ	في رقةٍ وصفاءِ
ويا سراجَ ضياءِ	يجلو دجى الظلماءِ
بهرتَ سيما ذكاءِ	في بهجةٍ وذكاءِ
وحزتَ في العلياءِ	قوادمَ الجوزاءِ
يا حاتمَ الكرماءِ	وأحمدَ الشعراءِ
بادهتنا بلالَ	سواطعِ اللآلِءِ
قريضُ حُسنٍ كدرٌ	على طلي الحسناءِ
يقود في كلِّ معنى	معنى الغنى والغناءِ
وقد أجبتنا إلى ما	دعوت من آلاءِ
[لازال] نجمك ^١ أسمى	من نجم كلِّ سماءِ

قال الوزير أبو عامر : وبعث إليَّ أبو الأصبح بن عبد العزيز^٢ باكورَ بهارٍ وكتب معها :

وبهارٍ أَلَمْ قَبَّلَ الأَوَانِ	في بهاءٍ يروقُ رأيَ العيانِ
أمكنَ القَطْطَفَ في مدى شهرٍ تشرى	نَ على غيرِ عادةٍ الإمكانِ
سبقَ الزَّهرَ ^٣ في المضائلِ طرّاً	وكسا بالجمالِ فَضْلَ الزمانِ

قال ، فأجبتُه :

١ م ط س . حدث

٢ سيأتي طرف من خبره ، هذا القسم . ٢٠٦

٣ م ط د س : الدهر

يا إماماً في السبق يومَ الرهان كلَّ حينٍ يؤمّني بالأمان
وصل الذرجسُ المبكرَ يحكي سبقَ عبادِ الملكِ اليماني
يا بهارَ الرياضِ أنتَ بهارٌ باهر الأتوارِ والريحان

قال الوزير أبو عامر : وأعلمتُ ابنَ الأَبَّارِ بخبر البهارة ، وكان عليلاً
وقلت له : إني نادمتها ليلتي ، وجعلتها مؤنستي على قهوتي ، فكتبَ إليّ :

بالله كيف التديمةُ يا ذا السجايا الكريمةُ
عذراءُ تعبقُ شمأً وأنتَ تعبقُ شيمه
أحبيبُ بها بكرٌ نورٍ من البهار يتيمه
فلتلكَ عندي والعو دَ لا ندِيمَا جَدِيمه
فاصبُ غُدَيْتَ عليها من المدامةِ ديمه
والدهرُ يمضي فبادرُ من الزمانِ غنيمه
وانعمْ بدولةٍ ملكٍ ثنى الغيوثَ لثيمه
عبادُ المنصيفِ المج دَ باللهي المظلومه

وله في وصف مشروب زبيب :

مُرَّةٌ ماتت زماناً بحجابٍ يحتويها
لَبِثَتْ في بطنِ أمٍّ غَيَّبَتْهَا عن بنيتها
أَلَحَدَتْهَا الشمسُ دهرًا ثم عاد الروحُ فيها
كان ماءُ الزن عيسى^١ إذ وضعناه بفيها

١ كذا في م ط د س ، وهو مختل ، ولعل صوابه « باهري الأنوار » .

٢ م ط س : فيها .

فأنبرى منها سراجٌ رائقٌ مَنْ يَحْتَلِيها
وبَدَتْ منها شمسٌ غَرَبَتْ في مُطْلِعِها
عَزَبَتْ ألبابُنَا إذ غَرَبَتْ في شاريها

والمصحفي^١ قبله^٢ القائل :

٢١١ ب] ولما تولَّى بَابَةَ الكَرَمِ جَائِزٌ عليها فأصلاها بزعمكم الشَّمْسُ
ولم يبقَ من جُثمانِها غيرُ جِلْدِها غَدَتْ للذي تحويه من روحها رَمْسُا
وصلتُ بها الماءَ انقِرَاحَ حافِظاً فراحَ لها جسماً وراحتَ له نفسا

وذكر الوزير أبو عامر أنه ما رآه ، ولا نظر إليه ، ولا اعتمد عليه ،
ولا قصده ، ولو سمعه لما أورده .

وقال :

ومَهْفَفٍ غُضِّ الشَّبابِ مَنْعَمٌ فيه أَطَرْتُ إلى الجَمَاحِ جَنَاحِي
قد جاء يَسْمَى^٢ بالمدام فقلت لا لاني هجرتُ تعاطيَ الأَقْداحِ
لا تسقني راحَ الكَلُوسِ وسقني سحرَ العيونِ يَقُومُ مقامَ الرَاحِ
فأقامَ لي من لحظهٍ ورضابه راحاً وقامَ الخدُّ بالتَفَاحِ
وضللتُ في ليلي فأبدى غُرَّةً أغنتُ عن المصباحِ والإصباحِ

قال : وبلغني أن ابنَ الأَبار صدَّ عنه يوماً من يهواه ، وواصل سواه ،
فكُتِبْتُ إليه :

.....

١ هو الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي ، منافس المنصور بن أبي عامر ، وقد قضى عليه المنصور
سنة ٣٦٧ (وأخباره في المصادر التاريخية المتعلقة بتلك الحقبة ، وانظر المطمح : ٤ - ٨) .
٢ يسمي : سقطت من ط م س .

قد هَجَرَ الأَنسُ والسُّرُورُ
وغيَّضَتْ غَيْضَهُ التَّمَنِّي
وأَفْغَرَ الرَّبْعُ بَعْدَ أَنَسٍ
إِذْ هَجَرَ الشَّادِنُ التَّفُورُ
فَطَرَفُ نَوَارِهَا حَسِيرُ^١
فَعَمِرُ لُحْيِ الْفَقَى قَصِيرُ

قال : فراجعني بهذه الأبيات :

يا مَنْ بهِ تَزْدهي الدُّهُورُ
وَمَنْ إِذَا احْتَلَّ فِي عُلَاهُ
قَدْ عَوَّتَبَ الشَّادِنُ الْغَرِيرُ
وَمَنْ لِي بِالْجَوَابِ تَيْهًا
فَافَرَّ عَنْ وَاضِحِ شَنِيبٍ
ثُمَّ تَلَاَقَتْ لَنَا عُيُونُ
تَرْجَمَ بِالشَّغْرِ عَنْ مَعَانٍ
وَلَمْ تَزَلْ نُعْمِلُ الْحَمِيًّا
مَدَامَةً أَفْنَتِ اللَّيْسَالِي
تَخَالُفُهَا فِي الْكُؤُوسِ سِرًّا
حَتَّى إِذَا مَا الصُّدُودُ^٢ أَوْدَى
فَاهِنًا بِمَا قَدْ هَذَا مُحِيبٌ
كَانَ لَكَ اللَّهُ مِينَ وَفِي
إِنَّ الْوَرَى أَصْبَحُوا أَجَاجًا
وَمَنْ لَهُ تَخَضُّعُ الْبُدُورُ
فَكُلُّ جَفْنٍ بِهِ قَرِيرُ
فَعَادَ مِنْ وَصْلِهِ الْيَسِيرُ
وَهُوَ بِمَا قَلْبُهُ خَبِيرُ
فِيهِ لَمِيتُ الْهُوَى نَشُورُ
تَخَالَفَتْ تَحْتَهَا الصُّدُورُ
ضَنَّ بِإِعْلَانِهَا الضَّمِيرُ
وَاللَّحْظُ مَا بَيْنَنَا سَقِيرُ
وَأَرْضِيْعَتْ ثَنِيَّتُهَا الدُّهُورُ
وَهِيَ لَشَرَّابِهَا سُرُورُ
تَنَاوَلَتْ مَرْجَحُهَا الشُّغُورُ
خَطَرُكَ فِي نَفْسِهِ خَطِيرُ
وَفَى بِهِ دَهْرُنَا الْغُرُورُ
وَإِنَّكَ السَّاقِعُ النَّمِيرُ

١ موضع هذا الشطر بياض في ط د س وقد جاء في م بخط مختلف عن خط الأصل .

٢ س م : السُّرُور .

لَطَفْتُ ظَرْفًا وَطَيْبْتُ حَقِي تَرَجَّمْ عَنْ خُلُقِكَ الْعَبِيرِ
لَا زِلْتَ بِالْفَضْلِ لِي مَلِيًّا فَلَاتَنِي بِالشَّنَا فَقِيرِ

[٢٢٢] وقال الوزير أبو عامر^١ :

أَهْلًا وَسَهْلًا بوفودِ الرِّيسِ وَتَغْيِرِهِ الْبَسَامِ عِنْدَ الطَّلُوعِ
كَاتَمًا أَنْوَارُهُ^٢ حُلْمَةً مِنْ وَثْقِي صِنْعَاءَ السَّرِيِّ الرَفِيعِ
أَحْيَبَ بِهِ مِنْ زَائِرِ زَاهِرٍ دَعَا إِلَى اللَّهِو فَكُنْتُ السَّمِيعِ
بَثَّ عَلَى الْأَرْضِ دَرَانِيكَه^٣ فَكُلُّ مَا تُبْصِرُ فِيهَا بَدِيعِ

قال الوزير أبو عامر : وكتبتُ إلى ابن الأبار يوماً بهذه الأبيات :

قُلْ لِأَبِي جَعْفَرٍ الْمُتَقَى مِنْ سِرِّ قَحْطَانٍ وَخَوْلَانِ
انْظُرْ إِلَى الظُّبِيِّ الْأَتَقِ الَّذِي يَخْتَالُ فِي أُبْرَادِ إِحْسَانِ
كَأَنَّمَا مَقْلَتُهُ سَابِلٌ حُقَّتْ بِسِحْرِ الْإِنْسِ وَالْجَانِ
كَأَنَّمَا شَارِبُهُ بِتَهْجَةٍ زَمَرْدٌ مِنْ فَوْقِ مَرْجَانِ
كَأَنَّمَا أَرْدَافُهُ عَالِجٌ وَقَدُّهُ غُصْنٌ مِنَ الْبَانِ

قال ، فأجابني بأبيات منها قوله :

وَأَبَايَ ذَاكَ الْغَزَالُ الَّذِي يَجُولُ فِي سَرِّهِ وَإِعْلَانِ
مُقَرَّطَقٌ يَبْسُمُ عَنْ لَوْلُوِي رَصْعَةً الْحَسَنِ بِمَرْجَانِ
أَفْدِيهِ مِنْ أَحَوَّرَ أَجْفَانُهُ نَامَتْ لَكِي تَسْهَرُ أَجْفَانِي

.....

١ منها ثلاثة أبيات في المغرب ١ : ٩٧ .

٢ المغرب : أزهاره .

٣ الدرانيك : البسط .

لا بدا لي جیده^١ مُتلعماً قلتُ لمن قد ظلَّ يلحاني
لا فزتُ منه بجميعِ المنى إن كانَ هذا عند رضوان
من أينَ للظبي كأجفانيهِ أو مثلِ ذاك الخوطِ للبان
ما هو إلاَّ [...] برهانٍ وحجّةُ اللوطي على الزاني

قال : وكتب إليّ ابن الأبتار أيضاً بهذه الأبيات :

يا مُفصِّحَ الكفِّ واللسانِ بالطَّوْلِ طوراً وبالبيانِ
عنديّ مَنْ عندَه فؤادي ومن نَجَّيَه قد براني
أظنُّها نومَةٌ لِقُردي أو غفلةٌ الغيرِ من زماني
وليس سرُّ السرور إلاَّ ضرّةُ أخلاقِكَ الحسانِ

قال فأجبتَه :

يا مالكَ السحريِّ والبيانِ وناظمِ الدرِّ والجُمانِ
أكرمُ بمولٍ أجاب عبداً فأقبلِ الدهرُ بالأمانِ
وانترحتُ دولةُ الثنائي واقتربتُ دولةُ التّداني
وكلُّ شيءٍ يكونُ عندي ملكك يا ناظرَ الزمانِ
وقد بعثتُ المدام تحكي جزءاً من أخلاقِكَ الحسانِ

الوزير أبو الوليد محمد بن عبد العزيز المعلم^١ :

بديع ذلك الزمان ، أحد وزراء المعتضد الكتاب الأعيان ، وممنّ

١ ذكره صاحب الجلاوة مرتين ٢٨٣ . ٦٥٠ (النسخة رقم : ٣٨٢ ، ١٥٧٢) فقال في
الموضع الأول إنه أديب شاعر يروي عنه ابنه عبد العزيز ، وأن ابن حزم ذكره ، وأورد
له في الموضع الثاني أبياتاً من قصيدة طويلة قالها في القاضي أبي العرج ابن العطار .

شهيرَ بالإحسان ، في صناعة النظم والنثر . ولم أقع له عند نقلي هذه النسخة إلا على التافه النثر ، وعلى ذلك فقد كتبتُ له منهما ما يشهد أنه كان من أهل الرواية والعلم ، وذوي الدراية والفهم .

فصول له من مقامة

قال في أولها : سقى عهدك أيتها الدمنةُ الزهراءُ كلَّ عهد ، وجاد قطرك أيتها الروضةُ الغناءُ كلَّ قطر ، وسال عليك من أدمي كلَّ ملئتَ مطَّال ، وتناوحتْ عليك من أضلعي كلَّ جنوب وشمال ، منشرةً أنوارك ، لا معقبةً آثارك ، ومهديةً أرجلك ونسيمك ، لا مغيرةً أطلالك ورسومك ، فكم لنا في واديك من بلهنية زمانٍ أنيق ، وفي مغانيك من رفاهية عيشٍ رقيق ، نُعلُّ بكأسي عتابٍ وإعتاب ، ونرتع في جنبتي صباً وتصابٍ ، غدوُّنا من عشيقٍ إلى صديق ، ورواحنا من صبوحٍ إلى غبوق ، وخليلنا مساعد ، وعدوُّنا مباعد ، ورقبينا أعمى ، وزماننا أعشى ، حتى إذا استيقظ الدهرُ من هجمته ، وهبَّ من غطيط رقدته وسكرته ، ضرب فوقنا بجرانه ، وصرفت إلينا لتهذم سِنانه ، ولبس لنا جِلْدَةَ النمرِ ، وقلَّب لنا ظهرَ المِجَنِّ ، وألقى علينا بَعَاعَهُ ، وطمس ذوننا شعاعَهُ ، مسترداً ما وهب وأعطى ، ومكدرّاً ما منح وأصفى :

أبدأُ تستردُّ ما تهبُّ الذرُّ يا فيا ليت جودها كان بخلا^٣

١ م س : جنبي .

٢ ط د : لنا .

٣ البيت للمتنبّي ، ديوانه : ٤٠٠ .

فما لبث أن صدعَ مَرُوتَنَا ، وقصمَ عُرُوتَنَا ، وحلَّ عَقْدَنَا ،
ونثرَ عِقْدَنَا .

وفي فصل منها : وكان لي أليف ، وعقيد شريف ، من صرحاء الاخوان ،
وصِيَابَةِ الفتيان ، ومُصَاصِ أعيانِ الزمان ، وحين سَوَّلتُ لي همتي ما
سَوَّلتُ ، وخَيَّلتُ لي أمنيتي ما خَيَّلتُ ، أَجَلْنَا قِدَاحَ الرَّأي ، وأسهمنا
بَيْنَ القُرْبِ والنَّأي ، شاورَ في أمري قَرِيحَتَهُ ، ونَحَلَّ لي نصيحته ، وقال :
أرى أن لا تريمَ بَيضَتَكَ^١ وأرومتَكَ ، وأنْ تُوطِنَ أرضَكَ ولا تفارقَ
عشيرتك ، وأربأ بك عن مُضِلَّاتِ المني ، وأعيذك من تُرَّهَاتٍ لعلَّ
وعسى . فتحسبُ كل بيضاء شحمة ، وتظنُّ كلَّ سوداء تمرة^٢ ، وربما
سَقَطَ العشاءُ بكَ على سِرْحَانٍ^٣ . وكلُّ الناسِ بكر ، وفي كلِّ وادٍ
بنو سعدٍ^٤ :

والرفق يمنٌ والأناةُ سعادةٌ فاستأنِ في رفقٍ تلاقٍ نجاحاً^٥

وان أبيتَ إلا التحولَ ، فعليك من الرؤساء . بأحلمِ الحلباء ، ومن القرباء
بأشرفِ الشرفاء ، ولا تَغُرَّتْكَ المناصبُ ، دونَ المناسبِ ، ولا المَقُولُ

١ ط د س : بجيفتكَ .

٢ انظر المثل « ما كل بيضاء شحمة » و « ما كل سوداء تمرة » في العسكري ٢ : ٢٨٧ (تحقيق
أبو الفضل) والميداني ٢ : ١٦٩ .

٣ انظر فصل المقال : ٣٦٢ والميداني ١ : ٢٢٣ والعسكري ١ : ٥١٤ (أبو الفضل)
والفاخر : ٢٠٦ وقد مر تخريجُه ص : ٨٣

٤ انظر العسكري ١ : ٦١ والميداني ١ : ٣٦ .

٥ بيت شعر للناطقة الذهباني (انظر اللسان والأساس : أنى ، وفصل المقال : ٣٢٨) .

دون المعقول ، ولا الدراهم دون المكارم ، وازهد في أكثر كل عين ،
واذكر قول [ابن] الحسين ^١ :

وما رغبت في عسجدٍ أستفيده ولكنّها في مفخرٍ أستجده ^٢

فلما سمعتُ ووعيتُ ، ارتكنتُ ^٣ وتوليت ، ثم أبيت قبولاً ، ليقضي
اللهُ أمراً كان مفعولاً ، وناقضتُ نصحةً بقولٍ حبيب ^٤ :

وإن صريح العزم والرأي لا مرى إذا بلغت الشمس أن يتحولاً

ومغترأ بقول الثاني ^٥ :

تلقى بكل بلادٍ أنت نازلها أهلاً بأهلٍ وجيراناً بجيرانٍ

وفي فصل منها : وصرّح لي الدهر عن أهله ، ووجدت الناس أخبر
تقله ^٦ ، من أمير لا أسميه ، ووزير أقبحيت الواو فيه ، وكاتب أمي ،
وقاض جبلي ^٧ ، وأمة مبورة ، في قرية مصورة ، وإذا اختلفوا أنشدوا :

ومن تكن الحضارة أعجبتّه فأى رجالٍ بادية ترانا ^٨

١ ديوان المتنبي : ٤٥٤ .

٢ م ط س : ارتكبت .

٣ ديوان أبي تمام : ٣ : ١٠٦ .

٤ م ط س : ومعنى القول الثالث .

٥ هذا من الحديث ، والهاء في « تقله » هاء السكت : ولفظ الحديث لفظ الأمر ، ومعناه الخبر ،

أي من خبرهم أبغضهم (التاج : قل) .

٦ جبلي : نسبة إلى جبل وقاضيها يضرب به المثل في الجهل (ثمار القلوب : ٢٣٦) .

وفي النسخ : حني .

٧ البيت للقطامي ، ديوانه : ٧٦ .

[١٧٣] فينا^١ أقرع السنين^٢ ، وأعض^٣ الكفين^٤ ، وأخضب^٥ بلا
حناء^٦ ، وأنشد^٧ في الأمراء :

وإذا نظرت^٨ إلى أمير^٩ي زادني كلفاً به نظري إلى الأمراء^{١٠}
إذ قرع^{١١} البشير^{١٢} بابي ، وطرق^{١٣} المستأذن^{١٤} حجابي ، قائلاً : رسول^{١٥}
مولاك ، وكتاب^{١٦}ه^{١٧} وافاك ، فقت^{١٨} أساقط^{١٩} من الجدل^{٢٠} ، وأعثر^{٢١} في دعائري^{٢٢} العجل^{٢٣} ،
مقبلاً^{٢٤} فاه^{٢٥} ، وصائحاً^{٢٦} : زاه .

وفي فصل منها : وأفضنا في وصف^{٢٧} معاليه^{٢٨} ، واستنشدني^{٢٩} فأنشدته^{٣٠} ما
قلته^{٣١} فيه^{٣٢} ، فقال : بزاعة^{٣٣} الفصحاء^{٣٤} ، وبراعة^{٣٥} الشعراء^{٣٦} ، دعني^{٣٧} من زخرف^{٣٨}
شعرك^{٣٩} ، وصيف^{٤٠}ه^{٤١} لي بمنصف^{٤٢} نثرك^{٤٣} ، فللمنظوم^{٤٤} رونق^{٤٥} ، وأنت^{٤٦} فيه^{٤٧} ذو
طولق^{٤٨} ، فقلت^{٤٩} : على^{٥٠} الخبير^{٥١} سقطت^{٥٢} ، وأنا^{٥٣} الكفيل^{٥٤} بما سألت^{٥٥} وشرطت^{٥٦} ،
وأسمعته^{٥٧} سجعاً^{٥٨} لا نظماً^{٥٩} ، ونثراً^{٦٠} لا شعراً^{٦١} ، فقلت^{٦٢} : هو^{٦٣} الإمام^{٦٤} الطاهر^{٦٥} ،
والكوكب^{٦٦} الزاهر^{٦٧} ، والأسد^{٦٨} الخادر^{٦٩} ، والبحر^{٧٠} الزاخر^{٧١} ، أوهب^{٧٢} الملوك^{٧٣}
للذخائر^{٧٤} ، وأعفاهم^{٧٥} عن الجرائر^{٧٦} ، وأرفعهم^{٧٧} قدرأ^{٧٨} ، وأوسعهم^{٧٩} صدرأ^{٨٠} ،
وأطيبهم^{٨١} ذكرأ^{٨٢} ، أعطر^{٨٣} من العنبر^{٨٤} ، في كل^{٨٥} منبر^{٨٦} ، وأفوح^{٨٧} من المسك^{٨٨} الذكي^{٨٩} ،
... ..

١ ط : فيها .

٢ م ط : وأنشدوا .

٣ البيت لمدي بن الرقاع العاملي ، انظر الشعر والشعراء : ٥١٧ وتمام المتون . ٣٣٩ - ٣٤٠ .

٤ طولق : انظر في شرح هذه اللفظة ١، ٢٦٨، ٣ : ٦٥٣ من الذخيرة ، وهو هناك شرح استعجمي ،
وقد جاء في شرح القصيدة الساسانية لصفي الدين الحلبي أن الطولق درج فيه تصاوير وتماثيل ،
انظر : C. E. Bosworth: The Mediaeval Islamic Underworld part II p. 73

(Arabic Part), p. 329 (Eng. Trans).

٥ ط : قدرأ .

٦ د : أطيب .

في كلّ نَدِيٍّ ، الحليمُ فما يغضب ، والجوادُ وما يرغب ، والشجاعُ وما
يرهب ، والقويُّ وما يعنف ، واللّينُ وما يضعف ، والرفيقُ^١ إذا ساس ،
والمصيبُ إذا قاس ، ينبوع كلّ جدل ، ودافع كلّ وجَل ، وحسبك بي
عنده^٢ من جليسٍ رئيس ، أكلّمُ منه سحبان ، وأخذ عن اقمان ، وأستزلُّ^٣
كبيوان :

له كبرياء المشتري وسعوده وسطوةُ بهرامٍ وظرفُ عطارد^٤

وقمر إلا أنه بشر ، وجبلٌ إلا أنه رجل ، بحرٌ علمٍ . وطودٌ حلم ،
وعالم في عالم ، الأصمعيُّ عنه ناقل ، والجاحظ عنه باقل . إذا ركب ضاق
عنه الأفق ، وإذا تبدّى وسع الدهر ندى ، وإن نطقَ بينَ وصدق ، وإن
كتب أبدعَ وأغرب ، نداه سحائب ، وكتبه كتاب ، مشرفيَّاته من
لسانه وبيانه ، وخطَّياته من أقلامه وبنانه . تمشق فيها جياذ فهمه ، ويمرّ
دررَ أشوالها من آدابه وعلمه ، ويسحبُ لها من فكره مضماراً . ويثير من
مداده قسطنطلاً وغباراً ، ويرتبُ فيها الحروفَ . ترتب الصفوف . ويمشق
بها في المهارق ، مشقّه في الطلّ والمفارق ، هذا إلى روحانية ملك ، في
تجليّة ملك . فاستطيرَ فرحاً ، وازدهى مرحاً . وخفّ ، فقام إليّ ،
ورفّ يقبلُ بين عينيّ ، وكأنه إنما نُشِرَ من قبر ، أو صحا من سكر ، وقال :
أصبتَ واللهِ القرطاس ، وبنيتَ على أساس . وفُزْتَ بالقدر المعلى ،
وتحلّيتَ من الجلى ، والحديثُ ذو شجون : متى الحركة ؟ وفيمَ التلومُ

١ س ط د م : والرفيق .

٢ م ط س : عندهم .

٣ ديوان أبي تمام ٢ : ٧١ .

٤ م ط س : وخاف .

والمقام ؟ وكنت شاكياً فقلت : رويدَ الإبلالِ ، وبُعَيْدَ الإقلالِ ^١ ، قال :
فَسِيرْ في كنف السَّلامة ، إلى وطن الكرامة .

وله من رقعة كتبها عن المعتضد إلى الوزير الفقيه أبي حفص الهوزني ،
قال فيها : وردني كتابك الأثير المقابل بين النثر البليغ والتنظم البديع ،
تَصَرَّفَتْ فيهما تَصَرُّفَ من إذا حاك الكلامَ طَرَزَ ، وإذا غشيَ ميدانَ
البيانِ برَزَ ، وأخذَ بأفاقِ العلوم ، وأشرقتْ خواطِرُهُ فيها كلُّ إشراقِ النجوم ،
ولإنها لفضيلةٌ بَعْدَ فيها شأوك ، وفات جَهْدُ المجارينَ لك عَقْوُك ؛
فأما ما صدرتَهُ به من بالغِ إطراء ، وسابغِ ثناء ، فأمرٌ أعلمُ أَنَّهُ صدرَ
عن عهدِ كريم ، ومعتقدٍ سليم ، أنا معتقدٌ عليهما بجميلِ القرض ،
والمجازاةِ الحسنةِ بهما في وكيدِ الفرض . واقتضيت ما تلا ذلك من وعظك
المبرور ، واحتسابك ^٢ المشكور ، في الحال التي أشرتَ إليها فأقنعتَ ،
ورَمَزْتَ ^٣ بها فأسمعت ، بصحةِ دينك ، وبرَدِ يقينك ، حتى نظرت
إلى ما دَهَمَ المسلمين من كَلَبِ العدوِّ عليهم : يمجسون ^٤ البسيط من
ديارهم ، ويستحيون ^٥ المحوط من ذمارهم ، ليس إلى الانقيادِ عن أحكامهم
دِفَاعٌ ، ولا سوى الانحياز من أمامهم امتناع ، قد تبيَّن لهم أنَّ تخاذُلنا
لهم علينا ناصراً ، وتواكُلنا مظاهير ^٦ مؤازر ، فلا يَعْدُمُونَ من يتخلى لهم

.....

١ رويد الإبلال ، الإقلال : يهاض في م د س ، وثبت في ط بخط مغاير لخط الأصل .

٢ في النسخ : واحسانك ، واثبت ما في هامش ط .

٣ ط د : وزمرت .

٤ م ط د س : ويحرمون .

٥ د : ويستحيون ؛ م ط س : ويستحيون .

٦ خ بهامش ط : مضافر .

عن بلد ، أو يعطيهم الجزية عن يدي ﴿ ولو شاء الله لانتصر منهم ، ولكن ليلو بعضكم ببعض ﴾ (محمد : ٤٧) .

ولقد شرحت من تلك [٢٣ ب] النصب ما يُسهرُ التواظر ، ويبلدُ الخواطر ، ولا يدع ركنَ عزٍ إلا أواه ، ولا بناء جلد إلا أرداه ، ولا عِدَّةً^١ صَبْرٍ إلا أغاضه ، ولا تَمَدَّ دمعٍ إلا أفاضه ، وإن الحذرَ أن تَغشَى^٢ التي لا شَوَى لها ، وتغْجأ التي لا لَعاً منها ، فَيُرَامُ من ذلك استكفافٌ سَيَلٌ من التلفِ قد انحدر ، وَيُنْظَرُ في أعقابِ نجمٍ من الثلاثي قد انكدر ، إلا أن يعودَ الله علينا برحمته ، ويهيء لنا أسبابَ عِصْمَتِهِ .

وأما ما ندبتُ إليه ، وحضضتُ عليه . من إحفاد^٣ السعي فيما يَقْنَعُ المشركين - بدّهم الله - ويجمعُ عليه كلمةَ المسلمين ، فيعلمُ الله أني قد ناجيتُ بذلك وناديتُ ، وراوحتُ فيه وغاديتُ ، وبثتُ رسلي إلى ذلك داعين . يَصِلُونَ التذكرة . ويوكِّلونَ البصرة ، ويتلون الموعظة ، ويستثيرون الحفاظ . قَصَصَتِ السامعُ ، وافقت في الثاقلِ المنازع ، وَخَلَّجَ^٤ بالخلدان ، وَتُجَوِّزُ الجمجمةُ في ذلك إلى الإعلان ، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى .

وفي فصل منها : وأما إزماعك للتنقل . وأن أرسَمَ لك مكانَ التحول ، فأني مكان يكون ذلك سوى وطنِكَ الذي تعرَّفْتَ فيه سابغَ الأمنِ ،

١ د : بحر .

٢ م : تمثي .

٣ في النسخ : إجهاد والاحفاد : الاسراع .

٤ م : وجلج ؛ س : وجلج .

وَتَلَقَّيْنَتْ فِيهِ طَائِرَ الْيُمْنِ ، ولم تُعَدِّمْ المحلَّ الرفيع ، والجانبَ المنيع ،
والسكونَ مِنِّي إلى مَنْ لم يزلْ يعتمدُك بليثاره ، ويشاركُك في خاصِّ أسرارهِ ،
ويرفعُ قَدْرَكَ فوقَ أقدارِ الأكفَاءِ ، ويحطُّ عن منزلتِكَ منازلَ النظراءِ ،
وان كان قد جرى قَدْرٌ بمفارقةٍ فكانت سليمة لم يتبعها إلا حالٌ لك محوطة
محفوظة ، وساقية^١ بعينِ الصَّيَانَةِ مكلوَّة^٢ ملحوظة .

وهذه أيضاً جملة من شعره

له في المعتضد من قصيد أوله :

دُونَ الْأَحْبَةِ بِالْوَعَاءِ أَعْدَاءُ	وَسَلَّمْتُ كُلَّ بَعِيدٍ إِلَيْهِمْ هَيَّجَاءُ
وَالْحَبَّ كَالْمَجْدِ لَا يَنْفَكُ مِنْ كَبَدِ	فِيهِ يَلْدُ لَنَا بؤْسٌ وَنِعْمَاءُ
حَضِيظَةٌ مِنْكَ عَيْنُ اللَّهِ تَكَلُّوْهَا	وَشِيْمَةٌ شَيْبَمٌ مِنْهَا الْعَيْنُ وَالطَّاءُ
وَهِيَّةٌ لَمْ تَزَلْ تَعْنُو إِلَيْكَ بِهَا	وَالدِّينُ يُخْبِطُ مِنْهُ اللَّيْلَ عَشَوَاءُ
مَدُّوا إِلَيْكَ أَكْفَ الْبَغْيِ فَانْجَذَمَتْ	وَقَدْ خَلَّتْ مِنْهُمْ بِالسَّيْفِ أَقْفَاءُ
وَقَادَةَ فِي وَجْهِ الْقَوْمِ أَحْجَلْهَا	مِنْ حَدِّ سَيْفِكَ تَوْبِيخٌ وَإِدْمَاءُ
أَبْنَاءُ دَابَّةٍ مِنْ مَقْطُوفٍ هَامِهِمْ	عَلَى الْجُلُوعِ لَهَا وَقَعٌ وَإِقْعَاءُ
قَوْمٌ هُمْ نَبَلُوا الْإِسْلَامَ قَاطِبَةً	عَنْهُمْ كَمَا نَبَذَ الْأَمْوَاتُ أَحْيَاءُ

ومعنى البيت الثاني منها كقول جيب^٣ :

.....

١ هذا يعني ان الهوزني قد خلف له أقرباء في اشبيلية حين ارتحل عنها .

٢ ط س : مطوف .

٣ ديوان أبي تمام ٢ : ١٨ .

كَأَنَّهُ كَانَ تَرِبَ الْحَبَّ مُدُّ زَمَنِ فليس يُعْجِزُهُ قَلْبٌ وَلَا كَيْدُ

وَأَخَذَهُ أَبُو الطَّيِّبِ فَقَالَ ١ :

وَقَدْ صُغِّتَ الْأَسِنَّةَ مِنْ هُمُومٍ فَمَا يَخْطُرُنَ إِلَّا فِي فُؤَادِ

وَقَالَ مِنْ أُخْرَى ٢ :

سَحَبَتْ عَلَى أَثَرِ الْخِيَالِ ذِيولاً
عُلِّلْتُ مِنْكَ بِكُلِّ وَعْدٍ كَاذِبٍ
لَوْ كُنْتُ صَادِقَةً رَحَلْتُ إِلَى الصَّبَا
سَقِيًّا لِعَهْدِكَ وَالشَّبَابُ مُلَاءَةٌ
أَيَّامَ أَمْرَحُ فِي الصَّبَابَةِ خَالِعاً
وَأَصِيدُ بَيْنَ حِمَائِلِي وَحِبَائِلِي

ومنها :

يَا هَذِهِ عَنِّي إِلَيْكَ فَانَّ لِي
مَنْ لَمْ يَبْتَ عِنْدَ ابْنِ عَبَّادٍ فَقَدْ
أَمَلًا بِأَعْيَانِ السَّمَاءِ كَفَيْلَا
ضَلَّ السَّبِيلَ وَأَخْطَأَ التَّأْمِيلَا

ومنها في وصف حربه مع صاحب سبته :

فَارِخُ جِيَادِكَ فَهِيَ أَطْلَاحُ السَّرَى
أَنْشَأْتَنَ سَفَائِنًا وَمِدَائِنًا
دَهْمٌ تُخَالُ الْبَيْضَ فِي أَوْسَاطِهَا
قُرِعَتْ بِأَوْسَاطِ الرِّيحِ فَأَسْرَعَتْ
وَقَدْ الْجِيُوشَ إِلَى الْعِدَا أُسْطُولَا
وَجَنَّبَتْهُنَّ كَتَائِبًا وَرَعِيلَا
بَلَقًا وَفِي أَطْرَافِهَا تَحْجِيلَا
فِي الْمَاءِ تُعْمِلُ كَكَكَلَا وَتَلِيلَا

١ ديوان المتنبي : ٧٩ .

٢ وقع هنا غرم في م .

قوله : « لو كنت صادقة » . . . البيت ، نقل لفظه من قول أبي الطيب^١ :
خُلِقْتُ أَوْفَاً لو رُدِدْتُ إلى الصَّبَا لفارقت شبي مَوْجَعِ القلبِ بِأَكْبَا
وقال محمد بن هاني^٢ :

لخَطَطْتُ شَيْئاً من عِذَارِي كَاذِباً ومحوت مَحَوَ النفس عنه شَبَابَا
وخَفِضْتُ مَبِيضَ^٣ الحِدادِ عَلَيْكُمْ لو أَنِّي أَجِدُ البَيَاضَ خَضَابَا
وله من أخرى في المعتمد^٤ :

أَشِيتَ البرقَ بات له ائْتِلاق تضيء به الأماعز والبُرَاقُ
وبين جوانحي قلبٌ مُطارٌ جناحه اذْكَارٌ واشْتِياقُ
ومنها :

ولم أنسَ الكَيْثَبَ وَلَيْلَتَيْهِ كأنهما اختلاسٌ واستراق
نجوم الراح في أفلاك راحٍ مشارقها المِطْرِقة الرقاق
وشدوٌ تطرب الألفاظ عنه كما نُفِضَتْ من الدرِّ الحقائق
وأفصح من أبان النصح عنه يدٌ نبطت بها قَدَمٌ وساق
تَذَكَّرْتُ الصَّبَابَةَ والتَّصَابِي هنالك إذ تروق ولا تراق
ونحن كأننا غُصْنَا أَرَاكَ قد اشتبكنا وضمَّهما اعتناق
ذراعاه على عُنُقِي نَجَادٌ وساقاه على كَشْحِي نطاق

١ ديوان المتنبي : ٤٤٠ .

٢ ديوان ابن هاني : ١٩٩ .

٣ الديوان : مسود .

٤ في المعتمد : لم ترد في ط س .

٥ س ط : السحر .

إذا ما الشمس ورّسها أصيلٌ أدالَ الإصطباحَ لها اغتباقُ
ومن نعيمِ ابنِ عبادٍ كؤوسٌ نُعلُّ بها وأقداحُ تُثاقُ
ومن كفِّ الربيعِ لنا ربيعٌ يصوب حياً ومن حمصٍ عراقُ

وله فيه وقت انصراف قرطبة إليه ، وقتل ابن عكاشة على يديه :

صفا لك الشربُ كانت فيه أقذاءُ وعاد بُرءٌ على ما أفسدَ الداءُ
ولن يُعَجَّلَ مقدورٌ له أجلٌ وللأمورِ مواقيتُ وآناءُ [٢٤ب]
وقد تباطأ وحى الله آوئةٌ عن النبيّ وغابت عنه أنباءُ
فليهنك الصنعُ قد راقَت عواقبهُ وشُفِّعتْ عنه بالآلاءِ آلاءُ
فتحٌ كما وضعَ الإصباحُ منه على آفاقٍ مُلُكك لإشراقٍ ولآلاءِ

ومنها في رثاء ابنه :

الظافر الذفر الذكري معطرةٌ منه المنابرَ ألقابٌ وأسماءُ
رزيمته فاحتسبهُ عند خالقه زُلُفَى بذلك تقريبٌ وإدناءُ
ولو أفادَ عليك الحزنُ فائدةً لكان صخرأً وكلّ الناسِ خنساءُ
تشرفت بك دولاتٌ وأزمنةٌ وفاخرتْ بك أمواتٌ وأحياءُ

ومن مرثية له في المعتضد :

عليك أبا عمروٍ سلامٌ مُودَعٍ له كبدٌ بين الضلوعِ دُخيلٌ
عممت الورى بالكلّ فيك رزيةٌ وقَبَّحتْ وَجْهَ الصبرِ وهو جميلٌ
فمن شاء فليَنظُرْ بعينِ حقيقةٍ فبك لنا وعظّم مداهُ طويلٌ
يرى الأرض فيها الأرض كيف تزلزلت بنا ويرى الأطوادَ كيف تزول
أفَلَنْتَ فعادت حمصٌ بعدك دُجّةٌ كأنك شمسٌ والزمانُ أصيلٌ

١ س ط : وأحاديث نشاق ، وثقاق : غففة من ثقاق أي تملأ .

وكتب إلى الوزير أبي عامر بن مسلمة من جملة أبيات :

يا ابن الكرام السادة الخُلص	قولا بلا إفك ولا خَرَص
ماذا نرى في القصف متكثراً	مع رنة الطنبور والرقص
فلعلني أشفي بريقتها	من عارض في الصدر كالغصص
والذ عند سماع مُبْهَجها	من طيب الأخبار والقصص
أهل العراق على مذاهبها	لا تلق منهم غير مرتخص

فأجابه أبو عامر بأبيات منها :

يا جهبذاً قد قال بالرخص	القصف عندي غاية الفرص
مع ماجد حلوي شمائله	ذي حُنْكة للهو ^١ والقنص
فإذا مضت للفطير ثانية	أرسلت خيل ^٢ اللهو للقنص
فجرت لدى الميدان جامحة	وجريت في لبس من الرخص
في مجلس قد طاب مجلسه	خال من التكدير والنقص

الأديب أبو الوليد اسماعيل بن محمد الملقب بحبيب^٣ :

كان سديدَ سهمِ المقال ، بعيدَ شأو الروية والارتجال ، والأديب

١ م : باللهو .

٢ أبو الوليد اسماعيل بن محمد بن عامر بن حبيب . الملقب بحبيب ، وقال ابن الأبار إن أباه كان يلقب بذلك . توفي في حدود ٤٤٠ وهو ابن اثنتين وعشرين سنة (وقال ابن سميذ : ابن تسع وعشرين سنة) ؛ وذهب ابن سميذ إلى أن المتفد هو الذي قتله ، وكان له أخ اسمه محمد بن محمد بن عامر وهو شيخ أبي بكر ابن العربي ؛ وكانت لأبيه قدم في الرئاسة عند المتفد كما أشار ابن بسام في هذا الجزء . (انظر الجذوة . ١٥٢ والبغية رقم : ٥٣٤ والتكملة : ١٨٠ والمغرب ١ : ٢٤٥ والنفع : ٣ : ٤٢٧ والمسالك ١١ : ٢١٥) ٤ وكتابه « البديع في فصل الربيع » نشر بتحقيق هنري بيريس ، الرباط : ١٩٤٠ .

أبو جعفر بن الأبار هو الذي أقام قناته ، وصقل - زعموا - مرآته ، غاطلعه شهاباً ثاقباً ، وسلك به إلى فنون الآداب طريقاً لاحقاً ، ولو تحاماه صرّف الدهر ، وامتد به قليلاً طلقُ العمر ، لسدَّ طريق الصباح ، وغبّر في وجوه الرياح . توفي ابن اثنتين وعشرين [٢٥ أ] سنة ، فذهب بأكثر ما كان في ذلك الوقت من حسنة ، وقد أعرب عن ذلك من أمره بأبيات شعر قرأها على قبره ، وله كتاب سمّاه « البديع في فصل الربيع » جمع فيه أشعار أهل الأندلس خاصة ، أعرب فيه عن أدب غزير ، وحظ من الحفظ موفور ، وقد أخرجت من نثره ونظمه ، ما يشهد بغزارة علمه وفهمه .

فصل من نثره

قال في صدر التأليف الموصوف^١ : فصل الربيع أرج وأبهج ، وأنس وأنفس ، وأبدع وأرفع ، من أن أحدَ حُسْنِ ذاته ، وأعدَّ بديع صفاته ، وهو مع سماته الرائقة ، وآلائه الفائقة ، لم يعن بتأليفها أحد ، وما انفرد بتصنيفها^٢ منفرد .

وله فصل من أخرى إلى أبيه^٣ : لما خُلِقَ الربيعُ من أخلاقك الغرّ ، وسرّقَ زهره من شيمك الزهر . حَسُنَ في كلِّ عين منظره . وطاب في كلِّ سمع خبّره ، وتاقت النفوسُ إلى الراحة فيه ، ومالت إلى الإشراف

١ البديع ١٠ .

٢ البديع . بتأليفه . . . بتصنيفه .

٣ البديع : ٢٨ - ٢٩ والفتح ٣ . ٤٢٧ والمطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل ص ٤ .

٤ البديع والمطاء . لكل .

على بعض ما يحتويه . من النور الذي كسا الأرض حُللاً ، لا يرى الناظرُ
في أثنائها حُللاً . فكانها نجومٌ نُشِرتْ على الثرى ، وقد مُلِئتْ مسكاً وعنبراً ،
إن تَنَسَّمَتْهَا فَأَرَجَةً ، أو تَوَسَّمَتْهَا فَبِهْجَةً ، تروقُ العيونَ أجناسها ،
وتُحيي النفوسَ أنفاسها :

فالأرضُ في بردةٍ من يانعِ الزَّهرِ تُزري إذا قِستَها بالوشي والحبرِ
قد أحكمتها أكفُ المزنِ واكفةً وطرزتها بما تهمي من الدررِ
تبرَّجتْ فسَبَّتْ منَّا العيونَ هوىً وفنته بعد طولِ السَّترِ والخضرِ

فأوجدني سبيلاً إلى إعمال بصري فيها ، لأجلو بصيرتي بمحاسنِ نواحيها ،
والفصلُ على أن يكملَ أوانه ، وينصرمَ وقتهُ وزمانه ، فلا تُخليني من
من بعضِ التشفِّي منه ، لأصْدِرَ نفسي متيقِّظة عنه ، فالنفوسُ تصدأ كما
يصدأ الحديد ، ومن أجمَّها فهو السَّديدُ الرشيد .

وله من أخرى إلى بعض إخوانه^١ : قد علم سيدي أن بمرآه يكملُ جذلي ،
ويدنو أُملي . وقد خللتُ محلاً عنيّ الجوى بتحسينه ، وانفردَ الربيعُ بتحسينه ،
فكساه حُللاً من الأنوار ، بها ينجلي صدأ البصائر والأبصار ، فمن مكثومٍ^٢
يعبقُ مِسْكُهُ ، ولا يمنعه مَسْكُهُ ، ومن بادٍ يروق مجتلاه ، ويفوق مجتناه ،
في مرآه ورياه ، فتفضَّلْ بالخفوفِ نحوي ، وتعجيلِ اللحاقِ بي ، لنجددَ^٣
من الأتس مغاني دَرَسَتْ ، ونفكَّ من السَّرورِ معاني قد أشكلت وأبست^٤ ،

١ البديع : ٢٩ .

٢ البديع . ٣٠ . والمطاء الجزيل : ٢ .

٣ البديع . مكثوم .

٤ في السخ . وأبست .

ونشكر للربيع^١ ، ما أَرانا من البديع .

قال ابن بسام : ووجدت لأبي الوليد هذا رسالةً عارض بها إبا حفص ابن برد في رسالته في تقديم الورد على سائر الأزهار . فخرج فيها أبو الوليد — خروج أبي حفص بن برد — على الورد، ودعا إلى البهار، وأسمع سائر الأنوار، فنصبه إماماً، ولولا اشتهار فضل الورد لكانت لزماً، وقد اقتضبت من الرسالتين قبض فصول، تخفيفاً للتثقيب، وجمعاً للشمل، ومقابلة للشكل، وقدّمت رسالة ابن برد، على حُكْم الإحسان ومقتضى النقد، وهي رقعة خاطب بها ابن جمهور^٢، قال فيها^٣ :

أما بعد ، يا سيّدي ومَن أنا أفديه . فانه ذكر بعض أهل الأدب المتقدمين فيه، وذوي الظرف المعنّين بِمُلَحِّ معانيه . أن صنوفاً من الرياحين، وأجناساً من أنوار البساتين ، جمعها في بعض الأزمنة خاطراً خطّرت بنفوسها . وهاجس هَجَسَ في ضمائرها . لم يكن لها بدٌّ من التفاوض فيه والتحاور ، والتحاكم من أجله والتناصف ، وأجمعت على أن ما ثبت في ذلك من العهد ، ونقّدت من الحيلف ، ماضٍ على من غاب شخصه . ولم يثن منها وقته ، فقام منها قائمها فقال : يا معشر الشجر . وعامة الزّهر . إن الله تعالى اللطيف الخبير^٤ [٢٥ ب] الذي خلق المخلوقات ، وذراً البريّات . باينَ بين أشكالها وصفاتها ، وباعد بين مَنَحْها وأعطيّاها . فجعل عبداً وملكاً . وخلق قبيحاً

١ ط م د س : الربيع .

٢ هو أبو الوليد ابن جمهور ، وفي المعطاء الخزيل : ابن جمهور .

٣ البديع : ٥٢ (وابن بسام يوجز في النقل) وانظر أيضاً المعطاء الخزيل ١٢٦ - ١٢٧

ونهاية الأرب ١١ : ١٩٦ .

٤ المعطاء : إن اللطيف الخبير .

وحسناً . فضلَ بعضاً على بعض^١ حتى اعتدل بَعْدَ لِه الكُل^٢ ، واتَّسَقَ على لطف قدرته الجميع ، فجعل لكل واحد منها^٣ جمالاً في صورته . ورقة في محاسنه . واعتدالاً في قدّه ، وعبقاً في نسيمه ، ومائيّة في ديباجته ، وقد عطفت علينا الأعين . وثنت إلينا الأنفس ، وزهت بمحضرنا المجالس ، حتى سَقَرْنَا بين الأحبّة ، ووصلنا أسباب القلوب ، وتحملنا لطائف الرسائل ، وصيغ فينا القريض ، وركبت على محاسننا الأعاريض ، فطمع بنا العُجب . وازدهانا الكبر ، وحملنا تفضيل مَنْ فضلنا ، وإيثار مَنْ آثرنا ، على أن نسيئنا الفِكرَ في أمرنا ، والتمهيدَ لعواقبنا ، والتطبيبَ لأخبارنا ، وادعينا الفضلَ بأسره ، والكمالَ بأجمعه ، ولم نعلم أن فينا من له المزيّة علينا ، ومن هو أولى بالرياسة منا ، وهو الورد الذي إن بدلنا الإنصافَ من أنفسنا ولم نَسْبَحْ^٤ في بحرِ عمانا ، ولم نَمِلْ مع هوانا ، دِنّاً له ، ودعونا إليه ، فمن لقيه منا حيّاه بالملك ، ومن لم يدرك زَمَنَ سُلْطَانِهِ . ودولة أوانِهِ ، اعتقد ما عُقِدَ عليه ، ولبّي ما دُعِيَ إليه ، فهو الأكرمُ حَسَباً . والأشرفُ زَمَناً ، إن فَقِدَ عَيْنُهُ لم يُفْقَدْ أثره . أو غاب شخصه لم يَغِبْ عَرَفُهُ . وهو أحمر والحمرة لون الدم ، والدم صديقُ الروح . وهو كالباقوت المنضد ، في أطباق الزبرجد . وعليها فرائد المسجد ، وأما الأشعار فبمحاسنه حَسُنَتْ ، وباعتدال جماله وَزِنَتْ .

١ البديع والعتاء . فصل على بعض بعضاً

٢ البديع والعتاء . ما .

٣ البديع . تركض

٤ العطاء . عليها .

وفي فصل منها : وكان ممن حضر هذا المجلس من رؤساء الأنوار والأزهار ، الرجس الأصفر والبهار . والبنفسج والخيريّ النمام^١ . فقال الرجس الأصفر : والذي مهد لي حِجْرَ الثرى ، وأرضعني ثديّ الحيا ، لقد جئت بها أوضح من لبّة الصباح ، وأسطع من لسان المصباح ، ولقد كنت أسير من التعبّد له والشغف به ، والأسف على تعاقب الموت دون لقائه ، ما أنحل جسمي ، ومكّن سُقْمِي ، وإذ قد أمكن البوح بالشكوى ، فقد خفّ ثِقْلُ البلوى .

ثم قام البنفسج فقال : على الخبير سقطت ، أنا والله المتعبّد له ، والداعي إليه . المشغوف به ، وكفى ما بوجهي من ندوب ، ولكن في التأسي بك أنس .

ثم قام البهار فقال : لا تنظرنّ إلى غصارة منبتي ، ونضارة ورقّي^٢ ورقتي ، وانظروا إليّ وقد صرتُ حدقةً باهتةً تشير إليه ، وعيناً شاخصة تندي بكاءً عليه :

ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي^٣

ثم قام الخيريّ^٤ فقال : والذي أعطاه الفضلَ دوني ، ومدّ له بالبيعة يميني ، ما اجتأرت قطّ لإجلالاً له ، واستحياءً منه ، على أن أتففس نهاراً ، أو أساعد في لذّة صديقاً أو جاراً . فلذلك جعلتُ الليلَ سترأ ، وانخذت جوانحه كيناً .

.....

١ المطاء : وهو النمام .

٢ د : رونقي .

٣ للخنساء ، ديوانها : ١٥٢

٤ المطاء : الخيري النمام .

فلما استوت آراؤها قالت : إن لنا أصحاباً ، وأشكالاً وأنساباً ، لا نلتقي بها في زمن^١ ، ولا نجاورها في وطن ، فهلم فلنكتب بذلك عَقْداً ينفذُ على الأقاصي والأداني : فكتبوا رقعةً نُسِخَتْها : هذا ما تحالفتُ عليه أصنافُ الشجر ، وضروبُ الزهر ، وسميُّها وشتويُّها ، وربيعيُّها وقطيُّها ، حيث ما نَجَمَتْ من وهادٍ^٢ أو ربوة ، وتفتَّحتْ من قرارةٍ أو حديقة ، عندما راجعت من بصائرِها ، وألمت من مرادها ، [واعترفتُ بما سلف^٣] من هفواتها ، وأعطتُ للورد قيادتها ، ومَلَكْتُهُ أمرها ، وعرفتُ أنه أميرها المقدمُ لخصاله^٤ فيها ، والمؤمَّر لسوابقه^٥ عليها ، واعتقدتُ له السَّمع والطاعة ، والتمتُ له الرقَّ والعبوديَّة ، وبرئت من كل زهير نازعته نفسه المباهاة^٦ له . والانتزاعَ عليه . في كلِّ وطن ، ومع كلِّ زمن ، فانه زهرة قضى عليها لسان الأيام هذا الحلف ، فلتعرف أن إرشادها فيه ، وقيام أمرها به .

وأما رسالة أبي الوليد فخطب [٢٦ أ] بها المعتضد يومئذ [قال] فيها^٧ : فأول من رأى ذلك الكتاب . وعائِنَ الخطاب . نواوير فصل الربيع التي هي جيرةُ الورد في الوطن ، وصحابتهُ في الزمن . ولما قرأته أنكرت^٨

١ ط م : زمناً في زمن .

٢ العطاء : تلمة .

٣ زيادة من البديع والعطاء الجليل .

٤ العطاء : بحالسه .

٥ العطاء : بسوابقه .

٦ ط م د س : نازعه المباهاة .

٧ البديع : ٥٨ والعطاء الجزيل ١٢٧ .

٨ البديع : أكبرت .

ما فيه ، وبنت على هدم مبانيه ، ونقض معانيه ، وعرفتِ الورد بما عليه ،
 فيما نسب إليه . من استحقاقه ما لا يستحقه ، واستتهاله ما لا يستأهله . ورأتُ
 أنْ مخاطبةً من أخطأ تلك الخطيئة ، وأدنى من نفسه تلك الدنية . تدبيرٌ
 دَبْرِيٌّ ، ورأيٌ غيرُ مرضي ، فكتبت إلى الأقباح والخيري الأصفر كتاباً
 قالت فيه : لو استحق الوردُ إمامةً ، واستوجب خلافةً . لبادرتُها آباؤنا ،
 ولعقدنا أوائلنا ، التي لم تزل تجاوره في مكانه . ونجىء معه في أوانه ؛
 ولا ندرى لأي شيءٍ أوجبَتُ تقديمه ، ورأتُ تأهيله ، بما غيرهُ أشكلُ
 له وأحق به ، وهو تَوَرُّ البهار ، البادي فضله بُدُوّ النهار ، والذي لم يزل
 عند علماء الشعراء ، وحكماء البلغاء ، مشبهاً بالعيون التي لا يحول نظرها ،
 ولا يحورُ حَوَرُها ، وأفضلُ تشبيهِ الوردِ بنضرة الخلد عند من تشبّع فيه ؛
 وأشرفُ الخواص العين ، إذ هي على كل مُتَوَلٍّ عينٌ^٢ ، وليس الخلدُ حاسةً ،
 فكيف تبلغه رئاسة ؟ :

أينَ الحدودُ من العيونِ نفاسةً ورئاسةً لولا القياسُ الفاسدُ^٣
 وأصح تشبيه الورد وأقربه من الحق قول ابن الرومي في الشعر الطائي^٤
 ولقد وافق ووفق . وشبهه فحقّق .

.....

١ العطاء : لا يحول . . . ولا يحول .

٢ البديع : متول ؛ وفي النسخ : متول عون ، وآثرت قراءة العطاء الجزيل .

٣ البيت لابن الرومي ، انظر ديوانه ٢ : ٦٤٤ وتشبيهات ابن أبي عون : ١٩٣ وديوان

المعاني ٢ : ٢١ وحلقة الكميت : ٢٠٢ ؛ وعند هذا البيت ينتهي ما جاء من هذه الرسالة

في العطاء الجزيل .

٤ يشبر إلى قول ابن الرومي في هجاء الورد (حلقة الكميت : ٢١١) :

وقاتل لم هجوت الورد معتمداً فقلت من رقبته عندي ومن سخطه

كانه سرم بفل حين يخرج منه عند الراز وبقي الروث في وسطه

وطول أبو الوليد في رسالته هذه ، وختمها بمبايعة الأزهار للبهار .
فرجعت عن تقديم الورد في خبر طويل .

ومن شعر أبي الوليد في أوصاف شتى

قال يصف ورداً بعث به إلى أبيه ^١ :

يا من تأزَّرَ بالمكارم وارتدى	بالمجد والفضل الرفيع الفائق
انظر إلى خدَّ الربيع مركباً	في وجه هذا المهرجان الرائق
وردٌ تقدَّم إذ تأخَّر واغتدى	في الحُسْن والإحسان أول سابق
واقاك مشتملاً بثوب حياته	خجلاً لأنَّ حيَّاك آخر لاحق

وقال فيه ^٢ :

إنما الوردُ في ذرَى شَجَرَاتِهِ	كأجلَ الملوك في هَيَاتِهِ
نفحة المسك من شذا نَفَحاتِهِ	خَجَلُ الخدِّ من سنا خَجَلَاتِهِ
مُرْجَتُ حمرة اليواقيت بالدرِّ	فجاءت به على حَسْبِ ذاته
مثل ما جاء من سماح وبأس	خَلَقُ الحميري سُمُّ عِدَاتِهِ
إن يَعيدُ فالوفاء حَقُّمٌ عليه	فَرَضُهُ في صِلَاتِهِ كَصَلَاتِهِ

وقال ^٣ :

.....

١ البديع : ١٢٨ ونفع الطيب ٣ : ٤٢٨ .

٢ البديع : ١٢٩ .

٣ البديع : ١٥٥ والمساك ١١ : ٢١٥ والنفع ٣ : ٤٢٨ .

أقوى الباقلاء الباقلُ اللون لا بساً
تري نوره يلتاح في ورقائه
لبرد^٢ سماء من سحابها غذي
كبتلقي جياذ في جلال زمرذ
وقال^٣ :

سكان نور الكتان حين بدا
أكف فيروزج معاصمها
وقد جلا حسنه صدا الأنفس
قدسترتهن خضرة الملبس [٢٦ب]
أولا فزرق الباقوت قد وضعت
على بساط يروق من سندس
وقال^٤ :

وقهوة لا يحدّها مبصر
إذا دنت فالسرور مبتسم
رقّت وراقت في أعين النظّر
وان نأت فالسرور مستعبر
كانها والحباب يحجبها
غنيت عنها فلبست أقربها
بحر من التبر يقذف الجواهر
بناظر منه يسكر المسكر

وبيته الثالث في هذه من التشبيه الذي ما له من شبيه ، وأما بيته الأخير
منها فمن قول ذي الرمة :

وعينان قال الله سمونا فكانتا
وزاد أبو الوليد زيادة حسنة : لم يقنع أن يفعل ناظره فعل الحمر حتى
أسكرها منه . وقال :

.....

١ البديع : أدى .

٢ البديع : برود .

٣ البديع : ١٥٧ والمساك نفسه .

٤ منها بيتان في المساك .

٥ ديوان ذي الرمة : ٤٧٨ .

وكأسٍ لما كَيْسٌ على اللبِّ والعقلِ
 كأنَّ حَبَابَ الماءِ في جَنَبَاتِهَا
 تزيدُ ذوي الألبابِ فضلاً ولم تزل
 غنيتُ بمن أهواءٍ عن نشواتِها
 شمولُ تريكِ الأنسِ مجتمَعِ الشَّمْلِ
 دروعُ لُجَيْنٍ قد جَلَّتْهَا يدُ الصقلِ
 تُدِيلُ بطيخِ الجودِ من طَبَعِ البخلِ
 فمن طَرَفِهِ خمرِي ومن ريقه نُقْلِي

وقال :

حِمامٌ بلحظك قد حُمَّ لي
 وإن لم تُغْنِنِي بمعنى الحياة
 فها أنا قاضٍ بدماءِ الهوى
 فيا لَيْتَ قَبْرِي حَيْثُ الهوى
 عسى مَنْ تَلَفْتُ بِحَبِي له
 فإن جاد بالوصل بعد الوفاة
 فيا صاحبيَّ هناك احفرا
 إذا ما أدركتُ كؤوسَ الهوى
 مُدَامُ تَعَتَّقُ بالناظرين
 فما زال يهدي إلى مقتلي
 من ريق ميسمك السلسلِ
 وقاضي جمالك لم يَعْدِلِ
 فأكرمُ بذلك من منزلِ
 يرقُّ على ذي بلاءٍ بُلي
 رجعتُ إلى عيشي الأولِ
 ولا تحفرا لي بقطرِبلِ
 ففي شربها لست بالمؤثلي^٢
 وتلك تَعَتَّقُ بالأرجلِ

وهذا البيت مما أغربَ به على الألباب ، وأعرب فيه عن موضعه من الصواب ، وبينه وبين قول أبي الطيب شبه بعيد ، ولكن لأبي الوليد فضلُ التوليد ، وحسنُ من النقل ليس عليه مزيد ، وهو قوله^٣ :

١ د : أردت ؛ ط س : رأيت .

٢ هذا البيت والذي يليه في المغرب ١ : ٢٤٥ ورايات المبرزين ٣٩٠ (١١ غ) والنفع والمساك

٣ ديوان المتنبي : ٣٣٠ .

انظر إذا اختلفَ السيفانِ في رَمَجٍ إلى اختلافهما في الخلقِ والعملِ
هذا أعدٌ^١ لريب الدهر منصلاً وعدُّ ذاك^٢ لرأس الفارسِ البطلِ
وقال الآخر وإن لم يكن به :
بالهند تُطَبِّعُ أسيافُ الحديدِ وفي بغداد تُطَبِّعُ أسيافُ من الحديدِ

الأديب أبو جعفر أحمد بن الأبار^٣

أحد شعراء المعتضد المحسنين المتقنين [٢٧ أ] انتحل الشعرافتن^٤ وتصرف ،
وعُنيَ بالعلم فجمع وصنَّف ، وله في صناعة النظم فضلٌ لا يُرَدُّ ، وإحسانٌ
لا يعدُّ ، وقد كتبتُ طرَفًا مما أبدع ، ليكونَ أعدلَ شاهدٍ على أنه تقدَّم
وبرع .

ما أخرجته من شعره في أوصاف شتى

قال^٥ :

لم تدري ما خَلَّدَتْ عيناك في خلدي من الغرامِ ولا ما كابدتُ كبدي

١ الديوان : هذا الممد .

٢ الديوان : أعد هذا .

٣ هو أحمد بن محمد الحولاني الاشيلي (- ٤٣٣) ، كان كثير الشعر (انظر ترجمته
في ابن خلكان ١ : ١٤١ والجدوة : ١٠٧ وبنية الملتبس رقم : ٣٦٤ والمغرب ١ : ٢٤٣
والمسالك ١١ : ٤١٨ والوافي ٨ : ١٣٧ وله أشعار في الفح والبديع في فصل الربيع) .

٤ انظر الوافي ٨ : ١٣٧ ومنها بيتان في المسالك .

أفديك^١ من زائر رام الدنوّ فلم
خاف العيون فوافاني على عَجَل
عاطيته الكأس فاستحييت مُدامتها
حتى إذا غازلت أجفانه سنة
أردت توسيده خدي وقل له
فبات في حرّم لا غدر يدعّره
بدر ألم وبدر التّم ممتحق
تخير الليل فيه أين مطلعته
يَسْطِيعُهُ من غرق في الدّسع متقد
معطلًا جیده إلا من الغيتد^٢
من ذلك الشّنّب المعسول بالبرد^٣
وصيرته يد الصباء طوع يدي
فقال كفك عندي أفضل الوسد
وبت ظمان لم أصدُر ولم أريد
والأفق محلوك الأرجاء من حسد
أما درى الليل أن البدر في عضدي

قال ابن بسام : وقد رأيت من يروي هذه القطعة لادريس بن اليماني ،
وهو الأشبه بما له من الألفاظ والمعاني ، وهي لمن كانت له مقهها راقية ،
ومتأخرة سابقة ، في التزام العفاف مع السلاف ، وما سمعت بأبدع منها لأحد
من أهل هذا الأفق . وإنما أثبت هنا بعض مقطوعات في معناها لأهل المشرق
ثم أعود لإيراد ملّح أهل أفقنا ، وأرجع إليها وأكرّ بعد عليها ، وأقدّم
أولاً الحديث : « من أحبّ فعمّ ومات فهو شهيد » ، والعفاف مع البذل .
كالاستطاعة مع الفعل ، والله در صريع الغواني ، فهو صاحب بديع في أكثر
المعاني ، كقوله :

ألا ربّ يوم : صادق العيش نلتُهُ بها ونداماي العفافة والبذل^٤

.....

١ الواني : أفديه .

٢ الواني : الجيد .

٣ الواني : والبرد .

٤ : روى ابن بسام منها بيتين لادريس في اللخيرة ١ : ٨٧ .

٥ زهر الآداب : ٧٢٧ ودهوان صريع الغواني : ٩١ .

وقال الآخر^١ :

وبتنا فوقَ الحَيِّ لا نحن منهمُ
وباتَ يقينا ساقطَ الطلِّ والندى
نعدِّي بذكرِ الله في ذاتِ بيتنا
ونصدر عن ربي العفاف وربما
ولا نحن بالأعداءِ مختلطانِ
من الليل بُردًا يمتُّ^٢ عطرانِ
إذا كان قلبانا بنا يردانِ
نقعنا غليلَ النفسِ بالرشفانِ

وقال الصمة القشيري^٣ :

بنفسي من لو مرَّ برْدُ بنائه
ومن هابني في كلِّ شيءٍ وهيبتهُ

وقال القسُّ المكيُّ^٤ :

أهابك أن أقولَ بذلتُ^٥ نفسي
حياءً منك حتى سُلَّ جِسمي

وقال العباس بن الأحنف^٦ :

أناذنون لصبٍ في زيارَتِكُم
لا يضرُّ السوءَ إن طالَتِ إقامته

١ انظر الرهرة : ٦٦ .

٢ ط د : ديمة .

٣ هما ليزيد به الطرية في ابن خلكان ٦ : ٣٦٩ والأغاني ٨ : ١٦٤ .

٤ الأغاني ٨ : ٣٣٧ .

٥ ط د م س : بذات .

٦ زهر الآداب : ٧٢٧ والزهرة : ٦٧ وديوانه : ١٤٧ .

ولبعض الطالبين ^١ :

رَمَوْنِي وَإِيَّاهَا بِشِعَاءَ هَمِّهَا أَحَقُّ أَدَالَـةِ اللَّهِ مِنْهُمْ وَعَجَلًا
بِأَمْرِ تَرْكَنَاهُ وَرَبِّ مُحَمَّدٍ جَمِيعًا فَإِمَّا عَفَّةٌ أَوْ تَجَمُّلاً

وقال سعيد بن حميد ^٢ :

زَائِرٌ زَارَنَا عَلَى غَيْرِ وَعْدٍ مُخْطَفٌ الْكَشْحُ مُثْقِلُ الْأُرْدَافِ
غَالِبَ الْخَوْفِ حِينَ غَالِبَهُ الشَّوْ قُ وَأَخْفَى الْهَوَى وَلَيْسَ بِخَافِ
غَضٌّ طَرَفِي عَنْهُ تَقَى اللَّهَ وَاخْتَر تٌ عَلَى بَذْلِهِ بَقَاءَ التَّصَافِي
ثُمَّ وَلِيَ وَالْخَوْفُ قَدْ هَزَّ عَظْفِي هَ وَلَمْ نَخْلُ مِنْ لِبَاسِ الْعَفَافِ

وأشَدُّ الصَّوْلِي لِأَبِي حَاتِمِ السَّجِسْتَانِي فِي أَبِي الْعَبَّاسِ الْمُبَرَّدِ ، وَكَانَ يُلْزَمُ
حَلْقَتَهُ ، وَهُوَ غَلَامٌ وَسِيمٌ ^٣ :

مَاذَا لَقِيتُ الْيَوْمَ مِنْ مَتَمَجِّنٍ خَنِيثِ الْكَلَامِ
وَقَفَ الْجَمَالَ بَوَاجِهِ فَتَسَمَّتْ لَهُ حَدَقُ الْأَنَامِ
حَرَكَاتُهُ وَسَكُونُهُ
وَإِذَا خَلَوْتُ بِمَثَلِيهِ وَعَزَمْتُ فِيهِ عَلَى اعْتِرَامِ
لَمْ أَعُدْ أَفْعَالَ الْعَفَا فِ وَذَاكَ أَكْرَمُ لِلْغَرَامِ
نَفْسِي فِدَاؤُكَ يَا أَبَا الْ هَبَّاسِ حَلَّ بِكَ اعْتَصَامِي
فَارْحَمِ أَخَاكَ فَإِنَّهُ نَزَرُ الْكَرَى جَادِي السَّقَامِ
وَأَنِلُهُ مَا دُونَ الْحَرَا مَ فَلَيسَ يَطْمَعُ فِي الْحَرَامِ

١ زهر الآداب : ٧٢٧ والروض المطار (بيروت ١٩٧٥) : ١٩٤ .

٢ زهر الآداب : ٧٢٧ .

٣ متابع لزهر الآداب ٧٢٧ .

وكان أبو حاتم يتصدق كل يوم بدينار ، ويختم القرآن في كل أسبوع .

واجتمع^١ أبو العباس بن سريج الشافعي وأبو بكر بن داود القياسي في مجلس الوزير ابن الجراح فتناظرا في الإيلاء ، فقال له ابن سريج : أنت بقولك «مَنْ كَثُرَتْ لِحْظَاتُهُ ، دَامَتْ حَسَرَاتُهُ» ، أبصر منك بالكلام في الإيلاء ، فقال أبو بكر : لئن قلت ذلك فاني أقول :

أَنْزَهُ ^٢ فِي رَوْضِ الْمَحَاسِنِ مَقْلِي	وَأَمْنَعُ نَفْسِي أَنْ تَنَالَ عَحْرَمَا
وَأَحْمِلُ مِنْ ثِقَلِ الْهَوَى مَا لَوْ أَنَّه	يُصَبُّ عَلَى الصَّخْرِ الْأَصَمِّ تَهْدَمَا
وَيَنْظُرُ طَرْفِي عَنْ مَرْجَمِ خَاطِرِي	فَلَوْلَا اخْتِلَاسِي رَدَّه لَتَكَلَّمَا
رَأَيْتُ الْهَوَى دَعَايَ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ	فَلَسْتُ أَرَى حَبًّا صَحِيحًا مُسَلَّمَا

فقال أبو العباس : لم تفتخر^٣ علي . ولو شئت أنا أيضاً لقلت : [٢٨١]

وَمَطَاعِمِ الشَّهْدِ مِنْ نَفَثَاتِهِ	قَدْ بَتَّ أَمْنَهُ لَذِيذِ سِنَاتِهِ
ضِنًّا بِحَسَنِ حَدِيثِهِ وَكَلَامِهِ	وَأَكْرَرُ اللَّحْظَاتِ فِي وَجَنَاتِهِ
حَتَّى إِذَا مَا الصَّبْحُ لَاحَ عَمُودُهُ ^٤	وَلَّى بِخَاتَمِ رَبِّهِ وَبَرَاتِهِ ^٥

فقال أبو بكر : يُحْفَظُ عليه ما قال ، حتى يقيم عليه شاهدي عدل أنه ولَّى بخاتم ربِّه ، قال أبو العباس : يلزمني في ذلك ما يلزمك في قولك :

أَنْزَهُ^٦ فِي رَوْضِ الْمَحَاسِنِ مَقْلِي . . . البيت .

١ متابع لزهر الآداب : ٧٢٨ وانظر ابن حلكان ٤ : ٢٦٠ والوافي ٣ : ٥٨ ومصارع

العشاق ٢ : ١٢٧ .

٢ ط : تفخر .

٣ وبراته . مخفف من « وبراته » .

فضحك الوزير ابن الجراح ، وقال : لقد جمعتما ظرفاً ولطفاً وفهماً
وعلماً .

وقال الشريف الرضي ^١ :

بتنا ضجيعين في ثوبَي هوى وتقى
وبات بارقُ ذاك الثغرِ يوضحُ لي
وبات الريحُ كالغَيْرِ تجاذبنا
يُولَعُ الطلُّ بُرْدِنَا وقد نَسِمَتْ
وأكتم الصبحُ عنها وهي غافلة
فَقَمْتُ أَنْفَضُ بُرْدًا مَا تَعَلَّقَهُ
يلفنا الشوقُ من قَرْنٍ إلى قَدَمٍ
مواقعَ التَّمْرِ في داجٍ من الظلم
على الكئيبِ فضولَ الرِّيطِ واللمم
رُويْحَةُ الفجرِ بين الضَّالِّ والسلم
حتى تكلمَ عصفورٌ على علم
غيرُ العفافِ وراءَ الغيبِ والكرم

وقال المتنبي ^٢ :

وأشَبَّ معسولِ الثَّيَّاتِ واضحٍ
وأجَادَ غزلانِ كجديدك زرنِي
سَرْتُ فَمِي عَنْهُ فَقَبِّلْ مَفْرَقِي
فَلَمْ أَتَبَيَّنْ عَاطِلًا مِنْ مَطْلُوقِ

وقال :

يَرْدُ يَدًا عَنْ ثُوبِهَا وَهُوَ قَادِرٌ
ويعصي الهوى في طَيِّفِهَا وَهُوَ رَاقِدٌ

وهذا المعنى في شعرهم أكثر من أن يحصى .

وأثبتُ هنا أيضاً مقطوعاتِ أبياتٍ لغير واحد ممَّن تقدم ابن الأبار في

١ ديوان الرضي ٢ : ٢٧٤ .

٢ ديوان المتنبي : ٣٣٥ ، ٣١٠ .

ذكر العفاف ، ثم أعود بعد إلى ما له من الأشعار في سائر الاوصاف :

قال الرمادي ^١ :

وليلة راقبتُ فيها الهوى	على رقيبٍ غيرِ وستانٍ
والراحُ ما تنزل من راحتي	وقتاً ومن راحة ندماني
وربَّ يومٍ قَيْظُهُ منضجٌ	كأنَّه أحشاءُ ظمآن
أبرزَ في خديهِ لي رشحه	طلاً على وردٍ وسوسان
وكان في تحليلِ أزراره	أقودَ لي من ألفِ شيطان
فُتِّحتِ الجنةُ من جيبه	فبتُ في دعوةِ رضوان
مروّةٌ في الحبِّ تنهي بأنْ	يجاهرَ اللهُ بعضيان

وقال من أخرى :

لياليَ بعثُ العاذلين إمامي	بفتكي ووليتُ الوشاة أذاني
وإذ ليَ ندمانان : ساقٍ وقينةٌ	رشيقانِ بالأرواحِ يمتزجان
أمدُّ إلى الطاووس في تارةٍ يدي	وفي تارةٍ آوي إلى الورشان
وكنت أديرُ الكأسَ حتى أراهما	يميلان من سُكْرِ ويعتدلان [٢٨ب]
فكانا بما في الجسم من رقةِ الضنى	يكادان عند الضمِّ يلتقيان
ونفضي إلى نومٍ فإن كنتَ جاهلاً	مكاني فوسطى العِقْدِ كان مكاني
فلو تبصرُ المضي وبدره حوله	لقلت السُّها من حوله القمران
وما بيَ فخرٌ بالفجورِ وإنما	نصيبُ فجوري الرشف والشفتان

وقال الحصري الكفيف :

١ أبيات الرمادي في المطرب : ٣ - ٤ .

قالت وهبتك مهجتي فخذ
وئت إلى مثل الكثيب يدي
وهمت لكن قال لي أدبي
قالت : عفت فعت ، قلت لها
ولا بن فرج الجياني ^١ :

وطاعة الوصال عفت ^٢ عنها
بدت في الليل سافرة فبات
وما من لحظة إلا وفيها
فمكنت الهوى جمحات شوقي
وبت بها مبيت الطفل ^٣ يظما
كذاك الروض ما فيه لمثلي
ولست من السوائم مهملات
وما الشيطان فيها بالمطاع
دياجي الليل سافرة القناع
إلى فتنة القلوب لها دواعي
لأجري في العفاف على طباعي
فيمنعه القظام عن الرضاع
سوى نظير وشم من متاع
فأخذ الرياض من المراعي

قال ابن بسام : وابن فرج هذا ممن تقدمني ^٤ في نشر محاسن أهل هذه الجزيرة ، وإظهار خبايا فضائلهم المشهورة ، فعارض كتاب « الزهرة » للأصبهاني بتصنيف رائق ترجمه بـ « كتاب الحقائق » ، فان لا يكن سبق بالزمان . فلقد زاحم بالاحسان . وله شعر مشهور له فيه إحسان كثير كقوله . وهو من مليح الوصف في العفاف عن الطيف * :

١ هو أبو عمر أحمد بن فرج الجياني صاحب كتاب الحقائق ، وأبياته في الجدة : ٩٧ والمطبع :

٨٠ والثريشي ١ : ٢١١ والمغرب ٢ : ٥٦ والنفع ٣ : ١٩١ ، ٤٣٧ والبيضة ٢ : ١٧ .

٢ في أصل ط : غدوت .

٣ في أصل ط : السقم ، وفي الحاشية : السقب .

٤ م ط : أمتي .

٥ انظر هذه القطعة في المصادر المذكورة سابقاً .

بأيتهما أنا في الحبَّ بادِ بشكر الطيف أم شكر الرقادِ
 سرى فازداد بي ألمي ولكنَّ عفتُ فلم أنلُ منه مرادي
 وما في النوم من حَرَجٍ ولكنَّ جريتُ من العفافِ على اعتيادي
 أخذه من قول المتنبي :

« يردُّ يداً عن ثوبها وهو قادر ... البيت »

كأنه لما عف في اليقظة جرى على عادته في النوم .

ولابن الأبار في هذا عدة أشعار ، منها قوله :

ومعرضٍ بالغُصْنِ في حركاته تسَلُّ^١ القلوبُ العفوَّ من لحظاته
 عاطيتهُ كأساً كأنَّ سُلَافها من ريقه الممسول أو وجنَّاته
 حتى إذا ما السكرُ مال بِعِطْفِهِ وعنا بحكم الوصلِ في نَشَوَاتِهِ
 هصرتُ يدي منه بغصنٍ ناعم لم أجنَّ غيرَ الحيلِ من ثمراته [٢٩أ]
 وأطعتُ سلطانَ العفافِ تَكَرُّماً والمرءُ مجبولٌ على عاداته

وقال^٢ :

ومنعَمٍ غَضُّ القَطَافِ عذبِ الغروبِ للارتشافِ
 قد صيغَ منْ دُرِّ الجِما لِوَصِيْنٍ في صَدَفِ العَفَافِ
 وسقته أنديةُ^٣ الشبا بِبِمَائِهَا حتى أنافِ
 فتروَّضَتْ عنه الريا ضُوسُ سُلُفَّتْ مِنْهُ السُّلَافِ

..... - - - - -

١ تسل : تخفف من « تسأل » .

٢ انظر المسالك ١١ . ٤١٨ - ٤١٩ .

٣ المسالك : أيام .

مهما أردتُ وفاقه ^١	يوماً تعرّضَ للخلاف
لماً تصدّى للصدو	دِ وِمال نحو الإنحراف
هيأتُ من شرّكي له	فِعْلَ اللطافِ من الظُّراف
فَسَقَيْتُهُ ماءً بها	وأدرتُ صافيةً بصاف
حتى تَرْتَجَّ مائلاً ^١	كالغصنِ مال به انعطاف
فوردتُ جَنَّةَ نحره ^٢	ونعيمها داني القطف
وَضُمْتُ ناعمَ عِطْفِه	ضمَّ المضاف إلى المضاف
فورعتُ في حين الجنى ^٣	وكففتُ عن فوقِ الكفاف
وعصيتُ سلطانَ الهوى	وأطعتُ سلطانَ العفاف

وما أُمِلح هذه الملح ، وما أقبح ما أنشدت في ضدّها لعبد الجليل ، حيث يقول :

تعرّض لي ليسقطَ في حبالِي	سقوطاً تعمّدٍ شبه اتفاقٍ
وبات على المدامة لي نديماً	وبين جفونه للغُنجِ ساقِي
إلى أن مال من سِنَةِ الحميّا	وقام الليلُ ممدودَ الرّواقِ
وحلّ معاهدَ الهيمانِ عنه	بِسُبُطٍ كان يعقدها رقاقِ
وصار على كرامتهِ بساطاً	ولُفَّتْ بيننا ساقِ بساقِ

وبعده ما أضربت عنه ، وَصُنْتُ كتابي منه .

.....

١ د : قدّه .

٢ المسالك : غده .

٣ المسالك . حتى في هنا (اقرأ : الجنى) .

وأنشدني أبو بكر الداني^١ لنفسه :

أتوبُ لله من هوى رشأُ غيرَهُ بالعطاءِ مَنْ غيرُ
ليس معي خاتمٌ ولا فنكٌ ولا شرابٌ لِنَاوِهِ عنبر
ولنما كان شرطه قدحاً وكان شرطي عليه أن يسكر

وممن رأته أولع بهذه الأوصاف وشغف، وصرف فيها الكلام فتصرف،
الأديب أبو القاسم المعروف بالمنيشي الاشيلي^٢، أنشدني لنفسه من جملة
قصيدة^٣ :

وعجزاءَ حوراءَ^٤ وَفَقَ الهوى نَجِيتُ فيها وفي أمرها
غلاميةٌ ليسَ في جِسْمِهَا مكانٌ دقيقٌ سوى خصرها
إذا أدبرتْ أو إذا أقبلتْ ففي قرها الموتُ أو كرها
ولما خلونا ورقَّ الكلامُ دفعتُ بكفِّي في صدرها [٢٩ب]
ومن لا أسميه مثلُ القناةِ فألقتُ ذراعاً على عشرين
فما زلتُ أجمعُ طعنًا وضرباً على زيدها وعلى عَمَرِهَا
وصارفتها العينَ هذا بلدك وقد شدتِ السوقَ من أزرها
فأعطيتها المحضَ من فضتي وأعطني المحضَ من تبرها

قوله : « ولما خلونا ورقَّ الكلام » ، من قول امرئ القيس :

١ هو ابن البانة ، وترجمته في القسم الثالث : ٦٦٦ .

٢ هو المعروف بمصا الأعمى لأنه كان يقود الأعمى التطيلي (انظر ترجمته في المطمح : ٨٨
والمغرب ١ : ٢٨٩ والرايات : ٢٣ غ) وأبياته قد وردت في المغرب ١ : ٢٩٠ .

٣ عند هذا الحد ينتهي الحرم في النسخة م .

٤ المغرب : لغاء .

٥ ديوان امرئ القيس : ٢٢ .

وصرنا إلى الحسنى ورقّ كلامنا ورضتُ فلذتُ صعبةً أي إذلالٍ

وأخذه الآخر فقال^١ يصف كتاباً :

وفيه الوصلُ يُشْرِقُ جانباه وقد رقّ التشكّي والخطابُ

وقال ابن الرومي :

كادتُ لعرفانِ النوى ألفاظُها من رقةِ الشكوى تكونُ دموعا

وقوله : « غلامية » ... البيت ، معنى "كثّر ترداده ، وطال منهم
تعمّده واعتماده ، وأرى أيضاً أن أوّلَ من أشار إليه ونبّه عليه الملكُ الضليلُ ،
حيث يقول :

مَنْ ما تَرَقَّى العَيْنُ فِيهِ تَسَهَّلَ ... البيت

غير أنه أورده مُقْلَسَ الذيل ، بهيم الليل ، وقد بيّنه بقوله :

• له أبطلًا ظبي وساقا نعامة •

ثم نقله الشعراء بعدُ كلَّ على مقدار ما أوتي من البيان ، ووهب من
الإحسان ، فقال الاعرابي^٢ :

عُقَيْلِيَّةٌ . أَمَّا مَبْلَاثُ إِزَارِهَا فَتَدْعِصُ وَأَمَّا خَصْرُهَا فَتَبْتِيلُ

وقال الآخر^٣ :

.....

١ فقال : سقطت من م .

٢ البيت من قصيدة لابن الطُّرَيْمِيَّة في وفيات الأعيان ٦ : ٣٦٨ والحماسية رقم : ٥٤١٠ وزهر
الأدب : ٨٥٤ وقيل لأبي كبير الحلبي ، وأدرجت في ديوان ابن الدمينة : ١٨٦ وخرجها
محقق الديوان ص : ٢٥٦ .

٣ هو الحكم الخصري ، انظر الأغاني ٢ : ٢٥٠ .

تساهمَ ثوبها ففي الدرعِ رادّةٌ وفي المرطِ لفأوانٍ رَدْفُهما عَبلٌ
وقال ابن أبي ربيعة ^١ :

خَوْدٌ وقبرٌ نصفها ونصفها مهفهُفٌ

ونسخه أبو تمام فقال ^٢ :

تشكّى الأيْن من نصفٍ سريعٍ إذا قامت ومن نصفٍ بطيٍّ
وقال الأخطل ^٣ :

أَسِيلُهُ مجرى الدمعِ أَمّا وشاحها فيجري وأما القلبُ منها فلا يجري
وهذا كقول خالد بن يزيد ^٤ :

تَجولُ خلاخيلُ النساءِ ولا أرى لرملةٍ خلخالاً يَـجولُ ولا قُلْباً
ومدحهم بضمور الكُشْح ، وجولان الوُشْح ، وصموت القلبِ والخلخال ،
وامتناع الخدام من الحجال ، كثير ، ومنه قول النابغة ^٥ :

على أن حِجْلَيْهَا وان قلتُ أوسعا صموتان من ملءٍ وقلةٍ منطقي
وقال الطائي ^٦ :

١ ديوان ابن أبي ربيعة : ٢٥٢ .

٢ ديوان أبي تمام ٣ : ٣٥٢ .

٣ ديوان الأخطل : ١٢٩ .

٤ الديوان : الحجل .

٥ زهر الآداب : ٣٩٣ ووفيات الأعيان ٢ : ٢٢٤ .

٦ زهر الآداب : ٣٩٣ وديوان النابغة : ١٨٤ .

٧ زهر الآداب : ٣٩٣ وديوان أبي تمام ٣ : ١١٥ .

من الحيف لو أن الخلائيل صُيرت لها وشُحاً جالت عليها الخلائل

وقال ابن أبي زرة^١ : [١٣٠]

استكثمت خلخالها ومشت تحت الظلام به فما نطقاً
حتى إذا ربح الصبا نمت ملأ العيرُ ينشرها الطرقات

وقال المتنبي^٢ :

وخصر تثبت الأبصار فيه كأن عليه من حدق نطاقا

وقلبه الناجم فقال^٣ :

مسلولة الكل غير بطن مثقل فهي عنكبوت
حجولها الدهر في اصطخاب ووشحها كظم صموت

وما أحسن قول القائل فانه ترك اللفظ المطروق ، واختصر على كافة الشعراء الطريق^٤ :

أبت الروادف والندي لقمصها مس البطون وأن تمس ظهورا
وإذا الرياح مع العشي تناوحت نبهتن حاسدة وهجن غيورا

وَحَسَنَهُ بَعْضُ أَهْلِ أَفْقَانَا فَقَالَ^٥ :

إنَّ العزیزَ علیَّ خَصْرُکَ إِنَّهُ بِالرَدْفِ حُمِّلَ مِنْكَ مَا لَا يُحْمَلُ

١ زهر الآداب : ٣٩٣ والمختار : ٩٨ .

٢ زهر الآداب : ٣٩٤ وديوان المتنبي : ٢٧٩ .

٣ زهر الآداب : ٣٩٤ .

٤ أمالي القاضي ١ : ٢٣ .

٥ هو النحلي ، السيرة ١ : ٣٨٤ .

ولنأخذ من قول المتنبي ^١ :

أعارني سُقَمَ عَيْنِهِ وَحَمَلَنِي من الهوى ثِقْلَ ما نحوي مآزرُهُ

قال ابن بسّام : وهذا الباب واسع الميدان ، ملتف الأغصان ، وإنما ألمع من كلّ معنى ييسر ، وأثيرُ حصةٍ من ثبير .

وقول أبي القاسم المذكور : « على زيدها وعلى عمرها » من الكنايات المختارة ، والسامع يفهم الإشارة ، وإنما نبّهتُهُ على هذا التعريض ، وأرته كيف يأخذُ في هذه العروضِ ، إحدى من جَاهَرَتْ بالصَبْوَةِ ، وتجاوزتْ طَلَقَ الْجَمُوحِ في ميدان الشهوة فقالت : إنْ ضَمَّ قَضْفُضٍ ، وإن دَسَّرَ أَغْمَضُ ، وإن أخلَّ أَحْمَضُ .

وقال أبو القاسم من أخرى ^٢ :

وخشفيّةِ الأَلْحَاطِ والجَهِيدِ والحشا ولكن لما فضلُ القبولِ على الخشفِ
تثنّى على مثل العنان إذا التوى ^٣ وقد عقدوها للفسوقِ على النصفِ
وليس كما قال الجهول تَقَسَّمتْ فبعضٌ إلى غُصْنٍ وبعضٌ إلى حِقْفِ

ومنها :

سعت في سبيلِ الفتكِ ^٤ والفتكِ ^٥ بيننا إشارةً لحظٍ تنسخُ ^٥ التكرّرَ بالعُرفِ

١ ديوان المتنبي : ٣٦ .

٢ انظر المغرب ١ : ٢٩٠ .

٣ المغرب : إذا انثنى .

٤ المغرب : اهلك .

٥ المغرب : تخلط .

ومنها :

وما شئت من عضّ الحليّ ورضهٍ وما شئت من صكّ الخلاخل والشنف

قوله : « خشفية الألفاظ » معنى مشهور ، ومنه قول مجنون بني عامر^١ :

أيا شبه ليلى لا تراعي فاني لك اليوم من وحشية لصديق

وقوله : « وما شئت من عضّ الحلي » ... البيت ، كقول الآخر :

باعتناق يلوب منه حصّى اليا قوت ضمّا وتطمئنّ النهود

وقال أبو بكر الداني :

ضممتها ضمّ مشتاقٍ إلى كبدي حتى توهمت أن العليّ ينكسر

[٣٠ ب] وقال ابن عمار :

ضمّا ولثماً يفني الحليّ بينهما كما تجاوب أطياراً بأطيار

وقوله : « وما شئت من صكّ الخلاخل بالشنف » فانه صكّ به وجهه

بعض أهل عصرنا^٢ حيث يقول :

• وجمعت بين القرط والخلاخل •

ومن مجون ابن الأبار قوله مما يضارع ما تقدّم^٣ :

زارني خيفة الرقيب مريباً يتشكّى القضيّب منه الكثيبا

.....

١ ديوان المجنون : ٢٠٦ .

٢ هو صالح الشتمري ، كما سيجيء في ترجمته .

٣ انظر المسالك : ٤١٩ والفوات : ٤٠٦ والنضج : ٣ : ٤٧ ومعاهد التنصيص : ١ : ٩٥-٩٦ .

رشاً راش لي سهام المنايا من جفونٍ يُصْمي بهنّ القلوبا
 قال لي : ما ترى الرقيبَ مُطِلاً^١ قلتُ ذَرّه أتى الجَنَابُ^٢ الرحيا
 عاطيه أكوس المدام دراكاً وأدِرْها عليه كوباً فكوبا
 واسقنيها بخمرٍ عَيْنَيْكَ صِرْفاً واجعل الكأسَ منك ثغراً شنيا
 ثم لما أنْ نامَ مَنْ نَتَقِيهِ^٣ وتلقَى الكرى سميعاً مجيا
 قال لا بدّ أن تدبّ إليه قلتُ أبغي رشاً وآخذ ذيباً ؟ !
 قال فابدأ بنا ونحن عليه قلتُ كلا لقد دَفَعْتَ قريبا
 فوثبنا على الغزال ركوبا ودينا إلى الرقيب ديبا
 فهل أبصرت أو سمعت بصب^٤ ناك محبوبه وتاك الرقيا

قال ابن بسام : ولقد ظرّف ابن الأبار واستهتر ما شاء وفلنر ، وأظنّه
 لو قدر على إبليس الذي تولى له نَظْمَ هذا السِّلْكِ ، وأوطأ له ثَبَجَ هذا
 الملك ، لتدبّ إليه ، ووثب أيضاً عليه ، وأبو نواس ، سهّلَ هذا السبيل
 للناس ، حيث يقول^٥ :

نكنا رسولَ عنانٍ والرأي فيما فعلنا
 فكان خبزاً بمنحٍ قبلَ الشّواءِ أكلنا

.....

١ الفوات : المكان .

٢ النفع : من خمر .

٣ المسالك : ثم لما نام الرقيب سريماً ، الفوات : نام من بعد نكس .

٤ ط : وأحذر ؛ م : وأخاف ؛ س : وأخفى .

٥ م : واستشر ؛ ط د س : واشتهر ، والتصويب عن المسالك .

٦ المسالك ١١ : ٤٢٠ وديوان أبي نواس ١ : ٨٤ (تحقيق فاجنر) .

ومن أناشيد الثعالي^١ :

ليَ أيرُ أراحني الله منه صار همّي به عريضاً طويلاً
نامَ إذ زارني الحبيبُ عناداً ولعهدي به ينيكُ الرسولا
حُسِبَتْ زورةٌ لشقوةٍ جدّي فافترقنا وما شفيْنَا غليلاً

وقرأت^٢ في بعض الملح خبراً له بهذا الموضع ، بعضُ موقع ، قال بعضهم :
مشيتُ فإذا أنا بصديقٍ من أهل اليسارِ خارجاً من دارِ بغيٍّ ، فقلت له :
أَيكونُ عندك أربعُ حرائر ، وأكثرُ من ستينَ سريّة ، وتأتي مثلَ هذه
اللدنيّة ١٩ فقال : اسكت . مثَلُ أيرِي مثَلُ الكلبِ يتابعُ مَنْ طرأ عليه
ولا يتعرّضُ لمن اختلَطَ به .

وقد قلت إن الحسن بن هاني ، أكثرَ من هذه المعاني ، حتى منعه الأميين
محمد بن هارون عن ذلك ، وله في وصف الشرابِ ، وما يتعلق بهذه الأسباب ،
شعر كثير ، كقوله^٣ :

قد هجرتُ المدامَ والنُلَمانا وتَمَتَّعتُ^٤ ما كَفَّاني زمانا
ونَهاني^٥ خليفةُ الله أنْ لا أَقربَ الخندريسَ والغلمانا [١٣١أ]
ونخِشتُ الهلاكَ إن لم أطِعهُ ودعَني نفسي لِإيهم عيانا

١ الأبيات للمفج البصري ، انظر الهجمة ٢ : ٣٦٣ ومعجم الأدباء ١٧ : ١٨٢ والمساك
١١ : ٤٢٠ .

٢ نقل الصري هذه الحكاية ١١ : ٤٢٠ .

٣ م : من ذلك قوله ، وانظر ديوانه : ٣٥٤ ، وما هنا أتم .

٤ الديوان : وتفتت .

٥ م ط س : ونهانا .

وغزال سقيته^١ الراح^١ حتى أضغفت^٢ منه مقلة^٢ ولسانا
قال : لا تسكرتني بحيان^٣ي قلت : لا بد^٣ أن تُرعى سكرانا
إن^٤ لي حاجة^٤ إليك إذا نمت فان شئت فاقضها يقظانا
فتلكنا تلتكوا^٥ بالحناث^٥ ثم أصغى لما أردت^٦ فكانا

واشتهار شعره ، يمنعني من ذكره .

وممن سلك أيضاً هذه السبيل من الشعراء المجاهرين بالمجون ، الناطقين
بالسن الشياطين ، الفرزدق^٣ ، بقوله^٣ :

هما دلتاني من ثمانين قامة^٤ كما انقص^٤ باز أفتخ^٤ الريش كاسره^٤

وهو قصيد^٥ مشهور^٥ ، وقد عبّره به جرير فقال^٤ :

تدلت^٥ ليزني من ثمانين قامة^٥ وقصّر^٥ عن باع العلا والمكارم

ومن محاورات امرئ القيس^٦ التي تقدّم^٦ الناس فيها قوله^٦ :

تقول^٧ وقد جرّدتها من ثيابها كما رُغبت^٧ مكحول^٧ المدامع^٧ أتلمعا
وعيشيك^٧ لو شيء^٧ أنانا رسول^٧ه سواك ولكن^٧ لم نجد^٧ لك مدفعا

وزاد فيه ابن أبي ربيعة فقال^٧ :

١ الديوان : عاطيته الكأس .

٢ الديوان : فترت .

٣ ديوان الفرزدق : ٢١٢ .

٤ ديوان جرير : ١٠٠١ .

٥ الديوان : تدلت^٥ تزني . . . وقصرت .

٦ ديوان امرئ القيس : ٢٤١ وقراءة الذهب : ٤٢ .

٧ ديوان ابن أبي ربيعة : ١١٣ وقراءة الذهب : ٤٢ .

وناهدةِ التدينِ قلتُ لما اتكبي على الأرضِ في ديمومةٍ لم تَوسدِ
فقلتُ على اسمِ اللهِ أمرُك طائعٌ وإن كنتُ قد عودتُ ما لم أعودِ

وذكرت بقوله : « على اسم الله » ما أنشده ثابت في كتابه « في خلق
الإنسان »^١ مما له بهذا بعضُ تعلق :

تقول إذ أعجبها عتورة^٢ وغابَ في كعشبا^٣ جذمورة^٤
أستقدرُ الله وأستخيره^٥

وقال أبو نواس أيضاً :

فبتنا يرانا الله شرَّ عصابة^٦ نجرُّ أذيالَ الفسوقِ ولا فخرُ

وهو القائل :

عصابة شرٍّ لم تر الدهرَ مثلهم^٧ وإن كنتُ منهم لا برياً ولا صفراً
إذا ما ألى وقتُ الصلاةِ رأيتهم يَحُثُّونَهَا حتى تفوتهمُ سكرًا

وقال والبة بن الحباب^٨ :

١ انظر كتاب ثابت : ٢٨٧ والسان (عتر) .

٢ عتر الذكر : إذا اشتد إعناؤه واهتز .

٣ ثابت : فقرتها .

٤ ديوانه : ٢٧٣ .

٥ الديوان : فقمنا إليه واحداً بعد واحد .

٦ ديوانه : ٢٧٤ .

٧ انظر ترجمة والبة في الأغاني ١٨ : ٤٣ وتاريخ جلداد ١٣ : ١٨ وطبقات ابن المعتز

٨٧ والقوات ٤ : ٢٤٧ وقد ورد بيتاه في معظم المصادر المذكورة .

قلت لِنَعْمَانِي عَلَى خَلْوَةٍ أَذِنَ كَذَا رَأْسَكَ مِنْ رَأْسِي
وَنَمَ عَلَى جَنْبِكَ لِي سَاعَةٌ لِي أَمْرُ أَنْكَحَ جُلَاسِي
وقال سَحِيمٌ ١ :

وبتنا وسادانا إِلَى عَلَجَانَةٍ وَحَقِيفِ تَهَادَاهِ الرِّيحُ تَهَادِيَا
تَوَسَّلْنِي كَفًّا وَتَثْقِي بِمَعْصَمٍ عَلَيَّ وَتَلَوِي رَجُلَهَا مِنْ وَرَائِي [٣١ب]
وممن كَفَى وَلَمْ يَصْرُحْ ابْنُ الْمُعْتَزِ بِقَوْلِهِ ٢ :

وكان ما كان مما لست أذكرُهُ فظنَّ خيراً ولا تسألُ عن الخبرِ
قال ابن بسّام : والباب طويلٌ والاكتار مملول . وتتبع كلُّ معنى
يعترض . يخرجُ بي عن الغرض : فان سكتُ فترفيها ، وان ألمتُ بشيءٍ
فدلالةٌ على الأدب وتنبهاً .

سائر أشعار ابن الأبار في أوصاف شتى

غُنِّيَ يوماً بشعر ابن الرومي حيث يقول ٣ :
وحديثها السَّحَرُ الحلالُ لو أنه لم يكن قتلَ المسلم المتحرِّزِ
فسأله الوزير الشيخ أبو الوليد ابن المعلم الزيادة فيها ، فقال :

... ..

١ ديوان سحيم : ١٩ - ٢٠ .

٢ الديوان : ونحوه .

٣ ديوان ابن المعتز ٣ : ٥٠ .

٤ المختار : ٤١ وزهر الآداب : ٩ .

راق الرياض بزهره وبزهوه فتحيرت في معجب بل معوز
عاقرت من طرب عليه عقارة صفراء تغزى للتحول وأعترى
لكن تميز في الكؤوس بنورها وبهاها ، وبقيت غير مميز

وقال :

نطق العود فعاتب من نطق واصطبجها مزة أو فاغتبج
لا تدعها قهوة كرخية لم يدعها نوح إذ خاف الفرق
خلتها في كأسها إذ شعشعت شفقاً تلبس أثواب الفلق
قهوة رقت وراقت كأبي عمرو الراق خلتاً وخلق
حاجب ما إن في أنملة بالعطايا والمنايا تندق
هو والإفضال روض وصبا هو والعلباء عقد وعنق
هو والأملاك إن قيسوا به مهيج بين بنيات الطرق

قوله : « لم يدعها نوح » ، أشار إلى ما روي في بعض الأحاديث : ان
الشجرة التي أكل آدم عليه السلام منها في الجنة المنهي عنها شجرة العنب .
وروي أيضاً أن نوحاً عليه السلام لما نزل عن السفينة نازعه إبليس أصل
العنب ، فاصطلحا على أن لنوح الثلث ، ولإبليس الثلثان ، وإلى هذا أشار
يوسف بن هارون الرمادي^١ بقوله ، وهي من ملحه :

أبي الخمر لامت خلتي مستهامها كفرت بكاسي ان أطعت ملامها
لمحمولة في القللك من جنة المني قد أوصي^٢ نوح غرسها وضمامها
فخادعة إبليس عنها لعلمه بها فرأى كتمانها واغتمامها

١ انظر الشريشي ٢ : ٢١ - ٢٢ .

٢ م : فأوصي ، الشريشي : قد أوصى لنوح .

ففاز بثليها ونوحٌ بثليها
له حظٌ أني وهو حظٌ مذكر
ولنا لوراثٌ ، وقد مات جدنا
قليلٌ لعيني أن تطيلَ انسجامها
ولولا مغيبٍ عنه لم يك رامها
غيبنا ، ولنا لا نجيز اقتسامها

ومن قصائد ابن الأبار الطويلة في المدح

له من قصيدة في اسماعيل [٣٢ أ] بن عباد قال فيها ^١ :

حييت من برق يُجِنُ جناهُ ^٢
كالأنه سَهَرًا وبات مكالي
والصبحُ يُشهرُ من سَنَاهُ صوارمًا
وكان جُنَحَ الليلِ طِرفُ أدهمٍ
وكان غائرةَ النجوم بأفقها
وكانما الجوزاءُ إذ بصُرت به
عدلوا ولو عدلوا أو اسطاع الهوى
لا تكثرُوا فالحبُّ في حَوْبِائِهِ
ملكٌ إذا الهَبَوَاتُ أَظْلَمَ جَنَحُهَا
راعتُ وقائعُ بأسِهِ حتى لقد
إن كانت الأسدُ الضواري لا تخا

وجدأ إلى أهل الدخولِ دخيلا
حتى رأيتُ اللحظَ منه كليلا
والليلُ يَرْفَعُ من دُجَاهُ سُدُولا
متضمنٌ من صبحه نَحْجِلا
عن وجهه تُغْضِي عيوناً حولاً
ألقتُ إليه نِطَاقَهَا محلولا
نُطقاً لكان العاذلُ المعنولا
كالحمدِ في أَسْمَاعِ اسماعِلا
في مَعْرَكٍ جعلَ الحسامَ ^٣ دليلا
تركَ الحمامَ بنفسه مشغولا
فُ صياله ^٤ فلم اتخذن الغيلا

١ المسالك : ٤١٩ وفي المغرب منها أبيات .

٢ المسالك : تسهد ليله .

٣ المغرب : جعل الحسام إلى الحمام .

٤ المغرب : لم تخف من بأسه .

إنْ كَانَتْ الْبَيْضُ الصَّوَارِمُ لَمْ تَهَيِّمْ فِي حُبِّهِ فَلَمْ اكْتَسِبْنَ نَحُولَا
لَمْ يَنْتَسِمُ ثَغَرُ الْحِجَابَةِ زَاهِيَا حَتَّى غَدَا لِحَيْنِهَا إِكْلِيلَا
لَوْ تَحْفَزُ الْعِشَاقَ بَيْضُ سَيُوفِهِ ١ لَمْ يَتْرَكُوا عِنْدَ الْعَيُونِ دُحُولَا

وما أحسن قولَ < أبي الفضل ابنِ شرف > ٢ :

لَمْ يَبْقَ لِلظُّلُمِ فِي أَيَّامِهِمْ أَثَرٌ إِلَّا الَّذِي فِي عَيُونِ الْغَيْدِ مِنْ حَوَرِ

وقال المتوكل بن الأفتطس في صفة سيفٍ وأخبر عنه :

لَوْلَا الْفَتُورُ بِالْحَاطِظِ الظُّبَاءِ إِذَنْ لَقُلْتُ إِنِّي أَمْضَى مِنْ ظُبَا الْحَدَقِ

ومن قصيدة ابن الأبار :

غُضُّوا الْمَلَا حَظَّ إِنَّ نَوْرَ جَبِينِهِ يُعْشِي الْعَيُونَ وَيَبْهَرُ الْمَعْقُولَا
وَلَقَدْ خَشِيتُ عَلَى الثَّرَى وَعَلَى الْوَرَى لَمَّا دَنَوْا مِنْ كَفِّهِ تَقِيْلَا
هَلْ كَانَ يَعْصِمُ مِنْهُ إِلَّا عَقْفُوهُ لَوْ أَنَّ أَنْمَلَهُ جَرَيْنَ سَيُولَا

الأديب أبو الحسن علي بن حصن الاشبيلي ٣

من مشاهير شعراء المعتضد أيضاً ، أحد من راشر سهام الألفاظ بالسحر

١ م : سيوفهم .

٢ انظر المغرب ٢ : ٢٣٢ والنفع ٤ : ٦٧ .

٣ له ترجمة في الجذوة . ٢٩٦ ، ٣٧١ (البغية رقم : ١٢٣٢ ، ١٥٢٣) والمغرب

١ : ٢٤٥ ، وذكره في رايات المبررين ١١ (غ) ؛ ونقل ابن سعيدهن الحارثي قوله ان ابن حصن

نشأ مع المعتضد فاستوزره إلا أنه كان فيه طيش أداه إلى حتفه ٢ وانظر أيضاً النفع ٣ :

٢٦٦ ، ٤٢٩ وبدائع البدائه : ٣٦٧ والمسالك ١١ : ٢١٧ .

الحلال ، وشق^١ كرائم المعاني عن أبيين^٢ من محاسن ربّات الجمال ، بين طبع أرق^٣ من الهواء ، وأعذب من الماء ، وعلم أغزر من القطر ، وأوسع من الدهر ، إذا ذكر شعراً ظن^٤ أنه صانعه ، أو ديواناً توهم أنه مؤلفه وجامعه ، واني لأعجب من قوم من أهل أقدنا لم يعرفوه ولم ينصفوه ، فأضربوا عن ذكره ، وزهدوا في أعلاق شعره ، ولعلهم حاسبوه بنزعلات كان يعبّث بها بين مجونه وسكره ، وهيهات فضله أشهر ، وإحسانه أكثر ، ولو تأملوا قوله من قصيدة في اسماعيل بن عباد : [٣٢ ب]

بَكَرَتْ سُحْرَةَ قَبِيلِ الدَّهَابِ تنفضُ الْمَسْكَ عَنْ جَنَاحِ الْغَرَابِ^١
وقوله على أنها من عبثاته^٢ :

عليّ أنْ أَتَدَلَّلَ له وأنْ يَتَدَلَّلَ
خدّ كأنّ الثريا عليه قُرْطٌ مُسَلْسَلٌ

لعلّوا أنه رأس الصناعة ، وإمام الجماعة .

ولما هيّئت المعتضد^٣ بأبي الوليد بن زيدون فأنحطت في حبله ، وتولى إلى ظلّه — حسبما قدمت ذكره في أخباره من القسم الأول — أفرج له عن صدرِ النّادي ، ونخل^٤ بينه وبين بجوحة الوادي ، وهو يقن^٥ أن سيّجري بالخلاء^٦ ، ويستولي على حَمَلِ اللّواء . فانتحاه من ابن حصن هذا شيطان^٧ مريد ، وطلّع عليه منه رقيب عتيد ، وطفق ينازعه^٨ انراية ، ويسابقه إلى

١ المسالك : أفن .

٢ المغرب : تنفض الماء ، د . غراب ، والبيت في المسالك .

٣ انظر النفع ٣ : ٤٢٩ .

٤ فيه إشارة إلى المثل : كذا يمر في خلاه يسر .

الغاية، وإن كان أبو الوليد ربما غمره بمكانه، وتمكّنه من سلطانه . وكان المعتضد ، لشلوذ مناحيه ، وفضل عريدة كانت فيه ، ربما أغترى بينهما إذا اجتمعا في مجلسه، فيتمكن لابن حصن التقدم عليه ، بسعة ذرعه ، ورضاه بالغفوى من طبعه ، وكان ابن زيدون قد جرى من الكلام إلى غاية لا يتعدّاها، ولا يرضى من نفسه إلا بلوغ أقصاها ، ولا يمكنه ذلك منها إلا في مهلة طويلة ، وعلى كلفة ثقيلة ، فربما كبا جواده ، وتأخّر مراده ، ولم يزل أبو الوليد يطرق ويحلم ، ويسدّي في أمره ويلتحّم ، وابن حصن يفتّر ويقدم ، ففاز ابن زيدون بحلمه وتوقّره، وهوى نجم ابن حصن بين اغتراره وتهوّره ، فزلّت قدمه ، وطاح دمه ، في خبر مشهور مذكور ، «وعند الله تجتمع الحصوم»^١ وإليه ينتهي الظالم والمظلوم .

جملة من أشعاره في صفات مختلفة

قال :

ألا قلّ لبدر الدجى ما عداه^٢ مما بدا من نوال نوى لي^٣
وهاتِ اشقيين غلّتي بالمدام فان بنات الدوالي الدوالي

وقال^٤ :

.....

١ عجز بيت من الشعر ، وصدره « إلى ديان يوم الدين نفضي » والبيت لأبي المتاهية في ديوانه :

٣٥٣ والأغاني ٤ : ٥٣ وهو دون نسبة في ابن خلكان ٦ : ٢٢٩ .

٢ س م : نوال .

٣ المسالك ١١ : ٢١٧ .

وربَّ شعله نارٍ
أليس ذاك عجيباً^١
كأنما عصرت من
إذا بدت لك في قط
حسبته شققاً صُ
شفيتُ منها أوارِي
يُطغى الغليلُ بنارٍ؟^٢
شقائق الجلتار
مة من البلاَر
بُ في زجاجِ نهار

وقال^٣ :

قم يا غلام فسقنيها واطرب
من قهوة صفراء ذاتِ أسيرة
خضبت بنانَ مديرها بشاعها
واشرب عتبتُ عليك إن لم تشرب
في الكأس تأتلقُ اتلاقِ الكوكب
فعلَّ العرارة في شفاهِ الربرب

وقال :

مالي وللراح وأخلاقها
هات اسقنيها الآن تبرية
راح منى راحت بكفني فقد
ولائي فيها لإخلاقها
تحكي^٤ سنا الشمس بإشراقها
قامت لي الدنيا على ساقها

وقال :

ولي نديم راقد ليله
نادى به مازحنا في الدجى
قلت له : دعه فلا بد من
أعدى من الحين على الأنفس
والورد مقرون مع الرجس
نيلوفر في وسط المجلس

١ ط : أليس ذا عجبا أن .

٢ وردت في المغرب ١ : ٢٤٦ والمساك ، والأخير منها في رايات المبرزين : ٤٠ (١١ غ) .

٣ ط : تحوي .

وقال :

قد شَغِلَ الناسُ بذكرِي وما شَغِلَ إلا الكأسُ والآسُ
ماذا على الناسِ من الناسِ ما أحقَّ بعضَ الناسِ يا ناسُ^١

[٣٣ أ] ومن مستظرف مجونه قوله^٢ :

بأبي ظبيّ صغير السّ	ن ^٣ حازت ^٤ ثلث سنّي
سرّني أنْ ليس يدري	مذهبي فيه وفني
فهو يدعوني عمّاً	وأنا أدعوه يا ابني
ذاك عندي وأبي أطر	فُ ما مرّاً بأذني
قلتُ لما أنْ بدا لي	وجهه < من > تحت بطني
قال ماذا قلتَه لي ؟	قلتُ خيراً فيك أعني
أنا صبّ فيك ميت	فاتقِ الله وصيلتي
لستُ أخشى الموت إلا	خوف أن تبعده عني
فاكتستُ وجنتَهُ رَوّ	ضّة ورد فتنتي
لو ترى مجلس لهوي	قلتُ ذا جَنَّةٍ عَدَنَ
ومدامي خندريس ^٥	لم يشبّها ماءُ مُزَنَ
لو تراني قلتُ هذا	مَلِك ^٥ ما ذا ابنُ حصن

....

١ سقط هذا البيت من م .

٢ وردت أبيات منها في المغرب ١ : ٢٤٦ وتحفة العروس : ١٦٨ .

٣ كذا في النسخ ، عل التائيث ، ولعله « حاذي » .

٤ ط م د س : تنأ .

٥ ط : مالك .

ومعي مُسَمِّعَةٌ تَش	رَبُّ كَأْسًا وَتَغْنِي
وَإِذَا مَا شَرِبْتُ كَأْ	سَاءَ مِنْ الرَّاحِ سَقْنِي
قَهْوَتِي خَمِيرٍ وَعَيْنٍ	بِهِمَا قَدْ أَسْكِرْنِي
قُلْتُ لِلْمَازِجِ خُذْ صَا	فِيَّةً مِنْهَا وَمَنِي
فَاسْقِنِيهَا بِكَبِيرٍ	فَإِنْ أَعْيَا فَبِدْنٍ
فَلَقَدْ شَاقَ فَوَادِي	رَنَّةُ الْعُودِ الْمَرْنِ
فَتَسَاقَيْنَا إِلَى أَنْ	جَازَ جَوُزُ اللَّيْلِ عَنِي
قَمْتُ نَشْوَانَ وَقَامَتْ	فِي تَهَادٍ ^١ وَتَغْنِي
وَنَضْتُ عَنْهَا قَمِيصًا	ثُمَّ لَمَّا ضَاجَعْتَنِي ^٢
قَلْبَتُ بَطْنًا لِبَطْنٍ ^٣	قُلْتُ لَا ظَهْرًا لِبَطْنٍ
فَانْتَضْتُ فِي خَجَلٍ قَا	ثَلَّةً عِنْدَ الثَّنِي
أَنَا حَانُوتٌ بُوْجِهَيْنِ	فَلَطُتُ إِنْ شِئْتَ وَازَنْ
لَمْ أُنَلْ مِنْ كُلِّ مَا فَهُوَ	تُ بِهِ غَيْرَ التَّمَنِّي
إِنَّمَا الشَّعْرُ فَكَأَهَا	تُ وَحَسْبِي حُسْنُ ظَنِّي ^٤

قوله : « قلت لما أن بدا لي وجهه »^١ . . . البيت ، مما أراد أن يسهل

١ المغرب : بتهاد .

٢ م : فجمعتني .

٣ المغرب : لظهر .

٤ أصبح هذا مثلاً عند الاندلسيين ، انظر المثل رقم : ٨٣٦ من أمثال الأندلسيين (٢ : ١٩٠) .

٥ م س : ظن .

٦ أورد البيت كاملاً في النسخ ، وذلك لا يلتزم مع إثباته للفظه : « البيت » التي تشير إلى حذف .

فيه فنهق ، وأن يتغزل فزلق ، وإنما أراد قول عمر فقصر ، وما أورد
ولا أصدر ، حيث يقول^١ :

قلت يوماً لما وحركت العو دَ بمضراها فغنتُ وغنى
ليتنى كنت ظهرَ عودِك يوماً فإذا ما احتضنته^٢ كنتُ بطنا
فبكتُ ثم أعرضتُ ثم قالت من بهذا أذاك في اليوم^٣ عتا
قلتُ لما رأيتُ ذلك منها بأبي ما عليكِ أنْ أتمنى
وقال ابن حصن^٤ :

أمتُ إليه فما يُسْعِفُ وأشكو جفاهُ فما يُنْصِفُ
غزالُ كحيلٍ له ريقة^٥ يُشَابُ بها المسكُ والقرْقَفُ
كأنَّ العذارَ على خدهِ نجادُ ومقلتهُ مُرْهَفُ
وهذا كقول ابن رشيق القيرواني^٦ ، وهو من متداولات المعاني :
وهل على عارضيه إلاَّ قلائدُ^٦ قلدتَ حساما

وقال في الشَّعِيرِ^٧ :
وبستانٍ أعجبتُ الطَّرفَ عنه على شقر كثل لحي الديوكِ
كأن حباب ثاوي الطلِّ فيه جُمانُ فوق تيجانِ الملوكِ

١ ديوان عمر : ٤٣٩ .

٢ الديوان : احتضنتني .

٣ ط د : النوم .

٤ منها بيتان في المسالك ومعاهد التنصيص ٣ : ٨٢ .

٥ ديوانه : ١٦٩ ووفيات الأعيان ٢ : ٣٦٦ - ٣٦٧ .

٦ الوفيات : وهل ترى . . . حمائلا .

٧ الشقر : شقائق النعمان .

وقال ١ :

شربناها كَيْثَ اللونِ حتى رأيتُ الفجر قد وضعَ النقابا [٣٣ب]
عجوزٌ عَتَّقَتْ حِجْجاً ولكنْ تروك كلَّما شابتْ شبابا
وأحسب أنها كانت عقيفاً جَرَتْ أنفاسنا فيه فذابا

وقال ٢ :

يُجْحَفُ ٣ عنها الدَّنُ فاستعبرتْ جرياً كما قوَّسَ إكليلُ
كأنها في الكأسِ مبيضة ٤ خيطٌ من الفضَّةِ مفتول

وقال :

طلَّ على خَدَّهِ العِذارُ فافتضح الآسُ والبهارُ
وابيضَّ هذا واسودَّ هذا واجتمع الليلُ والنهار
وقد جرى ٥ للنعيم فيه ماء بأحشائي منه نار
أقام من فوقه حجابٌ يطيرُ من تحته شرار
أغضُّ جفني عنه لأنني ٦ عليه من مقلتي أغار
رشا أعارَ الغزالَ لحظاً فحُسْنُهُ منه مستعار
شربتُ من خمري مقلتيه كأسين لي منهما خُمار
مَنى أَرُمُ سَلْوَةً ٧ نهاني غُنْجٌ بعينيه واحورار

١ وردت في المسالك ١١ : ٢١٨ .

٢ وردا في المسالك .

٣ ط م د س : يحجب ؛ المسالك ، حجب ؛ ويحجف : يقشر .

٤ المغرب : من صبها ؛ المسالك : منصبة (وهي قراءة جيدة) .

٥ وقد جرى : سقطت من م س ط .

٦ عنه لأنني : موضعها بياض في م ط س .

عِدَارُهُ قائمٌ بعُدْرِي فليس لي في الهوى اعتذار
حكى غزال الفلا نِفَاراً فشأنه التَّيْنَةُ والنِّقَار

وكان يوماً على وادي قرطبة في مجلس أنس فتذكر اشبيلية ، فقال :

ذَكَرْتُكَ يَا حِمَصُ ذَكَرَى هَوَى أَمَاتِ الْحُسُودَ وَتَعْنِيَتَهُ
كَأَنَّكَ وَالشَّمْسُ عِنْدَ الْغُرُوبِ عُرُوسٌ مِنَ الْحَسَنِ مَنْحُوتَهُ
غَدَا النِّهْرُ عَقْدَكَ وَالطَّوْدُ تَاجَكَ وَالشَّمْسُ < فِي > أَعْلَاهُ يَاقُوتَهُ

وقال ١ :

اشْرَبْ عَلَى طَيْبِ نَسِيمِ السَّحَرِ وانظر إلى غُرَّةِ ذَاكَ الْقَمَرِ
كَأَنَّهُ مَاءٌ غَدِيرٌ صَفَا وَالْمَحْقُ فِيهِ مِثْلُ ظِلِّ الزَّهَرِ

ومنها :

أَنْشَدَكُمُ شِعْرِي كَنْ قَدْ قَرَأَ سُورَةَ يَاسِينَ عَلَى مَنْ كَفَرَ
فِي نَفْسِي أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ بَلْ فِي بَقَرٍ لَوْلَا اخْتِلَافُ الصُّورِ

ما أخرجته من قصائده المطولة في المدح وما يتشبت به

قال من قصيدة ٢ :

وما راعني ٣ إلا ابن ورقاء هاتفاً على فَنَنِ بين الجزيرة والنهر

١ البيتان في المغرب ١ : ٢٤٦ والمسالك .

٢ انظر المغرب ١ : ٢٤٧ والمسالك ١١ : ٢١٩ وسرور النفس : ١٠٢ وعنوان المرقصات :

٢٦ ونهاية الأرب ١٠ : ٢٦٧ وحلبة الكميت ٢٨٦٠ ورايات المبرزين . ٣٩ (١١ ع) .

٣ خ بهامش ط : هاجني ، وكذلك هو في سرور النفس .

مُفَسِّتَقُ طوقٍ لازوردي^١ كلكل
أدار على الياقوت أجفان^٢ لؤلؤ
حديد^٣ شَبَا المنقارِ داج^٤ كأنه
توسَّد من عود^٥ الأراك^٦ أريكة^٧
ولما رأى دمعي مُراقاً^٨ أرابه
فحث جناحيه فصفتى^٩ طائراً

ومنها في المدح :

جواد^{١٠} يرى أن^{١١} العلا خير^{١٢} ما اقتنى
يرى أنه عريان^{١٣} من^{١٤} كل^{١٥} ملتبس^{١٦}
طموح^{١٧} إلى العلباء^{١٨} كاس^{١٩} من التقى
بروقك منه خليفة^{٢٠} وخليفة^{٢١}

وهذا مما ذهب به مذهب أبي الطيب وقصر عنه^{٢٢} :

وأخلاق^{٢٣} كافور^{٢٤} إذا شئت^{٢٥} مدحه
وإن لم أشأ^{٢٦} تملي^{٢٧} علي^{٢٨} وأكتب^{٢٩}

وقال من أخرى :

أقام^{٣٠} قناة^{٣١} الدين واقعد^{٣٢} العلا
وشد^{٣٣} عرى الاسلام واخترم^{٣٤} الشركا

١ ط : التبر .

٢ خ بهامش ط : فرع ، وكذلك هو في سرور النفس .

٣ سرور النفس : قوأم .

٤ ديوان المتنبي : ٤٦٥ .

٥ م ط س : واعتزم .

يضيق الفضا عن أن يكونَ لبانه وتدنو الثريا أن تكونَ له سمكا
أدرتَ وقد دارتَ رحي الحرب عزيمةً أبادتَ ذوي الشحنة صولتها هلكا
قأبوا وسُمِرُ الخطَّ سائلةٌ دما وأجسامهم ينضحنَ من صدأ سهكا
قألُ ما انفكتُ تغادرُ في العدا وقبعة غسانٍ غداة غزتُ عكا^٢

ومنها في الحرباء :

تظل ترى الحرباءَ فيها مرفعا يدَيَّ كاتبٍ ما زال يدعو وما انفكا
قال ابن بسام : وقد أكثر الناس في وصف الحرباء وانتصابها ، وكنوا
بكل شيء عن تلوتها وانقلابها ، فممن أحسن في التشبيه ، وذهب بهذا المعنى
مذهبا من الحسن لا شك فيه ، ابن الرومي بقوله^٣ :

ما بالها قد حُسنتَ ورقبيها أبداً قبيحٌ ، قُبَّحَ الرقباءُ
ما ذاكَ إلا أنها شمسُ الضحى أبداً يكون رقيبها الحرباء

وقال ابن بابك في غير هذا المعنى ، ولكنه في ذكرها معه التقى^٤ :
بغرة كشعاع الشمس لو برزت في ظلمة^٥ الليل للحرباء لانتصبا
ونقله بعض أهل عصرنا فقال في صفة يبداء :

١ ط د : ويدنو .

٢ يريد قبيلة عك .

٣ ديوان ابن الرومي ١ : ٦٣ والتشبيهات لابن أبي عون : ٢١ والشرطي ٢ : ١٨٠ .

٤ اليتيمة ٣ : ٣٧٩ .

٥ اليتيمة : ذو غرة . . . لو برقت . . . في صفحة .

بيت حرباؤها ضحيان متصباً وإن أطل^١ فلم ينظر إلى نور
وقال :

بحيث ترى الحرباء بالشمس كافراً ولو أنه جاءته من جنّي عدن
ولو يستطيع التف في ظل هوده على وشك ما يعني وقلة ما يعني
وقال أبو العلاء^٢ :

أوفى بها الحرباء عودّي منبر فكانه رام الكلام ومسه
للظهير إلا أنه لم يخطب عي فأسعده لسان الجندب
وقال أيضاً^٣ :

وساحرة^٤ الأقطار يجني سرايبها فتصلب حرباء برياً على جذع
وقال عبد الجليل المرسى :

بقلب كحرباء الظهيرة لا يني مع الشمس من ذاك الشعاع يدور
وأرى أوّل من ذكرها ذو الرمة في قوله^٥ :

غدا أكتب الأعلى وراح كأنه من الضيح واستقباله الشمس أغبر^٦

.....

١ م : أطل .

٢ شروح السقط : ١١٣٣ .

٣ شروح السقط : ١٣٥١ .

٤ ط م د س : وساجرة .

٥ ديوان. ذي الرمة ٢ : ٦٣٣ .

٦ الديوان : أخضر .

وقال ابن حصن من قصيدة أولها^١ :

أعاجوا المهاري بالعقيقِ فمنعجِ وأوضح منهم توضح كل منهج [٣٤ب]
على نؤي دارِ الركبِ عرجُ فانه حرامٌ علينا السَّيْرُ إن لم نَعْرِجْ
على نؤي دارٍ قد تبقى كأنه وقد مَحَّ منه شَطْرُهُ نصفُ دُمْلُجْ

ومنها :

بعيدة مهوى القرطِ مُصَمَّتَةُ البرى لطيفة طيُّ الكشح رِيًّا المدملج
تعضّ على العنّاب بالبرْدِ الشهي وتمسح ماء الطلّ فوق البنفسج
جلت بعقيقِ جوهرًا فتبسّمت وذبت عن الوردِ النديّ بصولج

ومنها :

فقلت صلي قد ضقتُ ذرعاً بهجركم فقالت صهٍ قد ضقتُ ذرعاً بدملجي

وهذا المعنى مشهور ، هو في شعرهم كثير ، إلا أنه غوره وأبعده ،
وأوعر لفظه وعقده ، والذي إليه أشار ، وعليه دار ، قول أبي تمام^٢ :

يعبرني^٣ أنْ ضِقتُ ذرعاً ببَيْتِنِهِ ويجزعُ أنْ ضاقتُ عليه خلاخِلُهُ

ومن مدح هذه القصيدة :

جزيلُ التقى يمشي الهوينا تواضعاً ويهتزُّ إعظاماً له كل خُنْبُجْ

١ منها أربعة أبيات في المسالك .

٢ ديدوان أبي تمام ٣ . ٢٤ .

٣ الديوان . يعني

٤ الخنج . الفصح ؛ وفي ط خنج .

وهذا المعنى مما ركب فيه ابن حصن رأسه وجكّم هواه، والمعنى مشهور في من وصف بالنسك ومُدِّح بالانسلاخ عن أبته الملك ، ومن ذلك ما قال أبو تمام^١ :

يقول فيُسَمِّعُ ويمشي فيُسْرِعُ ويضربُ في ذاتِ الإله فيوجعُ

ورأت عائشة^٢ رضي الله تعالى عنها رجلاً ناسكاً يداني الخطي ويخفّض الصوت فقالت : ما بال هذا ؟ قيل : هو ناسك ، قالت : عمر والله كان أنسك منه ، ولكنه كان إذا مشى أسرع ، وإذا تكلم أسمع ، وإذا ضرب في ذات الله أوجع . وأبو تمام بهذا الكلام ألم^٣ ، وبه ترتّم . وفي الحديث^٤ أنه كان صلى الله عليه وسلم إذا مشى تكفّأ كأنه ينحدر من صبيب .

وقال من أخرى^٥ :

خليليّ من يضحى إلى البدر شافعي
يعزّزُ على واديهُم أن أزورهُم
وما شفّتي وادٍ تَضَوّع عنبراً
تُدْرَجُ عطفيه الرياحُ فيثني
فما لي على وجدي به من تصبّر
فلا يردون الماء غير مكدر
سواه ولا ماء يشابُ بسكّر
ثني أعطافِ التزيّف المخصّر^٦

ومنها :

١ ديوان أبي تمام : ٣٢٦ .

٢ ورد في طبقات ابن سعد ٣ : ٢٩ منسوباً للشفاء ابنة عبد الله .

٣ انظر مسند أحمد ١ : ٨٩ ، ٩٦ ، ١٠١ ، ٣ : ٢٢٨ ، ٢٧٠ .

٤ منها سمّة أبيات في المسالك .

٥ المسالك : أزوره .

٦ د . الغزال المخصر ، م : المحصر .

والآ فلي منهم بِمُنْعَرَجِ اللوى
مُعَرَّسُ صيدان وأعطانُ بَزَلِ
معاهدُ لم أعهدُ بها عكَل الصبا
وصلتُ بها عيشاً كأنى قطعته
فكم غمرة جلتى شكرتُ لها الدجى
وما استيقظتُ إلا لقرع حجالها
وقالت : هو الهيمانُ ما باله انتهى
إلى كم أناجي كلَّ أبيض صارمٍ
وحتامُ أستدعي الظُّبا سُلماً إلى

[١٣٥] ومنها :

تحمى هداجاً بالظُّبا كلَّ هودجٍ
وقائع تغتالُ^٢ النفوس كأنها
فتى كفرند السيف أرهيف حدهُ
أخو الحرب مَشَاءُ إليها ترهوكاً^٤
إذا شهد الهيجا فأولُ مؤرِدٍ
يفاجيك عفواً منه جودُ بنانهِ
ويغشاك دون الستْرِ نورُ جبينه

١ د ط س : جريان ؛ وجردان السيف : غمده أو هو قراب ضخم يقع المرء فيه السيف
وأدوات أخرى ، والمفقر : السيف الذي فيه حروز مطشنة عن مثته .

٢ د : بالصرائم .

٣ المسالك : تختار .

٤ م ط س : تركوها ؛ الترهوك . مشي الذي كأنه يموج في مشيته .

تَكَفَّكَتِ الْأَبْصَارُ عَنْهُ بِمُؤَدَمٍ .
مُقَابِلِ أَطْرَافِ الْعُمُومَةِ مُخْوَلٍ .
أَمَسْتَخْبِرِي عَنْهُ ، عَنْ الدَّهْرِ لَا تَسَلْ .
أَأَرْقَى إِلَى السَّيِّعِ الشَّدَادِ تَخْرَصاً

ومنها في وصف قصيدته ٣ :

تَذَكَّرْتُ لَيْلٍ لِلْقَوَافِي فَلَمْ تَزَلْ .
فَدُونُكَ عَذْرَاءُ الْمَعَانِي ؛ ابْتَدَعْتُهَا
إِذَا مَا الرِّوَاةُ اسْتَنْشَدَتْهَا تَبَرَّقَتْ

ومنها في التعريض بابن زيدون :

وَيَنْكَلُ عَنْهَا شَاعِرُ الْمَصْرِ كُلَّهُ
وَدُونُكَ فَاحِكَمٌ بَيْنَ نَظْمِي وَنَظْمِهِ
وَلَسْتُ بِكَاسِيهَا مَدَى الدَّهْرِ حُلَّةً
وَمَا أَنْتَ مِمَّنْ يُحْمَدُ السِّيفُ عَنْده

وله من أخرى :

.....

١ هو مؤدم مبشر : وصف للرجل الكامل أي جمع لين الأدمة ونموتها وهي باطن الجلد وشدة
البشرة وخشونتها وهي ظاهر الجلد ؛ ويقولون امرأة مؤدمة مبشرة إذا حسن منظرها وصح
نحبرها .

٢ ط : وإنما ؛ س د : وأنا .

٣ ومنها . . . قصيدته : وقع في د قبل قوله « أأرقى إلى السَّيِّعِ . . . » .

٤ د : خوداً للمعاني .

أبى أبدأ إلا اصطحاب ثلاثة
 حسامٌ ويعبوبٌ وسمراءٌ لدنةٌ
 أجالَ على الصحراءِ أجردَ ساجحاً
 طليعةٌ عيني منه أذنٌ حديدةٌ
 شككتُ ظُلُمتهُ ظُلُمانُ كلِّ مفازةٍ
 وصاغَ من الاكليل حنلياً لنحره
 أصرفُ منه في الأعينةِ بارقاً
 ومنها :

أحنُّ إلى البرق اليماني إذا انتحى
 متى حُسِبَ الأملاكُ من كلِّ أمةٍ
 به نَسَخَتْ أيدي اللبالي ملوكها

وقال من أخرى :

جفا الأبردين الماءَ والظلَّ وارفأ
 معنَى بأحبابٍ يسائلُ عنهمُ
 ثننى ذكره المثنى مخايلَ دمةٍ
 أسىً بالتي من أجلها اقتحم القنا
 محششٌ وغى ورأدُ ما حمتِ القنا
 تبوأ أفياءَ القنا وكفى بها

ومنها :

وأبيضَ مهوٍ^١ لم تجدهُ إذا انتمى

أبى كرمُ الأخلاقِ إلا اصطحابها
 أعارتُ قلوبَ العاشقين اضطرابها
 فباهى به أعرابها وعيرابها
 أعارته آذانُ الظباءِ انتصابها
 وعاقب فيها ذبيتها وعقابتها
 وأما الثريا فازدهاها وعابها
 وتحتسبُ الجوزاءُ رجلي ركاها

لأنَّ إلى البرق اليماني انتسابها
 عُلِدنا بعبادِ الحسيبِ حسابها [٣٥ ب]
 وكانوا خطاياها فأضحى صوابها

وهَجَرَ يجتابُ البلادَ تنائفا
 مرابعَ أقنوتٍ بعدهم ومصايفا
 هواتنَ تَمْرِها الحمامُ هوانفا
 لفائفَ واجتنبَ البلادَ نفايفا
 ورُودَ كَمسي لا يهابُ المتالفا
 طرافاً ومَسْرُودَ الحديدِ مطارفا

إلى الشرفِ العاديّ يعدو المشارفا

١. المهو من السيوف : الرقيق ، وقيل هو الكثير الفرند .

أَعَارَتْهُ أَنْفَاسِي التَّهَابَ وَرَقَرَقَتْ
وراق العذارى حُسْنُهُ فَأَعْرَنَهُ
تَحَالُ مُذَابَ التَّبْرِ فَوْقَ لُجَيْنِهِ

ومنها :

يَذْكُرْنِي الْبَرْقُ الْيَمَانِي إِذَا انْتَحَى
عَلَى عَاتِقِي شُهْلَانٌ مِنْهُ غَمَامَةٌ

ومنها :

سَقَى عَهْدَهَا بِالْخَيْفِ غَادٍ وَرَائِحُ
فَكَمْ لَيْلَةٍ نَازَعَتْ كَفَّ الْمَيِّ بِهَا
مَعَاهِدُ اسْتَسْقَى لَهَا أَنْجَعَ الْحَيَا
تَحْمَلْنِي مَا لَا أَطِيقُ وَطَالَمَا
بِمَا بَيْنَنَا مَا بَالُ قَلْبِكَ لَا يَرَى
رَوَيْدَكَ بِالْغَصْنِ الْخَضِيدِ فَانْهَا
وَفَكِّي أَسِيرًا مِنْ ثِقَافِكَ إِنَّمَا
إِذَا جَنَّ لَيْلٌ أَوْ تَرَنَّمَ طَائِرٌ
طَوَى نَحْوِكَ الْأَجْزَاعَ يَرْعَى خِلَالَهَا
تَبْدَلُ مِنْ رِيحِ الْقَرْنَفُلِ بِالضَحَى
وَمَنْ قَدَنَ غَنَّتُهُ شِدْوًا قِيَانُهُ

عَلَيْهِ جَفُونِي مَوْجَ دُمْعِي ذَارِفَا
دِمَاجَ خُصُورٍ وَاتِّلَاقَ سَوَالِفَا
سَوَاكَا بِأَفْوَاهِ الْكَوَاعِبِ لِاصْفَا

لَدَى الْهَزِّ بَرْقًا مِنْ حَفَافِهِ خَاطِفَا
إِذَا أَسْدَفَ اللَّيْلُ اسْتَهْلَتْ سَدَائِفَا

وَأَيَّامَنَا بِالْجَزَعِ مِنْهُ السَّوَالِفَا
جَنَى الْوَصْلِ حُلُومَ الطَّعْمِ وَالْعَيْشِ غَاضِفَا^٢
وَفَاءٌ وَأَسْتَصْحِي الدَّمْعَ اللَّوَارِفَا
عُرِفْتُ صَبُورًا فِي الْمَلَمَّاتِ عَارِفَا
عَلَى عِطْفِكَ الْمَضْنَى بَرْدُ فِكَ عَاطِفَا
رَوَادِفُ يَتَرَكْنَ الْجِبَالَ رَوَاجِفَا
مُضَارِبُ الْخَاطِظِ بَهْرَنَ الْمُتَاقِفَا
حَسِبْتُ بِهِ طَيْفًا مِنَ الْجَنِّ طَائِفَا
صَفَائِفُ^٣ وَالْأَجْزَاعُ تَنْدَى صِفَافَا
ذَوَارِيٍّ مِنْ أَرْوَاحِهَا وَذَوَارِفَا
ثِقَائِلَ مِنْ أَلْحَانِهَا وَخَفَائِفَا

١ لصف : برق وتلاؤلاً .

٢ الغاضف : الناعم البال .

٣ د : صفاصف ؛ وأرجح أن تكون القراءة « صفاصف » .

وبالرَّمْلِ مرتجاً وبالْبَانِ مائساً
وبالنَّفْسِ النَّفَّاحِ من نحو أرْضَهُمْ
وبالْأَمْلِ ٢ [الملقي] بِأَطْرَافِهِ عَلَى
فَيْ تَرِدُ الْأَمْلَاكُ سُدَّةً بَابَهُ
تَخْلَهُمْ من كلِّ شَرْقٍ وَمَغْرَبٍ
يُؤْمَنُ بِحَرٍّ يَتْرِكُ الْبَحْرَ جُودُهُ
مَكَارِمُ تُنْبِئِي ٣ حَدَّ ذَهْنِي وَتَفْتَنِي
نَمَاهُ إِلَى الْعِلْيَاءِ كُلِّ مُدَجَّجٍ
وَأَسَادُ أَجَامٍ ٤ تَهْبُ رِيَا حُهُمْ
إِذَا مَا انْتَضَوْا بِيضَ السُّيُوفِ حَسِبْتَهُمْ
يَهْزُونَ بِالسُّمْرِ اللَّدَانِ أَشَاجِعاً
تَرَى الْبِشْرَ مِنْهُمْ فِي صَحَائِفٍ أَوْجِهٍ
يَصُونُونَ أَحْسَاباً كَرَاماً وَأَوْجِهاً
تَلَاقَى هُضَيْمَ الْمَجْدِ فَاخْضَرَّ عُودُهُ
إِذَا جَمَدَتْ كَفُّ الْكَرَامِ عَنِ النَّدَى
وَجَدْتَ أَبَا عَمْرٍو عَلَى كُلِّ حَالَةٍ

رَوَادِفَ يَمْلَأُنِ الْمَلَأَ وَمَعَاظِفَا
غَوَالِي يَلْقَيْنَ الرِّيحَ غَوَالِفَا ١
أَبِي عَمْرٍو الْأَعْلَى تَلِيداً وَطَارِفَا
كَمَا تَرْدُ الْمَاءَ الْحَمَامُ عَوَائِفَا
طَوَائِفَ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ طَوَائِفَا
غَرِيقاً، وَبَدْرَ أَيْتَرَ الْبَدْرِ خَاسِفَا [١٢٦]
مَصَابِيحُ فِكْرِي فِي دَجَاهَا تَوَالِفَا
يَرَّاحُ إِلَى الْمَعْرُوفِ جَدْلَانِ عَارِفَا
غَدَاةَ الْوَعَى فِي النَّاسِكِينَ حَرَا جِفَا ٥
شَمُوسٌ ضَحَى تُبْدِي بَرُوقاً خَوَاطِفَا
عَوَارِي بِالطَّلَعِ التَّوَامِ عَوَارِفَا
قَرَأْنَا ٦ عَلَيْهَا لِلنَّجَاحِ صَحَائِفَا
حَسَاناً وَأَحْلَاماً حَصَاناً حَصَائِفَا ٦
وَلَوْلَا تَلَا فِيه لِأَصْبَحَ تَالِفَا
وَخَلَفَهَا مَرُّ السِّنِّينِ جَلَائِفَا ٧
جَوَادُأَ بِمَا يَحْيِيهِ سَمْحاً مُلَاطِفَا

١ ط م س : هوالفا .

٢ د : وبالأم .

٣ تنبي : تسبب فيه نبوة .

٤ المرحف : الريح الباردة .

٥ ط د س : قرانا .

٦ م : حصافاً ؛ ط : حصائفاً .

٧ جلائف : مقطوعة مستأصلة .

وأصبحتَ للدنيا وللدين كالنار
رمتي صروف الدهر خيفاً عيونها
وأصلحتَ أحوالي وكنّ فواسداً
وأوردني صداة^١ ودك سلسلاً
وأرغمتَ أطعامي وكنّ خشاشياً
ولاني وإنّ أحكمتُ نظم جواهر
لملق سبيك العسجد المحض منك في
وأنشدك السحر الحلال غاطراً
وأجنيك من شكري بوردي مضاعف
وتمنحي بده الكريم وتارة
وله من أخرى أيضاً :

على الظنّ أني عنك سالٍ ولم أكن
ومن فرقي لا تعجبي وتعلمي
ولاني وإن عاقت عوائق دوننا :
ليدّ كبريتك المسيّ والصبح والدجى
مشتمّ ذكيّ عرفه ، ومقبل
سكوتٌ ولكن عن صبحٍ أرتق^٢ ،
بأنّي مللوعٌ من الجبل أفرق
رقيبٌ عتيدٌ أو فراقٌ مفرق
وجوّز الضحى ، كلّ إليك مشوقٌ
شهبيّ ، وصدرٌ ناهدٌ ، ومعنق

.....

١ من ط : سراد .

٢ فيه إشارة إلى المثل : « ماء ولا كصدا ومرعى ولا كالسمدان » .

٣ ط : أبرضت ؛ وأرغمت : جعلتها أريضة مرحة ، والخشاشي : الأرض الصلبة ذات الحصى ،
والخشائف : اليابسة .

٤ من المثل : « أعن صبح ترقق » يضرب لمن يعرض بشيء وهو يريد غيره . انظر فصل المقال :
٧٥ والقبلي : ٥٣ .

وخذُ غداً يستغفر الله كلما
 يخادِعُه مكرأً فيحسبُ أنه
 وليل زمان الوصل منك لحفته
 نرقرق من نظم الكلام ونثره
 حديثاً كعرف العنبرِ الورد بيننا
 جَلَسَتْ وهي عَبْرَى عن محيّا نقابتها
 تكاد بلحظ الوهم تندى غضارة
 ومما يغيظُ الخيزرانةَ أنها
 إذا طفقتْ تمشي الهوينا تهادياً
 أرتكّ الهوى رُشداً ولم تعدُ أنها
 وإن سَقَرَتْ تَفَرُّ عما يجيدها
 سمعتْ قلوبَ العاشقين كأنها
 مليكٌ له مرأى جميلٌ ومخيرٌ
 تلوذُ بحقوقه الملوكُ كأنها
 إذا صال كاد النجمُ من شدّة صوليه
 وإن لقي الأعداء ولّتْ كأنها
 له من نبيلِ الرأي سيفٌ وذابلٌ
 ذكيٌ إذا حاك الكلامَ رأيتَه

تخلّله لحظي يعيثُ ويفسقُ
 يناجيه سرّاً وهو يزني ويسرق
 يومٍ به كلُّ الأمانِ تلحق
 سُلَافاً تُسْقَاهَا الجِرْشَى^١ وتُغَبِّقُ^٢
 مع المسك مفتوقاً يُدَرُّ ويسحق [٣٦ب]
 كما انحلَّ خيطُ المزنِ والشمسُ تشرق
 وتُعَقِّدُ^٣ ليناً بالبنانِ وتُطَلِّقُ^٤
 بعقدتها فوق الحشا^٥ تتمنطق
 كما انساب مشحوناً على الماء زورق
 أراكُ على وعساءٍ بالحلني تورق
 وعن مثل ما تَفَرُّ من ذاك تنطق
 بنودُ أبي عمرو معَ الريح تخفق
 نبيلٌ وفعلٌ مُسْتَطابٌ ومنطق
 كواكبُ بالشمسِ المنيرة تُحْدَقُ
 يخرقُ جلبابَ الدجى ويمزقُ
 بُغاثٌ رأت في الجوّ صقراً يخلق
 ومن حَزَمِهِ درعٌ حصينٌ وَيَلْمَقُ^٦
 يصممُ في أوصاليه ويطبّق

١ في النسخ ، حرشى ، ولا وجه لاسقاط « ال » التعريف فيه .

٢ م ط د . ترقرق . . . وتغبق ، والبيت متصل بما بعده .

٣ ط د م س : الحيا .

٤ ط م : اطفقت .

يَشْقُقُ أَبْكَارَ الْمَعَانِي كَأَنَّهَا
 بِطِيبِ نَسِيمِ الشَّعْرِ مِنْ طِيبِ ذِكْرِهِ
 مَتَى حَكَيْتُ فِيهِ الشَّعْرَ بَيْتٌ وَلِبَلِي
 بِهِ دَمَرُ الرَّحْمَنِ دَمَرٌ وَانطَوَى
 وَمِنْ آلِ يَرْبِيَّانَ^٢ أَنْكَثُ أُمَّةٍ
 ثَلَاثَةُ رَهْطٍ بَدَّدَ اللَّهُ شَمْلَهُمْ
 وَصَيَّرَهُمْ قَبْلَ انْقِضَاءِ حَدِيثِهِمْ
 وَكُلُّ غَدَا رَهْنًا بِمَا كَانَ عَامِلًا
 فَأَشْكَلُ مَلْبُوسٍ تَخَيَّرْتَهُ لَهُمْ
 وَأَفْضَلُ مَرْكُوبٍ عَلَيْهِ حَمَلَتَهُمْ
 هُمْ وَرَدُّوا الْخَوْضَ الَّذِي عَنْهُ ذَدَّتْهُمْ
 هُمْ نَقَضُوا مِيثَاقَ عَهْدِكَ عَنُودًا
 هُمْ أَنْضَجُوا ذَاكَ الشَّوَاءَ فَرَمَدُوا

ومنها :

جِيوبٌ بِأَيْدِي التَّاكَلَاتِ تُشَقِّقُ
 وَتَعْلِبُ أَفْوَاهُ الرِّوَاةِ وَتَعْبِقُ
 مِنْ الرُّوْضَةِ الْغَنَّا أُنْمٌ وَأَعْبِقُ
 بَنُو يَفْرَنْ أَعْدَى الْأَعَادِي وَأَمْرُقُ^١
 لَعَهْدٍ وَمِيثَاقٍ وَأَغْوَى وَأَفْسَقُ
 أَنَا فِي كَانُوا لِلْفَسَادِ فَفَرَّقُوا
 حَدِيثًا بِهِ ظَهَرَ الْجِدَالَةُ^٣ يُخْرِقُ
 وَكُلُّ عَلَى مَا خَبَلْتُ سَوْفَ يَغْلِقُ
 جَوَامِعُ أَغْلَالٍ بِهَا يُتَانَقُ
 أَدَاهِمُ إِلَّا يَعْنُقُوا لَيْسَ تُعْنِقُ
 وَوَارِدُ ذَاكَ الْمَاءِ لَا بَدٌّ يَغْلِقُ
 فَأَوْثَقَهُمْ فِي رِبْقَةِ الْأَسْرِ مَوْثِقُ
 وَهُمْ طَبَخُوا ذَاكَ الْقَدِيدَ فَأَزَعَقُوا

وأطلقها من ربة الجور مطلق
 رداء عروسٍ بالعير مرقق

بمعتضد بالله أشرفت الدنيا
 ورقت حواشي الدهر حتى كأنه

١ بنو يفرن من زناة ، استولوا بعد الفتنة على تآكرنا وكانت قلمتهم ردة ، وكان زعيمهم أبو نور بن أبي قرّة حليفاً لعباد ، ثم غدر بهم عباد في حديث طويل ، (انظر البيان المغرب ٣ : ٢٧٠ وما بعدها) وقوله : « دمر » هي أحد فروع اليفرنيين ، وفي النسخ : تدمر .
 ٢ وردت في النسخ : يرقيان ، وعند ابن عذاري (٣ : ٢٧١) يربيان ، وكان أميرهم عبدون بن خزرون صاحب أركش وشذونة ، وقد قام عباد بالقضاء عليهم أيضاً وأباد أكثرهم سنة ٤٥٨ .

٣ الجدالة : الأرض .

ومنها :

أقومُ ، على أني أقومُ فأغرق
بجسمي لِمَا أوليت بالشكر تنطق [١٣٧]
سنا الصبح تجلو لهم والصبح مشرق
ولم أرَ عذراً مثلها كيف تخنق
ومن خاتم الملك اليماني بُخْنَق
إليها قفلُ ألف تلقاء شيق
إلى كبدٍ تحنو عليها وتشفق
يضرُّ بها ذاك الرباطُ المخنق
دنانيرَ أمثال الكواكب تشرق
بها حورٌ يزهي العيون ويونق

لأغرقتني من أن أكون بشكرها
ولو كلُّ عضوي في أو كلُّ شعرة
أتني يدٌ بيضاء منك كأنها
ومشتاقه علداء شدَّ خناقها
عليه من اسم الملك عِقْدٌ منظمٌ
تلاقيتها بيشراً ملاقة شيق
أقبلها طوراً وطوراً أضمتها
إلى أن تشفيني عناقاً وخفت أن
قطعتُ عليها عقدها فتناكرت
كحلتُ بها حولاء عيني فاغتدى

ومنها في ذكر قصيدته :

سروراً بأباط علي تصفق
ويوم سرور حُسْنُهُ متألق
لأدَى جريرٍ حقها والفرزدق
جبالٌ ياجهاد القرائح تُنتق

وأبقتُ أفراسي لها فتطايروا
فيا لك من لهي وطيب وفرحة
لو أن جريراً والفرزدق أنشيدتُ
وهن وإن كانت قوافي تتنقى

وله فيه من أخرى ١ :

بنوم كسا الآفاق منه وصائلا
كما فاجأ الرعيدُ في الحرب باسلا

وليل كأكباد العداة وصلته
ويوم عمامي بليل ذعرته

.....

١ موضع هذه العبارة بياض في م ط س .

وجرية ماء كالمجرة جللت
تشادي به ورق الحمام بالضحى

من البرك الملائى بدوراً كواملا
بلابل يبعث الأسى والبلا بلا

ومنها :

أحمج شري الخطب جرّوا ومخطباً^١
وألقي بأمثال الخطوب خطوبها
ومن يشك ما أشكول إلى نصّب السرى
ومن يرج عبّاد بن عبّاد الرضا
فنى تدري^٢ الهيجاء أرواقها به
وتسفر منه المشكلات نقابها
وما أصعب الأشياء حتى يرومها
يذل له الأمر العسير فكاد أن

والمج بنت الدهر جداء^٣ حافلا
من الهمة الطولى تليلا وكاهلا
من الراحة استمرى السعوم القوانلا
رجائي لم يلق الليالي خاملا
على نكل حرب لا يرى الدهرنا كلا
إلى فيصل يستشعر القول فاصلا
برأي يريه أجل الأمر عاجلا
يكلفه أن يرجع العام قابلا

ومنها :

وطوقني دون السؤال اهتباله^٤
فأينع لي ما جف من عودٍ مطلبي
تراسل في الجلى أسيرة وجهه

أبادي جلّتي وقد كنت عاطلا
وعاد أجاجي منه عذبا سلا سلا
نجيعاً وطوراً سودداً وطوائلا

١ في د ط : جدوا ؛ ويصح : يحدق النظر ، (وفي النسخ : يجمع) والشري : الحنظل ،
والجرّو : الحنظل حين يكون صغيراً ، والمخطب : الحنظل حين يصفر .
٢ في النسخ : ألمح ؛ والمج : أرضع ؛ الجداء : القليلة اللبن ، والحافل : الضرع
الممتلئ بالبن .

٣ في النسخ : تزدرى ؛ ولا معنى له .

٤ نكل حرب : قوي عليها ، وفي النسخ : حزب .

٥ م ط : اهتباله ؛ س : اهتبالها .

يَدٌ تَسَعُ الدُّنْيَا بِمَا وَسِعَتْ وَلَا
يَقِيلُ^١ أَبَانٌ^١ أَنْ يَرَى فَصًّا خَاتِمٍ
أَمُسْتَوْصَفِي عَنْهُ ابْنٌ بِجَدَّتِهَا أَجَلٌ
مَسَاعٍ إِذَا مَا الْوَصْفُ حَاوَلَ بَعْضَهَا
خَلَعَنَ عَلَى سَحَابٍ حُلَّةَ بَاقِلٍ
سَوَى الْعِجْزِ لَا يَجْدِي تَنَاوُلَ وَصْفِهَا
وَأَنَّ زَمَانًا جَادَ فِينَا بِمِثْلِهِ
فَهَذَا مَكَانُ الْوَصْفِ إِنْ كُنْتَ وَاصِفًا
فَمَا يَهْبُ الْأَمَالُ إِلَّا حَوَالِيَا
وَأَنْ خَاتَلْتَ أَعْدَاؤَهُ أَفْتَا^٢ لَهُمْ
فَمَا يَنْظُمُ الْآرَاءَ إِلَّا دَادِبَا

ومنها :

هَمْ الْقَوْمُ طَابُوا أَبْطُنًا وَعَمَائِرًا
ضِرَاعُهُمْ أَجَامٌ تَهَبُّ لَدَى الْوُغَى
فَمَا حَمَلُوا إِلَّا بَنَصْرٍ حَمَائِلًا
وَلَا ادَّرَعُوا غَيْرَ الْقُلُوبِ سَوَابِغًا

ومنها :

وَدُونُكُهَا مَصْبُوحَةٌ رِيسْلٌ مِقْنُولٌ

أَحَاشِي بِهَا بَرٌّ أَوْ بَحْرٌ أَوْ سَاحِلًا [٣٧ ب]
لَهَا وَالْبَحُورُ الزَّائِحَاتُ أَنْامِلًا
لَقَدْ جَلَّ عَنْ وَصْفِي عُلَاً وَفَوَاضِلًا
ذَهَبَنَ بِهِ فِي كُلِّ وَادٍ مَحَاوِلًا
فَسَاوَى بِهَا سَحَابٌ فِي الْعِيِّ بِاقِلًا
عَلِيٍّ وَقَوْلِي عَزَّتِ الْمُتَنَاقِلًا
جَدِيرٌ بِأَنْ يُدْعَى الْجَوَادُ الْمُتَاوِلًا
وَهَذَا مَكَانُ الْقَوْلِ إِنْ كُنْتَ قَائِلًا
إِذَا وَهَبَ النَّاسُ الْعَطَايَا عَوَاطِلًا
بِمَاقِطٍ^٣ حَرَبٍ لَمْ تَجِدْهُ مَخَاتِلًا
وَلَا يَبْعَثُ الرِّيَاضَ إِلَّا قَوَائِلًا

وَطَابُوا شَعُوبًا قُوبِلَتْ وَقَبَائِلًا
شَمَائِلُهُمْ فِي الْمَازِقِينَ شَمَائِلًا
وَلَا أَعْمَلُوا إِلَّا بِنُجُجٍ عَوَامِلًا
وَلَا سَكَنُوا غَيْرَ السَّرُوجِ مَعَاقِلًا

أَزَفَ بِهَا بِكَرًّا عَوَانًا مُرَاسِلًا

١ أَبَان : اسم جبل .

٢ س م : أفة .

٣ المَاقِط : المَعْتَرَك .

قوافي أمثال الصخور بعثتها
حوامل للآمال أجمل^١ من غدت
إذا أنشدت في حفل القوم أعربت
بيان هو السحر الحلال تجودت
قديمًا على أسماع قوم معاولا
مطافيل بالمعنى النفيس حواملا
من الغيظ في أضلاع قوم محافلا
به فكرة أضحت لبابل بابلا

وله من أخرى في اسماعيل بن عباد :

هوى بي هوى الغيد الحسان فللجوى
وزين عندي حلة السقم أنها
أما وعيون العين يوم النوى لقد
أمرضتها كأس الملامة مُدْمَأْ
نفضت يدي عن كل ورد وسوسن
وأغضبت إلا أن يلوح لناظري
والعس معسول الثنايا من المنى
حبيب رقيب الحسن فوق جبينه
حشا كحلا عينيه مسك عذاره
سأهواه ما اهتز الأراك وأصبحت
صقيل فرند السيف يبيض ليله
تبئل منه كل مرأى ومخبر
تلين له الأيام وهي شدائد

بكل فؤاد من فؤادي^٢ تمكن
نحور بها زهر الخلى تزين
سبي قلبي الغصان منهم أغصن
أقل علي^٣ اليوم كم أنت تُدْمِنُ
لحد به ورد أنيق وسوسن
محيا به أيقنت أني مُحَيَّن
ألد ومن شمس الظهيرة أحسن
يتيه ، ومعشوق الملاحه يَمْنَجُن
فلاح به وجه من العذر بين
أنامل إسماعيل بالحد تهتن^٤ [١٣٨]
إذا اربد من ليل الكريمة موهين^٥
فقد فُتِنَتْ فيه قلوب وأعين
وتعنو وجوه الحادثات وتذعن^٦

.....

١ م : أحمل .

٢ ساقط في ط م س ؛ وفي د : بكل فؤاد من فؤادي ؛ ولا أراه دقيقاً ، ولعل الصواب « بكل
قسيم من فؤادي » أو « بكل فؤادي علقه وتمكن » أو ما أشبه من قراءة .

فلا تياسنَ منه بلينِ عريكةٍ
نماهُ إلى العلياءِ آباءُ عزةٍ
ميامينُ أجدادٍ مآمينُ لم تكنْ
ترفرقُ منهم بالسماحةِ أوجهُ
كفاهمُ باسماعيلِ مجدأ مؤثلاً
تظنُّ به في المُشكِلاتِ كهانةً
توقدَ ذهنٍ في خمودِ سكينَةٍ

وله من أخرى :

ما بينَ البينِ يومَ الخوفِ ملمومٌ
وآيةُ الحبِّ في الأجفانِ واضحةٌ
هي الغزالةُ لولا ضيقُ دملجها

ومنها :

ساروا وقلبي أسيرٌ في القبابِ وقد
وفي الغبيطِ الموشى شادنٌ خرقٌ
مخدّد الخلدُ بالأوهامِ ناعمه
بلدٌ بدبياجتيه عُجْمُنا سَبَجٌ^٢
غُصْنٌ من الورقِ الماذي يجذبه
يُهْدي لك الدرَّ من لفظٍ ومبتسمٍ

... ..

١ لعل الصواب : « ذكاء » .

٢ س ط : حدا بهم .

٣ المعجمة : النقطة ؛ السج : الخرز الأسود .

فقد يقطع الصمصامُ والمتنُ لينَ
رأى حُسْنِ مسعاهم فما زال يحسن
وقائعهم في كلِّ هيجاءِ تؤمّن
وتتثالُ منهم بالفصاحةِ ألسن
وعزاً مكيناً لا يني يتمكن
وليس كذا لكنَّهُ يتظنن
ذكي^١ كمثّل النارِ في الزندِ تكمن

إلاً إشارةٌ عتابٍ وتسليمُ
والسرّ منتهكٌ والصبرُ معلوم
حمّلتها ضعفَ ما يلقي بها الريم

حداهم^٢ كلَّ رهوٍ السيرِ مخطومُ
أحوى المحاجر طايوي الكشح مهضوم
كانّه سوسنٌ بالورد ملطوم
تحفه طُرّاً ليلٍ ونعيم
للّينِ حِقْفٌ من الكافور مركوم
ضربانٍ مُنتَثِرٌ منه ومنظوم

يُخفي الذنوبَ وأخو أن أوأخذَهُ
 ما هاج برحَ الهوى إلاً مطوّقةً
 ترنّمتْ ودموعُ الصبّ آيةً أن^١
 أيا حمامةً ذا الوادي أثرتِ جوى
 إلاً يكنّ وادياً حلتْ ركبُهُمُ
 همُ أناخوا بيجزِ عَيْهٍ جمالَتُهُمُ
 [هلم] نسري اعتسافاً حيث عنّا لنا
 نُغشي بهنّ بنات الوحدِ ساجدةً
 يُنْضي^٢ سرى الليل تأويب النهار ولا
 والآلُ عند هيام القبطِ مضطربُ
 يزاحم الليلَ والخرقاء موضعةً
 مزقتهُ وثرِيَّاه تلوحُ كما
 وقد محّا سنّةَ البدرِ الحسوفُ كما

ومن المدح :

حوى من الفخرِ ما لم يحْوَهِ مَلِكُ
 أغرُّ مبتهجٌ قاح الزمان به
 هو الجواد الذي أضْحى السّماح له

من أجل ذلك قيل الحسنُ مرحوم
 كأنّها من نحولٍ شفها جيم
 يُهَلّ ساجمتها بين وترنيم
 تنقُضُ منقّدةً منها الحيازيم
 به وإلاّ فما واديك مأموم
 وأنهلوها وهنّ الطلحُ الهيم
 منهن وهنّ سنا نارٍ وتخييم
 تَخْدي وقد همّ بالسّمار تهويم
 بهجير من لب الرضاء تضريم
 كأنّه في بساطِ القاعِ محموم [٣٨ب]
 والقفرو مثل طراد السّيف ديموم
 لاحت بأنمل زنجي خواتيم
 محّا سنا رونقِ المرأة تسهيم

وحاز ما لم يحْزُهُ العُربُ والرومُ
 كأنّما دهرنا بالمسكِ مرثومُ
 رَيْطاً كأنّ العطايا فيه تعليمُ

١ س م ط : أفة أن .

٢ بياض في م د س ؛ وفي ط كلمة لعلها مزيدة بخط غير خط الأصل .

٣ ط م س : يضني ؛ د : يقي .

٤ مرثوم : غلّق ملطخ بالطيب .

٥ التعليم : جعله معلماً أي مخططاً .

قد كفل الخلق جدواهم فعمتهم
إذا نبا حادثٌ للدهر عن له
يا ها أمية لا تقرب لحمص حمى
كذلك آباؤه الماضون هم أكما
إذا نظرت فأشكالُ البدور وإن
نماك للمجد عبادة فأنت له
هذي الليالي على حُكم وإن رغمت
كأنما الرزق من كفيه مقسوم
عزم ثنى المتن منه وهو مقصوم
محمد ما تحامى فهو ترخيم
ت الغز ما ظلموا يوماً ولا ضيموا
خببرتهم فهم الأسد الضراغيم
نجل سمّت بكما الصيد اللهايم
زامها بكلا كفيك مزوم

ومنهم الوزير الكاتب أبو عمر بن الباجي^٢

قال ابن بسّام : وكان أبو عمر يوسف بن جعفر المعروف بابن الباجي
من بلغاء الكتاب ، وأغرب شأؤ جدّه الباجي في الولادة كلّ الإغراب ،
في صلة حبّل البلاغة على جميع كتاب الإسلام ، لأنّه أنسل أربعة من
حملة الأقلام وفرسان الكلام ، أولهم جدّه يوسف ، وابنه جعفر بن
يوسف ، وعبد الله ويوسف ابنا ابنه جعفر ، ويوسف هذا هو المكنى بأبي
عمر . فأما أبوه جعفر فكتب صدر الفتنة المؤرخة أوّل هذا الكتاب لعدّة

١ ط د م : وما .

٢ ذكر ابن سعيد (المغرب ١ : ٤٥٥) أن يوسف بن جعفر الباجي كان فقيهاً جليل القدر
رحل إلى المشرق وحج وولي قضاء حلب ، وعاد إلى الأندلس فجل قدره عند المقتدر بن هود
ملك سرقسطة ، وقد ذكره ابن يثرون الصقلي وعنه ينقل العماد (الخريدة ٢ : ٣١٣)
وذكر أن له مؤلفات وقصائيف شرعية ؛ وعاد العماد فذكره (٢ : ٣٨٠) نقلا عن
القلائد ١٠٢ : وفيها أن كنيته « أبو عمرو » ، وأنظر المسالك ١١ : ٤٢٠ .

من كبار أملاكها آخرهم يحيى بن اسماعيل بن ذي النون ، ولديه توفي بمدينة سالم سنة خمس وثلاثين . وكان أبو عمر هذا إنما تصرف كاتباً ، وطلع شهاباً ثاقباً ، بأفق المشرق ، وإنما ذكرته هنا لأن بلده وبلد سلفه باجة ، إحدى مدن الجانب الغربي من الأندلس ، وقاعدة بلاد ساحل البحر المحيط الرومي .

ونقلت ما أثبت في هذا المجموع من رسائل بني الباجي من قراطيس تعاليق ، وبطاقات وقعت إليّ تفاريق ، منسوبة لهم في الحملة ، وربما اختلطت رسائل الابن والأب لهذا السبب ، وهذا الذي أصيف وأشرح ، بما لا يضر ولا يقدح ، لا سيما في رواية حكاية لا يخل بها نسبتها إلى من < لم > يحكيها ، وفي نشر نسيجه لا يتغض من بهجتها إضافتها إلى من لم يحكيها ، وإنما هي ملح مثور أو منظوم ، وليست بمقائق علوم ، فتكلف في صحة الأسانيد ، والفرق بين سعيد وسعيد ، والفصل ما بين عبيد وعبيد . وعلى أي حال ورد هذا المجموع ، من مجهول أو معلوم ، في مثور أو منظوم ، فبديع رائق ، ومتأخر إن شاء الله سابق .

جملة من رسائله في أوصاف مختلفة

له من رقعة عن ابن هود إلى المعتضد :

كثرت - أيديك الله - محامدك فصارت زاد الرفاق ، وأشرقت

١ هكذا يقول ابن بسام ، ولكن هذا من التجوز الذي يلحق ضرراً بالدراسة الدقيقة . والمؤلف إنما يتحمل لنفسه عذراً ، وقد علق العمري على هذا بقوله : « وهبهم أهل بيت واحد ، أليس يفرق بينهم التفاوت ؟ » .

محاسنك قَرَمَتْ بساطع نورها إلى الآفاق ، ففي كلِّ سبيلٍ طليعةٌ من ثنائكَ مرحلٌ^١ ، وفي كلِّ أفقٍ بريدٌ من أنباءك يُتَعَلَّلُ ، [٣٩] وللفضائلِك الماثورةِ حَمَلَةٌ يتباينون في القدر ، ويتفاضلون في النشر ، وكلهم موجزٌ وإن حاولَ أن يُطَنَّبَ ، ومقتصدٌ وإن حاولَ أن يُسَهَّبَ ، والله يصونُ ما ألبَسَكَ من المكرمات ، ويزيدُ فيما خَوَّلَكَ من الصالحات ، بمنه .

وأنا لا أزال بفضلِ خلُوصي إليك ، وصدقِ انجذابي لك ، وشدةِ اغتباطي بموهبةِ الله السنيّةِ فيك ، مصيخاً إلى كلِّ داعٍ بشعارك ، وحاملٍ لآثارك . مستهدياً لطيبِ أحاديثك ومبهجِ أخبارك ، فإذا ظفرتُ بمحدثٍ عنك فقد نلتُ جدلي ، وإذا وقفتُ على خبرٍ من لدنك فذلك من أمني .

وفلان لحقٌ بجهتي . طاعتك ، وعنده أوفى بضاعةٍ من رفيعِ ثنائكَ ، وأحسنُ إشاعةٍ بجميلِ أنباءك ، وهو الناطقُ القوول ، والصادقُ المقبول ، فعَرَضَ تلك البضاعةَ الزكيّةَ في معرضِ نفاقها . وقصد بها أقومَ أسواقها ، وأهدى ذلك العليقَ السنيّ إلى مستهديه . وأدّاهُ إلى يدٍ^٢ مقتنيه ، ولما أنْ صَدَرَ عَنْهَا ، بعد انقضاءِ وطره منها . وقد ضَمَّخَهَا بذكركَ ، وقام فيها بشكركَ ، تُقَتُّ إلى مواصلتك معه . وتجديدِ العهدِ الكريمِ على يده ، فأصبحته كتابي هذا مُخبراً عن مقامه في بثِّ مناقبك . وواصفاً لحاله في نشرِ محامدك ، ومجلاً عليه في وصفِ ودِّي ، والإخبارِ عما عندي .

وله من تعزيةٍ إلى ابنِ أبي عامرٍ في ابنه المعتز^٣ : بأيِّ لسانٍ — أيُّدكَ الله —

١ كذا في النسخ .

٢ يد : سقطت من ط .

٣ وردت هذه الرسالة في العطاء الجزيل : ٦٢ .

أخطبك مذكراً ، أو بأيّ مقالٍ الأطفبك مصبراً ، وقد أذهلتني
 فجأة الخطب ، وتركني طائر القلب واللب ، وقد رماني ساعد الزمان
 حين رماك ، وأصماني سهمه كما أصماك ، وثار إليّ فجائعه من حيث
 ثارت إليك ، ودارت عليّ وقائعه من حيث دارت عليك . ولو كان ما
 طالعي خطرة حلّم ، لكفى به داعية بثّ وألم ، فكيف إذا كان يقيناً
 يقطع أمل المؤمل ، ويُبطل رجاء المرتجي المتعلّل ؟ !

وورد كتابك الجليل ناطقاً بلسان الرزية ، مقصداً سهم الفجيعة في
 المعتز بالله ، ابنك ، ومعتمدي - كان - فأنّا لله ! ! أيّ رزء ما أفضله في
 القلوب ، وأيّ خطب ما أشنّعه في الخطوب ، وأيّ مصاب ما أحقه
 بالأسى^١ وتبذ الأسى ، لولا أمر الله تعالى . - ولا أجيد - أيّدك الله - لهذه
 الفادحة قدرأ ، ولا أقيسُ بها أمراً ، ولا أكاد أقولُ في مثلها صبراً ،
 فإنها سالبة الأذهان ، وجامعة الأحزان ، وخبيثة الحدّثان . وكبيرة نوائب
 الزمان .

وفي فصل منها : ونحن مأمور فينا ، ومحكوم علينا ، يملكتنا خير المالكين ،
 ويحكم فينا أعدل الحاكمين ، ولو شاء الله لم يخلّقنا ، فضلاً عمّن
 خلّق منّا ولنا ، وقد أنعم الله عليك بنعم متعلّك^٢ بها ما شاء ، ثم صنع
 في بعض ما شاء ، فان تقابل بالاحتساب قدره التازل ، وبالتفويض

.....

١ المعطاء الجزيل : بطول الأسى .

٢ في النسخ : وكثيرة .

٣ في النسخ : منعك ، والتصويب عن المعطاء الجزيل وزاد فيه بعد اللفظة « الله » .

قضاءه العادل ، فأحزى بحزنك أن يعودَ سروراً ، ويصدحك أن يكون
بشواب الله مجبوراً .

وله من أخرى في مثله^١ : كتابي عن نفسٍ مستطارةٍ بِلَوَعَتِهَا ،
وكبدٍ مُذَابَةٍ بِرُوَعَتِهَا ، وعن قلبٍ شعارهُ بِرَحِّ الجوى ، وأشاره نهبُ
الأسى ، تفجّماً لما فجّعتك ، واشترأكاً في عظيم المصاب معك ، وأسفاً على
من فقدناه فقدانَ السَّمْعِ والبصر ، ورُمينا فيه بأفْطَعِ الحوادثِ والغير ،
فانّا لله وإنّا إليه راجعون ، بها يعتصمُ العارفون ، وإلى حقيقتها يرجعُ المسلمون .

وانّ كتابك ورد منبثاً عن صورة حالك ، وتوفية^٢ رزقك حقه من
الأسف . وإعطاء مصابك بقدره من التّهفِ ، فسدّ^٣ على نفسي
— فاديتك — ثانياً الصبر ، ووقع منها موقع المشيم من الجمر ، ولعمرُ
الله إنه الرزء ، [فليس كئله الأرزاء ، التي] يحسن فيها الغزاء^٤ ، وإنك بالبت^٥
والحزن لحقيق ، ثم إنك بالصبر والاحتساب^٦ لخائق ، ولولا أنّي أثقُ برجوعك
إليه ، وتأيد الله تعالى لك في الاحتمال عليه . لسكنت في الذكرى طريق
المحتشد [٣٩ ب] ، وأنفدتُ فيها وسعَ المجتهد ، على أنّي باستهدائها^٨

١ وردت في العطاء الجزيل : ٦٣

٢ العطاء الجزيل : في توفية .

٣ ط م س : فسد .

٤ في النسخ : الجبر .

٥ ط م د س : لرزء يسهل لا يحسن فيها ، وأثبت ما في العطاء الجزيل .

٦ ط م د س : البت .

٧ ط م د س : في الاحتساب .

٨ م س : باستدائها ، ط : باستهدائها .

جدير ، وإلى سماعها فقير . وما اقتباسي إلا منك ، ولا اقتدائي إلا بك ،
جعلك الله في تلقّي هذا الرزء ، وتحمل هذا العبء ، قدوةً رشداً للجازعين ،
وأُسوةً هدىً للغافلين .

وله من أخرى إلى ابن هود بعد خروجه عنه : كتب مملوكهُ الملتحفُ
في نعمائه ، المتقلبُ في آلائه ، من فُلانةَ ، وما قطعَ مرحلةً ، ولا احتل منزلةً ،
إلا ودأبهُ وَصَفُ معاليه ، ونَشْرُ أياديه ، وأما مفارقةُ ذَرَاهِ فيكاد الإشفاق
يُضْمي الجنانَ . ويدُمي الأجفانَ ، وينفي بالجملة السلوانَ ، وهو أمرٌ
حُمٌّ واقتَرَبَ ، وقضاءٌ سبقَ وغلبَ ، وأنا مع انفصالي عن ذلك الكَنَفِ الجليلِ
المأمولِ ، والفِئامِ العزيزِ الموصولِ ، الذي عَمَرْتُهُ في ظلِّ الإكرامِ
والتوجيهِ ، ومِهَادِ الإنعامِ والترفيهِ ، غيرُ خارجٍ من عدادِ من يتقلبُ فيه ،
وجملةٍ من يُرَاحُهُ ويغاديه ، لأن فَضْلَهُ بي حيثُ كنتُ محبطُ ، وأملِي
به منوطُ ، وتشيعِي له مشهورُ ، واعتراي بعوارفه لديّ مأثورُ ، وسيعلمُ
مولاي أَنِّي صَحَبْتُ فاعتدلتُ ، ثم فارقتُ وما اختللتُ ، بل أعظمتُ
وأجللتُ ، وأُنيتُ فاحتفلتُ . والله الحسيبُ بالنيّاتِ والأعمالِ . الشهيدُ
على الأقوالِ والأفعالِ .

ومن أخرى له : سيّدي ، ومن أبقاه الله للكرم يتبوأ سِطَّتَهُ ، والشرفِ
يدْرِعُ بُرْدَتَهُ ، والعزّ يلبسُ سِرْبَالَهُ ، والفخرِ يَسْحَبُ أذيالَهُ ، بأيّ
لسانٍ - أعزّك الله - أناجيكَ على بُعدِ الدارِ ، وقد أخرسْتَ عن واجبِ
الشكرِ لساني ، وطمستَ على وجوهِ بياني ، بما أضفيتَ من حُلَلِ بِرِّكَ التي

أعجبتني ، وطوّقتني من منك التي أَلحمتني^١ ، بالهديةِ السَّنيّةِ التي لا يزال الدهرُ ينثرها ، وأيدي الثناءِ تنشرها ، فكم من عِلْقٍ نفيسٍ شافهتني منها بلسانِ بغدادَ وَعَدَنَ ، ولاحظني بمقلةِ مصرَ واليمنَ ، وأيمُ الله : لقد ابتسمتُ إليَّ نجومُ السَّماءِ ، ودان لها تقْويفُ كلِّ روضةِ غَناءٍ ، وتحدثَ بها الكرمُ المحضُ ، وأشاد بذكرها الثناءُ الغضُّ ، وحقَّ لهديةِ أهدتني أناملُكَ المستهلةِ السحابِ ، وجادت بها راحتُكَ الثَّرةُ المواهبِ ، أن يَعْنَوْها القَمَرانُ ، ويحاسِنَ بها زمانُنا كلَّ زمانٍ ، فلو أنَّ البحرَ عاينها طامياً لما ساجلك ، والغمامَ شاهداً هامياً لما طاولك .

وله من جوابٍ على كتابِ عتاب : المودّات - أعزّك الله - إنما تثبت دلائلها ، ونصحُ مَخائِلها ، بمضمراتِ الفؤادِ ، لا بمزوّراتِ المدادِ ، وبمعتقداتِ الحقائقِ ، لا بمعهوداتِ البطائقِ ، وفي علمه تعالى أتني من الاعتدادِ بمجدِكَ ، والاعتلاقِ بحبلِ ودِّكَ ، والاسنادِ إلى كرمِ عهدِكَ ، بمنزلةٍ لا يتعاطى إدراكها أحدٌ ، ولا تطولُ يدُ صفائي فيها يدٌ ، وفي نفسك النفيسة من ذلك أعْدَلُ شاهد . وأصدّقُ رائد .

وقد ورد كتابُك ففضضته^٢ عن مثلِ عقاربِ لاسبةٍ ، وسهامٍ نافذة صابئةٍ ، من عتابِ صدّاعِ قلبي ، وفَتٍّ في عضُدَي . وتقريعٍ لم أقِفَ ببابه ، ولا جَدَّبتُ بأسبابه ، ومعاني العتابِ^٣ - أعزّك الله - إذا وردتْ على سليمٍ منها . نزيهٍ عنها . مُتَحَفِّظٍ من وقوعها ، متحرِّزٍ من جميعها ، أساءتْ

١ م ط : أَلحمتني ، س : أَلحمتني .

٢ م ط س : وفضضته .

٣ م ط : الكتاب .

ظنّه ، وأطالت فيكرهه ، وأشغلت سيره ، ولا سيما على بعيد الدّار ،
 نائي المحلّ ، مشتاق إلى الإخوان ، متأسّف على فقد الخلصان ، مستشعر
 حرماناً لزم ، وزماناً جارٍ وظلم . وأما الهنات التي أطلقت عنان العتب عنها
 في ميدان فسيح ، وجريّت في إيرادها جريّ الشفيق النصيح ، فليست
 بهنات مخلّقة ليعرض ، ولا قاطعة عن فرض ، وربما غيرت عندك
 صفتي فتكرت عليك ، ومثلك من حكم الخبر على الخبر ، وقنع بالعين
 دون الأثر .

وله من أخرى عن ابن هود إلى ابن ذي النون [٤٠ أ] يشكره باطلاق
 ابن غصن^١ من السجن : كتابي - أيدك الله - كتاب أعزيتّه من ذكر
 الوداد ، وعدلت فيه عن وصف الاعتماد ، خرقاً لعادة المتودّدين ، وصنفاً
 عن طريق المتصنّعين ، على أني - علم الله - في الصدر المقدّم ممّن
 يواليك ، والرعيل الأول ممّن يتشيع فيك ، وأفردته بشكري يدك البيضاء ،
 وحميد صنيعتك الغراء ، التي طوّقت بها جيد الأدب ، طوقاً يبقى على
 الحقب ، ووضعت على نار الذكاء ، وقوداً يسطع بطيب الثناء ، مزاحماً
 بفضل همّتك لكلّ الزمان ، وقد أناخ على الفهم بجران ، ومحافظاً على
 حرمة الكرم وقد أعرض عن ثقلها الثقلان ، أنفة من أن يضيع حذاء
 نظرك حقّ أديب ، وتقطع بمراى عينك نفس لبيب ، وأنت عين
 الآداب ، وعمدة ذوي الألباب ، فيعود عليك من أهلها ملام ، ويقول
 قائلها ضاع عند أوفى البرية ذمام . فله همّتك التي أبّت إلاّ الحفاظ
 السليم ، وشيمتك التي لم ترّض إلاّ المقام الكريم ، ويدك التي انتعشت

١ كان المأمون بن ذي النون قد سجن أبا مروان ابن غصن الحجاري ، انظر أخباره في القسم
 الثالث : ٣٣١ وما بعدها .

بها الأديبَ أبا مروانَ بن غصنٍ من هُوَّةِ العثار ، وفككتهُ من قَبْضَةِ
الإسار ، فأحْيَيْتَهُ وهو مُشْفٍ على البَوَار ، فلَها يدُ مَسِيحٍ الكرام ،
ومبدعُ حَسَنَةِ الأيام ، فلو كانت للمكارم صورةٌ لكانت هذه الصنِعةُ
كُخْلَ طَرَفِها ، أو كانت للجدِّ روضةٌ لكانت المُسْتَبَدُّ بطيب عَرَفِها ،
أو لو نطقَتُ أَلْسُنُ الآدابِ لَقَدَّتْكَ ، أو أُرْسِلَتْ نَجْمَةُ الشَّاءِ لما تَعَدَّتْكَ ،
وإن كثيرَ الشكر لَيَقِيلُ في جَنِّبِ ما أسديت ، وبالغَةُ ليقصُرُ عن الغاية
التي لها تَصَدَّقَتْ ، لأنَّكَ ضَمِنْتَ حَيَاةَ نفسٍ ، ونشرتَ دَفِينَ رَمْسٍ ،
فكأنكَ أحييتَ جميعَ الوري ، ونشرتَ كلَّ مُستودِعٍ في الثرى ، وأنتى
يقاومُ هذا الصنيعُ ، ولو تظاهر على فرضه الجميع . وعند الله كفاءُ ما أوليت
من جميل الفعل . وجزاءُ ما أتيت في سبيل الفضل .

وله من أخرى على لسان البهارِ إلى ابن هود ٢ : أطال الله بقاءَ المقتدر
بالله ، مولاي وسيدي ، ومُعَلِّي حالي ومقيمِ أودي ، وأعاذني من خيبة العناء ،
وعَصَمَنِي معه من إخفاقِ الرجاء ، ولا أَشْمَتَ بي عدوٌّ من الرياضِ بناصبي ،
وحاسداً من النواوير يراقبني ، وقد علم الوردُ موقعَ إمارتي ، وغنيَ بلطيفِ
إيمائي عن عبارتي ، وإنها تحيةُ الزهرِ حيَّاكَ بها ، وخيثةُ ذَخَرِها لك وأهْلِكَ
لها ، وقد أتيتُ في أواني ، وحضرتُ وغابَ أقراني ، ولم أخلِ من خِدْمَتِكَ
رتبتي ومكاني ، ولم أعزِ من الحضورِ بين يديك نوبتي وزماني ، وأنا عبد
مطيعٌ مسخَّرٌ ، ومملوكٌ يتصرَّفُ مدبَّرٌ ، حقيقٌ بأن يُحَسِّنَ إليَّ فأدنى ،
وجديرٌ بأن يُهْتَبَلَ بي ولا أُجفَى ، لأنِّي سابقُ حَلْبَةِ النوار ، وأوَّلُ

١ ط د : صحيح .

٢ تقع هذه الرسالة في سلسلة الرسائل « الزهرية » التي مرت منها نماذج في ترجمة أبي الوليد

اسماعيل الملقب بحبيب : ١٢٧

طلائع الأزهار ، وأنا ناظرُ الفضلِ وَعَيْنُهُ ، ونُضارُ الروضِ وَلُجَيْنُهُ ،
وقائدُ الظُّرفِ وفارسُهُ ، وعائدُ مجلسِ الأُنسِ وحارسه .

وفي فصل منها : فهل لمولاي أن يحسنَ إليَّ صنيعاً ، ويكرمَ التَّوَرَّ جميعاً ،
ويدنيني فأرقى إلى أخوتي الثريِّا سريعاً ، في مجلسٍ قد أخلَصَتْهُ سحابه ؛
وأفرغت الحسنَ عليه والطيبَ ضرائبه ، وَجَهْلُكَ بَدْرُهُ ، وغرَّتْكَ فجره ،
وأخلاقك زَهْرُهُ ، وثناؤك دُرُّهُ وعطره ، وتُعْمِلُ في أمرِ الدنيا رأيك ،
وترك المهومَ حيثُ تركها الناسُ قبلك ، ولو صلَّحَ الكَمَدُ لأحدٍ لَكنْتُ أنا أحقُّ^١
مَنْ لَزِمَهُ ، وأثَبَّتَ عليه قَدَمَهُ . لأنِّي سريعُ الدُّبُولِ ، وشيكُ الأَفُولِ ،
لا يصحبني الظهورُ إلا قليلاً . ولا أُمْنَحُ من متاعِ السُّرورِ إلا تعليلًا .
غيرَ أني مُغْتَنِمٌ لساعاتي ، آخِذٌ من الأُنسِ بقدرِ استطاعتي ، وقديماً
أكرمُني مولاي فلا يهني ، ووصلني فلا يصرمُني ، ومنحني فلا يجرمني :
لا تُهِنِّي بعدما أكرمتني فشديدٌ عادةٌ مُنْتَزَعَةٌ

[٤٠ ب] ولابن الحنات^١ رقعة في وصف هذه الرسالة ، منها فصل قال
فيه : بعثت إليك برسالة الوزير الكاتب أبي عمر الباجي في البهار ، منقولةً
بخطي على اختلاله ، واختلافِ أشكاله ، إلا أن حُسْنَ الرسالة ، وموضعها
من البلاغة والجزالة ، يغطي على قَمَاءَةِ خطي ، ودناءةِ ضبطي . فاجتلتها
— أعزَّكَ الله — عروسَ فكرٍ ، لحظها حَبِيرٌ ، ولفظها سِحْرٌ ، ومعناها بديعٌ ،
ومنتهاها رفيعٌ ، ومرماها سديدٌ ، ركبَ اللفظَ الغريبَ فاعتنَّ^٢ له^٢ المرادُ البعيدُ ،
يُطْمَعُ وَيُؤْيَسُ ، ويوحش ويؤنس ، فأما إطماعُها فيما تُحَرِّزُ من لدونة

.....

١ هو محمد بن سليمان الرصيني أبو عبد الله . راجع ترجمته في القسم الأول : ٤٣٧ .

٢ ط د م س : فاعتزله .

ألفاظها وسهولة أغراضها ، وأما إياها فيما يُعجز من امتثالها ، ويُبْعِدُ من متّالها ، والله يُمَتِّعُكَ برياضِ الآداب تجتني أضرارها ، وتتقي خيارها .

ولأبي عمري نزول الغيث بعد القحط^١ : إنَّ الله تعالى قضايا واقعةً بالعدل ، وعطايا جامعةً للفضل ، ومنحاً ييسطها إذا شاء إنعاماً وترفيهاً ، ويقبضها إذا أراد إلهاماً وتنبيهاً^٢ ، ويجعلها لقوم صلاحاً وخيراً ، ولآخرين^٣ فساداً وضيئراً ، ﴿ وهو الذي ينزلُ الغيثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ، وهو الوليُّ الحميد ﴾ (الشورى : ٢٨) .

وإنه كان من امتسالك السقيا ، وتوقفِ الحيا ، ما رِيغَ به الآمينُ ، واستطيرَ به السّاكنُ ، ورجفت الأكبادُ فرعاً ، وذُهِلَتِ الألبابُ جزعاً ، وأذكتْ ذُكاءُ حرّها ، وَمَنَعَتِ السماءُ درّها . واكتست الرياضُ غُبْرَةً بعد خُضْرَةٍ ، ولبست شحوباً بعد نُضْرَةٍ ، وكادت برودُ الرياضِ تُطْنُو ، ومدودُ نعمٍ^٤ الله تُزْوَى ، ثم نشر تعالى رحمته ، وبَسَطَ نعمتهُ ، وأتاح مِنْتَهُ ، وأزاح مِخْنَتَهُ ، فبعث الرياحَ لواقعٍ ، وأرسل الغمامَ سوافعٍ ، بماءٍ دَقِيقٍ ، وِرْوَاعٍ غَدَقٍ ، من سماءٍ طَبَقٍ ، استهلَّ جَفْنُهَا قَدَمَ ، وسمعَ دَمْعُهَا فِهْمَ ، وصابَ وَبَلُّهَا فَنَقَعَ ، فاستوفت الأرضُ رِيّاً ،

١ قارن بالقلائد : ١٠٣ والخريدة : ٢ : ٢٨٢ ، ووردت أيضاً في المطاء الجزيل : ١٢٩

٢ القلائد والخريدة : ترفيهاً وإنعاماً . . . تنبيهاً وإلهاماً .

٣ القلائد والخريدة : وعلى آخرين .

٤ المطاء الجزيل : له .

٥ م : أنعم .

٦ م د س ط : ففتح .

واستكملت من نباتها أثاثاً ورثياً، فزينة الأرض مشهورة، وحلة الزهر
منشورة، ومينة الرب موفورة، والقلوب ناعمة بعد بوسها، والوجوه
ضاحكة بعد عيوسها، وآثار الخزع ممحوّة، وسور الشكر متلوّة،
ونحن نستزبد الواهب نعمة التوفيق، ونستهديه في قضاء الحقوق، إلى سواء
الطريق، ونستعيز به من المنّة أن تعود فتنة، ومن المنحة أن تعود محنة.
وإحسان بني الباجي كثير، وترسيلهم مشهور، اندرج لهم فيه بديع،
ولا يتسع لاستيفائه هذا المجموع.

وهذه أيضاً جملة من شعر أبي عمر

قال من قصيدة في المعتمد، وقد طاعت له غافق والمدور^٢ أولها :
أنارت لك الدنيا ووجهك أنور وجلت عطاياها وقدرتك أكبر
ودار كما شئت القضاء مساعداً فجاءت ولاء غافق والمدور
أزرتهمما بحر الكنايب مزبداً فألقت عنان الطنوع رضوى وصنبر^٣
ومنها :

... ..

١ العطاء الجزيل : إثر .

٢ القلائد والجريدة : الحمد .

٣ غافق : حصن حصين كان يقرب حصن بطروش (الروض : ١٣٩) والمدور حصن آخر

(Almodovar del Ria) قريب من قرطبة ، وانظر الحديث عن المدور في المغرب

١ : ٢٢٢ .

٤ صنبر . اسم جبل ، ذكره البحري « اعلام رضوى أو شواقي صنبر » . وفي المسالك :
وألقت عنان الطلوع وهي تحمر .

يقولُ مُثَارُو الجُنْ إِذْ ذَعَرُوا بِهِ
سَرَى فَاَسْتَطِيرُوا خَيْفَةً مِنْ نَذِيرِهِ
فَتَوَحَّ بِمَوْتِ الْحَاسِدُونَ شَجَى بِهَا
ومنها :

لئنْ جَهَدَ المدَّاحُ فَيْكَ فَاطْنَبُوا
فَدَتِكَ مُسْوُكٌ لَا مَلُوكَ كَمَا ادَّعَوْا
وَلِلَّهِ مِنْكَ الْقَوْلُ وَالْعَقْدُ صَحَّةٌ
وَعَصْرٌ تَحْلَى مِنْكَ بِالْأَحَدِ الَّذِي
وَأَيَّامُ سَعْدٍ فِي ظِلَالِكَ أَوْطَنْتَ
نَفَى حَسْنُهَا عَنْ نَازِلِي طَائِفِ الْكَرَى
وَأَمْتَعَنِي جَوْ نَصِيرٌ وَسُلْسُلٌ
وَكَمْ مَوْرِدٍ فِي الْأَرْضِ يُشْفَى بِهِ الصَّدَى
أَهْنِيكَ أَمْ هَذَا الْأَنَامَ بِأَنْعَمِ
وَهَلْ تَلْتَقِي الْأَجْفَانُ إِلَّا عَلَى الرَضَى

وله فيه من أخرى أولها ٢ :

لَا زَالَ عَزُّكَ يُخَضِّعُ الْأَطْوَادَا
لِلَّهِ أَيَّامٌ بِقُرْبِكَ أَنْعَمَتْ

هِيَ الْأَرْضُ تَسْعَى أَمْ هُوَ الْبَحْرُ يَزْخَرُ
وَلَمْ تَكُ لَيْلًا قَبْلَهُ الْجُنْ تُدْعَرُ
فَلَيْتَ حَلِيفَ الْغِيِّ يَحْيَا فَيُخْتَبَرُ

فَأَنَّكَ أَعْلَى فِي النَفُوسِ وَأَخْطَرُ [٤١أ]
إِذَا ظَفَرُوا يَوْمًا زَهَوًا وَتَجَبَّرُوا
إِذَا سُدَّ مَسْمُوعٌ وَخَالَفَ مَضْمَرُ
لَهُ فِي يَدِ السَّبْقِ اللَّوَاءُ الْمَشْهُرُ
تُرَاحُ بِهَا الْأَمَالُ دَابًّا وَتُمْطَرُ
فَأَنْعَمُ سَاعَاتِي بِهَا حِينَ أَسْهَرُ
نَمِيرٌ وَمَمْتَدُّ الْمَطَارِفِ أَخْضَرُ
وَلَكِنْ نَدَاكَ الْغَمْرُ أَحْلَى وَأَنْضَرُ
جَمِيعُهُمْ فِي حَلْيِهَا يَتَبَخَّرُ
وَأَنْتَ عَلَى الدُّنْيَا الْإِمَامُ ٢ الْمُؤَمَّرُ

وَيُذَلُّ فِي آجَامِيهَا الْآسَادَا
مَا ضَرَّهَا أَنْ لَمْ تَكُنْ أَعْيَادَا

١ المسالك . تطوى .

٢ المسالك الأمير

٣ مها أربعة أميات في المسالك .

راقت محاسنُها وطابَ نعيمُها فأنى الزمانُ حدائقاً وعهادا
أسفى على زَمَنٍ مضى في غيرها يا ليت ذاهبتهُ استُعِيدَ فعادا

وهذا كقول أبي العلاء ^١ :

وأطربني الشبابُ غداةُ ولّى فليت سنيه صوتُ ^٢ يُستعادُ

وفيها يقول ابن الباجي :

مَنْ مَبْلَغُ عَنِّي الْأُحْبَةِ إِذَا نَأَتْ أَوْطَانُهُمْ وَالْمَعشَرَ الْحَسَادَا
أَنْتِي وَجَدْتُ الْجَوْ طَلْقاً بَعْدَهُمْ وَالْمَاءَ مَصْقُولَ الْأَدِيمِ بُرَادَا
فَلَيْكَبِتِ الْأَعْدَاءُ أَنْكَ وَاحِدٌ رَجَحَ الْجَمُوعَ وَقَلَّلَ الْأَعْدَادَا
لِلَّهِ مَعْتَمِدٌ عَلَيْهِ مُؤَيَّدٌ بِالنَّصْرِ مِنْهُ عِفا وَجَاد وَذَادَا
لَا يَصْرِفُ النَّصْحَاءُ عِزْمَ سَمَاحِهِ سَبْحَانَ مَنْ طَبَعَ الْجَوَادَ جَوَادَا
جُودٌ يَفِيضُ الْبَحْرُ مِنْهُ وَمِنَّةٌ فِي الْبَاسِ يَدْمِشُ ذِكْرُهَا الْأَنْجَادَا
وَأَنَاةٌ حَلِمٌ فِي إِبَاءِ حَفِيزَةٍ كَالْأَرْضِ تَطْلُعُ سَوْسَا وَقَتَادَا

وله من قصيدة في تأييد المقتدر بن هود . أولها ^٣ :

كَأَنَّكَ مَا اتَّخَذْتَ الْقَصْرَ دَارَا وَلَا أَوْقَدْتَ بِالْعِلْيَاءِ نَارَا
وَلَا غَدَدْتَ الْجَمُوعُ عَلَيْكَ خَرَسَا يَهَابُونَ السَّكِينَةَ وَالْوَقَارَا
سَكِينَةُ الْمَعِي فِي حُبَاهَا شَمَائِلُ تَكْسِبُ الْأَنْسَ النَّوَارَا
خَلَائِقُ يَسْتَنْبِرُ الْفَضْلُ مِنْهَا رِياضُ الْحَزَنِ سَامَرَتِ الْقِطَارَا [١٤ب]

١ شروح السقط : ٢٨٤ .

٢ م د ط س : صوب .

٣ منها أربعة أبيات في المسالك .

تعالى الله كيف هوى ثبير^١ ووافى البحر مسقطه مغارا
أسر^٢ الدهر مقتدر^٣ المعالي فليم يا بدر فارت السرارا !
أباح^٤ لهاجم الحدان منه زعيماً لم يزل يحيي الذمارا
وطال به الزمان وكان قدماً يجير على الزمان من لستجارا
ريب وقائع بليت عليه حمائله وما حمل العدارا
لتبك الخيل مرسلها رياحاً تلوث بمفرق الشمس الغبارا
ويض^٥ الطبع مصلتها بروقا^٦ وصفر^٧ النبع مقدرها شرارا

في ذكر الأديب الأريب أبي الحسن ابن الاستحي^٢

وكان شاعراً مجيداً ، وإماماً في سائر التعاليم محموداً ، وله سبق^١ لا
يُنكر^٢ ، وحق^٣ لا يؤخر^٤ ، وإحسان^٥ لا يزال^٦ يُذكر^٧ ، أنشد له أبو الوليد
ابن عامر في كتابه المسمى بـ « البديع في فصل الربيع » قال ، أنشدني أبو الحسن
ابن الاستحي لنفسه^٣ :

قد قلت للروض ونواره^١ نوعان تبري^٢ وفضي^٣
وعرفه مختلف^٤ طيبه^٥ صنفان خمري^٦ ومسكي^٧
ووجه^٨ عبد الله قد لاح لي وهو من البهجة دري^٩

١ ط م س د : حام .

٢ هو علي بن عبد الله بن علي المعروف بابن الاستحي ؛ ذكره الحميدي مرتين (الجلوة :
٢٩٥ ، ٣٧٠) وتمصف اسمه في الموضع الثاني إلى « الأشجعي » وكان فقيهاً نحويّاً من أهل
قرطبة ، سكن اشبيلية (انظر البنية رقم : ١٢٢١ ، ١٥٢٢ والمساك ١١ : ٤٢) .

٣ انظر البديع : ١٨ والجلوة : ٣٧١ والمساك والبنية .

ثُمَّ غَرَسَكَ الْأَرْضِيَّ إِنْ الَّذِي أَبْصَرْتُهُ غَرْسٌ سَمَاوِيَّ
حُسْنُكَ نَوْرِيَّ بَلَا مِيرِيَّةٍ وَحَسْنُ عَبْدِ اللَّهِ نُورِيَّ

ومعنى البيت الرابع من هذه ناظر إلى قول الآخر :

لَا تَقِيسْ غَرْسَ رَبِّنَا بِالَّذِي يَغْرِسُ الْبَشَرَ

وقال يمدح المعتضد^١ ويصف الشقائق^٢ :

إِنَّ الشَّقَائِقَ مِنْ حُمْرِ الْخُدُودِ قَدْ أَشْهَدَتْ
كَأَنَّهَا فِي الْمَرْوِجِ الْخُضْرِ آتِيَةٌ
يَا ابْنَ الَّذِي قَدْ حَمَاهَا فِي مَنَابِتِهَا
فَلَمْ تَزَلْ فِي حِمَى مِنْهُ وَفِي حَرَمٍ
مَعْرُوفَةٍ بِاسْمِهِ فِي كُلِّ مُطَلَعٍ
مَحْفُوظَةٍ الْمُنْتَمَى مَرْعِيَّةَ الذَّمِّ
جَدِّدٌ^٣ لَهَا مِنْ وَكِيدِ الْعَهْدِ حُرْمَتِهَا
وَصِيلٌ لَهَا مُحَدَّثُ الْإِكْرَامِ بِالْكَرَمِ

أشار إلى أن جدّه كان النعمان الذي نسب إليه الشقائق ، وروي أنه
مشى يوماً في بعض شأنه ، فأفضى إلى موضع فيه من هذه الشقائق كثير فقال :
احموها ، فحميت ، فسميت بذلك شقائق النعمان ، حكى ذلك أبو حنيفة^٤
ورفعه إلى الأعشى ، وذكر أنه كان حاضراً النعمان يومئذ .

وأذكرها هنا قطعاً من الشعر ، ما ضرّها أن لم تكن قطعاً من الزهر ،

١ البديع : ١٥١ .

٢ م : الشعر .

٣ البديع : أبنية . . اصطلمت .

٤ س د م ط : جرد ، والتضويب عن البديع .

٥ يعني أبا حنيفة الدينوري صاحب كتاب النبات .

تعلّقتُ بذكر ابن الاستجي هذا ، بارى بالمعارضة فيها صدورَ الرتب ،
وأفرادَ أهلِ الأدبِ ممّن كان بأشيلية في ذلك الزمان ، أخرجتها من كتاب
« البديع في فصل الربيع » لأبي الوليد بن حبيب المذكور .

قال أبو الوليد^١ : أنشدني أبو الحسن ابن الاستجي لنفسه يمدح القاضي
ابن عباد من جملة قصيدة : [٤٢ أ]

كأنما الورد ^٢ لما	وشتت يدُ المزنِ أرضه ^٣
كواكبٌ في سماءٍ	من الزبرجدِ غضة ^٤
كأنَّ طلَّ الأقاحي	مدامعٌ من فضه ^٥
أو لؤلؤٌ فوقَ أرضٍ	من المها مبيضة
كأنما الوردُ صدرٌ	أبقى به اللثمُ عضه
كأنما النهرُ نصلٌ	جلا الصباقلُ عرضه ^٦
كأنما الشمسُ في الجوِّ	حين تقطعُ عرضه ^٧
وجهُ ابنِ عبادٍ الند	بِ حين تأملُ قرضه ^٨
حوى بطولٍ يديه	طولَ الثناءِ وعرضه

ومن شعر أبي الوليد ابن عامر في معارضته من جملة قصيدة^٩ :

١ البديع . ٤٠ - ٤١ .

٢ البديع الروص .

٣ البديع . محصه .

٤ البديع . مرفضة .

٥ سقط البيت من م .

٦ م ط د . يأمل . ط د . فرضه

٧ البديع ٤١ - ٤٢ :

انظر إلى النهر واعجب^١ بحسن مرآه وارضه^٢
 قد حلّ بين رياض^٣ من النواوير غصّه^٤
 من نرجسٍ مثل لونِ الـ مهجور فارق غمضه^٥
 وأقحوان^٦ أنيق^٧ بروده^٨ مببّضه^٩
 كأنما النهر أفق^{١٠} الـ سماء عائق أرضه^{١١}
 وقد كسا عدوتيه^{١٢} بحومة الزهر مخضه^{١٣}
 كما ابن عباد^{١٤} الند ب^{١٥} قد كسا الصّون عرّضه^{١٦}

وقال ابن القوطية في ذلك^{١٧} :

بشاطي^{١٨} النهر نور^{١٩} كسا^{٢٠} الدّرّانك أرضه^{٢١}
 نمارق^{٢٢} ورراب^{٢٣} من النواوير غصّه^{٢٤}
 فالورد^{٢٥} وجنة^{٢٦} خود^{٢٧} غراء^{٢٨} بيضاء^{٢٩} بضه^{٣٠}
 كما البنفسج خد^{٣١} أبقى به اللّثم^{٣٢} عَضّه^{٣٣}
 والياسمين^{٣٤} نجوم^{٣٥} حازت^{٣٦} من الحسنِ مَحْضه^{٣٧}
 حكى سجايا ابن عبا^{٣٨} د^{٣٩} الكريم^{٤٠} وعيرضه^{٤١}

وقال ابن الأبار من جملة أبيات^{٤٢} :

١ ط د م س . عضه ؛ خ بهامش ط . مخضه ؛ البديع : من الأزاهر مخضه .

٢ البديع : ٤٣ .

٣ م ط س : كما (كى) .

٤ البديع . بيضاء غراء

٥ البديع الحشم

٦ بعد هذا حدث سقط في م .

٧ البديع ٤٣ .

شقائق ^١ شق ^٢ قلبي	رواؤها	وافقت ^٣
كأنما الأرض ^٤ منها	خريدة ^٥	مفتضة ^٦
ونرجس ^٧ متفاض ^٨	كأنما الحزن ^٩	مضة ^{١٠}
يرنو بطرف ^{١١} كليل ^{١٢}	كن يحاول ^{١٣}	غمضه ^{١٤}
وسوسن ^{١٥} إن ^{١٦} تشمه ^{١٧}	فكالوذائل ^{١٨}	بضه ^{١٩}
أو السن ^{٢٠} الدر ^{٢١} صيغت ^{٢٢}	أو الطلي ^{٢٣} المبيضة ^{٢٤}	
والأقحوان ^{٢٥} نجوم ^{٢٦}	ليست ترى ^{٢٧} منقضة ^{٢٨}	

ثم خرج إلى المدح بأبيات حذفها لطولها .

وقال أبو الاصبغ بن عبد العزيز :

يا من تأمل ^١ نوراً	فيه النواوير ^٢ غضة ^٣
وعاين ^٤ الحسن ^٥ منها	قد زين ^٦ البعض ^٧ بعضه ^٨
فالنرجس ^٩ الغض ^{١٠} تبر ^{١١}	في صفرة ^{١٢} منه محضه ^{١٣}
والأقحوان ^{١٤} بياضاً	كأنه ^{١٥} سمط ^{١٦} فضه ^{١٧}
والورد ^{١٨} ماء ^{١٩} ونار ^{٢٠}	سالا ^{٢١} على ^{٢٢} فوجه ^{٢٣} بفضه ^{٢٤}
ضد ^{٢٥} أن في ^{٢٦} صحن ^{٢٧} خد ^{٢٨}	قد ألفا ^{٢٩} بعد ^{٣٠} بغضه ^{٣١}

١ البديع : واقتضه .

٢ ط د س : الحسن .

٣ في النسخ : يشمه .

٤ هنا ينبغي السقط في م .

٥ البديع : ٤٦ .

٦ ط د م س : سلا .

٧ س ط : بعض .

والممدح حذفته .

وعارضهم القاضي ابن عبّاد بسطاً لأمانيتهم . وعجباً بما أوردوا من ألفاظهم ومعانيهم ، وكأنه نقد على ابن عبد العزيز هذا شيئاً في التشبيه ، فقال يعرض به ويعاتبه فيه ^١ :

أَبْلَغُ شَقِيقِي عَنِّي	مقالة	لَتَمُضَّهٗ
بَأَنَّ وَصَفَ الْأَقَاحِي	الذي وصفَ لم أرضه ^٢	
هَلَا وَصَفَ الْأَقَاحِي	بأكوسٍ من فضه	
أَوْ النُّجُومِ تَسَاقَطُ	نَ في المِها المبيضة	

في أبيات غير هذه .

وقال ابن حصن في ذلك ^٣ :

نَبَّهٗ جَفُونُكَ لِلرَّو	ض واهجرن كل غمضة
قَدْ نَبَّهٗ الطَّلَّ مِنْهُ	جفن الذي كان غمضه
مَنْ بَيْنَ وَرْدٍ كَخَدِّ	حبيب حاولت غمضه
وَسُوسٍ قَدْ حَكَى لِي	سوالف الغيد بضمه ^٤
وَمَنْ بَهَارٍ تَدَلَّى	جماجم منه غمضه

١ البديع : ٤٧ .

٢ ورد البيت في م :

بأن وصف الأقاحي بأكوس من فضه

وهو سهو .

٣ البديع : ٤٨ .

٤ هذا البيت والذي يليه سقطا من م .

كانه معرضٌ عن محدث لم يرَ ضه [٤٢ ب]
ومن أفاح يباهي مصفرة مبيضه
كانه نُقِرَ الشب في مدهن فضه

ولم أسلك في هذه الأشعار طريق الاختيار ، إذ ليس فيها حظ لمختار ،
ولنما أثبتتها لما تعلق بها ، وذكرت بسببها ، ولا أعطّل جيد التأليف من
غشلبها .

فصل يشتمل على مقطوعات أبيات لجماعة من الأدباء
كانوا بعصر المعتضد عباد ، ولم أجد لهم أشعاراً تفسح لي
في طريق الاختيار ، إلاّ ما أثبت لهم الوزير أبو عامر
ابن مسلمة في عرض كتابه المترجم ؛ « الحديقة » فكل
ما أثبت لهم في هذا الفصل فمن كتابه نسخت ،
ومن خط يده نقلت

فمنهم الوزير أبو الأصبح بن عبدالعزيز^٢ أنشد له في قفول الخيريّ ورحلة
البهار :

رحل الربيعُ عليه بندُ موال وأقيم للخيريّ رايةُ والٍ
في شهر كانونٍ أذيلٍ وقوّضت أيامُ بهجته فهن خوالي

١ س ط م د . نقد .

٢ ذكره الحميدي (الجلوة . ٣٦٧ والبغية رقم . ١٥١٣) في من ذكروا بالكنية ولم يتحقق
من أسمائهم . والحميدي يعتمد أيضاً كتاب الحديقة لأبي عامر ابن مسلمة .

فاشكر أوائله فهن نوافج
 وإذا سررت بخل صدق وافد
 واحمد أوآخرة فهن غوالي
 ورضيته فأنظر إلى الترحال
 وأنشد له :

هام	قلبي بغزال	أتمنى منه عطفة
شرب الكأس وأبقى	عامداً في الكأس نطفه	
فعلمنا أنه ير	غب أن يمتنع رشفه	
قال لي لولا الحميّا	ما خصصناك بتحفه	
كشفت من سيرة ما	لم تكن تأمل كشفه	
وبدا في الخلد منه	خجل خالط طرقة	
فجني الورد فيه	وأنا أمتنع قطفه	

قال أبو عامر : وكتب إلي وإلى ابن الأبار وقد رأى معنا غلاماً فيما سلف
 وسيماً . ثم عذر وأدبر ، بأبيات أولها :

أمفتريسي طيبي أغر غري	ومقتنصي بدر أنار منير
لئن نلتما بالسحر من كل غرة	ففي مقل الغزلان كل غرور
وقد يحترم الرامي المصيب فريسة	ويُرزقها بالسحر كل سحر
أتريت من الصيد الذي قد عقرتما	وكم عاقر للصيد غير مثير
وسعد الفتى في عمره جالب المنى	إليه وفي الحرمان كل عسير
فطيباً جميعاً واطرباً وتمكناً	فليس الذي أدركتما بيسير
هل الراح إلا وجهه ورضابه	فان جميعت حلت بغير نكير

١ د : فریضة .

فأجابه ابن الأبار :

لعمرك إن الطيِّبَ غيرُ غريبٍ وإنَّ محبَّ البدر غير منيرٍ
بدتْ لحيَّةٌ في وجهه هي لحنَّةٌ أتاحتْ له موتاً بغيرِ نشورِ [٤٣أ]

ومنها :

إذا لم أقلَّ إلاَّ براحٍ وراحةٍ فما قدَّرُ ذنبي في اغتفارٍ قديرٍ
سأقعدُ عن ناهي النهي في اجتنابها وإن قام في فوديَّ شاهدُ زورٍ
هل العيشُ إلاَّ أن أقبلَ ثغرَها وأصغي إلى بـمٍ أجشَّ وزيرٍ
خبَّرتُ بني الأيامِ شرقاً ومغرباً فأثرتُها إذ لم أفزُ بأثيرٍ

وأنشد له أيضاً بما خاطب به ابن الأبار :

أما وخذْ له مُعدَّزٌ ومبسمِ الخاتمِ المجوهرِ
وخصَّره المتعَبِ المعنى بثقلٍ ما ضاق عنه مئزرِ
ولمَّ أسبلتْ أثيئاً كأنه وابلٌ معطرٌ
ووردِ خديَّه بعدَ سُكْرِ والفُنجِ من لحظه المحيرِ
إنَّ لعينيه في فؤادي أشدَّ من وقعِ كلِّ خنجرِ
إنَّ خلَّتْهُ ضيغماً قطوباً أو أسدأ عابساً غضنفرِ
فهو من الحسنِ كلُّ بدرٍ وهو من الطيبِ كلُّ عنبرِ
ريقتهُ خمرةٌ ولكنَّ شيبَ شذاها بطعمِ سُكَّرِ
لو كان في الخلدِ مثلُ هذا تاه على الحوَرِ أو تكبرِ
في شبهه قال مثلُ هذا من أحسن الوصفِ ثم ندَّرِ
« مظفرٌ كاسمه مظفرٌ أخلاقُ ليثٍ وخلقُ جودَرِ »

فأجابه ابن البار بهذه الأبيات :

لستُ بصابٍ إلى معذَر	بل أنا في حُبِّه معذَر
لا أعشقُ الطَّيِّبَ ذا لجامٍ	لأنَّه في الظَّباءِ منكر
أهواهُ والحدُّ منه صُبْحُ	حتى إذا ما دجا تغيَّر
أحسَّنُ ما فيه أن تراه	بين مهاةٍ وبين جؤذر
متوجِّاً لَمَّةً تبدَّى	بتاج كسرى ومُلْكٍ قيصر
إن ماس فالمرطُ منه مُثَرِّ	بما حوى والوشاحُ مُعَسِّر
يرفقُ بالخلقِ حين يُغْضِي	وينظرُ الموتُ حين ينظر
متى يَلُمُّ عاذلٌ عليه	يبدو له وجهه فيُعْذَر
كم علَّني الراحَ ثم حيَّا	أحوى مريضُ الجفونِ أحور
كأنَّما سحر وجنتيه	نومَ أجفانه لتسهر
ما زلتُ أشتفها ونُقْلي	طلاه والمبسمِ الجواهر
أمكن من طُرةٍ وثغري	فصرتُ في جنةٍ وكوثر

وأنشد للوزير أبي الأصمغ بن سعيد^١ :

وما أنسَ لا أنسَ المدامةَ بيننا	يتاولنيها وهو بالسحرِ نافثُ
ويجعلُ نقلي ريقه ^٢ بعد رشفها	فيا لك من طيبٍ على السكرِ باعث
فسُكرانٍ من خمري ومن رشفِ ريقه	وبينهما من سحرٍ عينيه ثالثُ

١ انظر الجدة : ٣٦٧ (البغية رقم : ١٥١٢) ووصفه بأنه رئيس أديب شاعر؛ وانظر النفع

٣ : ٤٨٥ ، وذكر الحميدي ١٦٤ الأصمغ بن سيد وكناه أبا الحسن ، وقال انه ، شاعر اشيلي

رأه قبل ٤٥٠ ، ولعل الشخصين شخص واحد ، وانما الخطأ واقع بين الاسم والكنية .

٢ م ط س . ريقها .

وأنشد له :

يا أيها الساقى الذي بعثت لنا يُمْنَاهُ من مُزْنِ الغمام رذاذا
لا تسقنيها دونَ ملءِ كؤوسها وإذا سجدتُ بها إليك فماذا
إني اتَّخذتُ الغيَّ رشداً والهوى ديناً ولدتُ عن الرشاد لوإذا
فامزج بريقك لي الكؤوس وقلْ لنا خُذْ ، تلقني لكبارها أخذاذا

وأنشد له :

بالفتّ في عدّلي وفي تأنيبي في الراحِ حينَ وعظمتني بمشيبي
هيئاتٍ لستُ بتائبٍ عن شرِّها ما دامَ شرِّيبها أقلَّ ذنوبي
إن كان أكرمني المشيب فانها راحٌ تروحُ بكُربةٍ المكروب
فلأشربنَّ لكي أدافعَ كُربتها غني وأطربَ فوق كلِّ طروب

وأنشد لأبي إسحاق بن خيرة الصباغ ^١ [٤٣ ب]

يومٌ كانَ سحابةٌ لبستُ غمامي المصامت
حَجَبَتْ به شمسَ الضحى كئالاً ^٢ أجنحةَ الفواخت
فالغيثُ يبيكي فقدها والبرقُ يضحكُ مثلَ شامت
والرعدُ يخطبُ مُفصِّحاً والجوُّ كالمحزون ساكت
والروضُ يسقيه الحيا والنورُ ينظرُ مثلَ باهت
فاطربُ ولذَّ بحُسْنِهِ واشربُ فإنَّ العمرَ فائت

١ هو إبراهيم بن خيرة أبو إسحاق يعرف بابن الصباغ ، من شعراء اشيلية (الجدوة ١٠٤٥٠) والبهية رقم ٥٠١٠ والمغرب ١ ٢٦٠ والفصح ٣ ٤٨٥٠) وفي المصادر بعض أبياته الثانية ؛ وقد نسبت الأبيات في المطبع . ٢٣ لأبي عامر ابن مسلمة نفسه .
٢ س والجدوة . بمثال .

صرفاً كأنَّ حَبَابَهَا
تحكي خلالَ الحَاجِبِ الزَّ
عَبَادِ السَّامِيِّ الذَّرَى
مَلِكٌ إِذَا نَطَقَتْ عَلَا
أَوْ طَاشَ عَقْلُ مَعَاشِيرِ
وَأَشَدُّ لَهُ أَيْضاً :

انْبُذْ مَقَالَ النَّصِيحِ
وَرُخْ وَبَاكِرٌ مُدَاماً
خِرْقَاءَ يَلْبَغُ مِنْهَا
إِذَا تَنَاوَلَتْ مِنْهَا
رَقَّتْ عَلَى ظَهْرِ كَسْرَى
فَلَيْسَ تَوْجِدُ إِلَّا
وَأَشَدُّ لَهُ :

رَبِّ لَيْلٍ طَالٍ لَا صُبْحَ لَهُ
فِي دَجَى لَيْلٍ بِهِمٍ حَالِكٍ
فَتَرَاهَا حَائِرَاتٍ فِي الدَّجَى
قَدْ هَتَكْنَا جُنْحَهُ عَنْ فَلَاقٍ
إِذْ بَدَتْ شَبَهَتْهَا فِي كَأْسِهَا
وَامْتَطَبَا لِلْمَلَاهِي مَرَحاً
صَرََعْتُنَا إِذْ عَلَوْنَا ظَهْرَهَا
ذِي نَجُومٍ أَقْسَمْتُ أَنْ لَا تَغُورَ
يَسْتَوِي الْأَكْثَمُ فِيهِ وَالْبَصِيرُ
زَاهِرَاتٍ كَمَصَابِيحٍ تَنْيرُ
مِنْ خُمُورٍ وَوُجُوهٍ مِنْ بَدُورٍ
نَارَ إِبْرَاهِيمَ فِي بَرْدٍ وَنُورٍ
خَيْلَ رَاحٍ بِمَنَآيِنَا تَدُورُ
فِي مِيَادِينِ التَّصَابِي وَالسُّرُورِ

فنعانا العودُ في ميتنا بأبحُ البمّ إسعافاً وزير
فرفعنا من كؤوسٍ نُكّسِ وفتحنا من عيونٍ بفتور
فكأنّا حين قُمنا مَعشَرُ نُشِرُوا بعد مماتٍ من قبور

وأنشد لأبي بكر بن نصر الإشبيلي^١ :

أهدتُ إلى روحي براحٍ يمينها راحاً أرقّ من الهواءِ وأعتقا
فكأنّ حبّ حبّائها في وجهها درّ على أرضِ النصارِ تفرّقا
وكانَ شخصَ الكأسِ شمسٌ وُشحتُ قمرأ ففاضَ شعاعها وتمزّقا
للهِ دركٌ من زمانٍ لم يزلْ حلّو الحلّى رحبَ الجَنابِ معتقا
زمنٌ هَصَرنا عيشَهُ فكأنّه من جُودِ إسماعيلَ كانَ منمّقا
الحاجبُ الملكِ الذي حجب الوري عن كلِّ مكروهٍ يُخافُ ويُنقّى
وكانّه يديه صوّرَ نفسه فأجادها كيف اشتهى وتأنّقا

وأنشد لمحمد بن ديسم الإشبيلي^٢ :

امزجْ حُميًّا الكؤوسِ واشربْ بنفثةٍ من رُضابِ النّعسِ
راحاً تَمطّى بطونَ راح لها خلالَ الضلوعِ مِكنَسِ
يدير منها البنانُ خمرأ صبغةَ ماء اللجينِ ملبسِ
مَلِكٌ زها رفعةً ومجدأ كما زكا مَحْتِدأ وَمَغْرِسِ [٤٤]

١ أبو بكر ابن نصر الاشبيلي ، ذكره الحميدي في الكنى اعتماداً على ابن مسلمة (الجلوة : ٣٦٩ والبيعة رقم : ١٥١٩) .

٢ ذكره ابن سميّد نقلاً عن الحنجاري وانه من شعراء الدولة المقتضية ، معتمداً على أبي عامر ابن مسلمة (المعرب ١ : ٢٥٩) .

تَطْلُعُ أَنْوَارُهُ شَهَاباً إِنَّ عَارِضُ الْخَطُوبِ عَسَمَعَسُ
وَيُذْعِنُ الْمَوْتُ حِينَ يَسْطُو وَيَبْسُمُ الْمَوْتُ حِينَ يَغْبِيسُ

وأنشد له في ترك الشراب ^١ :

تَجَافَيْتُ عَنْ شُرْبِي لَهَا لَا لِعِفَّةٍ وَلَمْ يَكْ إِقْصَائِي لَهَا عَنْ تَحَرُّجٍ
وإن ^٢ أَكْ قَدْ عَرَّجْتُ عَنْ حَقِّ حَبَّتِهَا فَمَا أَنَا عَنْ تَفْضِيلِهَا بِمَعْرَجٍ

وأنشد له في مثله :

وَلَمْ أَجْتَنِبْ شُرْبَ الْمَدَامِ لِعِفَّةٍ وَلَمْ الْحَقِ الصُّهْبَاءَ ذِمّاً وَلَا عَذْلاً
تُنَافِرُنِي أَنْ صِيرْتُ ضِداداً لَشَكْلِهَا فَلَيْسَتْ لَنَا أَهْلاً وَلَسْنَا لَهَا أَهْلاً

وأنشد لأحمد بن محمد البلعي الإشيلي ^٣ :

وَلَقَدْ رَشَفْتُ مُدَامَةً أَشْهَى مِنَ الثَّغْرِ الْبَرُودُ
بِكراً وَلَكِنْ عَهْدُهَا مِنْ عَهْدِ عَادٍ أَوْ تَمُودُ
لَا نَتُّ لَنَا لَكِنْ لَهَا بَعَقُولُنَا بِطَشٍ شَدِيدُ
تَبَلُّوْا وَقَدْ نَقَّظَ الْمَزَا جُ مِنْ الْحَبَابِ لَهَا عَقُودُ
وَإِذَا تَوَارَتْ بِالْخُلُودِ قِيْدَا سَنَاها فِي الْخُلُودِ
وَكَا نَنِي مولى الْوَرَى وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ عِيْدُ

وأنشد له :

...

١ وردا في المغرب ١ : ٢٥٩ .

٢ م ط د س : ولم .

٣ انظر ترجمته في المغرب ١ : ٢٥٩ والنظ ٣ : ٤٨٤ .

وَمُدَامَةٍ وَرَسِيَّةٍ أَعْمَلْتُهَا عُرِضَتْ عَلَيَّ بِشَرِّهَا أَعْمَالِي
فَكُوِّسُهَا بِصَفَائِهَا كَلَّالِي وَشَرَّابَهَا فِي جَوْفِهَا كَالْآلِ

وَأُنْشِدْ لَهُ صَاحِبَ كِتَابِ « الْبَدِيعِ » ^١ :

انْظُرْ وَنَزَّهُ نَاطِرِيكَ بِرَوْضَةٍ غَنَاءَ مَا زَالَتْ تُرَّاحُ وَتُمْطَرُ
لَتَرِيكَ مِنْ صِنْعَاءَ صِنْعَةٍ وَشِيهَا بِمُطَارِفٍ مِنْ تُسْتَرٍ لَا تُسْتَرُ
أَلْوَانِهَا مِثْلِي وَطِيبُ نَسِيمِهَا يُقْصَى الْعَبِيرُ ^٢ بِهَا وَيُنْسَى الْعَنْبَرُ

وَقَالَ ^٣ :

أَمَّا تَرَى الزَّجْسَ الْغَضَّ الذَّكِيَّ بَدَا كَأَنَّهُ عَاشِقٌ ذَابَتْ ذَوَائِبُهُ
أَوِ الْمَحَبِّ اشْتَكَى لَمَّا أَضَرَّ بِهِ فَرَطُ السَّقَامِ فَعَادَتْهُ حَبَائِبُهُ

وَقَالَ ^٤ :

رَبِّ نِيلُوفَرٍ غَدَا يَنْجُلُ الرَّا ثِيَّ إِلَيْهِ نَفَاسَةٌ وَغَرَابَةٌ
كَلِيكَ لِلزَّنَجِ ^٥ فِي قَبَةِ بَيْضَا عَ يَدْنُو الدَّجَى فَيُغْلِقُ بَابَهُ

١ البديع : ٢٩ .

٢ م ط س : يقضي العمور .

٣ هما في المغرب والنفع ، وقال ابن سعيد ان صاحب البديع انشدهما له ، ولكنهما لم يردا في المصدر المذكور .

٤ البديع : ١٤٦ والمغرب والنفع .

٥ البديع . الأحبوتس .

وأنشد للوزير أبي بكر بن القوطية^١ في تجنيس القوافي ، عارض بها طريقة
أبي الفتح البستي :

سقاني كأسه^٢ ولها ديب^٣ . زادني ولها
غزال^٤ إن رأى ولهي زها^٥ عن قصتي ولها

وقال :

ومناد^٦ لم أرض^٧ من أشري به فنلت^٨ إذ أصبحت غير شريه^٩
يا ليت ما ألقاه^{١٠} من^{١١} أرق^{١٢} به وسهادي^{١٣} انفردا^{١٤} بعين^{١٥} رقيه^{١٦}

وقال :

ومُدِل^{١٧} بِسَقْيِهِ يَتَلَقَّى نُدَمَاه^{١٨} بِسَطْوَةٍ^{١٩} واقتدار^{٢٠}
فمتى^{٢١} أسأل الرجوع^{٢٢} لداري قال لي : اشرب^{٢٣} فلست^{٢٤} في وقت دار

وقال في المردقوش^{٢٥} :

عنبري^{٢٦} اللون^{٢٧} في الخلقة^{٢٨} قد فاق^{٢٩} طيباً كل^{٣٠} مشوم^{٣١} وبذ^{٣٢}
ذو جلايب^{٣٣} له قلصها^{٣٤} فأنت خلقاً كآذان الجرذ^{٣٥} [٤٤ ب]

١ المشهور بهذا الاسم أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية صاحب كتاب الأفعال
وكتاب افتتاح الأندلس ، أصله من اشبيلية وسكن قرطبة ، وكان عالماً بالتحقيق حافظاً للغة وأخبار
الأندلس وأحوال فقاتها وشعرائها ، وطال عمره ، وكانت وفاته سنة ٣٦٧ ، ولا يمكن أن
يكون هو المذكور هنا ، فلعل هذا حفيد له ، ولهذا وضعه الحميدي في باب الكنى (الجنوة :
٣٦٩ والبيعة رقم : ١٥١٨) ، وقد كان أبو بكر هذا هو صاحب الشرطة وذكر أنه شاعر
متأخر (بالنسبة لزمان الحميدي) ، وقد أكثر له صاحب البديع من المختارات الشعرية .
٢ يسمى أيضاً المرزنجوش والمرزجوش ، وهو نبات كثير الألفسان ينسبط على الأرض ،
وله ورق مستدير عليه زغب ، وهو طيب الرائحة جداً .

ولذا سَمَّوْهُ إِذْ أَشْبَهَهَا مَرْدَقَوْشًا بِاشْتِقَاقِ يَوْمِئِذٍ
أشار إلى ما حكاه بعضهم أن المرد بالفارسية : الأذن ، والقوش : الفأر .

وقال في الترمجان :

وَأَخْضَرَ فُسْتُقِيَّ اللَّوْنِ غَضًّا يَرُوقُ بِحُسْنِ مَنْظَرِهِ الْعَيُونَا
ذِكْمِي الْعَرَفَ مَشْكُورِ الْأَيَادِي كَرِيمِ عَرَفُهُ يُسْلِي الْحَزِينَا
أَغَارَ عَلَى التَّرْنُجِ وَقَدْ حَكَاهُ فَرَادَ عَلَى اسْمِهِ أَلِفًا وَنُونَا

وأراه سمع قول صاعد اللغوي فيه ، حيث يقول ^١ :
من طيبه سَرَقَ الْأَنْتُرَجَّ نَكْهَتَهُ يَا قَوْمُ حَتَّى مِنَ الْأَشْجَارِ سُرَّاقُ
ولكنه عكسه ، إذ اقتبسه ، وترك الرائحة ومال إلى الاسم .

وقال في التفاح :

وَجُلْتَارِيَّةٌ مَسْكِيَّةُ النَّفْسِ كَأَنَّهَا جُلُوءٌ فِي كَفٍّ مُقْتَبَسِ
قَدْ أَشْرَبَتْ مِنْ صِبَاغِ اللَّهِ حَمَرَتَهَا كَأَنَّهَا غُرَّةٌ أَوْقَتْ عَلَى لَعَسِ
كَرِيمَةٍ مِنْ بَنَاتِ الْفَرْعِ مَا حَضَرَتْ إِلَّا وَحَضَتْ عَلَى اللَّذَاتِ وَالْأَنْسِ
حَافَتْ فَتَنَكَّسَتْهَا لَمَّا كَلَفَتْ بِهَا فَانْ دَعَوْتُ أَجَابَتْ بِاسْمِ مُتَكَسِ

قوله : « حافت » هو « تفاح » مقلوب .

وقال في السفرجل :

.....

١ البيت في الأخيرة ٤ ، الورقة : ٣٤ .

وزعفرانية في ثوب محزون
مصفرة من بنات الحسن تحسبها
قد رنحت فوق أغصان ترجحها
تروق طعاماً وشمّاً في البساتين
في زغبها ميتاً في ثوب تكفين
وفلكت كئدي الربرب العيين

وقال في الأترج :

جسم من النور في ثوب من النار
فابيض باطنها واصفر ظاهرها
محفوظة برماح من منابتها
عطرية لم تطيب للقاء ولا
كأنه ذهب من فوق بلال
كأنها درهم من تحت دينار
مشحونة بين أرواح وأمطار
مدت يميناً إلى حانوت عطار

وقال في الخوخ :

وطيب الريق عذب آب في آب
مخمل الثوب لم تخمل رفاسته
خالسته نظري فاحمر من خجل
من اسمه فيه مقلوباً ومبتدأ
وزار مشتميلاً في زي أعراب
بين الفواكه من نقص ولا عاب
خداه ثم انثى غني كمرتاب
أرني على اللوز في تطريز جلباب

يريد أن الخوخ يقرأ من طرفه . وفيه يقول :

لم أر كالقيرسيك جلباباً
من طرفه يتأتى اسمه
كأنه قد سكن الزابا
فإن تفلنت له ثابا

وقال في الفستق : [٤٥ أ] .

صدف أبيض نقي
متقّر عن جوهر
كل صبيغ يعزى إلى
ذو بهاء ورونتق
أخضر فيه مطبق
لونه قيل فستقي

وقال في العُنَّاب :

أما ترى ثَمَرَ العُنَّابِ مُوقَرَةً بكلِّ أَحْمَرَ لَمَاعٍ من الخرزِ
وقد تدلَّتْ به الأغصانُ مائلةً مثلَ العثاكيلِ من صَدْرِ إلى عجزِ
وقد حمتها عن الأيدي أسننتها حذارَ مفترسٍ أو خَوْفَ متنهزِ

وقال :

ما طَلَعَتْ في قوسها إلاَّ بدا قوسُ قُرَحْ
نَفْسٌ وما مِنْ نَفْسٍ رُوحٌ ولكنْ لا شبح
شِراةٌ تلمحها قِراةٌ لمنْ لمح
ولستُ من شُرَّابها ولا لها بمقترح
ولا أنا مغتَبِقٌ بها ولا بمصطبج
لكنِّي أمدحها تنظرُفاً في من مدح

الوزير أبو العلاء زهر بن عبد الملك بن زهر الايادي

أحدُ الأفرادِ الأجمادِ من إِيَاد ، وهو وإن كان في وقتنا البحرَ الذي لم يُبلَّغْ بالتحصيل ، والصبحَ الذي لا يُفتَقَرُ معه إلى دليل ، فلاني أجريتُ ذكره في نَفْسِ هذا الديوانِ نَفْساً ، واجتلبتُ قطعةً من شعره أقمتها للآدابِ عُرْساً ، وجعلتها لألبابِ الشعراءِ والكتابِ مِدْوَساً ، مع أنه أعلى قدراً ، وأبهى ذكراً ، من أن يعبرَ الدهر عن علاه ، أو يدَّعي الشعرُ أنه من حلاه ، ولم أظفرَ عند تحريري هذه النسخة بشيء من نثره ، فلذلك اقتصرنتُ على جملةٍ من شعره ، جعلتها ذريعةً إلى إجراء ذكره ، ولولا ترتيبُ اقتضاه

١ في النسخ : مدرسا .

هذا التأليف ، وقضى به التصنيف ، لحل ذكره من هذا الديوان محلّ
زحل من الفلك ، والتاج من مفريق الملك .

وقد قدّمتُ في أخبار القاضي ابن عبّاد من إظلام أفقه - كان - على
الاشكال ، واجتماع فرقهِ من < غير > الأغفال ، بما أغنى عن إعادة المقال .
وكان الفقيه جدّه محمد بن مروان بن زهر^١ . منشأ تلك الدولة العبادية
أولّ مَنْ تُثنى عليه الخناصر . وتشيرُ إليه القلوبُ والنواظر ، وتفقرُّ
إلى ما لديه الألبابُ والبصائر . فصاقتْ دولته عن مكانه . ضيقَ صدرِ
العاشقِ عن كتمِ أشجانِهِ ، واستراحتْ لجلالة شانِهِ ، استراحتْ المناقِرِ
بتلجّجِ لسانِهِ ، وأهمّةُ أمرُهُ حتى أخرجه عن بلده ، واستصفى ذاتَ
يده : فلحق بشرق الأندلس . وأقام بها بقيّةَ عمره ، بين جاهه ووفره ، وفي
حصنٍ حصينٍ من سلامة سيره وجهره .

ونشأ ابنه الوزير أبو مروان عبد الملك بن محمد^٢ فما بلغَ أشدّه ،
حتى سدّ مسدّه . بل ما خلع تئامه . حتى استوفى مناقبه ومكارمه . وورث
مبادئه وخواتمه . ومال إلى التفتّن في أنواع التعاليم من الطب وغيره من
العلوم ، فجمع شتاعها ، واستوفى أجناسها وأنواعها ، وجذب بضبعها ،
وفرّق بين غربيها وشرقيها ، ورحل إلى المشرق لأداء حجّ الفريضة فملأ
البلاد جلاله ، ورَجَحَ الأطوادَ أصالةً ، ولم يلقَ أحداً من زعماء تلك
الأقطار إلاّ عولَ على ما عنده ، وتجاوز في الأخذِ عنه عقوّه وجهده .

١ توفي الفقيه محمد بن مروان بن زهر سنة ٤٢٢ (انظر المطرب . ٢٩٣ . والصلة . ٤٨٧

والبنية ص . ١٢٠ . والوافي . ٥ . ١٦ . وعبر الذهبي . ٣ . ١٥٠) .

٢ راجع ترجمة أبي مروان عبد الملك في الذيل والتكملة : ٥ : ٣٧ . والتكملة رقم : ١٦٩١

وطبقات صاعد : ٨٤ . وابن أبي أصيبعة : ٦٤ . والمغرب : ٢٦٥ .

ونشأ أبو العلاء زهر بن عبد الملك^١ فاخترع فضلاً لم يكن في الحساب ،
وشرع نبلاً قصرت عنه نتائج الألباب ، وكنا نتوقع الحمام حتى سطا ،
ونتجع الغمام إلى أن أعطى ، لو ساجل البحر لفصحته ، أو وازن الدهر
لرجحه ، نشأ بشرق الأندلس والآفاق تنهادى عجائبه ، والشام والعراق
تتدارس بدائعه وغرائب ، ومال إلى علم الأبدان ، فلولا جلالة قدره ،
لقلنا جاذب هاروت طرفاً من سحره ، ولولا أن الغلوة^٢ المديح ، لتجاوزت
طلق الجحشوح ، ولكن اكتفيت بالكناية عن التصريح ، وصلوات الله
على المسيح . [٤٥ ب] ولم يزل مقيماً بشرق الأندلس إلى أن كان من غزوة
أمير المسلمين وناصر الدين ، أبي يعقوب يوسف بن تاشفين ، في من انضم
إليه من ملوك الطوائف إلى حصن لييط ما كان ، فشخص الوزير أبو العلاء
معه ، فلقية المعتمد واستماله واستهواه . وكاد يغلب على نيره وتجوّاه ،
وصرف عليه بعض أملاكه ، فحنّ إلى وطنه ، حنين النجيب إلى عطيه ،
والكريم إلى سنّيه ، ونزع إلى مقرّ سلفيه . نزع الكوكب إلى بيت
شرفه ، إلا أنه لم يستقرّ بإشبيلية إلا بعد خلع المعتمد ، ودعا به أمير
المسلمين ، رحمه الله ، قلباه ، وحلّ من نفسه محلاً لم يحلّه الماء من الظمآن ،
ولا الروح من جسّد الجبان . وقد أخرجت من ملجأ أشعاره ما يعطل
شذا الزهر ، ويخجل سنا الأنجم الزهر .

١ انظر في أخبار زهر بن عبد الملك كتاب التكملة : ٣٣٤ والمطرب : ٢٠٣ والنفع ٣ : ٢٤٦ ،
٤٣٢ (نقلا عن الذخيرة) . وبدائع البداه : ٣١٠ وابن أبي أصيبعة ٢ : ٦٤ - ٦٦ . وكانت
وفاته سنة ٥٢٥ هـ ودفن بإشبيلية خارج باب الفتح .

جملة من مقطوعاته الاخوانيات

كتب إليه حسام الدولة ابن رزين بهذه الأبيات ^١ :

وَدَعَ الحُودَ بِغِلِّهِ وَبَدَائِهِ	عَادِ اللِّثِيمَ فَأَنْتَ مِنْ أَعْدَائِهِ
مَشْغُولَةٌ أَفْوَاهُهُمْ بِجَفَائِهِ	لَا كَانَ إِلَّا مِنْ غَدَتِ أَعْدَاؤُهُ
حُسَيْدَ الْكَرِيمِ بِجُودِهِ وَوَفَائِهِ	أَبَا الْعَلَاءِ لَئِنْ حُسَيْدَتَ لَطَالَمَا
وَنَأَى السَّاءَ فَكُنْتَ مِنْ أَبْنَائِهِ	فَخَرَّ الْعَلَاءُ فَكُنْتَ مِنْ آبَائِهِ
لَا كَانَ قَلْبٌ لَسْتَ فِي سَوْدَائِهِ	كُنْ كَيْفَ شِئْتَ مُشَاهِداً أَوْ غَائِباً
مَمْلُوءَةً مِنْ وَدِّهِ وَصَفَائِهِ	وَالْبِكَ كَأْساً مِنْ وَدُودِ مُحِيضِ

فأجابه الوزير أبو العلاء بقوله :

وَتَعَبَّدَ الْأَحْرَارَ حُرّاً وَفَائِهِ	يَا صَارِماً حَسَمَ الْعَلَاءَ بِمَضَائِهِ
إِلَّا بَأْنُ سُمِّيَتْ مِنْ أَسْمَائِهِ	مَا أَثَرَّ الْعَضْبُ الْحَسَامُ بِلَدَائِهِ
حَتَّى اسْتَمَدَّ الرُّشْدَ مِنْ آرَائِهِ	وَلَقَدْ غَدَا رَأْيُ الزَّمَانِ بِمَعْزَلِ
وَتَبَرَّقَعَتْ شَمْسُ الضُّحَى لِسَنَائِهِ	عَنْتَ الْمَلُوكُ لِفَضْلِهِ وَعِلَائِهِ
سَمّاً لَمَّا قَابَلْتَهَا بِدَوَائِهِ	شَرَفَتْ ذَا أَمَلٍ بِكَأْسٍ لَوْ غَدَتُ
وَأَرَى رَهِينَ الرَّمْسِ مِنْ شَهْدَائِهِ	كَيْمَا أَمْكُونَ الدَّهْرَ مَكْلُوءاً بِهِ

قال ابن بسام : قول ابن رزين : « فخر العلاء فكنت من آبائه » ...

١ انظر النفع ٣ : ٤٣٢ - ٤٣٣ .

٢ النفع : حسن .

البيت ، للشعراء تصرّف في اشتقاق المدائح من أسماء المدوحين ، ومنه قول ابن الرومي ^١ :

كَانَ أَبَاهُ حِينَ سَمَّاهُ صَاعِدًا رَأَى كَيْفَ يَرْقَى فِي الْمَعَالِي وَيَصْعَدُ

ولما سمع البحري هذا البيت قال : مني أخذه في العلاء بن صاعد ^٢ :

سَمَّاهُ أَسْرَتُهُ الْعَلَاءُ وَإِنَّمَا قَصَدُوا بِذَلِكَ أَنْ تَمَّ عُلَاهُ

وقال ابن البين البطليوسي ^٣ في الوزير أبي الأصمغ بن المنخر :

شُمُّ الْأَنْوَفِ لِلذَّكَاءِ مَا سُمُّوا بِهَا وَمِنَ الْمَسْمَى تُؤْخَذُ الْأَسْمَاءُ

وقال أبو بكر بن سوار ^٤ في القاضي ابن حمدين : [٤٦ أ] .

مِنْ مَجْشَرِ حُمِدُوا فَأَحْمَدَ سَعْيُهُمْ فَلِذَاكَ مَا سُمُّوا بِنِي حَمْدِينَ

وقال الصاحب بن عباد ^٥ : وَقَدْ قَتَلَ الْمُتَنَبِّي مِنْ هَذَا حَبْلًا اخْتَنَقَ بِهِ ،

فقال ^٦ :

فِي رَبْطَةِ حَجَبِ الْوَرَى عَنْ نَيْلِهَا وَعَلَا فَسَمَّوْهُ عَلِيَّ الْحَاجِبَا

وقال أبو الوَيْد بن حَزْم ^٧ في الوزير أبي العلاء المذكور :

- - -

١ ديوان ابن الرومي ٢ ٥٩١٠ رسالة الصاحب : ٢٤٢ .

٢ ديوان البحري ٢٤٠٥٠ .

٣ ستحي ترجمته في هذا القسم : ٧٩٩

٤ " " " " : ٨١١

٥ رسالة الصاحب ٢٤٢ .

٦ ديوان المتنبي : ١٠١ .

٧ ترجمته في ما يلي من هذا القسم

أما العلاء فلن تراحِمَكَ العدا فيه وحَسْبُكَ أنْ دُعِيتَ له أبا

ومن جواب الوزير أبي العلاء له :

أَجَرِيتَ طَيْرُفَكَ فِي الْعَتَابِ وَرَبَّمَا — وَقِيتَ — مَنْ أَجْرَى بِلاَقَصْدِكَ
عُتْبِي وَلَا عَتْبُ لَدَيَّ ، وَإِنْ بَنَّا اسْتَبَدَلْتَ بَرْقًا شامَ لِحَظِّكَ خَلْبًا
نَحْبًا وَضَمْنًا مِنْ سَجَايَا ذَاتِهِ نَفْحَاتِ غَدْرِ ضِمْنٍ هَبَّاتِ الصَّبَا
وَلَطَالَمَا فِيهِ انْخَدَعْتُ إِنْخَالُهُ نَصْلًا فلما أَنْ ضَرَبْتُ بِهِ نَبَا
مَا كُلُّ نَاصِرٍ دَوْحَةٍ رَوْضًا وَلَا كُلُّ ضِيَاءٍ رَاقٍ حَسَنًا كَوْكَبًا

وقول الوزير أبي العلاء : « وربما وقيت » ، من مליح الالتفات ، وهو عند بعض أهل النقد تميم ، والالتفات أولى به وأشكل بمعناه . ومنه قول كثير^١ :

لو أن الباخلين وأنتِ منهم رأوكِ تعلّموا منك المطالا

وقوله : « وأنتِ منهم » التفات . وقد سمّاه ابن المعتز^٢ : « اعتراضاً » وجعله باباً على حديثه بعد الالتفات ، وغيره^٣ جمّع بينهما^٤ . وقال النابغة^٥ :
ألا زعمتُ بنو عبسٍ بآني ، ألا كذبوا . كبيرُ السنِّ فانِ

١ ديوان كثير ٥٠٧ . ومع مصادر تحريجه ، يضاف إليها . بديع أسامة : ١٣٠ . وبديع ابن المعتز : ٦٠ . وأعجار الباقلائي . ١٥٠ . ومعاهد التنصيص : ١ : ١٢٥ . وشرح الهج : ٤٠٧ : ٢ .

٢ بديع ابن المعتز : ٥٩

٣ يريد ابن رشيق في العمدة ٢ : ٥٤ ، وهو يتابعه في أمثله .

٤ لم يرد في ديوان النابغة الذبياني وقال صاحب العمدة . ورواه آخرون للجهمي ، وهو في ديوانه : ١٦٢ . وروايته ، ألا زعمت بنو كعب

فقلوه : « ألا كذبوا » اعترض ؛ وقال بعض العرب^١ :
 فظلتوا بيومٍ دُعُ أخاك بمثله على مَشْرَعٍ يروي^٢ ولما يُصَرَّدِ
 فقلوه : « دُع أخاك بمثله » التفاتٌ مليح ؛ وقال عَوْفُ بن محَلَم^٣ :
 إن الثمانين ، وَبُلَّغَتْهَا قد أَحْوَجَتْ سَمْعِي إلى ترجمان^٤
 وقال اسحاق الموصلي : سألني الأصمعي وقال : أتعرف التفاتاتٍ جرير؟
 قلت : وما هي ؟ فأنشدني^٥ :
 أتَنسَى إذ تودَّعُنَا سليماً بفرعٍ بَشَامَةٍ سَقِيٍّ البشامُ^٦
 وقال لي : أما تراه مقبلاً على شعره ثم التف إلى البشام فدعا له ؟ وأنشد
 له ابن المعتز^٧ :
 متى كان الخيامُ بذِي طلوحٍ سَقِيٍّ الغيثِ أَيْتَهَا الخيامُ^٨
 وأحسن^٩ ابنُ المعتزِّ في العبارة عن الالتفات ، حيث قال : هو انصراف
 المتكلم عن الإخبار إلى المخاطبة ، وعن المخاطبة إلى الإخبار وتلا قوله تعالى :
 ﴿ حتى إذا كنتم في الفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾ (يونس : ٢٢) وأنشد لأبي عطاء السندي يرثي عمر بن
 هبيرة :

١ الممددة ٢ : ٤٥ ، وكذلك سائر هذا الفصل عن الالتفات .

٢ س م ط د : يوفي .

٣ طبقات ابن المعتز ٠ ١٨٨ .

٤ ديوان جرير ٠ ٢٧٩ ، ٢٧٨ .

٥ بديع ابن المعتز : ٥٩ .

٦ هذا كلام ابن رشيق ، وانظر ابن المعتز : ٥٨ .

وإنك لم تبعد على متمم بل كل من تحت التراب بعيد
وهو عندهم استدراك ، وأنشد ابن المعتز في هذا النوع لبشار^١ : [٤٦ب]
نبئت فاضح أمه يفتابني عند الأمير ، وهل عليّ أمير ؟
وما أملح قول نصيب^٢ :
وكدت ولم أخلق من الطير إن بدا سنا بارق نحو الحجاز أطير
فقوله : « ولم أخلق من الطير » عجب . ولما سمعت^٣ التي قيل فيها
هذا البيت تنفست تنفساً شديداً ، فصاح ابن أبي عتيق : أواه ، زاه !
قد والله أجابته بأحسن من شعره ، والله لو سمعك لتعتق وطار ، فجعله
ابن أبي عتيق غراباً لسواده . وأنشدوا للعباس بن الأحنف^٤ :
إن تم ذا الهجره يا ظلوم ، ولا تم ، فما لي في العيش من أرب
وقال عدي بن زيد ، وهو في حبس النعمان^٥ :
فلو كنت الأسير ، ولا تكئنه ، إذا علمت معد ما أقول^٦
واستقصاء ذكر هذا الباب ، مما يضخم حجم الكتاب .

١ ديوان بشار : ١١١ (جميع العلوي) .

٢ ديوان نصيب : ٩١ .

٣ أنظر الأغاني ١ : ٢١٣ .

٤ ديوان العباس : ٣٣ .

٥ م د : السحر .

٦ لم يرد في ديوانه .

٧ هنا آخر النقل عن العدة لابن رشيقي .

وقول الوزير أبي العلاء : « أثار العصبُ الحسامُ بذاته » ... البيت ،
من ملبح المدح في حسن التعرف بجنس السيفيّة ؛ وأبو الطيب ممّن اتخذ
سبباً إلى سمائها وعرج ، وقرّع بابها حتى دخل كيف شاءَ وخرج ، كقوله ١ :
لقد رفع الله من دولة لها منك يا سيفها منصل

وكقوله :

لولا سمّي سيفه ومضاؤه لما سلّين لكنّ كالأجفان
وكقوله :

تُسمى الحسام وليست من مشابة وكيف يشتبه المخدم والخدم
وقال :

قلّد الله دولة سيفها أذ ت حُساماً بالمكرمات محلى
فلذا اهتزّ للندى كان بحراً وإذا اهتزّ للوغى كان نصلاً
وقال :

وإن الذي سمّي عليّاً لمنصف وإن الذي سمّاه سيفاً لظالمه
وما كلُّ سيفٍ يقطعُ الهامَ حدّه وتقطعُ لزّبات الزّمانِ مكارمه
وقال :

إن الخليفة لم يُسمك سيفه حتى بلاك فكنت عيّن الصارم
وإذا تتوّج كنت درّة تاجه وإذا تختّم كنت فصّ الحاتم

انظر في هذه الأبيات ديوان المتنبي : ٢٩٧ ، ٤١٣ ، ٣٥٥ ، ٤٠١ ، ٢٤٩ ، ٢٧٨ ،
٣٤٤ على التوالي .

وقال :

مَنْ لِلسَّيْفِ بَأَن يَكُونَ سَمِيحًا فِي أَصْلِهِ وَفِرْنَدِهِ وَمُضَائِهِ
طَبِيعَ الْحَدِيدِ فَكَانَ مِنْ أَجْناسِهِ وَعَلِيَّ الْمَطْبُوعِ مِنْ آبَائِهِ

ولما أفضت الحال ، بالمعتمد إلى الاعتقال ، وحُبس بأغصات ، اعتلت بعض كرائمه في أثناء ذلك ، والوزير أبو العلاء هنالك ، فبادر إلى مرغوبه ، وسارع إلى تأتبي مطلوبه ، ولم يلتفت إلى ما كان سلف بين سلفيهما من معانٍ ، قصتها صروفُ الزمان ، واقتضتها حمايةُ السلطان ، فلاطف علاجها ورفع قدر المعتمد بالتبجيل ، ودعا له بالبقاء الطويل ، وكتب إليه المعتمد إثر ذلك بهذه الأبيات ، وذكر قصة غريبة وهي : أن أكرم بناته ألبهاها حين إلى استدعاء غزلٍ بأجرة تسدُّ بعض خلَّتْها ، فأدخل إليها في جملة ما أخرج غزلٍ لنت عريف شرطته^١ المنتقل إليه من دولة غرناطة ، وعلم الأمر بعد ذلك فتعجب من تغلب الدهر ؛ وفي ذلك يقول للوزير المذكور^٢ : [٤٧ أ]

دعا لي بالبقاء وكيف يهوى	أسير ^٣ أن يطول به البقاء
أليس الموت أرواح من حياة	يطول على الشقي بها الشقاء
[أرغب أن أعيش أرى بناتي	عوارِي قد أضرَّ بها الحفاء] ^٣
خوادم بنت من قد كان أعلى	مراتبه — إذا أبدؤ — النداء
وطرد الناس بين يدي مروري	وكفَّهم إذا غصَّ الفناء

— — —

١ م ط س : شرطه .

٢ ديوان المعتمد ٩٠ . والمحجب ٢١٨ .

٣ زيادة من الديوان لاستيفاء المعنى .

وركض^١ عن يمين^٢ أو شمال^٢
ولكن^٢ الدعاء إذا دعاه
جُزيت^٢ أبا العلاء جزاء بر^٢
سيلي^٢ الكل^٢ عما فات علمي

إذا اختل^٢ الأمام أو الورا^٢
ضمير^٢ خالص^٢ نفع^٢ الدعاء
نوى برآ وصاحبك^٢ العلاء
بأن^٢ الكل^٢ يدركه^٢ الفتاء

فأجابه الوزير أبو العلاء بأبيات ، قال فيها :

تنافست المراتب^٢ فيك حتى
عزيز^٢ أن ينال^٢ البحر^٢ نهبي^٢
ويُلقي^٢ في متون^٢ الرمل^٢ ماء^٢
ولكن^٢ الزمان بلوم^٢ طبع^٢
ومجدك^٢ إنه قسَم^٢ عظيم^٢
لكنت^٢ الغيث^٢ إن^٢ محل^٢ تبدئ^٢
ومثلك^٢، عز^٢ قدرك^٢ عن مثيل^٢ .
لأنك^٢ في سماء^٢ المجد^٢ نجم^٢
وغاية^٢ كل^٢ شيء^٢ لانتها^٢

حللت^٢ العُسر^٢ إذ نجب^٢ الشقاء
وتسقي^٢ الكوثر^٢ العذب^٢ الرشاء
وتشكو غاية^٢ المحل^٢ السماء
على الحر^٢ الشريف^٢ له اعتداء
به وُجد^٢ السنا^٢ وله السناء
وكنت^٢ الليث^٢ إن^٢ عن^٢ اللقاء
يؤمل^٢ أن يطول^٢ له البقاء
به لنواظير^٢ الدنيا^٢ جلاء
وأنت^٢ لغاية^٢ المجد^٢ انتهاء

وخاطبه الوزير أبو محمد بن عبدون برقعة^٢ خطب فيها ودّه ، فتخلّف
عن جوابه لشغل^٢ عَرَضَ ، فأعاد عليه ثانية بهذه الأبيات :

نصبي^٢ من الدنيا^٢ مودّة^٢ ماجد^٢ أهيم^٢ به سرأ^٢ وأخدمه^٢ جهرا

١ في الممجب :

وركض عن يمين أو شمال
لنظم الجيش ان رضع الورا
يعنيه أمام أو وراء
إذا اختل الامام أو الورا

٢ م ط د : سيلي ؛ س : سيلي ؛ الممجب : سيلي النفس .

له الخبيرُ إنْ يأذنْ أَقْلُ غيرَ عاذلٍ
خطبتُ إليه من هواه عقيلةً
فأطرقَ لم ينبسْ بحرفٍ ولم يُعِدْ
وما الصمتُ في هذا المكانِ لِسُنَّةٍ
فان زفَّها دوني إلى كلِّ خاطبٍ
وإن حدَّثتْ منه إليَّ إجابةً

فأجابه الوزير أبو العلاء :

وفاؤك ما أَسْنَى وفضلُك ما أَسْرَى
إذا رمتَ نثراً جثتَ بالسَّحَرِ نائراً
بسطتَ بغيرِ القولِ مِنِّي ولتَ أنْ
ولو نهضتْ بي نحو سؤليَ قدرةً
عقيلةً نظمٍ عن يساريَ زففتَها
فما بلحميلِ الظنِّ يحسبُ أنِّي
أنزّه ذاك الفضلَ عن كشفِ سوءِ

ومجدُك ما أَسْمَى وزندُك ما أَوْرَى
وإنْ حَكمتَ شعراً جثتَ بالآيةِ الكبرى
قبضتُ ولم أمددْ إليها يداً يسرى
إذنْ لم أدعْ في الشكرِ نظماً ولا نثراً
لكفؤٍ ودادٍ لم تجدْ كفؤه مهراً
صمتُ لكبرٍ حينَ عدتْ به سرّاً
بلحأت إليها حينَ أَرهفتيَ عسراً

ما وجدته من شعر أبي العلاء في النسيب

كلفه حسام الدولة وصف غلام قائم على رأسه . فقال ٢ :

١ د . أعقبني .

٢ يدائع البدائه : ٣١٠ - ٣١١ .

تضاعفَ وجدي إذ تبدى عذارهُ
وقد كان ظنّي أن سيَمَحَقُ ليلهُ
فأظهر ضدَّ ضدَّهِ فيه إذ وشتَّ
وتمَّ فخان القلبَ مني اصطبارهُ [٤٧ب]

وقال فيه :
مُحِيَّتْ آيةَ النهارِ فأضحى
كان يُعشي العيونَ نوراً إلى أن
بدرَ تمَّ وكان شمسَ نهارٍ
شغلَ الله خدَّهُ بالعذارِ

كأنه ألم في هذا بقول الآخر :
حلّقوا رأسه ليزدادَ قبْحاً
كان قبل الخلاقِ ليلاً وصباحاً
وقال فيه :

عذارُ ألمٍ فأبدى لنا
ولو لم يحنَّ النهارَ الظلامُ
بدائعَ كنّا لها في عَمى
لم يستبين^٢ كوكبٌ في سما

وقال فيه :
تَمَّتْ محاسنُ وجهِهِ وتكاملتْ
وكذلك البدرُ المنيرُ جماله
لما استدارَ عليه صبحٌ موق^٣
في أن تكتنّفهُ جمالُ أزرق

١ م ط د س . يغشى .

٢ ط م د س . يستيق ، والتصويب عن بدائع البدائه .

٣ بدائع البدائه . لما استدار به عذار موق .

٤ بدائع البدائه : استنار .

وهذا كقول ابن برد وقد تقدم^١ :

يا ثوبه الأزرق الذي قد فاق العراقي في السناء
كأنه فيه بدرٌ تمَّ يشقُّ في زُرْقَةِ السماء

ولنأخذ من قول ابن المعتز :

الآن صرتَ البدرَ خيَّ نَ لبستَ ثوبَ سماءِهِ

وله وهو مما طبّق المفصل في الغرض واستوفى معنى لم أر أحداً يستوفيه ،
وجمعه من ألفاظ أدبية ، ومعانٍ فلسفية ، وأبرزه في صورة من الحسن
يوسفية :

يا راشقي بسهامٍ ما لها غرضٌ إلا فؤادي وما منها له غرضٌ
وممرضي يجفون لحظها غنجٌ صَحَّتْ وفي صنعها التمريض والمرض
امنٌ ولو بنجبالٍ منك يؤنسني فقد يسُدُّ مسدَّ الجواهر العَرَضُ

١ أورد ابن بسام هذين البيتين في القسم الأول : ٥٠٦ وهما هنالك منسوبان لابن الرومي ،
وانظر ديوانه : ١٣٧ .

٢ م : الأزرق .

ومنهم الوزير الفقيه^١ أبو عبيد البكري^٢

وكان بأفقنا^٣ آخرَ علماء الجزيرة بالزمان، وأولَّتهم بالبراعة والإحسان، وأبعدَهم^٤ في العلوم طلقاً، وأنصعهم في المتشور والمنظوم أفقاً، كأنَّ العرب استخلفته على لسانها، أو الأيام ولَّته زمامَ حدثانها، ولولا تأخُّرُ ولادته، وعهدة^٥ في زيادته، لأنسى ذكرَ كنيته المتقدِّم الأوان، ذرَبَ لسان، وبراعة إتقان، لا يجمع الزمانُ حبَّه، إلا كما يؤلف كُتبه، ولا يهزُّ البرقُ حسامته، إلا كما يصرفُ أقلامه، ولا يتدفَّقُ البحرُ إلا كما يجيشُ صدره، ولا يكونُ السَّحرُ إلا كما يروقُ نغمه ونثره^٦، وله تقدُّمٌ سَبَقِي. وسَلَفٌ صِدْقِي. وقد كان لسلفه بغربي جزيرة الأندلس إمرة^٧ قعدوا منها مقعدَ أكابر الأمراء من الخروج عن الطاعة، والاستبداد عن الجماعة، ولهم في ذلك، وللمعتضد قريع أقرانهم، الذي طمَّ واديه على

١ الفقيه : زيادة من ط .

٢ أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري (٤٨٧ -) صاحب المؤلفات الففوية البارعة مثل شرح الأمالي ومصل المقال ، والكتب الجغرافية مثل: المسالك والممالك ومعجم ما استمعنا أنظر مقدمة السمط التي جمع فيها الأستاذ الميمني ما ورد عنه في الصلة والقلائد وبغية الملتبس والحلة والوافي وعد مؤلفاته أنظر دراسة عنه في الجغرافية والجغرافيين في الأندلس: ١٠٧ - ١٤٨ وقد نقل الأستاذ الميمني نص الصغيرة هذا أيضاً في مقدمة السمط .

٣ بأفقنا : سقطت من م ط س

٤ ط م س : وأبدعهم ؛ الميمني : وأبرعهم .

٥ يعني أبا عبيد القاسم بن سلام .

٦ ونثره : سقطت من م س .

٧ م ط : أميرة .

قُرْبَانِهِمْ ، أخبار ذكرها ابن حيّان ، وقد أَلَمْتُ منها بلمع ليتصل الكلام ،
ويستقيم النظام .

فصل في أخبار البكرين من أمراء الغرب^١

[١٤٨] قال ابن حيّان : لما تولّى الوزير أبو الوليد بن جهور
الإصلاح بين ابن الأفطس والمعتضد ، بعد امتداد شأوهما في الفتنة ، وسنّى
الله السلم بينهما في ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين ، اعتدى بعد ذلك المعتضد
على جارّيه ابن يحيى أمير لبلة ، وأبي زيد البكري أمير شلطيّش وأونبة^٢
فأخرجهما عن سلطانهما الموروث ، وحصل له عملهما بلا كبير مؤنة ،
وضمّه إلى سائر عمله العريض ، وازداد بذلك المعتضد سلطاناً وقوة ، وذلك
أنه لمّا خلا وجهه من المظفر بن الأفطس فرغ لابن يحيى بلبة^٣
وصمّم في قصده بنفسه ، فترل ابن يحيى له عن لبلة وخرج عن البلد ، وانزعج
إلى قرطبة : وردّها^٤ مسلوب الامارة ، لا ئلداً بكنف ابن جهور ساد الخلة

١ نقل دوزي هذا الفصل عن الذخيرة في مجموعه عن أبي عباد ١ : ٢٥٢ وانظر البيان المغرب ٣ :

٢٤٠ والحلة السراء ٢ : ١٨٠ - ١٨٢ .

٢ أونبة اسم آخر لمدينة ولبة (Huelva) وهي وشلطيّش (Saltes) في كورة اكشونية
في الركن الجنوبي الغربي من شبه جزيرة ايبيرية ، وتسمى المديرية اليوم مديرية ولبة . وفي ساحلها
جزر صغيرة أكبرها جزيرة شلطيّش (انظر الروض المطار ، الترجمة الفرنسية : ٤٤ ، ١٣٥ ،

٣ لبلة (Niebla) تقع شمال اقليم اكشونية وتبعد عن اشبيلية إلى الغرب مسافة خمسين
كيلومتراً (الروض : ٢٠٣) .

٤ م س : وردّها .

ومأوى الطريد . وكان من الغريب النادر أن شاركه المعتضدُ بقطعةٍ من خيله
أوصلته إلى مأمنه بقرطبة .

ثم سقط إلينا النبأ بعدُ بامتداد يدهِ إلى البكري بولبة وشلطيش ،
وكان هذا الفتى أبو ريد البكري أوارث ذلك العمل لأبيه ، وكان أبوه
من بيتِ الشرفِ والحسبِ والجاه والنعمة ، والاتصال القديم بسلطان
الجماعة ، وكان له ولسلفه قِبَلْ إسماعيلَ بن عباد جدَّ المعتضدِ وسائلُ
وأذمةٌ خلَّفَها في الأعقاب اغترَّ بها عبد العزيز البكري ، فبادر البعثة إلى
المعتضد ساعةً دَخَلَ لبله يهنئه بما تهيأ له منها ، وذكره بالذمام الموصول
بينهما . واعترف بطاعته ، وعرض عليه التخلُّي عن ولبة ، وإقراره بشلطيش
إن شاء ، فَوَقَعَ له ذلك من المعتضد موقعَ إرادة ، وردَّ الأمر إليه فيما يعزم
عليه ، وأظهر الرغبة في لقائه ، وخرج نحوه يبغي ذلك ، فلم يظمئنَ عبدُ
العزيز إلى لقائه ، وتحمَّلَ بسفنه بجميع ماله إلى جزيرة شلطيش ، وتخلَّى
للمعتضد عن ولبة . فحازها حوزةً لَلْبَلَّةِ ، وبَسَطَ الأمانَ لأهلها ،
واستعمل عليها ثقةً من رجاله . ورسم له القطعَ بالبكري ، وَمَنَعَ الناسَ
طُرْأً من الدخول إليه ، فتركه محصوراً وسطَ الماء إلى أن أُلْقِيَ بيده من قُرْبٍ
ولم يَغْرُبْ عنه الحزم . فسأل المعتضد أن ينطلقَ انطلاقَ صاحبه ، فأمنه ،
ولحق بقرطبة ، وبوشر منه رجلاً سرياً عاقلاً عفيفاً أديباً يفوتُ صاحبه ابنُ
يحيى خِلالاً وخصالاً إلى زيادةٍ عليه بيت السَّرْوِ والشرف ، وبابنٍ له
من الفتيان بزَّ الأقرانَ جمالاً وبهاءً وسَرُوراً وأدباً ومعرفةً ، يكنى أبا عبيد .
وتحدث الناسُ من حزم عبد العزيز يومئذ أنه لما احتلَّ بشلطيش علم أنه لا

يقارِجُ عِبَاداً ، فأخذ بالحزم أولاً ، وتخلَّى له عنها بشروط وقى له بها ،
فباع منه سفنه وأثقاله بعشرة آلاف مثقال ، واحتلَّ قرطبة في كنف ابن جهور
المأمون على الأموال والأنفس ، وصَفَتْ لِعِبَادِ تلك البلادُ ، لو أنَّ شيئاً
يدوم صفاؤه ، والملك لله وحده ^١ .

[فصل من نثره ^٢]

له من كتاب يهنيء فيه المعتمد بالفتح الذي كان سنة تسع وسبعين
وأربعمائة : أطال الله بقاء سيدي ومولاي الجليل القدر ، الجميل الذكر ،
ذي الأيادي الغرِّ ، والنَّعم الزهر ، وهنأ ما منحه من فتح ونصر ، واعتلاء وقهر ،
بطالع السعد يا مولاي أبت ، وبسائح اليُمنِ عدت ، وبكنف الحُرزِ عدت ،
وفي سبيل الظفر سرت ، وبقدم البرِّ سعت ، وبجَنَّةِ العصمة أتيت ، وبسهم
السداد رميت فأصميت ، صَدَرَ عن أكرم المقاصد ، واشرف المشاهد ،
وعودٌ بأجل ما ناله عائد ، وآب به وارد ، فتوحٌ أضحكت مبسم الدهر ،
وسفرت عن صفحة البشر ، وردت ماضي العمر ، وأكبَّت واري الكفر ،
وهزَّت أعطاف الأيام طرباً ، وسقت أقداح السرور نخباً . وثنت آمال الشرك

١ بهامش ط الأيسر بخط غير خط الأصل : « بقي منها نحو نصف ورقة » وعلى هامش الأيمن
« هنا ترجمة للوزير الفقيه أبي عمر أحمد بن محمد بن حجاج » . ولكن مما يلفت النظر أن النسخ
المعتدلة لم تورد ترجمة ابن حجاج كما أنها لم تورد للكري شراً أو نثراً . وهي في
الأرجح ناقصة عما رسمه ابن بسام نفسه ، لهذا أثبت هنا بعض نثر البكري وشعره ليكون
ذلك في نسق مع طبعة كتاب الذخيرة .

٢ نهاية الأرب ٥ : ١٤٥ ونقله الميمني في مقدمة السط .

كذبا ، وطوت أحشاء الطاغية رهبا ، فذكرها زاد الراكب ، وراحة اللاغب ،
ومتعة الحاضر ونقطة المسافر :

بها تُنْقَضُ الأحلاس في كل منزلٍ . وتعقد أطراف الحبال وتطلق^١

شملت النعمة ، وجبرت الأمة ، وجلت الغمة ، وشفّت الملة ، وبردت
الغلة ، وكشفت العلة .

كان داء الاشتراك سيفك واشتدت شكاة الهدى وكان طبيبا

فغدا الدين جديداً ، والإسلام سعيداً ، والزمان حميداً ، وعمود الدين
قائماً ، وكتاب الله حاكماً ، ودعوة الإيمان منصورة ، وعين الملك قريرة ،
فهنا الله مولانا وهنا هذه المنح البهية مطالعها ، الشهية مواقعها ، المشهورة آثارها ،
المأثورة أخبارها ، ونصر الله أعلامه ففي البرّ تحلّ وتعد ، وعضد بحسامه
فبالقسط يُسَلّ ويغمد ، وأبدّ مذاهبه فبالتحزم تُسَدّى وتُنحَم ، وأمدّ
كتابه ففي الله تسرج وتُلجِم . فكم فادح خطب كفاه ، وظلام كرب
جلاه ، وميت حق أحياء . وحي باطل أرداه . وكم جاحم ضلالة أطفأ
ناره ، وناجم فتنة قلم أظفاره ، ومغلول أسنة أرهف شفاره ، ومستباح
حرمة حمى ذماره .

فلله هذه المساعي الكريمة ، والمنازع القويمة . المتبلجة عن ميمون النقيبة
ومحمود العزيمة ، فقد تمثل بها العهد الأول والقرن الأفضل الذي أخرج
للناس يأمرين بالمعروف وينهون عن المنكر ، والذي سطع هذا السراج ،
وانتهج هذا المنهاج ، فلا زالت الفتوح تتوالى عليه ، وصنائع الله تتصل لديه ،
إدالة من مشاقبه ، وإزالة لمحاربيه ، وإبادة لمناوئيه . وإن أجل هذه النعم
في الصلور ، وأحقها بالشكر الموفور ، ما منّا الله به من سلامة مولاي التي هي

١ للأعشى ، ديوانه : ١٤٩ والنخيرة ١ : ٨٣٥ .

جامعة لعزّ الدين، وصلاح كافّة المسلمين، بعد أن صلي من الحرب نيرانها،
فكان أثبت أركانها ، وأصبر أقرانها :

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهونائم
تمرّ بك الأبطال كلمي هزيمةً ووجهك وضاح وثغرك باسم

فله الحمد والابداع والالهام ، وله المنّة وعلينا متابعة الشكر والدوام ،
وفازت الكفّ الكليم ، بأعلى قداح المكلم لدى المقام الكريم ، وانما هي
التالية للاصبح الدامية ، في المترلة العالية :

بصُرّت بالراحة العُليا فلم ترها تُنالُ إلا على جسرٍ من التعب^١

جملة من شعر أبي عبيد البكري^٢

قال يخاطب أبا الحسن ابراهيم بن محمد المعروف بابن السقاء وزير ابن
جهور ، وقد خرج رسولا^٣ إلى باديس بن حبوس بغرناطة :

كذا في بروج السعد ينتقل البدرُ ويحسن حيث احتل آثاره القطرُ
وتقتسم الأرض الخطوط فبقعة لها وافر منها وأخرى لها نزر
لذلّ مكان غاب عنه مملكي وعزّ مكان حلّه ذلك البدر
فلو نقلت أرض خطاها لأقبلت تهنيه بغداد بقربك أو مصر

وله في المعتمد عندما أجاز البحر مستجيراً بأُمير المسلمين وناصر الدين :

- - - - -

١ ديوان أبي تمام ١ : ٧٨ .

٢ انظر الحلة السيرة ٢ : ١٨٦ وما بعدها ، ومقدمة السمع .

يهون علينا مركب الفلك أن يرى
فجزنا أجاج البحر نبغي زلاله
يذكرنا ذاك العبابُ إذا طمى
ندى كفك الهامي على القرب والبعد

ومنها :

محمد يا ابن الأكرمين أرومة
فلو خلّد الانسان بالمجد والتقى
ليهنك تشييدُ المكارم والمجد
وآلائه الحسنى لهنت بالخلد

وله :

أجدّ هوى لم يأل شوقاً تجددا
وما زال هذا الدهر يلحن في الورى
ومن لم يحط بالناس علماً فأنى
بلوتهم شتى مسوداً وسيدا

وله ، وكان مولعاً بالخمر :

خليليّ لاني قد طربت إلى الكاس
فقوما بنا نلهو ونستمع الغنا
فليس علينا ، في التعلل ساعة
ونقتُ إلى شمّ البنفسج والآس
ونسرق هذا اليوم سرّاً من الناس
وإن وقعت في عقب شعبان من باس^١

١ هنا تقع ترجمة أبي عمر أحمد بن محمد بن حجاج ، وقد نقل ابن سعيد شيئاً منها عن الذخيرة (المغرب ١٠ ٢٥١) وفيها يقول : « كان بحر علوم ، وسابق ميدان منشور ومنظوم » وأورد له ابن سعيد رسالة أو قطعة من رسالة ، أثبتتها البلوي أيضاً على نحو أتم في العطاء الجزيل (ص : ٥٥) ؛ وأرجو أن أوفق الى العثور على الترجمة كاملة وإلحاقها بهذا القسم من الذخيرة .

في ذكر ذي الوزارتين الفقيه الكاتب أبي بكر محمد بن سليمان
المعروف بابن القصيرة^١

وهو في وقتنا جمهورُ البراعة ، وبقيةُ أئمة الصناعة ، وعذبة اللسان العربي ، وسويداءُ قلبِ هذا الإقليم الغربي ، بحرُ علمٍ لا ينزح ، وجبلُ حلمٍ لا يُزحزح ، من بعضِ كور إشبيلية ، نشأ في دولة المعتضد ، شهر^٢ بالعفاف فلزمه ، ويُسِرُّ للعلم فتعلّمه^٣ وعلمّه ، وكانت له نفسٌ تأبى إلا مزاحمة الأعلام ، والخروج على الأيام ، وهو دائماً يغضُّ عيانتها فتجتمع ، ويطأطأ من غلوائها فتتطاول وتطمح ، ممتنعاً من خدمة السلطان ، قاعداً بنفسه عن مرتبة نظرائه من الأعيان ، بين عفة ترهده ، وهيبة من المعتضد تُعديده ، حتى فطن له ذو الوزارتين ابن زيدون ، فلم يزل يَضْرَحُ قذى العُطلّة عن مائه ، ويُعلي رمادَ تلك الهيبة عن نارِ ذكائه ، إلى أن نبه عليه المعتضد [٤٨ب] آخر دولته ، فتصرف فيها قليلاً على تقيّة من تلك البقية ،

- ١ أبو بكر محمد بن سليمان الكلاعي الإشبيلي (٥٠٨) كان من أهل التفنن في العلوم كاتباً بارع الخط ، ويهافر رسولا عن المعتمد بن عباد إلى الملوك غير مرة ، وقبيل وفاته أدركه الخرف ؛ انظر ترجمته في الصلة : ١٠٤ والمغرب ١ : ٣٥٠ والمطرب : ٨١ واعتاب الكتاب : ٢٢٢ والمعجب : ٢٢٧ والوافي ٣ : ١٢٨ والمحمّدون من الشعراء : ٣٥٨ والخريدة ٣ : ٣٨٣ والذيل والتكملة ٦ : ٢٢٧ والنفع ٤ : ٣٦١ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ والاحاطة ٢ : ٥١٦ .
- ٢ من هنا نقل ابن الأبار نص ابن بسام في ترجمة ابن القصيرة (اعتاب الكتاب ٢٢٢) حتى قوله : تقمده ؛ ثم لخص بعد ذلك حتى آخر الترجمة .
- ٣ الاعتاب : فعلمه .

وتقشّف من ذلك التعفّف ، إلى أن أفضى الأمر إلى المعتمد ، وأحسبه قد كان في أيام أبيه ، من بعض من يداخله ويصافيه ، فجهاه من علاه بنصيب ، وسقاه من نداءه ببحر لا يبدّ ثوب ، وأنهضه إلى مثنى الوزارة ، وأكثر ما عوّّل عليه في السفارة ، فسفر غير ما مرة بينه وبين حلفائه من ملوك الطوائف بأفقنا ، حتى انصرفت وجوه آمالهم إلى أمير المسلمين وناصر الدين ، أبي يعقوب يوسف بن تاشفين ، رحمه الله ، فسفر ذو الوزارتين بينهما مراراً فكثّر صوابه ، واشتهر في ذات الله مجيئه وذهابه ، واضطر المعتمد إليه قريباً من آخر دولته ، فعظمت حاله ، واتسع مجاله ، واستولى على الدولة استيلاءً قصّر عنه أشكاله ، إلى أن كان من خلعه ما كان ، فكان ذو الوزارتين أحده من حرب . وفي جملة من نُكِبَ . وأقام على تلك الحال ، نحواً من ثلاثة أحوال ، حتى تذكّره أمير المسلمين بما كان عهد من حسن خليقته ، وسداد طريقته . وقد حدثت أن سبّب ذلك الذكر ، كتاب كان ورد من صاحب مصر ، لم يكن بدّ من الجواب عليه والانصاف منه ، وتفقد يومئذ أعلام المشاهير ، فكان ذو الوزارتين أقرب مذكور ، فاستدعاه لحينه ، وولاه كتّبة دواوينه ، ورفع شأنه ، حتى أنساه زمانه ، وقد أثبت من كلامه مما أنشأه في الدولتين ، ما يملأ ذكره الخافقين ^١ .

١ ذكر مؤلف المعجب : ٢٢٨ أن ابن القصيرة كان على طريقة قدماء الكتاب من إظهار جزل الألفاظ وصحيح المعاني من غير التفات إلى الأسجاع التي أحدثها متأخرو الكتاب ، اللهم إلا ما جاء في رسائله من ذلك عفواً من غير استدعاء .

جملة من إنشاءاته السلطانيات مع ما يتعلق بها ويذكر بسببها

له من رقعة وردت على الجناح بهزيمة الطاغية اذفونش، قصمه الله ، يوم الجمعة المشهور ، الذي أباد الله فيه عبدة الطواغيت على يدي أمير المسلمين وناصر الدين ، أبي يعقوب يوسف بن تاشفين ، رحمه الله ، قال فيها :

كتبت^١ صبيحة يوم السبت الثالث عشر من رجب ، وقد أعز الله الدين ، وأظهر المسلمين ، وفتح لهم بفضلهم على يدي مساعنا الفتح المبين ، بما يسر الله في أمسه وسنائه ، وقدره سبحانه وقضاه^٢ ، من هزيمة اذفونش بن فردلند ، أصلاه الله - إن كان طاح - الجحيم ، ولا أعدهم - ان كان أمهل^٣ - العيش - الذميم ، كما قنعه الخزي العظيم ، وإتيان القتل على أكابر رجاله وحُماته ، وأخذ النهب في سائر اليوم والليلة المتصلة به إلى جميع محلاته ، وحضور العدد الوافر بين يدي من رؤوسهم ، ولم يحتز منها إلا ما قرب ، وامتلاء الأيدي ممّا قبض ونهب ، واتخذ الناس هوماتهم صوامع يؤذنون عليها ، ويشكرون الله تعالى على ما صنع فيها ، والتتبع بعد في آثارهم ، وتمادي الطلب من وراء فرارهم ، والذي لا مزية فيه أن الناجي منهم قليل ، والمفلت

١ فيه مشابهة ما أورده صاحب الروض المطار (مادة : الزلافة) ونقله المقرئ في النفع ؛

٣٦٩ ، وانظر أيضاً القسم الثالث من كتاب أعمال الاعلام : ٢٤٥ .

٢ م : وقدره ممثلاً وقضاه ، س : وسناه ممثلاً وقضاه .

٣ اعلام : ان كان قد أمهل

من سيوف الهند بسيوف الجوع والبعد مقتول ، ولم يصبني بحمد الله إلا جرحٌ
 أشوى^١، وعنتٌ رغب حُسْنُ المآلِ عندي^٢ وزكّى^٣، فلا يَشْتَقِلُ^٤ لك
 بذلك بال^٥، ولا تتوهم فيه غير ما أشرتُ إليه ، والحمد لله على ما صَنَعَ حقَّ
 حمده ، وهو أهلُ الميزِدِ الذي لا يرجى إلا من عنده .

قال ابن بسام : وشهر رجب الذي ذكره كان سنة تسع وسبعين .

ثم ورد بعدُ كتابٌ من إنشائه يشرحُ جُمَلُ هذا الفتح وتفصيله^٦ ، قال
 في بعض فصوله : وقد علم ما كنّا قبلُ مع عدوّ الله اذفونش بن فردلند،
 قصمه الله. من تطأطؤنا واستعلائه ، وتقامثنا وانتخائه ، وأنا لم نجد لدائه
 دواء ، ولا لبلائه انقضاء^٧ ، ولا لمدة الامتحان به فتَاء^٨ ، إلى أن سنّى الله
 تعالى من استصراخ أمير المسلمين وناصر الدين، أبي يعقوب يوسف بن تاشفين،
 معقلي الأحمى - أيده الله - ما سنّى ، وأدنى من نأى دياره وشحط مزاره
 ما أدنى ، فلم أزل أصلُ بني وبينه الأسباب ، وأستفتحُ إلى ما كتُ أنخيلُ من
 نصره الأبواب ، إلى أن ارتفعتِ الموانعُ قبله^٩، وانتُهجتِ السبيلُ القصية^{١٠} له ؛
 ثم أجاز - على بركة الله وعونه - يريشُ ويَبْرِي ، وصار بعدُ قُدماً يَخْلُقُ^{١١}
 ويفري ، ويتبعُ وجوه الخزامة [٤٩ أ] كيفما اتجهت ويستقري ، وأنا أنجده
 بوسعي ، وأسعده على حَسَبِ ما يُطِيقه ذَرْعِي ، إلى أن صرنا معشر الخلفاء^{١٢}

١ أشوى . أصاب الشوى أي الأطراف ولم يكن قاتلاً

٢ هذه العبارة قلقة هنا . وكذلك هي في الروض والنفع وأحوال الاعلام .

٣ ط د س . القيمة (ولعل الصواب : العصية) .

٤ م س : الخلفاء .

بِبَطْلَيْوُس - حرسها الله - واتفق رأينا بعد تشاورٍ على قصد قورية^١ - حرسها الله - وسمع العدو - لعنه الله - بذلك ، فصعد من مُحْتَشِدِهِ إليها في جيوشٍ تملأُ الفضاء ، وتسدُّ الهواء ، وتمنعُ أن تقع على ما تحت راياته دُكاء ، قد تحصَّنوا بالحديد من قرونها إلى أقدامهم ، وانخلوا من السلاح ما يزيدُ في جرأتهم وإقدامهم ، ولما أشرف على جنابها ، ولسنا بها ، ودنا من أعلامها ، ولم يتَّجه لنا بعدُ ما أردنا من إلامها ، دعاهُ تعاظمه^٢ إلى مواجهة سبيلنا ، وحمله نفجهُ وهورهُ على السلوكِ في مدرَجِ سيولنا .

وفي فصل منها : فدنونا إليه بمحلاتنا - نصرها الله - ثم اضطربناها^٣ بازائه ، وأطللنا عليه براياتنا^٤ حتى كدنا نركزها بفينائه^٥ ، ورأى - لعنه الله - ما اعتمدناه من إصغاره وإخزائه ، فأجمع مضطراً على اللقاء ، وقدم بعض أخبيته دَهِشاً في الرقعة التي كانت بيننا على صفرها من بساطِ الفضاء ، وقد تيقنَ أنه إن أخذ المسلمون مصاقفهم ، ورتبوا في مواقعهم كوافئهم ، اضطلِّمَ عن آخره جَمْعُهُ ، واجتثَّ أصلُهُ وفرعُهُ ، فاهتبلَ فيما قدَّرَ غيرةً ، وحمل ولم يكن - بحمدِ الله - ما استشعره مرَّةً ، فتنادى المسلمون بشعارهم المنصور ، وأقبلوا عليه وعلى من معه في حالٍ مؤذنةٍ بالظهور والوفور ، فتواقف قليلاً الجمعان ، وتجاول ملياً الفريقان ، والسيوف حكمها ، ومن الختوف حدَّها المفهوم ورسمها ، ثم صدق أميرُ المسلمين وناصر

١ قورية (Coria) قريبة من ماردة (الروض المطار رقم : ١٥٣) وفي س م : مورية .

٢ م ط . تعاويه .

٣ م د . أطرناها .

٤ م : برايتا .

٥ بفائه : سقطت من م .

الدين - أيده الله - الحملة ، وصدم في جمع لم يكثر عدد الحملة ، فلم يلبث أعداء الله أن ولّوا الأدبار ، واستصرخوا الفرار ، واتبعهم خيل المسلمين - نصرهم الله - بقية اليوم واللييلة ، تقتلهم في كل غور ونجد ، وتقتضي أرواحهم على حالين من كاليء ونقداً ، ولم يخلص منهم على أيدي المتبعين - آجرهم الله - إلا من سيلتهمه البعد ، ويأتي على حُشاشته الجهد ، وأما محلتهم فانتُهبت في أول وهلة ، وشربت بأسرها في نهلة .

وفي فصل منها :

ولم يُصَبِّ بحمد الله من المسلمين - وفرهم الله - على هول المقام ، وشدة الاقتحام . كثير ، ولا مات من أعلامهم^٢ تحت تلك الجولة إلا عدد يسير ، فإن كان اذفونش - لعنه الله - لم يمت تحت السيوف بدداً ، فسيموت لا محالة أسفاً وكمداً ، ونحمد الله على ما يسره من هذا الفتح الجليل وسناه ، ومنحه من هذا الصنع الجميل وأولاه .

قول أبي بكر فيما كتب به عن المعتمد يومئذ : « ولم يصبني إلا جرح أشوى » تواتر النبأ أنه جرحت يده في ضنك ذلك المأزق .

وقيل في يوم الجمعة أشعاراً سارت بالمقارب والمشارك ؛

أخبرني أبو بكر الخولاني المنجم قال : كتب إليّ أبو عبد الله بن عبادة^٣

١ الكالة : النسيئة والسلطة ، والنقد : الدفع المعجل .

٢ م : أعاليهم .

٣ يعني أبا عبد الله محمد بن عبادة المعروف بابن القزاز .

من المربة بقصيدته في صفة يوم الجمعة ، فارتفعت إلى المعتمد على يدي ،
وهي التي يقول فيها ^١ :

وقالوا كفه جُرِحَتْ فقلنا	أعاديهِ تواقعها ^٢ الجراحُ
وما أثرُ الجراحة ما رأيتم	فترهبها المناصلُ والرماحُ
ولكن فاض سيلُ البأسِ منها	ففيها من مجاريهِ انسياح
وقد صحَّت وسحَّت بالأمانِي	وفاض الجودُ منها والسماح
رأى منه أبو يعقوب فيها	عُقَاباً لا يُهاضُ لها جناح
فقال له لك القِدْحُ المعلَى	إذا ضُرِبَتْ بمشهدك القِداحُ

[٤٩ ب] وفي ذلك اليوم يقول عبد الجليل ، ويمدح أمير المسلمين وناصر
الدين ، رحمه الله تعالى ^٣ :

فثار إلى الطعان حليفُ صدق	تثورُ به الحفيظةُ والذِّمامُ
نُحْي في حميرٍ ونَمَسَتْك نَحْمٌ	وتلك وشائجُ فيها التحام
فيوسفُ يوسفُ إذ أنت منه	كيامن ^٤ . لا وهي لكما نظام
نهجت لسيله نهجاً فوافى	وفي آذنيه الطامي عرامُ

١ انظر أبياتاً منها في القسم الثالث من أعمال الاعلام: ٢٤٩ وفي القلائد: ١٣ والمغرب والخريدة
وهي من قصيدة وردت في ترجمة ابن عباد القزاز في القسم الأول من الذخيرة : ٣٠٨
٢ م س . تواقع .

٣ منها أبيات في المسالك: ١١: ٢٢١ والخريدة ٢: الورقة ٩٩ (في ترجمة عبد الجليل ابن وهب)
والمغرب : ١٢٠ - ١٢١ والقسم الثالث من أعمال الاعلام : ٢٤٧ - ٢٤٨ والقلائد: ١٣ .

٤ كيامن . مثل يامن (يعني بنيامين أخا يوسف الصديق) وفي أعمال الاعلام : كبا بولا
وما لكما نظام (وهو غريب) .

فَهَيْلَ به كَيْبُ الكُفْرِ هَيْلًا وَكُلُّ رُفَيْغَةٍ^١ مِنْهُ رَكَامٌ
 وَصَارُوا فَوْقَ ظَهْرِ الْأَرْضِ أَرْضًا كَأَنَّ وَهَادَهَا مِنْهُمْ أَكَامٌ
 عَدِيدٌ لَا يَشَارِفُهُ حَسَابٌ وَلَا يَحْوِي جَمَاعَتَهُ زَمَامٌ
 تَأَلَّفَتِ الْوُحُوشُ عَلَيْهِ شَتَّى فَمَا نَقَصَ الشَّرَابُ وَلَا الطَّعَامُ
 فَإِنْ يَنْجُ اللَّعِينُ فَلَا كَحْرٌ وَلَكِنْ مِثْلَمَا يَنْجُو اللَّثَامُ

وكان أذفونش قد اضطره الخَوَرُ يومئذٍ للفرار ، فستَمَّ قُنَنَ الجبالِ
 الشاهقة والأوعار ، إلى أنْ جَنَّهُ ثَوْبُ الظلام . فنجا مَنجَى الحارثِ بنِ
 هشام . برأسِ طِمِيرَةٍ وِلْجَامٍ^٢ . ودخل طليطلة — أعادها الله — مع شِرْذَمَةٍ
 من أتباعِهِ قليلة . وبقيةٍ من طائفةٍ له مغلولةٍ مغلولة . فوصف ذلك كله
 عبدُ الجليل في هذه القصيدة . فقال :

فَأَيْنَ الْعَجَبُ يَا أَذْفُونَشُ هَلَاءَ تَجَنَّبْتَ الْمَشِيخَةَ يَا غَلَامُ^٣
 سَسْأَلُكَ النِّسَاءُ وَلَا رِجَالُ فَتَخْبِرُ مَا وَرَاءَكَ يَا عَصَامُ^٤

وهذا لفظ أبي فراس في سيف الدولة . وننشد ما قبله لاتصال المعنى به^٥ :

سَلِي عَنِّي سَرَاةَ بَنِي كَلَابٍ بِبِالْمَسِّ عِنْدَ مُشْتَجِرِ الْعَوَالِي

.. .. .

١ ط : رقيقة ٤ ؛ رقيقة ٤ والرفيفة : التراب اللين .
 ٢ فيه إشارة إلى قول حسان بن ثابت يميز الحارث بن هشام بالفرار .
 إن كنت كاذبة الذي حدثني فنحوت مسجى الحارث بن هشام
 ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ونجا برأس طمرة وِلْجَامٍ
 ٣ هو مثل ، انظر جمهرة العسكري ٢ : ٢٥٥ (تحقيق أبو الفضل) والميداني ٢٠ : ١٢٣
 والسان (عصم) .
 ٤ ديوان أبي فراس : ٣٠٦ .

لَقِينَاهُمْ بِأَسْيَافٍ قَصَارٍ كَفَيْنَ مَوْنَةَ الْأَسَلِ الطَّوَالِ
تَدُورُ بِهِ نِسَاءُ بَنِي قُرَيْظٍ^١ وَتَسْأَلُهُ النِّسَاءُ عَنِ الرِّجَالِ

وفي هذه القصيدة يقول كأنه يخاطب أذفونش :

أَقَمْتَ لَدَى الْوَعَى سَوْقًا فَخَذَهَا	مَنَاجِزَةً ، وَهَوْنًا مَا تُسَامِ
فَإِنْ شِئْتَ اللَّجِينَ فَمَنْ سَامٌ	وَإِنْ شِئْتَ النَّصَارَ فَمَنْ حَامٌ
رَأَيْتَ الضَّرْبَ تَصْلِيًا فَصَلَّبٌ	فَأَنْتَ عَلَى صَلِيكِ لَا تَلَامُ
أَنَامَ رَجَالُكَ الْأَشْقُونَ ؟ كَلَّا	وَهَلْ يَحْلُو بِلَا رَأْسٍ مَنَامُ
رَفَعْنَا هَامَهُمْ فِي كُلِّ جِذْعٍ	كَمَا ارْتَفَعْتَ عَلَى الْأَيْكِ الْحَمَامُ
سَيَعْبُدُ بَعْدَهَا الظُّلَمَاءَ لَمَّا	أَتَيْحَ لَهُ بِجَانِبِهَا اكْتِمَامُ
وَلَا يَنْفَكُ كَالْخَفَاشِ يُغْضِي	إِذَا مَا لَمْ يَاشِرْهُ الظُّلَامُ
نَضًا أَدْرَاعَهُ وَاجْتَابَ لَيْلًا	يُودُّ لَوْ أَنَّ طَوْلَ اللَّيْلِ عَامُ
وَلَيْسَ أَوَانَ لِلْأَيْمِ ^٢ انْسِلَاخٌ	وَلَكِنْ فِي ضَمَائِرِهِ احْتِدَامُ

وقوله : « سَيَعْبُدُ بَعْدَهَا الظُّلَمَاءَ » . . . البيت ، كقول المتنبي^٣ :

[٥٠ أ] .

وَكَمْ لظُلَامِ اللَّيْلِ عِنْدَكَ مِنْ يَدٍ تَخْبِرُ أَنَّ الْمَانُويَّةَ تَكْذِبُ

وكقول أبي تمام^٤ :

١ الديوان : إماء من قريظ .

٢ م س : الليل .

٣ ديوان المتنبي : ٤٦٤ والخريدة ٢ : ١٠٠ .

٤ ديوان أبي تمام ١ : ١٩٩ .

جفا الشرقَ حتى ظنَّ مَنْ كان جاهلاً
بدين النصارى أنَّ قِبْلَتَهُ الغربُ

وقوله : « يود لو أن طول الليل عامٌ » ؛ من قول المعري ، وقصّر عنه :
يودّ أنَّ ظلام الليل دام له . . . البيت ^١ ، ونقله التهامي نقلاً مليحاً
فقال ^٢ :

وتودُّ لو جعلتُ سواد قلوبها وسواد عَيْنَيْهَا سواد عذارٍ

وكانت طوائف الروم ، مدة ملوك الطوائف بأفقنا قد كلب داؤهم
بكلِّ إقليم ، فلاطفوهم بالاحتيال ، واستزلوهم بالأموال ، فلم يزل
دأبهم الإذعان والافتقاد ، ودأب النصارى التسلط ^٣ والعناد ، حتى
استصفوا الطريف والتلاد ، وأتى على الظاهر والباطن التفاد ، بما كانوا
ضربوا على أنفسهم من الضريبة ، إلى ما يتبعها من هديّات ونفقات ، وشعرُ
العصرِ ، شاهدٌ بالأمر ، كقول حسّان بن المصيصي ^٤ يمدحُ المعتمد ويهون عليه
تلك الاتاوات ، من جملة أبيات :

ولم تَطْوَ دون المسلمين ذخيرةٌ تُهينُ كرام المُتَنفِساتِ لتكرما
تَحِيلُ في فكِّ الأسارى وإنّما تعاقدُ كفّاراً لتطلق مسلما
وما كنت ممتنَّ شحّاً بالمال والقنا فتكثر ديناراً وتركز لَهْذا
فترسله للصقيرِ أصفر عسجداً وإن خالفوا أرسلت أبيض مخزما

١ تمامه : وزيد فيه سواد القلب والبصر (شروح السقط : ١١٩) .

٢ ديوان التهامي : ٥٥ .

٣ م : التصليط .

٤ ستأتي ترجمته في هذا القسم : ٤٣٣

وفي ذلك يقول أبو بكر الداني من جملة قصيدة :

في نصرة الدين لا أَعْدِمَتْ نصرتهُ تلقى النصارى بما تلقى فتخدعُ
تنبههم نعماً في طيها نقمُ سيستضر بها من كان ينتفع
وقل ما تسلم الأجسامُ من عرضٍ إذا توالى عليها الري والشبعُ
لا يخطئ الناسُ عشوا عند مشكلةٍ فأنت أدرى بما تأتي وما تدع

وهذا مدح غرور ، وشاهد زور ، ومَلَقٌ مُعْتَفٍ سائل ، وخديعةُ
طالبٍ نائل ، وهيمات ١١ بل حَلَّتِ الفاقةُ بعدُ بجماعتهم «حين أيقن النصارى
بضعف المُتَنِّ ٢ ، وقويت أطماعهم بافتتاح المدن ، واضطربت في كل
جهة نارهم ، ورويت من دماء المسلمين أَسْتَنَهم وشفارهم ، ومن أخطأه
القتلُ منهم فلإنما هو بأيديهم سبايا ، يمتحنونهم بأنواع المحن والبلايا ، حتى
دنوا مما أرادوه من التوثب ، وأشرفوا على ما أمْلَوْه من التغلب ٣ .
وحصلت مدينة قُورِيَّة وسُرَّتة أولًا في يد العدو ، إلى عدة حصون
وقلاع ، كلها في غاية من الحصانة والامتناع ، ثم لم يزل التخاذل يتزايد ،
والتدابُرُ يتسائدُ ، حتى حَلَّتِ الفاقةُ ، وقُضِيَتِ القضيةُ ، وتُعْجَلَتِ
البلية ، بحصول مدينة طَلَيْطَلَة في أيدي النصارى ، وذلك في سنة ثمان
وسبعين ، وهي من الجزيرة كنقطة الدائرة ، وواسطة القلادة ، تدرَكها
من جميع نواحيها ، ويستوي في الاضرار بها قاصيها ودانيها . وفي ذلك يقول

...

١ ط م سر : تمام .

٢ ط د : المتن .

٣ وضعنا هذا النص بين أقواس ، لأنه سيورد من بعد في رسالة لمحمد بن أيمن ، فهو ليس
من كلام ابن بسام ، وإنما أورده مقصداً .

بعض الشعراء^١ :

حشوا مطاياكم^٢ عن أرض أندلس^٣ فما المقام بها إلا من القلط [٥٠ ب]
فالثوب ينسل^٤ من أطرافه وأرى ثوب الجزيرة منسولاً من الوسط

ولعمري لو^٥ قضى بالسّماع على العيان ، واستغنى بالإقناع عن
البرهان ، واطمأن قلبه^٦ إلى التّمويه ، وقد رآه محضاً لا شك فيه ؛ لكان
كلام^٧ الداني أبي بكر ، في ذلك المعنى المتقدّم الذكر ، برتبة ذلك أليق ،
وفي حليته أجمع وأسبق ، حتى لو سمعه الحارث بن هشام ، لعلم
أنه قد ترك في حمْد المذموم ، ومعارضة الصحيح بالسقيم ، طلقاً شاسعاً ،
ومجالاً واسعاً .

وأول^٨ من حسن الفرار ، فما وقع ولا طار^٩ ، الملك الضليل^{١٠} حيث
يقول^{١١} :

وما جَبُنْتُ خيلي ولكن تذكّرت^{١٢} مرابطتها من بربعيس وميسرا^{١٣}

ثم تتابع الشعراء في خدع^{١٤} العقول ، بالتّمويه المستحيل ، فمن مُحَسِّنٍ
بَرَزَ ، ومن مقصّر عَجَزَ ، ومن أحسن ما ورد في ذلك قول حسان^{١٥} :

١ هو ابن العسال الزاهد عبد الله بن فرج اليحصبي ، انظر النفع ٤ : ٣٥٢ .

٢ في النسخ : لقد .

٣ م : عار .

٤ ديوان امرئ القيس : ٧٠ .

٥ قيل إن بربعيس بنواحي حلب ؛ وفيها وفي ميسر كانت وقعة فيما يبدو .

٦ ديوان حسان ١ : ١٧ .

نوليها الملامة إن ألمنا إذا ما كان مغثاً أو لحاء^١
ونشرها فتركنا ملوكاً وأسداً ما يُنهِنهُنَّ اللقاء

الآيات ، حتى قال الحارثُ بن هشام قطعتهُ في حُسْنِ الفرار، التي
التي صارتُ نهايةً في العجب ، وشهادةً في تحسين نتائج الحرب ، وهي
قوله^٢ :

الله يعلمُ ما تركتُ قتالهم حتى علّوا فرسي بأشقرَ مُزِيدٍ
ونشبتُ ريحَ الموتِ من تلقائهم في مأزقٍ والخيلُ لم تبددِ
وعلمتُ أني إنْ أقاتِلُ واحداً أقتلُ، ولا يضرُّ عدوي مشهدي
فصددتُ عنهم والأحبةُ فيهم طمعاً لهم بعقابِ يومِ سَرْمَدِ

وسمعا بعض العجم فقال : قاتلكم الله معشرَ العرب ، حَسَنَتْكُمْ كُلُّ
شيءٍ حتى الفرار .

ومن أسحِرِ^٣ ما وَرَدَ في ذلك للألباب ، وأخذَ عِـهِ عن الصواب ،
قولُ ابنِ الرومي في سوداء ، وقد تقدم في ما مرَّ من الكتاب^٤ :

أكسبها الحبَّ أنها صُيِّغَتْ صبغةَ حَبِّ القلوبِ والحدقِ
إلى ما لا يُحصى عدده ، ولا يُستَقْنَصى أمده .

.. .. .

١ الميث : القتال ؛ اللحاء : السباب ؛ ألمنا : فعلنا ما نلام عليه .

٢ حساسة البحرني : ٥٠ ونسب قريش : ٣٠٢ والسيرة : ٢ : ١٨ والعقد : ١ : ٤٠ .

٣ م : أبهر .

٤ انظر زهر الآداب : ٢٣٠ وتشبيهات ابن أبي عون : ٢٣٦ والقسم الأول من اللخيرة : ١٥٠٠

والغيث : ٢ : ١٦٠ .

ومن الشاهد أيضاً على ما تقدم من الأوصاف رقاعٌ رأيتها تكتب يومئذ
بأحد بيوت الأشراف ، خوطب بها العمال ، في استعجالٍ قبضٍ تلك
الأموال ، منها رقعة عن المعتمد قبل فيها :

الحال مع العدو - قصمه الله - يئنة لا تحفى ، ومداراته - ما لم تمكن^١
مضاياه - أولى وأحرى^٢ ، والتزيم له في الصلح المتفق عليه جملة مالٍ
رُسم عليك منه - بعد النظر لحالك ، والتحاشي من الإجحاف بمالك - كذا ؛
فعجل النظر فيه ، وابعثه بكتاب تجاوب على ظهره بوصوله ، وبحسب
تعجيلك أو تأخيرك يكون الاستدلال على طيب نفسك ، وصدق ضميرك ،
فتدارك بالمشاركة في هذا الخطب الملم^٣ المهم الذي لا محيد عنه ، ولا
بد منه .

وأخرى خوطب عنه بها قواد البلاد في هذا المعنى : الحال مع العدو -
قصمه الله - يئنة لا تحتاج إلى جلاء ولا كشف ، معروفة لا تفتقر إلى
نعت ولا وصف ، ومن لا يمكن مقاواته وغاشته ، فليس إلا مداراته
وملايته . وكان - قل الله حده ، وفض جنده - قد اعتقد الخروج في
هذا العام إلى بلادنا - عصمها الله - بأكثف من جموعه في العام الفارط
وأخفل ، وأبلغ في استعداده وأكمل ، إلا أن الله تعالى يسر من إنايته
إلى السلم ما يسر ، ونظر لنا من حيث لا نستطيع أن ننظر ، ووقع
[٥١ أ] الاتفاق معه على جملة من المال تُقدم إليه ، ونستكف بها الشر

١ ط م د : تكن .

٢ م . وأجدى .

المرهوب^١ لديه ، فكم حالٍ كانت بخروجه تتلّف ، ونعمة بأيدي طاغيته تُنتسَف ؛ والرعية — حاطها الله — في هذا العام على ما يقتضيه ما عمّ البلاد من الفساد ، وشملها من جائحة القحط والجراد ، وتكليفها أداء شيء من المال الذي التزم مرتفع ، وأخذها بالمعونة على ما ناب مُستنسع ، فلم يبقَ إلا أن نميل بهذه الكُلفة على الخدمة ميّلة العموم ، ونجربهم فيها على أحسن مجاري التحرير والتقويم ، وهي حالٌ تقتضي من كل من أحسن التأمل المعونة فيها ، والمبادرة بحسب طاقته إليها ، وقد أدرجتُ طي رُفعتي هذه فينداقاً^٢ تُسمّى الخدمة قبيلتك فيه ، ورُسيم على كل واحد منهم ما توجهه حاله وتقتضيه ، فتقدم في ما نصصته من الحال إليهم ، وكلّمتهم بما يخفف الحال عندهم ويسهلها لديهم ، ولتقبض ذلك كلّهُ في أعجل ما يمكن ، فالحاجة إليه وكيدة ، والضرورة حافزة شديدة .

قال^٣ : ولما كلب العدو — قصمه الله — في ذلك التاريخ ، وأعضل داؤه . وجعل يظأ بلاد المسلمين ، آمناً لا يخاف ، وأنساً لا يستوحش ، مُقدماً لا يكع ، ومجبرئاً^٤ لا يرتدع ، ينزل بساحات القواعد الرفيعة ، والقلاع المنبعة ، فيعفتي الآثار ، ويستبيح الدمار^٥ ، ويهتك مصون الأستار ، ورمّت

١ ط : الموهوب .

٢ ط : متدماً ؛ م س : قنداماً ؛ ويياض في د ، والقنداق لفظة يونانية تعني « بيان » أو « برامة » مدرحة ضمن رسالة أو رقعة ، كما يفهم من النص أعلاه .

٣ قال : سقطت من م د س .

٤ في النسخ : كمل .

٥ ط : ومجرماً .

٦ كذا ولعلها « الديار » ، وهي غير واضحة في م .

لها الأنوف ، واستُعذِبتَ معها الختوف ، وحميتَ منها النفوسُ الأبيّة ،
والعدوّ في كل ذلك ثلجُ الفؤاد ، رابطُ الجأشِ . لا يرقبُ سنانَ دافعٍ ،
ولا يبدو له وضحُ سيفِ مدافع . لأنَّ أكثرَ ملوكِ هذا الإقليم ، كانوا
يداخلون طوائفَ الروم ، ويكثري كلُّ واحدٍ منهم عسكرياً بمجملته من المال ،
يُخْرِجُهُ إلى بلدٍ كاشيحه . ويسلّطُهُ على معانده ممن يجاورُهُ من
البلاد ، حسداً له وطمعاً في بلده أن يصيرَ طوعَ يده ، فكانت نيرانُ
الفتنة بينهم مشتعلة ، والرعيّة مهملّة ، لأن جُمْلَةَ غلّاتهم ، وجميعَ
اعمالهم ، كانت تتلفُ بأيدي تلك الطواغيت ، الخارجة إليهم في أكثر
المواقيت ؛ وما كان يفلتُ من الخراب يَغْرُمونه في المغارم ، وما يُجَسِّمونهُ
من المجاشم ، فقطعوا أياّمتهم بقرع الظنابيب ^١ ، وشرع الأنايب ، نكاياتِ
قَعْدَةٍ ، لا نكاياتِ مَرْدَةٍ ، إذ كان كلُّ واحدٍ منهم يختفي عن قيرنه
بقصره ، ويطلُّ الهزّ لسيفٍ غيره . ويسلُّه على جاره ، حتى غدا ذلك
السيفُ مسلولاً عليه ، كما قال أبو تمام ^٢ :

عَبَأَ الكمينَ له فظلَّ لَحِينِهِ وَكِينُهُ الملقى ^٣ عليه كمينُ

لأنَّ النصراني لما اطلّعوا على عوراتهم ، زحفوا بطوائفهم إليهم ،
ولما لم يبق إلا نفَسٌ خافت ورمقُ زاهق ^٤ ، ورأى المسلمون أنَّهم بالجزيرة
على طرف . وفي سبيل ^٥ تمام وتلف . استصرخوا أميرَ المسلمين وناصر

١ قرع للأمر طنبوبه (وهو عظم الساق) . استمد له وتهياً .

٢ ديوان أبي تمام ٣ ٣٢٠ .

٣ الديوان : المحفّى :

٤ ط . نافع . س م . راهق .

٥ م د . سيل .

الدين ، أبا يعقوب يوسف بن تاشفين ، رحمه الله ، فأجاز إلى جزيرة الأندلس في صدر سنة تسع وسبعين ، وبادر بنفسه وجماعته عجالاً ، وتداركوها ركباناً ورجالاً . ونفروا نحوها خفافاً وثقالاً ، والنَّجْحُ يُقَدِّمُهُمْ ، والفَلَجُ يصحبهم . فكان من الفتح يوم الجمعة المؤرخ ما كان : صرع الله فيه عبدة الطَّوَاعِيَةِ ، ووفد عليه عوضاً من آلاف دنانير الأموال . ضِعْفُهُمْ من الفرسان الأبطال ، ففي ذلك يقول عبد الجليل من جملة قصيدة :

أَتُنْكَرُ العُجْمُ أَنْ العَرَبَ سادتها	وتشهدُ البيضُ والخَطِيئةُ السَّمَرُ
لما تعارض ^١ دونَ الشكرِ كفرهمُ	عادتْ بواذرَ فيهم تلکمُ البِدرُ
وهبَّ عن كلِّ دينارٍ لهم بَطَلُ	كخالصِ التَّبَرِّ مسبوكٌ ومختبر
فليقبلوها ألوفاً من أسودٍ وغى	تزكو على السَّبَكِ لا جُبْنٍ ولا خور
وليتَرَقَّبُوا من أميرِ المسلمين ومن	مؤيدِ الدين ليلاً ما له سَحَرٌ [٥١٥ب]
لم يهشموا الثغَرَ إذ عاثتْ أكفهمُ	لو يعقلون ولكنْ تلکمُ الثغر
وليس ما غَيَّرُوا إلَّا لأنفُسِهِمْ	كأنَّما نبهوا إذ نامتِ الغَيرُ

قوله : « وهبَّ عن كلِّ دينارٍ لهم بطل » . . . البيت ، بتهه على هذا المعنى المتنبي بقوله^٢ :

ولو كنتُ في أسْرِ غيرِ ^٣ الهوى	ضمنتُ ضمانَ أبي وائلٍ
فدى نَفْسَهُ بضمانِ النَّضَارِ	وأعطى صدورَ القنا الذابل
ومناهمُ الخليلَ مجنوبةً	فجشَّنَ بكلِّ فقى باسل

١ د : تعرض .

٢ ديوان المتنبي : ٢٥٩ .

٣ م ط : غير أسر ، وهي رواية أخرى .

وفي يوم الجمعة يقول أيضاً ابنُ جمهور^١ من جملة قصيدة :
لم تعرف العُجْمُ إذ جاءت مُصمَّمةً يومَ العروبةِ أنَّ اليومَ للعربِ

وهذا ينظر إلى قول أبي تمام^٢ :

لئن كان نصرانياً النهرُ آلسٌ لقد وجدوا وادي عقرقرسَ مُسلماً^٣

وفي ملوك الأندلس يقول أبو الحسن ابنُ الجدد^٤ يمدحُ أميرَ المسلمين
وناصر الدين ، رحمه الله :

في كلِّ يومٍ غريبٌ فيه مُعتَبَرُ	نلقاهُ أو يتلقانا به خَبَرُ
أرى الملوكَ أصابَتْهُمُ بَاندلسُ	دوائرُ السَّوءِ لا تُبقي ولا تَدَرُ
قد كنتُ أنظرها والشمسُ طالعةً	لو صَحَّ للقومِ في أمثالها النظرُ
ناموا وأسرَى لهم تحت الدَّجَى قَدَرُ	هوى بأنجمهم خَسَفًا وما شعروا
وكيف يشعروا من في كَفِّهِ قَدَحُ	نحدو به مُدْهلاتُ الناي والوترُ

١ في النسخ ابن جمهور ، والتصويب عن الحلقة ٢ : ١٠١ حيث ذكر أنه أحد أدباء اشبيلية .
وابن جمهور ليس من اشبيلية ، وقد عرف محقق الحلقة بمن اسمه عبد الله بن أحمد بن جمهور
ومن المستبعد أن يكون هو الشاعر المقصود هنا ، لأن عبد الله ولد سنة ١٦ هـ أي بعد الزلافة
بشعاني وثلاثين سنة .

٢ ديوان أبي تمام ٣ : ٢٤٢ .

٣ نهر آلس وادي عقرقرس ببلاد الروم ، وكان ضد الأول نصر للروم وعند الثاني نصر للمسلمين .
٤ ترجم ابن سعيّد (المغرب ١ : ٣٤٠) لأبي الحسن بن محمد بن الحد ، الذي سترجم له ابن
ابن بسام في هذا الجزء ويكنيه بأبي الحسين (والكنتين تنبادلان في المخطوطات) فقلعه هو
المعنى هنا .

صَمَّتْ مَسَامِعُهُ عَنْ غَيْرِ نَغْمَتِهِ
تَلَقَّاهُ كَالْعَجَلِ مَعْبُوداً بِمَجْلِسِهِ
وَحَوْلَهُ كُلُّ مَغْتَرٍ وَمَا عَلِمُوا
فَقُلْ لِمَنْ نَامَ أَصْحَتْ. إِنَّهُ، فَلَقَدْ
وَانْظُرْ إِلَى الصَّبْحِ سَيْمًا فِي يَدِي مَلَكٍ
يُرْعَى الرِّعَايَا بِطَرْفِ سَاهِرٍ يَقْظِ
رَدُّوا مَوَارِدَ قَدْ أوردتم حَقَقًا
كَأَنِّي بِكُمْ قَدْ صَرَّيْتُ سَتْرًا
أَمَاتَكُمْ قَبْلَ مَوْتٍ^٢ سَوْءٍ فَعَلَكُمْ

فَمَا تَمَرُّ بِهِ الْآيَاتُ وَالسُّورُ
لَهُ خَوَارٌ وَلَكِنْ حَشَوهُ خَوَرُ
أَنَّ الَّذِي زَخِرَفَتْ دُنْيَاهُمْ غَرَّرُ
مَضَى لَكَ اللَّيْلُ بُحْتًا وَانْقَضَى السَّحَرُ
فِي اللَّهِ مِنْ جُنْدِهِ التَّأْيِيدُ وَالظَّفَرُ
كَأَنَّ رِعَايَا بِطَرْفِ سَاهِرٍ عَمَرُ
بِهَا الْأَنَامُ وَلَكِنْ مَا لَكُمْ صَدْرُ
وَمَا لَكُمْ فِي الْوَرَى عَيْنٌ وَلَا أَثَرُ
وَكَيْفَ بِالذِّكْرِ إِذْ لَمْ تَحْسُنِ السِّيَرُ

رجعت إلى إيراد فصول من ترسيل ذي الوزارتين المذكور

فصول من رقعة كتبها عنه إلى صاحب القلعة ، قال فيها^٣ :

ورد كتابك الذي أنفدته من وادي منى مُنْصَرَّفَكَ من الوجهة
التي استظهرت عليها [٥٢ أ] بأضدادك، وأجحفت فيها بطارفك وتلادك،
واخفقت من مَطْلَبِكَ ومرادك ، فوقفنا على معانيه ، وعرفنا المصريح به
والمشار إليه فيه ، ووجدناك تتجنى وتُتَرَّب على مَنْ لم يستوجب التريب ،

١ سقط البيت من م

٢ م ط . صوت .

٣ هذه الرسالة موجهة إلى صاحب قلعة بني حماد على لسان يوسف بن ناشف . كذا قال في
القلائد ١٠٥ والحريدة ٣ ٢٨٥ .

ونجعل سيئتك حسناً ، ومُنكرَكَ^١ معروفاً ، وخطأك^٢ صواباً يئناً ،
وتقضي لنفسك بفلتج^٣ الخصام ، وتوليها الحجّة البالغة في جميع الأحكام .
ولم تتأوّل أن وراء كل حجة أدلتيتها ما يدحضها ، وإزاء كل
دعوى أبرمتها ما ينقضها ، وتلقاء كل شكوى صححتتها ما يبرئها ،
ولولا استنكاف الجدال ، واجتناب تردد القيل والقال ، لنصصنا^٤
فصول كتابك أولاً فاولاً ، وتقرينها تفاصيلاً وجُملاً ، وأضفنا إلى كل
فصل ما يبطله ، ويخجل من يتحلّه ، حتى لا يدفع لصحته^٥ دافع ،
ولا ينبو عن قبول أدلتيه راء ولا سامع ، ولا يختلف اعترافاً به دان
ولا شاسع .

وفي فصل منها : ونشُدك الله الذي ما^٦ تقوم السماء والأرض إلا
بأمره ، ألم نكن عندما نزع الشيطان بينك وبين أبي عبد الله محمد بن يوسف ،
رحمه الله ، وتفاقم الشنآن ، قد توفّرنا على ما كان بالحال من إقلاق ، وتأخّرنا
عمّا كانت النصبة^٧ تستقدم إليه من بدارٍ أو سباق . ولم نمدّ الوجهة^٨ حتى
إمدادها^٩ ، ولا كثرنا فوق ما كان يلزم من جماهير أعدادها . ولا عدّنا

١ القلائد والخريدة : ونكركَ .

٢ القلائد والخريدة : وخلافك .

٣ م ط س : بصلح .

٤ القلائد : لقصصنا ؛ الخريدة : لفضصنا .

٥ ط : ويخجل من حجته .

٦ القلائد والخريدة : حجته .

٧ د والقلائد : لا .

٨ د : القصة .

٩ م ط : امتدادها .

عن^١ جهادِ المشركين ، ولا أقبلنا إلا على ما يحوط حريمَ المسلمين ، رجاءً أن يثوب استبصار ، أو يقع إقصار ، وأنت خلال ذلك تحتفل وتحشيد ، وتقوم بحمية وتقع ، وتبرق غضباً^٢ وترعد ، وتستدعي ذؤبانَ العرب وصعاليكهم من مُبتعدٍ ومقرب ، فتعطيهما ما في خزائنك جزافاً ، وتنفي عنهم ما كثره أوائلك إسرافاً . وتمنع أهلَ العشرات مئين وأهلَ المئين آلافاً ، كل ذلك تعتصد بهم ، وتعتمد على تعصبهم لك وتألبيهم^٣ ، وتعتقد أنهم جنتك من المحاذير . وحمالك^٤ دون المقادير ، وتذهلُ عما في الغيب من أحكام العزيز القدير^٥ .

ونحن أثناء ما فعلت ، وخلال ما عقدت وحللت ، نؤمُّ العدوَّ — قصمه الله — فنجهه ونكافحه ، فنقدعه ونناطحه ، ونحيِّفه من أقطاره ، ونغزوه بدءاً وتعقيباً في عقر داره ، إلى أن استجمعت أخيراً واستجشت . وترجعت إلى عرفانك وأجهشت . ولولا ماؤك^٦ الذي ثمنوه ، وشارفوا^٧ إلى أن يستنفدوه . ما أووا لشكواك ، ولزادوك ضعفاً على إباله بلواك ، وإنك لتداوٍ منهم بسم ، ومستريح إلى غم ، فبلغت معهم ما بلغت . وأرغمت بهم ما أرغت ، واستقبلتنا بما أثبت عن العدو وأمد أخذناه بمخنته ، وأضفنا

- ١ القلائد . ولا عنانا غير .
- ٢ القلائد والخريدة : غيظاً .
- ٣ القلائد والخريدة : وحماتك .
- ٤ م ط س : القادر .
- ٥ س د : فننده (اقرأ : فنبده) .
- ٦ م س د وخ بهامش ط : مالك
- ٧ ظ : وشارفوا .

أنشطة وَهَقِ الخَزْنِي عَلَى عُنُقِهِ . وَأَشْفَى عَلَى انْقِطَاعِ ذِمَّائِهِ وَرَمَقَهُ ،
فَفَرَّجَتْ عَنْهُ كَرْبَةً لَمْ يَظُنَّهَا تَنْفَرَجُ ، وَنَهَجَتْ لَهُ مِنْهَا وَجْهَ مَخْلَصٍ لَمْ يَحْسَبْهُ
يُنْتَهَجُ ، وَأَخْلَيْتْ^١ وَجْهَهُ لِأَذَى الْمُسْلِمِينَ يُبْدِئُهُ وَيُعِيدُهُ ، وَبَسَطَتْ
فِيهِمْ يَدَهُ وَكَانَتْ فِي جَامِعَةٍ تَقْصُرُهُ عَمَّا يَرِيدُهُ ، وَلَوْ أَنَّ صَاحِبَ رُومَةَ^٢
الْمَشْتَمَلِ مَعَهُ بَعَاةَ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ ، الْمُنْتَحِلَ مَا يَنْتَحِلُهُ مِنْ كَلِمَةِ الزُّورِ
وَالْإِفْكِ ، يَكُونُ مَكَانَكَ مِنْ جَوَارِنَا ، وَيَصَاقِبُ كَمَا صَاقَبْتَ قَاصِيَةَ دَارِنَا ،
مَا أَتَى مِنْ نَصْرِهِ فَوْقَ مَا أَتَيْتَ ، وَلَا تَوَلَّى مِنْ انْتِشَالِهِ ، وَالسَّعْيِ فِي اسْتِقْلَالِهِ ،
إِلَّا بَعْضَ مَا تَوَلَّيْتَ ، وَلَا أَنْحَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ مَضَارِهِ إِلَّا بَدُونَ مَا أَنْحَيْتَ ،
وَلَا بَغَاهُمْ خَبَالًا بِأَكْثَرِ مِمَّا بَغَيْتَ .

وما في تلك الجزيرة - عصمها الله - من صالح ولا طالح إلا ما يتعرضك
على الله تعالى ، ويرفعُ إليه فيك عقيرته بالشكوى ، وكلُّ ما سَفَكَ مِنْ
دَمٍ ، وَأَنْتَهُكَ مِنْ مَحْرَمٍ ، وَاسْتَهْلَكَ مِنْ ذِمٍّ ، فَلَيْلِكَ مَنْسُوبٌ ، وَعَلَيْكَ
مَحْسُوبٌ ، وَفِي صَحِيفَتِكَ مَكْتُوبٌ ، وَمَوْعِدُ الْجَزَاءِ غَدًا وَإِنَّهُ لَقَرِيبٌ ،
فَانْظُرْ مَا أَنْجَحَ أَثْرَكَ ، وَأَرْبَحَ مَتَجْرَكَ . وَأَصْلَحَ مَوْرَدَكَ وَمَصْدَرَكَ .

وله من أخرى عنه إلى الفقيه قاضي الجماعة [٥٢ ب] بقرطبة أبي عبد
الله بن حمدين^٣ : وَصَلْ كِتَابَكَ فَوْقَقْنَا عَلَى مَعَانِيهِ ، وَأَحْصَيْنَا الْمَجْمَلَ وَالْمُفَصَّلَ

....

١ ط م : وَأَجْلَيْتَ .

٢ س م ط : وَلَوْلَا صَاحِبَ رُومَةَ .

٣ هو محمد بن علي بن عبد العزيز بن حمدين ، التُّفَلْسِيُّ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، كَانَ مِنْ أَهْلِ التَّفَنُّنِ
فِي الْعُلُومِ ، حَافِظًا ذَكِيًّا تَوَلَّى الْقَضَاءَ بِقَرْطَبَةِ سَنَةِ ٤٩٠ هـ وَبَقِيَ فِي مَنْصَبِهِ إِلَى أَنْ تَوَفَّى سَنَةَ ٥٠٨ هـ
(الصلة ٣٩٠ - ٤٤٠) وَانْظُرِ الْقِسْمَ الْأَوَّلَ : ٨٣٩ (الْحَاشِيَةُ ٤٠) وَفِي مَا جَاءَ هُنَا
تَصْحِيحٌ لِمَا وَرَدَ هُنَاكَ حَوْلَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَاصِيِ الْجَمَاعَةِ .

ممّا ذكرتهُ فيه ، والذي أومأت إليه من أنّ الأمر الذي وليته ذو شغوبٍ مُشغِبةٍ ، وأشغالٍ على مُحاولِها صعبةٍ ، حقّ لا امتراء فيه . ولا غطاءً عليه من مُحصّليهِ . ولذلك ما اختير له . على وجه الزمان ، أهلُ المنَنِ من أولي الديانة والصيانة ، الذين نرجو أن تكون منهم محسوباً ، وفي صدرِ ديوانهم مكتوباً ، فاستهد الله يهدك ، واستعن بالله يعنك في صدرِكَ وَوَرْدِكَ ، وتولّ القضاء الذي ولّاهُ الله بِجِدِّ وحزم . وَجَلَدٍ وعزم^٢ ، وأمضِ القضايا على ما أمضاها الله تعالى في كتابه وسنة نبيه ، ولا تبال^٣ برغمٍ راغمٍ ، ولا تُشفقْ من ملامةٍ لائمٍ ، وآسِ بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك ، حتى لا يطمع قوّي في حيفك^٤ ، ولا ييأسَ ضعيف من عدلك ، ولا يكنْ عندك أقوى من الضعيف حتى تأخذ الحقَّ له . ولا أضعف من القوي حتى تأخذ الحقَّ منه ، وانصحْ لله تعالى ولرسوله عليه السّلام ، ولما ولجماعة المسلمين .

وقد عهدنا إلى جماعة المرابطين أن يسلموا لك في كلّ حقّ تمضيهِ ، ولا يعترضوا عليك في قضاء تقضيهِ ، ونحْنُ أولاً وكلهم آخرأ مذ صرت قاضياً ، سامعون منك ، غيرُ معترضين في حقّ عليك ، والعمال والرعية كافةٌ سواء في الحقّ . فان شكت إليك بعاملٍ وصحّ عندك ظلمه لها ، ولا يتجه في ذلك عمل غير عزله ، فاعزله ، وإن شكّا العامل من رعية خلافاً

١ س ط د . وتولى .

٢ وحلد وعزم . سقطت من م .

٣ ط د م س : تعالى .

٤ م وعالك .

٥ س . لذلك

في الواجب فأشككه منها وقومها له ، ومن استحقّ من كلا الفريقين الضربَ والسجنَ فأضربهُ وأسجنهُ . وإن استوجبَ الغُرْمَ في ما استهلك فأغرّمهُ ، واسترجع الحقَّ شاءَ أو أبى من لدنه ، والأمرُ في استكفاء من يكفيك ، ويُغني في بعض الأمور عنك ، إليك ، ولا نشيرُ بشيء عليك . وتصرفُك أحياناً في إصلاح صنعتك وترقيع معاشك . غيرُ مُضيقٍ عليك فيه . فاعلمه .

وله من أخرى عن المعتمد إلى ابن صمادح : إنما أشاركك^١ — أيّدك الله — في النعمة بأسوغها ، وأطالعك^٢ في المهمة بأبلغها . لما أعلمه علمَ اليقين . وأتوسّمه توسم الصبح المبين^٣ . أنك بكريم عهدك . وسليم ودك ، تأخذ من ذلك بالحظّ الأوفى ، وتضرب في الارتياح له بالقدح المعلن ، وأنفذته من حصن لبيط^٤ — سهّل الله مرامه . وأعاد إلى يد المسلمين زمامه — وقد جرى بين فرسان من النصارى وبين سرعانٍ من الجند — نصرهم الله — عند إطلائي عليه تناوش أطمع فيهم ، ودلّ بأنه قد سقط في أيديهم ، ثم صوبحوا يومَ كذا بالحرب . وكوفحوا إلى أخرة بالغرب^٥ . بالطنّين والضرب . وانصرفوا ولاذوا بالانجحار ، واحتجزوا بالجلدران والأسوار ، ولم يكن واحد منهم يثور إلا إلى حمام . ولا يبدي جارحةً إلا إلى ستهم

١ م ط س : إشارتك . خ هامش ط : أشاركك .

٢ د : وأطلعك .

٣ خ هامش ط : المستبين .

٤ م ط س : سبط ؛ د : لبيط (وهذا الوجه الأخير مكثر وروده) .

٥ ط : بالضرب .

رام ، وفي خلال ذلك ما أمرتُ بِشربهم^١ فَغَوَّرَتْ^١ منابِعُهُ ، وَقُطِعَتْ^٢ مشارِعُهُ ، وحصلوا منّا ومن العطش تحت محاربتين : ظاهرٍ وباطنٍ ، وعرضةً لمجاولين : مستترٍ وعالين .

وغيرُ ذاهبٍ على أحد ما تقتضيه هذه الحالُ المبهجةُ بما يخالفها على علو كعب الإسلام ، وينصب على الشركِ وأهله من سوء الانتقام ، بعد البلوغ من الشكر لله تعالى إلى الغاية القصوى . من اختصاصِ أمير المسلمين وناصر الدين . أبي يعقوب حليفنا^٢ الأعز - أيده الله - بقسمٍ من الشكرِ وافرٍ ، وحظٍّ من الثناء والنثر^٣ طاهر . فانه الذي نهجَ بنفسه الكريمة - سناها الله - هذه السبيلَ . وتجتشم فيها المجاشمَ حتى أذلَّ من المشركين العزيزَ وأعرَّ من المسلمين الدليلَ . ثم لم يشغله - دام تأييده - عن صلةِ أيدينا بعد ذلك أمر . ولا ثناءً عن النظر لنا عُدُر .

وفي فصل منها : وكان نموذي إليها من لورقة^٤ بعد أن تملكَّت قصابها ، وتولّجتُ على ما اقترحتُ أبوابها ، وكان تخلّي سعدِ الدولة أبي الأصبغ ابن لبون^٥ عنها على أفضل حال وأجمعها . بما [٥٣ أ] شئت من إلطاف

١ م د : غورت .

٢ ط د . حليفنا .

٣ كذا ورد في م ط د

٤ لورقة (Lorca) من أكبر مدن ولاية مرسية (اروض رقم : ١٦٢) .

٥ ط : ليون ، وأبو الأصبغ سعد الدولة هذا ذكره ابن سميذ في المغرب (٢ . ٢٧٥) وذكر

أنه ولي لورقة بعد أخيه أبي عيسى ابن لبون (الذي ترجم له ابن الأبار في الحلة ٢ . ١٦٧)

ثم صارت المعتمد كما يذكر ابن القصيرة في هذه الرسالة .

وإجمال : ياسر وتساهل ، وتقاصر حيث كان له أن يتناول ، رأياً أدرك منه على صغره ، وقصر ما قطعته من مسافة عمره ، ما يعجز عنه الكهل المجرب ، ويقصر دونه الخول القلب . وتأملت ذلك منه — أبقاه الله — حق التأمل ، ونظرت إليه بعين الملتفت المحصل ، فوفيته الجزاء ، وسرت معه حسبما سار معي إلى ما شاء ، فحصل لي من الناحية ما لا يضاهي معقلاً وبسيطاً ، وعاد الشمل محوطاً والأمر مبسوطاً ، والعاجز الكاسل حازماً نشيطاً ، ورجع الضيق بها سعة ، والهرج^٢ بحمد الله دعة .

ومن جواب ابن صمادح ، من إنشاء ابن الوكيل^٣ كاتبه : إلى مخاطبتك — أيدك الله — تسكن النفس ، وبمطالعتك يتمكن الأنس . فما تزال — والله يُعْلي كعبتك ، ويجعل الأيام والليالي أنصارك وحزبك — تُطْلَع من الاهتبال ، في وفق الإجمال ، ما يبدو ويتبين مع البكر والآصال — لا أعدمك الله معلومة تبديها ، ومنقبة تنافس همم الكرام فيها .

وورد كتابك مفتوحاً بما كان من صنعه تعالى الكفيل ، وبلائه الجميل ، ومنه المتتابع الموصول ، في احتلالك بليط^٤ — يسره الله ، وأحل الهلاك بمن احتواه — وما كان من ذلك التناوش الذي أبدى مخايل الاعتلاء ، وأذن بالملك والاستيلاء . ولا شك أن من سعى لله وحده ، ولم يرد الظفر والظهور

١ د : والأمل .

٢ ط : والهرج (وهي قراءة مقبولة) .

٣ لعل المعنى هنا هو أبو بكر عيسى بن الوكيل البصري الذي عاش إلى أيام دولة المرابطين واستعمل على الكتابة بفرنطة (اعتاب الكتاب : ٢٢٤) .

٤ د : أفق .

٥ د : بليط ؛ ط س م : بليط .

إلا بما عنده ، أنْ حزْبتهُ منصور ، وآمالهُ موصول بها التسهيلُ والتيسير ،
والحمد لله تعالى على ما منح مُتَعَيِّن ، وموضعُ الضراعةِ إليه في الازديادِ
ظاهر بيِّن ، على ما أولى من نعم ، أظهرت الإسلامَ بعد خُمول ، والشكرُ
له على قسَمٍ ، أعزَّتِ الدينَ وقد كان جيداً ذليلاً .

وتوجّه على ما ذكرتُ شكرُ أميرِ المسلمين وناصرِ الدين أبي يعقوب ،
حليفنا الأعزَّ - أيده الله - على ما أجرى إليه بدءاً من الخفوف ^١ بنفسه النفيسة
- نسأها ^٢ الله - وما اعتمده عوداً من الاهتبالِ الذي توخّاه ، فهو الذي
نهج هذه السبيلَ ، وبرّدَ اللوعةَ والغليلَ ، وأعاد الحزبَ الاعينَ بعد عزّته
الحقيرَ الذليلَ .

ورأيتُ - أراك الله مُنَاكَ - أنْ حركتكِ الميمونة كانت إلى هناك من
لورقة بعد أن تملكْتِ قصابها ، وتولّجتِ على اختيارك أبوابها ، على
الصورة التي وصفتها . من متابعة ^٣ أهلها ، وانطباع ^٤ من فيها ، نعمة يعلمُ
الله تعالى أنْ نصيبي منها النصيبُ الأوفَرُ ، وذنوبي منها الذنوبُ الأكبرُ ،
وكلُّ نعمةٍ أناختُ بجناحك ، وحطّتْ رَحْلُها ببابك ، فاني فيها الخليطُ
المساهمُ ، والمشاركُ المقاسمُ ، على ما يقتضيه الإخاءُ ، ويستدعيه الانتظامُ
والصفاء .

١ س ط م د الخفوف .

٢ ط م . سأها .

٣ كذا في النسخ . ولعلها مشايمة .

٤ ط م د س وانطباع .

وله من أخرى عنه : قلّ ما ينفع صلاح الظاهر إذا فسدت الدخلة^١ ، ولا يغني اندمال الخارج ما كانت العلة^٢ ، وكتابي هذا يوم كذا وفي ليلة طلع عليّ الخبر بما تستغربهُ من غدر أهل فلانة لي ، وعقد السلم بيننا لم يجفّ ميدادُهُ ، وعهد التوافق لم يكدر بفصل أشهادُهُ ، فانظر فعلهم ما أفتحه ، وتأمله فما أفصحهُ ، واعلم أن غائلتهم لا تُطفأ أبداً نائرتها ، ولا يؤمن على حالِ نائرتها .

وله عنه من أخرى ، إثر دخول ابن عكاشة قرطبة^٣ ، وقتله لابنه عباد ، وقد وجدت هذه الرقعة في بعض التعاليق منسوبة لابن الباجي : كتبت على أثر النازل الشنيع ، والرؤء الفظيع ، الذي صدّع كبدي ، وفّت في عضدي ، وأنكلني من^٤ كان القرّة لعيني ، ما جرى على الفقيد الشهيد عباد ابني مُجِلِّك - كان - رحم الله مصرعهُ ، وبرّد مَضْجَعهُ ، وقتل قاتله ، ووَقَرَ لي أجر المصاب فيه .

وشرح هذه الفاجعة ، والقاصمة الهاجمة : تسببت من مثابرة العدو المبين المفتون ، جاري الذميم الجوار^٥ القبيح الآثار ، ومجاهرة الفاسق المعروف بابن عكاشة ، دليله في سبيل السلط والعدوان ، وسهّمه إلى أغراض

١ ط م د س : الداخلة .

٢ قص الفتح في القلائد ١٠ - ١٢ كيت استولى المعتمد على قرطبة بمدخلة أهلها وولاهما ابنه الملقب بالظاهر « ولم يرل فيها أمراً وناهياً ، غافلاً عن المكر ساهياً . . . إلى أن ثار فيها ابن عكاشة ليلا وجرا إليها حرباً وويلا » وقتل الظاهر ؛ وانظر أيضاً النسخ ١ - ٦٢٣ - ٦٢٧ واعمال الاعلام . ١٥١ - ١٥٨ واسم ابن عكاشة « حكم » وانظر ما يلي : ٢٦٨ .

٣ م ط س . تم

٤ يشير هذا إلى أن دي النون ، كما سيذكر ابن بسام في ما يلي .

التمرُّدِ والطغيان ، على السعي الخبيث الذي لا يُصِرُّ على مثله إلا منحرفٌ عن الملتَمِ ، منسلخٌ عن [٥٣ أ] الخيرِ بالجملة . طَلَبَ الغيرةَ في قرطبة حتى أصابها ، وارتقب الفرصةَ حتى ولجَ بابها . ليلاً في زُمرَةٍ من أخايثِ أصحابيه ، بعد أن هَيَّئَ^١ له فَتْحُهُ ، ودخل المدينةَ ، وصادفَ السَّرْبَ آمناً غريباً ، والعددَ قليلاً نثيراً ، ويممّ موضعَ المطهرِ بالشهادة ، فنَدَرَ بهم وخرج مُطالماً للأمر ، فلم يبعدْ أن غَشِيَهُ^٢ المَرَدَّةُ فَبَتَ لها مدافعاً عن نفسه حتى أفيظت^٣ — رحم الله موقعه فريداً مُسَلِّماً ، وأقرَّه في جواره العزيز سعيداً مكرماً .

ثم عاث المذكورُ في البلد . واستثارُ أشباهَهُ من السفلةِ الأراذلِ . في استباحةِ المنازل . فأجابوه وانضموا إليه ، وصار جمعه منهم وبتوتُهُ أمرُهُ بهم^٤ ، وأما سائرُ الأعلامِ والأسواطِ فبرءاءُ من هذه القصةِ . ناوون عن المشاركةِ في هذه الدنيَّةِ ، بَعَثَهُمْ^٥ من الحالِ ما لم يعلموا ، ففَوَّضُوا وسلَّحُوا ، وبادرتُ إلى عَرَضٍ ما وقع على فَصْلٍ تَأَمَّلْكَ . لترى جيداً هذا العلوّ المطالبِ . المشاقَّ المناصبِ . وإكبابَهُ^٦ على التسلُّطِ والتمرُّدِ ، إلى أن انتهكَ الحرمَةَ

١ قد تقرأ في م : « سني » .

٢ م : نَشِيَتْ .

٣ ط : أفيظت .

٤ ط د س . واستثار .

٥ م : ومتون ، س : وتيور .

٦ زاد في د . معهم .

٧ د . إلا أنهم بقتهم .

٨ قد تقرأ في م . والبابه ؛ د . والائه ؛ وفي ط : وإكبابه والبابه .

ووتر في الولد^١ ، غير مُبالٍ ببعيد ولا قريب ، ولا مُمسِكٍ مخافةً إنكارٍ
ولا تثريب ، والربُّ لِبَغْيِهِ بالمرصاد ، والقاطعُ بأمله في الانبساطِ والازدياد .

ذكر الخبر عما دار به نجم قرطبة يومئذ .

من تغلب ابن ذي النون عليها .

وعودة المعتمد بعد إليها^٢ .

قال ابن بسّام : قد قدّمتُ من عُجْبِ المعتمدِ بذاته . وتوفّرهِ — كان —
على لذّاته ، وتقديره أنه يضبطُ أزمّةَ البلادِ ، ويملكُ رقابَ العبادِ ، وخيلُهُ في
الأجلال^٣ . وكأسُهُ في يد الساقِ المختال . على مكايهِ من العلم . ووفورِ
حظِّهِ من الحِلِّمِ . ما فيه كفايةٌ لمن استغنى . وآيةٌ لمن تدبّرَ واجتلى .
وعندما أخرجَ قرطبةً من أيدي بني جهور . في خبرٍ قد شُرحَ في القسم الأول
وَقُسِّرَ ، ولأَها ابنهُ عبّاداً ، وكان مِحْشَ حَرْبٍ ، ونشأةً طَعْنٍ وضرب ،
فَقِيَ لا يبالي مَنْ لقي ، ولا إلى أيّ شيءٍ دُعِيَ ، هاجم ابنَ ذي النون في
بعضِ نهْدَاتِهِ إلى قرطبة ، وجيشُهُ قد ملأَ الفضاءَ . وفات الإحصاءُ ،
ففلَّ أجناده ، واستباح طارِفَهُ وتلاده ، ونجا ابن ذي النون مَنجَى أبي نصر ،
بعد ما أعطى على القَسْرِ ، وترجّع بين القتلِ والأسْرِ ، لا يحفلُ بما أخترَ ،
ولا يُلْوِي على مَنْ تَعَدَّر .

١ د : البلد .

٢ نقل دوزي هذا الفصل في ما جمعه من أخبار بني عباد ١ ٣٢٢ وانظر اعمال الاعلام : ١٤٩

١٥٢ .

٣ م ط ودوزي . الأجل .

٤ انظر القسم الأول . ٦١٠ - ٦١٤ .

غير أن المعتمد لما تهيأت له على ابن ذي النون الجسرة^١ ، وأمكنته^٢ منه تلك الغيرة^٣ ، أدار أمر قرطبة ، وأميرها ابنه ، على أحد عبيده المتجندين ، محمد بن مرتين^٤ . وكان شهاباً لا يُصْطَلَى بناره . وأسداً لا يُسْتَقَرُّ على زاره ، إلا أنه كان من الإدلال ببأسه ، والإهمال لنفسه ، والإقبال على كيسه وكأسه . والغفلة عن عادة الله في جنسه ، آية من آيات الله الذي وَكَلَهُ إلى سوء القدر ، وقتله بيد أضعف البشر ، أحد الرجال المتلصصين ، والدائرة المتمردين ، المتصرفين في صغار المهن ، النابتين في مدارج سيول الفتن . رجل كان يعرف بابن عكاشة^٥ ، لم تكن له ساقية قديمة^٦ ، ولا نباهة معلومة . فرأشته طارت حول نار الفتنة الميرة ، المهتكة لمحارم هذه الجزيرة . فترقى من سُكْنَى الشعاب . والسكون إلى الذئاب ، وانتهاز الفرصة إن أمكنته^٧ في الطارق المتناهب ، إلى تَسْنُمِ المعازل ، وتدبير الأمور الجلائل ، وأذكاه^٨ ابن ذي النون عيناً على قرطبة ، في أحد الحصون المصاوبة لها ، وأبعد آماله كانت إخافة سبُلها ، وتحييف عملها ، وكان إحدى^٩ الأعاجيب ذكاء لُب ، وصرامة قلب . وتقدماً إلى ضرب ، لا يحلُّ إلا ريشما يرحل ، ولا يقول إلا بعد ما يفعل . وابن مرتين في خلال ذلك خال بشيطانه ، ساع في شانه . بين بطالته وطغيانه ، كلما حُدِّثَ عن ابن عكاشة بغرة اهتبلها ، وأشير عليه في أمره بنصيحة كي

١ أبو بكر محمد بن مرتين . ذكره الحجاري وقال إنه كان يصادم ابن انتاح (المغرب ١ :

٢٤٣) وقد ذكر في الفتح ٣ : ٤٠٦ ولقب بالقائد ، وانظر ٣ : ٤٧٤ ، وذكره ابن

الخطيب في أعمال الأعلام ١٥١ ، ١٥٨ وأشار إلى أنه وزر للطاهر أثناء توليه قرطبة ،

وهو ما يتحدث عنه ابن بسام في هذا الفصل .

٢ دوزي . أمكت .

٣ م : أحد .

يقبلها [٥٤ أ] أعرضَ عن الصادقِ الخبير ، ودَفَعَ في صدرِ الناصحِ المشير .

حدثني من أثيقٍ بخبره ، ممن كان بعضُ أبوابِ قرطبةَ يومئذٍ إلى نظره ، أنَّ ابنَ عكاشةَ كان يَسْرِي تحتَ الليلِ إلى أحدِ حُرَّاسِها فيُخْرِجُ إليه بعضَ مَرَدَّتها ، فيطعمهم ويسقيهم ، ويدبرُ كيف يفتحُ البلدَ على أيديهم ، ويوليهم الأعمالَ وَيُقْطِعُهُم النفوسَ والأموالَ ، فأخبرَ بذلك عبادُ بنَ المعتمد . فقال له : القَا ذا الوزارتينِ الأعلى ابنَ مرتين ، وكان لا يستبدُّ^١ عليه ، ولا يقطعُ أمراً إلا بين يديه ، فأدَّى ما كان عنده من ذلك إليه . فأظهر السرورَ ، ووعد الجِدَّةَ والتَّشْمِيرَ ، وقال له : تقدَّمْ إلى فلان وفلان ، جماعةٍ كانت بالحضرةِ من الأعيان ، فليكونوا عندك في العَدَدِ الوافر ، والسلاحِ الظاهر . فأمرهم عنه فَأَتَمَّرُوا . وتقدَّمَ إليهم بالحضور فحضرُوا :

في ليلةٍ من جمادى^٢ ذاتِ أُنْدِيَّةٍ لا يُبْصِرُ الكلبُ في ظلماتها الطُّنْبُ^٣

وأقاموا منتظرين لأمره حتى بدا النور . وتكلم العصفور ، وهو مشغولٌ بجُرِّ ديوله ، وعصيانِ عدولِهِ ، فيشسوا من نَصْرِهِ ، وجعلوا بعدُ يُلْحِدُونَ في أمره . وتمَّ لابنَ عكاشةَ تدبيرُهُ ، واستوسق له غيرهُ وتَفيرهُ . فانتَهك حُرْمَةَ قرطبةَ . سنة سبع وستين ، في شِرْذمةٍ قليلةٍ ، وشبابةٍ^٤ قليلةٍ ، مُعْلَنِينَ بشعارهم . متلبِّثِينَ بين تغريهم واغترارهم ، لم تكن لهم هِمَّةٌ

١ بعد هذه اللفظة بياض عند دوزي . لا وجود له في النسخ المعتمدة .

٢ من جمادى سقطت من ط م س .

٣ البيت لمرة بن محكان التميمي . شاعر مقل إسلامي ، انظر الحماسية رقم : ٦٧٥ .

٤ س م ط د ودوزي : وشبابة .

إلا دار عباد ، فثار إليهم عندما أحسَّ بهم ولا أهبةً إلاّ إقدامه . ولا صاحب
إلا حسامه ، فجادلهم بالسيف صلّياً ، حتى أذاقوه الموتَ بحثاً . ثم نهّدوا
إلى دار ابنِ مرتين وهو في منزل راحته ، غافلاً عما نزل بساحته . ذُكِرَ
أنه كان ساعثئذٍ يلعبُ بين يديه بالكُرَّج ، فعولَّ على الفرار . واستتر
مُدْبِدةً في بعضِ الأقطار ، حتى انقضت أيامه . وعَتَرَ عليه حِمَامُهُ ،
أخْرِجَ من قرطبة كأنه يُحْمَلُ إلى ابنِ ذي النون . وقد تقدّم إلى
حَمَلَتِهِ ، فطَوَّأ خبره . وَمَحَوَّأ أثره .

وبات ابنُ عكاشة ليّله يطرقُ دورَ الأعيان من أهل قرطبة . يتودّدُ
إليهم ، ويعرضُ نفْسَهُ عليهم ، فمن أجابه قبله . ومن أبى عليه لم يعْرِضْ
له ، وأصبح قد انضافَ إليه من بني المحن . وطغَمَ الفتر . منْ مَنْعَ
منه ، وحسمَ الأطماعَ عنه . ودعا الكافةَ إلى المسجدِ الجامع فأتوه خِفَافاً
وثِقَلاً ، وبابعوهُ بِطَاءٍ وَعِجَلاً ، واثالت إليه طوائفُ الأمداد ، وقوَّادُ
الأجناد ، فانتظم له الأمرُ ، واستوسق له المِصْرُ . ولحقَ ابنُ ذي النونِ
بعد ذلك وهو يرى أنه قد وطِئَ صَلَعةَ السّر . وأخذ بِمُخَنَّقِ الدهرِ ،
أملأً طالما علّته به المطامعُ . وهزته^١ إليه المضاجع ، ولم يزل في يوم دخوله
قرطبة يُعْمِلُ الحيلةَ في إقصاءِ ابنِ عكاشة من دولته . وإخراجه عن جملته .

بلغني أنه دَخَلَ على ابنِ ذي النون يوماً . وقد رفل في الشارة . وتقلّدَ
مُشَنَّى الوزارة ، فرحّب به وأدناه . وهشَّ إليه وناجاه ، فلما
خرج تنفّسَ الصُّعْدَاءَ ، وأتبعه نظرةً شوهاءَ ، وهَيَّئِمَ بكلمةٍ عوراءَ ،

.....

١ م ط : وهذته ؛ خ بهامش ط . وهزته .

فكان بعض الحاضرين أنكر عليه وجعل يُطْرِي ابنَ عكاشة ، ويدكرُ حُسْنَ بلائه ، وينبئه على مكانه من الدواة. وغنائيه ، فلما أكثر قال له ابنُ ذي النون : دَعْ عنك ، مَنْ اجترأ على الملوك لم يصلح للملوك .

ثم لم يلبث ابنُ ذي النون إلا أشهراً لم تُنْعِبْ كَفَّ العاقد ، ولا أطالت غمَّ الحاسد ، حتى أتى من مأمنيه ، أغبَطَ ما كان بسيسه وحسنه ، وسقاه السمَّ الوحيَّ - زعموا - بعضُ ثقاته ، فاستقلَّ بجسده تابوته ، وطار به إلى طليطلة جينهُ وعفاريته ، وخلا وجهه قرطبة بعد ذلك للمعتمد وعاد إليه ملكها . وانظم في يديه سلكها ، وأخذ بثار ابنه عبّادٍ بقتله لابن عكاشة فلم يكن كما قال دُرَيْدُ بن الصَّمَّة ٢ :

قتلنا بعبدِ الله خيرَ لدائِهِ ذؤابَ بنِ أسماءَ بنِ زيدِ بنِ قاربِ

ومما كتب عن المعتمد بعود قرطبة إليه ، وقتل ابن عكاشة على يديه رقعة منها : وأنفذته عندما عادت الحضرة إلى يدي ، وانتظمت بيلدي ، على صورة من التيسير ضاعفت [٥٤ ب] حُسْنَ مَوَاقِعِ العارفة بها . وبشرت بلواحق النصر المترادف بعقبها ، وذلك أن أهلها الصادقة في محبتنا أهواؤهم ، المتفقة على طاعتنا آراؤهم ، لم يزالوا على مثلِ الحميرِ تقلباً مما جرى قبل على غير اختيارهم . وتوجعاً لما كان انقضى علينا في جوارهم ، ناين عمّن وليّ أمرهم بعدنا . مستقصرين لشانهِ عندنا ، إلا النفسَ اليسير ، والتافه الحقيير . من سفهائهم الذين سببوا تلك الوهلة ، وظاهروا على تلك الغفلة ،

١ م ط د س . وحسنه

٢ البيت من قصيدة في الأصمعيات (رقم ٢٩٠) : ١١٧ - ١١٩ ، وانظر حسانة ابن الشجري : ١٣ والسمط . ٦٩٠ والحراة ٣ . ١٦٦ .

ولم يكن لهم أولاً علم بما سدّوه والحموه ، ولا رَضُوا آخراً بما جَنّوه^١
وارتكبوه ، فتحركت من وقفي ، ولم أكّدْ أطيلُ على أفقهم إلاّ والإشارة^٢
علينا ، بأثوابهم إلينا : أنْ أقْدِمُوا وصَمّمُوا ، فافتحمتُ من النهر مخاضةً^٣
توازي الرضّ الشرقيّ منها ، وثار أهلها معي ، داعين بشعاري ، معلنين
بانتصاري ، وكلمة ثاري ، يكسرون بين يديّ كلّ غلّقي يعترضني ،
ويفتحون^٤ كلّ مُرتجّ يتصبّ دوني . وأحسّ ابنُ عكاشة ومن معه
من الشيعة المفلولة بمكاني ففرّوا بأرواحهم ، وألقوا ما كان معهم من
سلاحهم . وقد كنتُ أحطتُ بنواحي الحاضرة خيلاً ترصدُهم ،
وتقطعُ من النجاة سببهم ، فوقعوا فيها وأتوا على آخرهم ، وسبقَ إليّ رأسُ^٥
ابنِ عكاشة ؛ وكان الحبيب إليّ . أنْ يمثلَ بين يديّ . فأبسطَ له من العذابِ
ما كان أشقى لنفسي . وأثلجَ لصدري .

وفي هذا الفتح أنشده حسّان بن المصيصي قصيدته التي يقول فيها ،
ووصف إشارة الناس يومئذٍ من سور المدينة :

وليسوا بفرقي قد أشاروا لساحلٍ ولكنهم غرقى أشاروا إلى بحرٍ^١

وله عنه من أخرى إثر فتح مُرسية على يدي ابنِ عمار ، وإخراج
بني طاهر منها : لم يغبْ عنك من مجرى الحالِ بمرسية وجهٌ أجلوه ، ولا
انطوى من فحواه أمرٌ أنشُرهُ وأبديهِ ، وها أنا أعرضُ عليك من باطنها
ما ربّما خفي ، وأنهي إليك من نجواه ما لعلّه لم ينسَمَ على وجهيه ولا أنهي^٢ ،

.. .

١ م : ويقتحمون .

٢ د : البحر .

٣ ط : نهي .

وذلك أن^١ الافرنج أيامَ تلومهم^٢ على صاحبها، وإلحاد قهيم^٣ بجانها، أشخصوا
إلي^٤ من أعيانهم من قَرَّبَ علي^٥ وجهَ مرامِها، فاستجبتُ لندائهم، ولم
يَكْدُ بختلج^٦ ببالي شك^٧ في صِدْقِ أنبائهم، وإذا الأمرُ بخلافِ ما ذكروه،
وعلى غير ما سَهَّلوه، ووَقعَ من المطاولةِ ما وقع، وآلتِ الحالُ معهم إلى ما
قد فشا وَسُمِعَ، فأعدتُ إليها الخيلَ مع فلانٍ لإطالةِ حصرها، والإناخةِ
بِعَقْرِها، وصاحبها معَ ذلك عمٍ عن رُشدِهِ، يقدِّمُ رجلاً ويؤخِّرُ
أخرى في إعطاءِ صَفْقَةٍ يده، ليقضي الله تعالى قَدَرَهُ، ويُسَلِّغَ أمرَهُ،
فلما رأى أهلُها المتحنون بسوءِ نظره، المصابون من خَطَلِ تدبُّره، أن^٨
غَماءَهم^٩ لا تُقَرَّحُ^{١٠}، وظلماءَهم لا تنجلي ولا تليح^{١١}، أبدؤا إليه، ما كانوا
ينتظون له عليه، فتألبوا وثاروا وطبَّروا بالخبرِ من كان فيها من الأولياءِ
إلى فلان، وكان على مقربةٍ منها، غيرَ متراخٍ عنها، فانصبَّ إليها كالشُّبُوبِ
الماطر، وانقضَّ عليها كالعقابِ الكاسِرِ، ووافاها وقد بولغ في حصاره،
وانبسطتْ أيدي النّهبِ في دياره، فكشفهم عن مكانه، ونفّسَ عنه^{١٢}
فانتشَى^{١٣} ريحَ أمانه. ثم نقله وابنُ أخيه إلى أدنى معقلٍ إليهما، وآمنِهَ عليهما،

١ ط م د س : والاباحة .

٢ م : غماتهم .

٣ م س . تنقلح ؛ ط : تنفّح، وتقرح : تصبغ قرعاه أي ذات غرة، والأقرح : الصبح لأنه
بياض في سواد .

٤ الباء غير معجمة في السخ ؛ وهي من ألح بمعنى أضاء وندا وتلاؤا ؛ ويمكن أن تكون قراءة
هذه العبارة عل النحو الآتي « أن غمائم لا تتفرح، وظلماءهم لا تنجلي ولا تليح » ، ولكن
آثرت ما هو أقرب إلى الأصل .

٥ د . عنهم

٦ هذه القراءة من هامش ط ، وفي السخ . فانتشَى

وأخذ في ضبط الحصون ، وما يُغني به الحزم من وجوه التحصين ، وأظهر أهل البلد [من] الاغباط بمآلهم ، والاستبشار بمفاتيح حاكمهم ، ما يُظهر من خراج من ضيق إلى سعة ، وانتقل من هرج إلى دعة .

ومن أخرى له عنه : ومن أحدث نعم الله الممنوحة عهداً ، وأبعد لها في التمام والوفور حدّاً ، ما أتاحه الله في المغالط المعجب ، القوي المجيء والمدّ هب ، فلان - ضاعف الله لإذلاله وإخزائه . ووفاه على ذميم السعي جزاءه - فانّ حاله جرّت على ما أصفه : سلف من ضلالته في موالات التعريض^٢ للحضرة وسائر أعمالها ، ما أثاره الحسد المدوي لصدره ، والقلق الغالب على صبره ، واتفق له من [٥٥ أ] إمهال الله تعالى إياه ، وتنكيب الحوادث عن دراه ، مدة عنه ، اتفاق أجره رسّنه ، وأسلكه في الغواية سنّنه ، حتى ظنّ أنّ الحوادث لا تربيّه ، والنوايب لا تنوبه ، وحسب أن الأيدي لا تُمدّ إلى مطالبته ، والآمال لا تطمح إلى معارضته . وقد بما خان هذا المعتقد أهله ، وأبان لمن سكن إليه جهنّمه .

وفي فصل منها : ولم يبعد أن خرج في شهر رمضان على عادته من الاستخفاف بعظيم حرّمته . وترك المراقبة لأهل الاسلام وذهمته ، بعد أن تاهّب ، واستنجد واستمدّ ، والعجب قد أطغاه وأبطره ، والشره قد غطى سمّعه وبصره ، والمطامع قد تشغبت عليه ، وبسّطت في

١ م حرج (واللفظتان تتادلان في السخ) .

٢ د التعريض

انتهازِ الفرصة يديه ، فأخرجتُ ابني الظافراً مستعيناً بالله معولاً^١ عليه ، متبرئاً من الحول والقوة إليه ، فلما دنا من المحلة الذميمة واصطفوا إزاءها ، اقتحم سرعانُ رجالنا نهراً كان بينهم ، مبادرين غير هَيَّائين ، ونشأت بين الفريقين حربٌ أجَلَّتْ عن أعدادِ صرْعَى من أصحاب المخلول ، ثم تلا ذلك عيونُ كافة العسكر وصدقت الحملةُ على الخائنين ، فلم يلبثوا أن وَلَمَّوا مُدْبِرِينَ ، وَالْقَوَا بِأَيْدِيهِمْ منهزمين . والأسنةُ تحفزهم ، والجلادُ يُزْعِجهم ، فانحجزوا بالحصنِ وأسلموا محلَّتْهم ، فَحَيِّزَ جميعها . وغنم من كُرَاعِهِمْ وسلاحهم وسائرِ أسلَاحِهِمْ جُمْلُ نفوتِ الحِصْرِ ، وتُعْجِزُ الوصفَ ، وبقي المَخَاضِيلُ إلى آخرِ النهار ، ثم خرجوا مع المغيب ، وَشُعِرَ بفعلهم ، فاتبعتهم الخيلُ إلى النهر . فتهافَتُوا فيه تَهَاوُتَ الفَرَّاشِ في النار ، وفرَّوا على عاجلِ البَوار ، وكان الشاذَّ منهم من سَلِمَ . والجُمُ الغفيرُ مَنُ غَرِقَ وتلف ، والله حسيبُ مَنُ أَوْرَظَهُمْ وأغراهم ، والمتنقمُ ممن قادهم إلى منايهم . وأما المخلولُ المعهودُ خَوْرُهُ ، والشديدُ تَهَوُّرُهُ . فإنه سقط عن مركبه في تلك الصدمة سقوطاً أَوْهَنَهُ وكَلَمَهُ ، ولولا من كرَّ عليه حتى أَقِيلَ واحْتُمِلَ لَحْصَلَ في رِبْقَةِ الأسْرِ . وَلِغَلِقَ رَهْنُهُ إلى آخرِ الدهر .

وله من أخرى : وقد كانت نشأتُ بيننا وبين فلان ، النَطِيفِ الودِّ ، السِيَّءِ العهدِ — جزاه الله جزاءَ من خاس بِلِمامه . ونثرَ عِقْدَ الْوَفَاءِ بعد انتظامه — مُدَاخَلَةً تَوَسَّطَها رؤساء ، وتقلدها وراء . طالت زمناً لا يَتَهَجُّ فيها

١ م : المطفر .

٢ م : ومعولاً .

إلى السلم سبيل ، ولا يبدو من ^١ الوفاق دليل ، ولا يلوح للنجاح وجهه مقبول ، بما كان السفراء يلتفتونه من تشطط في غير كُنْهِهِ ، ومقابلتي بما كان يأتي من شبهه ، إلى أن تطلأ من سموه ، وتناصر من علوه ، ونضا عنه ثوب الرياء ، وأبدى وجه حاجته إلى الانقياد والاستبقاء ^٢ ، فأنبئت إجابة من يؤثر الهدنة على الفتنة ، وتأيت إرادة من يريد إدالة المودة من الإحنة ^٣ ، وأنا أعتقد أنه مصحح فيما أراه ، صادق في الذي أعطاه ، أقضي على الظاهر ، ولا أتجاوز تصفح الحاضر ، وإذا هو مصر غدره شواه ، لو تهيتاً مراده منها لأغصت بالريق ، وللفت السوق بالسوق ، ولكن الله بما عودنا من فضله نبه على الغامض ، وأبان عن برق الخلب الوامض ، فرأيت مكنون الضمير ، بعين التفكير ، ونشرت مطوي الجوانح بيد التدبير ، فإذا كل ما عقيد منحل ، وما أبرم مضمحل ، فرددت عندما خلج عقده إليه ، وقلت غير مليم ظهر المجن إليه .

ومن أخرى عنه : كنت قد هادنت أهل غرناطة — لازالوا في أذيال مكرهم عاثرين ، وفي أيدي غوائلهم مستأجرين — مهادنة دعوني إليها فأجبت ، واستندوني نحوها فدنوت ، فلما أشرفت على التمام ، وأذنت بالانصرام ، راسلوني في تماديبها فساعدت . وأرادوني على اتصالها فانفعلت وأنفدت . وانهقد بيننا عقد بولع في تأكيده . وتنهوي في إحكام موافيقه وعقوده .

١ م ط س . تبدو عن .

٢ د . والاستيلاء

٣ م ط س . الأحنة .

٤ د . الحاطر .

٥ م : شهراء .

ولم تكذ صحيفته تُطوى ، ولا شهيدته يتولى ، حتى غدروني في الحصن
 الفلاني باستنامةٍ من^١ كان فيه من^٢ قبلي إلى السلم ، وإضاعته استشعار الخزم ،
 فلم أعجل^٣ بالتنكر ، ولا سارعت بالتنمر ، ورأيت الاستيناء^٤ ، وآثرت
 الاستبقاء ، رجاء أن يفكروا في العواقب ، فيفيثوا^٥ إلى الواجب ، ويعطفوا
 [٥٥ ب] إلى الرأي الصائب ، وأعدت إليهم من أمكني إعادته من السفراء ،
 فلقوا منهم بدهة^٦ وإباء^٦ ، والتواء^٦ وانزواء ، ولما رأيت ذاهبَ رشادهم لا
 يرجع ، ودواء^٦ استصلاحهم لا ينجع ، وثأني نصفتهم^٢ لا يُرأب ، وغائب
 قيتهم لا يُرتقب^٦ ، عملت على الإيثار ، واستجمعت لذي الانتصار ،
 وسقيتهم^٦ بمثل^٦ كاسهم ، ورميتهم^٦ عن نظائر قياسهم ، فلم يطُل^٦ أمد^٦ ،
 ولا كثر من ماضي الأيام عدَد^٦ ، حتى حصل من وجوه قوادهم ، ورؤوس
 أجنادهم ، فلان^٦ وفلان ، إلى ستة^٦ وعشرين^٦ رجلاً أحيط بهم أسراً^٦ ،
 وتقبض^٦ عليهم طراً ، وجعلوا قِراهم البث^٦ والآهتف^٦ . وأبا مثوهم
 الهون^٦ والخسف .

وله من أخرى عنه : شرُّ الناسِ لنفسه من^٦ جهيل^٦ مقدارها ، ولم يتهم^٦
 اختيارها ، وقفاً إذا شرفت^٦ وعميت^٦ آثارها ، وطار بجناح^٦ طمعها . إلى

١ ط . فيمروا .

٢ البدهة . المباغتة والمفاجأة ؛ س ط د : بدهة .

٣ م ط د س : وثأني ؛ ط : نصيفتهم .

٤ خ بهامش ط . تسمة عشرين .

٥ م ط : أسرى .

٦ ط : الجهود وفوقها « كذا » ، وشكلها قريب من ذلك في م س .

فميم طَبَعَهَا ، وَاتَّبَعَ رائدَ جَشْعِهَا^١ ، إلى وخيم مرتعها ، وعاد إلى الصالح من خُلُطَائِهِ فاستفسده ، وإلى الصفي فأحقده ، وإلى المستنيم فأوحشه وشرَّده ، ولا سيما في حالِ تحضُّ على استدناءِ البعداء ، وتبعث على مصادقةِ الأعداء ، ومع نصبةٍ قد أندرت بمآلها ، وحَدَّرَتْ من بغتةٍ اغتياها ، بل والله قد نفحت رجومُها ، ولفحت سَمومها ، وصرَّحَ بالبأساء شومها .

وليس يذهب عنك أني ، بما أشرت إليه ودَّرت حوالبه ، إلى صاحبِ طليطلةَ ناظر ، وإلى قُبُح ما عاملني به شاهر ، وذلك أنه منذ زمنٍ يترسَّ بجاني ، ويقوم في وجه ما لا يَريُّهُ من مذاهي ، فمن ذلك ما نعلمه^٢ من خُفُوفِهِ إلى بَسْطَةِ^٣ اللقائمِ فلانٍ - أَخَذَهُ الله بما أَلْبَسْتُهُ من حُرْمَةٍ^٤ فجرَّدَهَا ، وأُولَيْتُهُ من نعمةٍ فغَمَّطَهَا وَجَحَدَهَا - وبَقَائِهِ هنالك يشجعهُ على غدري ، ويشيعه من مخالفةٍ أمرِي ، وتوثقَ له أنه إذا انصرم مني ، وانخرَلَ ببعضِ عمله عني ، كان له إنْ هَمَّتْ به سنداً ، ووصلَ به إنْ وصلتُ يداً ، فحينئذٍ صنع فلان ما صنع ، وحاول أن يطيرَ فوق ، من تلك الجهة التي كانت انخرطت في سِلْكِ بلدي وعَملي ، واطَّردت في منابرِها الخطبةُ

١ س م ط د : خشعها

٢ د . نعلم .

٣ بسطة (Basa) واسمها في القديم (Basti) ، وهي اليوم أكبر مدينة في ولاية غرناطة وتبعد ١٢٣ كم إلى الشمال الشرقي من غرناطة نفسها (الروض رقم ٤٦٠) .

٤ من حرمة : سقطت من م .

٥ م : عن مخالفته ؛ س : عن مخالفة .

٦ س م ط : ذلك .

لي ، حتى انصابت^١ فيها فَوَاقَ بَكِيَّةٍ حُكْمُهُ^٢ . وذُكِرَ على أعوادها اسمه ، « ولكن قليلاً ما بقاءُ التشاوبِ »^٣ ووسمه . إلى^٤ غير ذلك من قوارص^٥ القول والفعل ، ستصل إليك على السنةِ الرسل . وأنا في كل ذلك أحتمل الأذى ، وأغضي على القذى ، وأقبض يدَ الانتصار . طمعاً في الاقتصار^٦ والاستبصار ، وذهاباً مع عادة الأناة والإنظار . وربما ألمحتُ في بعض الأحيان بعتاب^٧ ، وتكلمتُ بكلماتٍ غضاب^٨ ، فظنُّ أن ذلك قُصَّاري في إنكاري ، ومتهمي وُسْمي واقتداري ، فزاد الاعتداء والاستهداف^٩ ، وعظم الازدراء والاستخفاف . ولولا نظري من هذه الجزيرة — عصمها الله — إلى ما يُنظَرُ إليه ، وإشفاقي منها على ما لا يشفق عليه . لأُسْكَنْتُ أولَ انبعاثِهِ ذلكَ التزوَان ، وردعتُ قبلَ احتفاليهِ ذلكَ الاستنان .

وفي فصل منها : ثم ختم تلك الهنات ، وتلا تلك السيئات . بنحبرٍ صاحبِ فلانة . كنتُ أوطأتهُ على علمك رقابَ أهلها ، وجعلتُ إليه القبضَ والبَسْطَ فيها ، ولم أشركُ معه أحداً في معنى . فخان بما ائْتُمِنَ . وفرط في ما احتجَنَ ، وخاف عاقبةَ ذلك فَتَنَحَّلَ واضطغنَ . وأراد أن يفوزَ ببطنته

.. .

١ انصابت . استقام ٤ س م : اقضات - د اتصلت

٢ حجر بيت لأحمد بن أبي ميسرة . وصدره « متاهت كي لا ينكر الدمع مكر » (زهر الآداب :

١٠١٢ وقد مرّ تحريجه في القسم الأول ٣٢٣ وورد هناك روايه مختلفة)

٣ ط م س : التشاوب اسمه استقال ٥ د . في اسمه

٤ ط م د س : قوارص

٥ د . الاقتصار .

٦ م ط د . والاستهراف .

٧ كذا في السخ .

وما جمع ، وينجومما حذر عليه وتوقع ، فأزمع على الانحراف والانزواء ، واستجمع للخلاف والانتزاء ، وداخل فلاناً يعرض عليه ما ذهب إليه ، ليؤيده على قبوله بما في يديه . فنأى عنه بجانب التزيه الكريم ، وأعرض لإعراض الحر الصميم ، فانصرف إلى المذكور وهو لناها مستمطر متوكف ، وإلى مثلها مستوقف مستشرف ، فما دعاه حتى لباه ، ولا أومى إليه حتى تهافت عليه ، لا يتهيب حالاً . ولا يتوقع مآلاً ، وبلغني الخبر وكفى به مزعجاً ، ولا كئله مبزماً مخزجاً ، فصبرت حتى أعذرت ، وتأنيت حتى أبليت ، ثم اعترمت على الانتصار . وتقدمت اطلب الثار ، مستخيراً وعد الله لمن بغى عليه ، مقتضياً حكمه العدل فيمن تسبب إليه ، فتقدمت في معسكر ألقته يد الإعجال . [٥٦ أ] وحالت البديهة بينه وبين الاحتفال . فأنخت به على بلده أياماً ، قطعت فيها دونه كل الرفاق ، ولم أبقى حوله سقفاً على جدار ولا قائمة على ساق . ثم مررت إلى جهة فلانة أجوس خلالها ، وأنقرى بالنهب والإحراق أعمالها . وأتسّم معاقليها ، وأجعل أعاليها أسافليها . إلى أن وقفت^٢ بجانبها^٣ منازل . وزحفت إلى بابها مقانلاً ، وصاحبها يرى الخوي ملء عينه ، ويقلب على خسارة صفقتيه كفته ، ولا يعاين إلا نارا تضطرم عليها . وتصطلم حوايلها ، فلو أصغينا لسمعنا قعقة أضراسه ، واستشعرنا لوجدنا حر أنفاسه : وكل كمي عنده - وكانوا عدداً لفيفاً ، وجمعاً كثيفاً - قد نسيخ جباناً . ومسيخ هيداناً ، لا يكاد يُقبّل حتى يدبر ، ولا يبرز حتى ينجر :

١ م ط . اسق . . . مقداً

٢ أجوس . . . وقفت سقط من م س .

٣ م ط : بجانبها .

تلقَى الحسامَ على جِراءَةٍ حَدَهٍ . مثلَ الجبانِ بكفٍ كلِّ جبانٍ^١

ثم انكفأتُ ، على غير الطريق التي كنتُ أنشأتُ ، عائداً بمثل ما بدأتُ ،
واطئاً ما لم أكن قبل وطلتُ ، فتخيّلُ سبيلي ، في وجهي وقفولي ، وتمثّلُ^٢
أثري ، في وردي وصَدْرِي . وكنتُ قد وجهتُ أسطولاً بلغ في ساحلِ
بلده أقصى المبالغ من الإفسادِ والتدمير ، والتغيير والتأثير ، ثم انصرف
بحمد الله كما انصرفتُ على غاية الوفور والظهور .

وله عنه من أخرى : وإنّ فلاناً جارنا — لا أجارهُ الله من رَيْبِ الزمانِ ،
ولا صرفَ عنه صروفَ الحداث — يأبى الله أن يراه حائداً عن فسادٍ ، وعائداً
إلى رشادٍ ، ومُقْلِعاً عن قبيحٍ ، ومستمعاً من نصيحٍ ، فهو — والأيامُ قد
وعظته لو اتعظ ، والأحوالُ قد نبهته لو انتبه واستيقظ ، وحجةُ علوِّ السنِّ^٣
قد قامت عليه ، ووجوهُ غيرِ الدهرِ قد سَفَرَتْ إايه — بمنزلة الغرّ العابثِ ،
في مسلاخِ السّفيه^٤ العاث ، ولا يُقْصِرُ ولا يبصرُ ، ولا يترَعَوِي ولا
يفكر .

وافئق الآن ، بمساعيه الخبيثة ، ومحاولاته الذميمة ، أن تسبب إلى مداخلة
الحصن الفلاني . على يدي خبيث من أهلها . قد دبّر الخيلة حتى اتجهت في مثلها ،
وأنفذ إليه قائداً من وجوه عبيده . واتصل بي الخبر ، فطيرتُ^٥ مَنْ ناشَبَهُمْ^٦
الحربَ ، فوهب الله لأوليائي الظهور ، ووقى الله المحلورَ ، من مَضَرَّةٍ

١ البيت المتنبي ، ديوانه : ٤١٦ .

٢ م ص : السيف .

٣ م : فطيرت .

كان الجاهلُ المطاولُ قَرَعَ بابها، وأحصد^١ في ظنِّه أسبابها، فتأمل^٢ كيف^٣ دُوبُ هذا الموصوف بحقائق صفاته، المتابع لقبائح^٤ هناته، على إضرام نار الفتن، باستثارة^٥ دواعي الإحن، وتعريض المسلمين - عصمهم الله - للحوادث والمحن، وكيف لا يزدادُ على الأيام إلا جماحاً في ميدانه، وانقياداً لشیطانه، واستكثاراً من سوء عمله، على قريب أجله، وليشكر الله حقَّ شكره من لم يُضِعْهُ هذه الضيعةَ الوَضاءَ الشَّوْهَاءَ، ويشعرهُ هذه البصيرةُ العمياء الصمَاءَ، ومن طَبَعَ على قلبه، بمجاهرة عصيان ربِّه، فشرُّهُ أبداً عتيد^٦، وشیطانهُ مرید^٧.

وفي فصل من أخرى : ورد كتابك مبیناً عن ود^٨ كماء المزور . وعهد كروض الحزن ، مع برِّ حافلٍ وقبته^٩ ، وإلطف بالغِ أحفيتها^{١٠} ، متجنُّونَ في معرض سيادة لاحظت ضميري لها عبون^{١١} حور ، وجاذبته^{١٢} منها ألفاظُ أوانس^{١٣} نور ، أرثني البيان^{١٤} كيف يدبُّ سحره ، والافتتان^{١٥} كيف يطمُّ بحره . وزهر الآداب كيف يطلعُ من كماميه ، ولؤلؤ الكلام كيف يتسقُ من نظامه . كلُّ ذلك سافرٌ عن وجه طوبى^{١٦} سائلة غرَّة الإحماض ، سليمة جوهر الصفاء . مع علقٍ مستحيلة الأعراض .

وله عنه من أخرى إلى صاحب المهدية : إنني - أبتدك الله - على ما بيننا من بلجٍ خضرٍ، وفياضٍ غُبِرٍ، لمستكثر^{١٧} من إحنائك^{١٨}، مستظهر^{١٩} بوفائك^{٢٠}،

١ س د م . وأحصل .

٢ زاد في م : شاء

٣ لقبائح : موضعها نياض في م .

٤ ط م د : باستثارة .

متوفراً على إجمال ذكرك وثنائك، قياماً بما يتعين من مجدك وسنائك ،
ويعلم الله أنه ما أملي الأبعد ، وعملي الأحمد ، إلا أن يؤم أفقك الطلق — صان
الله بهاءه ، وحسن أرجاءه — من الخواص النبلاء ، والأعيان الفضلاء ،
من يبلغك كتابي ، وينوب في إنهاء طاعتي إليك منابي .

وكان فلان [٥٦ ب] قد ألمّ بي زائراً ، وتلوّم لديّ مجاوراً ، فأقبلته
وجّه البشر ، وألحفته جناح البر ، بخلال رائحة ، وخصال بارعة ، لنفائس
المحاسن جامعة ، منها — وهي أحظى وسائله لديّ ، وأدنى فضائله إليّ —
إدماؤه نشر نشرًا معاليك ، وإعلانه بثّ أياذك ، وكنت متى تشرف
لمعاودة وطنه ، واستشرف لمطالعة سكنه ، أقوم في وجه زماعه ، وأغض
من طرّف نزاعه ، استمناحاً بما يثيره من ميامنك ، واستدامة لما يتلوه من
آيات محاسنك ، إلى أن جدّ به التوق . واستولى على مقادّتي الشوق ،
ولم يكن في صدّه عمل . ولا يرده قبّل . فأصحبته كتابي هذا إليك
مجدّاً رسم الوداد ، وعامراً سبيل حسن الاعتقاد . ومعلماً بما بلوت من
صدق تشييعه لمجدك ، وخفّة لسانه بحمدك ، ومشيراً إلى ما عنده من كُنْه
إجلال لك . وحقيقة استكثار منك . ثقةً بأنه يحسن إنهاءه ، ويوفي
أداءه . إن شاء الله .

قال ابن بسام : ومحاسن ذي الوزارتين أبي بكر أكثر من أن تحصى .
وآياته أبين وأجهر من أن تستقصى . وإنما ظفرتُ بها بطرف . وحصلتُ

١ الشر الرائحة . وقد ابردت بها طرلعلها مكررة إد المعنى يتم دونها

٢ م . واستولى مقادة

منها على نُتْفٍ ، ولم يقعْ إليَّ من شعره ما أوشحُ هذا المجموعَ بذكره ،
ولا بأس باثباته إن حصل ، وبالله أستعينُ وعليه أتوكل .

ومنهم الوزير الفقيه الكاتب أبو القاسم
محمد بن عبد الله بن الجلد^١

قريع وقتنا ، وواحد عصرنا ، ممن استمرى أخلاقَ النظم والنثر ،
فدرّتْ له بالبيان أو بالسحر ، فان تكلم فأبوجر ، أو نظم فكلثوم بن عمرو ،
حتى إذا أخذ في الجدل ، أو تفقّه في علم الحرام والحلال ، فرويدك حتى
ترى الصبحَ كيف يُسفر ، وتَبَجَّ البحر كيف يَزْخَر ، وهو على نباهة
الذكر ، وعلوّ القدر ، وشرف المحلّ من فهر ، قد لزم داره ، وطوى
أخباره ، واقتصر على عُفّة^٢ من المعيشة رزقها ، فهو يتبرّضَ جَمِيمها ، لا
بل يتزوّدُ نَسِيمها ، والشمسُ ، وان سترها الضبابُ فغيرُ^٣ خفيّة السّناء ،
ولا مجهولة الغناء . وكان على عهد المعتمد قد تقلّد وزارة ابنه يزيد^٤ ، فلم

١ محمد بن عبد الله بن يحيى بن مرج بن الحدة الفهري : شلبي الأصل سكن اشبيلية ، ويعرف بالأحذب ،
أخو الحافظ أبي بكر ابن الجدة ، كان من أهل التّفن في المعارف والآداب والبلاغة ذا حظ جيد
من الفقه والتكلم في الحديث ، وكان يقي ببلده لبلة وتوفي سنة ٤١٥ (الصلة : ٥٤٤) والذيل
والتكملة ٦ . ٣٢٦ . المطرب . ١٩٠ . والمعجب : ٢٣٧ والقلائد . ١٠٩ . والخريدة : ٣ : ٣٩٣
والمغرب ١ . ٣٤١ وإحكام صنعة الكلام : ١٨٥ - ١٨٦) .
٢ العفة . بقية الأبر في الفروع ، ولعلها أن دقراً « غفة » - بالفتح المعجمة - وهي البلغة من
العيش .

٣ د : غير .

٤ هو الملقب بالراضي أبي خالد ، ولاء أبوه أولا الخزيرة الخضراء ثم رندة . ومهما استنزل
وقتل سنة ٤٨٤ (انظر الحلة ٢ : ٧٠) .

يزل معه عليّ الشان ، نابه المكان ، حتى كان من أمره ما كان . وهو اليوم في وقتنا قد اضطرّ إليه أهلُ قاعدة لبلة فولّوهُ خطّةَ الشورى ، وألقوا إليه مقاليد الفتوى ، فمهّد لذلك جانباً من كفايته ، واحتسب فيه جزءاً من عنايته ، على كُرهٍ منه شديد ، ومَرَامٍ في التزايد من العلم بعيد . وعلى ذلك فلم يدعُ مساجلةَ الإخوان ، ومراسلةَ من يرسم بهذا الديوان ، من بني الأوان ، بما يشهد له أنه بديعُ الزمان ، وفارس الميدان ، وقد أثبت له بهذا الديوان ، ما يقيمُ له أوضح برهان .

جملة من رسائله في أوصاف شتى

فصول^١ له من رقعة أنشأها على لسان مَنْ صَدَرَ من بيت الله الحرام وزيارة قبر^٢ نبيه عليه السلام : صلوات الله على خاتم الرسل ، وناهج السبل ، وناسخ جميع الملل ، ومجلى الظُّلُم والظُّلُم ، ومحبي القلوب بنور الهدى والحكم ، ومقلّد النّدارة والسفارة إلى كواف الأمم ، وعليه من لطائف التسليم ، ما يُرَبِّي على عدَد النجوم ، وَيُزَرِّي بالمسك المختوم ، ويتنضي بانصاله واحتفاله رضى الحي القيوم .

كتبت يا أكرم الأنبياء وسائل ، وأعظمهم فضائل ، وأعمهم فواضل ، وأتمهم فرائض ونوافل ، وقلبي بحبك معمورٌ ومأهول ، وعلى الإيمان بك مفطورٌ ومجبول ، وبتمثل ما عاينته من عظيم آثارك مهولٌ مشغول ،

١ د : وصل .

٢ قبر : سقطت من م ط س .

ومن لي بِمِثْقَلِ [١٥٧] لَا يَنْخَلِّهُ خَلَلٌ ، وَلَا يُدْرِكُهُ فِي الصَّلَاةِ
عليك والدعاء لك ملل ، وَلَا يَشْغَلُهُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَذِكْرِكَ سَهْوٌ
وَلَا خَطَلٌ . حَتَّى أَقْطَعَ بِدَلِّكَ آثَاءَ لَيْلِي وَنَهَارِي ، وَأَصَالِي وَأَسْحَارِي ، وَأَجْعَلْهُ
شِعَارِي وَدُثَارِي ، وَهَجِيرَايَ فِي إِعْلَانِي وَإِسْرَارِي ؛ اللَّهُمَّ أَلْهِنِي مِنْ تَحْمِيدِكَ
وَتَسْبِيحِكَ ، وَالصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِكَ الْأَمِينِ وَنَصِيحِكَ ، مَا يَشْغَلُ لِسَانِي ، وَيَثْقُلُ
مِيزَانِي ، وَيَبْسُطُ يَوْمَ الْفَرَجِ الْأَكْبَرِ مِنْ أَمَانِي ؛ اللَّهُمَّ وَفِّرْ حَظِّي مِنْ شَفَاعَتِهِ ،
وَأَحْسِنْ عَوْنِي عَلَى طَاعَتِكَ وَطَاعَتِهِ . وَاحْشُرْنِي فِي عِيدَادِ زَمْرَتِهِ وَجَمَاعَتِهِ .

ولما صدرتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنْ زِيَارَتِكَ الْكَرِيمَةِ ، وَقَدْ مَلَأْتُ هَيْئَتَكَ
وَمَحَبَّتَكَ أَرْجَاءَ فَكْرِي . وَفَضَاءَ صَدْرِي . وَعَشِيَّتِي مِنْ نُورِ بَرَهَانِكَ
مَا بَهَّرَ لِي . وَعَمَّرَ قَلْبِي . لِحَقْنِي مِنَ الْأَسْفِ لِبَعْدِ مَرَارِكَ ، وَالْحَيْنِ إِلَى شَرَفِ
جَوَارِكَ . مَا أَوْدَعَ جَوَانِحِي التَّهَابُ . وَأَوْسَعَ جَوَارِحِي اضْطِرَاباً . وَأَشْعَرَ
أَمْلِي عَوْداً إِلَى مَحَلِّكَ الْمَعْظَمِ وَإِيَاباً ، وَكَيْفَ لَا أَحِينَ إِلَى قُرْبِكَ ، وَأَتَهَالِكُ
فِي حَبْلِكَ ، وَأَعْفِرُ خُدَّيْ فِي مَقْدَسِ تَرْبِكَ ، وَبِكَ اقْتَدَيْتُ فَاهْتَدَيْتُ .
وَلَوْلَاكَ مَا صُمْتُ وَلَا صَلَّيْتُ . وَلَا سَعَيْتُ وَلَا طَفْتُ ، بَلْ كَيْفَ لَا يَتَحَرَّكَ
نَحْوُكَ نَزَاعِي ، وَيَتَأَكَّدُ انْقِطَاعِي ، وَبِكَ اسْتَشْفَاعِي ، وَإِلَيْكَ مَفْزَعِي يَوْمَ
الدَّاعِي . فَلَا تَنْسَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ عِيَاذِي بِكَ وَلِيَاذِي ، وَإِسْرَاعِي
إِلَى زِيَارَتِكَ وَإِعْلاَظِي ، وَاذْكُرْنِي فِي الْيَوْمِ الْعَظِيمِ الْمَشْهُودِ ، عِنْدَ حَوْضِكَ
الْمُورُودِ ، وَظِلِّكَ الْمُدُودِ ، وَمَقَامِكَ الْمَحْمُودِ .

١ م : قليك .

٢ وَلَا طَفْتُ : لَمْ تَرُدْ فِي د .

اللهم كما أعنتني على حج بيتك المحرم ، وزور نبيك المكرم ، فاجعله لي شفيعاً ، وتوفني على مليته مطيعاً . ويستر لي كربةً إلى موطنه المقدسة ورحوعاً ، إنك على ذلك قدير . وبحقيقة دعائي عليم خير ، والسلام المردد المؤكد على نبيّ الرضوان . وصفي الرحمن ، ما تعاقب الملوان ، وتناوب العصران .

وله من أخرى خاطب بها بعض من قدم من الحجاز : كتبت وقد هزني وافدُ البشري . واستخيتي رائدُ المسرة الكبرى . بما سنّاه الله من قدومك محوطَ الجوانب والأرجاء ، منسوطَ الفخار بذوائب الجوزاء ، محطوطَ الآثار في موطن الرسل ومواطن الأنبياء ، فيا لها حجةً مبرورةً ما أتم مناسكها ، وأوضح في مناهج البر مسالكها . لقد شهد فيه الميقاتُ بحلول إهلاك وإحرامك . واهتز البيتُ العتيق لطوافك واستلامك . ورضيت المروة والصما عن كمال أشواطك . وتهللَ بطنُ المسيل لسعيك فيه وانحطاطك ، ثم بالواقف الأعظم من عرفة سَطَعَ عَرَفُ تحشعيك ودعائك . وارتفع خفضُ تضرعك واستخذائك . وفي البيت الأكرم من المزدلفة حظي بقربك^١ وتزلزلت . وركا تهجدك^٢ وتنفلت . وعمد الإفاضة فاضت الرحمة عليك ، وكلت المعمة لديك ؛ وأما مني فففيها قضيتُ مناك وأوطارك ، وقُضيتُ هداياك وحيماورك . وخطتُ خطاياك وأورارك . فما صدرت عن تلك المعالم المكرمة . والشعائر المعظمة . وإلا وهي راصيةٌ عن عَجْكَ وثجْكَ^٣ .

١ في النسخ بقربك

٢ في النسخ أ، ع، د، ص، هـ، يوحى

٣ النسخ الامتج في الدعاء ،^{١١} سلك دماء البدن وعمرها ، وفي الحديث . تمام الحج العج

١١ ج : د نحت

شاهدةٌ لك بكمالِ حَجَّتِكَ ، مشفقةٌ من فراقك وَبُعْدِكَ ، متعلقةٌ لو أمكنها بِبِرْدِكَ ، وقبلُ أو بعدُ ما تأتست بك بِثَرِبٍ ، وَرُفِعَ لك في جنبها مضربٌ ، فشافهتَ منازلَ التَّزْيِيلِ ، وطالعتَ معاهدَ الرُّسُولِ ، وقضيتَ من زيارةِ القبرِ الكريمِ واجباً ، وقمتَ بينه وبين المنبرِ صارعاً راغباً ، فما حُجِبَ عنه عليه السلام زَوْرُكَ وإِلمامُكَ . وقصدُكَ وإِثمامُكَ ، وصلاتُكَ وسلامُكَ ، بل كان لكلِّ ذلكَ راعياً سامعاً ، ويكونُ لك بِحَوْلِ الله شاهداً شافعاً ، فهناك الله ما منحك من جزيلِ الأجرِ في مواقفِ الحرمين ، وأطارَ لك من جميلِ الذكرِ في الحافقين .

ولما قعد بي عن قصدك ما قعدتَ ، ولم يمكنني الوفودُ عليك في جملة من وفدتَ ، استنبت كتابي منابي [٥٧ ب] .

وله من أخرى في صفةِ مطرٍ بعد قحطٍ : لله تعالى في عباده أسرارٌ ، لا تُدركها الأفكارُ ، وأحكامٌ ، لا تنالها الأوهامُ . تختلفُ والعدلُ متَّقيٌ ، وتفتقرُ والفضلُ مجتمعٌ متَّسقٌ ، ففي مَنَحِهَا^١ نفائسُ المأمولِ ، وفي منَحِهَا مَدَآوِسُ العقولِ ، وفي أثناءِ فوائدها حداثقُ الإِنعامِ راققةٌ ، وبين أرجاءِ شدائدها بوارقُ الإِنذارِ والإِعذارِ خافقةٌ ، وربما تفتحتُ كمائمُ النَوائِبِ ، عن زَهَرَاتِ المواهبِ ، وانسكبتُ غمامُ الرزايا ، بنفحاتِ العطايا ، وصدعَ ليلَ اليأسِ صبحُ الرجاءِ ، وخلعَ عاملَ البأسِ والي الرخاءِ ، ذلكَ تدبيرُ اللطيفِ الخبيرِ ، وتقديرُ العزيزِ القديرِ .

ولما ساءت ببتُّبُط الغيثِ الظنونُ ، وانقبض ببتُّبُط الشكِّ اليقينُ ،

١ م : منحها ؛ س : فتحها .

واسترابت حياضُ الوهاد ، بعهود العِهاد ، وتأهبت رياضُ السَّجاد ،
لبرود الحداد ، واكتحلتُ أجفانُ الأزهار ، يأتمد النقع المثار .
وتعطّلت الأنوار ، من حُلِيِّ الديمة المدرار ، أرسل الله تعالى بين يدي رحمته
ريحاً بليلةَ الجناح ، غخيلة النجاج^١ ، سريعة الإلقاح ، فنظمتُ عقودَ السحاب ،
نظَّم السَّحاب ، وأحكمت برودَ الغمام ، راققةَ الأعلام ، وحين ضربتُ
تلك المخيلةُ في الأفق قبابها ، ومدتْ على الأرض أطناها ، لم تلبث أن
انتهك^٢ رواقها ، وانبتك^٣ وشيكاً نطاقيها ، وانبرت مدامعُها تبكي بأجفان
المشتاق ، غداة الفراق ، وتحكي بنان الكرام ، عند أُرَيْحِيَّة المدام ،
فاستغربت الرياضُ ضحكاً ببيكائها ، واهتزتْ رُفاتُ النبات طرباً لتفريد
مُكائنها ، فكأنَّ صنعاء قد نَشَرَتْ على بسيطها بساطاً مُفَوِّفاً ، وأهدتْ
إليها من زخارف بَزْها ومطارف وشيها أُلطافاً ونحفاً ، وخيَّل للعيون أنَّ
زواهر النجوم ، قد طَلَعَتْ من مواقع التخوم ، ومباسم الحسان ، قد وصلتْ
بافترار الغيطان ، فيا بَرْد مَوْقِعِها على القلوب والأكباد ، ويا خلوص
ريثها إلى غُثْل النفوس الصّواد ؛ كأنما استعارتْ أنفاس الأحباب ، أو
ترشفتْ شنباً من الثنايا العذاب ، أو تحملت ماء الوصال ، إلى نار * البلبال ،
أو سَرَتْ على أنداء الأسحار وريحان الآصال . لقد تبين للصنم^٤ الجميل

١ م : الجناح .

٢ م ط س : انتهك .

٣ انبتك : انقطع .

٤ م ط : ترشفت .

٥ م ط س : نار .

٦ م ط : للطبع .

من خلال ديمِها تنفَسُ ونصول ، وتمكِّن للشكر الجزيل في ظلال نعمها
مُعَرَّسٌ ومقبل ؛ فالحمد لله على ذلك ما انسكب قطرٌ ، وانصدع فجر ،
وتوقد قَبَسٌ ، وتردَّد نفَسٌ ، وهو الكفيلُ تعالى باتمام النعمى ، وصلة
أسباب الحياة ، بعزته .

وله من رقعة خاطب بها الوزير الفقيه أبا القاسم الهوزني^١ إثر قدومه من
حضرة أمير المسلمين ، رحمه الله تعالى^٢ ، غبَّ نبوة خلصت إلى غربيهِ ، وروعة
كادت تطير بسربه :

وكم نعمةٍ لا يُسْتَقَلُّ بشكرها إلى الله في طيِّ المكاره كاميتهُ

قد يُجْتَنَى ٣ - أعزَّك الله - من شجر المساءة ثمرُ المسرة ، ويجتلي
وجهُ المحبوب غبَّ المكروه مُشرق الأسرة ، وربما تجمُّم القدر وضميرهُ
مبتسم ، وتصابب الزمنُ وعقدُهُ محتشم ، وإنَّما ينظر إلى مواقع الأقدار
في الإصدار ، وتُحمَدُ مجاري الأعمال عند المآل ، وفي هذه المقدمة دلالةٌ
على التنبؤ التي ما اعتكر جنتها ، إلا ريشما وضع صُبْحها ، ولا نَعَبَ
بالبعد غرايها ، حتى التفت إلى سائح السَّعد ركابها ، ولا استطار لها في
قلب الوليَّ صدعٌ ، حتى اشتمل منها على أنف العدو جدعٌ ، وما ذاك

.....

١ أبو القاسم واسمه الحسن هو ولد أبي حفص عمر بن الحسن الهوزني الذي ترجم له ابن بسام
في هذا القسم من الذخيرة (انظر ص : ٨١ فيما تقدم) وأبو القاسم هو الذي سُمي في فساد
دولة بني عباد عند أمير المسلمين يوسف بن تاشفين أخذاً بشار أبيه ، وكان فقيهاً مشاوراً ببلده ،
توفي سنة ٥١٢ هـ (الصلة : ١٣٧ والمغرب ١ : ٢٣٥ وترتيب المدارك ٤ : ٨٢٦) .

٢ تعالى : زيادة من م .

٣ م : يتجنى .

إلّا لأن سلطان الحق أنجذك وأيدك ، وبرهان الفضل قام معك وأطال
 يدك ، وحاشا للعلم أن يُلْبِسَ حاملتهُ حمولاً ، أو يبحث له نحو الاذالة
 حمولاً ، فوشكان ما استقلت بك أيدي الآثار ، في صدر العثار ، وخاصمت
 عنك السنُ السن ، عوارض المحن ، وما سرت إلّا وظل الكرامة
 عنك ظليل ، وصنعُ الله لك رَسِيلٌ وبك كَفِيلٌ ، فكن أوحش مسيرك ،
 لقد آنس ظهورك ، ولئن حسنَ اقترابك ، لقد سمحَ اغترابك ، ولئن
 سَخِنَتُ العينُ بعذك ، لقد بينَ البينُ ققذك ؛ فالحمد لله الذي أوْشَكَ
 مَقْدَمَكَ ، وأعلى قَدَمَكَ ، ورفعَ في كلِّ مكرمة ومأثرة عِلَمَكَ ، [٥٨ أ]
 وإياه تعالى أسألُ أن يهنيك ويهنيءَ فيك عارفةَ السلامة ، ويُبْقِيكَ بعيدَ
 الصيت رفيعَ القدر في الظعن والإقامة ، ولولا تردُّدي في عقابِ رِبْعٍ^١
 لَزِمْتُ جسمي شهوراً ، واتخذته ربّعا معموراً ، لما استنبت في التهته خطاباً ،
 ولحشت نحوك ركاباً ، وأنت بِسْرُوكَ تُوسِعُ العنرَ قبولاً ، وتُقْبِلُهُ
 وجهاً جميلاً .

وله من أخرى يهنيء بمولود : إنَّ أحقَّ ما انبسط فيه للتهته لسانٌ ،
 وتشرفَ في ميادين معانيه بيانٌ وبنانٌ ، أملٌ رجِّي فتأبى زماناً ، واستُدْعِي
 قلوبَ عِاناً ، وطاردته المنى فأتعبها^٢ حيناً ، وغازَلَتْهُ الهمم فأسعرها^٣
 حيناً ، ثم طلع غيرَ مُرتَقِبٍ ، وورد من صحبة المباحج في عسكرٍ بلج ،
 فكان كالمشير إلى ما بعده من مواكب الآمال ، والدليل على ما وراءه

... ..

١ يريد حتى الربيع .

٢ س م ط : فاتبعها .

٣ في النسخ : فأسعرا .

من كواكب الإقبال ، أو كالصبح افترت عن أنوار الشمس مباسمه
والبرق تنابت إثر وميضه غمامه ، وفي هذه الحملة ما دل على المولود^١
المجدود ، المؤذن بترادف الحظوظ وتضاعف السُّعود . فباله نجم سعادة ،
تطلع في أفق^٢ سيادة ، وغصن سناء . تفرّج من دوحة علاء ، لقد
تهللت وجوه المحاسن باستهلاله ، وأقبلت وفود الميامن باستقباله ،
ونظمت له قلائد التمام ، من جوهر المكارم ، وخُصّ بالثدي الحوافل ،
بلبان الفضائل . وما كان منبت الشرف بانفراد تلك الأرومة الكريمة إلا
مقشعر الربى ، مغبر الثرى ، متهافت أغصان الرضى ، فأما وقد اهتز
في أيكّة السيادة قضيب^٣ ، ونشأ من بيته الشجاعة نجيب ، فأخلق بذلك
المنبت أن تعاوده نضرت^٤ ، وترف عليه حبرته ، ويراجعه رونقه وبهاؤه ،
وتضاحكه أرضه وسماؤه ، فالحمد لله على ما أتاحه من انشاء^٥ الأمل بعد
جماحه ، واختيال الجدال في حليلة غرره وأوضاحه ، وهو المسؤول
أن يهنيك منه صنعا يحسن في مثله الحسد ، ويتمنى لفضله النسل والولد .

وله من أخرى خاطب بها ذا الوزارتين الكاتب أبا بكر بن القصيرة وقد
قربت بينهما المسافة ، حسبما ذكر ، ولم يتفق التقاؤهما :

لم أزل - أعزك الله - أمتنزل قُربك براحة الوهم ، عن ساحة النجم ،
وأنصب لك شرك المني ، في خلّس الكرى ، وأعلل فيه نفس الأمل ،
بضرب سايق المثل :

١ د : الوليد .

٢ ط : في أوفق .

٣ ط : انشائه ، م : انشاء .

ما أَقْدَرَ اللهَ أَنْ يَدْنِي عَلَى شَحْطٍ مِّنْ دَارِهِ الْحَزَنُ مَعْنِ دَارُهُ صُولُ^١

فَمَا ظَنُّكَ بِي وَقَدْ نَزَلَ عَلَى مَسَافَةِ يَوْمٍ ، وَطَالَمَا نَفَرَ عَنْ خِيَالِهِ نَوْمٌ^٢ ،
وَدَنَا حَتَّى هَمٌّ بِالسَّلَامِ ، وَقَدْ كَانَ مِنْ خُدْعِ الْأَحْلَامِ ، وَنَاهَيْكَ مِنْ ظُمَائِي
وَقَدْ حَمَتُ حَوْلَ الْوَرْدِ الْخَصِيرِ ، وَذَمَمْتُ الرِّشَاءَ بِالْقَصْرِ ، وَوَقَفَ بِي
نَاهِضُ الْقَدْرِ ، وَفَقَّةَ الْعَيْثِ بَيْنَ الْوَرْدِ وَالصَّدْرِ^٣ ، فَهَلَا^٤ وَصِيلَ ذَلِكَ
الْأَمَلِ بِيَاعٍ ، وَسَمَحَ الزَّمَانُ بِاجْتِمَاعٍ ، وَطَوَيْتُ بَيْنَنَا رَقْعَةً أُمِّيالٍ ، كَمَا
زُوِيَتْ مَرَاحِلُ أَيَّامٍ وَلِيَالٍ ، وَمَا كَانَ عَلَى الْأَيَّامِ لَوْ غَفَلْتَ قَلِيلًا^٥ ، حَتَّى
أَشْفِيَّ بِلِقَائِكَ غَلِيلًا^٦ ، وَأَتَنَسَّمَ مِنْ رَوْحِ مَشَاهِدَتِكَ نَفْسًا بَلِيلًا^٧ ، وَلَثْنِ
أَقْعَدْتَنِي بِعَوَاقِفِهَا عَنْ لِقَاءِ حُرٍّ ، وَقَضَاءِ بَرٍّ ، وَسَفَرٍ قَرِيبٍ ، وَظَفَرٍ غَرِيبٍ ،
فَمَا تَحَبَّبْتُ وَدَادِي ، وَلَا ارْتَشَفْتُ مَدَادِي^٨ ، وَلَا غَاضَتْ^٩ كَلَامِي ،
وَلَا أَحْفَتُ^{١٠} أَقْلَامِي ، وَحَسْبِي بِلِسَانِ النَّبْلِ رَسُولًا^{١١} ، وَكَفَى بِوَصُولِهِ
أَمْلًا^{١٢} ، وَسَوْلًا^{١٣} ، فَفِي الْكِتَابِ بُلْغَةُ الْوَطَرِ ، وَيُسْتَدَلُّ عَلَى الْعَيْنِ
بِالْأَثَرِ .

... ..

١ البيت لحنج المري (البلدان : صول) ؛ وصول : مدينة في بلاد الخزر من نواحي باب
الأبواب .

٢ س ط م : عن حباله ؛ وسقطت « نوم » من م ط س .

٣ من قول أبي العلاء المري (شروح السقط : ١٥٣)

هموا فأماوا فلما شاربوا وقفوا كوقفه العير بين الورد والصدر

٤ فهلا : سقطت من م ط س .

٥ م س : مرادي .

٦ م س : حاصت .

٧ س : أحفت .

٨ د : أمدأ .

على أني إنتما وَحَيْتُ وَحَيَّ الْمَشِيرَ بِالْيَسِيرِ ، وَأَحَلَّتْ فَهَمَّكَ عَلَى
المسطورِ فِي الضميرِ ، وَإِنْ فَرِغْتَ لِلْمَرَاةِ وَلَوْ بِحَرْفٍ ، أَوْ لَمَحَةٍ طَرَفٍ ،
وَصَلَتْ صَدِيقاً ، وَبَلَلَتْ رِيقاً ، وَأَسَدَيْتَ يَدَا ، وَشَفَيْتَ صَدَى ، لَا زَالَتْ
أَيَادِيكَ بَيْضاً ، وَجَاهُكَ عَرِيضاً ، وَلِيَالِيكَ أَسْحَاراً ، وَمَسَاعِيكَ أَنْوَاراً .

ثم ختم رقعته بهذه الأبيات :

هو الدهر لا يَفْتَنَا^١ يَمُرُّ وَيَحُلُّو^٢ي
إذا أشكلت يوماً عليه مُلِمَّةٌ
سألني بحدِّ الصبر صُمَّ^٣ خطابه^٤
وأعرضُ عن شكواه إلا شَكِيَّةٌ
روى لي أحاديثَ المنى فيه غَضَّةٌ^٥
وجادُ بقرب الدار غيرَ متممٍ
تراءى لي العلبُ النمرِ فليتنى
أَتَحْجُبُ شمسَ العلمِ بَرْدَةً لَيْلَةً
ويخشَنُ مسراها لموطىءٍ أخمصي
أَجَلٌ قَبْدٌ هذا الدهرُ أَضْيَقُ حَلَقَةٍ
سأبعثُ طيفي كلَّ حينٍ لعلَّه
ودونك من روض السلام تحبَّةٌ

وسَيَّانَ عِنْدِي مَا يُجِدُّ وَمَا يَلِي [٥٨ب]

فمن ظهر قلبي يستمدُّ ويستملِي
وإن صيغ فيها الشيبُ من حَدِّ النَّبْلِ
بها من هوى مرآك ضَرْبُ من الخجلِ
ولكنها لم تخلُ من غَلَطِ النُّقْلِ
ويا ربَّ جودٍ قُدَّ من شيمِ البخلِ
بَرَدَتْ لَهَافِي منه في نُفْبَةِ النَّهْلِ
ولو وصَّاتُ أَرْدَانَهَا ظَلَمَةُ الْجَهْلِ
ولو نَبَتَتْ في جَنَحِهَا لِأَبْرُ النَّحْلِ
وأَقْصَرُ لِلْخَطْوِ الْوَسَّاعِ من الكِبْلِ
يَصَادِفُ من نَجْوَى خِيَالِكَ مَا يُسْئَلِي
تَنَسَّيْكَ غَضَّ الْوَرْدِ فِي رَاحَةِ الطَّلِ

١ ط م س د : يبقِي .

٢ كذا في النسخ ، ولعلها : عَطْوِيه .

٣ ط م س د : غَضَّة .

٤ ط م د س : وِجَاء .

٥ د س : الظَّل .

قوله : « يا ربَّ جودٌ قدَّ من شيمِ البخل » يشبه قول الآخر :

الدهر ليس له صنيعٌ يُشكَّرُ شربٌ له يصفو وشربٌ ينكدُرُ
يهبُ القليلَ وقد نوى استرجاعه هبةُ البخيلِ أقلُّ منه وأنزر

وكانَ هذا من قول بشار^١ :

أما البخيلُ فليستُ أعذله كلُّ امرئٍ يُعطي على قدره

فراجعه ذو الوزارتين برقعة نسختها : كتبت ولسانُ القلم يتلعم ، وقدمُ
الكلم يتأخر أكثرَ مما يتقدم ، هيبةٌ لانتقادك ، وعجزاً عن مواقع إصدارك^٢
ولإيرادك ، وإنَّ متعاطيَ جرائك^٣ ، ومناهضِ إعادتك أو ابدائك^٤ ، بلحدير^٥
بالتقصير ، وخليقٌ بحرمانِ حظِّ البُسُوقِ والظهور ، والله يزيدك فضلاً ،
ويجعلك لكلِّ جليلةٍ من الخصالِ ونبيلةٍ من الأحوالِ أهلاً ، بمنته .

ووصل إليّ - وصل الله اعتلاءك ، وأثقلَ مَجْدُكَ وسناءك - خطابُك
الكريم نظماً ونثراً ، فأهدى برّاً ، واقتضى ما لا يُستطاعُ شكرًا ، ويعلمُ
الله الذي لا ينطوي دونه سرٌّ ، ولا يفوت إحصاءه أمرٌ ، أني أجيدُ من الشوقِ
إليك ، مثلَ ما أخبرتَ به لديك ، وأحسُّ من التشوقِ إلى لقائك ، بنحو
ما أطلعتَه من تلقائك ، والله وليُّك حيثَ كنتَ ، وكالثُّك وكالتي

.. ..

١ لم يرد في ديوانه (جمع العلوي) ، وهناك بيت على شاكلته وهو (ص : ١٤٠) :

أعطى البخيل فما انتفعت به وكذلك من يعطيك من كدره

٢ م ط س : جوابك ؛ والجراء : بمعنى المجارة والمباراة .

٣ د : وإبدالك .

فيك أقمت أو ظننت ، وإيَّاهُ أسألُ أن يبلغَكَ أوطاركَ ، ويؤتِكَ من كلِّ أملٍ وفي كلِّ موردٍ ومصدرٍ اختيارك ، بعزته .

وأنا اعتذر إليك من الاقتضاب ، وأن لا أَلُمَّ في النظم بجواب ، بما لا يذهب عليك من الأعذار ولا يسترُّ دونك من الأسباب ، وأنت بمعايلك تقبل العذر ، وتتأوَّلُ أجملَ تأوَّلٍ^١ الأمر .

وله من أخرى : لم أزلُ مذجِّدًا اغترابُكَ ، ونعب غرابك . أتعجَّبُ من تحوُّلك ، وأتشفُّ إلى ما يَرِدُ من قبيلِكَ ، فلم أظفر من خبرك بيقين ، ولا حصلتُ من كيفيةٍ مَقَرَّكَ على ثلجٍ مبين ، إلى أن وَرَدَ جُهِينَةُ أخبارِكَ ، وَعَيْبَةُ أسراركَ . فلان . فكشف من صورة أمركَ ما التبس ، ووصف من جُمْلَةٍ حالكَ ما سرَّ وأتس . وذكر أن ذلك القطر — حرسه الله — رَحِبَتْ بِكَ معاهده ، وَعَدُّتْ لكَ موارده [٥٩ أ] واشتملت عليك أفيأؤه ، وتهلَّلتُ إليك أرجاؤه ، ولا غرو من نفاقِكَ حيث احتلت ، وقبولك أينما انتقلت ، فمن تحلى بمثلِ حلاك ، لم يَضِعْ كيف تصرَّف ، ولا عدم اللطف أينما انحرف ، والله تعالى يصنُعُ لك جميلاً ، ويُنيِّلَكَ حيثما كنتَ أملاً وسُلاً .

ووصل خطابك الخطيرُ فجلاً وجَهَ بَرِّكَ وسيماً ، وشَخَصَ عهدك عيماً ، وأهدى إليَّ من رياض ودِّكَ نسيماً ، ومن عرار حمدك شميماً ، فيا حُسْنَ موقعه من الضمير ، ويا نُبْلَ منزعهِ الجميلِ المشكور .

وله من أخرى : قد يرد من تحف الإخوان ما لم يراقبْ له مَوْرِدُ ، ولا

١ أجمل تأوَّل : سقطت من م ط س .

ضُرِبَ فيه موعد ، ولا غازله ضمير ، ولا تقدّم فيه بشير ، فيكون للجامع
 الأُنسِ أجب ، وللجامع النفس أذهب ، وعلى صفحات القواد أندى وأبرد ،
 وإلى تَلَعَاتِ الودادِ أهدي وأقصد ، لا سيّما إذا ورد وللوحشةِ جُثومٌ ،
 وبين الجوانحِ كلّوم ، كموردٍ خطابك ، فإنه هجم ولا تأمب له خلّد ،
 ونجم وفي جفنِ الأُنسِ رَمَدٌ ، فأذكرني حُسْنُهُ زمنَ الصبَا ، وتَقَسَّ
 الصبَا ، وأنساني عهده زهرَ الربى ، وثمرَ المنى ، وجدّدَ من رسمِ الصبابةِ
 والمقّةِ قديماً ، وأحيا من شخصِ القرايةِ رفاتاً رميماً ، ونشر من واشجها ما
 دَفَنَتْهُ الأيامُ خمولاً ، ووصل من مقطوعِ أسبابها ما لم يكن قبل موصولاً^١ ،
 فقلته درُ عهلك ما أجملَ مُحَيَّاه ، وأنمّ في روضِ الوفاءِ رِيّاه ، وسقياً
 لمغرسِ مجدك فما أذكى ثراه ، وأطيبَ جَنّاه ، وصل الله ما بيننا يوم تُقَطَّعُ
 الأسبابُ والأنساب ، وجعله ميراثاً في الأخلافِ والأعقاب ، وأبقاك أنساً
 للوي الألباب ، ومعدناً للكرم اللباب ، بمنته .

وتلقيت المترجّ الجميل في جهة فلان ، المُسْنِدِ إلى مجدك بأحسنِ وجوهِ
 الإجمال ، وأنمّ معاني البرّ المتوال ، وأقبلت عليه ، إقبال المصغي إليه ،
 المستوفي ما لديه ، فنشر من أياديك الجميلة مآثر ، وشبّ بِمَسْنَدٍ ذكرك
 الطيّبِ مجامير ، وعمر بأوصافِ معاليك مشاهدَ ومحاضر ، وجعلت أهُتُرُ
 لسماعها طرباً ، وأستعيد من أغانيها نُوباً ، وأستريده من محاسنها عُجْباً
 وعَجْباً ، فأمتعَ بشهيقها أذني ، وأذكر بلديدها معسفاً زمني . ورأيت حَسَنَ
 الأداء ، لمعاني الثناء ، متصرفَ اللسانِ ، في شكر الاحسان ، والله يعمر
 بوفودِ الأملِ جَنَابَكَ ، ويمدُّ في ساحةِ الكرمِ أطنابَكَ ، بعزته .

١ م : وصولاً .

٢ كذا في م ط د س ؛ ولعل الصواب « متغيف » أي مائل الأغصان (أر سمع) .

وله من أخرى : قد كنت - أدام الله عزك - بتواتر السماع ، وتظاهر
الإجماع ، أتقنك فضلك ، وأشهد بالسبق لك ، وأودُّ أن يسفر بيننا خطاب ،
ويتفق للمفاتيح أسباب ، رغبة في الانتظام ، ولو بسفارة الأقلام ، واجتلاء
بالاخاء ، ولو بالرقم في صمغ الماء ، إلى أن وافاني خطابك ففتح للمداخلة
باباً ، وأوضح في المواصلات شيعاً ، وتضمن من أدلة الود ما لا يكذب
رائده ، ولا يخرج شاهده ، بل يقضي بشهادته ويحكم ، ويقطع
على عدالته ويختتم .

فأما ما نلحنه من الوصف الجميل ، ومنحنيه من الغرر والحجول ،
فلأنما هي حلاك ، أعزتها أخاك ، وأوصافك ، تبرع بها لإنصافك ، وسمائك ،
تجافت عنها مكرماتك ، وقد تقلدتها حلية جمال ، ورفلت منها في حلّة
إجمال ، واعتقدتها ذخيرة أيام ولىال . والله تعالى يؤكد بيننا دواعي الوداد ،
ويجعل خلقتنا من عدد المعاد ، ويعين على شكر برك المبدأ المعاد .

واجتليت منه الإشارة الكريمة في جهة فلان ، فمهدت له عندي كنفاً
رحيباً ، وبوأتته لدي محلاً قريباً ، وشغلت لحظي برعاية أمره ، وبسطت
يدي في شد أزره ، ومما أكتد حقوقه علي تشيعه في علائك ، وتحدثه
باللائك ، وتقلبه برهة من الزمن في ظل حرمك وفنائك ، والله تعالى
ييقبك مؤثراً للحسنة ، محموداً بجميع الألسنة ، ولا يخليك من الشيعة الدمنة
والكلمة اللينة .

وله من أخرى : إذا عذدت [٥٩ب] أعزك الله - أعيان الزمان ، وأفاضل

الاخوان ، ثبتُ عليك خنصري ، وطمحتُ إليك يبصري ، وطرتُ في
جوكَ ووقعتُ ، وانحططتُ في شعبك^١ وربعت ، لأنك — والله يقيمك
— حاملُ آدابٍ ومعارف ، ولابسُ من خلع الفضلِ مطارف ، ومتميزُ
بفضولِ محاسنٍ مُنِحَتَ جمالها ، ومتفردُ بنحوصِ فضائلِ جَمَعَتَ كمالها ،
لا أعلمني الله منك جُمْلَةً فضل ، وزَهْرَةً نُبلٍ ، وذُخْرَ وفاء ، وَعِلَقَ
سَنَاء ، بمنته .

وطلع عليَّ خطابُك مع فلانٍ عبدك ، ولسانِ حَمْدِكَ ، فأهبَّ من
رَوْحِ الأنسِ بك نسيماً ، وجدَّدَ عهداً سلفت ورسوماً ، وأجاني من رياض
بركِ نوراً عطيراً ، وسقاني من حياضِ ودِّكَ عذباً خصباً .

• فيا شيعي بروثقي وربِّي^٢ •

وأنتهى إليَّ المذكور ما تنسّمهُ من أريجِ ثنائك ، واجتلاه من تبلُّجِ
إخائك ، فاتصل البرُّ واتسق ، وتابَعِ الفضلُ على نسق ، ثم استطرد إلى شكر
ما أولَّيْتَهُ من غُرِّ أَيْامٍ ، وإجمالِ مَتَمَادٍ ، واستنفد في ذلك جَهْدَ لسانه ،
وجرى في ميدانه ملءَ عَيْنَانِيهِ ، فأحمدتُ مقطعه ومترعه ، ووجدت العُرفَ
واقعاً فيه مَوْقِعُهُ ، وأنت بيسرٍ وَكَّ تَوَكَّدُ فضلكَ عنده ، وتصلُ إجمالُك
معه ، لا أخلاك الله من بثِّ صنائع ، في أصنافِ مواقع ، وأشتاتِ مواضع .

ومن أخرى له : كتبت وأنا في عقابِلِ شكوى سَدِّ كَتَّ بي منذ أشهرٍ

١ م ط . سميك

٢ عجر بيت لأبي تمام ، وصدره (الديوان ٣ . ٣٥٦) :

فيا ثلج الفزاد وكان رصفاً

سَدَكَ الغريم ، وعركني بأكفِ آلامها وأيدي سقامها عَرَكَ الأديم ،
 حتى لقد فَتَحَتْ عليَّ قاهها المنون ، واستوتُ في اليأسِ منِّي الظنون ، إلا
 أنه تعالى بلفظه مَنْ بِالْأَقَالَةِ والإرجاء ، ونقلني عن جهة اليأس إلى جانب
 الرجاء ، له الحمد^١ متواتراً . والشكرُ أولاً وآخرأ ، وهو المسؤولُ ، عزَّ
 وجهه ، أن يَمْلِكَ^٢ أطولَ الأعمار ، وَيَزُوِي عنك مكروهَ الأقدار ، بمنه ؛

وكان خطابك قد وافى في عنفوانها ، وَصَدَرَ نَزْوَانِها ، فخففَ من أوصالها ،
 وخلعَ بعضَ أثوابها ، وكأنما ورد عائدأ مُنْطَفِئاً ، أو وفد زائراً مُتَحِفاً ،
 ورُمْتُ المراجعة فلم تساعدني يدٌ ، ولا نهض بي جَلَدٌ ، ولما نضوتُ بُرْدَ
 الاعتلالِ ، وَشِئْتُ بَرَقَ الإبلالِ^٣ ، وَجَبَ إنهاءُ العنبرِ المعترض ، وتعيَّنَ
 قضاءُ الحقِّ المُفْتَرَضِ . وأما شكري لما تضمنتهُ الكتابُ الكريم من لطائف
 البرِّ والثناء ، ونتائج الفضلِ والسَّناء ، فمستحوبُ الأذبالِ ، في طريق الاحتفال ،
 مأخوذُ الأنفاسِ ، من زَهْرِ الرملةِ الميعاسِ^٤ ، ويعلم الله تعالى المَطْلِعُ على
 خواطر الضمير ، وهو اجس الصدور ، استنامني إلى كرم نواحيك ، وثقتي
 بشرف مناحيك ، واغباطي بما أحْكَمَ بيننا من نظامِ التَّأَلُّفِ ، وَرَفَعَ لنا من
 أعلامِ التعارف ؛ واجتليتُ من عَظَمِ الكتابِ سلامَ الوزيرِ الكاتبِ نائِرِ درره ،

١ زاد في د : تعالى .

٢ م : يملكك .

٣ م : الاجلال .

٤ الميعاس : الأرض التي توطأ ، وفي القول إشارة إلى بيت أبي تمام (الديوان ٢ : ٢٢٤) :

بكر إذا ابتست أراك وميضها نور الأفاح برملة ميعاس

ويروى : نور الأفاقي في نرى ميعاس .

وراقم خبره ، ولك الفضلُ في إبلاغه من تحيتي ما يُضاهي تنفُّسَ الأزهار ،
في وجوه الأسحار .

وكتب معنياً بأحد الأدباء الشعراء : لئن كانت الأيام - أعزُّك الله - قد
قلَّصَتْ أذيالَ أحوالك ، وسلَّطَتْ هجيرَها على بَرْدٍ فالالك ، وكدَّرتْ
بأقدامِ صرُوفها صقَوزُلالك ، فما استلانتِ نَبْعَكَ ، ولا أحالتْ عن
عادةِ الجميلِ طَبْعَكَ ، ولا عَفَتْ في منازلِ السَّناءِ والثناءِ رَبْعَكَ ، فقد
يجري الجوادُ وهو منكوب ، ويتجملُ^١ الحرُّ وبه ندوب ، والله تعالى
يجبرُ الصَّدْعَ ، ويُجَمِّلُ الصُّنْعَ ، بعزته .

ويتأدَّى من يد فلان ، وفي علمك ما دُهيي به وطنه من خطوب الزمن ،
وضروب المحن ، وتقلب عُبَاد الوثن ، ودفعته الضرورةُ إلى استرقاد الأحرار ،
والتكسُّب بالأشعار ، وهو ممن يتصرَّفُ في الصناعة بلسانِ صنع ، ويأوي
فيها إلى طَبْع غير طَبْع ، وله في قبول عفو المنيل إجمالٌ ، وعنده في شكر
العُرف المختصر احتفال .

ولما عرف ما بيننا من عهدٍ لا يفارقُ نصابه كَرَمٌ ، ولا يلحقُ شبابهُ
هَرَمٌ ، اتخذ خطابي هذا عنوانَ شعره ، ولسانَ أمره ، ودليلاً على موضعه ،
ومشيراً إلى مقصده ومترعه ، وأنت بِسِرِّوكَ تصدِّقُ أمله ، وتبيِّضُ وَجْهَ
[١٦٠] الصنِيعَةِ قِبَلَهُ .

وله من أخرى في مثله : العهدُ وإنْ قَدُمَتْ أحكامه ، وسلفت^٢ أيامه ،

١ م : ويحتل .

٢ م : واسلفت ؛ س : واسلفت .

إذا استجدَّ عاد جديداً ، ونشأ حميداً ، لاسيما إذا غُرس في تربة وفاء ،
وسُقِيَ بنطفة صفاء ، وتردَّدَ في نِصابِ كرم ، وتشبَّثَ بأطنابِ ذم ؛
وكان بين سلفنا ما لا يُنسى ماضيه ، وإن خَلَّتْ لِياليه ، ولا يُهَجَّرُ حَسَنُهُ ،
وإن بَعُدَ زَمَنُهُ ، وإنَّهُ لِمَسْطُورٌ في صحيفة تذكُّري ، وملحوظٌ بعين
تصوُّري ، ولئن لم يجمعنا مكانٌ ، ولا سَلَفٌ للمداخلة عنوان ، فإن ذلك
غيرُ قادحٍ في الضمير ، ولا مكدرٌ من العذب النмир .

وموصلُهُ فلان ، نشأةُ نعمتك ، توسِّمَ رعايتك لها فسألها ، وتخيَّلَ
تحفُّيكَ بنواحيها فرغب فيها ، وما أَجَبَتْهُ إِلَيْهَا إلا وقد علمت أنك
تُشَفِّعُ شفيعها ، وتؤثِّرُ ترفيعها ، وبوروده عليك تجتلي وَجْهَ مترعه ومذهبه ،
وتقفُ على جليَّةِ أَمَلِهِ ومطلبه ، وأنت بفضلِكَ تصدِّقُ مَحِيلَتَهُ ، وتراعي
وسيلته ، وتتجمَّلُ معه ، وتضعُ العُرْفَ موضعه ، مقتضياً بذلك من شكري
أبرَّعَهُ ، ومن ذكري أَطْيَبَهُ وَأَضْوَعَهُ .

ومن أخرى في مثله : أَمَا وَكُنْتُكَ وَسَاعَ ، وشرَّفَكَ يَفَاعَ ،
والتحدُّثُ بتدفقِ أدبك ونشبك إجماع ، فلا غَرَوَ أَنْ تُقَصِّدَ بِتُحَفِ القصيدِ ،
وتُطَوِّىَ نحوكَ صُحُفُ البِيدِ ، ويجري من يعتمدك في مضمار تأمليك إلى
الأمر البعيد ، لا سِيَّما مَنْ قد اعتمدك ، فأَحْمَدَكَ وانتَقَلَكَ ، كفلان ، فإنه
رتع في برك ، واكتحل برهةً بِبِشْرِكَ ، واشتمل بضاني عطاياك ، وكرعَ
في صافي نطاياك ، فهو إذا عَدَّ غُرَرَ العَصْرِ ولمَعَ الدهر ، بدأ بذكرِكَ
وخَتَمَ ، وطار في جوك وَجَتَمَ ، وله في نشر المحاسن والفضائل لسانٌ
ذَرَبٌ ، وعنده في شكرِ الصنائع والودائع مقامٌ درب ، ولما عَضَّهُ العُسرُ ،

١ في النسخ : يحل . . . ويقف .

٢ مقام : سقطت من م .

وَمَسَّهُ الضَّرَّ ، وَجِبَ أَنْ يَتَجَعَ جَنَابَكَ ، وَيَسْمَطَرَ سَحَابَكَ ، وَيَوْمَ
فَنَاءِكَ ، وَيَجْبُرَ ثَنَاءَكَ ، وَهُوَ بَانْتِخَالِكَ مَسْرُورٌ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ رَجَائِكَ
نُورٌ ، وَقَدْ سَفَرَلَهُ قَنَاعُ السَّفَرِ ، عَنْ أَسِيرَةِ الظَّفَرِ ، وَجَلِيَّتْ عَلَيْهِ صُورَةُ الْأَمَلِ ،
فِي مُعَارَضِ النَّصِّ وَالزَّمَلِ ، فَمَا أُجْدَرَهُ بِأَنْ يَجِدَ ظِلَّكَ سَجْسَجًا ، وَمَحَلَّكَ
مَنْبَجًا^١ ، وَيَجْنِي رُبَاكَ غَضَبَةَ النَّوْرِ وَلِزَّهَرِ ، وَيَتْنِي عَنْ مَشْرَبِ نَدَاكَ
حَامِدَ الْوَرْدِ وَالصَّدَرِ ؛ لَا زَالَ مَقْرُوكٌ مُعْتَمِدَ الزَّوَارِ ، وَمَتَرَعَ الْأَحْجَارِ ،
وَمُحَصَّبَ جَمَارِ الْأَشْعَارِ .

وله من أخرى في مثل ذلك : كَتَبْتُ عَنْ كِلَالِ ذَهَبٍ ، وَاتِّصَالَ وَهْنٍ ،
وَرُكُودِ خَلَدٍ ، وَفُتُورِ جِلْدٍ ، لَتَرَدِّي فِي أَذْيَالِ الْعَلَّةِ الَّتِي عَرَفْتَ صِفَتَهَا ،
وَاجْتِلِيَتْ مِنْ خُطَابِي الْمُتَقَدِّمَ صُورَتَهَا ، وَلَا مَزِيدَ عَلَى مَا عِنْدِي مِنَ الْإِجْمَالِ
لِلذِّكْرِ ، وَالِاحْتِفَالِ فِي شُكْرِكَ ، وَالتَّسْحِبِ^٢ عَلَى حَوَاشِي مَجْدِكَ ، وَالِانْخِطَاطِ
فِي غُورِكَ وَنَجْدِكَ .

وَمُوصِلُهُ فُلَانٌ ، لَمْ يَتَّفِقْ لَهُ فِي غَيْرِ الْجَهَةِ الْحَالِيَةِ بِكَ أَمَلٌ ، وَلَا اعْتَلَقَ
بِهِ فِي سِوَاهَا عَمَلٌ ، فَحَنٌّ إِلَى مَا عَهْدَهُ فِيهَا مِنْ حُسْنِ رَائِكَ ، وَكَرِيمِ
اعْتِنَائِكَ ، وَرُحْبِ جَنَابِكَ وَخِصْبِ فِتَائِكَ ، وَاسْتَنْهَضَ مَخَاطِبِي لِشُبُوتِهِ^٣
تَحْتَ ظِلِّكَ كَتَفًا ، وَتَوَكَّدَ لَهُ سَبَبًا مُؤْتَنَفًا .

..

١ إشارة إلى قول البحترى (ديوانه ١٠٥٠) .

لا أنسين زماً لديك مهذباً وظلال ميش كان عندك سجع
في نعمة أوطئتها وأقمت في أفيائها فكأنني في منبج

٢ م ط س : والشحب ؛ د : والشخب .

وله من أخرى : كتبت وريحانُ العهدِ يَسْتَدَى بِمَاهِ ، ويتأوّدُ في غُلُوتَيْهِ ، لم يَلَمْ به مع القدمِ ذبولٌ ، ولا انسحب عليه الزمنُ ذبولٌ ، وكيف لا يرفُ ورَقُهُ ، ويَم عَبَقُهُ ، وفي روضِ وفائِكَ يرتعُ أسحاراً وأصلاً ، ومن ثَغْبٍ صَفَائِكَ يشربُ عِلَلاً ونَهلاً ، ولذلك ما يقعُ الإعتابُ بالخطابِ ، ويُجْتَرَى بتناجي القلوبِ وتصافي الغيوبِ عن الكتابِ ، والله يُبْقِي ما بيننا معقوداً بلوائبِ النجومِ ، محجوباً عن كُفَّةِ العبوسِ والوجومِ ،

وفلان لم يجدْ من ذلك الأفقِ بدَلاً ، ولا غرس في سواه أملاً ، ولا ألفى^١ في تربةٍ غيره ثرى ولا بللاً ، فعاد إليه يحمّدُ عهدَهُ ، ويدمّ ما لقي بعده ، وسألني مخاطبتك بهذه الحروفِ ، ايتريّدَ بها من رأيك الشريفِ وفضلك المعروف .

وله في مثله إلى الفقيه أبي القاسم ابن المناصف^٢ بقرطبة : أما وأحاديثُ فضلكَ صحيحةُ الإسنادِ ، وأدِلّةُ سِرِّكَ مَزَلّةُ العنادِ ، ومَطَالِبُ علمك وفهمك ساطعةُ الأنوارِ [٦٠ أ] ومناهجُ هَدْيِكَ وسعيك واضحةُ الصّوى والمثارِ ، فلا عَجَبَ أن تحومَ على شرعةٍ مداخلتك حوائمُ الأبوابِ ، وتُنْتَهَزَ في التماسِ مواصلتك فُرَصُ الدّواعي والأسبابِ . ولم أزلْ أولعُ برائقِ صفاتك ، وألتمسُ سببَ معرفتك ، حرصاً على التّجملِ بِخَلَّتِكَ ، ورغبةً في التّيمُّنِ بِصِلَتِكَ ، لأنك - والله يبقيك - أحقُّ من احتدّي على

١ الثغب : الغدير .

٢ ط م د : ألقى .

٣ بنو المناصف كثيرون ترجم لِمصنوعهم ابن الأبار في التكملة وابن سعيد في المغرب ، ولم أجد من بينهم من كنيته أبو القاسم .

مثاله، واقْتُنِدِي بِصَالِحِ أَعْمَالِهِ، واستَقْبِلِي آثارُ البرِّ من مواقع خطاه، وانْتَسَخْتِ
أَخْبَارُ الزَّهْدِ وَالْقَصْدِ من صحائف هداه، وأَحْرِيمِ اتَّخَذَكَ صَاحِباً، وسَلِّكْ
من سَبْلِكَ أثراً لَاحِجاً، أن يَأْمَنَ في جَدَدِ مَسَالِكِكَ العِثَارُ، وَيَعْدَمَ في
جَوَارِكِ نَفْعِ الْفِتَنِ المِثَارُ، والله يَبْقِيكَ لِأَشْتَاتِ الْفَضَائِلِ نِظَاماً، وفي كُلِّ
صَالِحَةٍ إِمَاماً، وَيُوسِعُ النِّعْمَةَ بِكَ وَفِيكَ سُبُوغاً وَتِمَاماً .

ولما اتَّفَقَ شَخْصٌ^١ فَلَانَ إِلَى الْحَضْرَةِ، وَعَلِمْتُ أَنَّ انْجِذَابَهُ إِلَى جَنَابَتِكَ،
وَوَعَيْتُ عَنْهُ جَمَلاً حَسَناً من صفاتِكَ، رَأَيْتُ أَنَّ أَصْحَابَهُ خُطَاباً، وَأَمَدٌ^٢
فِي سَاحَةِ الْإِنْتِظَامِ بِكَ أَطْنَاباً، حِرْصاً عَلَى أَنْ يَتَأَكَّدَ فِي ذَاتِ اللَّهِ إِخَاؤُنَا،
وَتَفَقُّ في سُبُلِ مَرْضَاتِهِ وَطُرُقِ طَاعَتِهِ أَنْحَاؤُنَا، وَحَمَلْتُهُ مَعَ ذَلِكَ مِنْ
لَطَائِمِ الْحَمْدِ، وَنِخَائِلِ الْوَدِّ، مَا إِذَا أُعْزَّتْهُ نَاطِرِي تَأْمِيلِكَ، وَصَادِقَ
تَحْيِيلِكَ، عَلِمْتُ بِهِ خُلُوصَ ضَمِيرِي، وَصَفَاءَ نَمِيرِي، وَسَلَامَةَ عَهْدِي،
وَدُمَائِي تَهَامِي وَنَجُودِي .

وهَذَا الرَّجُلُ يُشْكِرُ لِجَمَالِكَ مَعَهُ شُكْرَ رَوْضِ الْحَزَنِ، لِعَارِفَةِ
الْمَزَنِ، وَيُودُّ أَنْ يَسْتَظْهَرَ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ لِسَانٍ، وَيَسْتَنْجِزَ فِيهِ كُلَّ نَاءٍ وَدَانٍ^٣،
وَقَدْ جَارَيْتُهُ فِي مَضْمَارِ شُكْرِكَ طَلَقاً، وَسَعَيْتُ مَعَهُ فِي مِيدَانِ الثَّنَاءِ عَلَيْكَ
خَبِياً وَعَنْقاً، فَبَيْنِي وَبَيْنَهُ مِنْ شَابِكِ الْقُرْبَى، مَا يَقْتَضِي أَنْ أَخْذَ مِنْ مِشَارِكَتِكَ
لَهُ بِالْقِسْمِ الْأَوْفَى وَالسَّهْمِ الْأَعْلَى؛ وَقَدْ عَرَفْتُ مَا مُنِّي بِهِ مِنْ عَضِّ الزَّمَانِ.
وَمَسَّ الْحَرَمَانِ، وَرَأَى أَنْ يَصْرِفَ وَجْهَهُ هَمَّتَهُ إِلَى تِلْكَ الْحَضْرَةِ لِيُبْرِكَ
بِهَا أَمَلاً، وَيَعْلُقَ مِنْ أَعْمَالِهَا عَمَلاً، وَمُعَوَّلُهُ فِي مَوَارِدِهِ وَمَصَادِرِهِ عَلَيْكَ،

١ د استنعت .

٢ خ ياشط : جوادك .

٣ م ودان .

ونظره في مطامح أغراضه والحافظه إليك، وأنت بمجدك تسدّد سَهْمَهُ،
وتؤيدُ عَزْمَهُ ، متممًا بِدَكَ البيضاء، ومتّبعًا دَلْوَكَ الرّشاء^١ .

وله في مثله إلى الفقيه القاضي بها : إن كانت المداخلةُ بيننا لم يفتح^٢ لها
بابٌ ، ولا عُلِّقَتْ بها أسبابٌ ، ولا رُمِيَ لنا في مُحَصِّبِها جِمارٌ ، ولا
عَطِفَ بنا نحو كعبتها اِعتِمَارٌ ، فقد جمعتنا في مُعَرِّفِ المعرفةِ مواقفٌ ،
وَضَمَّتْنا من معالم العلم معاهدٌ ومآلفٌ ، ووشجتْ بيننا من أواصرِ الأدبِ
أنسابٌ ، وضربتْ علينا في مدارجِ الطلبِ قبابٌ ، ولا غرو من تداني القلوبِ
على تنائي الديار ، واثلافِ النفوسِ مع اختلافِ النّجار ، فقد يتعارفُ الأندادُ
على البعاد ، ويتناكرُ الأضدادُ مع قُرْبِ السّوادِ والوساد^٣ ، وربّما أُلِفَ
تساكُلُ الشّيمِ والأخلاق ، بين مستوطنِ الشامِ وساكنِ العراق ، ودأباً
حنّ زهرُ الغورِ إلى نسيمِ نجد ، وامتزجَ عنبرُ الشحرِ بمسكِ الهند . على أني
لا أدعي رُتْبَتَكَ في فنونِ العلمِ والآداب ، ولا أتعاطى محبتك إلا
بشرطِ الانقيادِ والإصحاب ، ومن يضاهاى محلّ الفرقد ، بمنبتِ الفرقد ،
أويشبهه رتبةُ التقليدِ ، بدرجةِ النظرِ والتوليد ، أو يقرن^٤ بين اللباسِ والبيان ،
ويعارضُ قوّةَ القياسِ بضعفِ الاستحسان ؟ ! لكنّي وإن لم أعدْ في رعبك ،
ولا أضيفُ مُبَرِّمِي إلى سَحِيلِك ، فعندي من بضائعِ الكلامِ ما يَنْفُقُ في

١ من قول قيس بن الخطيم : (الديوان : ٤) :

إذا ما اصطبحت أربماً حطّ مئزري واتهمت دلوحي في السماح رشاهما

٢ م ط : يفرج ، س : يروح .

٣ السواد - بكر السين - السرار ؛ وقيل لابنة الخس . ما أغراك بعبدك ؟ قالت : طول السواد

وقرب الوساد (الحيوان ١ : ١٦٩) .

٤ م ط د س : يفرق .

سُوقَكَ ، ولديّ من سوامي المهّم ما يَتَعَبَقُ بِسُوقِكَ ، ولعلّ بعض
كلامي يسجدُ في ذراك ، ويحظى برضاك ، ويصادف عندك رأياً جميلاً ،
ويستوقف لحظك ولوقليلاً ، بقيت حليّةً للدهر فائقةً ، وغرةً في وجه الزهر
رائقة .

ولما علم فلان ، أنّ القيمَ عندك بحسب الإنسان ، وأعلى قدر تصرّف
اليَد واللسان ، وأنّ أحظى ما قُرِعَ به بابُك ، ورفع له احجابُك ، رقعةً
تشيرُ بها إلى علمٍ وأدب ، ولا يُخِيلُ بوجهها وشمّ نذب ، استنهضني شفيحاً ،
فأجبتُه سريعاً ، حرصاً على المداخلة أسيمُ غُفْلها ، والمواصلةِ أفتحُ قُفْلها ،
ورغبةً في مشاركةِ الرجل المذكور ولو بشفاعَةِ الكلام ، وسفارةِ الأقلام ،
فبيّني وبينه نسبٌ موصول ، وثرى مبلول ، وآصرة رَحِم ، وعاطفة سَهم .

وكان له بتلك الحضرة النيرة بعدلك فيما سلف ظهور ، وتصرّف [٦١ أ]
مشهور ، ثم أَلَقْتَ عليه العطلة ثِقْلَ جِرائها . وَجَرَتْ به ملءَ عَنايها ،
حتى انتسفت ما كان بيده . وحلّت جميعَ عَقْدِهِ ؛ وقد دفعته الأيام إلى جميل
نظرك ، وطيب مَكْسُرك ؛ وهو بكرم الصنيعة خَلِيقٌ ، ولحمل المنزِ مطيق ،
وغرضُهُ أنْ يُصَرِّفَ في بعضِ وجوهِ العمل ، ويختبر حاله في الشدِّ والزَّمَل^٢ ،
وأنت بمجدك تفرضُ له من شَرَفِ عَنايتك نصيباً ، وتوليهِ من رعايتك وجهاً
خصيباً ؛ وما أُسديتَ إليه فلي فيه مَفْخَر ، وهو عند الله مُدْخَرٌ ، واللهُ
يُقيكَ للحسنات تُعْرِسُ بأبكارها . والمآثرات تَحْلِدُ كَرَمَ آثارها ، بمنه .
وله من أخرى يشفع لبعض^٣ الشعراء : لا عرو أن يقصدك - أثَل الله

١ م : بمِرصاك .

٢ الرمل . نوع من العدو ، وفي ط الرمل . وهو أيضاً نوع من العدو

٣ م ط س إلى بعض

سُودَ دَكَ - مُهْنَدِي حَمْدٍ ، وَمَقْتَضِي رِفْدٍ ، وَيَلْمُ بَكَ مُسْتَوْجِبٌ مَعْرُوفٌ ،
وَمُعَانِي صُرُوفٌ ، فَقَدِيماً غُشِيَتْ مَنَازِلُ الْكِرْمَاءِ ، وَثَبَّتْ فَضَائِلُ الْعُلَمَاءِ ،
وَهَزَّتْ أَعْطَافُ الْكِبَرَاءِ ، بِنَغْمِ الثَّنَاءِ وَالْإِطْرَاءِ ، وَقَدْ أَصْفَى إِلَى الْأَشْعَارِ ،
جِلَّةُ الْأَخْيَارِ ، وَأَثَابَ عَلَى الْمَدِيحِ ، مَنْ بَعْدَ عَنِ التَّجْرِيعِ . وَهَلْ لَكَ سَلَكُ
تِلْكَ السَّبِيلِ ، وَآثَرُ الْجَمِيلِ ، وَرَأَى التَّامِيلِ .

وموصله - وصل الله اعتلامك ، وحرس أرجامك - فلان ، وهو
ممن اضطره كَلَّابُ الحرمان ، ونُوبُ الزمان ، إلى اعتماد الكرام واسترفاد
الأعيان ، وله من صناعة القريض ، وبضاعة التفريض ، حظٌّ موفور ، وعنده
لأَوْجُهٍ الصَّنَائِعِ إذا برقعها الكفور ، ظهورٌ وسفور ، وقد قصد تلك الجهة
فيما سلف متجعاً ، وارضع من أفاويق درّها جرّعاً ، وما عدم منك تنويلاً ،
ورأياً جميلاً ، لكنّ العود أحمدٌ ، وربُّ العُرفِ أوجب وأوكد ، ولا يذهبُ
العُرفُ بين الله والناس^٢ ، وليس ممن يسألُ شَطَطاً ، ويتعسفُ غَلَطاً ،
ولأنه ليتبلَّغُ بالنسيم ، ويستنجزُ الوعدَ بالتسليم ، وَحَسْبُهُ ما يَرْقَعُ^٣ ،
جانبَ خَلَّتِهِ ، وينقعُ بعضَ غُلَّتِيهِ ، وأنت بفضلِكَ تُشْفِقُ^٤ لما مُنِّيَ به
من الاغتراب والاضطراب ، وتحافظ على ما قبَلَهُ من الوسائل والأسباب .

.....

١ من قول بشار (ديوانه : ١٥) :

بسقط الطير حيث يتثر الحب وتغشى منازل الكرماء

٢ ثبت : مدحت وفالها الثناء .

٣ من قول الخليفة :

من يفعل الخير لا يعلم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

٤ ط م د : يرفع .

وله من أخرى إلى الفقيه أبي الحسن ابن الأخضر^١ : إذا كان عهدُ الإخاء ممّا رَفَعْتَهُ^٢ يدُ الطلب ، في صفحةِ الأدب ، لم يَنْسَخْ له الدهرُ حُكْمًا . ولا أحوالَ الزمنُ منه رَسْمًا ، بل يتجدّدُ على تقادمِ الأحقاب . ويردّدُ أبدأً في عصرِ الشباب ، وإنما هو في الحقيقة نَسَبٌ لا يخفى . ورحمٌ لا يحفُّ له ثرى ، وذمامٌ تُشَتَّى عليه الخناصر ، والتحامٌ تشيرُ إليه الأواصر ، فالأديبُ صِنُوُ الأديب ، وكفى بتمازج القلوب . وفي علمك ما سَلَفَ بيننا من العهد ، المزري حُسْنُهُ بزمنِ الورد ، سقاء الله صَوَّبَ العهد ، ولا زال مُخَضَّرٌ المراد . فما كان إلا غُرَّةً انْتَهِيَتْ من تهاتفٍ البيض الغرائر ، ولمعةً كأنما اقتبستُ في تضحكِ الترائب تحت سود الغدائر .

ولما علم فلان . حليفُ شكرِكَ ، وأليفُ بِرِّكَ ، ما بيننا من المناسبِ الروحانية . والمذاهبِ الأدبية ، استنهضني لشكر ما خَصَصْتَهُ له من تقريب محلٍّ ، وتخفيفِ كلٍّ ، فنهضتُ في ذلك نهوضَ المبدي المعيد ، واحتيتُ برداءِ الثناء عليك في المحفلِ المشهود ، وسرّني كونُ هذا الفنى الدميثِ الخليفةِ ، السديدِ الطريقة ، من أنشاء تخريجك وتفهمك ، وأغصانِ تثقيفك وتقويمك . فإنه ممن يتصورُ مقدارَ ما تُسدي إليه ، ويفي بصَوْنٍ ما تُودِعُه لديه ، وليس كلُّ من أوليَ جميلًا يشكُرُ ، ولا كلُّ شجرٍ وإن سَقِيَ يثمرُ ، وأنت بِسِرْوِكَ توسعُ قريحتهُ ذكاءً ، وصحيفتهُ جلاءً ، حتى يخلص خلوصَ

.....

١ هو علي بن عبد الرحمن بن مهدي التنوخي من أهل اشبيلية (- ٥١٤ هـ) ، كان من أهل المعرفة بالأدب والفن حافظاً لها (الصلة : ٤٠٤) .

٢ م : ومقته .

٣ م ط : تهايف ؛ س : تهالف ، وهي غير واضحة تماماً في م .

٤ لعل الصواب : وصفته .

الذهب ، ويتخصّص بحلّية الأدب ، مُحَرِّزاً في ذلك ذكراً بِشَيْعٍ خبره ،
ويفرّجُ عنبره^١ ، والله يُبقيك لهذا الشأنِ تَذِيْعُ أسرارهِ ، وترفعُ منارَهُ ،
بعزته .

وله من أخرى عنايةً بأحد الأدباء الشعراء : مَنْ دَفَعْتَهُ الأيام -
أعزّك الله - إلى القلبِ في الأقطار ، والتكسب بالأشعار ، لم يَخَفْ عليه
مواضع الأحرار ، في النجودِ والأغوار . على أنْ رَسَمَ الشعر قد درس
أو كاد ، ومرتاد البرّ قد عَدِمَ المراد والمرادُ ، إلا أنْ صاحب هذا
الشأن لا بد أن يتصرف ، أنجح أو أخفق ، ويتسوّق^٢ كسد أو نفق .

وممن دخل ذلك الصنيع^٣ فأحمدَهُ ، وتخيل يُمنّ معاودته [٦١ ب]
فاعتمده ، فلان ، وله في صنعة القريضِ باعٌ ، وبشكرٍ ما يوالاه اضطلاع ،
وبين فكّيه لسانٌ كشقة مبرد ، أو ظبّة حسامٍ فرد ، ولما كنت - أعزّك
الله - مقدّماً في أعلام مصرك ، وأعيان عصرك ، وعلم ما بيننا من سهم
الوداد ، وكرم الاعتداد ، سألتني مخاطبتك راجياً في أن تسدّد له هنالك غرضاً ،
وتسهّلَ من حياضِ أمله فرضاً^٤ ، وترفعَ له في سبيل التزكية مناراً ، وتقلّده
من صوغِ التحلية طوقاً وسواراً ، فأجبتُهُ لما يمتُّ به إليّ من وكيدٍ فمام^٥ ،

١ د . المرام .

٢ م س : وتسوق ؛ ط : وسوق .

٣ م ط : الصنع .

٤ د : شذقيه .

٥ مرصاً . سقطت من ط م س .

وحميدٍ للام ، والثقة بتزول رغبتي لديك على طَرَفٍ ثَمَام^١ ، وشرفِ
اهتمام . وأنت بسَرَوِكَ تُدنيه من كَنَفَيَّ قبولك وإقبالك ، ولا تُخْلِيه
من الأنسِ بِتَهَمِّمِكَ واهتباك ، حتى يصدر وهجيره شُكْرُ إجمالك ،
ونشر صنيعه من جاهك أو مالك ، ان شاء الله .

وله من أخرى في مثله : مَنْ عَهْدَ - أعزك الله - أنسَ فِئائك ،
وَحُسْنَ اعتنائك ، وألفَ بَرْدَ أفيائك ، ولينَ أرجائك ، لم يحبه
عنكَ سَكَنٌ ولا وطن ، ولا لَدَّ له في غير حجرك وظلك وسَنٌ ،
فَمُؤَلِّي الجليلِ محبوبٌ ، ومكان الأنسِ مطلوب ، والنفوس على علمك
تلتبس الرجحان^٢ ، وتعتمد الفضلَ حيث كان .

وفلان ، مَن قِيَدَه إحسانك ، واستعبده امتنانك ، فهو لا يَعْدِلُ
بك أحداً ، ولا يحلُّ عن عصمة تأمليك يداً ، فإذا بَعَدَ عن جتابك لم
يَسْخُ له قرار ، ولا اطمأنت به دار ، وقد بعثه صدق الانقطاع إليك على
حَسَمِ العُلُقِ الموجبة لبعده عن ظل جناحك ، وأنس التماحك ، ولم
يَبْقَ له في غير مكانك سَبَبٌ^٣ يَجْدِيه ، ولا أملٌ يصدقه أو يكذبه ، وأنت
بمجدك توالي اصطناعه ، وتراعي انقطاعه ، وتلحظ بعين تهَمُّمِكَ
ضياعه .

١ العرب تقول للشيء الذي لا يمر تناوله هو على طرف الشام ، والشام نبت لا يطول ولهذا
لا يشق تناوله ؛ وفي النسخ : تمام .

٢ م : الرهان .

٣ د : سبب .

وله فصل من جواب مخاطب به بعض الأدباء الشعراء : وردني لك
قطعتان من القريض ، كقطع الروض الأريض ، أو نغم معبد والغريض ،
تبسمتا عن ثغر وفاء ، وأهدتا إلي روح شفاء ، فأشعلت بذكر تهمتك مجمرأ ،
ووضعت عليه من ثنائي ندأ وعبرأ ، ورأيت ما ذكرته من إزماعك على
الرحيل ، واستجماعك لركوب ظهر السيل ، فاسترجعت بذكر البين ،
ما وهبت من أنس السعدين ، والله يرد ذلك الصعب ذلولاً ، والحزن
سهولاً ، ولا يعلمك ممن ترجوه ترحيلاً وتسهيلاً .

وله أيضاً من جواب على كتاب في مثله : تكلفت المراجعة وحسني
القريحة مثنوذة ، وفي جو الذهن ركود وجمود ، وبين أثناء الضمائر خطوب
مثنوذة ، وفي صفائح الخواطر ثلوم^١ وفلول ، وما قصدت معارضة التبريز
بالتقصير ، ولا حاولت مناهضة الخطو الواسع بالباع القصير ، وإني لمن
ينصف ويعترف ، ويرى مدى السابق فيقف ، ولست ممن يجهل فضل
ما بين التبّع والغرب ، ويذهل عن فرق ما بين الشبه والذهب ، على
أن عذري في الصناعة مقبول ، وذنب في ساحة القريض محمول ، فأنني لم
أقرع له باباً ، ولا شددت به عصباً ، وإنما يعدد من أهله ، من سلك
مضائق سبله ، ويكتتب في فرسانه ، من تصرف في ميدانه .

.....

١ ط م : ثلم .

ومن رسائله في التعزيات

نسخة رقعة كتب بها إلى الوزير الفقيه أبي القاسم الهوزني^١ يعزيه عن أخيه :

لا بدّ من فقدٍ ومن فاقد هبهات ما في الناس من خالدي^٢
كن المعزّي لا المعزّي به إن كان لا بدّ من الواحد

إذا لم يكن بدّ من تجرّع الحمام ، وتشتت النظام ، وانصداع شمل الكرام . فمن الاتفاق السعيد ، والقدر الحميد ، أن يرث أعمار البيتة الكريمة مشيد علاها ، وتسلم من القلادة وسطاها ، فمدار الكفاية على معلّاه ، وفخار الحلبة بحريز مداها . وفي هذه النبذة إشارة إلى من فرط من الإخوة الفضلاء ، ودرج من السادة النجباء ، فلمهم وإن كانوا في رتبة الفضل صدوراً ، وغدوا في سماء النبل بدوراً ، فإن شمس علائك أبهر أضواء وأزهر أنواراً ، وظلّ جنابك على بنيتهم ومخلفيتهم أمدى أصلاً وأبرد أسحاراً [١٦٢] .

ونمي إليّ — أوشك الله سلوانك ، ولا أخلى من شخصك الكريم مكانك — الوزير أبو فلان — برّد الله ثراه وأكرم مثواه — فكأنما طعن ناعيه في كبدي ، وظعن باكيه بنخيرة خلكدي ، لاجرم أني دُفِعتُ إلى غمرة من

١ هو الحسن بن عمر الهوزني الاشيلي (٤٣٥ - ٥١٢) وقد مرّ التعريف به فيما تقدم ص: ٢٩١ .

٢ البيتان لأبي فراس الحمداني ، ديوانه : ٧١ واليتيمة ١ : ٥٢٣ في تعزية سيف الدولة ، وقد وردا في القسم الثالث : ٢٢٥ ونسبا في محاضرات الأدباء لأبي نواس ، وذلك تصحيف .

التلذذ لو صُدِّمَ بها النجمُ لحار ، أو دُهِمِ بِمِثْلِهَا الحِزْمُ لخار . ثم ثابتُ
إليَّ نفسي وقد وقَّدَها الحَزَعُ ، وعضَّها الوَجَعُ . فاطلَّتُ الاسْتِرجاعَ .
وجمعتُ الجِلْدَ الشَّعاعَ . وما أنا عند الله أحتسبه جِماعَ فضائل ، وجمالَ
محافل ، وحديقةَ مكارم صَوَّحَتْ ، وصحيفةَ محاسنَ دَرَسَتْ وامتحت .
وما اقتصرتُ من رسمِ التعزية المألوفِ ، على القليلِ المحذوفِ . إلا لعلمي
بأن المعزِّي لا يوردُ عليكَ غريباً ، ولا يُسَمِّعُكَ من موعظةٍ عجيبةً . فبك
يَقْتَنِدِي اللبيبُ . وعلى مثاليكَ يَحْتَنِدِي الأديبُ ، وإلى غرضيكَ في كلِّ
موطنٍ يَرْمِي المصيبُ ، وفي تجافي الأقدارِ عن حَوَائِكِ . وسقوطِها
دونَ فِئائِكَ ، ما يدعو إلى حُسْنِ العزاءِ ، ويهونُ جلائلَ الأرزاءِ . لا
صَدَّعَ الله جَمْعُكَ ، ولا قَرَعَ بنبأِ المكروه سمعك ، بعزَّةٍ .

وله من أخرى في مثله : وردني — أعزَّكَ الله ، وأشعرك الصبرَ لما قضاه
— خطابُكَ الخطيرُ ، فاستقبلني أوَّلُهُ بشريٍّ وسيم . وبرُّ جسيم . وتلقائي
آخره بوجهٍ شتيم ، ورزءٍ أليم . فيا قُرْبَ ما انصرفْتُ عن نهجِ الاستبشارِ ،
إلى سَمَتِ الاعتبارِ والاستعبارِ ، وانقلبتُ من مطالعةِ صفحةِ العَهْدِ
الواضحة ، إلى ملاحظةِ صورةِ الوجدِ الكالحة ، فما وقعَ سانحُ البشريِّ .
حتى أطاره بارحُ المنعَى ولا افترَّ ثَغَرُ النُعْمَى ، حتى اكفهرَ وَجْهُ البوسى ،
بما ختمتَ به الكتابَ الكريمَ ، وكان أحقُّ بالتقديمِ ، من ذكرِ وفاةِ الحبيبِ
الأديبِ ، أخيك ، ومحلِّ صِنوِي ، كان — رحمه الله ، وأحفاهُ رضاه —
فيا له رزءاً ، حَمَلَنِي عبثاً ، ومصاباً ، جرَّعَنِي صاباً ، وعند الله أحتسبه
جُمْلَةً عَفايَ ، وبقيَّةَ أَشْرافِ .

ومما أوقدَ لوعتي ، وأكدَ روعتي ، أنْ دَرَجَ وللشبابِ عليه سرُّبال .

وللأمل في تراخي مدته مجال ، فاعتباطُ النفوس أفجع^١ ، وبَغَتْ المقادير
أوجع^٢ وأشنع ، وهي الآجال : فعمَّرتُ إلى أقصاها ، ومختصر^٣ دون مداها ،
ولا يزال المؤجلُ تُتَحَيَّفُ نواحيه ، وتختطفُ أَدَانِيهِ ، ويُفَجَّعُ بأحبابه ،
ويُرْوَعُ بأتْرابه ، حتى يكونَ هو للغرضِ المصائبِ ، والمحلُّ المتئابِ ،
والسوادِ المخترمِ ، والخيالِ المستقدم . فمن تصوَّرَ الدنيا تصوَّرَكَ ، وأوسعها
تدبَّرَكَ ، لم يرْعُهْ هاجمُ كربٍ وإنْ كَلَّحَ وجلح ، ولا هزْهٌ واقعٌ
خطبٍ وإن طمح وجمع ، ولعلمي بمضاءِ جَنَانِكَ ، على مصادرةِ زمانِكَ ،
واتساعِ صدرك ، لمضايقةِ دهرِكَ ، سلكتُ في التعزيةِ مسلكَ التخفيفِ ،
واقصرتُ من معاني التسليةِ على السيرِ اللطيفِ ، ولو شهدتُ لحملتُ عنكَ
بعضَ الأتراحِ ، وشاركتُ في زيارةِ الغدوِّ والرواحِ ، والله يعوضُكَ العزاءَ
الجميلَ ، ويُضَفِّي على ساقتهِ^٤ - جبرها الله - ظِلَّكَ الظليلَ ، ويديمَ
إمتاعَكَ بمن بقيَ معكَ من أخٍ كريمٍ ، وقريبٍ حميمٍ ، بعزَّة .

وله من أخرى في مثله : مِحَنُ الدنيا - وَسَّعَ الله لاحتماها ذَرَعَكَ ،
وَأُنْسَ فِي إِيحاشها رَبْعَكَ - ضروب ، ولسانُ العيْبِ بها خطيب ، ونوائبها
أطوار وفنون ، ومصائبها أبكار وعُؤنٌ ، والمرءُ غَرَضٌ لأخْيَافِ سهامها .
ومعرضٌ لاختلافِ أحكامها ، فان أخطأ منها صائبُ الحمام ، ونخطأه
وائبُ الاخترام ، رَشَقَتَهُ بنبْلِ أرزائها ، وطرقَتَهُ بِمِعْضَلِ أدوائها ،

١ م س د ط : أجمع .

٢ د ط : أشنع ، س : أشنع وأوجع .

٣ ط م د س : ومختصر .

٤ الساقة : مؤخرة الجيش ، والمقصود هنا - فيما يبدو - من خلفهم الفقيده بعد موته من
أبناء يحتاجون إلى رعاية . وانظر ما تقدم ص ١٢٠ .

وَعَرَفْتَهُ بِعَصْلِ أَنْبَاهَا ، وَأَشْرَفْتَهُ بِمِرْ شَرَاهَا ، وَأَوْدَعْتَهُ مِنْ صَنُوفِ
التَّصَارِيفِ أَلَاماً^١ وَأَوْصَاباً ، وَجَرَّعْتَهُ مِنْ فِرَاقِ الْأَحِبَّةِ صَبْرًا وَصَابًا ، فَمِنْ
فَهْمٍ مَعَانِي صُرُوفَهَا فَهَشْتُكَ^٢ ، وَعَجِمَ عُدَّةَ خَطُوبِهَا^٣ عَجْمُكَ^٤ ، لَمْ
يَتَضَمَّعْ مِنْهُ لَصْدَمَتِهَا^٥ جَلْدٌ ، وَلَا تَرَوَّعَ لَهُ عِنْدَ ظَلَمَتِهَا خَلْدٌ ، وَلَا
شَقَّتْ لِيَصْبِرُهُ فِي مَاتِمِهَا^٦ جُيُوبٌ ، وَلَا طَارَ بِقَلْبِهِ فِي مَلَا حِمَاهَا وَجِيبٌ ، بَلْ
وَجَدْتُهُ مُشْتَبِعًا الْجَنَانَ ، ثَابِتَ الْأَرْكَانِ ، مُتَهَلِّلِ الْجَبِينِ ، مُشْرِقَ الْيَقِينِ ، مُتَسَّعِ
الْجَوَانِبِ ، لِرُحَامِ النُّوَابِ ، مُسْتَقِلَّ الْكَاهِلِ ، بِأَعْيَامِ النُّوَازِلِ .

فَلَمَّا نَفَلَ الْقَدْرُ بِوَفَاةٍ مِنْ كُنْتَ تَأْنِسُ^١ بِحَيَاتِهَا ، وَتَتِيمَنُّ عَلَى الْقُرْبِ
وَالْبَعْدِ بَيْنَ صِلَاتِهَا وَصِلَاتِهَا ، وَتَضَاعَفَ الْوَجْدُ بِمَا افْتَرَقَ مِنْ فِرْقَةِ الْمُنُونِ ،
وَحِرْقَةِ [٦٢ ب] النَّوَى الشَّطُونِ ، وَانْتَضَمَ مِنْ شَحْطِ الْمَزَارِ ، وَنَفُوذِ حَتْمِ
الْمَقْدَارِ ، فَفِي تَجَلُّدِكَ لِنَحَامِلِ الْخَطْبِينَ مُحْتَمِلٌ ، وَلِنَصْبُرِكَ فِي سَوْمِ الْخَطِطَيْنِ
تَصَرُّفٌ وَعَمَلٌ ، وَبِحَسِيمِ عَظِيمِ الْمَصَابِ ، وَكِرَمِ الْإِحْسَابِ ، يَكُونُ حُسْنُ
الثَّوَابِ ، وَيُحْمَنُ الْمَأْتَبُ ، فَلِلرَّزَايَا قِيمٌ وَأَثْمَانٌ ، وَلِلْحَسَنَاتِ فِي مُوَازِنَتِهَا^٢
خُفُوفٌ وَرَجْحَانٌ ، فَلَا تَمَكُّنُ مِنْ يَدِ الْجَزَعِ مَقَادَكَ^٣ ، وَلَا تُسْكِنُ
زُفْرَةَ الْأَسَفِ فُؤَادَكَ^٤ ، وَاعْتَصِمْ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى بِعِزَّةِ الصَّبْرِ

١ ط س . آمالاً .

٢ م : خطبها .

٣ م ط س : لصدمةها .

٤ م : لغيرة فئامها ، س . ماتمها .

٥ الشيخ : الشجاع لأن قلبه لا يخذله .

٦ راد في ط د : به .

٧ ط م س : موازنتها .

الوثقى ، وتجنَّب ما يقدحُ في كَرَمِ النَّصَابِ ، ويقبح عند ذوي الألباب ،
واحسب فقيدتك - قدَّس الله روحها ، وأنس ضريحها - حديقة أنس ،
نُقِلَتْ إلى جَنَّةِ قدس ، وذخيرة إيمان ، ضُمَّنْتَ أكرمَ صِوانٍ ، ولا
تذهبُ نَفْسُكَ حَسراتٍ ، ولا يتدارك نَفْسُكَ زفرياتٍ :

فقد فارق الناسُ الأَحَبَّةَ قبلنا وأعيا دواءُ الموتِ كلَّ طبيبٍ ١

وإذا كنا أهدافَ المنايا ، وأخلافَ الرزايا ، وأبناءَ الأحلام ، وأنداء
الغمام ، فأَيُّ معنى في الجزع على مَنْ فَرَطَ ، والتوجع لمن شَحَطَ ،
ونحن عن قريبٍ نقدمُ على من تقدَّم ونلحق بمن سبق .

وهذه جملة من شعره .

خاطبه بعض الأدباء والشعراء بنظم ونثر ، فراجعه بقوله من جملة
أبيات ٢ :

لئن راق مرأى ٣ للحصانِ ومسمعُ لَحَسَنَّاؤِكَ القراءُ أبهى وأمتعُ
عروسُ جلاها مطلعُ الفكرِ فأنثتُ إليها النجوم الزاهرات تَطَلَّعُ
زففتَ بها بكرًا تَارَجَ طيبها وما طيبها إلاَّ الثناء المضوَّع

.....

١ البيت المتي ، ديوانه ٣١٥٠ .

٢ انظر القلائد . ١١١ والحريدة ٣ - ٣٩٤ - ٣٩٥ والمطرب . ١٩٠ .

٣ ط م معى .

٤ القلائد والحريدة تصوع .

لها من طرازِ الحُسْنِ وشي مهلهل^١
تبغيت منها متعة اللحظ فانزوت
لئن لم تجدْ نقداً لمثلي عاجلاً
فلونك ذاك الحكمَ منها فأنه
ولي همة لو طاول الدهر حُكْمُها

ومن صيغة الاحسان تاج مرصع
وقالت أدون المهر يُبغى تمتع
فما لكم عن قيمة البضع مترع
نضاء لعمرى عادل ليس يُدفع
لكنك بفتوى الجود في ذاك أقطع

ونخاطبه أيضاً بعض أدباء العصر بشعر ، فراجع به بقوله^٢ :

سلام كعَرَفِ المسكِ أوعَبَقِ الندى
سلام كأنفاسِ الأجنةِ موهناً
سلام كلما ضحى الغزالة بالضحى
على من تحدّأني بمعجز شعره
غزائي^٣ من حوكِ اللسانِ بلأمة
دلاصٍ من النظمِ البديعِ حصينة
عليها من الإحسانِ والحُسْنِ روثق
وفيها على الطبعِ الكريمِ دلالة
إذا خفَّ منها جانبُ الهزلِ كَفَّةً
أبا عامرٍ لا زال رَبْعُكَ عامراً

على مَنْ غدا بالفضلِ قدّأ بلا نيد^٤
سَرَتْ بشذاها العنبري صَبّاً نَجِد
إلى الروضة الغناء غبّ الحيا العيد^٥
فأعجز أدنى عَفْوِهِ متهى جهدي^٦
مضاعفةِ التآليفِ مُحْكَمَةِ السَّرْدِ
تردُّ سنانِ النقدِ مُنْثَلَمِ الحدِّ^٧
كما ديسَ مِثْنُ السيفِ من صدأ الغمد
كما افترَّ ضوءُ السَّقَطِ من كرم الزند
ووقرَ من أعطافِهِ ثِقْلُ الحدِّ^٨
بوفدِ الثناء الحرِّ والسؤدد الرغد

١ د والقلائد والخريدة والمطرب : مهلل .

٢ انظر القلائد : ١١١ والخريدة ٣ : ٣٩٥ .

٣ د م س وأصل ط : جدي .

٤ الخريدة : حبابي .

لقد سُمِّتِي فِي حَوْمَةِ الْقَوْلِ خُطَّةً
 زَفَفْتَ هَدِيّاً مِنْ ثَنَائِكَ حُرَّةً
 عَقِيلَةً مَجْدٍ أَتْلَعُ الْفَخْرَ جِيدَهَا
 وَكَلَّفْتَنِي أَنْ أُسْتَقِلَّ بِحَقِّهَا
 فَلَمْ أَرَ بَرّاً أَرْضِيهِ لِقَدْرَهَا
 فَعُذِرْتُ فَمَا عَذْرِي بِمُحْتَجِبِ السَّنَا
 فَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَحْجَمْتُ عَنْكَ مَقْصِراً
 وَلَفَفْتُ لَهَا رَأْسِي حِيَامَ الْمَجْدِ^١ [١٦٣]
 يَقْصُرُ مَلِكُ الْأَرْضِ عَنْ مَهْرَهَا عِنْدِي
 فَأَغْنَاهُ ذَلِكَ الْحَلْتِي عَنْ حِلْيَةِ الْعَقْدِ
 وَهِيَهَاتُ مِنْ إِدْرَاكِ أَيْسَرِهِ وَحَدِي
 سِوَى الْوَدِّ مَحْمُولاً عَلَى كَاهِلِ الْحَمْدِ
 وَلَا وَجْهَهُ عِنْدَ الْجَلَاءِ بِمُسْوَدِّ
 فَلَا غُرُورَ فِي الْإِحْجَامِ عَنْ أَسَدٍ وَرَدِ

وكتب إليه أيضاً الأديب أبو عامر الذي ذكره بشعر أوله :

أَعِدْهَا عَلَيْنَا أَيُّهَا النَّدْسُ الْحَبِيرُ
 هَدِيَّ قَوَافِ مِسْكَ صَفَحَتِهَا الْخَبِيرُ

فأجابه الوزير أبو القاسم بقوله^٢ :

أَمَا وَنَسِيمِ الرُّوضِ طَابَ بِهِ فَجْرُ
 تَجَافَى^٥ لَهُ عَنْ سِرِّهِ زَهْرُ الرَّبِيِّ
 وَهَبَّ لَهُ مِنْ كُلِّ زَاهِرَةٍ نَشْرُ
 وَلَمْ يَدِرْ أَنَّ السَّرَّ فِي طَيْهِ جَهْرُ
 نَمَائِمُ لَمْ يَعْلَقْ بِحَامِلِهَا وَزُرُ
 فَبَيَّ كُلِّ سَهْبٍ^٧ مِنْ أَحَادِيثِ طَبِيبِ

١ مضمّن من شعر أبي تمام ، وصدر البيت ، أتاني مع الركبان ظن ظننته (ديوان أبي تمام ٢ :

١١٥) ، وعند هذا البيت ينتهي ما ورد من القصيدة في القلائد والخريدة .

٢ د . المجد .

٣ القلائد : ١١٢ والخريدة : ٣ : ٢٩٦ والمغرب : ١ : ٣٤١ والمطرب : ١٩٠ .

٤ المطرب : طاب له نشر .

٥ المغرب والقلائد والخريدة : تجافى ، المطرب : يحامى .

٦ المغرب والقلائد والخريدة والمطرب : نشر .

٧ المطرب : سر .

لقد ففمعتني من ثنائك نفحة
تضوَع منها العنبرُ الوردُ^١ فانشنت
سرى الكبرُ في نفسي بها ولربما
وشيب^٢ بها معنى من الراح مطربُ
أبا عامرٍ أنصف أخاك فإنه
أمثلك يبغي في سمائي كوكباً
ويلتمسُ الحصاء في ثغيب^٣ الخصى
عجبت لمن يهوى من الصفرِ ثومة
تطلببتها مردودةً اللحظِ برزة
هي الثيبُ استعصت عليّ وإنما
فدونكها عذراء لم يعد وجهها
بدلت لها نقداً من الدرّ غالياً
وإني لصبّ بالتلاقي وإنما
أذوبُ حياءً من زيارة صاحبِ
قوله : « ففي كل سهب من أحاديث طيبه » كقول أبي المغيرة ابن حزم^٤ :

- ١ المطرب : النند .
- ٢ المطرب : صرامتي ؛ المغرب . ضرائبها
- ٣ ط : وشنت ، د : وشمت ؛ م والقلائد والخريدة : وشبت . . . مطرباً
- ٤ الثغيب : ما بقي من الماء في بطن الوادي ؛ المطرب والقلائد والخريدة : ثغيب .
- ٥ هذا البيت نهاية القصيدة في المصادر المذكورة .
- ٦ ط م س : ولا .
- ٧ القسم الأول : ١٧٩ .

وَرَرْتُ بِالْحَظِّ تَدِيرُ كَوْوَسَمَا فِينَا فَتَشْرِبُهَا حَلَالًا مَسْكِرَا

وقوله : « أمثلك يبغي » ... البيت ، كقول الآخر ^١ :

أَعْنَدُكَ الشَّمْسُ تُسْرِي فِي مَطَالِعِهَا وَأَنْتَ مُشْتَغِلُ الْإِلْحَاطِ^٢ بِالْقَمَرِ [٦٣ب]

وَأَرَاهُ عَكَّسَ قَوْلَ حَبِيب ^٣ :

إِذَا الشَّمْسُ لَمْ تَغْرُبْ^٤ فَلَا طَلَعَ الْبَدْرُ

وقال أبو الطيب ^٥ :

خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ بِهِ فِي طَلْعَةِ الشَّمْسِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلٍ

انتهى ما أثبتته من كلام الوزير أبي القاسم ، وهو أبهى من النجوم وأبهى ،
وأسرى من النسيم وأسير ، وكنتُ جديراً باستقصاء أخباره ، وحميد آثاره ،
لا سيما ومزاره كُتِبَ ، وبينني وبينه من ذمام الأدب ، والتزام الطلب ،
سبب ونسب ، ولكنَّ النوائب زاحمت ضمايري . وَضَرَبَتْ وَجْهَ
خَوَاطِرِي ، فَمَا دَفَعُ إِلَيَّ عَفْوَاً تَلْقِيَتُهُ وَوَعَيْتُهُ ، وَمَا كَانَتْ فِيهِ أَدْنَى كَلْفَةٍ
رَجَوْتُهُ وَأَرْجِيْتُهُ ، وَلَا بَأْسَ مِنَ الزِّيَادَةِ إِنْ انْتَهَجْتُ سَبِيلَ ، وَلِلَّهِ نَظَرٌ جَمِيلٌ ،
وَفِيهِ مَطْمَعٌ وَتَأْمِيلٌ .

..

١ هو أبو تمام ، ديوانه ٤ : ٤٦٤

٢ الديوان : الاحشاء .

٣ ديوان أبي تمام ٤ : ٥٦٨ وصدر البيت : « وقالت أنتسى البدر قات تجلداً » .

٤ د . تشرق .

٥ ديوان المتنبي : ٣٣٠ .

فصل في ذكر ذي الوزارين الكاتب أبي القاسم

محمد بن عبد الغفور^١ صاحب المعتمد^٢

وكانا قبل تمكن السلطان ، رضيي لبان ، أمهما الكأس ، وفرسي^٣
رهان ، ميدانها الأنس^٤ ، فلما أفضى الأمر إليه ، وأديرت رحي التدبير
عليه ، أراحه تِلاعه^٥ ، وعَصَبَ به خِلاقته وإجماعه . وتوفي ذو الوزارتين
في عنفوان شباب ذلك الملك ، وهو منه بمكان الواسطة من السلك ، فقال
المعتمد فيه من جملة أبيات يرثيه^٦ :

أبا قاسم قد كنتَ دنيا صحبتُها قليلاً ، كذا الدنيا قليلٌ متاهُها

وقد وجدتُ لأبي القاسم شعراً إن لا يكن شديدَ المتن ، أزور الركن ،
فإنه مليحُ الاطراد^٧ ، سَلِسُ القياد^٨ ، يقربُ من متناوله ، ويدلُّ^٩
على قائله ، ولم يقعْ إليَّ وقتَ تحريري هذه النسخة شيء من نشره ، وفيما

١ له ترجمة في المطمح ٢٩٠ والمغرب ١ : ٢٣٦ والخريدة ٣ : ٤٣٧ والنفع ٣ : ٥٥٢
(نقلا عن المطمح) . وهو جد صاحب «إحكام صنعة الكلام» (تحقيق د. رضوان الداية،
بيروت) .

٢ قد أشار صاحب إحكام صنعة الكلام الى جانب من هذه العلاقة (ص ١٩٧) وأورد بلبه
بيتين طيرهما للمعتمد حين كان المعتمد ما يزال يلقب بالطاهر ، وهما :

ظفرت بالأعداء يا طاهر ونلت مجداً نوره باهر
فمنك للبايع والمبني عصب جراز وندي غامر

فلك المعتمد المعنى .

٣ انظر إحكام صنعة الكلام : ١٩٨ .

أثبت هنا من مقطوعات شعره ، شاهد صادق على ما أجريت من ذكره .

فمن شعره يخاطب أحد أعبان بني الدب^١ :

يا وزيراً تنو له الوزراءُ	ضاق ذُرْعِي وبانَ مني العزاءُ
أمنَ الحقّ أن أكونَ سقيماً	لستُ أرجى وفي يدك الشفاءُ
يا كبيرِ وسيدي وظهيري	كُنْ نصيري على أناسٍ أساعوا
قد توقفتُ في الشهادةِ حتى	حرّمَ اليأسُ ما أحلّ الرجاءُ
ولقد تعلّمتُ مخضّ ودادي	وثنائي ، وقلّ فيك الثناءُ
ولكم سائلٍ أطالَ سؤالي	هل على الأرض منّ لديه وفاءُ
فجعلتُ الجوابَ منه مقالي	ليس يخفّي على العيونِ ذُكاءُ
إن جهلتُ الوفاءَ في أهلِ حمصٍ	فبنو الدبّ سادةٌ زعماءُ
فيهمُ عفةٌ وفيهم وفاءٌ	ولهم ذمةٌ وفيهم حياءُ
وزراءُ أكابرٌ كرماءُ	علماءُ أفاضلٌ حلماءُ
أيُّ قومٍ وأيُّ أعلامٍ مجدٍ	أنجبتهم إلى العلا آباءُ
يفخر الدهرُ منهمُ بأناسٍ	ليس إلا لهم يدٌ بيضاء [١٦٤]
منّ يجارِ الوزيرَ أعني أبا مر	وانّ في الفضلِ طال منه العناءُ
من يجاريه في متاعةِ دينٍ	وعليه من الحياءِ رداءُ
أورثَ المجدَ والمكارمَ نجلاً	منه هامتْ بمثلهِ العليا

١ هذا المخاطب هو الوزير أبو مروان ابن الدب كانت له منية بعدوة اشيلية ، وكان صهره هو الوزير الفقيه أبو أيوب ابن أبي أمية (انظر المطمح : ٢٨ - ٢٩ والنسخ ٣ : ٥٥٠) .

فَاتَ أَهْلَ الزَّمانِ فَضلاً ومَجداً وذِكاءاً وأَينَ مِنْهُ الذِّكاءُ
 المَعياً مَهذباً لوذِعيّاً للمروعاتِ في يَدِيه لواءُ
 وإذا ما اعترى لأَكرَمِ خالٍ وقَفَ . الفضلُ عِنْدَهُ والسَّناءُ
 ولَعمرُ العَلا وسُمرُ العَوالِي إِنَّهُ خَيرُ مَنْ تُظِلُّ السَّماءُ
 يا عَمادي وَمَنْ عَلَيهِ اعتمادي عَشْرُ كَما شِئتَ مُدْرِكاً ما تَشاءُ
 ولئنَ كانَتِ النُّفوسُ فِدايَ إنْ نَفسي لَمُثلَكمُ لَفِداءُ

في ذكر الوزير الكاتب أبي محمد عبد الغفور^٢ ،

ابن ذي الوزارتين أبي القاسم المذكور ،

واجتلاب قطع من شعره ، ولع من ثره

وأبو محمد هذا في وقتنا عارض^١ إذا همع استوشلت البحار ، ونجم^٢
 إذا طلع تضاءلت الشمس والأقمار ، وهو أحد^٣ من آوى من الحسب
 باشبيلية إلى ثبج عظيم^٤ ، ومشى من الأدب على منتهج قويم ، سابق^٥

١ م : العليل ومن .

٢ قال صاحب المغرب (١ : ٢٣٦) « ذكره الحجاوي فقال : قطع الله لسان الفتح صاحب القلائد ، فانه شرع في ذمه ، بما ليس هو من أهله ، والله ما أبصرت عيني شخصاً أحق بفضله منه . . . » ومما قاله الفتح فيه (القلائد : ٦٠) : فانه يادي الموج ، وعمر المنهج ، له ألفاظ متعقدة ، وأغراض غير متوقدة . . . وربما ندرت في ثره ألفاظ سهلة الغرض ، مستنبلة الغرض ، وهذا الذي يقوله ابن خاقان ذو حظ كبير من الحقيقة ، ويتبين ذلك من قراءة رسائله فان الغموض - بسبب التقعر - يرين على صفحاتها ؛ وانظر أيضاً في ترجمته : الحريدة ٣ : ٤٢٩ ونقل عن اليسع قوله إن ابن عبد الغفور كان كاتباً بمراكش سنة ٥٣١ .

٣ ونجم . . . عظيم : سقط من م س .

لا يُنْسَحُ وجهه إلا بهيادبِ الغيوم ، وصارمٌ لا يحلى غمده إلا بأفراد
النجوم ، وكان نشأ بين يدي أبيه من دولة المعتمد ، بحيث يفى عليه ظلالها ،
ويتشوفُ إليه قبولها وإقبالها ، وانشقت تلك السماء قبل أن ينوب متاب
سلفه في سرُجها ، ويحل بيت شرفه من أبرجها ، والله هو ، فلئن كان
نبا به الأوان ، وضاق عنه السلطان ، فلقد نهض به جنانٌ يتدفقُ بالغرائب ،
ولسانٌ يقري شتبا النوائب ، وإحسانٌ يملأ أفاصي المشرق والمغرب .
وقد أخرجت من غرائب نظمته ونثره ما يُخجلُ الحدود ، ويعطلُ
السوالف الغيد .

فصول من كلامه في أوصاف شتى

له من رقعة خاطب بها بعض أهل عصره ، وافتتحها بهذين البيتين^١ :

لولا عدى غاظوا الصديقَ قَينَ بينهم عني الكتابَه
لم أوذِ سَمْعَكَ بالهَرَا ولا انحرفتُ عن المهابه

لعمرى - وإن كان نفى^٢ منفيًا ، وتفرع^٣ صديقًا حفيًا - لرب
أعجمَ ضَجِيرَ فأفصحَ ، وأجدمَ عُبْرَ فقدحَ ؛ وإن لم يُستألفًا بعدَ

١ وردت الرسالة في العطاء الجزيل ٣٢ .

٢ د . وان كان لعمرى بقي .

٣ ط م : وتفرع .

٤ د : غير ، ط م س : عمر

الإفصاح . وما شقّ^١ من كلُّفة^١ التحاملِ في الاقتداح ، لم يؤمّنّا على ذكرِ
 ميت . وإحراقِ بيت ؛ فله من احتال لتخلصه^٢ ، ولم يُعجّبْ بتخصّصه ،
 ودفع بيد جلدِه . في صدر حُسّده . وفي هذه الحملة بلاغٌ لو ارتضيتُ^٣
 بها مُتَنَقِّصاً . ولم يرني^٤ بالاختصار عليها^٥ متخرّصاً ، في الكتابة متلصصاً ،
 إذ لعلّه ممّن يظنّ الإيجازَ حصّراً وانقطاعاً ، ولا يعتدّ الإجادة مع الاسهاب
 شيئاً موجوداً ولا مستطاعاً . لا جرمَ أنّي بحكمِ هذه التقيّة ساطيل قصصاً ،
 وأتطلبُ فيما لم يطرُق من القولِ قنصاً ، ليعلمَ من نافٍ^٦ ، ومن جلف
 حافٍ . بل من نزرٍ حقيرٍ خافٍ ، أتّي من كتابٍ وقته ، وإن رَغِمَ أنْفُ
 مَقْتَبِه ، والله ما عرفتهُ إلى اليوم ، ولعلي سأعثر عليه في النوم ،
 فأعرفه : مِين^٧ أرعَنَ ناقصِ الوزنِ والصرف فأصرفه ، بسمه من الهونِ
 تشغله بنفسه ، وتخلّجه^٧ في رَمْسِه ، والله يفنيه ، [٦٤ ب] ولا
 يعرفنيه ، وينزّه^٨ عن شخصه الوَضِيرِ الدَّنِيسِ عائرَ سهامِي ، ومن عِرْضِه
 القذِرِ النجسِ طاهرَ كلامِي .

وكأنّي بفارس هذه الصناعة ، ومالك أزمّة البلاغة والبراعة ، قد
 سمع هذري ، وضحك من ضجري ، وعجّب كريمة ودّه ،

.....

١ العطاء الجريل . كلمة .

٢ د : بتخلصه .

٣ العطاء الجريل . أرضيت .

٤ م : قرني .

٥ العطاء الجريل عليه .

٦ أي الذي نفى عنه القدرة على الكتابة .

٧ م : وتحبه .

وعقيلة عهده ، من مخاطب ، يستخف^١ مخاطب ، في ليل من الجهل
 حاطب ، لم يأت خيطبت^٢ها من بابها ، ولا رفق في طيلابها ، وهيهات لمرتقب
 الشعري ، من ملايسة الكرى ، ولمثل أمني في ذلك السماء ، من تقصير في
 الاحتفاء ، ولكن صدر التحبير ، بما يشتمل على الضمير ، فمضى سمح
 لغيره بمكانه ، فقد صُرم فجاء قبل أوانه ، وكلّف نضجاً ولات حين
 إبان^٣ه ، وسأمرها من جميل الثناء متراً تشمت زهراً ، وتختمه نجوماً
 زهراً ، وترده كوثراً ، ونحمده عينا وأثراً ، ونحمل^٣ من بهائه تاجاً
 تنعش الشمس لضياؤه ، وتفرق في لجة لألائه ، فيكون بدءاً من المهور ،
 ويفخر دهره على سائر الدهور ، بمقتضى ما التزمت شروط الوفاء فيه ،
 وحرمت من غدر بني الأيام صيحة مبانيه ، ولو اكتفيت بما مضى عليه
 سلفنا الكريم ، وتبت ولم ترم مركزها منه أعظمهم البالية الرميم ، من
 صفاء ود^٣ يعدي الجار فضلاً عن البنين ، ووفاء عقد يشي النار عن أن تحرق
 بالطبع أو بالماسة عدد سنين ، أحرزت من الفضل نصاباً تجب فيه الزكاة ،
 وحوت من الفصل قصاباً لا تتركها الكفأة ، ولا تبلغها العفاة ، على أنه
 لا شيء أغرب من عقل يمتار مما في يديه ، ولا يحتاج إلى صدقة عليه ، ولا
 من فضل يتجاوز غلوة سهم ، فضلاً عن غاية شهم .

وكنت قد استغنيت بما أصّلوا ، ولم أقطع بهذا الاستئناف ما وصلوا ،
 إلا أني وجدت نسب أدبه قد كل^٣ ، ورسم سبه قد اضمحل^٣ ، والكلالة^٣

.....

١ المطاء الجزيل : من مخاطب سخف .

٢ ط م د س : لإياه .

٣ المطاء الجزيل : وتجميل .

في الآداب ، أمس^١ منها في الأنساب ، فاعتمدت بهذه النأمة سداد خلل ،
وعماره طلل ، وشائع مجده كان أولى بهذه الرتبة من التهمم ، وأهدى
إلى سنن الفضل والتكرم ، إذ كان أفسح^٢ في القول طلقاً ، وأحسن في
در^٣ كلمه العذب سرداً ونسقاً ، فكيف تزل لي عن صهوة الانتداء ،
وتوفر^٤ علي^٥ خطة الاقتداء ، هذا إذا قدرت ، وما أراها إلا كأختها قد تعدرت^٦ ،
ليس إلا لمكاني^٧ من الحرمان والحمول ، وكل^٨ عذر يدفع به في بحر هذا
الصدق فغير مقبول .

وقد حطبت^٩ وخطبت^{١٠} ، وسبت^{١١} بل ضربت ، وتكأبت^{١٢} حتى كتبت .
ولو خططت^{١٣} في صفحة البدر ، بأعلى العشر ، أو في غرة الشمس ، بالمهودة
الخمس ، وصغت^{١٤} لفظاً للرقعتين ، محاسن الحديدين ، لقليل رمى الغرض
فكاد ، ولو نسج على منوال فلان وفلان^{١٥} لأجاد ، وفلان^{١٦} إذا نقل الأقاويل
توسط ، وإذا رفيع إلى فطرته القطيرة تورط ، فان رأى أن يراجع بالقبول ،
وبما لديه من الرأي الحسن الجميل ، بشرط العلول عن التفريط المخجل ،
واللفظ المشترك المحتمل ، واعتقاد تجريبي في الصناعة بمجرد التبصير ، وتزيه
خطوه الوساع فيها عن معارضة خطوي القصير ، دل^{١٧} على موضعي^{١٨} من
إيثاره ، وطار اسمي الواقع بيمن جواره ، عَمَرَ الله رُبْعَهُ بالتأمل ،

... ..

١ المطاء الجزيل : أمصح .

٢ م : عدت .

٣ المطاء الجزيل : بمكاني .

٤ المطاء الجزيل : أو فلان .

٥ المطاء الجزيل : ولي على موضوعين

وَسَمِعَهُ بِالْكَرِيمِ وَالتَّجِيلِ ، وَصَدَأُ ١ هَذَا الزَّمَانِ مُعْنِدِ كُلِّ عَقْلٍ ، وَفِي مَا أَتَوَكَّفُ مِنْ جَوَابِ كَرِيمِ مِدْوَسٍ لِمَتَّهَامٍ وَصَقْلٍ ، وَأَزَالُ ٢ جَاهِلَ شَبَحِي ٣ لَمَّا عَلَيْهِ مِنَ الْأَقْدَاءِ ، حَتَّى أَجْتَلِي صُورَةَ حَقِيقَتِهِ فِي رَوْنَقِ الْجَلَاءِ ، وَحَبْلاً تَعْجِيلُهُ قَبْلَ اسْتِيلَاءِ ٤ الْعُجْبِ الْقَبِيحِ ، وَتَكَاتُفِ حُجُبِ الْغِيِّ ٥ عَلَى مَتْنِ الصَّفِيحِ ٦ ، فَيَعَزُّ صِقَالُهُ ٧ ، وَيُحَنِّزُ انْتِقَالَهُ ، فَرَأَيْتَكَ فِي ذَلِكَ مَسْدَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

فَتَخَلَّفَ الْمُخَاطَبُ ٧ عَنْ الْمَجَابَةِ ، فَأَعَادَ عَلَيْهِ ثَانِيَةً بِمُخَاطَبٍ قَالَ فِيهِ :
وَكُنْتُ أَعْتَقِدُ أَنَّهُ — أَعَزَّهُ اللَّهُ — بِجَوَابِهِ لَا يَبْخُلُ عَلَيَّ ، وَقَدْ بَسَطْتُ لِنَيْلِي بِهِ الْأَمَلَ بِيَدِي ، وَمَدَدْتُ لِاجْتِلَاءِ السَّرُورِ عَيْنِي ، وَحَتَّى الْآنَ فَلَمْ يَرْتَدَّ طَرَفِي الشَّيْقُ لِي ١ ، بَلْ قَبِدْتُ بِشَطُورٍ ، تَشَوُّفًا إِلَى بَهْجَةِ تِلْكَ السُّطُورِ ، فَمَا ظَنَنِي بِصَفْرِ الْيَدَيْنِ مِنَ الْأَمَلِ ، نَازِلًا إِلَى [٦٥ أ] أَحَدِ الشَّقِيَيْنِ كَالْمَخْتَبِلِ ، بَلْ مَا ظَنَنِي بِقَوْمٍ يُكْثِرُونَ عَنْهُ السُّؤَالَ ، وَيَضْرِبُونَ فِيهِ الْأَمْثَالَ ، يُوَدُّونَ لَوْ قَعَدَتْ تَحْتَ الرِّيْبَةِ مِنْ تَأَخُّرِ الْجَوَابِ ، وَأَطَاعَ دَاعِيَ الظَّنِّ فِي قَطْعِ رَحِيمِ الْأَدَابِ ، لَشَدَّ مَا قَدَحُوا زَنْدَ الْوَحْشَةِ فَصَادَفُوهُ — وَالْحَمْدُ لِلَّهِ — جِدًّا شَحَاحٍ ، وَأَوْكَبُوا لِنَارِ الْفُرْقَةِ فَلَمْ يَسْتَضِيْثُوا مِنْهَا بِمَصْبَاحٍ ، وَظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ

١ العطاء الجزيل : وصار

٢ د ولا زال ، م ط : ولا أزال .

٣ كذا يمكن أن تقرأ في العطاء الجزيل . وفي ط . يستحي .

٤ ط م د س : الاستيلاء .

٥ ط م د س : عن .

٦ ط س : الصفح .

٧ ط م س : المخاطبة .

وَرَدَ من جوابِ كريمٍ فكتمتهُ كَتَمَ الأرضِ ، ولم أهنُ لِنَافِلَةِ الشكرِ
عليه فضلاً عن القرضِ ، وهيهاتَ لوجهِ الصُّبْحِ المتبرِّجِ من كَتَمٍ ، ولنسيمِ
زهرةِ المتأرجِجِ من خَتَمٍ ؛ غيرُ كَلِمَةِ العذبِ ، بل لؤلؤهِ الرطبِ ، يجهلُ
للمحمولِ سُرَاهُ ، فلا يفضلُ عن سِرِّ الراحِ سناه ، ولا يحملُ مثقلاتِ الرياحِ
من طيبِ شذاه ، فليحيتنا منه بِقِطْفٍ يُجَنِّبُنَا ثَمَرَ السرورِ ، ويُعَفِّينَا من
وَصْمَةِ التَّصْصِيرِ بنا والقصورِ ، فما زلتُ — أراه الله ما تمنَّاهُ — أَكْرَمَ بني
الأيامِ عهداً ، وأحكمهمُ عهداً ، وأبعدهمُ من الآفاتِ ودأ ، وأحمدهم
قرباً حميداً وبُعْداً ، وأصعبهم على الزَّمانِ الغادرِ مَرَاماً ، وأشدَّهم أنفةً
وعراماً ، من أن ينقادَ طوعَ زمامه ، ويتصرفَ — وقد جئتُ خاطباً ودُّهُ في
تضريحِ أنفي بدمٍ — على أحكامه ، لا همَّ إلا أن يكونَ ذلكَ منه — صرفِ
اللهِ صروفِ الليالي والأيامِ عنه — سراً على ما عهده من تأخرِ كلمي ، وتشرُّ
قلمي ، واستعجامِ بناني ، وقيامِ ظلِّ البلادةِ دونَ إحساني ، فهل شَعَرَ أَنَّهُ
قد نَبَّلَ الناسُ ، وظهرَ النسناسُ ، وكَلَّمَ الرَّهْلُ الهَرَجَ ، وَسَيَّطَ غيرُ
ما شيءٍ فامتزجَ ! ولذلك ما أقدمَ بي قَدَمُ الإعجابِ ، واستؤذن لي على
دولةِ الكتابةِ بعد طولِ حجابِ ، فافتتحتُ مطالعةَ حضرته البهية ، أراني
بنيلِ هذه الرتبةِ العليةِ للنجمِ راكباً ، ولأسعدِ مواكباً ، وإن كنتُ متكاتباً
لا كاتباً^١ ، وقاعدأ حينَ تطاردَ فُرْسانُ الكتابةِ لا جائباً معهم ولا ذاهباً ، ما
ضرَّهُ لو قارضني على الجدةِ ولو هازلاً ، وسابقي إلى غايةِ الودِّ وأنا الراكِ
المنبتُ فيسبقُ مستريحاً نازلاً ، بل ما ضرَّهُ لو فتقَ لهاتي وقد
هَمَّتْ ، وسدَّ سَهامَ كلماتي وقد أَلَمَّتْ ، بمكنونِ الدَّرِّ ، من ألفاظه
الغَرِّ ، ومُخْجَلِ الزهرِ ، من حِكْمِهِ الزهرِ ، فيدني من ذي حرصٍ عليه

١ لا كاتباً . سقط في م س .

أَمَلَهُ ، وَيَبِيعُ جَدَلَهُ ، وَيَكُونُ جَمَالُهُ لِصَابِتِهِ لَهُ ؛ فَلَمْ حَرَمْنِي جَوَابَهُ ،
وَتَغَافَلَ عَنِّي وَقَدْ قَرَعْتُ يَدِي الثَّقَةَ بِأَبِهِ ، أَلَا سَلَّمَ لِلْأَيَّامِ ، فِي إِحَالَتِهَا طِبَاعَ
الْكَرَامِ ، وَأَنْشُدُ :

وَمَنْ صَحِيبَ الدُّنْيَا طَوِيلًا تَقَلَّبْتُ عَلَى عَيْنِهِ حَتَّى يَرَى صَدَقَهَا كَذِبًا^١

كَلَّا ، لَا أَسَلَّمَ لَهَا فِيهِ ، وَلَا أَوْجَدُهَا^٢ السَّبِيلَ إِلَى شَيْئٍ مُعَالِيهِ ، وَلَوْ
ضَاعَتْ هَذِهِ الثَّانِيَةُ ضَيَاعَ سَرَّاجٍ فِي شَمْسٍ ، وَلَقِيتُ مِنْ إِعْرَاضِهِ عَنْهَا مَا
لَقِيتُ أَخْتُهَا بِالْأَمْسِ ، فَلْيَصِلْ مَنْ وَصَلَهُ ، وَلْيَعْلَرْ فِي الْاِقْتِضَاءِ مَنْ
مَطْلَعُهُ ، وَلَوْ غَيْرُهُ عَامِلِي مِثْلَ هَذَا الْاِتِّزَافِ ، وَقَابِلِي بِأَيْسَرِ كَبِيرٍ وَجَفَاءٍ
لَنَظَرْتُ إِلَى كَلِمَةِ أَبِي الطَّيِّبِ^٣ :

لَا تَحْسِبُوا رَبَّنَا قَوْلَكُمْ وَلَا طَلَلَهُ أَوَّلَ حَيٍّ فِرَاقِكُمْ قَتَلَهُ
فَكُنْتُ أَقُولُ :

لَا تَحْسِبُوا قَوْلَكُمْ وَلَا عَمَمَهُ^٤ أَوَّلَ رَكْنٍ بِنَاصِلٍ هَدَمَهُ

وَرَبَّ كَاتِبٍ أَثَقَفَ مَبَانِي ، وَأَشْرَفَ أَبْيَاتِ مُعَانِي ؛ وَلَكِنَّهُ عَيْنِي الَّتِي
بِهَا أَبْصَرْتُ ، وَعَظْمُدي الَّتِي بِهَا أَنْتَصَرْتُ ، فَمَنْ ذَا الَّذِي يَعْتَمِدُ بِسُوءِ بَصَرِهِ ،

١ البيت للتبسي - ديوانه - ٢١٨

٢ س . أوجد لها

٣ ديوان التبسي - ٢٣٤ .

٤ س د ط عمله .

ويقلع^١ نابه^٢ حين يجني عليه أو ظفـره^٣ .

وله من رقعة : توفي الصبر فهششت لاقامة رسم الغزاء ، ثم تذكرت فتأخرت ، وأن نفسي - فناديته - عيـرتني ترك المقال ، قالت : أين ما ذخرت هذه الحال ؟ فقلت : أحسن الله عزاء من بكاه . وأرضى بقبض ذلك الظل من اشتكاه ، حتى يهدي إليه غفراناً ، يلحقه رضواناً ، ويحفه روحاً شهيداً وربحاناً ، ليعلم الهالك - رحمه الله - حيث تصفو العقول ، وتنسى الحساب السالفة واللحول ، أن الباقي بعده قد عطف على الأول <عطفا> ، وإلى ما يقربه إلى الله زلنفي ، فأهدي ستاً المغفرة ، إلى عظامه النخرة ، وكره الشحات ، ولم يحقد على من مات . وإن كانت العرب قد هجت قتلاها ، وشممت على مرّ الدهور بموت عيـداها . قال الحصين يهجو من قتله^٣ .

• [٦٥ ب] فلما علمت أنني قد قتلتها •

وقال غيره يـشمت :-

وان بقاء المرء بعد عـدوه ولو ساعة من عمره لكثير

١ م ط : ويقتلع ، والتاء غير معجمة .

٢ ط : نظمر ، وفوقها « كذا » .

٣ الحصين ر الحمام المري ، هو الذي يقول لما أكثر القتل في بني صرمة بن مرة وحلفائهم يوم دارة موضوع :

نعلق هاماً من رجال أمة علينا وهم كانوا أعتى وأظلماً

أما قوله « فلما علمت أنني قد قتلتها » فانه صدر بيت للقتال الكلابي ، وعجزه « ندمت عليه أي ساعة مدم » (ديوان القتال . ٨٩) .

وقال حبيب^١ :

يا أسد الموتِ تخلصتَه من بين لحبيّ أسدِ القاصرة^٢

وقال أبو الطيب^٣ :

قالوا لنا : ماتَ اسحقُ فقلت لهم : هذا الدواءُ الذي يشفي من الحمقِ

والله يعمّر السيد حتى يرثَ أولياءهُ وأعداءه ، ويقتضي على الأيام
علاءه وسناؤه ، فليس لهذه المدّة متهى ، ولا يبلغ منها مدى .

ومن أخرى : وإنما هو دأبُ فلكي ، وجريُّ سُلَيْكِي ، يتأكّدُ ويتّصل ،
وتتولّدُ أسبابهُ فلا تَقْنِي ولا تنفصل ، قال الأول^٤ :

فيوماً على سِرْبِ نقيّ جلوده ويوماً على بيدانةٍ أمّ تولبٍ^٥
• وتلك المني لو أننا نستطيعها^٦ •

وأنا أقول : فيوماً في سوقِ فليق ، ويوماً في طحنِ دقيق ، ويوماً أقتاتُ
فيه بسختٍ^٧ السويق ، ويوماً أقطّعهُ على الريق ، ويوماً في شهيقي ، ويوماً

١ ديوانه ٤ ٣٦٢٠ في هجاء عياش بن لهيعة .

٢ القاصرة : موضع على الطريق بين مكة ومصر .

٣ ديوان المتنبّي ٢٢١٠ .

٤ هو امرؤ القيس ، انظر ديوانه : ٤٩ .

٥ البيدانة : الاثنان اللّذان يمشيان في البرّ ولا تقرب الناس ، التولب : الولد الصغير .

٦ فيه إشارة إلى قول المحترّي : « مى النفس في أسماء لو تستطيعها » (الديوان : ١٢٩٦) .

٧ السخت والسختت : دقاق السويق ، ط د . بسخت : م س . بحث .

بالحامدة ويوماً بالسليق ، سبعة ألقاب ، لسبعة تأكل شلوة الأحقاب ،
تَسَعُ جميع الشهر ، وتجري كالروح في هذا الدهر ، فأنا ألم من السليم
بوجعه ، وأشغل بهذا الكد منه بأشجعه ، حتى آوي إلى عجوز . لنوبها
الترادفة مَنْ يجوز^١ ، آونة تَطْلُبُ بمبيت^٢ سور ، وآونة بينان جسور^٣ .
وما في إناء رزقها المكسور . مِنْ بِلالة سُور^٤ ، ولم يبقَ على هذا القياس
بعد مَقَرَّم الثُّغور والدروب ، إِلَّا أَنْ تُشَمَّرُ عن ساقٍ للحروب ، وإنما
عليهنَّ جرُّ الديول ، وعليها إجراء الخيول . فان رأى - أعزه الله - أن
يُعَفِّيهَا ويكفيها ، فلها أمثال^٥ ، في ربّات الحجال ، وفي ذوي اليسار من الرجال .
وقد تقدم أمرُ الأمير باعفاء النساء ، يمين فالقوادم فالخساء ، فما شأن هذه
المرأة تُخَصُّ بِالْغَرَامَةِ ، وتستثنى بهذه الحضرة من الكرامة ؟ أفتراها التي
دلَّت على ضيف لوط ، فَتُسَعِّطَ من قاتِلِ الظلم هذا السَّعُوطُ ؟ ! كلاً ولكنها
أمّ كاتب هذه الرقعة التي لو فُسِّرَتْ لفصحاء يونان ، لعضوا من حسرة
التقصير عنها البنان .

وله من أخرى : جُعِلْتُ فداك ، هل ظَنَرْتُ بمطلوبٍ يداك ؟ كلاً
ولكنك رأيتَ سراياً ، فحَسَبْتَهُ سُرايَاً ، وَغَرَّكَ دِمَاءُهُ ، نَحْتَهَا غَثَائَةٌ ،

...

١ ط د س . يجوز .

٢ م : مبيت .

٣ ط : بليقان جسور .

٤ سور : مخففة من سور أي بقية .

٥ د . امثال .

٦ من قول رهير (ديوانه : ٥٦) :

عفت من آل فاطمة الجواء يمين فالقوادم فالخساء

وسكون^١ ، لا يصلح إلى جانبه ركون^٢ ، وبحكم الرغبة والحرص ، كانت فراستك في ذلك اللص^٣ ، وإلا فصمت عبي^٤ ، لا يذهب على المعنى^٥ ، ودمع^٦ فاجر ، لا تروى منه المحاجر : وإذ قد نبا حدّ عتابك من قرع^٧ ذلك الحجر الصلد ، كما أعيأ قبل ذلك على ذي ميرة^٨ جلد^٩ ، فمن العناء^{١٠} معاناته^{١١} ، ومن الدناءة قرّبهُ ومدانته^{١٢} ، فاستشعر اليأس^{١٣} منه ، واصرف عينان^{١٤} التريب والعدل عنه ، فانما هو كذئب في ثلّة^{١٥} ، بأرض^{١٦} مدلّة^{١٧} ، في ليلة بعيدة مسافة^{١٨} الصباح ، قعيدة^{١٩} روعات^{٢٠} الصراخ والنباح ، يتملأ^{٢١} من دمائها ، ويهزأ هذا الخبيث^{٢٢} من ثغائها^{٢٣} ، بل هو أعق^{٢٤} من ضب^{٢٥} حرّيب^{٢٦} ، في جُحر^{٢٧} خرب^{٢٨} ، يخاف على حرشائه من الحرش^{٢٩} ، ولا يعتصم من أعدائه كعقرب^{٣٠} الحرش^{٣١} ، فهو إلى عقوقه^{٣٢} أنزق^{٣٣} من ذي خرق^{٣٤} ، وقع في حباله^{٣٥} ثم أبق^{٣٦} ، أحسن^{٣٧} الله فيه العزاء حباً ، وطوى بيد^{٣٨} السلو^{٣٩} لتهجي بشكايته طيباً ،

١ ط د قراع .

٢ م س . المعنى

٣ في النسخ : لمسافة .

٤ في النسخ : يتملاء .

٥ في النسخ : الحبيب .

٦ م : بكائها ؛ س . بقائها ؛ ط د . بقائها

٧ الحرشاء : النقبة من الحرب ، ولعلها « الحرشاء » أي الجلد ، الحرش . الحك والقشر ، والحرش أيضاً صيد الضب .

٨ د : بعقرب ؛ ط م س : لعقرب .

٩ الحرش : العض والخذش .

١٠ م : عقوبة .

١١ م : حباله أبق .

حتى أنساه ، ولا أعرفه حين أراه ، وفراستي في سواء أصدق من فار القُرسِ
في الصدق ، وأبصرُ في ظلمة الاشتباه من طالع الأفق .

وله من أخرى : وصل جوابك فشفي عيلاً ، وبرّد غليلاً ، ونسم من
رَوْحِ الظَّفَرِ بالأمل نَقَساً بليلاً ، وما كان لِشَرْبِ ودادِكَ العذبِ أن يستحيل
صاباً ، ولا لمحلِّ مجدك الموفي على الشهب أن ينحطَّ نِصاباً ، ولا لوفاء منك
رسا ثبيراً ، أن يذهب مع الرياح هباءً مستطيراً ، عَقْدَةُ ودِّكَ أَحْصَفُ ،
وحجابُ مجدك أضفى من أن يُسْتَرَقَّ وأكثف ، بقيت^١ لغمَاء تجليها ،
ونعماء توليها ، وعلياء تنافس فيها^٢ ، وإنْ أَتْبَعَ سيدي فَرَسَ البرِّ بي
لحامها ، وقرع عارضُ المِسرَّة تكاتفها والثامها ، فقد أمكن من الإحضار ،
وروى ظِماءَ آمالي بِمُنْهَلِ القِطارِ [١٦٦] .

وله من أخرى : من الأمور الشائعة ، والمعاني المتَّفَقَة الواقعة ، ما يُعَدَّلُ
له في الكتب عن قَصْدِ السبيل ، ويؤخَذُ في أساليب التطويل ، وشعاب التمثيل
أو التعليل ، فيقومُ عُدْرُ الكاتب ، وَيُرْجَى الفلاحُ للمكاتب ، كالرأي
المستحكم مني في جانبك - أعزك الله - دون سببِ أحكمه ، وأربِ قضى
لمّا عن فأبرمه ، ولكنْ فطرةً في الميلاد ، وحكمةً من خلاقِ العباد ،
خَقِيصَتُ عن أذهانٍ منّا حِدادٍ ، وَضُرِبَ بيننا وبين سرّها المكتومِ بسدِّ بل
بعدّةِ أسداد ، فمتّا - معشرَ الانسِ - من يجيب المارَّ الأجنبيّ لسلاميه ،
ويغضُّ البارَّ الحفيّ من أخواله وأعمامه ، وربما زاد سوءُ المقدار ، في

١ ط . نويت ؛ د : بقية ، وسقطت اللفظة من م س .

٢ ط : فيه .

ذميم هذا الاختيار ، فهجر أحدَ أبويه أو كليهما ، وقد علم أن^١ طَلَبَ الجنةِ تحت قدسيهما ، فَقَضَلَهُ النوعُ البهيميُّ بِقَفْوِ أثرِ مُرْضَعِهِ ، وقد غني عن رضاها ، وزاد على خطوة باعها ، وتبرأ منه الجنسُ الإنسيُّ بموجب عقله ، ومقتضى دليليُّ برهانه عن الله تعالى ونقله ، فلا هو من البشر في شُكْرِ المحسن إليه ، ولا من البقر في إلفِ القائمِ ولا من الشجر ، بل هو أفسى من الحجر ، ﴿وإنَّ منها لما يَشَقُّقُ فيُخْرِجُ منه الماءَ﴾ (البقرة : ٧٤) فيكون باذن الله مورداً ، وَتَلَطَّفُ منه الأجزاءُ فيكحل لثمداً .

وقد لعمرى مُنيتُ بهذا النوع من الولد ، وكملت به أُبْرَحَ كمد ، واشتغال نفسي بِقُسُوءِهِ ، بعد حُنُوِّهِ ، ويبعده بعد طول دنتوه ، مزج شكيتي ، بالبسط لأمنييتي ، حتى هرفتُ بما لم أَعْقِدْ عليه نيَّتي ، ولا قصدته في هذا المقام بِرِوَيْتِي : كالحارث : « اصبحوا الركبَ اغْبِقُوا الركبَ »^١ ، والحارثة : « زَوْجُونِي زَوْجُونِي »^٢ .

« إن اللسانَ على الفؤاد دليل »

والله^٣ يُحْسِنُ فيه العزاءَ حَيّاً ، ويطوي بيد السلو^٤ نهجي بهذه الشكاية طيئاً ، حتى أنساه ، ولا أعرفه حين أراه ، وفراستي في سواء ، أصدقُ من نار الفرس في الصدق ، وأبصرُ في ظلمة الاشتباه من طالع الأفق .

١ فيه إشارة إلى النمر بن تولب ، فقد كبر حتى خرف وأهتر فجعل يقول : اصبحوا الراكب الشعر والشعراء (٢٢٧ والخزانة ١ : ١٥٦) .

٢ منه أيضاً إشارة إلى قصة امرأة جعلت تردد هذا القول عندما خرفت وأهترت .

٣ من هنا حتى آخر هذا الفصل مكرر ، انظر ما سبق ص : ٣٣٦ - ٣٣٧ .

وفي فصل منها : وإذا اتفق من المشاكلة ما صدّرنا الكتاب به ، ومن المماثلة ما قد اختلفت نفوسنا بسببه - وهي كما قال عليه السلام : «أجنادٌ مجتدة» - فمن حقنا أن نألفَ ولا نختلفَ ، ونتعاونَ أعضاء وآراء ، وأقوالاً وأفعالاً ، ونطيب نفوساً ، ونستوي في حُسْن العشرة أقداماً ورؤوساً ، فنصرف على الأيام جمالَ أنبائها ، ونرتسم في جريدة وفائها ، ونسربل من الحمد لبُوساً ، ونقمع من استيلاء الدمّ معرة وبُوساً .

ومن أخرى : من طال - أعزك الله - أمد ارتياده ، ودوّم به جناح جِدّه واجتهاده ، في طلبِ كريمِ الأخلاق ، ثم قدّر له^١ به تلاقٍ ، فما أحراه وقد وجده ، أنْ يشدّ على عِلْقٍ منه يده ، حتى إذا اعتمد اختياره ، وأحمدَ في كلِّ الضرائب آثاره ، شدّ عليه بالعشْرِ ، وسجد له سجدة الشكر ، وصان منه بعدُ تيممة^٢ تاج ، وفارج رتاج ، فأسكنه في جَنِّ نَظيرِ كريم ، ورباً به عن جَنِّ مُتَّخَذٍ من الأديم .

وأنت حقيقةً ذلك العِلْقُ الشريف المشدود عليه ، ومجازاً شبه العصبِ المشرّفي^٣ المشار إليه ، مَنْ أَحْرَزَكَ أَغْنَيْتَهُ ، أو هَزَكَ شَقَيْتَهُ ، أو استكفأك خَطْباً مستليماً كَفَيْتَهُ ، ولتناهي ودادي فيك ، وتشيعي الشائع لمعاليك ، أقتصرُ معك على لقيةٍ في العام ، وأعتمدها في سَنَي الإنعام .

١ له : لم ترد في ط م .

٢ د . وصان منه بيمينه ؛ ط د : بعد تيممة ؛ س : تيممه ؛ وفوقها هكذا ؛ في النسخ .

٣ في النسخ : أشبه العصب المشرف .

٤ د : واعتقدها س .

وفي فصل منها: وإنما يثابر على عمارة ما غترس، ويترجّع في الإقامة على ما أسس، من استراب بجنب التربة التي احتلّها بغترسه، واختطّها لوقاية نفسه، وأما من أحمد ثراه، فقد طابت يقظته وكراه، على أن لقاء سيدي ومشافهته، ومحادثته ومفاكحته، كان أحبّ إليّ، وأمتع لمسمعي، وأجلب لقرة عيني، ولكنني مشغول بيومي، مدفوع إلى تقوية قومي: «أحارب خيلاً من فوارسها الدهر»^١ ولا عدّة إلا التجلّد والصبر

قد عدت أعرى من نواة، وكنت أكسى من قطاة، فإذا لقيت ذا هيئة خجلت خجل بخرء [٦٦ ب] اضطرت إلى سرار، وفوهاء همت بافترار، ووزير بل أمير دفع بعد ركوب الفاره إلى ركوب حمار.

ومن أخرى^٢: ربما كان من اللطاف ما لا سبب له، إلا تنفيق كتب كاسدة، وتسويق سيلع^٣ فاسدة، لأنّ المُلطّف أحوج بسوء عيشة إلى تقويم، أو غلظ قشرة إلى ترفيق أديم، ولا أن الشيء^٤ المهديّ يُسمن ولا يغني من جوع، فيمنع^٥ بالفرح له أو الترح عليه عينا^٦ من المجوع،

١ س م : تقوية .

٢ صدر بيت المتنبي، وعجره : « وحيداً وما قولي كذا ومعي الصبر » .

٣ وردت في العطاء الجزيل . ه وتكرر بعضها فيه ص ٩٧ .

٤ م ط س : أهل اللطاف .

٥ س م ط والعطاء الجزيل . كتابة .

٦ م س ط والعطاء الجزيل : شجرة .

٧ الشيء : سقطت من العطاء الجزيل .

٨ العطاء الجزيل : فيمنع .

٩ ط . سيبأ .

لَاهُمٌ إِلَّا أَنْ يَكُونَ طَلُوعُ ذَلِكَ الشَّيْءِ النَّزْرِ، مِنْ وَدُودٍ بَرٍّ ، أَوْ مودود رفيع القَدْر ، فهو أوفر ما يُتَقْنَى^١ . وأبعد ما يُتَمَنَّى .

وفي فصل منها : فالمودات ، ما خَلَّتْ من تَهَادٍ مُكَرَّرَةٍ^٢ ، كطبيع خلا^٣ من اللحم يُدْعَى مزوْرَة^٤ ، والمهدَى بين يدي هذه الأحرف عدد^٥ كذا من سفرجل ، وتصحيفه عندي سفرجل ، وإذا سفر عن ثغره جل^٦ ، فالظفر بطارقِ الهم^٧ مجل^٨ ، يشبه صُوْرَ العذارى ضَمَّتْ بالعبير^٩ ، وثديهن بالتقييس^{١٠} والتقدير ، كأنما لبست من الحرير سَرَقًا ، أو شكت بألوانها وجدأ قد برح بها وأرقأ ، بل كأنما سرقت الثدي طوايع مسكٍ أَحَمَّ . ضَمَّتْ عليه جوانحها إذ^{١١} خافت الدَّم^{١٢} ، أقداح عَرَب^{١٣} ، عَلَّتْ مَاءَ ذَهَبٍ . طُبِعَ من العبير^{١٤} نواها ، وناب عن شذاها الفائح للشَّرْبِ ساطع شذاها . وربما^{١٥}

١ م ط س : مما يتقن ، د . يعنى ؛ والتصويب عن العطاء الجزيل .

٢ د . مكدره .

٣ العطاء الجزيل . حلاه .

٤ المزورة نوع من الحساء دون لحم .

٥ العطاء الجزيل عدة .

٦ ط د . خل

٧ ط د . مجل .

٨ م ط . بالعنبر .

٩ د : بالتقييس ؛ ط م س : بالتميين .

١٠ العطاء الجزيل : ثم .

١١ م ط . الدم .

١٢ ط : أفرح عرب .

١٣ العطاء الجزيل . العبير .

١٤ العطاء الجزيل : ولربما .

فضلت شهياً التفتح ، وفتكت بأدواء المعد فتكة السفاح ، وإن فاكهة
تشبه الثدي ، وتشترك في بعض صفاتها الهدي ، بحذيرة بأن يحفظها عناقاً ،
ولا يعدل بالواحدة منها عناقاً^١ ، بل يجعل فدية قضمها أن تُشد وتاقاً ،
وتضرب أعناقاً . وإن حملك من نفسي لحصيب جناب الصفاء ، نقي جنباب
الوفاء ، فصيح طير الثناء ، نصيح جنب الصناعة والولاء ، وداداً لا يبلغ
مداه ، ولا توبس هواجر البعد ثراه ، والله يلحفه من التمهيد ظلالاً ،
ويزيد يانع روضه نضرة وجمالاً ، حتى لا تكرى عيون أزهاره ، ولا
تعا السنة أطياره ، ولا يتغرى من ورق عوده ، ولا تخشى من حل نظام
عقوده .

وفي فصل : وعذب شيم ، لو أنطقها الله لقات : معشر الأنيس
على شفا ، لن تجلوا في غيري مرثشفاً ، فردوا نيمراً سائفاً ، وتفيأوا ظلاً
سائفاً .

وعرضت عليه رسالة أبي عمر الباجي وأبي القاسم بن الجلد المتقدمين في
صفة المطر بعد القحط ، فعارضهما برقة قال فيها^٢ :

ولله جلّت عظمته أوامر تحيل المنيرة عن طباعها ، وتسلب^٣ من حصي
المعزاء فضل شعاعها ، وترد^٤ في خيلف تمره حليب ارضاعها ، لا

... ..

١ المطاء الجزيل : تحفظها ... تعدل ... م ط : عماقاً .

٢ وردت في المطاء الجزيل : ٩٧ ، ١٢٩ ، وانظر ما تقدم : ٢٨٩ .

٣ المطاء الجزيل : وتسلب .

٤ في النسخ : من خلف الممرية جلب ؛ م : يجلب .

تُلْحَقُ بِسَوَابِقِ الرِّهَانِ ، فِي مِيَادِينِ الْأَذْهَانِ ، وَلَا تُدْرِكُ بِقِدَاحِ الْقَمَارِ ،
 مِنْ مَعَالِيَتِ الْأَبْصَارِ ، تُطْلَعُ الْمِنَحَ مِنْ ثَنِيَّاتِ الْمَحَنِ ، وَتَحُولُ الْعَاجِزَ
 الزَّمَنَ ، مُنْفِيسَاتِ الزَّمَنِ ، وَقَدْ تَذْهَبُ بِمَا تَهَبُ ، وَتُغَيِّرُ عَلَى مَا بِهِ تَغْيِرُ^١ ،
 حِكْمَةً بَهَرَتْ حَقِيقَتُهَا زَوَاهِرَ الْأَفْكَارِ ، وَغَمَرَتْ دَقِيقَتُهَا^٢ زَوَاقِرَ بَحَارِ
 الْإِعْتِبَارِ ، لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ، وَبِيَدِهِ النِّفْعُ وَالضَّرَرُ ، وَإِنْ أَحَقَّ النِّعَمَ بِشُكْرِ
 لَا تَنْضَبُ مُدَوْدَهُ ، وَحَمْدُكَ تَجَاوِزُ حَدَّ الْمَعْهُودِ حُدُودَهُ ، نَعْمَى أَحَبُّ
 بِالسُّقْيَا أَرْضاً مَوَاتاً ، وَأَنْشَرْتَ بِدَرٍّ الْحَيَا أَمْلاً رِفَاتاً ، وَقَدْ غَبَطَ طَيْرُ الْمَاءِ
 صِيَابَ الْيَهْمَاءِ ، وَحَجَبَ كَاسُفُ الرِّجَاءِ نِيَّاتَ الْعَمَاءِ ، وَشَابَتْ مَفَارِقُ
 الرِّيَاضِ ، وَغَاضَتْ مُفْعَمَاتُ الْحِيَاضِ ، وَاقْشَعَرَّتِ الرِّبَى ، وَحُلَّتْ نَبْتُ
 الْحَاجِرِ عَقْدَ الْحُبِّ ، وَبَاتَ أَزْهَارُ الْغِيْطَانِ . عَلِيْلَاتِ الْأَجْفَانِ . تَسْتَسْقِي
 نَجُومَ السَّمَاءِ ، وَتَتَوَسَّلُ بِالشَّبَهِ إِلَى ذَوَاتِ الْأَنْوَاءِ ، فَعِنْدَمَا أَمْسَتْ الْبَسِيطَةُ
 عَلَى شِفَا ، وَأَجْسَلَ^٣ الْمُحْتَفِرُ وَلَمْ يَجِدْ مُرْتَشِفًا ، أَرْسَلَ اللَّهُ تِلْكَ النِّعْمَةَ ، بَيْنَ
 يَدَيِ الرَّحْمَةِ ، رِيحًا لَيْسَتْ هُبُوبِ النِّسِيمِ ، فِي الرُّوْضِ الْمَشِيمِ ، شَدِيدَةً حَفِزِ
 الْغَنَائِمِ ، لِتُدَارِكَ مَا فِي الْكَمَائِمِ ، فَنَسَجَتْ بِإِذْنِهِ مَلَأَهَا ، وَرَمَتْ أَمْرَاسَهَا
 وَدَلَاءَهَا ، فَلَمَّا لَمَّتْ قَرْعَهَا^٤ . وَوَصَلَتْ بِقُدْرَةِ الْخَلْقِ قِطْعَهَا ، سَفَحَتْ
 عَيُونَُ تِلْكَ النُّجُومِ ، بِمُكْفَهَرِ الْغَيُومِ . رَحْمَةً لَعْلِيلِ النَّبَاتِ ، وَرَقَّةً لِأَلِيلِ
 الْمُهْتَجَاتِ ، فَتُنْمِمْ وَشْيُ التَّلَاعِ ، بِيَدِ لَطِيفَةِ [١٦٧] صِنَاعِ ، وَرَصْعِ

١ العطاء الجزيل . من معصات .

٢ في النسخ . تعير ، تعير . تفيد وتمنح .

٣ ط م د : رقيقته .

٤ العطاء الجزيل : الدجى .

٥ ط م د س . وأخيل .

٦ م ط س . أملت قرعها ؛ د : فرعها .

تيجانُ الأكام ، ينُطَفِ الغمام السَّجَام ، فاهتزت القطاريَّةُ لذلك القطار ،
واشتملت على مُحسِّنِها من الأوطار ، وضحكَ ثَقَرُ الروضِ بعد عبوس ،
ونُقِلَ إلى سَعَةِ الرحمة من ضَنكِ البوس ، وسحبتُ فواهِقُ الأنهارِ مَذَانِيهَا ،
ونشرتُ عرائسُ الأزهار ذوائِبَهَا ، ناظمةٌ من لآلئِ الطلِّ عقودَهَا ، ماثلةٌ^١
لبَيَّتِهَا^٢ من جوهره الرائق وجيدَهَا^٣ ، تفوحُ مجامرُ أزهارها ، وتلوحُ خفِيَّاتُ
أسرارِهَا ، في مرآئي أنوارها ، فترمي الداهلَ بريَّأها ، وتحيي النائمَ وما
حيَّاهَا ، مؤذنةٌ بأدراكها ، على لسانِ مِسْكُهَا في ساحةٍ مَدَّآكهَا ، وقام
من مترنِّمٍ* الأطيارِ ، على منابرِ الأشجار ، خطيبٌ يتلو ما حَبَّرَ من الثناءِ ،
على سائغِ النعماءِ ، وسائغِ رحيقِ الآلاءِ . فيا لها نعمةٌ ما أحسنَ موقعَهَا ، ورحمةٌ
ما ألطفَ محلَّهَا من النفوسِ وموضِعِهَا ، لقد برَّدَتْ حرَّ الأكبادِ ، وشفَّتْ
غليلَ القلوبِ الصَّوَادِ ، وفديتُ بنفائسِ النفوسِ^٤ والأولادِ ، نفْسُ خِناقِ
الآمالِ ، وحلَّتْ عِقَالِ^٥ الإقبالِ ، وكادت تُجْري الأرواحَ في الرَّمَمِ
البوالي ، والحمد لله كما حضُرَ عليه منتهى الحمد ، ومَبْلَغِ الوُسْعِ والجهدِ ،
وما لا يحصره العدُّ ، وما شاء تعالى من شيءٍ^٨ بعد .

.....

- ١ ط م : ماثلة .
- ٢ العطاء الجزيل : ليتها .
- ٣ ط : وتجيدها ، س : ونقيدها .
- ٤ ط م د س : استارها .
- ٥ ط م د س : سر .
- ٦ العطاء الجزيل : ومحبي .
- ٧ العطاء الجزيل : عقل .
- ٨ شيء : سقطت من إعطاء الجزيل .

ووصف له أحد إخوانه امرأةً ومدحها وحضه على أن ينكحها ، وكان
لذلك الصديق امرأة سوداء ، فكتب إليه ابن عبد الغفور^١ :

بينما كنتُ ناظرًا في المرأة من شعر أحم^٢ ، ورأس أجم^٣ ، لا أخافُ
معه الدم^٤ ، إذ تقدّم رسولك إليّ ، يخطبُ بنتَ فلان عليّ ، ويرغب^٥ منها
في سعة مالٍ ، وبراعة جمال ، ويُنسِمُ أنها لبّرة^٦ بالزوج بريكة^٧ ، لا
تُحوِجه عند النوم إلى أريكة ، ولو يُسَرَّتْ - وعياذًا بالله - لهذا النكاح ،
لرزقت^٨ قبل الولد منها^٩ آلة النطاح ، ولا حاجة لي بعد الدّعة والسكون ،
إلى حرب زبُونٍ ، وقيراع بالقرون ، ولو حمَلتُ إليّ تاج كسرى وكنوز
قارون . فاطلبْ لهذه السلعة المباركة مشرياً غيري ، ولا تسوقها^{١٠} ولا في
النوم على أبري ، وابتعنها ولو بأرفع الأثمان لنفسك ، وأضيف^{١١} عاجها
النفيس إلى أبوس عرسك ، ولا عُدّر لها في النشوز والإعراض ، فانما
حسن السواد الحالك بالبياض ، والله بمدّك بقرنين قبل الحين^{١٢} ،
ويصنع لك صنعتين ويبلين ، فبُسْقِطْكَ بهذا النكاح الثاني كما أسقطك^{١٣}
بالأول للدين^{١٤} .

١ وردت في العطاء الجزيل : ١١٢ .

٢ العطاء : ورغب .

٣ م ط س . ولو رزقت .

٤ العطاء : منها قبل الولد .

٥ ط والعطاء : تشوقها .

٦ م : وأضعف .

٧ في النسخ : بالدين .

ومن أخرى . بلعني من ثناء الوزير الجليل . النّقَابِ العلامة النبيل ،
سيدى وسيد أهل مصره . بل وقّتيه وأعصار خالية قبل عصره ، ما
فغتم أنوف النجوم ، وأرغم معطر حاسديّ بمذلة الوحوم ، وإنما
يُثني من رهين شكره ، ومعظم شأنه الرفيع وقدره . على سهم ذرّبه ، أو سهم
قد درّبه ، أو تلميذ أدبه وعلّمه ، فكان له الفضل الأكمل بأن كلمته ،
فكانه — أعزه الله ، بحكم جلاله — أمير شهيد لنفسه فتوقّف بين حدّ القبول ،
وبين ما في ردّ شهادته من خوف الحبول^١ ، وهبه من كتم مكلوم الهاجس ،
مكلوم السيّات والمعاجيس . قد صحّت فيه الدعوى لصاحب ، ومُحت
الشبهة في سبّقه بأوضح لاحب ، أي خلل سدّ ، وأي سلب استردّ ،
لا بل أي خطب درأ ، ووطب ملاً ؟ ! فلأذ قد اعترض على ما قد انحلّ^٢
من الإحسان ، مقدور الحرمان . فلأذا في حيرتي به حسرتي . وفي الفقرة
الطالعة فاقرتي ، وفي حظّي لها حظّي . ولا فائدة لهذه الأسجاع . سوى
تحريك أشجان وتوليد أوجاع ، فإن رأى — أعزه الله — أن أنبذها بالعرء ،
وأطلق منها داعية الضراء ، فقد وافق إرادتي . واختار لي أجْدَى من
مكْنوب إجادتي ، والله يُقْدِرُ الوزير الجليل — سيدى وسيد أهل عصره —
حتى يُشكّي من شكّا ، كما لم يزل يرقّ لمن بكى ، ويُصيخ للمكروب
إذا شكّا ، بعزته .

١ م : رهون .

٢ ط : اكمله .

٣ م ط : الحبول .

٤ كما : سقطت من ط .

وكان الوزير أبو الحسين بن سراج^١ قد خاطب بعض أهل العصر برقعة يشفع^٢ لرجل يعرف بالزرير يقول في فصل منها :

كُتِبْتُ أَحْرَقِي هَذِهِ ، وَالْوَدُّ صَقِيلُ الْوِذَائِلِ ، مَطْلُولُ الْخِمَائِلِ .
جَمِيلُ الْبَكْرِ [٦٧ ب] وَالْأَصَائِلِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَزِيدُ أَرْهَارَهُ وَضَوْحاً
وَأَطْيَارَهُ صِدُوحاً ، وَظَبَاءَهُ نِيَامناً وَسُنُوحاً ، بِمَنْتِهِ .

ويصل به - وَصَلَ اللَّهُ عِلْوَكَ ، وَكَبْتَ عِدْوَكَ - شخص^٣ من الطيور يُعْرِفُ بالزرير ، أقام لدينا أيام التحسير ، وزمان التبليغ بالشكير^٤ ، فلما وافى ريشه ، وَتَبَّتْ بِأَفْرَاحِهِ عَشُوشُهُ ، أَرْمَعَ عَنَّا قُطُوعاً ، وعلى ذلك الأفق اللدن^٥ تديلاً ووقوعاً ، رجاء أن يلقي في تلك البساتين معمر^٦ ، وعلى تلك الغصون حباً وثمر^٧ ، وأنت بجميل تآتيك^٨ ، وكرم معاليلك تصنع^٩ له هنالك وكوناً ، وتستمتع من نغم شكره على ذلك أغاريد^{١٠} ولحونا ، دون أن يلتقط في فنائك حبة^{١١} ، أو يسترط من مائك غبة^{١٢} :

وإذا امرؤ^{١٣} أهدى إليك صنيع^{١٤} من جاهد فكأنها من ماله^{١٥} .

وانتهت هذه الرقعة إلى الوزير أبي القاسم ابن الجحد^{١٦} فعارضها برسالة قال فيها :

١ قد مر التبريد به في القسم الأول ص : ٨٢١ .

٢ التحسير : إلقاء الريش المتبق ؛ الشكير : صغار الريش .

٣ ط : الدين .

٤ المعمر : المنزل ، وقيل هو اسم موضع في قول الراجز « يا لك من قبرة بمعمر » .

٥ البيت لأبي تمام من أبيات كتب بها إلى إسحاق بن أبي ربيع كاتب أبي دلف ، ديوانه ٣ .

٦ وتمام المتون ٣٦٤ ، ٣٦٦ .

٧ مرت ترجته في هذا القسم ، ص ٢٨٥ :

حَسُنْتَ لَكَ يَا سَيِّدِي أَبَا الْحُسَيْنِ ضَرَائِبُ الْأَيَّامِ ، وَتَشَوَّفَتْ نَحْوَكَ
غَرَائِبُ الْكَلَامِ ، وَاهْتَزَّتْ لِمَكَاتِبِكَ أَعْطَافُ الْأَقْلَامِ ، وَجَادَتْ عَلَى مَحَلِّكَ
الْطَافُ الْغَمَامُ ، وَأَشَادَتْ بِفَضْلِكَ وَنَبْلِكَ أَصْنَافُ الْأَنَامِ ، فَإِنْ كَانَ رَوْضُ
الْعَهْدِ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - لَمْ يُصَيِّبْهُ مِنْ تَعَهْدِنَا طَلٌّ وَلَا وَاِبِلٌ ، وَلَا سَجَعَتْ
عَلَى أَيْكِهِ وَرُزْقٌ وَلَا بِلَابِلٌ ، فَإِنْ أَزْهَرَهُ عَلَى شِرْبِ الصَّفَاءِ نَابِتَةٌ ، وَأَشْجَارُهُ
فِي تَرْبِ الْوَفَاءِ رَاسِخَةٌ ثَابِتَةٌ ، وَقَدْ آتَى الْآنَ لِعُجْمِ شَجَرِهِ أَنْ تُطْلِعَ مِنْ
الشَّمْرِ الْوَانَا ، وَلِعُجْمِ طَيْرِهِ أَنْ تُسْمِعَ مِنَ النِّعَمِ الْخَانَا ، بِمَا سَقَطَ
إِلَيَّ ، وَوَقَعَ عَلَيَّ ، مِنْ طَائِرِ شَهِيٍّ الصَّغِيرِ ، مَبْنِيٍّ الْأَسْمِ عَلَى التَّصْغِيرِ ،
فَإِنَّهُ رَجَعَ بِذِكْرِكَ حَنِينًا ، وَابْتَدَعَ فِي نَوْبَةِ شُكْرِكَ تَلْحِينًا ، وَحَرَّكَ مِنْ
شَوْقِي إِلَيْكَ سَكُونًا ، وَدَمَّتْ فِي قَلْبِي لَوْدُكَ وَكُونًا ، ثُمَّ أَسْمَعَنِي أَثْنَاءَ تَرْنَمِهِ
كَلَامًا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ ، لَوْتَغَنَّتْ^١ بِهِ الْوَرَقَاءُ ، لِأَذْنَتِ^٢ لَهُ الْعَنْقَاءُ ، أَوْ
نَاحَ بِمِثْلِهِ الْحَمَامُ ، لَبَكَى لِشَجْوِهِ الْغَمَامُ ، أَوْ سَمِعَهُ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ فِي
نَادِيهِ ، وَبَيْنَ أَعَادِيهِ ، لَحْلَ الزَّمْعِ^٣ حُبَّاهُ ، وَاسْتَرَدَّ الطَّرْبُ صِبَاهُ ،
فَتَلَقَّيْتُ فَضْلَ صَاحِبِيهِ بِالتَّسْلِيمِ ، وَاعْتَرَفْتُ بِسَبْقِهِ اعْتِرَافَ الْخَبِيرِ الْعَلِيمِ .

وَبَعْدُ فَإِنِّي أَعُودُ إِلَى ذِكْرِ ذَلِكَ الْحَيَوَانِ الْغَرِيدِ ، وَالشَّيْطَانِ الْمُرِيدِ فَأَقُولُ :
لِثَنٍ سَمِّيَ بِالزَّرِيرِ ، لَقَدْ صَغُرَ لِلتَّكْبِيرِ ، كَمَا قِيلَ « حَرِيقِيص »^٤ ، وَسَقَطَتْهُ

١ م ط س : تَيْقَنْت .

٢ ط : لِأَدَانَتْ .

٣ الزَّمْع : الْقَلْق .

٤ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى قِصَّةِ أَوْرَدَمَا الْقَالِي فِي أَسَالِيهِ (١ : ٦٥) وَهِيَ أَنَّ الْأَسْمِيَّ وَقَفَ عَلَى غَلَامٍ
مِنْ بَنِي أَسَدَاسِهِ حَرِيقِيصَ فَقَالَ لَهُ : أَمَا كَفَى أَهْلَكَ أَنْ يَسْمُوكَ حَرِيقِيصًا حَتَّى حَقَرُوا اسْمَكَ ؟
فَقَالَ : إِنْ السَّقَطَ لِيَحْرِقَ الْحَرَجَةَ .

يحرقُ الحَرَجَ ، و « دويبة »^١ وهي تلتهمُ الأرواحُ والمهج ، ومعلومُ أنَّ
هذا الطائرَ الصافرَ يفوقُ جميعَ الطيورِ في فهمِ التلقينِ ، وَحُسْنِ اليقينِ ،
فإذا عَلَّمَ الكلامَ لهجَ بالتسبيحِ ، ولم ينطقْ لسانُهُ بالقبيحِ ، ثم تراه يقومُ
كالنصيحِ ، ويدعو إلى الخيرِ بلسانٍ فصيحٍ ، فمن أحبَّ الاتعاظَ ، لقيَ
منه قُسّاً لإيادٍ بعكاظٍ ، أو مال إلى سماعِ البسيطِ والنشيدِ ، وَجَدَ عنده
نُحْبَ الموصليَ للرشدِ ، فطوراً يبيكُك بأشجى من مرائي أربد^٢ ، وحيناً
يسلِّكُ بأحلى من أغاني مَعْبَدٍ ، فسبحانَ مَنْ جَعَلَهُ هادياً خطيباً ،
وشادياً مطرباً مطيباً^٣ .

ولما طار ببلاد الغرب ووقع ، وَزَقَا^٤ في أكتافها وَصَقَ ، وعاینَ ما
اتَّفَقَ فيها هذا العامَ من عَدَمِ الزيتونِ ، في تلكِ البطونِ والمتونِ ، أزمَعَ
عنها فيراراً ، ولم يجدْ بها قراراً ، لأن هذا الثمرَ بهذا الأفقِ هو قَوَامُ مَعَاشِهِ ،
وَمِلاكَ انتعاشِهِ ، إليه يقطعُ ، وعليه يقعُ ، كما يقعُ على العسلِ الذبابُ ،
وتقطعُ إلى العرَادِ الضَّبَابُ^٥ ، فاستخفَّهُ هائجُ التذكارِ ، نحو تلكِ الأوكارِ ،
حيث يكتسي ريشُهُ حريراً ، ويحتشي جَوْفُهُ بربراً ، ويحتشي قِراحاً

١ وردت دويبة مصفرة للتعليم في قول لبيد :

وكل أناس سوف تدخل بينهم دويبة تصفر منها الأنامل

٢ يعني مرائي لبيد في أربد أخيه .

٣ مطيباً : سقطت من م س .

٤ م ط د س : ورقا (ورقى) .

٥ فيه إشارة إلى قول الرازي في الضب :

لا يشتهي أن يردا

إلا عراداً عردا

والمرادة : شجرة صلبة العود .

نميراً ، ويغتدي على رهنه أميراً . فَخُذْهُ إِلَيْكَ ، نازلاًً لديك ، ماثلاً بين
يديك ، يترنمُ بالثناءِ ، تترنمُ الذبابُ في الروضةِ الغناءِ ، وقد هزَّ
قوادمَ الجناح ، لعادة الاستمناح ، وحبرَ من لُتمعِ الأسجاعِ ، ما يصلحُ
للانتجاع ، واثقاً بأنَّ ذلك القطرَ الناضرَ ستَنفِحهُ حداثقهُ ، ولا تلفحه
ودائعهُ ، لا سيما وَقَضْلُكَ دليْلُهُ إلى تُرعَ رياضه ، وفَرَضَ حياضه ،
مع أنه لا يَعْدَمُ في جنبك حبّاً نثيراً ، وخصباً كثيراً ، وعشاً وثيراً :
[١٦٨] .

فلذا ما أراد كنتَ رشاءً وإذا ما أراد كنتَ قليلاً

والله تعالى يكفيه ، فيما ينويه ، شرَّ الجوارح ، ويقيه شؤمَ الجبابِ
والبارح ، بمنه .

وبعد هذا الهزلِ العجَاب ، جدُّ كالظَّلَامِ المُنْجَابِ ، وبروزِ صَفْحَةِ
الشمسِ من الحجاب ، أخطبُ به من رسائلِك بِكْرًا ، أجعلُ نَقْدَها
شُكْرًا ، وأبذل بها لها من ودِّي مَهْرًا ، وأمتّعُ بها لحظي دهرًا ، فإن
فَرَجَتِ لِحْطَتِي بَابًا ، ووصلتْ في مواصلي أسبابًا ، جدّدتَ للعهدِ شبابًا ،
واستوجبتَ من الحمدِ محضاً لُبَابًا . واقرأ على سيدي سلاماً أعطرَ من مِسْكِ
دارين ، وأكثرَ من رَمْلِ يبرين ، يحيطيه مع العشيّ شروقًا ، ومع النجم
طروقًا ، والسلامُ المعاد الموصولُ ، ما عَضَدَتِ الفروعَ الأصول ، وألِفَتِ
الجفونَ النُصُول ، على سيدي ، ورحمة الله .

.. .

١ ط س . وصلت .

وله^١ من أخرى : إنَّ عجباً برُّ الوزير بالزعانف والزرارير . وحظُّره^٢ على قلب يكاد من الشوق إليه يطير ، ومن الظما بتشكى قطعاً^٣ ويستطير . وإنه مع عَرَضِهِ على نار الجفاء غُدُوّاً ، ونبو مضجع الاحتفاء به هُدُوّاً . ووصمة التقصير في جزائه ، وممارسة جرَّع أرزائه واختزائه ، إن لهيج فذكره ، أو هزج فبأفانين شكره ، فكيف به لو ضاحك من خفي برِّه . فَرَضَ شُبوب شُنان^٤ ، غَمَرَ بدوب عزاليه نوع الانسان ؟ !

ثم نبداً من شأن الحيوان بزرزور ، لا يعرف حقاً من زور ، مشهور في الطير بالضرع ، كثير العادية قليل الورع . كأنما رهطه عبيد للبلابل ، ولغظه وقع الحصى المتقابل ، وفي غيره من ذوات الريش ، النازحة بكل ضراء وعريش ، أنجب منه على اللغز^٥ . وأحسن تصريف لسان وذقن ، كبتغاً لا تلثم في عوبص اللغى . وشقنين ، يثير اللوعة بالرنين ، كأنما عاصرتُه عند التلقين الراء ، وداخلته بعد الظفر بها امراء ، فاستظهرها بالنكير ، استظهار قين بيكير . وبهمة في المصاع بيكير ، وورق كالقيان ، خضبت أرجلها بالعقيان ، فوارت لآلئ في الأجياد ، وزبرجداً أنعلت به حوافر الأجياد ، تستر بورق الغصون ، وتشهر بحرق الوجدي

١ الضمير هنا يمود - على الأرجح - إلى ابن عبد الغفور لا إلى ابن الجد صاحب الرسالة السابقة وعلى ذلك تعد الرسائل التالية حتى آخر الترجمة لأن عبد الغفور .

٢ د م ط س : وحطره .

٣ القطع : انقطاع ماء البشر في القيظ ، وأقطعت السماء إذا انقطع مطرها .

٤ الشنان : البارد ، ط م د س : شان .

٥ ط م د س : عمر .

٦ اللعن . أن يتكلم المرء بكلام خاص .

المصون، وَيَصْقَعُ مشتاقها كالخطيب، ويقَعُ على قاسٍ من الأيكِ ورطيب،
فيلينُ لشجوه ويميد، ويكاد يلوب¹ له العميد؛ وربٌ عصفورٍ، صَقَرَ
لذاتِ سفور، فحكّتْ نَقَرَ الزير، وبعثتْ العينَ على الدمع الغزير، وبلبل
حَرَكَ بلابل واقداثٍ، وشكّ² القلوب. بمقابل نافذاتٍ³، وكائنٌ من غردٍ،
حرَّان قلب أو صردٍ، يفوت مدى العد⁴، ويملأ⁵ ديار معد⁶، ولوتقصيننا لما أحصيننا،
ونضب⁷ عِدُّ الكلام على ثرارته، وعَصَب ريقُ الأقلام على غزارته،
فلتسهب⁸ بما تشهدُ لفضله رجاحُ الألباب، ولتغرب⁹ من مُدرك ثمره بلباب
اللباب، حتى تُبِيرَ¹⁰ على الغريض، يَنْسَقِي¹¹ كالأغريض، وتَدُلُ¹² بِسِرِّ
التعريض، على سرِّ الأضرِب والأعارِض، على أني قد تُحُومِي¹³ وما
نُوغِي¹⁴، أي كآني من الحِقارة الغيت، ولا نعيم لعين الوهم¹⁵ وقد وضحتْ
شاكلة¹⁶ اليقين للمتوهم، وسأَطْفَلُ¹⁷ على السمع، وأبذلُ¹⁸ مدَنُ خور الدمع،
فأبثُ¹⁹ شجوناً، وأبذلُ نَبْذ النواة مجوناً، فلا أرقُ²⁰ البهارة، ولا أخفِض
الجهارة²¹، ولا أصفُ أزاهر، ولا أنعتُ القمر الزاهر، بل أندبُ ربوعاً،
وأحرزُ العمر أسبوعاً :

١ ط: يدب .

٢ نافذات : سقطت في م س .

٣ ونفس : سقطت من ط س .

٤ ط م د س : والمغرب .

٥ نعيم عين : كرامتها وقرتها ؛ س ط : نقيم ؛ م د : نعيم .

٦ م د : شاغلة ؛ ط : شاغلت .

٧ يعني « سأطفل » .

٨ البهارة : عظم الجسم ، وأرق البهارة نسبها إلى الرقة (أو إلى الدقة) ، والجهارة : ارتفاع

الصوت أو حسن المنظر .

وأبكي على فقد الدراهم إذ لها أبا قاسم غيري من الناس يُكرمُ

وما سَلَفَ للأدب مع الذهب إخاء ، ولا هاله منه انتخاء ، هذا خالد
موجود ، لا يلحقُ جوهره بُيُود ، وذلك قد راب منه الشحوب ، وأخلق
ذيلُ عُمُرِه المسحوب ، فيا لمياه أسجاع هذا النّقَاب تطردُ لغير حائم ،
ولأجناء ثمرٍ منها مع ذوات الثّقَاب تتهدّلُ على غير طاعم ، ولعراس
نورها تضاحكُ ثغراً عابساً ، وتستدرُّ جليداً يابساً ، تبرّجُ وليس من فعل
النّوار ، وتأرجُ لأنفٍ لا يعرف فضل الصّوار ، وتعاضمُ على أكفائها ،
وتسرعُ إلى ما دون الحضيض لانكفائها ، وحسبك من نهودها ليهودها ،
وشرودها تعرّفي أذيال برودها ، فعلةٌ والله يُنكيرُها الشرف ، ويتنبّلُ
عنها المنصرفُ ، فلتحدث العلياءُ منها متآباً ، ولتكتفِ بقترع هذه
العصا ٢ عتاباً . فشدّ ما منحت البرّ عقوقاً ، ومنعت التشيع لها حقوقاً .

طلعت - أعزك الله - بهذه الشكاية مستريحاً ، ومثلتُ لها قلباً قريحاً ، وهو
بحكم جلالها يودعها من الكتمان ضريحاً ، ويُرْضِعُها من أخلاف التجاوز
محضاً صريحاً ، فَيَسِّرْهُ اللهُ لبرّ حرّ ، وجعله بنجوةٍ من كلّ ضرّ .

وله من رقعة شفاعة للزريزر^٣ المذكور : لله قُطْرٌ باهى بك على الأقطار ،
واستغنى بخفيل ظلك عن صوب القطار ، أذكرَ نعيم الجنان ينصرتيه ،
وسكن نافر الجنان بلألاء زهرته ، أي مُحَسَّب أنيسٍ وطير ، ومائعٍ

.....

١ في الأصول : السوار ، والصّوار : وعاء المسك .

٢ في النسخ : هذا العصي .

٣ م ط : للزريزر .

من النعم زخارٍ من الخير ، وآناً لقاطعٍ ، قُطِعَ به مع الفجر الساطع ،
 وبجي^١ خلص من بحرٍ لُجِّي ، فاهتاج طربَ الجذل النجي ، لهُفأ^٢ يُعْثِرُهُ
 في البيت على الجنى ، سَبَحَ قُبَّحَ للشرب الصُّبَح ، وَصَدَحَ ففدح لهم من
 نار النى^٣ ما قدَح ، ولربما نطقَ بالتوحيد ، ويحدُّ عن سَجْدَةِ الشُّكْرِ
 كلَّ^٤ محيد ، ويهزج ويسنح^٥ ، وإلى رهطين من الطير ينجح^٦ ، مَرَّهوب الصَّقَع
 في الديار ، ومحوب السَّجْع بأعالي الأشجار ، يُمنعُ بشئى أغانين ،
 ويُخجلُ البلبال والشفانين .

وفي فصل منها : حتى اشتد منه الفَقَار ، واسودَّ فرْعُهُ والمنقار ، ولم
 يكن^٧ به إلى العولِ افتقار ، فنهضَ وكسب ، وأعربَ عن نجرته وانتسب ،
 وأخذَ بالطباع في التوليد ، وصدحَ غرداً بيتَ الوليد^٨ ، إلا ما غيرَ^٩ منه وأحال ،
 ولا يعرف الممكنَ ولا المحال :

لك الله عشتاً خص^{١٠} ليلاً بأفرخٍ بعلياءٍ فرعٍ الأثلة المهْدُلِ

فيا للعجب العجيب ، ولسانٍ هذا الزرور النجيب ، أنطقَه فضلُ
 الوزير بلسانٍ ، نقلَه من نوعِ الزراير إلى نوعِ الانسان ، فشكرو شعراً^{١١} ،

١ م : رجي ، ط : رجا .

٢ م ط د س : لهُفأ .

٣ ويسنح : يياض في م ط س .

٤ ينجح : يياض في م ط س ، وفي د : ينجح .

٥ يعني البحري ، ولكن البيت التالي لم يرد في ديوانه ، لأن الكاتب ربما غير فيه ، حسب قوله .

٦ م ط د س : غير .

٧ م ط د س : وسمر .

حتى غلا مِرْجَلُ أَشْرِهِ واستمر ، وأخذ عن وكنيه في الرحيل ، وباع
مُبْتَرِماً من العيش بسحيل ، فرشق السباح من جسمه بسهم ، وسبق الرياح
عن عزمه بمثل الوهم ، فما احتلّ من الجانب الغربي شرفاً ، حتى اعتقد
إلى الجانب المرضي مُنْصَرَفاً ، وشُغِلَ عن النظر في عطفيه ، بالنظر في
أَسْرَارِ كَفْيِهِ ، يا له من عازم ، خوافي عادت باللائمة على القوادم ،
يتمنى لغرغته بالندم ، أن يُخْضَبَ من أوداجه بدم ، لأنه سَقَطَ من شَجَرِ
زيتونه ، بعقم بطونه ، في هذا العام ومنونه ، على خاليات من الميبر ،
موحشات مثل جَوْفِ العَبْرِ . ولما نشر جناحاً للإياب وخفت ، وتنفس
الصعداء والتفت ، أشفقتُ منه لغريب غريب ، وصعدتُ فيه وصوبتُ
نَظَرَ المستيب ، فشفت له بهذا الكتاب ، يقيه^١ من السيّد الأوحى حرّ
العتاب ، وقد تقلّده تيممة تكفيه اختطاف الجوارح في الهواء ، وتقيه عن
إطاعة البوارح في الالتواء ، وهو بمجده الصميم ، وبرّه العميم ، يشفع ويرفع
ويسوّغه قراحاً وقرواحاً^٢ ، ليمرح في هذه مراحاً ، وينال من هذه الرّبي
مغدي^٣ ومراحاً ، ولو اقتصر من مدني على مُقْتَضَى المتاب ، لغنني عند
سيده عن شفاعته الكتاب .

وفي فصل منها : ولو صرّفتُ فيها الأنفاس كلاماً ، والأشجار أقلاماً ،

١ ط د : الجانب .

٢ م ط س : لقيه (اقرأ : لقيه) .

٣ القراح : الأرض المخلصة لزراع أو لغرس ، والقرواح : الفضاء من الأرض التي ليس بها شجرة .

٤ ط : مقرأ ؛ م س : صفرأ ، د : ممزأ (اقرأ : مقرأ) وللمظة « الرّبي » زائدة إذ
الإشارة بقوله « هذه » . . . وهذه « إلى القراح والقرواح .

والبسيطة قرطاساً ، والدجئة أنقاساً ، لرأيتني مقصراً لم أبلغ ما أريد ، وكنت أسألُ عوناً واستزید ، وبودئي لتناهي المحبة والولاء ، واعترافي بالأیادي الجسيمة والآلاء ، لو أضحي مكانَ كتابي ، فأسعدَ بالوفود عليه ، وأخترمَ من حَيْثُ الزمن الغشومَ بالمثلِ بين يديه ، ولكنه قد حيل بين عبْدِهِ البائسِ وبين مُرادِهِ ، وشُغِلَ بقوتِ يومِهِ لنفسه الشقيّة وأولادِهِ ، فتأخّرَ عن حضرته السنيّة تأخّرَ الكسيرِ ، ونظر إلى سنا حوزته البهيّة نظراً الأسيرِ .

وله من أخرى : مثلك مَنْ لم يَعدِلْ [به] شُحُّ التجارة ، عن كَرَمِ الوزارة ، ولا شرّه المكسب ، عن شَرَفِ المتسببِ ، فرأى الخطيرَ بعينِ نزاهة نفسه حقيراً ، والخليلَ [٦٩ أ] بحكم جلالَةِ منتسبه فتيلاً ؛ ولم أوقظك بهذا التنبيه من سِنَةٍ ، ولا نفسي عن إباءِ المنية بالعاجِزةِ الزَمِنَةِ ، وقد أوفيتُ رسولكَ الميزانَ حتى رضي ، وإنه لمحضُ النصيحة فليحظَ عندك فيمن حظي ، بصّرنا الله الرشدَ فيمن بصّره ^٣ ، وحسبَ إلينا تَجَنُّبُ ما مَنَعَهُ من الشحِّ وَحَظُّهُ .

وفي فصل من أخرى : وردَ لسَيِّدي أيُّ كتابٍ ، بل أيُّ قِطْفٍ من ثمراتِ الألباب ، حيّاً به على البعاد ، وبرّدَ غُلَّةَ قلوبِ صوادٍ ، فهجرنا له الزُّلالَ ، وحسبناه السلسيلَ الحلالَ ، ودرّ دَرّه من كاتبٍ أقسمَ بالطور ، لقيّدَ عينيّ بشطور ، تشوّفاً إلى بهجة تلك السطور ، وفيها من شغفٍ بها أقول :

.....

١ م : نظير .

٢ م س : نفسه ؛ ط د : نفسه .

٣ في النسخ : أبصرنا ... أبصره .

٤ انظر هذه العبارة ص : ٢٣٠ س : ١٠ .

سطوراً أفادت كل خالٍ بوجنةٍ كما خَطَفَتْ منها لماها المباسمُ

سَحَبَتْ ذِيلاً على بلاغة سَحَبَانٍ ، وسرتُ ليلاً فيا فَوَحَ ما بين قرطبة
وبغدان ، ولولا ودّ يمدُّ بتشوّقي إليه النَّفْسُ ، وَوَجَدَ يَمْنَعُ ثرى ما بيني وبينه
أن يَتَبَسَّ ١ ، لما ناضلتُ فائزاً ٢ كَلِمِهِ بِمِعْرَاضٍ ، ولا ضاهيتُ جواهره
الخالدة بأعراض ، والله يَصِلُهُ في الأحفاد ، ويحرسُهُ في حوادثِ الآباد ،
ويعمرُ ببشره بِشَرَّةِ الحمد ٣ ، وَيُعَلِّمُ به مجاهلَ الأجياد .

وفي فصل منها : شفع الله تلك الغزوة الميمونة بفِرَواتٍ ، وكتب لنا
في ساحات أعدائِهِ عدَّةَ مواطئٍ وعدواتٍ ، حتى يُحَرِّزَ أسيراً ذا التاج ،
ويفرج عن شخصه مُغْلَقَ الرّاج ، ونؤوبَ بغير رضى الكندي ٤ ، بل على
وصف النابغة سمي الجعدي ٥ ، راضين عن كل عقيلة ، نيرة أسيرة القسما ٦
صقيلة ، كريمة مثل الديمة ، تدرى دمعاً على الأجفان ، وتُخْفِي ترائب
كزائب الجفان ، صُفِّلَتْ بالنعيم ، وصافح عنهنّ الصفيح كل بطريقٍ
زعيم ، ان اصْطَفَيْتَ لم تجيء بِفَسْلٍ ، وتُنَجِّبُ بإذنِ الله في النّسلِ ،
كعلي بن الحسين وسالم ، والمعتصم ٧ المشهور العين في المكارم ، وغيرهم

١ يبس الثرى كناية عن العداوة والجفاء ، ومنه قول جرير :

فلا توبسوا بيني وبينكم الثرى فان الذي بيني وبينكم مثرى

٢ د : قائد .

٣ ط س : الحياء .

٤ يشير برضى الكندي إلى قول امرئ القيس :

وقد طوفت في الأفاق حتى رغبت من الغنيمة بالاياب

٥ م : أسير القصة ؛ ط د : أسر .

٦ ذكر هؤلاء لأنهم أبناء إمام ، وقد أنجب يولادتهم .

من أمير وخليفة ، وذو منزلة في الفضل مُنِيفَةً ، وربّ فخور مختال ،
يدفعُ في هذا بيتٍ^١ القتال^٢ :

أما الإمامُ فلا يدعوني ولتدأ إذا ترامى بنو الإِمانِ بالمارِ
وليس كما زعم ، من عارٍ ، لا بسِ ثوبِ الكِبَرِ المستعار :

لا تُزَيِّنْ بفتى من أن تكون له أمٌ من الروم أو سوداءُ دججاءُ
فلنما أمّهاتُ الناسِ أوعيةٌ مستودعاتُ وللأبناءِ آباء

ما كلُّ الحرائر ، يبريات^٣ من الحرائر ، ولا كلُّ الإمامِ بمخلاتٍ
في^٤ الانتماء ، وإني مع ذلك لأتوفرُّ على الرهنطِ ، ولا أرغبُ في رقيٍّ عنه
ولا هبطٍ ، وأنشيد :

لإني على شغفي بما في خُمُرِها لأعفُ عمّا في سراويلاتها^٥
والله يصرفُ المعترضاتِ دونَ الواجباتِ ، ويسمعُ عنّا الخيرَ في المحيا
والمماتِ .

١ م ط : البيت .

٢ ديوان القتال : ٥٣ - ٥٥ وروايته :

أنا ابن أسماء أصامي لما وأبي إذا ترامى بنو الاموان بالمار

أما الاماء فما يدعوني ولتدأ إذا تحدث عن نقضي وإمراري

والبيت كما ورد في الذخيرة هو رواية سيبويه ٢ : ٩٨ وشرح المفصلية : ٤١٢ واللسان
والتاج (أما) .

٣ غ بهامش ط : بسمات من .

٤ غ بهامش ط : بقاصرات من .

٥ ديوان المتنبي : ١٧١ .

وفي فصل : وما زلت معتزياً إلى أدبه ونسبه ، منفقاً من غَرْبٍ ١ كَلِمَةٍ
 الرائق وذهبه ، مقرأً بفضلِهِ ، معترفاً بتبريز خَصْلِهِ ٢ ، مرتسماً في جريدة
 من أدَبَتُهُ ودَرْبَتُهُ ، وأرهفه وذَرَبَهُ ، ولقَّته وعَلَّمَهُ ، وكان له الفضلُ الأَكْلُ
 بأنْ كَلَّمَهُ ٣ : فليصلْ منِّي ولداً ثانياً ، وليجبرْ كسيراً وانياً ، وليأسْ
 بالكلامِ العَدْبِ ، بل اللؤلؤ الرُّطْبِ ، كَلَمًا دامياً ، أصابَ والعدارُ مُبْقِلُ ،
 وما أَجْلَسَ والشيبُ عليّ مشتمل . وليمنَّ عليّ وليُّه ، وخذي وَسْمِيهِ ،
 برقعة بضمتها وَجَهَ الحيلة ، في مُدَاخَلَةٍ تلك الدولة الجَليلة ، أَيْدِ الله
 سلطانها ، ووطدَ أركانها ، لينبئ علي ما أسَّسَ ، ويمتني من ثمر النجاحِ ٤
 ما رَشَّحَ وَغَرَسَ .

وله من أخرى : ما ظنُّهُ بعليلِ ذِلَّةٍ ٥ وقِلَّةٍ ، وهما أشدَّ مرض
 وعلَّةٍ ، عُلِمَ داءُهُ ودواؤه ، وتعدَّرَ بُرْؤُهُ وَشِفَاؤُهُ ، وقد أوجبَ النظرُ
 الطبيَّ والقياسُ الصناعيُّ إذا عُلِمَ الداءُ ووُجِدَ الدواءُ ، ولم تعترضْ منبئة
 أنْ يكونَ الشفاءُ ، فهو بحكم وَصَبِهِ ، وتقطعُ أسبابُ الفرجِ به ، أنزقُ
 من فحلٍ مخفورٍ ٦ ، أو ذئبٍ محصورٍ ، قد ثقلَ على ذويه ، وأبغضه مُحِبُّهُ

١ م ط . عرب ؛ د : عذب ؛ والغرب : الفضة ، وقيل الذهب . والغرب في بيت الأعمى
 « تراموا به غرباً أو نضاراً » تعني الفضة .

٢ م ط : حصه .

٣ انظر عبارة مشابهة في ما تقدم ص : ٣٤٦ س : ٥ .

٤ م ط : الجناح .

٥ م س : دولة ؛ ط : دلة .

٦ د : مزأل .

٧ م ط س . محل مخفور .

فضلاً عن مُجْتَنِيهِ ، ولم أُلْهِجْ بِذِكْرِ قَلْتِهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَلَا خَشِيتُ مَعَ الْقُنُوعِ مِنْ إِمْلَاقٍ ، فَأَنَا رَأْسُ الْأَغْنِيَاءِ ، وَعِنْدِي مِنْ كِيمِيَّاتِهِ فَوْقَ الْكِيَمِيَاءِ ،
وَفِي ذَلِكَ قُلْتُ : [٦٩ ب]

عَبَّرْتَنِي بِفَقَارٍ عَاطِلٍ حَلَيْتَ جِيداً بِدَمْعٍ سَجَمًا
بِفِي عِزَّةٍ نَفْسٍ لُكْتُهَا مَلَأَتْ مَنِيَّ بَطْنًا وَفَمَا

وَجَعَلْتُ مُدَّةَ بَابِ صَلَاتِي بِكُتُبِهِ ، ضَرْباً مِنَ النَّظَرِ لِقَلْبِهِ ، وَلِقَلْبِي
الْمَنْقَطِعِ الْقَرِينِ فِي حَبِّهِ ، إِذْ كُنْتُ لَا أُحِلِّي أَجَوِبَتَهَا مِنْ صَحِيحِ الشَّكَايَةِ ،
وَلَا أَقْتَصِرُ عَلَى مَا عِنْدَهُ مِنْ سَقِيمِ الْحِكَايَةِ ، فَأَكُونُ قَدْ صَدَعْتُ صَمِيمَهُ
بِتَعْدِيدِ أَلْفَاهِ ، وَبَيْتُ غَرِيمِهِ بِمَا عَسَى أَنْ يَتَكَلَّفَهُ مِنَ السَّعْيِ وَيَتَوَلَّاهُ .

وَلَهُ مِنْ أُخْرَى : جَائِزٌ فِي حُكْمِ الثِّقَةِ بِقُدْرَةِ اللَّهِ أَنْ تُرْجَى الْمَمْتَنَعَاتُ ،
وَتُتَرَقَّبَ بَطْلُوعُهَا السَّاعَاتُ ، مَعَ اسْتِبْلَاءِ الْيَأْسِ عَلَى النَّفْسِ ، كَعَقْدِ
هَذَا الْمَبِيعِ ، الَّذِي عَقَدَ الصَّيْفَ بِالرَّبِيعِ ، فَكَأَنَّمَا وَقَفَ الزَّمَانُ فَلَا جَزْؤُهُ
الْوَاقِعُ وَقَعَ ، وَلَا مَاضِيَهُ انْقَطَعَ ، وَلَا مُتَنَظَّرُهُ اِطْلَعَ ، وَإِنَّمَا هُوَ جِزْءٌ دَائِمٌ ،
وَنَفْوسٌ عَلَى الْوَرْدِ حَوَائِمُ ، وَعَهْدِي بِعِزَّةِ الْفَقِيهِ مُطْلَعُ بَشَائِرٍ ، فَلَا
يَذْكُرُ الْمَثَلَ السَّائِرَ :

وَحَتَّى يَوْوبَ الْقَارِظَانِ كِلَاهُمَا وَيَنْشَرَّ فِي الْمَوْقَى كَلِيبٌ لَوَائِلُ^٢

١ م ط د س : يتعد يدك .

٢ البيت لأبي ذؤيب الهذلي ، ديوان الهذليين ١ : ١٤٧ ، والمثل الذي يشير إليه هو « حتى

يؤوب القارظان » ، انظر القسم الأول : ٧١٦ .

وفي فصل من أخرى : سألتُ الفقيه - أعزه الله - حاجةً منذ عامين ،
وأخرى مذ شهرين ، ولم تكونا بكبيرتين ، وفي كليهما تَقْصُصَ من ودِّيَ اليدين ،
فليت شعري على أيِّ ودٍّ بعد ودِّي يشدُّهُمَا ، أو إلى أيِّ عَقْدٍ مِثْلٍ وثيق
عقدي يمدُّهُمَا ، تالله لَيَدْفَعَنَّ من بني الأيام ، إلى لثامٍ غيرِ كرام ،
أغرَّ من السَّرَابِ ، وأغدر من الذُّثَابِ ، وأعقَّ من الضُّبابِ^١ ، وأوهى
حبلاً من مضمحلِّ الضُّبابِ ، وسأله ثالثةً والثالثةُ الصادقة ، فان قضاها
شَكَرْتُه ما ذَرَّتْ شارقة ، وان أباه فخيْلُ عتابي إليه سارية طارقة .

وفي فصل من أخرى : أنا في فرطِ برِّي بالوزير الجليل - صنع الله له
كلَّ صُنْعٍ جميل - إذا رماني ببهي شَخْصِهِ الطريقُ ، عَصَبَ من استحيائه
بفِي الرِيقِ ، فلم أكدُ في التسليمِ عليه أَيْنُ ، وَجَعَلْتُ معرَضَاتُ حاجاتي
إليه تَفَرِّقُ وتَسِينُ ، حتى كَأَنِّي ما بَتُّ لها أَرْقاً ، ولا طويتُ بها كشْحاً
مُحْتَرَقاً . وكيف لا أَسْتَحْيِيهِ - أعزه الله - وإنما ألقاه بأسِطَ راحةٍ ،
أوسائلَ إراحةٍ ؟ ولولا بَشْرٌ له يؤنِسُ ، وتَهْلِلُ من وصمة
الودِّ يَعْنَمُ ويؤيسُ ، لما انبسطَ عليه في أمرٍ ، ولو مسَّتْ مُهِمَّةٌ بالدَّعِ
من جمرٍ ، وكنتُ قد أعددتُ لِسَعَةِ كرمه أربعَ حوائجٍ ، ولعلها عند حرصه
على الفضل أربعُ نتائجٍ ، سلاهيبةً أو مرابيعةً^٢ ، أشباهها^٣ للجري بنابيعٍ ، وتَأَمَّتْ
بعدُ بهذا المنظوم وَجِعاً ، وإن كنتُ متصرفاً لا مضطجماً ، ولو سريتُ من

.....

١ انظر في هذه الأمثال : الدرر الفاخرة : ٣٢٢ ، ٣٢١ ، ٣٠٦ .

٢ د : وأنا .

٣ السلاهيبة : الطوال من الخيل ؛ المرابيعة : جمع مربع وهي الناقة وممها ولدعا وهو ربيع .

٤ م ط : أشبايحها ، س : لشبا بجمعها ؛ د : أشبالها .

الصحةِ بدليل ، لاهتديتُ إلى ما يليق^١ بقلره السامي الجليل .

ومن أخرى : فما ظنته^٢ بأمد يوم^٣ يُشيبُ الوليدَ ، ويستخفُّ الحليمَ
الجليدَ ، ولعمري لئن جمل ولدانَ من جهةٍ شيئاً ، ليردَّن^٤ الشيخَ اليقَنَ
من أخرى قشياً .

ومن المنظوم الذي ذكر فيها :

يا حبَّذا قصدُ الوزير	ر وان تُكَلِّفَ في المجير
ذكرى له ظل يرفُ	وَبِشْرُهُ ماء نعيم
نفسى الفداءُ لنفسه	من كلِّ دائرةٍ تلورُ
شَهْم حوى قَصَبَ العلا	دونَ الورىِ بيها ^٥ وخير
وأقامها ببراعة	أَمْضَى من السيفِ الطرير
يَهْتِي الأميرَ حُصُولُهُ	منه على العليقِ الخطير
فَعَلَبَهُ واقيةٌ تردُّ	قنا ^٦ اللهازم تستطير
يا سامياً وهو الصغير	ر بعزمة الرجل الكبير
مهلاً فَضَحَّتْ معاشرأ	خاتوا الأمانة في الدهور
وبنيت ما هلموا فهلُ	خجلوا لذلك في القبور

١ م ط س : ملحق .

٢ م ط : نلته .

٣ زاد في م : ليله .

٤ م : تزور

٥ م : ينهى .

٦ هذه قراءة خ بهامش ط ؛ م س : فنى .

وعليك من كَلَفٍ بما يسديه رأيك أو ينير
عدد^١ النجوم تحية^٢ ولربما قل^٣ الكثير

واه من أخرى : يا سيدي الذي به أفاخرُ الشرفاء ، وأكاثُرُ منهم العددُ
الجَمُّ واللِّغَاءُ ، فمن أنوفٍ تُسَعِّطُ بالرَّغَامِ ، ومن ألوفٍ تسقُطُ كحروف
الإدغام ، بلغني من ثنائِكَ عليّ ما به أهرف ، وبالتقصير في جميعه أعترف ،
ما يزيدُ منه [١٧٠] التَّشْرُِّ على مِسْكَ دارين ، ويقلُّ عليه الشكر عدَد
رَمَلٍ يبرين . لله فضلُ نَزَرَةٍ ذلك المنطقَ الشريف عن^٤ القَدَحِ ، واستعمله
فيما استولى عليه الشَّعْثُ ، من التقريظ والمدح ، لقد ألبسني من السُّرور بتكرُّمِهِ
أضغمتي جلاب ، وكاد يطفئ المشيب في تضرُّمِهِ بكر ماء الشباب ، لم تُدْهِبِهِ
الفضائلُ من الحسد ، فشهدنا له فيها بقوة المسد ، ولولا أنْ أكونَ مادِحَ
نفسه لقلت : شتَانَ بين مُنْصَفٍ وَمُتَعَسِّفٍ ، وطالعٍ من بين^٥ الكلام
وَمُنْكَسِفٍ ؛ وقد لعمرى كنتُ مضطراً ، وكدتُ أحكُمُ لنفسي على
معاصريها طُرّاً ، وذلك بحكم معاشرَةِ قَوْمٍ ، يستعذبونَ في جَنَبِ الغضِّ
من كلمي مُرّاً عضَّ اللوم ، أيقاظُ هم أم رقود ؟ أم ليس بين الشَّبه
والذَّهَبِ نقود ؟ فيا مطلقَ بَقَرَةٍ عَيْنٍ ، لا منصفٍ لتعَيِّنَ دين ، درَّ درُّ
علائِكَ حتى تصبَحَ لك الجوزاءُ داراً ، وتسحبَ بها البدرُ إزاراً ، وتعقدَ

١ ط م د س : عد .

٢ ط س م : عل .

٣ د : نير .

٤ م : وتأسف .

٥ ط د س : بمصمي .

٦ م . وتسحب بهذا البدر .

عليك الشمس^١ أزرار^٢ ، فتفوق محلاً^٣ وتهول مقداراً .

وأنفذته من كتاب ، غب^٤ قصد الحجل المرتاب ، بنفسي فناديته ،
لينظر حين مشافهته ، كيف عمل^٥ آلياتها^٦ ، في شكر موالاتها ، فكان من
الشقاء ، ما تعذر من محبوب اللقاء ، وحملة^٧ المتطبيب أبا فلان ، كريمة
رهطه ، النابه الذكر في أعلام سبطه ، زعيم^٨ يهود ، المسود^٩ فيهم
المسود ، بحكم التوقف عن الملة^{١٠} الخنيفة ، والتردد في المذاهب
الأخبارية ، وطويته^{١١} على كلام جاش^{١٢} به صدر مكلوم ، وهاجس بمقارعة
أقران^{١٣} الهموم ، مصدوع مثلوم ، وأريد^{١٤} تحقيق^{١٥} كيفية^{١٦} حسنه ، بالنظر
في مرآة ذهنه الصقيلة ، وتعلم^{١٧} كمية^{١٨} وزنه ، بسجية^{١٩} إربه^{٢٠} الراجحة
الثقيلة ، فان كلفت^{٢١} بعد هذا به العيون^{٢٢} ، ولم يشغل^{٢٣} منه الجيرم^{٢٤} الموزون ،
فبسم^{٢٥} الاقتداء به ، والاهتداء بنجم أدبه ، لا زال علكاً^{٢٦} نهدي بمناره ،
ونعشو إلى ضوء ناره ، والسلام^{٢٧} عليه ما تلالأ^{٢٨} الفور^{٢٩} ، وصر^{٣٠} العصفور ،
تحية^{٣١} تراحمها في سماعه^{٣٢} تحيات^{٣٣} السعود ، وتملاً^{٣٤} رحب^{٣٥} ربه^{٣٦} بإنجاز
مودود^{٣٧} منها وموعد .

وله من أخرى : أطل^١ الله بقاء الفقيه الحليل ما زحرت^٢ أودية^٣ الكلام ،
وانتشرت^٤ أودية^٥ الغمام ، وصرت^٦ في القراطيس^٧ الأفلام ، وسرت^٨ إلى
النائمين^٩ الأحلام ، ولو علمت^{١٠} مزيد^{١١} له في البقاء ، ومحلاً^{١٢} فوق^{١٣} أرفع^{١٤} الكواكب

...

١ ط م : أزارا .

٢ ط م س : الاتهاد .

٣ د : أقدار .

٤ في السخ : فومن .

٥ الفور : الغباء ، يقال : لا أفعل ذلك ما لآلت الفور ، أي بصيغت بأذناها ، أي لا أفعله أبداً .

في الارتقاء ، سألته ضارِعاً إلى الخالق ، ولو قُرنت الإجابةُ فيه بالتردي من خالق ، بادرتُ ذلك غيرَ رَعْدِيد ، وأقدمْتُ منه على الخطب الشديد ، والله ينيرُ منارَ الأيام ، وينسخُ بآياتٍ عينية آثارَ اللثام . وإن العاقلَ والمتعاقلَ^٢ لينضحُ بِصُبابَةِ صَبْرِهِ ، حرّاً لا عِجِ الهَمَّ المعترضِ في صدره ، فربما أدنى له ذلك نازحٌ مني ، وأتمرُّ أحلى من ضربِ العَسَلِ جنى ؛ وقد آثرتُ هذا النوعَ من المعاشرة ، وانتبذتُ بحمد الله من كلِّ نَزَقٍ ومعاصرة^٣ ، مشبهاً بهما وإن كنت عن توقيهما^٤ بمعزل . كما ألفتُ الجمجمةَ البيضاءَ^٥ ثالثةً^٥ أثافيَّ المنزل ، فدُعِيتُ أثفيةً ، وكم باتت بطارقها المستطعم حَفِيَّةً ، فصبرتُ عن^٦ اقتضائه موعودَه ، وَحَمَيْتُ لإرصائه كاذبَ طيفي المشفقِ أنْ يعودَه ، مبالغةً في أدبٍ لا تُنصِفُه الأيام ، ولا تُسَعِفُه في أربٍ وقد جدَّ به الهيام^٨ ؛ وإني إلى لقائه — أعزّه الله — لأشوقُ من الساجعةِ ، ومَن لِيذاتِ الأرقِ براحةِ الهاجعةِ ؟ ! ولو شاء لأغنى بِأَيْسَرِ إيماء ، وأدالَ من غِلْظَةٍ^٩ الحرَّةِ برقةِ الإمامِ ؛ والآن حينَ قَعَمَ الماءُ الحوضَ ،

١ د : بايات .

٢ ط : والمتعلق ، م : والمتعالي .

٣ ط م : ومعاشرة .

٤ ط د : توقيهما

٥ ط م س : ثابتة (م : في) .

٦ ط م د س : خفيفة .

٧ د : حل .

٨ م : الحمام ، س ط : الحمام .

٩ ط د م س : غلظة .

وغمر التربة وشمل الروض ، ومشيتُ على قلبي الأميال ، ودُسْتُ^١
والله بهما ماء المني السَّيَال ، ولبت بيبي صيدح^٢ ، قَفَضَ عَنِّي دِيناً فَدَح ،
ولكن شَفَعَ خُمُولَ العطلة ، بِخَجَلِ الرحلة ، فَتَقَيَّضَ لي إصران ،
وخصِصْتُ بالشَّقْوَةِ من بين الأقران ، وقد كان وعد في حالي بجميلِ نَظَرٍ ،
ولما طال عليَّ أمد ذلك الوعدِ المنتظر ، رأيتُ أن أذكر :

وإني لأدري^٣ كيف أَرْضَى وأَقْنِصِي ولكنَّ الحرمانَ يَقْضِي بأنْ أَلْحِي [٧٠ب]
وأَصْرَفُ عن وِرْدِهِ وقد غَمَرَ الندى خفيفَ عِلْدَارٍ والمُهِنَّةَ الأَلْحِي
ومن عَجَبٍ أنْ يَمُطَّعَا كُلَّ نَحْتٍ^٤ وَأَمْنَعَ لِلْقُرْصِ الذي فاني المِلْحَا

وليس - أعزّه الله - قُرْصٌ بُرٌّ ولا شعير ، فأنه قد يكونُ مَرْتَعٌ
بعير ، ومستوقدٌ سَعِير ، إنما عَنِيَتْ أَرِيضَةٌ ضَيْقَةُ السَّاحَةِ ، تَكَادُ
تُشْتَمَلُ بِظِلِّ الرَّاحَةِ ، وتُلْغَى في كُسُورِ المسَاحَةِ ، ضَعُفْتُ عن
عمارِتها ، وطمس الكَلَأَ عَيْنَ أَمَارِهَا ، فلولا ضِدُّهَا من جَنَّةٍ جَارٍ ،
خَبِثَ الطُّعْمَةُ لثِمِ النَّجَارِ ، جَرَى له بِالْجَرَاءِ قَدَرٌ جَارٍ ، فَمَنَى صَدِثَتْ
له صَفْحَةُ أَرْضٍ صَقَلَتْهَا ، ولو اشْتَكَتْ إِلَيْهِ نُبُوَ الْمَنْزَلِ لَنَقَلَهَا ، لَأَصْبَحَتْ
هذه الْيَابِسَةُ ضَالَّةً أَنْشُدُهَا فِي الْقَرْيِ ، ولو وَقَعَ مِنْهَا الْيَأْسُ لَانْقَطَعَ
مِنْهُ الْقَرَا^٥ .

... ..

١ م ط : وجبت .

٢ صيدح : ناقة ذي الرمة ، وبهيمها يعني التخلي عن شيء عزيز .

٣ م ط د س : لا أدري .

٤ النخلة : البقر الموايل أو الحمير أو الرقيق .

٥ القرا : الظهر .

كُتِبَتْ وَإِنَّمَا يَكْتُبُ الْخَلِيُّ ، وَلَا يَحْسُ غَيْرَ عَوِيلِهِ الشَّجِيءُ ، وَمَنْ لَا يَمْلِكُ لِحَدِّهِ زَمَاماً ، فَأُخْرِى بِأَنْ تَصِيرَ يَدَاهُ الْبَاطِشَتَانِ أَكَاماً ، وَكَأَنِّي بِهِ — أَعَزَّهُ اللَّهُ — قَدْ قَالَ : بَلْ تَنْفَعُ الْأَكَامُ وَتَضُرُّ ، وَيُطْشَرِدُ بِهَا الْحَرُّ وَالْقَرُّ ، وَإِنَّمَا أُرِدْتُ الْأَهَمَّ وَالْأَعَمَّ ، وَمَا يَنْفِي الْغَمَّ ، وَيَحْزُرُ الْمَعْنَى الْأَتَمَّ ، لَا قَرَأَ صَابِرَتُهُ حَتَّى انْضَرَمَ وَتَوَلَّى ، وَلَا حَرّاً مَا أَرِمَ عِنْدِي ذَبَابُهُ وَلَا تَفَنَّنِي ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَأْلَفُ مَنَازِلَ أَهْلِ التَّرَفِ ، وَيَحُومُ عَلَى مَا فِيهَا مِنْ صَنُوفٍ مَا كُلَّ وَضُرُوبٍ طُرِفَ ، وَإِنَّمَا لَئِكَ بِسَبَّاسٍ وَحَشِيشٍ ، مُؤْتَمِدٍ بِزَيْتٍ مَبَارَكٍ وَمِلْحٍ جَرِيشٍ ، فَمَا ضَجَرَ مِنْهَا لَعْدَدَةً ، وَلَا جَاءَ نَفَاسياً شَاكِياً بِرَدَّةٍ ، فَمَنْ حَيْثُ صَحَّ اعْتِرَاضُهُ ، لَمْ يَحْلَلْ بِإِصَابَةِ الشَّائِكَةِ مِقْرَاضَهُ ، وَكُنْتُ أَجْدَعُ ٢ هَذَا الْمَقَالَ لَوْ لَمْ أَخَفْ عَلَيْهِ تَطْوِيلًا ، وَإِنْ تَطَارَدَ لِي مَا أَمِلْتُ مِنْهُ شَيْئاً قَلِيلاً ، فَسَوْفَ أَعِدُّ فِي الْبُلْغَاءِ ، وَأَحْسِنُ سَجْعَ فَوَاتِ الْأَطْوَاقِ بَعْدَ الرُّغَاءِ .

وَلَهُ مِنْ أُخْرَى : يَبْنِي وَبَيْنَ الْفَقِيهِ النَّبِيَّةِ ٣ — صَنَعَ اللَّهُ لَهُ كُلُّ مَا يَشْتَهِيهِ — مَا لَا زِيَادَةَ لَتَنْمِيقِ الْبَيَانِ فِيهِ ، مِنْ وَدٍّ مَفْتًى عَلَيْهِ الْأَسْلَافُ ، وَلَمْ يَعْرِضْ فِيهِ عَلَى مَنْ تَخَلَّفُوا بَنُوعٍ مِنْ أَنْوَاعِ التَّدَانِي خِلَافٍ ، إِذِ السَّبَبُ فِي فُسَادِ أَكْثَرِ الْأَشْيَاءِ دَنُوٌّ وَامْتِرَاجٌ ، وَلَمْ يَتَجَنَّبْ عَلَى الصَّعْدَةِ أَنْ تَبِيَّتَ طُعْمَةُ النَّارِ إِلَّا الزَّجَاجُ ، كَبْكُرِ الرَّاحِ ، أَمِنْتُ حَوْلًا مُجَرَّمًا مِنْ عَابِ التَّخْلِيلِ ، حَتَّى مُنِيَّتْ مِنَ الْمَاءِ الْقَرَّاحِ بِأَشَامِ خَطِيلٍ ، فَجَرَى لَهَا مَقْلُورُ التَّلَاقِ ، بِكَرَاهَةٍ

.....

١ ط : لقردة ؛ م س : لغردة .

٢ م ط س : أجمع .

٣ النبيه : سقطت من ط م .

مَدَاق ، وشراسة أخلاق ، وإنهما بلا ميتين ، لمن عُنْصُرَيْنِ كرميين ،
 سلالة غمام ، وسلافة مُدام ، وأي شيء اصطحب إلا انتحب ؟! الراحةُ
 - أعزك الله - في الانفراد ، ولا بدء من الإصدار للنوي الإيراد ، فاحمد
 الله على نوع من الوداد ، غريب الميلاد ، كأنما أصبح حبيساً^١ على الأبناء ،
 واستمر من الوفاء به على مثال حال البناء ، فما تغيّرت له حركة قط ،
 وأننى ذلك ولا يرفق ولا يحط ، بل تُجدد نضارته ، وتؤكد - وقد
 أجدب ثرى كل ود - غصّارته ، فما شئت ليروح ذلك العلام من شذاً
 ذكي ، وعرف من زهر^٢ الثناء مسكي ، تندى بذكره ألد الشفاء ، وتحترم
 من الخلف الأفواه^٣ .

ومنهم ذو الوزارين أبو بكر محمد بن عمار^٤

وكان غريباً المطلع ، شلي^٥ المقطع ، شنبوسي^٦ المصيف والمربع ، إلا أن

.....

١ ط م : حمياً .

٢ ط م د : زهو ، وسقطت من س .

٣ عند نهاية هذا الفصل في ط بخط مختلف ، ما يفيد سقوط ترجمة الوزير أبي أيوب سليمان

ابن أبي مدينة وأبي الحسين القرشي العامري ، ولا وجود لهما في الترجمتين في فهرس الذخيرة .

٤ ترجمته في وفيات الأعيان ٤ : ٢٥٥ والخريدة ٢ : ٧١ وبغية الملمس رقم : ٢٢٧ والمغرب

١ : ٣٨٩ والقلائد : ٨٣ والحلة السيرة ٢ : ١٣١ والمطرب : ١٦٩ والمعجب : ١٦٩

ورايات المبرزين : ٢٥ وأعمال الأعلام : ١٦٠ والنفع ١ : ٦٥٢ (نقلا عن القلائد)

وانظر صفحات أخرى متفرقة ، والوافي ٤ : ٢٢٩ وعبّر الذهبي ٣ : ٢٨٨ والشذرات

٢ : ٣٥٦ والدكتور صلاح خالص مؤلف عنه جمع فيه شعره (بغداد ١٩٥٧) وللأستاذ

ثروت أباطه كتيب عنه (في سلسلة اقرأ) .

٥ ط م : شنبوسي .

شعره غرب وشرق ، وأشأم في نغم الحداة وعلى ألسنة الرواة وأعرق ،
لا جرم فإنه كان شاعراً لا يجارى ، وساحراً لا يبارى ، إذا مدح استترل
العصم ، وإن هجا أسمع الصم ، وإن تغزل ، ولا سيما في المelderين من
الغلمان ، أسمع سحراً لا يعرفه البيان ، وكيف لا يرغب في شعره ،
ويستأنس فيما ينفث به من سحره ، وهو يضرب في أنواع الإبداع بأعلى
السهام ، ويأخذ من التوليد والاختراع بأوفر الأقسام ، وقد أثبت منه في
هذا الديوان ، ما يشتمل على غرائب الحسنى والإحسان ، وأدرجت في
أثناء مقطوعات أشعاره ، نكتاً ولطفاً من نواذر أخباره ، وذكرت آخر
أمره مع المعتمد ومباشرة قتله [١٧١] له بيده ، وأجريت شرح صفة
الحال ، من المبدأ إلى المال .

وكان قد نشأ والشعر بأفقنا أنفق ما عهدت سوقه ، وأحمر ما كانت
إلى الجاه والمال طريقه ، فاتخذة مدة صناعته ، ثم خلع بعد طاعته ،
رغبة عن نحلة سوددها سؤال ، وأجودها كذب وعمال ، وكان أبو
بكر من نقائل البوس ، ونوافض الجند البييس ، أحد من امترى أخلاف
الحرمان ، وقاسى شدائد الزمان ، وبات بين الدكة والدكان ، واستحلّس
دهليز فلان وأبي فلان ، جرّت على رأسه من ذلك أحوال ، دلت على أن
الدنيا إدار وإقبال ، وأن عيش المرء فيها تهاويل وأحوال .

بلغني عنه أنه لزّته إحدى ليليه النكبات ، في أيامه المنكرات ، إلى
انتجاع بعض أعيان شلب ، أحد من طرقت عنه أعين التوب ،

.....

١ د : بعد ذلك

وَسَعِيدَ بِمَا كَانَ ابْنُ عِمَارٍ شَقِيًّا بِهِ مِنَ الْأَدَبِ ، فَاعْتَمَدَهُ بِأَيَّامِ عَمَلِهَا عَلَى سَبِيلٍ قَدْ تَنَكَّرَتْ لَهُ وَتَنَكَّرَ لَهَا ، وَبَنَفْسٍ لَوْلَا نَفَاسَتُهَا لَقَتُلُوا ، وَاتَّقَى أَنْ قَصَبَهُ بِهَا يَوْمَئِذٍ حِينَ جَنَحَتْ ذِكَاؤُ ، وَصَبَقَتْ الْغَيْطَانُ لَوْنَهَا السَّمَاءُ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنَ النَّهَارِ إِلَّا تَعْلَةُ عَلِيلٍ ، وَبُلْغَةُ ابْنِ سَبِيلٍ ، أَضْيَقُ مِنْ عُدْرِ الْجَبَانِ فِي الْفِرَارِ ، وَأَقْصَرُ مِمَّا بَيْنَ الْحَيَةِ وَالْعَذَارِ ، فَلَمَّا أَنْشَدَهُ قِطْعَةَ شَعْرِهِ ، وَهَتَكَ لَهُ الْحِجَابَ سَاعِثُذٍ عَنْ وَجْهِ عُدْرِهِ ، أَسْرَّ إِلَى غَلَامِهِ بِكَلَامٍ قَصِيرٍ ، فَغَابَ عَنْهُ غَيْرَ كَبِيرٍ ، ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِ وَفِي يَدِهِ مِخْلَاةٌ شَعِيرٌ^١ ، وَقَالَ لَهُ : خُذْ مَا حَضَرَ ، وَأَنْتَ أَحَقُّ مَنْ عُدْرٍ . فَجَاشَتْ نَفْسُ ابْنِ عِمَارٍ جَيْشَةً أَذْهَلَتْهُ عَنْ اسْمِهِ ، وَكَادَتْ تَسِيلُ عَرَقًا عَلَى جِسْمِهِ ، وَهُمْ بِصَرْفِ نَائِلِهِ التَّنْزِيلِ إِلَيْهِ ، فَفَكَّرَ فِي مُهَيِّزٍ كَانَ يَرْكَبُ عَلَيْهِ ، فَاحْتَمَلَ الْغَضَاظَةَ فِي قَبُولِ ذَلِكَ النَّبْلِ ، رَاجِعًا بِالْمَلَامَةِ عَلَى هُجُومِ اللَّيْلِ ، مُحْتَجًا بِكُلِّ بَيْتٍ كَانَ حَقِيقَتُهُ^٢ فِي إِثَارِ الْخَلِيلِ ، وَقَامَ يَخْدُ الْأَرْضَ بِرَجْلَيْهِ ، وَيُدْنِي بِالْعَضْرِ يَدَيْهِ . فَلَمَّا صَارَ ابْنُ عِمَارٍ إِلَى الْحَالِ الَّتِي وَسَّوَسَتْ لِلْعَصْفُورِ بِصَيْدِ الْعُقَابِ ، وَسَوَّلَتْ لِلْكَبِيرِ ارْتِجَاعَ الشَّبَابِ ، هَتَجَمَّ عَلَى مَتَزِلِ ذَلِكَ الرَّجُلِ ، وَقَدْ صَارَتْ إِلَيْهِ أَعْنَاقُ الدُّوَلِ ، وَغَصَّتِ الْأَرْضُ حَوَالِيَهُ بِالْخَلِيلِ وَالْخَوَلِ ، فَقَامَ بِفَدْيِهِ بِمَالِهِ ، وَيَحْسِبُهُ يَوْمَئِذٍ خَطَرَةً بِيَالِهِ ، أَوْ خُلُوعَةً بِطَيْفِ خِيَالِهِ ، فَذَكَّرَهُ ذَلِكَ الزَّمَانَ ، وَقَرَّرَهُ عَلَى مَا كَانَ ، وَالرَّجُلُ يُتَلَاشَى بَيْنَ الْوَجَلِ وَالْحَيَاءِ ، وَيَتَمَنَّى لَوْ ابْتَنَى نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ ، وَلَمْ يَتَرَمَّهِ أَبُو بَكْرٍ ، حَتَّى أَخْرَجَ إِلَيْهِ قِطْعَةَ الشَّعْرِ ، فَبَرِئَ إِلَيْهِ ابْنُ عِمَارٍ مِنْ تِلْكَ الدُّنْيَةِ ، وَأَعْطَاهُ مِخْلَاةً مَمْلُوءَةً بِدِرَاهِمٍ قَاسِمِيَّةٍ ، وَقَالَ لَهُ : لَوْلَا حُرْمَتُكَ

١ : د : من شعير .

٢ : د : يحفظه .

لَا وَجَعْتُكَ أَدَبًا ، وَلَوْ مَلَأْتَ تِلْكَ أَمْسَ بُرًّا ، لَمَلَأْتَ لَكَ الْيَوْمَ هَذِهِ تَبْرًا .
فَسَبْحَانِ مِنْ لَا مُنَازِعَ لَهُ فِي خَلْقِهِ ، وَلَا اعْتِرَاضَ عَلَيْهِ فِي قِسْمَةِ رِزْقِهِ ، لَهُ
النِّعْمَةُ السَّابِقَةُ ، وَالْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ .

ثُمَّ لَحَظَ ابْنُ عَمَّارٍ الْإِقْبَالَ ، وَحَالَتَ بِهِ الْحَالُ ، وَقُلِّدَ الْأَعْمَالَ
الْإِسْلَامِيَّةَ فَاتَّهَمَ فِيهَا وَأَنْجَدَ ، وَقَامَ بِأَعْبَائِهَا وَقَعَدَ ، ثُمَّ لَحِقَ آخِرَ عَمْرِهِ ،
وَبَيْنَ يَدَيْ إِدْبَارِ أَمْرِهِ ، بَثَغَرَ سَرَقُوسْطَةَ بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنْ مَرْسِيَّةٍ - فِي
خَبَرِ سِيَاقِي ذِكْرِهِ - وَلَمْ يَزَلْ بِذَلِكَ الثَّغْرِ يَتَرَدَّدُ ، وَفَسَادُ حَالِهِ عِنْدَ الْمُعْتَمِدِ
يَتَرَدَّدُ ، إِلَى أَنْ كَانَ مِنْ خَبَرِهِ مَا كَانَ ، حَسْبَمَا يَأْتِي بِهِ الشَّرْحُ وَالتَّيْيَانُ .

وَأَوَّلُ تَعَلُّقِهِ بِالْمُعْتَمِدِ كَانَ حِينَ وَجَّهَهُ لِحَرْبِ شِلْبِ أَبُوهِ الْمُعْتَصِدِ ،
فَتَرَعَ ابْنُ عَمَّارٍ إِلَيْهِ ، وَيُلَاحِظُ مِنَ الْمُنْزِلَةِ لَدَيْهِ ، أَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ ، وَبَعْدَ انْتِبَازِهِ
شَلْبَ ، وَفَرَاغِهِ مِنْ تِلْكَ الْحَرْبِ ، صَحَّبَ بِهَ بِحَضْرَةِ إِشْبِيلِيَّةٍ ،
وَأَحْضَرَهُ مَعَهُ مَجَالِسَ أَنْسِيهِ ، إِلَى أَنْ أَوْجَسَ خِيفَةً فِي نَفْسِهِ مِنْ أَبِيهِ الْمُعْتَصِدِ ،
فَفَرَّ عَنْ الْبَلَدِ ، وَلَحِقَ بِشَرْقِ الْأَنْدَلُسِ ، وَتَمَكَّنَ بِهَا مِنَ الْمُؤْتَمَنِ يُوسُفَ بْنَ
أَحْمَدَ بْنِ هُوْدٍ ، فَخَاطَبَ الْمُعْتَمِدَ بِهَذَا الْقَصِيدِ الْفَرِيدِ^١ ، وَقَدْ أُثْبِتَ أَكْثَرُهُ
لِاشْتِمَالِهِ عَلَى الْبِدَائِعِ ، فَإِنَّهُ مِنْ كَلَامِهِ الرَّائِقِ الرَّائِعِ^٢ ، وَأَوَّلُهُ^٣ :

.. . . .

١ خلق ابن الأبار (الحلقة ٢ : ١٤٨) حل هذا بقوله : « ومن فاحش القلظ قول ابن بسام
ان ابن صار قال هذه القصيدة لما خاف من المعتضد لعلته على ابنه المعتضد ، لأن هذا كان
قبل ٤٦٠ أو ٤٥٠ بينما تولى المؤتمن في جمادى الأولى سنة ٤٧٤ .

٢ الرائع : سقطت من ط م س .

٣ انظر ابن خلكان ٤ : ٤٢٦ والخريدة ٢ : ٧٣ والواقعي ٤ : ٥٤ والمعجب ١٧٠ : والنفع

١ : ١٩ وصلاح خالص : ٢٠٩ - ٢١٩ ومعاهد التنصيص ٣ : ٧٥ والفريفي ٣ : ١٧٥ .

عليّ وإلا ما نباح الحمائم
وعني آثار الرعد صرخة طالب
وما لبست زهر النجوم حدادها
وهل شقت هوج الرياح جيوبها
خلوا بي إن لم تهدأوا كلّ سابع
من العاصبات الدهم إلا التفاتة
طوى بي عرص البید فوق قوائم
وخاض بي الظلماء حتى حسبتُهُ
ألا قاتل الله الجياد فأنّها
أشيب ولا تنساب عبّرة مشفق
كساها الحيا بُرد الشباب فأنّها
ذكرت بها عهد الصبا فكأنما
لبالي لا ألوي على رشد لائم
أنال سهادي عن جفون^٣ نواعس
وليل^٤ لنا بالسُد بين معاطف

وفي وإلا ما بكاء الغمام^١
لثار وهز البرق صفحة صارم
لغيري ولا قامت له في مآتم [٧١ ب]
لغيري أو حنت حنين الروائم
لريح الصبا في إثره أنف راغم
إلى غرة أهدت له تغرّ باسم
توهمتني^٢ منهم فوق قوادم
له مربوط بين النجوم العوالم
نأت بي عن أرض العلا والمكارم
وحمص^٣ ولا تعتاد زفرة نادم
« بلاد^٤ بها عق الشباب تماثمي »
قدحت بنار الشوق بين الحيازم
عناني ، ولا أثني عن غي هائم
وأجني عذاب من غصون نواغم
من النهر ينساب انسياب الأرقام

١ الوفيات والخريدة والمعاهد :

علي وإلا ما بكاء الغمام وفي وإلا فيم نوح الحمائم

٢ الخريدة : توهمت .

٣ الوفيات والخريدة : من عيون .

٤ الخريدة : وقوم (اقرأ : ويوم) .

بحيثُ اتخذنا الروضَ جاراً تزورنا
 يلبغُننا أنفاسُهُ فردُّها
 تسير إلينا ثمَّ عنَّا كأنَّها
 سقتنا بها الشمسُ النجومَ وَمَنْ بدت
 وبتنا بلا واشٍ يُحسُّ كأنَّما
 هو العيشُ لاما أشتكيه من السرى
 وصحبة قومٍ لم يهتدُبْ طباعهم
 صعاليكُ هاموا بالفلأ فندرعُوا
 ندامى وما غيرُ السيوفِ أزاهري
 هداياه في أيدي الرياحِ النوام
 بأعطرِ أنفاسٍ وأذكى لناسمِ
 حواسدُ تمشي بيننا بالنمائم
 له الشمسُ في قِطْعٍ من الليل فاحم
 حلكنا مكانَ السرِّ من صدرِ كاتم
 إلى كلِّ ثغرٍ أهلٍ مثلِ طاسم
 لقاءُ أديبٍ أو نواذرُ عالم
 جلودَ الأفاعي تحت يفسرِ النعائم
 لديهم وما غير الغمودِ كئاسم

يجري ابنُ عمَّارٍ في أكثر ما له من الأشعار جَرَيَ الجموح ، ولا يقنع
 بالكناية عن مذهبه إلاَّ بالتصريح ، لأنه كان — سمح الله له — مع ما
 مكنُّ في^١ دهره من تدبير الاقليم ، او انبسطت بنائهُ في التأخير والتقديم ،
 واجترأ على الأيام ، واقتاد من الجماهير العظام ، زيرَ قيانٍ وغلمان ، وصريح^٢
 راحٍ وريحان ، أمكهُ — زعموا — كان بين شُرْبِ كاس ، وشمِّ آس ،
 وجذكهُ في نصب حباله ، لغزالٍ أو غزالة ، ترى ذلك كثيراً في أشعاره ،
 وتسمعه أثناء أخباره ، حتى ثلَّ ذلك عَرشَهُ ، وأوهنَ بطشه ، وطأاً من
 سموه ، وساقه صاغراً إلى يد عدوه ، ألا تراه كلما نظم أو نثر ، <تفتى> بالنَّأي^٤

١ خالص : مناسم .

٢ ط م : من .

٣ ط س : وصريح .

٤ ط س : بالثاني .

والوتر ، ونحلى بالحسن والخور^١ ، وعاب على أهل سرقسطة وأنكر^٢ ، من
 هيئات الثغور ما عرف^٣ ، ووصفهم بما وصف ، كأنه لم يسمع قول الأول :
 ومن تكن الحضارة أعجبتته فأني رجال بادية ترانا^٤
 ولا قول أبي العلاء^٥ :

من كل أروع لم تأثر ضمائرهُ للنمِ خدٌ ولا تقبيل ذي أثرٍ [١٧٢]
 لكن يقبلُ فوه مِسْمَعِي فَرَسٍ مقابل الخلق بين الشمس والقمر

إلى غير ذلك مما هو أوضح ، من أن يُشرَح ، في أكثر الأشعار ، وما
 يتقضي عجيبي من ابن عمار أن ينكر تلك الهيئة ، على أهل ثغر ، أبناء قتل
 وبقايا أسر ، قلما خلوا من هبة من النصارى ، إذ مسافة ما بينهم أقصر
 من إبهام الحبارى ، وبلدهم مجرّ حواليهم ، وموقد صاليهم ، ومخفق
 أعلامهم ، ودريّة سهامهم .

وفي هذه القصيدة يقول :

وما حالُ منْ خلّى بلاد أعاربٍ^٦ وألقت به الأقدارُ أرضَ أعاجمٍ

•••••

١ م ط س : بالجن والخور .

٢ ط : وأكثر .

٣ بحاشية ط هنا تعليق بخط مختلف منقول من القلائد .

٤ هو القطامي ، انظر ديوانه : ٧٦ .

٥ شروح السقط : ١٤٤ .

٦ خالص : وما حال من ربه أرض أعارب .

يَقْبَحُ لِي قَوْمٌ مَقَامِي عِنْدَهُمْ^١
يَقُولُونَ لِي دَعْ أَيْدِيَ الْعِيسَى لَهَا
فَدَيْتَهُمْ لَمْ يَبْعَثُوا حِرْصَ عَاجِزٍ
وَلَكِنَّهَا الْأَيَّامُ غَيْرُ حَوَافِلٍ
وَإِنِّي لَأَدْعُو لَوْ دَعَوْتُ لَسَامِعٍ
أُرِيدُ حَيَاةَ الْبَيْنِ ، وَالْبَيْنُ قَاتِلِي
وَتَبَيَّنْتُ إِخْوَانَ الصِّفَاءِ تَغَيَّرُوا
لَقَدْ عَتَبُوا ظُلْمًا عَلَى غَيْرِ عَاتِبٍ^٢
وَلَوْ أَنَّ عَقَفُوا مِنْ هُنَاكَ زَارِنِي
أَجْرُ ذِيوَلِ اللَّيْلِ سَابِقَةَ الدَّجَى
فَأُورِدُ وَدِّي صَافِيًا كُلَّ شَامِتٍ^٣
وَأَغْضِي لِمَنْ يَلْقَى بَوَاجِهُ مُكَارِهِ
وَمَا هُوَ إِلَّا لَكُمْ كَفُّ مُحَمَّدٍ
إِنْ انْفَقْتُ لِي فَالْعَدُوُّ مُسَاعِدِي
وَأَيُّ حَيَاءٍ طَيْبُهُ أَيُّ سَوْرَةٍ

وفيها يقول :

.....

١ خالص : بينهم .

٢ خالص : وإني لأشكو .

٣ خالص : سخطوا . . . سخط .

٤ خالص : شارب .

٥ خالص : موافقي .

وَقَدْ رَسَقَتْ رِجْلُ السَّرَى فِي الْأَدَاهِمِ
تُؤَدِّي إِلَى أَيْدِي الْمُلُوكِ الْخَضَارِمِ
وَلَا نَبَّهُوا إِذْ نَبَّهُوا طَرَفَ نَاقِمٍ
يَلْرُبِ أَرِيبٍ أَوْ حَزَامَةٍ حَازِمٍ
مَجِيبٍ وَأَشْكُو^١ لَوْ شَكُوتُ لِرَاحِمٍ
وَأَرْجُو انْتِصَارَ الدَّهْرِ ، وَالدَّهْرُ ظَالِمِي
وَذَمُّوا الرِّضَى مِنْ عَهْدِي الْمُتَقَادِمِ
عَلَيْهِمْ^٢ وَلَا مَوَا ضَلَّةً غَيْرَ لَائِمٍ
لَزَرْتُ وَمَا عَدُوُّ الزَّمَانِ بِدَائِمٍ
وَأَرْكَبُ ظَهَرَ الْعِزْمِ صَعْبَ الشَّكَايِمِ
وَأَلْبَسُ حَمْدِي ضَافِيًا كُلَّ شَائِمٍ
حَيَاءً فَأَلْقَاهُ بِوَجْهِ مَكَارِمِ
وَتَمَكِّنُ كَفِّي مِنْ نَوَاصِي الْمَظَالِمِ
عَلَى كُلِّ حَالٍ وَالزَّمَانُ مُسَالِمِي
كَمَا كَتَمْتَنِي فِي الرُّوضِ دُهِمُ الْأَرَاقِمِ

له هزة^١ في الجودِ معضدية^٢
إذا نَشَرْتَ نَحْمَ^٣ بذكرها فخرها
أبى أن يراه^٤ الله^٥ غيرَ مُقَلَّدٍ
وَمَنْ^٦ مثلُ عبَادٍ وَمَنْ^٧ مثلُ قومه
أَلَيْكُنِي^٨ بالتسليم^٩ منهم^{١٠} إلى فنى
إذا ركبوا فانظروا أولَ طاعنٍ
أغر^{١١} مكين^{١٢} في القلوب^{١٣} محبب^{١٤}
تبوأ^{١٥} من نَحْمٍ وناهيك^{١٦} مقعداً
أبا القاسم^{١٧} أقبلها^{١٨} إليك^{١٩} فلانما
محملة^{٢٠} علراً^{٢١} فلأنك^{٢٢} جملة^{٢٣}
أنا العبد^{٢٤} في ثوب^{٢٥} الخضوع^{٢٦} لو أنني
وما عز^{٢٧} في الدنيا مراد^{٢٨} لمجذب^{٢٩}
ولكن^{٣٠} ذاك الظل^{٣١} أندى^{٣٢} غضارة^{٣٣}
ولاني^{٣٤} إذا أنصفت^{٣٥} بَعْدَكَ^{٣٦} خادم^{٣٧}
لعمري لقد أفحمت^{٣٨} كل^{٣٩} مفاخير^{٤٠}
أنازعه^{٤١} فيك^{٤٢} الثناء^{٤٣} فيثني^{٤٤}
تراك^{٤٥} تَنَسَّمت^{٤٦} الذي^{٤٧} قد أذعته^{٤٨}

تهز^١ إلى التشتيت^٢ شمل^٣ الدراهم
طوت^٤ طيء^٥ من خجلة^٦ ذِكر^٧ حاتم
حِمالة^٨ سيف^٩ أو حمالة^{١٠} غارم
ليوث^{١١} حروب^{١٢} أو بدور^{١٣} مواسم
تهادى^{١٤} به جرد^{١٥} العناق^{١٦} الصلادم
وإن نزلوا فارصده^{١٧} آخر^{١٨} طاعم^{١٩}
إليها^{٢٠} عظيم^{٢١} في نفوس^{٢٢} الأعظم
مكان^{٢٣} رسول^{٢٤} الله^{٢٥} من آل^{٢٦} هاشم
ثناؤك^{٢٧} مسكي^{٢٨} والقواني^{٢٩} لطائي^{٣٠}
من الفضل^{٣١} لم أستوفها^{٣٢} بتراجم^{٣٣} [٧٢ب]
أرى^{٣٤} البدر^{٣٥} تاجي^{٣٦} والنجوم^{٣٧} خواتمي^{٣٨}
ولا اعتاص^{٣٩} في الآفاق^{٤٠} ورد^{٤١} لحاتم
لضاح^{٤٢} وذلك^{٤٣} البرق^{٤٤} أشفى^{٤٥} لشائم
لدهري^{٤٦} وكان^{٤٧} الدهر^{٤٨} عندك^{٤٩} خادمي^{٥٠}
لما^{٥١} فيك^{٥٢} من تلك^{٥٣} السجايا^{٥٤} الكرائم^{٥٥}
كأنني^{٥٦} نازعت^{٥٧} الكؤوس^{٥٨} منادمي^{٥٩}
فأرضاك^{٦٠} أم غابت^{٦١} عليك^{٦٢} مقادمي^{٦٣}

١ خالص : منهم بالسلام .

٢ ورد في الواقي الفرنسي : ١٠٢ .

٣ م ط : أغر .

٤ خالص : طلاب لما جد .

٥ م : الأيام .

٦ د : مقامي .

ولا غرو أن حيثك بالطيب روضة^١ سَمَحَتْ لها بالعارض المتراكم

قال ابن بسّام : أما معاني هذه^١ القصيدة فمحنة مسلوكة ، ومُضَغَّة^٢ مَلُوكَة ، قد كثر تجاذبُ الشعراء أهدابها ، وقرعوا بابها ، حتى صارت كالحمل المدلل ، والمتهنّع من السُّبُل . فمن سلك مِن^٣ أهلِ أفقنا هذا السَّن^٤ ، أبو الأصبح عيسى بن الحسن^٣ ، من شعري كتب به من سجن ابن أبي عامر ، يقول فيه :

وإن سَمِعْتَ أذناكَ للورقِ رنةً فحزني يبكيها وفرطُ تفجّعي
وإن مَطَلَتْ يوماً على الأرض مزنةً فلي سَمَحَتْ بالدمعِ في كلِّ مربع

وهو شعر ضعيف ، يبيّن التكليف .

وقال يوسف بن هارون الرمادي :

على كددي تهيج السحابُ وتلدفُ ومن شجني تبكي الحمامُ وتهتفُ

.....

١ د : أول هذه .

٢ د : السبيل .

٣ أحد شعراء الدولة العمارية ، باطن عبد الله بن المنصور ، فلما ضرب أبوه عنقه سجن أباه الأصبح هذا ، وهو يشكو في شعره طول سجنه بقوله :

ليت شعري كيف البلاد وكيف الناس والوحش والسماء والماء
طال عهدي عن كل ذلك وليلي ونهاري في مقلتي سواء

انظر المغرب ١ : ٢٠٦ - ٢٠٧ .

٤ المطح : ٧٣ .

وما أحسن قول أبي الوليد بن زيدون من قصيدة قد تقدمت ، أوالها^١ :

ألم يأن أن تبكي الغمامُ على مثلي ويطلب ثأري البرقُ مُنْصَلَتَ النصل

ولما قتل الوزير الفقيه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم^٢ بمدينة الأشبونة ،
رفع الله منزلته ، وقتل قاتله^٣ ، قال بعض أهل العصر فيه يرثيه :

غليك ابن إبراهيم تبكي الغمامُ وفيك إذا ناحت تنوح الحمامُ
فلا يأمنوا رعد السماء وبرقه^٤ فما هي إلا أنصل وغمام
وقل لنعش سار شلوك فيه أن^٥ يرى لبني نعش عليك ماتم
وأن تلبس الزهر النجوم حناده^٥ عليك وتبكيك العلا والمكارم
وتنتثر الجوزاء من نظم عقدها وتسقط من كف الثريا الخواتم

وقول ابن عمار : « لريح الصبا في إثره أنف راغم » هو أيضاً من
متداولات المعاني ، منها قول محمد بن هاني^٣ :

وأجل عليم البرق فيها أنها مرّت بحاشيته وهي ظنون^٤
وقال المعري^٥ :

ولما لم يسابقهن شيء^٥ من الأشياء^٥ سابقن الظلالا

.....

- ١ ديوان ابن زيدون : ٢٦١ ، والذخيرة ١ : ٣٥١ .
- ٢ ذكره ابن بسام في القسم الثالث : ٨٦٣ ، وذكر أن الذين قتلوه هم آل الخطل ، وأورد لأبي عامر الأصيلي قصيدة في رثائه : ٨٦٦ .
- ٣ ديوان ابن هاني : ١٧٥ .
- ٤ شروح السقط : ٤٦ .
- ٥ شروح السقط : من الحيوان .

وقوله : « من العابسَاتِ الدُّهُمُ . . . » كقولِ ابنِ نُباتَةَ يصفُ فرساً
أغرَّ عجَلَ الأَربعَ^١ :

وكانما لَطَمَ الصَّبَاحُ جَبِينَهُ فاقْتَصَرَ^٢ منه لَخَاضَ في أَحْشائه

على أَنَّ ابنَ الرومي قَرَّبَ له مَرَمَاهُ ، وإن كان في غير معناه ، حيث
يقول في صفة الشُّمُولِ^٣ : [١٧٣]

أَخَذَتْ من رُؤُوسِ قومٍ كَرَامٍ ثَارَهَا عندَ أَرْجُلِ الأَعْلَاجِ

وقوله : « تَسِيرُ إلينا ثم عنا » . . . البيت ، ينظر من طرف خفي^٤ ، إلى
قول الرضي^٥ :

وَأَمْسَتِ الرِّيحُ كَالْغَيْرِ تَجَاذِبُنَا على الكَثِيبِ فَضُولَ الرِّيطِ وَالْمَمِ

والذي حوَّلَ عليه الرضي قولُ ابنِ المعتز^٦ :

وَالرِّيحُ تَجْذِبُ أَطْرَافَ الرِّدَامِ كَمَا أَفْضَى الشَّفِيقُ إلى تَنْبِيهِهِ وَسَنَانِ

وبهذا أَلَمَ ابنُ نُبَاتَةَ في قوله^٧ :

إِذَا ما الصَّبْحُ أَسْفَرَ نَبْهَتِي جَنُوبٌ مَسُّهَا مسُ الشَّفِيقِ

١ البيتة ٣ : ٣٩٢ وابن خلكان ٣ : ١٩٠ ورض الحجب ١ : ٨٦ .

٢ ديوان ابن الرومي : ٤٩٠ ورض الحجب : ١٥٠ .

٣ ديوان الرضي : ٢٧٤ والذخيرة ١ : ٣٦٥ .

٤ الذخيرة ١ : ٣٦٥ .

٥ البيتة ٣ : ٣٩٤ .

وقوله : « ونمكينُ كفتي من نواصي المظالم » منتصبٌ من قول أبي الطيب^١ :

كَأَنَّ رَحِيلِي كَانَ مِنْ كَفِّ طَاهِرٍ فَأَثْبَتَ كُورِي فِي ظَهْوَرٍ^٢ الْمَوَاهِبِ

وقوله : « وأيّ حياء طيِّبه أيّ سورةٍ » كقول الآخر :

لَا تَغْرَتْنِكَ هَذِهِ الْأَوْجُهُ الْغُرُّ فَيَا رَبَّ حَيْثُ فِي رِيَاضِ

وقوله : « إذا ركبوا فانظروا أولَ طاعن » . . . البيت ، معنى قديم ، وأول من آثاره ، ورفع مناره ، عنبرةٌ بقوله^٣ :

يُنْبِرُكَ مِنْ شَهِيدِ الْوَقَائِعِ أَنْتِي أَغْشَى الْوَغَى وَأَعْفُ^٤ عِنْدَ الْمَغْمَرِ

ولما قتلَ عليُّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، عمرو بن ود^٥ يوم الأحزاب وسقط وانكشف ، قال^٦ :

وَعَفَفْتُ عَنْ أَثْوَابِهِ وَلَوْ أَنِّي كُنْتُ الْمُقَطَّرَ^٦ بِزِّي أَثْوَابِي

وقال أبو تمام^٧ :

.....

١ ديوان المتنبي : ٢١٠ .

٢ ط م : أكف .

٣ ديوان عنبرة : ٢٠٩ .

٤ م ط : أد .

٥ عيون الأثر ٢ : ٦١ .

٦ د : المقنطر .

٧ ديوان أبي تمام ١ : ٧١ .

إنَّ الأسودَ أسودَ الغابِ همتها يومَ الكريهةِ في المسلوبِ لا السلبِ

وقال المعري^١ :

أدنى الفوارسِ من يُغيِّرُ لمغمٍ فاجعلْ مُفَارَكَ المكارمِ تُكْرَمِ

والتناسبُ في الألفاظِ والمعاني حيلٌ يتصل ولا ينفصل ، وإنما نلعمُ منها باليسير اللطيف ، وقد اندرج منها جملةٌ وافرة في تضاعيف هذا التصنيف .

وقال ابن عمار من قصيدة في المعتضدِ عبَّاد أوَّلها^٢ :

أشأقك برقٌ أم جفاك حبيبٌ فليلُكَ فففاضُ الرِّدامِ رحيبُ

يقول فيها :

إلى الله أشكو أن مالِكٍ في دمي	شريكٌ وما لي في هواك نصيبُ
أتدري من كلَّفتَ عينيك قتلهُ	وقلت : فني لا يستفيدُ غريبُ
ستنصرُهُ من مهرةٍ الخيلُ ترتمي	بأعلامِ نصرٍ في الوغى وتؤوبُ
تساموا بلخمٍ فاستهلَّتْ سماؤُهُمُ	بغيمٍ منها ذائبٌ ومذيبُ
بدورٌ ولكنَّ السَّماءَ محاربُ	وأشدُّ ولكنَّ العرينَ حروبُ
مزحتُ فأنَّني يا ابنةَ القبلِ لم أكن	لأفشي سرّاً صُمْتُه قلوبُ
سأشهدُ ^٣ قومي أن طرفك من دمي	بريءٌ وإن كان الفتور يريبُ

١ شروح السقط : ٣٢٧ .

٢ خالص : ٢٠٥ ورنج الحب : ١ : ٦١ .

٣ د : فأشهد .

وكيف أرى في الغدر نهجاً لسالك
فتىً نسخ العذر اقتضاءً وفاته
أغرُّ ينيرُ الملك منه بكوكبٍ

وعهدي بالسلك الوفي قريب
فلا تحكي أن الوفاء غريب
له في سماء المشكلات ثقب [٧٣ب]

وله فيه من أخرى^١ :

أدير الزجاجة فالنسيم قد انبرى
والصبح قد أهدى لنا كافوره
والروض كالحناء كساه زهره
أو كالغلام زها بوردي رياضه
روض كأن النهر فيه معصم
وتهزه ريح الصبا فتظنه
عباد المخضر نائل كفه
قد أح زئد المجدي لا ينفك من
يختال إذ يهب الخريدة كاعبا
أيقنت أني من ذراه يجنة
وعلمت حقاً أن ربي مخصب
من لا توازنه الجبال إذا احتبي

والنجم قد صرّف العنان عن السرى
لما استرد الليل مناً العنبرا
وشياً وقلده نداءً جوهرها
خجلاً وتاه بأسهن معذرا
صافٍ أطل على رداء أنضرا
سيف ابن عباد يبدد عسكرا
والجو قد لبس الرداء الأخرى
نار الوغى إلا إلى نار القرى
والطرف أجرد والحسام بجوهرها
لما سقاني من نداء الكوثر
لما سألت به الغمام الممطرا
من لا تسابقه الرياح إذا جرى

.....

١ م : وقال أيضاً ، وانظر هذه القصيدة في القلائد : ٩٦ والمعجب : ١٧٣ والنفع : ١ : ٦٥٥

٣ : ١٩٤ والخريدة : ٢ : ٧٢ والوافي : ٤ : ٢٣٠ والوفيات : ٤ : ٤٢٦ وخالص : ١٨٩

ورايات المبرزين : ٥٥ (٢٦ غ) والزيجان : ١ : ١٥٦ ب ورفح الحجب : ١ : ١٧٣ .

٢ ط م د : منها .

٣ ط د س : جداً .

ماضٍ وصدرُ الرمح يَكْنَهُمُ والظبا
لا خلق أقرأ^١ من شفارِ حسامِهِ
السيفُ أصدق^٢ من زيادِ خطبةٍ
وإليكما كالروضِ زارته الصبا
تَمَقَّتْهُا وشياً بذكركَ مُذْهِباً
من ذا ينافحني وذكرُكَ مندَلٌ
فلئن وجدتَ نسيمَ حمديّ عاطراً
تنبو، وأيدي الخيل تعرُّ في البرى
إن كنتَ شَبَّهْتَ المواكبَ أسطراً
في الحربِ إن كانتَ يمينُكَ منبراً
وحنا عليها الطلُّ حتى نوراً
وفتقنُها مسكاً بحمدك أذفراً
أوردتهُ من نارِ فكري مجمرأ
فلقد وجدتُ نسيمَ بِرِّكَ أعطراً

قوله : « لا خلق أقرأ من شفارِ حسامِهِ » . . . البيت ، كأنه من قول
محمد بن هاني^٣ :

ولم أرَ أنقلَ من كُتُبِهِ إِذَا جُعِلَ السيفُ حيثَ القلمُ

وذكر أن المعتمد^٤ أقام برهةً بقرطبة يرفعُ بعضَ الأمور السلطانية فشم
طَلَقَهُ ، وتذكَّرَ على عادته خُلُقَهُ ، ودعته دواعي نفسه ، إلى قبتنه وكأسه ،
فاستشار يومئذٍ ابنَ عمار ، وكان خاطبه في ذلك بشعره ، ووطنٌ عنده أهبةٌ ،

١ الخريدة : أفرى (والعلاقة واضحة بين « اقرأ » والأسطر) .

٢ القلائد : أفصح .

٣ ديوان ابن هاني : ٢٨١ .

٤ بعض هذا النص في الحلقة ٢ : ١٣٢ .

ه قال ابن الأبار (الحلقة ٢ : ١٣٢) : وسرى إلى ابن عمار أن المعتمد كتب من قرطبة
إلى بعض كرائمه شعراً يمتدح فيه من إلحاق بها ، آخره : إن شاء ربي أو شاء ابن عمار ؛
فأجابه ابن عمار بهذه الأبيات : « مولاي هندي لما تهوى ... » ، وذلك ما حكاه أبو الطاهر
الشمسي الرقسقي في ديوان شعر ابن عمار من جمعه ؛ وانظر خالص : ٢٣٦ .

إذ كانت عليه منه بعضُ الرقبة ، فوجده أهلكَ سراً ، وأقلَّ عن اللذات
صبراً ، وأشار عليه بتعطيل الثغر ، وإضاعة الأمر ، وجاوبه على ذلك بهذا
الشعر :

مولاي عندي لما تهوى مساعدة* كما تتابعَ خَطْفُ البارِقِ الساري
إن شئتَ في البحرِ فاركبْ ظهرَ ساجيةٍ* أو شئتَ في البرِّ فاركبْ ظهرَ طيَّار
حتى تحلَّ وحفظُ الله يكلِّونا* رحابَ قصرِكَ واطركني إلى دارِي
وقبلَ خَلْعِ نِجادِ السيفِ فاسعَ إلى* ذاتِ الوشاحِ وخذْ للحبِّ بالثَّار
ضمماً ولنمأ بغنِّي الحليُّ بينكما* كما تجاوبُ أطيَّارُ بأسحارِ [٧٤ أ]

ومعنى البيت الرابع من هذه القطعة ينظر إلى قول عبد المحسن الصوري
وأنشدُ الأبيات لحسنها :

أفدي الذي زارني بالسيف مشتملاً* ولحظَ عينيه أمْضَى من مضارِبِه
فما خلعت نِجادِي في العناقِ له* حتى كساني نِجاداً من ذوائِبِه
وكان أسعدتاً في نيلِ بُغْيَتِه* مَنْ كان في الحبِّ أشقانا بصاحبِه

وقال ابن عمَّار للمعتضد^١ :

الكأسُ ظامئةٌ إلى يمينكما* والروضُ مرتاحٌ إلى لقيكما
والدهرُ جارٍ في عنانِك لم تغلُ* هاتِ المنى إلا أجابَ بها كما
فأدرَ بأفاقِ الزجاجِ^٢ كواكباً* تختلُّ أكفُ سقاتها أفلاكاً

.....

١ غ بهامش ط : للمعتد : وانظر الخريدة ٢ . ٧٧ وخالص : ٢٠١ .

٢ الخريدة : بأفاق السرور .

راحاً إذا هبَّ النسيم حَسَبَتْهَا مسروقةً الأنفاس من رِيَاكَ
 في مجلسٍ بسطَ الربيع بساطه زهراً ورققه عليكَ أراكا
 سقطَ الندى فيه سُقوطَ نداكَا^١ وَجَلَّتْ عليه الشمس مثلَ سناكا
 يسري على ريحانيه نَفَسُ الصَّبَا سَحَرَا فيوهم أنه ذكراكا
 رِدْ مودَ اللذاتِ عذبا صافيا فلقد وردتَ المجدَ قبلَ كذاكا

قال ابن بسّام وأخبرني الحكيم النديم أبو بكر ابن الاشيلي ، قال :
 حضرت مجلساً أنس مع أبي بكر بن عمار بقصر الرشيد بن المعتمد ، فلما
 دارت الكأس ، وتمكّن الأنس ، وغنّيته أصواتاً ، وذهب به الطرب كلَّ
 مَذْهَبٍ ، قال ابن عمار ارتجالاً^٢ :

ما ضرَّ أن قيل لإسحاق ومُوصِلُهُ ها أنتَ أنتَ وذِي حمصٍ وإسحاقُ
 أنتَ الرشيدَ ودَعُ من قد سمعتَ به وإن تشابهَ أخلاقُ وأعراقُ
 لله دَرَكٌ دَارِكُهَا مشعشةٌ واحفزُ بِسَاقِيكَ ما قامتَ بنا ساقُ

وقال في المعتمد في حين نزوله بعضَ الحصون^٣ :

على اليُمْنِ والطائرِ السَّانِحِ نَزَلْتُ وَغَيْرَكَ للبارحِ
 وما اهتجتَ إلّا وقد هيَّجَتْكَ دواعٍ إلى البلدِ النازِحِ
 وإلّا فكم خفَّ من خفٍّ جهلاً^٤ فما هزَّ من حلمك الراجِعِ

١ نداكا : لا وجه للتثنية هنا ، ولعل الصواب « نداكا » .

٢ خالص : ٢٢٣ .

٣ خالص : ٢٢٥ .

٤ اضطرب هذا الشطر في م فجاه : « وإلّا فكم خف جهلا من خف » .

تطلبُ حقوقكَ لا لائمٌ فقد بينَ الصبحُ للآمع
ومن يعترضكَ بأوداجه فكيلهُ إلى سَعْدِكَ الذابح
وكم يزجرون وكم ينصحون فما يقبلونَ منَ الناصح
وما كان أنصتَهُمْ لو رَمَوْا زنادَ الوضي ليدِ القادح
ولا عَجَبٌ لثبوتِ القلاعِ على بأسِكَ الهادمِ الناطح
فلولا امتناعُ الفتاةِ الكتابِ لما كملتْ لدَّةُ الناكحِ [٧٤ ب]
خلعتَ الكرى في طلابِ العلا على نائمٍ دونها طافح
هنيئاً فانتَ ملكُ الملوكِ فقد صرَّحَ الجُدُّ للمازح
وما أخترني عنكَ النجومُ يا غرَّةَ القمرِ اللائح
ولا النهرُ لم يتنني عن ورودِ ندى بحركِ الزَّأخِرِ الطافح

وهذا البيت الأخير ، كأنه إلى بيت المتنبي يشير^٢ :

قواصدُ كافورٍ توارِكُ غيره ومن قصدُ البحرِ استقلَّ السواقي

وقوله : « ومن يعترضك بأوداجه » من قول الآخر في سعدٍ ، حاجبِ
ابن خاقان^٤ :

يا حاجبَ الوزراءِ إنكَ عندهم سعدٌ ولكن أنت سعدُ الذابحِ*

.....

١ ط د م س : فيا .

٢ ديوان المتنبي : ٤٤٠ .

٣ د : ركب .

٤ هو البحري ، انظر ديوانه : ٤٦٢ .

٥ بعد هذا البيت يبدأ خرم في م س .

وفيه أيضاً يقول البحري^١ :

سمّاه سعداً للتناؤل باسمه حقاً^٢ لقد ألفاه سعدَ الدايحِ

والمعريّ القائل ما هو شبيه به ، وإن كان في غير مذهبه^٣ :

يا سعدَ أخبيةِ الذين تحمّلوا لما ركبتِ دعيتِ سعدَ المركبِ

وقوله : « زناد الوغى ليد القادحِ ، وقد بيّن الصبح للآمِح » من
المثلين المضروبين وهو قولهم : « قد بيّن الصبح للذي عينين »^٤ و« أعطِ القوس
باريها »^٥ .

وقوله : « فلولاً امتناع الفتاة الكعاب » ... البيت ، كقول كشاجم :

لولا اطرادُ الصبندِ لم تك لذّة فتطاردني لي بالوصالِ قليلاً

وأصلُ هذا المعنى المثلُ السائرُ : « تمنّعي أشهى لك »^٦ .

.....

١ ديوان البحري : ٤٧٦٣ .

٢ الديوان : ظن أن يحيا به ، صري .

٣ شروح السقط : ١١٢٦ .

٤ المثل في فصل المقال : ٦١ والميداني ٢ : ٣١ والمسكري ٢ : ١٢٥ .

٥ فصل المقال : ٢٩٨ والميداني ١ : ٣١٣ والمسكري ١ : ٥٠ والفاخر : ٢٤٦ .

٦ انظر جمع الجواهر : ٦٥ وزهر الآداب : ١١ وتام التون : ٣٩٩ .

٧ الميداني ١ : ٧٤ .

ما وُجد له من شعره في النسيب وما يناسبه

قال في غلام من عبيد ابن هود^١ :

وأحور^٢ من ظباء الروم عا ط بسالفتيه من دمعي فريد^٣
نبيل^٤ الخلق جاني الخلق عبد^٥ هو المولى ونحن له عبيد
بكيت^٦ وقد دنا ونأى رضاه « وقد يبكي من الطرب الجليلد^٧ »
قسا قلباً وسن^٨ عليه درعاً فباطنه وظاهره حديد
وإن^٩ فني تملكه بنقد^{١٠} وأحرز رقه^{١١} لفي^{١٢} سعيد

وَسَجَنَ الْمُؤْتَمَنُ يَوْمًا هَذَا الْغَلَامَ لِبَعْضِ الْأَمْرِ فَتَخَلَّفَ ابْنُ عِمَارٍ عَنْ
الرَّكُوبِ لِلْقَصْرِ ، وَكَبَّ إِلَيْهِ :

أنا المطبق^{١٣} المسجون^{١٤} لا مَن سَجَّتَهُ^{١٥} وأطْبَقْتَهُ فانظر لعبدك^{١٦} أو دع^{١٧}
حرام^{١٨} حرام^{١٩} أن تراني عين^{٢٠} مَن^{٢١} تراه فان شئت^{٢٢} ارنجاعي^{٢٣} فارجع^{٢٤}
ويا حُسْنَ حال^{٢٥} الود^{٢٦} إن سمحت^{٢٧} يد^{٢٨} ولقبت^{٢٩} فيها بالشفيع^{٣٠} المشفع^{٣١}

فضحك المؤتمن^{٣٢} وأخرج ذلك الغلام .

١ انظر قتالذ المقيان : ٩٤ والمطرب : ١٧٢ وخالص : ٢٩٩ والنفع : ٣ : ٣٢٨ والواني

للرندي : ٧٦ والمسلك السهل : ٤٣٦ .

٢ غ جهامش ط : وأغيد .

٣ مضمون صدره : « فقالوا قد جزعت فقلت كلا » (أمالي القاضي ١ : ٤٩) وروايته :

وهل يبكي (وانظر النخبة ١ : ٣٢٥ .

٤ النفع : وأحرز حسنه .

٥ خالص : ٣٠٠ .

وساير ابنُ عمَّار في بعض الأسفار غلامين من بني جهور ، أحدهما أشقر والآخر عذاره أخضر ، فكان يميلُ بحديثه من ظهر دابته إلى الذي وصف منهما في هذه القطعة ، وهي من ملحہ النادرة ، وغرائب السائرة^١ :

تعلَّقَتْهُ جَهْوَرِيٌّ^٢ النَّجَارِ حُلُوَ اللَّمَى جَوْهَرِيٌّ الثَّنَايَا
 مِنَ النَّفَرِ الْبَيْضِ جَرُّوا الزَّمَانَ رَقَاقَ الْخَوَاشِي كَرَامَ السَّجَايَا [١٧٥]
 وَلَا غُرُو أَنْ تَغْرِبَ الشَّارِقَاتُ وَتَبْقَى مَحَاسِنُهَا بِالْعَشَايَا
 وَلَا وَصَلَ إِلَّا جُمَانُ الْحَدِيثِ نُسَاقِطُهُ مِنْ ظُهُورِ الْمَطَايَا
 شَتَّتُ الْمَثَلَتُ لِلزُّعْفَرَانِ وَمِلَّتُ إِلَى خُضْرَةٍ فِي التَّفَايَا^٣

ومعنى البيت الثالث منها من مشهور المعاني ، ومنها قول الطليق المرواني^٤ :

وإذا ما غَرَبَتْ في فيه تركت في الخلد منه شفقا

ومعنى البيت الرابع يشبه قول البحري ، ويتعلق به خبر حكاة الصولي

١ نفع الطيب ٢ : ٣٢٦ وعالص : ٢٥٤ ، والقصة والأبيات في القسم الرابع من الذخيرة (الورقة : ٤٠) .

٢ ط د : جوهري .

٣ المثلث : عند الاندلسيين أنواع من الأظمة يطلق عليها هذا الاسم منها المجنة المثلثة ، والمثلث من رؤوس الخس (كتاب الطيخ : ٢٠١ ، ٢٢٢ ومجمع دوزي) وألوانها تضرب للصفرة لأن الزعفران يدخل في تركيبها ؛ والتفايا : من بسائط الأظمة ، تحضر من لحم الضأن الغني مضافاً إليه ملح وفلفل وكزبرة يابسة . . . (كتاب الطيخ : ٨٥ - ٨٨) والخضراء منها يضاف إليها ماء الكزبرة الرطبة .

٤ انظر نفع الطوب ٣ : ١٩٧ وقد وردت أبيات الطليق في القسم الأول من الذخيرة : ٥٦٥ .

عن يحيى ابنه ، قال ^١ : لما ابتدأ أبي بعمل قصيدته في أبي الصقر ويهجو أحمد ابن صالح ، التي أولها :

أَمِنْ أَجْلِ أَنْ أَقْوَى الْغَوِيْرُ فَوَاسِطُهُ

قلتُ له : لمَ ركبت هذه القافية الصعبة مع رجلٍ لا حظَّ لك معه ؟ اركب قافيةً سهلة ، فقال : لعمرى إن الكلام في القوافي السهلة أمْكَنُ ، إلا أن الحاذق لا يعملُ إلا جيِّدًا في أي شيءٍ أخذ ، ثم رأيتُه قال في نسيبها :
ولمَّا التقينا واللوى موعدٌ لنا تعجَّبَ رائِي الدرَّ حسنًا ولاقطه
فمن لؤلؤٍ تجلوه عند ابتسامها ومن لؤلؤٍ عند الحديث تساقطه
فطابت نفسي وقلت : ليقُلْ بعد هذا ما أراد ، فقد أجاد وزاد .

وشبيه بهذا قول بعضهم ^٢ :

كَأَلَمَّتْنِي فَقُلْتُ : دُرٌّ سَقِيطٌ فَتَأَمَّلْتُ عَقْدَهَا هَلْ تَنَازَرُ
وَأَزْدَهَاها تَبَسُّمٌ فَأَرْتَنِي نَظْمَ دُرٍّ مِنْ التَّبَسُّمِ آخِرُ

وقال ابن عسَّار في مثل ما تقدَّم من صِفته لأهل العذار ^٣ :

١ أخبار البحري : ١٢١ - ١٢٢ وديوان البحري : ١٢٢٩ .

٢ ورد البيتان في الحلة السيراد : ٢٦٠ وكتاب التشبيهات : ١٤٤ والمساك ١١ : ١٧٤ والمرقص والطرب : ١٦ والدرة المضيئة ٦ : ٥٧٦ ورفع الحجب ١ : ١٢٤ . وينسبان للمصنفين أو لابن فرج ، وقال المقرئ في النفع ١ : ٦٤ إن صاحب المطبع نسبهما للمصنفين ، ولكنهما لم يردا في المطبع .

٣ قلائد المعقيان : ٩٦ والنفع ١ : ٦٥٣ ، ٣ : ٣٢٨ وخالص : ٢٩٧ وبذائع البدائع : ٣٧٢ والريحان ١ : ١٥٦ ب .

وَهَوَيْتُهُ يَسْقِي الْمُدَامَ كَأَنَّهُ
مَتَارِجُ الْحَرَكَاتِ تَنْدِي رِيحُهُ^١
يَسْقِي بِكَأْسٍ فِي أَنَامِلِ سَوْمَنْ
عَنَّا بِكَأْسِكَ قَدْ كَفَتْنَا مَقْلَةً^٢
يَا حَامِلَ السِّيفِ الطَّوِيلِ الْمُرْتَدِي^٣
لِيَاكَ لِيَاكَ الْوُغَى^٤ مِنْ فَارَسٍ
جَهَنَّمِ وَإِنْ حَسَرَ اللَّثَامَ فَلِنَمَّا
سَلَّمَ فَقَدْ قَصَفَ الْقَنَا غُصْنُ النِّقَا^٥
قَمَرٌ يَدُورُ بِكَوْكَبٍ فِي مَجْلِسٍ
كَالْغُصْنِ هَزَّتُهُ الصَّبَا بِتَنْفُسٍ
وَيَدِيرُ أُخْرَى مِنْ حَاجِرٍ نَرْجَسٍ
حَوْرَاءُ قَائِمَةٌ بِسُكْرِ الْمَجْلِسِ
وَمَصْرُفَ الْقَرَسِ الْقَصِيرِ الْمَحْبِسِ
نَخْسٍ الْقِنَاعِ عَلَى عِدَارٍ أَمْلَسِ
رَفَعَ الظَّلَامَ عَنِ النَّهَارِ الْمَشْمَسِ
وَسَطًا بَلِيثٍ الْغَابِ ظِيُّ الْمَكْنَسِ

ومعنى البيت الرابع منها كقول ذي الوزارتين ابن الحضرمي^٤ ، في رثاء غلام
وسيم وكان اسمه فعال ، كان المتوكل يهواه ، ومات الغلام فرثاه ، فقال :

أَوْدَى فَعَالَ فُلْهَنِي لَهُ وَلَهْفِي عَلَيْهِ
غَالَتُهُ أَيْدِي الْمَنَايَا وَكُنْ فِي مَقْلَتِي
وَكَانَ يَسْقِي النَّدَامَى بِطَرْفِهِ وَيَدِيهِ
غُصْنٌ ذَوِي وَهْلَالٍ جَارَ الْكُسُوفِ عَلَيْهِ

١ النفع : متناوح . . . يندى عطفه .

٢ خ بهامش ط : نجاهه (بخط مغاير لخط الأصل) .

٣ النفع : لِيَاكَ بَادِرَةُ الْوُغَى .

٤ هو أبو الوليد ابن الحضرمي ، وزر للمتوكل بن الأفلح صاحب بطليوس ، فداعله تيه

وعجب وتجبهر ، كرمه من أجلها أصحاب الدولة فنزله المتوكل (المغرب ١ : ٣٦٥ والنفع

٣ : ٥٠٠) والشريشي ٤ : ١٢٤ . وفيه ثلاثة من الأبيات التي وردت هنا .

٥ خ بهامش ط : وشوقي إليه .

وقال ابن عمار :

غزا القلوبَ غزالٌ حجّتْ إليه العيونُ
قد خُطّ في الخلدِ نونٌ وآخرُ الحسنِ نون

وكان له غلام وسيم يميل إليه ، فعتب في بعض الأمر عليه ، وزال عنه
إلى دار الوزير أبي المطرف ابن الدبّاغ^١ ، فشفع له أبوالمطرف برقعة وصلها
ذلك الغلام ، فكتب ابن عمار إلى الوزير المذكور^٢ : [٧٥ ب]

قرأتُ كتابك مستشفياً لهجه أبي الحسن من رده
ومن قبل فضي ختم الكتاب قرأتُ الشفاعة في خده^٣

وقال من قصيدة^٤ :

قالوا : أضرب بك الهوى فأجبتهم
قلبي مو اختار السقامَ لجسمه
من قدّ قلبي إذ تشنّى قدّه
أم من طوى الصبح المنير نقابه
يا حبّذاه وحبّذا إضراره
زيّاً فخلّوه وما يختاره
وأقام عذري إذ أطلّ عذاره
وأحاط بالليل البهيم خماره

منها :

١ وردت ترجمته في القم الثالث : ٢٥١ .

٢ النفح ٤ : ٧٣ ، ٣٠٦ وخالص : ٢٤٤ .

٣ هنا ينتهي السقط في م نس .

٤ المعجب : ١٧١ والقلائد : ٨٦ وخالص : ٢٢٠ .

عَبَّرْتُمُونِي بِالنَّحْوِ وَإِنَّمَا شَرَفُ الْمُهَنْدِ أَنْ تَرُقَ شِفَارُهُ
فَوَحُّسْنِهِ لَقَدْ ابْتَدَيْتُ لَوْصِفُهُ بِالْبَخْلِ لَوْلَا أَنْ حِمَصًا دَارُهُ
بِلَدِّ مَنَى أَذْكَرُهُ تَهْتِجُ^١ لَوْعَتِي وَإِذَا قَدَحْتَ الزَّنْدَ طَارَ شِرَارُهُ

ومن مقطوعاته الاخوانيات

اجتاز على بني عبد العزيز ببلنسية ، وكانوا يضرمون عداوته ، فأخرجوا
إليه ضيافات ، وتخلَّفوا عن لقائه ، وناب في ذلك عنهم أقوامٌ عوامٌ ، فكتب
إليهم^٢ :

تَاهَيْتُمْ فِي بَرٍّ نَا لَوْ سَمَحْتُمْ بُوْجِهَ صَدِيقٍ فِي الْلِقَاءِ وَسِيمٍ
وَسَلَسْتُمْ رَاحَ الْبِشَاشَةِ بَيْنَنَا فَمَا ضَرَّ لَوْ سَاعَدْتُمْ بِنْدِيمٍ
سَأَلْتُمْسُ الْعِلَرَ الْجَمِيلَ عَنِ الْعَلَا وَأَحْتَالُ الْمَجْدِ^٣ أَحْتِيَالُ كَرِيمٍ
وَأُنِّي عَلَى رَوْضِ الطَّلَاقَةِ بِالْجَنَى وَإِنْ لَمْ أَفْرُزْ مِنْ طَيْبِهِ^٤ بِنَسِيمٍ
ضَنْتُمْ بِأَعْلَاقِ^٥ الرِّجَالِ عَلَى النَّوَى فَلَمْ^٦ تَصِلُونَا مِنْهُمْ بِزَعِيمٍ

١ القلائد : انتدبت .

٢ القلائد : هيج .

٣ القلائد : ٩٠ والخريدة ٢ : ٨١ والخلة ٢ : ١٤٥ وغالض : ٢٧٨ .

٤ القلائد والخريدة والخلة : لفضل .

٥ م : بالحيا . . . القلائد والخريدة والخلة : من نشره .

٦ الخلة : بخلم بأحيان .

٧ ط م : ولم .

واستهدى منه بعضُ إخوانِهِ خمرآ، فبعث بها مع تفاحتين ورمّانيتين
وكتب مع ذلك ^١ :

خُذْهُمَا مِثْلَ مَا اسْتَهْدَيْتُمُوهَا عروساً لا تُزَفُّ. إلى اللثامِ
ودونكمُ بها ثديي فتاةٍ أَضْفَتُ إِلَيْهِمَا خَدَّيْ غلامِ

وأهدى إلى ذي الوزارتين ابن لبون تفاحاً وإجاصاً ، وكتب معهما ^٢ :

خُذْهَا كَمَا سَفَرْتُ إِلَيْكَ خَلُودُ أَوْ أُوجِسْتُ فِي رَاحَتِكَ نِهْدُ
حُذْرًا مِنَ التَّفَاحِ نَشْرًا ^٣ بَيْنَهَا وَلَهَا بِأَغْصَانِ الْجَنَانِ عَقُودُ
وَشَفَعْتُ بِالْإِجْصَاصِ قَصْداً إِنَّهُ شَكْلُ الْجَمَالِ وَحْدُهُ الْمَعْلُودُ
عِذْرًا إِلَيْكَ فَإِنَّمَا هِيَ أَوْجُهُ بِيضُ تَقَابُلِهَا عَيُونُ سَوْدُ
إِيهِ وَعِنْدِي مِنْ فِرَاقِكَ لَوْعَةٌ يَعْزَى إِلَيْهَا ثَابِتٌ وَيَزِيدُ
أَفْطَرْتُ مِنْ صُومِي بِفِرْتِكَ الَّتِي كَانَتْ هَلَالًا كَانَ عَنْهُ الْعِيدُ
لِللَّهِ لَيْلَتُنَا الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا هَذَا الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ مَحْسُودُ

وكتب إليه ابن لبون بهذه الأبيات ^٤ :

خُشِمَتِ بِعَصْرِكَ أَعْصَرَ الْأَجْوَادِ وَعَتَّتْ لِلذِّكْرِكَ أَلْسُنُ الْوَرَادِ
وَسَبَقَتْ أَمْلَاكَ الزَّمَانِ إِلَى مَدَى ضَلُّوهُ حَتَّى كُنْتَ أَنْتَ الْهَادِي

١ خالص : ٢٦٤ .

٢ خالص : ٢٦٣ .

٣ م ط س : نثراً .

٤ وقع البيت في م س وهامش ط .

٥ القلائد : ٩٣ .

إنَّ الكريمَ طليبة الحساد [١٧٦]
تتبيَّن الأشياء بالاضداد
أسدَّ العرين به وبدر^٢ النادي
أملَ الحريص ومنية^٣ المرتاد
أصبحن كالأطواق في الأجياد
وفخار كعب في قبيل إباد
ظلماً وصَبَح العدل عندك بادي
موصولة الأفعال بالأوعاد
لصحيح ظني أو صريح ودادي
وأرى وفاءك معني وسنادي
جعل الطلي بدلاً من الأعماد
صَوَّبُ الغمام المستهلَّ الغادي
من نور عيني أو سواد فؤادي

وغدوت أكثرهم حسوداً في العلا
وبدا بفضلك نقص كل معاند
وقفت بمغناك العيون فقابلت^١
وأنتك وافدة الركاب فقابلت
وصدَرَنَ قد حُمِّلَنَ عنك عوارفاً
فضل أرانا جود حاتم طي^٤
إيه أبا بكر أتظلم ساحتي
عجباً لوعدك كيف تُنسِكُه يد^٥
وليسبب جودك كيف لم تسمع به
إني لمعتقد إخاءك موثلي
وأصول منك على الزمان بمنصلي
فستى ديارك نائياً أو دانياً
ولئن رحلت لقد حللت بمتزل

فأجابه ابن عمار بهذه القصيدة الفريدة التي برز فيها، وأحسن ما شاء
في ألفاظها ومعانيها ، وأولها :

عطَّلتُ من حُلِّي السروج جبادي وثبت عزمي عن مسير هزني
وسلبت أعناق الرجال صمادي سَعْدِي إليه وحشني إسماعي

١ القلائد : فلاحظت .

٢ غ بهامش ط : ولاح بدر .

٣ القلائد وخ بهامش ط : ونجمة .

٤ القلائد : دانياً أو نائياً .

٥ القلائد : ٩٣ وخالص : ٢٧٢ .

وَسَلَّكَ مِنْ ثَوْبِ المَرْوَةِ والوفا ثوب^١ وحل^٢ على بني عبّاد
 إن لم أحل^٣ك من فؤادي منزلاً ينسبك أنك مالك^٤ لقيادي
 وأخصّ جانبك الرفيع بخدمة أسقيك صفو أجرة^٥ وأعاد^٦
 وأرد^٧ بذكرك من ثنائي روضة غناء^٨ حالية^٩ بنور^{١٠} ودادي
 حتى تبين^{١١} أن غرسك قد دنا بجنى^{١٢} وزرعك^{١٣} قد أنى لحصاد

قال ابن بسام : وكان هذه الأقسام التي جرت على لسانه وحلف بها
 أجيت عنه ، فإنه لم يرجع إلى إشييلية بعد من سفرته تلك لشيء صفا له ،
 ولا رفا^٤ لابن عبّاد ولا وفي له .

وذكرت بهذه الأقسام — إذ الشيء بالشيء يُذكر^{١٤} ، إذا كان من واديه
 أو تعلق بالفاظه ومعانيه — خبراً نقلته من خط الوزير أبي عامر ابن مسلمة ،
 في كتابه المترجم بـ « الحديقة » قال : كنا يوماً في مجلس أنس^{١٥} مع أبي جعفر
 ابن الأبار ، فغني بشعر الأشراف التحريض على معاوية ، حيث يقول^{١٦} :

بقيت^{١٧} وفري وانحرفت^{١٨} عن العلا ولقيت^{١٩} أضيافي بوجه^{٢٠} عبوس
 إن لم أشن^{٢١} على ابن هند^{٢٢} غارة^{٢٣} لم تخل^{٢٤} يوماً من نهاب^{٢٥} نفوس^{٢٦}

.....

١ القلائد : نفعي .

٢ د : وصلت .

٣ هذا البيت والذان بعده من هامش ط .

٤ رفا : تخفف من رفاً بمعنى حابه ورفق به ؛ ط م د س : وفا .

٥ انظر البيتين في الإصابة ١٦٢٠ ٦ والحماسة رقم ٢٥ (شرح المزدوقي : ١٤٩) .

٦ الحماسة : ابن حرب .

قال أبو عامر : فسألت ابن الأبار الردَّ عليه ، والانضمام على السلامة من ذكر أحدٍ ، حميةً للأُموية وولاءٌ^١ إلى الحربية ، فقال على الارتجال ، وقد أخذت منه الجريال :

غادرتُ عرضي عُرْضةً وأبجتهُ وتُركتُ نهب نفائسٍ ونفوسٍ
وقدفتُ أمَّ المؤمنين تمرّداً وكفرتُ من حربٍ بكلِّ رئيسٍ
إن لم نصبّحكم بكلِّ مصمّمٍ وبكلِّ ذِمٍّ في اللبوس عبوسٍ
خيّلْ كأمثالِ الأجادلِ فوقها ليس غطارفُ حامدون ليس^٢ [٧٦ب]
فلماذا كسوناكم حِداد مآتمٍ أبنا بصافيةٍ الأديم عروسٍ
نسقيكم خمر الردى بصوارمٍ ونُعلُّ من خمر المنى بكؤوسٍ

قال أبو عامر : وقد سلّم ابنُ الأبار لتلك الطائفة المردود عليها ، وتخلّصَ اللفظَ تخلّص ، على أن الاشتَر ما سلم ولا كرم .

قال ابن بسّام : والذي وصف الوزيرُ أبو عامر من الحميّة للأُموية ، وولائه لآل الحربية صحيح ، لأن جدّهم الأول أبان بن عبيد المعروف بالشرح^٣ مولى لمعاوية بن أبي سفيان ، أهدى إليه من سبي البربر^٤ ، وأبان بن عبيد هو الداخل مع عبد الرحمن بن معاوية ، فأنزله بربض الرصافة من حضرة قرطبة ، وتلك التزل دورٌ يتوارثها بنو مسلمة من تاريخ دخول عبد الرحمن إلى وقتنا هذا ، فلها بأيديهم نيْفٌ على أربعمئة سنة .

١ ط د م : وولاء .

٢ اليس : جمع أليس وهو الشجاع الذي لا يبالى الحرب .

٣ د : بالشرح ؛ م : بالفرج .

٤ نقل ابن سعيد هذا في المغرب ١ : ٩٧ .

وفي هذه القصيدة يقول ابن عمار :

يا سيدي وأنا الذي ناديتُهُ
أعطاك فضلَ الإبتداء ولو جرى
لله درُّ عقيمةٍ أبرزتها
فرعاءُ عاطرةُ الدوائب واللمى
وصلتُ^١ إليَّ مع المساءِ فعارضتُ
خطَّ من النظمِ البديعِ أفادني
يفدي الصحيفةَ ناظري فيياضها
أهدى تحيتك الزكية طيبها
وشيَّ سَخَتْ يَدُكَ الصَّنَاعُ برقمه
ولقد تعيَّنَ لو أعانتُ قدرةً
لكن عجزتُ فما استقلَّ بنشأتي
عُذْرًا ففبك لكلِّ طالبِ حُجَّةٍ
بك فاخر القلمُ القصيرُ فطاوَلَ^٢ الـ
فلنك الفصاحةُ أو لسيفك كلِّما
ثنيتُ عليك حلَّ الوزارة مثلما
وتوجت منك القيادة بالذي
أنت الحلال الحلوق طليعة^٣

لرضى قلبى منك خير منادي
ظلمُ لأنكر أن تكونَ البادي
من خِدرِ فكرك في حلِّ الإنشاد
غَيْدَاءُ حَالِيَةُ الطلى والهادي
صلةَ الحبيب أتي بلا ميعاد
حظَّ الكرام وخُطَّةُ الأجداد
بياضه وسوادها بسواد^٤
كافور قرطاس ومسك مداد^٥
فكسوتنيه مُذهَّباً بأيادي
حَسَنَ الجزاء بها وهزَّ النادي
ماءُ الفرات ولا ثرى بغداد
خَصَمُ الدُّ ووجهُ عُدْرِ بادي
رُحَمَى الطويلِ كتابةً بطراد
استمطبتَ متني منبرٍ وجواد
حمل الحسام عليه نبي نجاد^٦
ترك الرياسة مهنة القواد
وصفا مزاجاً كالسحاب الغادي

١ غ بهامش ط : خلعت .

٢ ورد في الرايات : ٥٦ .

٣ هذا البيت والذي قبله من هامش ط .

٤ هذا البيت وخمسة أبيات بعده من هامش ط .

امن معشر تشرف الأذوا بهم
 جلوا فحلوا في الأنام مكانة^١
 أفديك من حر^٢ تبعد بره
 ولقد ظفرت^٣ من اقتبالك بالمى
 وأرحت من تعبي بعهديك في ندى
 وشددت^٤ منك يدي بعلق مضنة
 يتعللون^٥ من الوفاء بعلته
 جمحوا إلى ظلمي فسست^٦ جماهم
 واستبطنوا حقدأ وبين جوانحي
 ولكم دعي^٧ في الإخاء أعرته^٨
 حتى إذا رفض^٩ الوفاء رفضته^{١٠}
 لا ذنب لي في طرد سائمة الهوى
 أنا قد رضيتك فارضتي وأعدتي
 إني لمن إن دعوت^{١١} لنصرة
 أذكيت^{١٢} دونك للعدا حدق^{١٣} القنا
 صلي أصيلك وصل^{١٤} فديتك بي أصيل^{١٥}
 ولئن بدرت^{١٦} إلى رضاي فربما
 وعلى تظاهرننا الضمان بقلته^{١٧} لا

كشرف الأيام بالأعباد
 كمكاة الآلاف في الأعداد
 شكري وقل^١ له الفدا والفادي
 وبلغت أقصى غايي ومرادي
 ظل^٢ ونمت على وثير مهاد^٣
 ونفستها بزعانف أنكاد
 ضحك^٤ الطبيب لها مع العواد
 ولقيت^٥ شدته^٦ بلين قياد^٧
 طبع يسر^٨ سخائم الأحقاد
 جذب^٩ ابن سفيان بضبع زياد
 واعتضت^{١٠} منه بطيب الميلاد
 منه على السرح^{١١} الويل الصادي
 إن كنت^{١٢} محتاجاً إلى الإعداد
 يوماً بساطي حجة وجلاد^{١٣} [٧٧أ]
 وخصمت^{١٤} عنك بالسُن الأغماد
 بك واعتمدني اتخذك^{١٥} عمادي
 وافيتني لرضاك بالمرصاد
 أعداء ثم بكثرة الحساد

١ هذا البيت من هامش ط .

٢ خالص : متمللين .

٣ م س : شدتهم (وكذلك عند خالص) .

٤ م ط س : دحاك .

إليهِ وقلت إلى الوفاء محرّكاً
وزعمت تُظلم ساحة ما بيننا
كلّا فما التسويفُ من خلّقي ولا
وهل التوت بهواك إلا لقية
أخطرتها وأكرُّ بعد إلى التي
لا بدّ من ذاك السّفارِ وإن عدتْ
سَقَرٌ إذا استبعدته فسأمتطي
نَحْدَها نتيجةً منكِرٍ لودادها
حذرًا من الردّ المخلّ فلانها
إليهِ فما خطرتُ بعطف جمادُ
ظلماً وصُبْحُ العدلِ عنديّ بادي
ليّ الجميل بعادةٍ من عادي
أحلى لعيني من لليد رقاد
يدعو المطي لها ويشدو الحادي
عنه الليالي إنهنّ عوادي
حرصى ، وأجعلُ من ثنائك زادي
بَرِم بها قال لها متفادي
بَعَثُ^٢ الزيوف إلى يَدَيّ نقاد

وكان بينه وبين حسام الدولة أبي مروان بن رزين تمكّنٌ أنسٍ ، فاتفق
أن اجتاز على مقربة من بلده ، ولم يلتقيا ، فكتب ابن رزين عليه ، فكتب
ابن عمار إليه ^٣ :

لقاؤك النّجْحُ لو أعقبته^٤ سفري
وقصرك^٥ البيتُ لو أني قصدتُ به
لم تُنِ عنك عِناي سلوةٌ خَطَرَتُ
.....

١ هذا البيت مقدم عن موضعه عند خالص .

٢ خالص : فإنما أهدي .

٣ خالص : ٢٦٢ .

٤ ط د س م : أعقبته .

٥ س : وقصدك .

لكنْ عَدَّتْني عَنْكُمْ خَجَلَةٌ عَرَضَتْ كَفَانِي الْعَذَرَ فِيهَا بَيْتٌ مَعْتَدِرُ
« لو اخْتَصَرْتُمْ مِنْ الْإِحْسَانِ زُرْتَكُمْ وَالْعَذْبُ يُهْجَرُ لِلْإِفْرَاطِ فِي الْخَصْرِ »^١

وما قيل في العجزِ عن الشكر ، بكثرة البرِّ ، أحسنُ من بيت المعري
هذا ، وقد تضمنه ابنُ عَمَّارٍ أحسنَ تضمين .

ونزل ابنُ عَمَّارٍ في بعضِ حركاته بحصنِ شقورة ، وانقبضوا عن
لِقائه استيحاشاً منه ، فكتب إليهم^٢ :

أَلْخَوَانَتَا هَلْ حَالَ مِنْ دُونِنَا أَمْرُ تَرَاءَى لَكُمْ أُمٌ وَحْشَةٌ جَرَّهَا الدَّهْرُ
بِخَاتَمٍ بَلَقِيَانَا وَكَانَ نَزُولُنَا عَلَى جَفْوَةٍ مِنْكُمْ وَإِنْ عَظُمَ الْبَرُّ
وَمَا هُوَ إِلَّا مَقْطَعُ كَهْوَانِكُمْ عَصِيبٌ وَخَلْقٌ مِثْلُ مَنَزَلِكُمْ وَعَرِ
نَقُوا بِي إِذَا عَنَّ الْلقاءُ فَمَا اعْتَزَى إِلَى شَيْمِي غَدْرٌ وَلَا بِيَدِي سَحَرُ

وكتب منه إلى أبي الفضل بن حسداي^٣ يصفُ حصنَ شقورة وحصانَتَه^٤ :

أَدْرِكْ أَخَاكَ وَلَوْ بِقَافِيَةٍ كَالطَّلِّ يَوْقُظُ نَائِمَ الزَّهْرِ
فَلَقَدْ تَقَاذَفَتِ الرِّكَابُ بِهِ فِي غَيْرِ مَوَاقِفٍ وَلَا بَحْرِ
طَفَعَتْ صَحَابَتُهُ بِلَا سِنَةٍ وَتَمَايَلَتْ سُكْرًا بِلَا خَمَرٍ [٧٧ ب]

١ انظر شروح السقط : ١٢٠ .

٢ خالص : ٢٩٥ .

٣ ترجمته في القسم الثالث : ٤٥٩ .

٤ القلائد : ٩٢ وخالص : ٣٠٢ .

٥ م ط س : طفقت .

ومنها في صفة الحصن :

وحشٌ تناكرتِ الوجوهُ به حتى استربتُ بصفحةِ البدر
متجبرٌ سال الوقارُ على عطفه من كِبَرٍ ومن كِبَرٍ
عالٍ كأن الجنَّ إذ مرَدَتْ جعلتهُ مرَفاةً إلى السرِّ

وكتب في ذلك إلى ابن المطرِّز^١ :

تراءَ لعيني إن أردت مبرِّقي وسبَّبَ إلى الحُسْنَى ولو بقسيمٍ
فما شَمَّ عَرَفُ المسكِ دون تنشُّقٍ ولا اهتزَّ عطفُ الغصنِ دون نسيمٍ

وكان في ضيافة المعتصم صاحب المرية ، بالمنية الصمادحية ، فلما أزمع
على الرحيل استسرحه^٢ بهذه الأبيات :

يا واثقاً وصلَ السَّمَاحَ الجَوْدَ^٣ في فضلِ السَماحِ
ومطابقاً يأتي وجوهَ الجِدِّ من طُرُقِ المزاحِ
أسرَفْتُ في برِّ الضيافِ فجدُّ قليلاً بالسَّراحِ

فأجابه المعتصم^٤ :

يا فاضلاً في شكرِهِ أَصِلْ المساءَ مع الصَباحِ
هلا رفقتَ بمهجتي عند التكلُّمِ بالسَّراحِ
إنَّ السَماحَ بمثلِكُم والله ليس من السَماحِ

١ ط م س : إلى المطرِّز ؛ وسيرد « ابن المطرِّز » ص : ٤١١ ؛ وانظر خالص : ٣٠٤ .

٢ القلائد : ٥٠ وخالص : ٢٦٥ والحلة : ٢ : ٨٥ والمغرب : ٢ : ١٩٨ .

٣ المغرب والحلة : فضح السحاب ؛ المغرب : الجون .

٤ القلائد : ٥١ والحلة : ٢ : ٨٥ والمغرب : ٢ : ١٩٨ .

فلما أُرِيعَ على الرحيل ، وشرع في سلوك السبيل ، وحضر المعتصم
لوداعه ، أنشده ابن عمار جواباً على أبياته الثلاثة ^١ :

وخطُّكَ أم روضُ الربيعِ المنقِـ	ألفظُكَ أم كأسُ الرحيقِ المعتقِـ
بروقُ على جيدِ العروسِ المطوقِـ	ونظْمُكَ أم سلكُ من اللزِّ ناصعُـ
شممتُ ^٢ بها عَرَفَ النسيمِ المخلِّقِـ	بعثتُ بها يا قطعةَ الروضِ قطعةُـ
بعثتُ بها الجوزاءَ في صفحِ مُهرَقِـ	ثلاثةَ أبياتٍ وهيَّاتٍ إنما
وكيف يكونُ السَّحرُ في لفظِ متَّقِـ	هيَّ السَّحرُ أسرى في النفوسِ من الهوى
بأبطالها والخيلُ بالخيلِ تلتقي	أمتصماً بالله والحربُ ترتجي
لأفترقُ من ذكرِ النوى والتفرقِـ	دعني المطايا للرحيلِ وإنِّي
جبينكُ شمسي والمريةُ مشرقِـ	وإنِّي إذا غرَّبتُ عنك فلأنما

وكتب إليه المعتصم يوماً بنثر وشعر يقول فيه ^٥ :

وظولُ اختباري صاحباً بعد صاحبِـ	وزهدني في الناسِ معرفتي بهم
مبادية إلا ساعني في العواقبِـ	فلم تُرني الأيامُ خجلاً تُسرني
من الدهرِ إلا كان إحدى المصائبِـ	ولا قلتُ أرجوهُ لدفعِ ملمةٍ

فأجابه ابن عمار بقوله ^٦ :

.....

١ القلائد : ٨٦ والمطرب : ١٧٣ وخالص : ٢٩٧ .

٢ م ط : بعثت .

٣ ط والقلائد : منطق .

٤ القلائد : وإن .

٥ القلائد : ٤٩ والخريدة : ٨٣ وابن خلكان : ٤٠ : ٤٠ : ٤٠ : ٨٤ والمغرب : ٢ : ١٩٧ .

٦ القلائد : ٥٠ : ٥٠ : ٥٠ : ٨٤ وخالص : ٢٦٩ .

فديتك لا تزهّد وتسم بقية
وأبقى على الخُلصان إن لديهم
تكنفتني بالنثر والنظم عاباً
وقد كان لي لو شئت رد وإنما
ولا بد من شكوى ولو بتنفس
كتبته على رسمي وبعد نسيئة
ثلاثة أبيات وهيئات إنما
وكيف يلذ العيش من عتب سيد
وقبل جرت عن بعض كتي جفوة
سلكت سبيلي للزيارة إثرها
وما كنت مرتاداً ولكن لنفحة
ولو لمعت لي من سمائك برقة
فقبلت من يملك أعذب مورد
وأبت خفيف الظهر إلا من النوى
سوالك يعي قول الوشاة من العدا

سترغب فيها عند وقع التجارب [١٧٨]
على البدء كرات بحسن العواقب
وسقت على القول من كل جانب
أجر لسان ذكراً تلك المواهب
يسكن من حر الحشا والثرائب
قرأت جوابي من سطور الموابك
بعثت إلى حربي ثلاث كتائب
وما لذتي يوماً على عتب صاحب
ألحت على وجهي بغمز الحواجب
فقابلت دفعاً في صلور الركائب
تعدت من ربحان تلك الضرائب
ركبت إلى مغناك هوج الجنائب
وقضيت من لقاءك أوكد واجب
وخلّيت للعاني ثقال الحقايب
وغيرك يقضي بالظنون الكواذب

١ القلائد وخ بهامش ط : جاهداً (يغير خط الأصل) .

٢ القلائد وخ بهامش ط : بعض (بخط مختلف) .

٣ الحريرة : يخفف ؛ القلائد : يبرد .

٤ ط م س : لغمز .

٥ القلائد : قبلها .

٦ الحريرة : فصادفت .

تلخيص التعريف بآخر أمره وكيفية مقتله

كان حب الرئاسة في رأسه يدور ، وأما انتراؤه بمرسية فمشهور ، وأفضت الحال بالرشيد هنالك إلى الاعتقال ، بأيدي نصارى الافرنجة ، في جملة من المال كانوا أكثروا بها ، فحبسوا الرشيد بسببها ، إلى أن الفتك أبو المعتمد في خبر طويل ، وابن عمار صاحب ذلك الرعيل^٢ ، والمعلوم في المعلوم من أمره والمجهول ، وفساد حاله عند المعتمد يتزايد ، وتدابيره يتساند . وفي أثناء ما وقع من تدبير تلك الأمور ، ونجوم ذلك الاستيحاء والتغيير ، خاطبه المعتمد عاتباً متمثلاً بهذين البيتين^٣ ، وكان قد خرج عنه :

تغير لي في من يتغير حارث وكل خليل غيبرته الحوادث
أحارث إن شورك فيك فطالما نعمنا وما بيني وبينك ثالث
فأجابه ابن عمار بقوله^٤ :

١ نقله ابن الأبار في الحلة ٢ : ١٤٤ .

٢ الحلة (٢ : ١٤٤) : الرعيل ، وذلك تغيير من المحقق ، ليطابق ما اقترحه ابن عمار من خروج إلى شرق الأندلس مع الرشيد بجيش اشبيل للاستيلاء على مرسية (وفي أصل الحلة : الرعيل) .

٣ هما لاهراهم بن العباس الصولي قاهما لما انحرف عنه ابن الزيات ، وكان الحارث بن بسخر صديقاً له ، فهجره فيمن هجره من إخوانه (الأغاني ١٠ : ٤٥ وديوان العباس : ١٨٧) وقيل إن البيتين لإسحاق بن ابراهيم الموصل .

٤ الحلة ٢ : ١٤٣ وخالص : ٢٨٤ وتمام المتون ٣٠٨ .

لك المثلُ الأعلى وما أنا حارثُ
ولا شاركتك الشمسُ فيَّ وإنه
فديتُك ما للبشرِ لم يسرِ برقهُ
أظنُّ الذي بيني وبينك أذهبتُ
تنكّرتَ لا أني لفضلك ناكراً
ولكنّ ظنونٌ ساعدتها نغائمٌ
أبعدتْ متصّت خمسٌ وعشرون حجةً
مضتْ لم ترِبْ مني أمورٌ شوائبٌ
حللتْ يداً بي هكذا وتركنتي
وهل أنا إلا عبدٌ طاعتك التي
أعبدُ نظراً لا توهنِ الرأيَ إنه
ستذكرني إن بان حيلي وأصبحت
وتطلبيني إن غاب للرأي حاضرٌ
أعوذ بعهدِ نطقتُهُ بك أن تُرى

ولا أنا ممّن غيّرتَه الحوادثُ
لينأى بحظّي منك ثانٍ وثالث
ولا نفحتْ تلك السجايا الدماث
حلاوته عني الرجالُ الأخابث
لديّ ولا أني لعهدي ناكث
كما شاعدتْ متنّى^١ المثاني الثالث
نجّفتْ بناتلك الخطوب الكوارث [٧٨ب]
ولا تليّتْ مني مساعٍ خباث
نهاباً وللأيام أيدٍ عواث
إذا متّ عنها قام بعدي وارث
قديماً نبا^٢ هافٍ وأدرك راث
تثن^٣ بكفّيتك الحبالُ الرثااث
وقد غاب منّي للخواطر باعث
تحلّ عراه العاقلاتُ النوافث

قوله : « قديماً نبا هافٍ وأدرك راث » معنى مشهور ، القول فيه كثير ،
ومن أشهره قول عبيد * :

.....

١ الخلة : صوت .

٢ الخلة : أبعد انقضا خمس وعشرين .

٣ الخلة : كبا ، ط م د س : بنا .

٤ د : تمر .

٥ ليس لعبيد ، وإنما هو لعدي بن زيد ، ديوانه : ٧٠ .

قد يدركُ المبطلُ من حظِّه والخير قد يسبقُ جهْدَ الحريصِ

وقال القطامي^١ :

قد يدركُ المتأنِّي بعضَ حاجته وقد يكونُ مع المستعجلِ الزَّلُّ

ولما سمعه أعرابي قال : هذا ضَبَطَ الناس . هلاً قال بعد هذا :

وربما ضرَّ بعضَ الناس بطشُهُم وكان خيراً لهم لو أنَّهم عجلوا

وفي أثناء تلك الحال ، التي أفضت بالرشيد إلى الاعتقال ، كتب إلى المعتمد بهذه الأبيات^٢ :

أصدّقُ ظنِّي أم أصبحُ إلى صبحي	وأمضي عزيبي أم أھوجُ مع الركبِ
إذا انقدتُ في رأيي مشيتُ مع الهوى	وإنْ أتعبتْهُ نكصتُ على عقبي
ولائي لثنيني إليك مودةٌ	يغيرها ما قد تعرّضَ من ذنب
فما أعجب ^٣ الأيام في ما قضت به	تُريني بُعدي عنك آتسَ من قرني
أخافُك للحقّ الذي لك في دمي	وأرجوك للحبّ الذي لك في قلبي

وهذا^٤ البيت على سهولة مبناه^٥ ، من أحسن ما قيل في معناه ، وبمثله

.. ..

١ ديوان القطامي : ٢٥ وتمام المتن : ٥٦ .

٢ الحلة ٢ : ١٣٥ وديوان المعتمد : ٥١ ؛ وعند الفتح في القلائد : ٩٠ - ٩١ أبيات اختلطت بها بعض هذه ، كتبها ابن عمار إلى المعتمد ، وانظر خالص : ٢٧٩ .

٣ الحلة : أغرب .

٤ نقل التعليق في الحلة ٢ : ١٣٦ .

٥ د : مبتناه ؛ ط : معناه .

فلتخدعِ الألبابُ ، وتستعطفِ الأعداءُ للأحبابِ^١ ، إلا أنْ المصراع الأولُ
 كأنه شيءٌ تكهنته من شأنه ، وطيرةٌ ألقاها الله تعالى على لسانه ، وصدق
 كان له في عنقه ربقٌ^٢ ، وفي دمه حقٌ^٣ ، احتال له فئاله ، والمرءُ يعجزُ لا
 المحالة . وفيها يقول :

وكم قد فَرَّتْ يَمْنَاكَ بِي مِنْ ضَرِيبةٍ ولا بدُّ^٤ يوماً أنْ يُفْتَلِلَ مِنْ غُرْبِي
 ولا بدُّ ما بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنْ ثَنَا يطبِّقُها ما بَيْنَ شَرْقٍ إِلَى غَرْبٍ^٥
 وأعلمُ أنْ العَفْوُ مِنْكَ سَجِيَّةٌ فلم يبقِ إِلَّا أنْ تَخْفُفَ مِنْ عَتَبِ
 فلي حَسَنَاتٌ لَوْ أُمْتُ بَعْضُهَا إِلَى الدَّهْرِ لَمْ يَرْتَعْ لَنَائِبَةٍ سَرْبِي
 فأجابه المعتمد بقوله^٦ :

تقدَّمْ إِلَى ما اعتدت عِنْدِي مِنَ الرَّحْبِ وَرِدْ تَلْقَأكَ العُتْبَى حِجَاباً عَنِ العُتْبِ
 متى تَلْقَني تَلِقِ الَّذِي قد بَلَّوْتهُ صَفُوحاً عَنِ الجَانِي رَوْفاً عَلَى الصَّحْبِ
 سأوليكُ مِنِّي ما عَهدتُ مِنَ الرِّضَى وَأَصْفَحُ عَمَّا كانَ إِنْ كانَ مِنْ ذَنْبِ
 فما أَشعرُ الرَّحْمَنُ قَلْبِي قَسْوَةً وَلَا صَارَ نَسِيانُ الأذْمَةِ مِنْ شِعْبِي [١٧٩]
 تَكَلَّفْتُهُ أَبْغِي بِهِ لَكَ سَلْوَةً فَلَيْسَ يَجِيدُ الشَّعْرَ مَشْرَكَ اللَّبِ

١ د : للأصحاب .

٢ الحلة : ولا غرو .

٣ هذا البيت ورد في ط م س ، وذكر ابن الأبار (الحلة ٢ : ١٣٧) أن أبا الطاهر التميمي أورد هذا البيت زيادة على ما أورده ابن بسام في روايته .

٤ الحلة ٢ : ١٣٦ وديوان المعتمد : ٥٢ ، والرد الذي أورده الفتح في القلائد يتضمن أبياتاً على الروي نفسه ، لكنها غير هذه .

فلم يزد جواب المعتمد هذا إلاّ توحّشاً ونفاراً، وتوقفاً عن اللحاق به
وازوراراً ، والله درّ أبي الطيّب في قوله ^١ :

إذا ساء فعلُ المرءِ ساءتْ ظنونُهُ وصدق ما يعتادهُ من توهمِ
وعادى محبّه لقولِ عدائه وأصبح في ليلٍ من الشكِّ مظلم

ونقله المتنبي من قول أعرابي :

أسأت إليّ فاستوحشتَ منّي ولو أحسنتَ ما استبعدت عني
أسأت فساء ظنّك بي لحاجاً وما أولى المسيء بسوءِ ظنّ

وقول المعتمد : « تكلفته أبغي به لك سلوة » . صدق فيما وصف .
وزاد على التكلف .

وقول ابن عمار : « فلي حسنات لو أمتُ ببعضها ، إلى الدهر » مما
ردّد لفظه ومعناه ، وأصله فيما أراه من قول الفيلسوف : « قد تكلمتُ
بكلامٍ لو مُدِّح به الدهرُ لما دارت عليّ صروفه » ، وأخذ الناجم ^٢ فقال ^٣ :
ولي في أحمدٍ أملٌ بعيدٌ ومعنى حين أنشدُهُ ظريفٌ
مدائحُ لو مدحتُ بها الليالي لما دارت عليّ لها صروف

وقال المتنبي ^٤ :

.....

١ ديوان المتنبي : ٤٥٦ .

٢ م ط س : الناظم .

٣ زهر الآداب : ٦٣٣ وذهب الحصري إلى أن الناجم أخذه من قول بشار في المهدي : « لقد مدحته
بشعر لو قلت مثله في الدهر لما خيف صرفه على حر » .

٤ ديوان المتنبي : ٣٧ .

في فيلقٍ من حديدٍ لو رميت به^١ صرف الزمان لما دارت دوائره^٢

وكانت حال ابنِ عمار ، حين تردّد بتلك الأقطار من بلد بني هود ،
قد تمكن منهم بالمؤمن ، إلا أن بني عبد العزيز كانوا يُشْرِقُونَهُ بِرِيقِهِ ،
ويوعِرون عليه السَّهْل من طريقه ، ويبلغُهُ عنهم ما تتوقّد له ضلوعه^٣ ،
وتنسكبُ منه ذمّوعه^٤ . بلغه عنه^٥ وعن ابن طاهر أنهما نَدَّرا فيه بسبب
خاتمين كان المؤمن ختمه بأحدهما ، والآخر اذفونش بن فردلند ، فكتب
ابن عمار إلى ابن عبد العزيز^٦ :

قلّ للوزير وليس رأيَ وزير أن يُشجَّعَ التَّنْدِيرَ بالتَّنْدِيرِ^٧
إنّ الوزارةَ مذ لبستَ رداءها^٨ وقفْ على التَّغْيِيرِ والتَّزْوِيرِ^٩
وأرى الفكاكةَ جُلّ ما تأتي به رحماك في التَّعْجِيزِ والتَّصْدِيرِ^{١٠}
بلغتْ دُعَابَتُكَ التي أهدَيْتَها في خاتم التَّأْمِينِ والتَّأْمِيرِ^{١١}
وأظنّها للطاهري^{١٢} فإن تكن^{١٣} فجديرةُ التَّقْدِيسِ والتَّطْهِيرِ^{١٤}

١ الديوان : لو قلّفت به .

٢ يعني ابن عبد العزيز ، ولم يصرح بذكره فيما سبق .

٣ الحلقة ٢ : ١٤١ والقلائد : ٦٤ وخالص : ٢٩٣ .

٤ القلائد : التزوير بالتبذير .

٥ الحلقة : لو سلكت سبيلها .

٦ د : والتدوير ؛ الحلقة والقلائد : التميز والتوقير .

٧ يعني أبا عبد الرحمن ابن طاهر ، وكان مشهوراً بنوادره ، كما وضع ابن بسام في ترجمته
في القسم الثالث : ٢٦ - ٢٧ .

فرسا رهان أنتما فتجاريا بالقول في التقديم والتأخير^١
 وإذا سلكت سبيله فحقيقة^٢ كي تتبع التصغير بالتصغير
 وأرى بلنسية^٣ وأنت قدارها^٤ سينالها التدمير من تدمير

وفي بني عبد العزيز أيضاً يقول مغرباً بهم ، خاطباً لنفسه ، ونحلها ابن
 المطرز الشاعر^٥ :

بَشَّرْ^٦ بلنسية^٧ وكانت جنة^٨ أن^٩ قد تدلّت في سواد النار^{١٠}
 جازوا^{١١} بني عبد العزيز فلأنهم ثوروا بهم متأولين وقتلوا
 هذا محمد^{١٢} أو فهذا أحمد^{١٣} وكلاهما أهل لتلك الدار [٧٩ب]
 جاء الوزير بها يكشف^{١٤} ذيله^{١٥} عن سوء^{١٦} سوى ومار عار
 وأوى لينصر من نبا المثنى به ودهاه خذلان^{١٧} من الأنصار^{١٨}

.....

١ في الخلة :

ولعل يوماً أن يصير لمتي في طينة التقديم والتأخير

وفي القلائد : أن يصير نقشه .

٢ قدار : عاقر الناقة ؛ وفي د : مدارها .

٣ كان ابن عمار شديد التنقص للوزير أبي بكر أحمد بن محمد بن عبد العزيز ، ويقال إنه نظم
 هذه الأبيات حين غدره ابن عبد العزيز في حصن جملة (Jumilla) من أعمال مرسية
 (انظر الخلة ٢ : ١٥٥ وديوان المتمدن : ٧١) .

٤ الخلة : غبر .

٥ د : سواد القار .

٦ ط د س : جازوا .

٧ ط م د س : ذيلها .

٨ البيت من هامش ط ، وهو والأبيات المزيدة هنا من تقييد معلق آخر عدا الناسخ .

نكت اليمين وحاد عن سنن التقى
ما كنتم إلا كأمة صالح
هذا وخصكم بأشام طائر
برّ اليمين ولم يعرض نفسه
لا بدّ من مسح الجبين فإنّما
هيهات يطمّح بالنجاة لطالب
كيف التفتت بالخديعة من يدي
رجل تطعمته الزمان فجاءه
سلس القياد إلى الجميل وإن يهج
طمين بأعراض الأمور مجرب
ماض إذا برزت إليه مصمم
ما زال مذ عقدت يده إزاره
كشاف مظلمة وسائس أمة
عجباً لأشعث راضع ندي الوغى
شراب أكواس المدام وتارة
جرار أذبال القنا ، ظنّوا به
وكأنكم بنجومه ورجومه
وأنا النصيح فإن قبلتم فاتركوا
قوموا إلى الدار الخبيثة فانهبوا

وقضى على الإقبال بالادبار
فرماكم من طاهر يقدر
ورمي دياركم بالأم جارا
ونفوسكم بمصارع الفجار
لطمته غدراً غير ذات سوار
ساع إذا ونّت الكواكب سار
رجل الحقيقة من بني عمار
طريقين في الإحلام والامرار
قدع العنان لهبة التيار
فطن لأسرار المكاييد دار
حول إذا التفتت عليه مدار^١
فسما فأدرك خمسة الأشبار
نفّاع أهل زمانه ضرار
منه ، وطود في القنا الخطار^٢
شراب أكواس الدّم الموار
قد زاركم في الجحفل الجرار
تهوي إليكم من سماء غبار
آثارها خبّراً من الأخبار
تلك الذخائر من خبايا الدار

١ هذا البيت والذي يليه من هامش ط .

٢ هذا البيت والذي بعده من هامش ط .

٣ زيادة من هامش ط .

وتعوضوا من صفرة خبيثة بأغرّ وهنّاح الجبين نصار

ولما سمع المعتمد هذا القصيد ، وقرع سمّعه فخار ابن عمار ، قال
هذه الأبيات ، وهي من مليح التعريض ، ومقلوب التقرّيص ، وأضافها
إلى بيت ابن عمار حيث قال عن نفسه :

كيف التفلّت بالخدبة من يدَي رجل الحقيقة من بني عمار

فقال المعتمد ٢ :

الأكرّين مسوداً ومملوكاً	ومتوجّاً في سالف الأعصار
المكثّرين من الكباء لنارهم	لا يوقدون بغيره للساري
والمؤثرين على العيال بزادهم	والضارين لهامة الجبار
الناهضين من المهود إلى العلا	والمنهضين الغار بعد الغار
إن كوثروا كانوا الحصى أوفوخروا	فمن الأكاسر من بني الأحرار
يضحي مؤملهم يؤمل سيّبه	وبيت جارهم عزيز الجار
تبكي عليهم شنبوس بعبرة	كأنيها المتدافع إلتبار
يبكي بها القصر المنيف ثلاث	شرفاته في خضرة الأشجار
ما ضاحكته الشمس إلا خلته	نضحت جوانبه بماء نصار
يا شمس ذاك القصر كيف تخلّصت	فيه إليك طوارق الأقدار [٨٠ أ]
لما تنلّك شعوب حتى جاوزت	غلب الرجال وسامي الأسوار
كم كان من أسد هناك خادر	لك حارس بأسنة وشفار

١ ط د : التقرّيط .

٢ الحلقة ٢ : ١٥٦ وديوان المعتمد : ٧٢ .

من قومك الزَّهْرُ الوجوه إذا الوغى كست الوجوه الغر ثوب القار
من كل أشوس خائف في لجة نحو الكُماة بشعلة من نار
لما ناهم للعلا عمَّارهم تركوا العداة قصيرة الأعمار

وشنبوس^١ التي ذكر هي اسم قرية ببادية شلب ، كانت مقر سلف
ابن عمَّار .

وقوله : « يا شمس ذاك القصر » كانت والددة ابن عمَّار — زعموا —
تدعى بشمس مصغرة .

فلما بلغ ابن عمَّار شعر المعتمد هذا ، وقد بلغ من التدبير^٢ فيه الغاية ،
وتجاوز من الطَّنْز عليه النهاية ، فُلَّ حَدُّ صَبْرِهِ ، ولم يشك أنه من
شعره ، فشاعت في الناس أشعار^٣ ، عُرِيت إلى ابن عمَّار ، في القدح في
المعتمد وآله وذويه وعياله ، منها قصيدة^٤ أولها :

ألا حي بالغرب حيًّا حِلّالا أناخوا جِمالًا وحازوا جِمالًا
وعرَّج بيومين أم القسرى ونم فعى أن تراها خيالًا
لتسأل عن ساكنيها الرماد ولم تر للنار فيها اشتعالًا
وبَعْدَهُ ما أضربت^٥ عنه ، رغبة بكتابي عن الشين^٦ ، وبِنَفْسِي أن

١ ط م د : وشنبوش .

٢ ط م س : التدبير .

٣ الحلقة ٢ : ١٥٧٦ والخريدة ٢ : ٧١ والريحان ١ : ١٥٦ ب والوفيات ٤ : ٤٢٨

والوافي ٤ : ٢٢٠ .

٤ د : أضرب .

أكون أحدَ الهاجيينِ ، فقد قالوا : الراوية أحد الشائمين .

وقوله : « وعرج يومين » هي أيضاً اسمُ قريةٍ بقطر لإشبيلية كانت أوليّةُ بني عبّاد منها .

فلما قرّعتِ الأسماعُ تلك الأشعار^١ ، وتُسبّت لابنِ عمّار ، اشتدَّ حنقُ المعتمد عليه ، ونفوذُ المقلوبِ يتسبّبُ لموته على يديه ، فلم يزل المعتمد يرتصدُّ فيه الغوائل ، وينصبُّ له الحبال ، إلى أن لاح لابنِ عمّار عند ساحبِ شقورة برقٌ خلّّب ، وكان قد تجاوز بطمعه في الرئاسة طمعَ أشعب ، فسوّل للمؤمن ابنِ هود امتطاءً صهوتها ، وسهّلَ له تسنّمَ ذروتها ، وإنما أراد أن يخدعه كما خدع ابنِ عبّاد ، فدفعَ في صدره ، وحقّ به سيءٌ مكّره ، فلما طرق إليه ولحق بحصنه ، لم يلبث أن حصل في سجنه ، خدراً به ، فجعل ابنُ عمّار يلاطفه ويسترحم ، وينشدهُ الله في حقنِ الدم ، ووعدّه في نفسه وضمينَ له أموالاً ، فلم يُصغِرْ إليه وشدَّ صفاده اعتقالاً ، وطبّرَ إلى المعتمد بالخبر . واتفق أن اجتاز الوزير أبو جعفر ابنِ جرج^٢ بذلك الأفق ، وابنُ عمّار في المطبق ، فخطابه بهذه الأبيات^٣ :

كأنّي أراكَ أبا جعفرٍ تقولُ وتبسمُ نحوي مشيراً
سفرْتُ ليرجعَ هذا معي وزيراً فلم أرَ إلا أسيراً

١ ذكر ابن الأبار (الحلة ٢ : ١٥٧) أن ابن عبد العزيز دس إلى مرسية نبيلاً من يهود الشرق ليلايس ابن عمار ويروي ما يقوله من أشعار ، وأن هذا اليهودي هو الذي حصل على هذه القصيدة وطار بها إلى ابن عبد العزيز ، فطيرها هذا مدرجة على كتابه إلى المتصد .

٢ ترجمت في القسم الثالث : ٤٤٨ .

٣ خالص : ٣٠١ .

وهل يملكُ المرءُ من أمره قبلاً فينقله أم ديراً
هو القدر الحتم يُعَمِّي الفتي وإن كان بالدهرِ طبياً بصيراً

وانفق أيضاً وقتَ القبضِ عليه يومئذٍ دخولُ المعتمدِ حصنَ بيّاسةٍ ،
وتطارحُ أهلِها عليه ، وحصول تلك الجهة في يديه ، ورأيت رقعةً صدرت
عنه في ذلك إلى أحد بنيهِ ، وذكر الخائن^١ ابن عَمَّار في فصلٍ منها قال فيه :

كتابي يوم كذا ، وفي أمسه ورد كتابُ المأمون أخيك من داخل حصن
بيّاسةٍ ، وأنَّ أهلها لما بلغهم تأهبي لمحاصرتهم ، واحتفالي لمنازلتهم ، وعلوموا
أنَّ تدييرهم قد اضمحلَّ في أيديهم ، وأنَّ صريخهم قد خرسَ عن إجابة
داعيهم ، وتيقنوا أنَّي إذا نويتُ مضيتُ ، وإذا لمحتُ حَجَجْتُ ، خامرهم
الفرعُ ، وضاق بهم المتسعُ ، ومشى بعضهم إلى بعضٍ يتشاورون كيف
المصنعُ ، وأين المنزعُ ، فلم يروا لأنفسهم طريقاً أنجي ، ولا مهرباً أجدي [٨٠ب]
بالخلاصِ وأحجى ، من الترامي عليَّ ، والاستسلام إليَّ ، فبادروا
نحوي رجالاً وركبانا ، وتسربوا قبلي زرافاتٍ ووحداً ، ولم أريدُ حفرةَ
قرطبةٍ إلاَّ وقد لحقَ بها منهم أفواجٌ ، وسالتُ بمن وراءهم أباطحُ وفجاج ،
كلُّ يستعطفُ ويستترِلُ ، ويسألُ لمن وراءه عفواً يعمُ ويشملُ ، فأقبلتُ
وقبلتُ ، وعذرتُ واغتفرتُ ، وبالفتُ في تأنيسهم ، وتطبيب نفوسهم ،
والحمدُ لله على ما مَنَّ وتطولُ ، وأنعم وأفضل .

روافى هذا الصنعَ الجميلَ ، والفتحَ الجليلَ ، آخرُ تقدّمه خطاً ،

١ ط : الخيان .

٢ د : الصنع .

وكان له - ونعم ما كان - فَرَطًا ، وذلك بقبض عتاد الدولة أبي محمد ابن سهيل^١ على الغادر الملحد ابن عمار ، قطع الله به وبمن أوى^٢ إليه وآل بكل من سعى سعيه أو نزع منزعه ماله ، بمجائل نصبناها له هنالك حتى عليقت^٣ ، وغوائل أرضدناها حتى أوبقت^٤ ، وتلك عادة الله الحسنى عندنا ، في من غمط نعمتنا ونكت عهدنا ، فله الحمد دائماً والشكر واصباً .

قال ابن بسام : وكان القبض على ابن عمار بشقورة يوم الجمعة لست بقين لربيع الآخر سنة سبع وسبعين ، وورد على المعتمد غير ما خطاب في معناه ووجه الشفاعة فيه ، وجبر صدعه وتلافيه ، فسد باب الشفاعة في ذلك ، وشد صفاده هنالك . ومن كان شفع له يومئذ ذو الوزارتين ابن محفور صاحب شاطبة ، بخطاب مشهور معروف ، ورأيت عليه الجواب من إنشاء أبي الوليد ابن طريف^٥ ، قال فيه :

وقفتُ على الإشارةِ الموضوعة من قبيلِكَ على أخلص وجوه
السَّلامة ، المستنم فيها إلى شرفِ عتدِكَ وصفاءِ مُعتَقَدِكَ أَكْرَمَ

١ لم أجد تعريفاً به ، ولكن يبدو من سياق الأحداث أنه كان صاحب حصن شقورة ، حيث تم القبض على ابن عمار . وقد قص لسان الدين كيف احتال صاحب هذا الحصن على ابن عمار وجعل البلد بيده باللسان ، وطلب منه الصمود بنفسه لمباشرة قصته . فأسرع لذلك في طائفة سيرة من الرجال فلما تحصل في القصة وثب به صاحب الحصن وكبله وأودعه المطبق (أفعال الأعلام : ١٦٠) .

٢ د : أوا .

٣ ذكره في النفع ٣ : ٢٩٩ وأورد له أبياتاً في زوال دولة المعتد ، وانظر اللخيرة ١ :

٨١٨ - ٨٢١ .

استقامة ، في الشفاعة في من أساء لنفسه حظّ الاختيار ، وسبّب لها سبب النكبة والعثار ، يَغْمِطُهُ لعظيم النعمة ، وَقَطَعَهُ لعلاتن العِصْمَةِ ، ونَجَبُهُ في سَنَنْ غِيَهُ واستهدافه ، وتجاوزِه في ارتكاب الجرائم وإسرافِه ، حتى لم يَدْعَ للصِّلح موضعاً ، وخرقَ سِتْرَ الإبقاءِ بينه وبين مولى النعمة عنده فلم يتركْ فيه مَرَقَعاً ، وقد كان قبل استشرائه دائه^١ ، وكَشَفِهِ لصفحة المعاندة وإبدائه ، عُدْرُهُ في جميع جناباته مقبول^٢ ، وجانبُ الصِّفحِ له مُعَرَّضٌ مبذول^٣ ، لكنْ غيَّرْتُهُ الغواية ، عن طريق الهداية ، فاستمرَّ على ضلالِه ، وزاغَ عن سَنَنْ اعتداله ، وأظهر المناقضة ، وتعرضَ - بزعمه - إلى المساوِرةِ والمعارضة ، فلم يزل يُرِيقُ الغوائلَ ، وينصبُ الحِبائِلَ ، ويركبُ في العناد أصعبَ المراكبِ ، ويذهبُ منه في أوعر المذاهبِ ، حتى عَاقَبْتُهُ تلك الأشرارُ التي نصبها ، وثبَّتَتْ به مساوئ المقدمات التي جرَّها وسبَّبها ، فلذاق وبالَ فِعْلِهِ ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ (فاطر : ٤٣) ولم يحصلْ في الأنشطة التي تورَّطَها ، والمنحَسَةِ التي اشتملت عليه وتوسَّطَها ، إِلَّا وَوَجْهُهُ العَفْوُ له قد أظلم ، وبابُ الشفاعة فيه قد أبهم ، ومن تأمَّلَ أفعالهُ الذميمة ، ومذاهيبةُ اللثيمة ، رأى أنَّ الصِّفْحَ عنه بعيد ، والإبقاءَ عليه داء حاضر عتيد ، ومثلك في رجاحة ميزانه ، ومعرفته بأبناء زمانِه ، لم يجهلْ بداءةَ حالِه من القُلِّ والضَّعَةِ ، وارتقاءه منها إلى الرفعة والسَّعة ، وإنشاله من ذلِّ الخمول ، إلى العزِّ العريضِ الطويل ، وتسويغهُ عقائل الأموال ، وجلالِ الأحوال .

وفي فصلٍ منها : فوقَ المناضلةِ الدولة نبأته ، وأُغْمِلَ في مكائدها

جَهْدَهُ واحتياله ، ثم لم يقتصر على ذلك ، بل تجاوزَه إلى إطلاقِ لسانِهِ
بالذمِّ الذي صدر عن لُومِ تجارِهِ ، والطعنِ الشاهدِ بِنَجْثِ طويَّتِهِ
وإضماره ، ومن جهلَ مقدارَ تلكِ النعمةِ التي كان سَوْغَهَا أَوَّلًا ، أخلِقَ
به أنْ لا يعرفَ مقدارَ العفوِ عنه آخرًا ، ومن فسدَ هذا الفسادَ كيف
يُرجى استصلاحُهُ ؟ ومن استبطنَ مثلَ غلِّهِ كيف يؤمِّلُ فلاحَهُ ،
ومَنَ لكَ بسلامَةِ الأديمِ النَّغِيلِ ، وصفاءِ القلبِ الدَّغْلِ ؟ ١ وعلى ذلك
فلا أعتقدُ عليك [٨١ أ] فيما عرضتَ به مِن وجهِ الشفاعةِ غيرَ الجميلِ ،
ولا أتعدَّى فيه حُسْنَ التَّأْوِيلِ ، ولو ١ وَقَدَّتْ شفاعتك في غير هذا الأمرِ
الذي سبق فيه السيفُ العَدْلَ ، وأبطلَ غافلُ الأقدارِ فيه الألفافَ والحيلَ ،
لَتَلَقَّيْتُ بالإجمالِ ، وقوبِلتُ ببالغِ المبرَّةِ والاهتيالِ .

ما أخرجته من سري نظمه وجزل مقاله مدة اعتقاله

من ذلك أبيات خاطب بها صاحب المريّة يقول فيها ٢ :

أصبحت في السوقِ ينادى على رأسي بأنواعٍ من المالِ
فهل فنيّ يبتاعني ماجدٌ أخدمه مدّةً لمهالي
تالله لا جار على نَقْدِهِ مَنَ ضمّني بالثمنِ الغالي

١ ط د م س : ولقد .

٢ القلائد : ٩٢ والمعجب : ١٨٣ وخالص : ٣٠٥ .

أَرْبَحْ بِهَا مَوْلَايَ مِنْ صَفْقَةٍ فِي سَلْعَةٍ مِنْ بَرَكَ الْعَالِي^١

وَكُتِبَ أَيْضاً إِلَى الْمُعْتَمَدِ^٢ :

نَفْسِي تَحْنُ ^٣ إِلَى فُسْدَاءِ	تَفْدِيكَ نَفْسِي مِنْ شَرَاءِ
فَاسِقٍ ^٤ بِنَقْدِكَ وَعَدِهِمْ ^٥	مُسْتَرْخِصاً لِي بِالْغَلَاءِ
ثُمَّ امْضِ ^٦ فِيَّ عَلَى اخْتِيَا	رِكَ مِنْ قَنَاءٍ ^٧ أَوْ بَقَاءِ
وَاللَّهِ مَا أَدْرِي إِذَا	قَالُوا : غَدَاً يَوْمَ الْلِقَاءِ
مَا أَقْتُلُ ^٨ الْحَيَّالِينَ ^٩ لِي	إِنْ كَانَ خَوْفِي أَوْ حَيَايِ

وَكُتِبَ إِلَيْهِ أَيْضاً^٣ :

سَجَايَاكَ إِنْ عَافَيْتَ أُنْدَى وَأَسْمَحُ ^١	وَعَذْرَكَ إِنْ عَاقَبْتَ أَجْنَى وَأَوْضَحُ ^٢
وَإِنْ كَانَ بَيْنَ الْخَطِئِينَ مَزِيَّةٌ ^٣	فَأَنْتَ إِلَى الْأَدْنَى مِنْ اللَّهِ أَجْنَعُ ^٤
حَنَانِيكَ فِي أَخْذِي بِرَأْيِكَ لَا تُطِيعُ ^٥	عِدَايَ ^٦ وَلَوْ أَثْنَوْا عَلَيَّ وَأَفْصَحُوا ^٧
فَلَنْ رَجَائِي أَنْ ^٨ عِنْدَكَ غَيْرُ مَا	يَخْوِضُ عِدْوِي الْيَوْمَ فِيهِ وَيَمْرَحُ ^٩
وَلَمْ لَا وَقَدْ أَسْلَفْتُ وَدَّآ ^{١٠} وَخُدْمَةً ^{١١}	يَكْرَهُ أَنْ فِي لَيْلٍ الْخَطَايَا فَيُصْبِحُ ^{١٢}
وَهَبْنِي قَدْ أَعْقَبْتَ أَعْمَالَ مُفْسِدٍ ^{١٣}	أَمَّا تَفْسُدُ الْأَعْمَالَ ثُمَّتْ تَصْلِحُ ^{١٤}

.....

١ ط د م س : ترك ؛ د : المال .

٢ الحلقة ٢ . ١٥٤ وخالص : ٣٠٦ .

٣ الحلقة ٢ : ١٥٣ - ١٥٤ والقلائد : ٩٨ والمعجب : ١٨٥ وأعمال الاعلام : ١٦١

والنفع ٥ : ١٨٢ وخالص : ٣١٩ والريحان ١ : ١٥٧ أ وتام المتون : ٩٢ .

٤ المعجب : وأسبح .

٥ القلائد : عداتي ؛ الحلقة : وشلي .

أَقْلِنِي لِمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنْ رَضَى
وَعَفْ عَلَى آثَارِ جُرْمٍ سَلَكْتُهُ
وَلَا تَلْتَفْتُ رَأْيِ الْوَشَاةِ وَقَوْلِهِمْ
سَيَأْتِيكَ فِي أَمْرِي حَدِيثٌ وَقَدْ أَتَى
تَحْيَلْتُهُمْ لَا دَرْ لَّهُ دَرُهُمْ
وَقَالُوا : سَيَجْزِيهِ فُلَانٌ بِذَنْبِهِ
أَلَا إِنَّ بَطْشاً لِلْمُؤَيَّدِ يَرْتَمِي
وَمَاذَا عَسَى الْوَاشُونَ أَنْ يَتْرَبِلُوا
نَعَمْ لِي ذَنْبٌ غَيْرُ أَنْ لَحْلَمَهُ
سَلَامٌ عَلَيْهِ كَيْفَ دَارَ بِهِ الْهَوَى
وَيَهْنِيهِ إِنَّ مَتَّ السُّلُوْ فَإِنِّي
وَبَيْنَ ضُلُوعِي مِنْ هَوَاهُ تَمِيمَةٌ

لَهُ نَحْوُ رُوحِ اللَّهِ بَابُ مَفْتَحٍ
بِهَيْبَةٍ رَحِمَى مِنْكَ تَمْحُو وَتَصْفَحُ
فَكُلُُّ إِنَاءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَرِشَحُ
بِرَأْيِ يَنْي عَبْدُ الْعَزِيزِ مُوشِحُ
أَشَارُوا تَجَاهِي بِالشَّمَاتِ وَصَرَحُوا
فَقُلْتُ : وَقَدْ يَعْفُو فُلَانٌ وَيَصْفَحُ
وَلَكِنْ حَلَمًا لِلْمُؤَيَّدِ يَرْجِعُ
سَوَى أَنْ ذَنْبِي ثَابِتٌ مَتَصَحِّحُ
صِفَاةٌ يَزُلُ الذَّنْبُ عَنْهَا فَيُصْفَحُ
إِلَيَّ فَيَدْنُو أَوْ عَلَيَّ فَيَتَرَحُّ
أَمُوتُ وَلِي شَوْقٌ إِلَيْهِ مَبْرَحُ
سَتَنْفَعُ لَوْ أَنَّ الْحِمَامَ يُجَلِّحُ

١ س و الخلة : وتمصح .

٢ الخلة والقلائد والمعجب : يزور .

٣ القلائد والمعجب : بفعله .

٤ القلائد : يتقى .

٥ ط : أرحح .

٦ المعجب و خ بهامش ط : واضح .

٧ الخلة . . . فيفصح ؛ م ط س : فيمروح .

٨ م ط س : علي .

٩ النفع . ستشفع .

١٠ القلائد : مجلح .

قال ابن بسام^١ : بلغني أنه لما وصلت هذه القصيدة إلى المعتمد جعل من بحضرتة [٨١ ب] من أعداء ابن عمّار ينتقدونه ، ويطلبون به عيباً لو يجلونه ، فجعلوا يقولون : أيّ معنى أراد ، ما قال شيئاً ولا كاد ، فقال لهم المعتمد : مهما سلّبهُ الله من المروة والوفاء ، فلم يسلبه الشعر ، لأنّما قلب بيت المهذلي^٢ فأحسن ، وهو قوله :

وإذا المنيّةُ أنشبت أظفارها ألفت كلّ تميّةٍ لا تنفعُ

فسكت القوم في ناديبهم ، وسقّط في أيديهم . غير أنّ أبا سالم العراقي جعل يتمضّعُ بقوله : « يكرّان في ليل الخطايا » وقال : ما معناه ؟ وهلاّ بدّل هذا اللفظ بسواه ؟ فقال له المعتمد ، وأراه طنّزَ عليه ، وأشار بالتقصير إليه : أبا سالم ، أنزله^٣ ، وإن استطعت بفضلك فأبدله ! فأحجم وتلعثم ، ولم يتأخر ولا تقدّم . وكذلك قوله : « فماذا عسى الواشون أن يتزيّدوا » ، وهو لفظ المجنون^٤ :

وماذا عسى الواشون أن يتحدّثوا سوى أن يقولوا إنني لك عاشقُ

وإن كان المعنى مختلفاً فحدو اللفظ واحد .

ولحق بشقورة بعد القبض على ابن عمّار يزيد بن المعتمد الملقّب بالراضي ،

١ انظر المعجب ١٨٦٠ .

٢ يعني أبا دؤيب الهذلي . ديوان الهذليين ١ . ٨ .

٣ ط س . أنزله .

٤ ديوان المجنون : ٢٠٣ .

فكتب إليه ابن عمّار^١ :

قالوا آتِ الراضي فقلتُ لعلّها
قالَ جرى فعسى المؤيدُ واهبٌ^٢ لي من رضاه ومن أمانِ أخيه
قالوا نعم ، فوضعتُ خدي في الثرى شكرًا له وتيسرًا بينيه
يا أيُّها الراضي وإن لم يلقي من صفحةِ الراضي بما أدره
هَبْكَ احتجبتَ لوجهِ عليّينِ بدلُ الشفاعةِ أيُّ عليٍّ فيه
خففتُ على يدك الكريمة أسطرًا^٣ في منْ أسرتَ فتنتني تفديته

ثم صدر^٤ عن شقورة ، وجاء به إلى قرطبة يوم الجمعة السادس من رجب من العام ، وقد برز الناسُ لدخولِ الراضي ، وابنُ عمّار في ذلك الحفل ، في قيوده ، على دابةٍ هجينة ، حاسرًا في ثوبٍ خلقت بين عديّ تيسر ، عظةً لمن اعتبر مجاري الليالي والأيام ، ولتعيبها بالأنام ، فكم دخل قرطبة قبلُ في أبهة الرؤساء ، يسحبُ ذيلَ الكبرياء ، فسبحان من يتبسّط للمحسن والمسيء عدلُه ، ولا تدومُ العزّةُ إلّا له :

حدثني الوزير أبو عمر الفرضي كاتبُ حشَمِ المتوكل أنّه شهد دخولَ ابنِ عمّار يومئذ قرطبة ، فلم يرَ زعيمًا من زعماء البلد ، ولا عظيمًا من أهل دولة المعتمد ، إلّا وهو يمسحُ عِطْفَه ، ويمشي بين يديه أو خلفه ، توقّعًا

.....

١ القلائد : ٨٦ والحلة ٢ : ١٥١ وخالص : ٣٠٨ والريحان ١ : ١٥٧ . أ .

٢ القلائد والحلة : واهباً .

٣ القلائد والحلة : سهل . . . أحرناً .

٤ قارن بالحلة ٢ : ١٥٨ وأعمال الاعلام . ١٦١ .

لكرته ، واستدفاعاً لمضرته ، فقد كان أكثرهم لا يشك أن غضب المعتمد عليه ، نار يطفئها نظره إليه ، وتيار يكفه مثله بين يديه ، فقد كان من قلبه بمكان ، ومن إثار قربه في شان.

وأخبرني الوزير المذكور أن ابن عمار كان يباهي يومئذ بدلته وقلته ، حُدّدَ أسره الراضي وعدته ، ويقاوم بهوانيه وامتهانه بأسه وشدته ، حتى كأنه أحدُ خدّمه ، أو بعضُ حشمه . قال : وكتب في أثناء ذلك إلى المأمون بهذه القصيدة الفريدة ، وهي من حرّ النظام ، وجزل الكلام ، وأولها :

هلاّ سألت شفاعَةَ المأمونِ	أو قلّت ما في نفسيّ يكفيني
ما ضرَّ لو نبّهتُه بتحيّة	يسري النسيمُ بها على دأرين
وهزّزت منه فقد يقلّب سيفه	يومَ الجلالِ الحينَ بعد الحينِ [أ٨٢]
مالي أتبهّ ناظراً لم يتغفُ عن	حظيّته من دنيا ولا من دين
وأهزّ من عطفٍ ثناه عطفه	حتى خشيتُ عليه قرطَ الالين
بيدي من المأمون أوثقُ عصمة	لو أن أمري في يد المأمون
أمري إلى مولى ^٢ إليه أمره	وكفاك من فوق كفاك ^٣ ودون
حيث استوى الحصانُ حقاً والتقى	عزّ الغنيّ بذلّة المسكين
ملك طوى سرّ المهابة شخصه	لولا أسرة وجه الميمون

١ الحلقة ٢ . ١٥١ وتام المتن : ٣٦٣ وخالص : ٣١٣ .

٢ الحلقة : ملك .

٣ الحلقة . وكفاه . . . كفاه .

٤ د : التقى .

جَبَلٌ سَمَا بِذَوَابِتِهِ إِلَى الْعَلَا
 مَتَوَقِّدُ الْخَنَبَاتِ كُلِّ دَوَّحَةٍ
 ذَلَّتْ لِأَيْدِي الْمَجْتَنِينَ قَطُوفُهُ
 وَنَأَى لِأَبْصَارِ الْعُصَاةِ فَإِنَّمَا
 بَحْرٌ إِذَا رَكِبَ الْعَفَاةُ سَكُونُهُ
 وَإِذَا طَمَى لِلذَّنْبِ لَمْ يَسْمَعْ بِهِ
 كَمْ أَسْكَبَ الْعَذَابُ الْفِرَاتِ عَلَى فَمِي
 وَالْيَوْمَ قَدْ أَصْبَحْتُ فِي غَمَرَاتِهِ
 بَعُدْتُ سَوَاحِلُهُ عَلَيَّ وَأَدْرَكْتُ
 لَا شَكَّ فِي أَنِّي غَرِيقُ عُبَابِهِ
 يَا فَتْحُ جَرِّدْهَا عَنَايَةَ فَارِسٍ
 مَتَقَدَّمٌ مِنْ جَدِّهِ^٤ بِكُتَيْبَةٍ
 وَاقْرَنْ شِفَاعَتَكَ الْكَرِيمَةَ عِنْدَهُ
 فِي شَيْكَةِ مِنْ هَيْبَةٍ وَسَكِينَةٍ
 فَأَبُوكَ مَنْ تَغَشَّى الْمُلُوكُ بِسَاطِهِ
 مَا يَعْرِضُ الْجَبَّارُ مِنْهُ لِلْحَاجَةِ
 يَا فَتْحُ إِنْ نَازَلْتَهُ مُسْتَنْزِلًا

وَرَسَا بِهِضْبَتِهِ عَلَى التَّمْكِينِ
 بَحْنِيَّ وَفُجِّرَ صَفْحُهُ^١ بَعْيُونَ
 وَدَنَا إِلَيْهِمْ مِنْ ظَلَالٍ غُصُونُ
 يَتَوَهَّمُونَ نَعِيمَهُ بَظُنُونِ
 وَهَبَ الْغَنَى فِي عِزَّةٍ^٢ وَسُكُونِ
 إِلَّا الدِّعَاءُ يُعَانِ بِالتَّأْمِينِ
 وَرَمَى يَدِي بِاللُّوْلُؤِ الْمَكُونِ
 إِنْ لَمْ تُغَشِّنِي رَحْمَةً تَنْجِينِي
 أُمُوجُهُ فَتَلَاعَبْتَ بِسُفِينِي
 إِنْ لَمْ يَمْدَدْ الْفَتْحُ لِي يَمِينِ
 بَطْلٍ عَلَى حَرْبِ الْوَلِيِّ^٣ أَمِينِ
 مُسْتَظْهِرٍ مِنْ لَفْظِهِ بِمَكِينِ
 بِتَوَاضُعٍ عَنْ عِزَّةٍ لَا هُونِ
 وَبُضْجَةٍ مِنْ رَحْمَةٍ وَحْنِينِ
 شُوسًا فَمَا يَرْمُونَهُ بَعْيُونَ
 إِلَّا يَرْفَعُ يَدٍ وَوَضَعَ جَبِينِ
 فَاهْنًا بِفَتْحٍ مِنْ رِضَاهِ مَبِينِ

١ د : صفحه .

٢ م ط : غرة .

٣ الخلة : درب على نصر الولي .

٤ د : حده .

ه ط م : لدفع .

وليمخلصن^١ إليك من أعلاقه^١ عِلْقٌ يَشُدُّ عَلَيْكَ^٢ كَفَّ ضَنْبَيْنِ

وكان قد كتب أيضاً يومئذ^٣ إلى الرشيد بهذا القصيد، وهو من قصائده
الحرّة وقلائده المبرّرة^٤ :

قل لبرق الغمام ميطو ^٥ البريد	قاصداً بالسلام قصر الرشيد
فتقلّب في جوه كفؤادي	وتناثر في صحنه كالفريد
وانجذب ^٦ في صلاصيل الرعد تحكي	ضجّتي في سلاسل وقيودي
فجزاك الإله من ملك حرّ	بقاء التمكين والتمهيد ^٧
من مطيع عهد ^٨ الوفاء مطاع	ودود على النوى مودود [٨٢ب]
كنت أشدو عليك يا دوحة المج	ديا روضة الندى والجود
إذ جناحي ند بظلك طلق	ولساني رطب على التفريد
وأنا اليوم تحت ظل عقاب	لقوة مخوت ^٩ الجناح صيود

.....

١ الخلة : أنماله .

٢ الخلة . عليه .

٣ يومئذ سقطت في م .

٤ د . المنيرة ؛ ط س . المذرة ؛ م . المذبرة ، وانظر أدياتا من القصيدة في الخلة ٢ . ١٥٢

وهي عند خالص . ٣٠٩ .

٥ مطو البريد صاحبه ، وفي م ط . مطهر البريد ؛ الخلة . ظاهر بريدي .

٦ الخلة . وانتحب ، ودوق اللعنه في م . كذا . ولعل الصواب . وانحدر

٧ بعده في الخلة بيتان متصلان به وهما

فإذا ما اجتلائك أو قال ماداً قلت إني رسول بعض العبيد

بعض من أمدته عنك الليالي فاجتنى طاعة المحب البعيد

٨ ط . عبد .

٩ في النسخ . محوة ؛ والمخوت التي إذا خاتت أي انقصت سمع لجناحها دوي .

أَتَقْبِهَا بِنَظَرٍ خَافِقٍ ۖ اللَّهُ
 غَيْرَ أَنِّي سَاصِطُفِي لَكَ جَهْدِي
 فِي قَلِيلٍ ۖ مِنَ الْقَوَائِي كَثِيرٍ
 كَلِمَاتٍ ۖ كَأَنَّهَا الدَّرُّ نَظْمًا
 أَنْتَ بِدَرِّ النُّجُومِ تَحْتَ سَنَا الشَّمِ
 أَنْتَ رِيحَانَةُ الْعَلَّابِي عَبَا
 أَنْتَ إِمَّا اعْتَرَضْتُمْ دُرَّةَ النَّا
 وَإِذَا مَا مُدِّحْتُمْ نَكْثَةُ الْخَطِ
 وَإِذَا مَا رَكِبْتُمُ الْخَيْلَ صَدْرُ الْجِي
 أَنْتَ فِيهِمْ إِنْ يُعْتَمُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ
 فَهَنِيئًا أَبَا الْحُسَيْنِ خِلَالُ
 وَشَفُوفًا عَلَى الْجَمِيعِ ۖ بَسَنُ
 وَهَنِيئًا مِنَ الْمُؤَيَّدِ حَظُّ
 لَكَ فِي نَفْسِهِ الْعَزِيزَةِ حَبُّ
 وَعَلَى لَحْظِهِ التَّزْيِيهِ طُلُوعُ
 وَإِذَا مَا شَدَا بِذِكْرِكَ شَادٍ
 فَعَلَامَ السَّرَى بِصَبْحِ رِضَاهِ
 وَإِلَى أَيْنَ فِي الشَّفِيعِ إِذَا مَا
 بَقِيَ نَازِحِ الْمَكَانِ مُطِيلِ

ظِ مَرُوعٍ ۖ وَخَاطِرٍ مَزُودٍ ١
 مِنْ ثَنَا طَيِّبٍ وَذِكْرِ حَمِيدٍ
 وَذَلُولٍ ۖ مِنَ الْمَعَانِي شُرُودٍ
 طَوَّقَتْ مِنْكَ أَيَّ طَوْقٍ وَجِيدٍ
 سِ ۖ أَتَتَّكِمُ عَلَى سَمَاءِ السَّعُودِ
 دِ ۖ السَّادَةِ الْكَرَامِ الصَّبْدِ
 جِ ۖ فَرَنْدُ الْحَسَامِ وَسَطَى الْفَرِيدِ
 بَةِ ۖ فَصُّ الْحَدِيثِ بَيْتُ الْقَصِيدِ
 شِ ۖ عَيْنُ اللِّوَاءِ قَلْبُ الْحَدِيدِ
 وَإِذَا يُصْبِحُونَ ۖ يَوْمَ الْعِيدِ
 وَصِفَاتُ جَلَّتْ عَنْ التَّحْدِيدِ
 وَسَنَاءٌ إِلَى سَنَا مَمْدُودِ
 لَا مَزِيدٌ ۖ عَلَيْهِ الْمُسْتَرِيدِ
 شَابَ فِيهِ حِلَاوَةُ التَّوْحِيدِ
 كَطُلُوعِ الْبَشِيرِ بِالتَّأْيِيدِ
 قَالَ أَحْسَنْتَ هَزَّةَ الْمُسْتَعِيدِ
 مَعَ سَنَا وَجْهِكَ الْأَغْرُ السَّعِيدِ
 لَمْ أَلِدْ مِنْكَ عِنْدَهُ بِالرُّشِيدِ
 غَائِبِ الشَّخْصِ ۖ ذِي اعْتِنَاءٍ عَتِيدِ

١ مَزُودٌ : مَذْمُورٌ .

٢ د : بِن .

مشفقٍ يستجيب لي من قريبٍ وأنا أستغيثه من بعيد
لو أطلت عليّ رحمة عينيه ٤ انجلت شدة قتي وذاب حديدي

قال ابن بسام : فصدرت هذه الأشعار ، يومئذٍ عن ابن عمار ، وهو في قيود الحديد ، وقالها على البديهة والارتجال ، في تلك الحال ، من شدة الاعتقال ، وبالٍ يناجيه البلبال ، قد تيقن أنه لا يُفْلِت ، ولا ينظر إلا إلى عدوّ يَشُمّت ، والموت يلاحظه من حيث لا يثفّت^١ ، إذ كان المعتمد قد أحضره في تلك الحال غيرَ ما مرّة بين يديه ، ويعدد ذنوبه عليه ، ولو قال كلّ قصيد ورواه حولاً كاملاً ، في أمنٍ ودعة ، وفرطٍ شهوة أو شدة حميّة وعصبية ، لما زاد على ما أجاد ، فكانت هذه القصائد القلائد ، مع ما تشتمل من البدائع الروائع ، رقى لم تنفع ، ووسائل لم تنجع ، فإذا سبق القدر ، فلا وِرْدَ ولا صَدَر . [٨٣] .

أُخْبِرْتُ عَمَّنْ صحب الراضي في وجهته يومئذٍ من شقورة وكان ممن رَقِبَ على ابنِ عمار ، فجعل يكلّؤه في طريقه ، خوفاً على نفسه ومراعاةً أيضاً لسالفِ حقوقه ، فاما انتهى^٢ إلى قرطبة وسلّم للقصر ، دعيّ ذلك الرجل مع أصحابه بعد العصر ، في سلاحٍ شاكٍ وتعبئةٍ ظاهرة ليصبحوه إلى اشبيلية ، فبينما هم عند بابِ السدة ينتظرون إلى أن يسلم إليهم ابن عمار ، وقد انسلخ النهار ، إذ أوجسوا نبأه ، فإذا المعتمد قد خرج والشمع بين يديه

.....

١ في النسخ : يلتفت ، وإنما نثر قول تميم بن جميل السدوسي (الوافي للرندي : ٢٠) :

أرى الموت بين السيف والنطح كامساً يلاحظني من حيث ما أتلفت

٢ قارن بالحلة ٢ : ١٥٨ .

وخدمته^١ حواليه ، وابن عمار بينهن^٢ على بغل يزان به ويتصاحكن ،
فأعربت حاله يومئذ بمباديها ، على^٣ سوء العاقبة فيها .

وحدثني أبو بكر الخولاني المنجم قال^٤ : لما وصل المعتمد إلى اشبيلية من
وجهته تلك ، سجن ابن عمار داخل القصر على قُرْب منه ، وأحضره
مراراً بين يديه ، يعدّد ذنوبه عليه ، فبقي مدّة^٥ كذلك ، في سجنه هنالك ،
لا يتنفس ولا يتحرك إلا تحت سَمْعٍ وعَيْنٍ ، فاستدعى يوماً سحاة ودواة^٦
فَبُعِثَ إليه بِزَوْجٍ كَاغَدٍ ، فكتب إلى المعتمد شعراً استرحمه فيه ، فعطف
عليه ، وأحضره ليلته تلك ، ووعدته بالعفو عنه ، فخطب ابن عمار من
حينه الرشيد بذلك ، فلمح تلك المخاطبة عيسى بن الأَعلم^٧ وزيره يومئذ ،
فتمدّث بالأمر ، وذاع السرّ ، وانتهى الخبر إلى الوزير أبي بكر بن زيدون
صاحب الدولة وقتّه^٨ ، وعداوتُه لابن عمار أوضح من أن تُشْرَحَ ،
فَدَمَغَتْهُ من ذلك دامغة ، وبات بلبلة النابغة ، وتخلّف عن الركوب إلى
القصر صبيحة الغد ، حتى ورده رسول المعتمد ، وحَدَس^٩ أن مجلس
سيره مع ابن عمار وصل إليه ، واستفهمه فوجد نصّ المجلس عنده ،

.....

١ الخلة : وحرمة .

٢ الخلة : عن .

٣ انظر الخلة ٢ : ١٥٩ .

٤ هو عيسى بن يوسف بن سليمان الشتمري ، ولد لأبي الهجاج الأَعلم اللفوي المشهور ، روى
عن أبيه واختص يعقوب بن المعتمد حتى استوزره وقال معه دنيا عريضة (الذيل والتكملة

٥ : ١٥٥ والتكملة : ٤٠٩) .

٥ د : في وقته .

٦ ط : وحَدَس إليه .

فازداد حنقاً على ابن عمّار الحائن ، وحرّك ضيقه الساكن ، فقال لأحد الصقالب : سل ابن عمّار كيف وجدَ السبيلَ ، مع عظيم الترقيبِ ، إلى إفشاء ما أخذت معه فيه ^١ ، فلما سأله أنكر ، قال المعتمد : فما أراد بالكاغد الذي طلب ؟ قال : إنه أخبر أنه كتب إليك فيه بشعر ، قال : هو في ورقة مفردة ، فما فعل بالأخرى من الزّوجِ الكاغد المبعوث به إليه ؟ قال : كتب فيه مسوّد ذلك الشعر ، قال المعتمد : خذها منه لأقيف على ذلك ، فلما لم يجد بُدّاً من النطق بالصدق ، رجع إلى الحقّ ، وقال : إني خاطبت الرشيد بما وعدني به مولانا من العفو ، فانتقد ^٢ المعتمد ، وقام من قوّره كما كان . وأخذ طبرزينا ^٣ ، وجاء إلى موضع ابن عمار الذي كان فيه مسجوناً ، ودخل إليه ، ففزع — كما كان في قيوده — إلى تقبيل رجله ، فضربه به ، ثم أمر بأن يتمّ عليه ، وأخرج ووري في قيوده ، خارج باب القصر المبارك المعروف في اشبيلية باب النخيل ، فمضى رحمه الله على هذا السبيل . واتفق بأن وقع حفرة بموضع رمسه من ذلك المكان ، لبنيانٍ عرّض فيه بعد نيّف على عشرين سنة من مقتله ، فأخبرني مَنْ شهد إخراج جمجمته وأعظم ساقيه بيكبّله وهي رميم ، « وعند الله تجتمع الخصوم » ^٤ . وما وقفت في

١ الحلة : معه البارحة فيه .

٢ ط : فالتقد د : فانتقد .

٣ اضطربت كتابة اللفظة في ط م س (ط : طبر بزيراً ، وفوقها : كذا) .

٤ بحاشية ط شعر بخط الأصل وهو .

أما واقه إن الظلم لوم وما زال المني هو الظلوم
إلى ديان رب العرش نمضي وعند الله تجتمع الخصوم

قلت : والبيان لأبي العتاهية وقد مر تخريج الثاني منهما :

تأيين ابن عمار على شعيرٍ لأحدٍ من أهل العصر ، غير بيت مُفَرَّدٍ شهد أنَّ
المعتمدَ باشر قتله بيده ، وهو لعبد الجليل حيث يقول ^١ :

عجباً لمن أبكبه ملءَ مدامعي وأقول لاشأئتُ يمين القاتلِ

وكان عبد الجليل متعصباً لابن عمار ، مائلاً إليه بطبعه ، إذ كان الذي
جذبَ بِضَبْعِهِ ، ونوّهَ بذكره ، ونفقَ من شعره ، وعرفه بالمعتمد حتى
استخلصه لنفسه ، وأحضَرَهُ مجالسَ أنسيه .

ويتعلّقُ بهذا القتلِ الشنيع ، خبرٌ غريب المسموع ، في ذلك الأوانِ ،
وحديثٌ ظريفٌ من الحدّثانِ ^٢ ، أخْبِرْتُ به عن غير واحد من وزراء المعتمد ،
وذلك أنه لما مَضَتْ لقتلِ ابنِ عمار أيام ، حضروا مع المعتمد في مجلسِ
أنسي ، فلما طابتِ الأنفس ، وأخذت [٨٣ ب] منهم حُمِيّاً الأكّوس ،
وارتاح المعتمدُ وهزَّ عِطْفَهُ ، وبدأ على قسماته عطفه ، سئِلَ عن هذا
الخبرِ المستظرف ، الذي كانوا سمعوه من بعضِ السلف ، وأقسموا عليه
بتخليدِ ملكه في أنْ يحدثهم بحديثٍ كان إليه ينسبُ ، وقالوا : هو من فمِ
مولانا أطيّبُ ، فقال لهم كلاماً معناه لعلَّ هذا الاستخبار عن شأنِ ابنِ عمار ،
قالوا : أجل ، وطفقوا يقدّونه بالأنفس ، وأكثروا في وداده من شربِ
الأكّوس ، فأخبرهم أنه كان أيامَ مقامِهِ بشلب ، قد غلب ابنُ عمار على
نفسِهِ ، وأخذ بمجامع أنسيه ، فأمره وأخذ عليه - إذا دعا أصحابه - أن
يكونَ أوّلَ داخلٍ وآخرَ خارج ، ليأنسَ به ويتمتّع بأدبه ، فيجده ينفرُ

١ الحلة ٢ : ١٦٠ .

٢ انظر الحلة ٢ : ١٦١ .

نِفَارَ الشَّارِدِ ، وَتَسَلَّلَ مِنْ مَجْلِسِهِ تَسَلَّلَ الطَّرِيدَةُ مِنْ يَدِ الصَّائِدِ ؛ فَلَمَّا أَبَى
إِلَّا اطرَاداً عَنْ أَصْلِهِ ، وَطَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ مِنْ فَعْلِهِ ، تَقَدَّمَ إِلَى أَصْحَابِ سُدَّتِهِ
لِيَاةً فِي تَرْقُبِهِ ، وَمَنْعِهِ مِنْ مَذْهَبِهِ ، وَأَنْذَرَ وَتَهَدَّدَ ، وَأَقَامَ فِي ذَلِكَ وَأَقْعَدَ ،
وَقَامَ ابْنُ عِمَارٍ كَعَادَتِهِ ، فَلَمْ يَحْفَلُ الْمُعْتَمِدُ لَيْلَتَهُ بِمَكَانِهِ ، لَمَّا كَانَ قَدَّمَ
فِي شَانِهِ ؛ فَلَمَّا انْفَضَّ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ ، التَّمَسَّهُ فَفَقَدَهُ ، وَطَلَبَهُ مُنْتَهَى
جَهْدِهِ فَمَا وَجَدَهُ ، وَأَحْضَرَ مَنْ كَانَ أَوْصَى فِيهِ إِلَيْهِ ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَمْ تَقَعْ
لَهُ عَيْنٌ عَلَيْهِ ، فَرَايَهُ أَمْرُهُ ، وَخَفِيَ عَنْهُ سِرُّهُ ، فَشَهِرَ فِيمَا بَلَغَنِي سَيِّفُهُ
وَأَخَذَ الشَّمْعَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَجَعَلَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ يَحْسِبُهُ وَلَا يَحْسِبُهُ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى
بَعْضِ الدِّهَالِيزِ إِذَا بِمَحْصِرٍ مَطْوِيٍّ ، وَابْنُ عِمَارٍ فِيهِ أَغْمَضُ مِنْ سِرِّ خَفِيِّ ،
عَرِيَانٌ كَالْأَفْعَوَانِ ، فَأَمَرَ بِحَمَلِهِ ، وَهُوَ قَدْ تَعَجَّبَ مِنْ فَعْلِهِ ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ
بِالْمُعْتَمِدِ الْمَجْلِسَ ، جَعَلَ يَبْسُطُ جَانِبَ ابْنِ عِمَارٍ وَيُؤَنِّسُ ، وَابْنُ عِمَارٍ يَبْكِي
فِيضْحِكٍ ، وَيَشْكُو فَيُشْكِكُ ، فَلَمَّا سَكَنَ قَلِيلاً ، وَأَفْرَخَ رَوْعُهُ ، وَرَقَا
دَمْعُهُ ، سَأَلَهُ عَنْ شَأْنِهِ فَأَخْبَرَ أَنَّهُ كَلَّمَا كَانَتْ تَأْخُذُ مِنْهُ الشَّمُولُ سَمِعَ كَأَنَّ
قَائِلاً يَقُولُ : يَا مَسْكِينُ ، هَذَا يَقْتُلُكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ ، كَلَاماً هَذَا مَعْنَاهُ ، فَلَا
يَزَالُ يَطْلُبُ الْأَنْسَ بَوَسْعِهِ فَيَبْعُدُ عَلَيْهِ ذَلِكَ وَيَمْتَنِعُ ، حَتَّى يَصْنَعَ مَا يَصْنَعُ ،
إِلَى أَنْ كَانَ لَهُ مَعَهُ الَّذِي قُدِّرَ .

ومن مقاله في أثناء اعتقاله هذه القطعة البديعة ٢ :

يقول قومٌ إنَّ المؤيَّدَ قد أحالَ في فديتي على نَفْدِهِ

.....

١ د : يسمع .

٢ ذكر ابن قاسم الشامي الذي أخذت عنه أكثر أخبار ابن عمار أن هذه القصيدة وجدت في قراب
ابن عمار بعد قتله (الحلة ٣ : ١٦٠) ؛ وانظر الأبيات عند خالص : ٣١٧ .

يا قوم^١ ماذا الشراءُ ثانية^٢ ترى لمغنى^٣ يَريبُ من عنده ؟
أَوْحَشَتْنِي وَالسَّمَاحُ عَادَتُهُ^٤ سماحُهُ بِالْغَلَاءِ فِي عِبْدِهِ
الحمد لله إن يكن^٥ حرجاً فليس في مثله^٦ سوى حمده
وحيلة إن وصلت^٧ حَضْرَتَهُ جعلتها رغبة^٨ إلى جنده
لو ساءوا في الفرد^٩ أَرْمُقُهُ^{١٠} من طَرَفِهِ لَمْ أَخْتَفُهُ من غمده
يا ربَّ بَشِّرْ بِرَحْمَةٍ وَحِيَا يُؤْنِسُ من بَرَقِهِ ومن رعدِهِ

ومنهم الوزير الكاتب أبو الوليد حسان بن المصيصي^١

وهو أيضاً من شَلَب ، ومن ذلك الأفقِ طلعتْ نجومُ الكلام ، فأضاءت
البلاد ، ونشأتْ غيومُ النثارِ والنظام ، فطَبَّقَتْ الهضابَ والوهاد ، إلا أن
حساناً^٢ هذا وصاحبيه أبوي بكر : ابن عمار وابن الملح كانوا هنالك رؤساء
الأمّة ، ورؤوس إجماع الأئمة ، ونجمتْ دولةُ المعتمد ابن عباد بتلك البلاد
وهم أغصانُ دَوْحَةٍ ، وأخذانُ غَدَوَةٍ إلى طلبِ العلمِ وَرَوْحَةٍ ، يتدارسون

١ الخلة : فقلت .

٢ الخلة : مثلها .

٣ انظر المغرب ١ : ٣٨٥ والمسالك ١١ : ٢٨ (وفيه نقل عن الذخيرة) ورايات المبرزين :
٢٧ (غ) والحريدة ٢ : ١٩١ ، ٣ : ٥٨٨ (ط . تونس) والنسخ ٤ : ٣٠٧ ؛ ولفظه
« حسان » سقطت من م س ط .

٤ في الأصول : حسان ؛ وقد اضطرب الاسم فجاء حيناً مصروفاً وحيناً متنوعاً من الصرف ،
وهذا جائز فيه ، لأنه إن كان من « حسن » كان مصروفاً لأصالة النون فيه ، وإن كان من
« حس » كان متنوعاً من الصرف لأن النون فيه زائدة ؛ ولكني أجريت ما جاء في هذا النص حل
سياق واحد . أي اعتبرته مصروفاً .

آياته ، ويتبارون^١ إلى أبعد غاياته ، ولكل دليل^٢ في السنا مشتهر ، وسبيل^٣ إلى العلياء مختصر . ونهض تصريف المقدار منهم بـ ابن عمار ، فشب عن طريقه ، بالحمل وأوقه^٤ ، وبلغ المبلغ الذي استغنى باشتهاره عن تكراره ، وتبعه هذان في الانقطاع إلى الدولة ، بحسبان كل^٥ بيضاء شحمة^٦ ، ويتخيّلان كل ضوء^٧ نجمة ، ولله في بريته أقدار^٨ يُمنّصها ، ومن مشيئته أسرار^٩ يتفرّد بها فيخفيها ، فلم يحصل إلا^{١٠} على لبس ما خلع [أ٨٤] والارتسام حيث أشار ووضع ، فأما ابن الملح فإنه نفّر نفرة الأنيف ، وفرّ فرار الحقيق الأسيف ، مؤثراً للانزواء ، على الاستخذاء ، مكتفياً بالدُّون ، من التصرف على الهون ، وكانت له خلال ذلك مدائح يُهنّديها ، ورحل إلى الحضرة يحمل على نفسه الأبيّة فيها ، فبطراً جديداً ، ويصادف عهداً بها بعيداً ، فيؤوب ضخم العياب ، محمود المقام والإياب . وأما حسّان هذا فصّدق الحملة ، ولزم الحملة ، متبطلاً بما خوّل ، جاعلاً نفسه حيث جُعِلَ ، ورضي من ابن عمّار بوطء عقيبه ، ولزوم مركبه ، وابن عمّار يرعاه لمكانه ، ويخاف انتباه المعتمد لشانه ، حتى زاحمه أخيراً بالأديب أبي محمد عبد الجليل ، فأقرأ له بالفرق ، وأخذ منهما جميعاً قصبات السبق . وكان ابن عمّار بعد ذلك كلّه

١ م : ويتبادرون .

٢ الأرق : الثقل .

٣ ناظر إلى قول الشاعر :

وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة عشيّة لاقينا جذام وحميرا

وهو من المثل : ما كل بيضاء شحمة (الميداني ٢ : ١٦٩ والمسكري ٢ : ٢٨٧ تحقيق أبو

الفضل ، وانظر ما تقدم ص : ١١٤) .

٤ متبطلاً : سقطت من م .

كلّما مرّ ذكرُ عبد الجليل ألقى يديه ^١ ، وشهد له بالفضل عليه ، وليست الحظوظُ بالأقدار ، ولا الأمورُ على الاختيار . ولما أنشأ المعتمدُ لابنه الفتح ، دولته بقرطبة المتقدّمة الشرح ، أصبحه حسّاناً هذا كاتب سرّه ، وصاحبَ أكثرِ أمره . وقد أخذتُ من شعره عدلَ شاهدٍ على ما أُجريتُ من ذكره .

جملة من شعره في المدح وما يتصل به

له من قصيدة في المعتمد أولها :

أضاءَ بك الأفقُ الذي كان أظلماً	وقد لحّت في الإكليل بدرأ متمّماً
على أيّ وجهٍ لم يُشعّشعْ طلاقةً	وفي أيّ ثغرٍ لم ينورْ تبسماً
وقد صغت من ذاك المحيّا وحُسْنه	صباحاً ومن تلك الخلائق أنجماً
إذا غبت عن أرضٍ تمثّل أهلها	« عسى وطنٌ يدنو بهم ولعلّما » ^٢

ومنها :

ألا قلّ لأربابِ المخائضِ أهملوا	فظلّ ابنِ عبّادٍ عليهنّ أينما
فهل تقتدي الأعلامُ فيك بحارهما	لتحظى ببعثِ السّلمِ منك فتسلما
مع الله بمضو ^٣ إن مضوا مع غيره	ولله أخرى أن يتقلّ ويغتما
وليدت مع الإقدام في ساعةٍ معاً	فقدأك في الهيجاء كوثنك توأما

١ م : يديه .

٢ صدر بيت لأبي تمام (ديوانه ٣ : ٢٣٢) وعجزه : وأن تعب الأيام فبهم فرجاً .

٣ يقال في مضارع مضى : يمضي ويمضو .

والله عاداتٌ لَدَيْكَ جميلةٌ يُفِيدُكَ أَرِيأَ حَيْثُ نَحْسَبُ عِلْقَمَا
 وَلَوْ جَبَّيْطِي طَيِّ رَمِيَتْ بِفِرْقَةٍ بِلْجَاءِ أَجَا سَلَمَى إِلَيْكَ مَسْلَمَا
 لِذَاكَ ابْنُ عَمَّارٍ نِيَّ أَذْفُونَشَ طَائِعَاً بِسَعْدِكَ حَتَّى لَوْ أَمَرْتُ لَأَسْلَمَا
 وَلَمْ يُبْقِ رُومِيَّأً بِفَضْلِكَ مُشْرِكَاً وَإِنْ أَشْرَكُوا بِاللَّهِ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَا
 تَفَاءَلْتُ بِاسْمِ الْفَتْحِ^١ لَمَّا لَقِيْتَهُ^٢ لَتَفْتَحَ أَمْرًا خَالَهُ^٣ النَّاسُ مَبْهَمَا
 تَلَاقَيْتُمَا لِلسَّعْدِ بِدِرْأٍ وَكُوكِبَاً أَبَا لَا يُبَارَى فِي الْمَكَارِمِ وَابْنَمَا
 وَمِنْهَا :

أَرَاهُ وَأَرْجُوهُ وَأَنْشُرُ فَضْلَهُ فَيَمْلَأُ مِنِّي الْعَيْنَ وَالْكَفَّ وَالْفَمَا
 وَمَعْنَى هَذَا الْبَيْتِ الْأَخِيرِ كَقَوْلِ ابْنِ شَرْفٍ^٤ :

سَلِّ عَنْهُ وَانْطِقْ بِهِ وَانْظُرْ إِلَيْهِ تَجِدُ مَلَأَ الْمَسَامِعِ وَالْأَفْوَاهِ وَالْمَقْلَ
 وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى أَيْضاً يَنْظُرُ قَوْلُ الْحَسَنِ^٥ عَلَى رَأْيٍ بَعْضٍ مِنْ فَسَّرَ وَهُوَ :
 * أَلَا فَاسَقَنِي خَمْرًا وَقُلْ لِي هِيَ الْخَمْرُ *

وَقَوْلُهُ : « وَلَمْ يُبْقِ رُومِيَّأً بِفَضْلِكَ مُشْرِكَاً » كَقَوْلِ مُحَمَّدِ بْنِ هَافِيٍّ^٥ :

.. " " " "

١ ط م د س : تَفَاءَلْتُ بِالْفَتْحِ اسْمُ الْفَتْحِ .

٢ ط د : دَالَهُ ؛ م س : دَلَهُ .

٣ يَرُدُّ مَعَ أَهْيَاتٍ أُخْرَى لَهُ فِي الْقِسْمِ الرَّابِعِ مِنَ الذَّخِيرَةِ (الْوَرَقَةُ : ٩٠) .

٤ يَعْنِي أَبَا نَوَاسٍ ، دِيَوَانُهُ ٢٧٣٠ ، وَعَجَزَ الْبَيْتُ : « وَلَا تَسْقِنِي سِرًّا إِذَا أَمَكُنَ الْجَهْرُ » .

٥ دِيَوَانُ ابْنِ هَافِيٍّ : ١٧ .

لم يشركوا في أنه خيرُ الوري ولذي البريةِ عندهمُ شركاءُ [٨٤ ب]

وله من أخرى فيه ، أولها ١ :

من استطال بغير السيفِ لم يَطلِ	ولم يخبُ من نجاحِ سائلٍ الأسَلِ
أعدتْكَ ^٢ صَحْبَتُكَ الأرماحَ شيمتها	فانفذَ نفوذَ القنا في الأمرِ واعتدل
وإنْ أتتْكَ أمورٌ لم تُعِدْ لها	فانهضْ برأيك بين الرِّيثِ والعجل
أقدمْ على عَجَلٍ وارغبْ على زهد	واغلظْ على رقةِ واسفرْ على خجل ^٣
حاز المؤيدُ مما قلتُ أفضلَه	وزاد للفرق بين القولِ والعمل

وهذا البيت الأخير مما بعدَ شأوهُ ، وفات سرّوهُ ، وتجاوز أكثر
الحدِّ عقّوهُ .

ملكٌ تَوَاصَلُهُ الدنيا وبهجرتها	مرآً ويلبسُ تقوى الله في الحلل
لا تحمدنْ زُهْدَ مَنْ لم يُعْطَرْ غِبْتُهُ	لعلّةٍ غَضُّ من جفنيه ذو الحول
وكم له سنّةٌ ضاءَ الزمانُ بها	ضوءاً بلا لب كالشمس في الطّفل
تعطي الهواءَ ومَتْنِ الأرضِ غرته	نوراً وتورّاً عطاءَ الشمسِ في الحمل

وهذا البيت لحسان من حسنات شعره ، وأبين آيات ذكره ، فيه توليدٌ ،
شَهِدَ أنه شاعرٌ مجيد :

.

١ منها أبيات في المغرب والمسالك والرايات .

٢ ط م د : أغرتك ؛ س : أعزتك .

٣ في الأصول : واغلظ على رقة وارغب على زهد ، والتصويب من المغرب .

٤ الرايات : قدرته .

تَنَاهَاهُ عِفَّتُهُ عَنْ أَمْرِ بَطْشَتِيهِ فَاَلْمَشْتَرِي عِنْدَهُ قَاضٍ عَلَى زَحَلِ
وَهَذَا الْبَيْتُ أَيْضاً مِنْ مَلِيحِ الْمَنْظُومِ ، وَلَهُ اخْتِصَاصٌ "حَسَنٌ" بِأَحْكَامِ
النَّجُومِ ؛ وَمِنْهَا :

يَطْنُوِي عَلَى نُورِ إِيْمَانٍ جَوَانِحَهُ فَالْنَفْسُ مِنْ كَوَكِبٍ وَابْجَسَمَ مِنْ رَجُلٍ
لَمْ يَتَعَقَّ يَوْمًا وَلَا أَحْلَوْلَ لِمَسْطَرِجٍ وَإِنَّمَا هُوَ بَيْنَ الصَّبَابِ وَالْعَسَلِ
جَرَّ الدُّيُولَ وَلَكِنْ مِنْ جِحَافِلِهِ عَلَى الْقَتَادِ وَلَكِنْ مِنْ شَبَا الْأَسَلِ

وَهَذَا الْبَيْتُ أَيْضاً مِمَّا بَرَزَ فِي لَفْظِهِ وَمَعْنَاهُ ، وَأَرَادَهُ كَثِيرٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ
فَأَصْبَاهُ :

فَلَمْ يَطَّأْ غَيْرَ مَا نَحْكِي شِمَائِلُهُ مَعَ الْجِزَالَةِ مِنْ سَهْلٍ وَمِنْ جَبَلٍ
جَلَالُهُ أَدْخَلْتِ أَمْلَاكَ أُنْدَلُسِ تَحْتَ الْخِنَاعَةِ وَالْإِحْجَامِ وَالْفُشْلِ
كَأَنَّ مُلْكَكَ أَسْنَى مِنْ مَمَالِكِهِمْ وَأَنَّ دَوْلَتَكَ الْعُلْيَا عَلَى الدُّوَلِ
لَمَّا دَعَا الْقَادِرُ الْمَضْعُوفُ قَالَ لَهُ أَخُوهُ عَنْكَ : أَخِي لَا تَبْكُ فِي طُلُلٍ
صَفَحْتَ عَنْهُ لِأَمَالٍ لَهُ سَلَقْتَ وَرَبَّمَا كُرْهَ التَّفْصِيلِ لِلْجَمَلِ
قَدْ يَدْخُلُ الْمُسْلِمُ الْمَخْطِي الْجَنَانَ غَدًا بَنِيَّتِي أُرْنِجِي الْغُفْرَانَ لَا عَمَلِي

وَهَذَا الْبَيْتُ مِمَّا خَلَصَ فِيهِ يَقِينُهُ ، وَحَسُنَتْ بِخَالِقِهِ ظَنُونُهُ ، وَعَصَى
اللَّهُ أَنْ يَلْقِيَهُ مَا لَهَا ، فَرَبٌّ مَرْحُومٌ بِكَلِمَةٍ قَالَهَا .

وَمَا أَحْسَنَ أَيْضاً مَا أَنْشَدَتْهُ لِلْحَسَنِ بْنِ رَشِيقٍ ١ ، وَقَدْ مُنِّحَ مِنَ التَّوْفِيقِ

لسلوك هذه الطريق :

إذا أتى الله يومَ الحشرِ في ظِلِّ وحاسبَ الخلقَ مَنْ أَحصى بقدرته ولم أجدُ في كتابي غيرَ سِتَّةٍ رجوتُ رحمةَ ربِّي وهي واسعةٌ وحيءُ بالأممِ الماضينَ والرُّسلِ أنفاسَهُمْ وتوفَّاهُمْ إلى أجلٍ تسوغي وعسى الاسلامُ يسلمُ لي ورحمةُ اللهِ لي أرجى من العملِ [١٨٥]

وفي هذه القصيدة يقول^١ حسان :

لولا الكتابُ لم تنظم مواكبها
من كلِّ مُعْتَقِلٍ بالبأسِ عَتِيطٍ
يقودهم من بني قحطانَ ذو بدعٍ
ينبيك سُودَدُهُ عن صَيْدٍ معشره
لا تعجبنيكَ عليا لا قدِيمَ لها
بيضُ يمانونَ إن سَلَّوا بمانيةً
وكم جَلَّوْا بالندى من ليلٍ مفتقرٍ
إذ كلُّ نابتةٍ شوكٌ بلا ثَمَرٍ
طلبتُ مثلَهُمْ في غيرِ حِيَّتِهِمْ
ما زال يندى على كفِّي بنائِلِهِ
مَنْ مُبْلَغٌ يَدُهُ أَنِّي نظمتُ لها
شكراً ذكرتُ به من جودِهِ سِرْقاً

نَظَّمَ العُقودَ لكانَ^٢ الدهرُ ذا عطلٍ
للعزمِ ، مدَّرَعٍ للعزمِ مشتملٍ
من الندى والمعالي لا من التحلِ
فليس يُزْري أخيراً المجدُ بالأولِ
ولا تحلُّ غُرَّةٌ ما ابيضَّ بالكفلِ
لم يُعرفِ السيفُ في الهيجا من الرجلِ
كانَّه دُمعةٌ في جَنَنِ مكنتلٍ
وكلُّ طائفةٍ شَوْرٌ بلا عسلٍ
فلم أجدُ غُرَّرَ الأفراسِ في الأبلِ
حتى مسحتُ على عينيَّ من بللٍ
شكراً جعلتُ قوافيه من القبلِ
كأنه مُفَرَّغٌ في قالبِ العذلِ

١ م : يقول فيها .

٢ س : وكان .

لعلّ عذريّ في ذا الغزو قد عُرِفَتْ أسرارُهُ بلسانِ صادقٍ مَدَلِ
وما الحروبُ ومثلي أنْ يشاهدَها وإنما أنا حَسَنٌ وأنتَ عليّ

قال ابن بسّام : وأظنّ حَسَنًا هذا لم يكنْ له علمٌ بالسّير ، ولا
تصرفٌ بعلم الخبر ، وقد رأيتُ جماعةً من أهلِ الأدب ينسبون حَسَنَ
ابن ثابت رحمه الله إلى الجبن ، ويخرجونه من أهلِ الضربِ والطمع ، يحتجّون
في ذلك بعوده عن رسول الله . صلى الله عليه وسلم ، في مغازيه وسراياه ،
وينشدون له في ذلك شعراً أظنهم نخلوه إياه . وهي هذه الأبيات على رواية
بعض الرواة ^١ :

أيها الفارسُ المشيخُ المُطيرُ إنَّ قلبي من السلاحِ يطيرُ
ليس لي قوّةٌ على رَهَجِ الخيلِ ل إذا ثَوَّرَ الغُبَارَ مثيرُ
أنا في ذا وعند ذاك بليدٌ وليبٌ في غيره نحريرُ

ولا أمّري أنها منحولةٌ إليه ، ومفتعلةٌ عليه ؛ وبلغ من حجبهم على
ذلك حديثه في شأن اليهوديّ يوم الأحزاب ^٢ المطيفِ بالأطَم الذي كان النبي
صلى الله عليه وسلم ، أحرز فيه النساء والأبناء ، وإن حساناً حضّ صفية
بنت عبد المطلب على قتليهِ وأخذِ سلاحه ، ويقولون لم تَكُنْ به قوّةٌ
على سلبه ، فضلاً عن حربهِ ، وذهب عليهم أن حساناً ، رحمه الله ، كان

.....

١ لم ترد هذه الأبيات في ديوان حسان .

٢ انظر هذا الخبر في السيرة ٢ : ٢٢٨ والإصابة ٢ : ٨ وفيه قول حسان عندما حضته صفية
على قتل اليهودي : « يهز الله لك يا ابنة عبد المطلب ، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا »
وقوله بعد أن قتله وحرسته على سلبه : « ما لي بسلبه من حاجة . . . » .

قد أصيب في بعض حروبهم في الجاهلية ، فقطع أكحله ، وفي ذلك يقول ^١ :

• وخانَ قراعَ يدي الأكحلُ •

ومن أدلَّ شيءٍ على ذلك أنه هاجى في الجاهلية والإسلام أكثرَ من ثمانين شاعراً ، لم يَصِفْهُ أحدٌ بالجن ولا عيَّره به ، ولم يكن شيءٌ يتعايرون به أشدَّ . ولحسن أيامٍ مشهورة ، ومواطنٍ في الحروب مذكورة ، وكان ممن له كنيثان في السلم والحرب ، كما كان الأبطال تفعلُ على عهده ، كان يكنى في السلم بأبي الوليد . وفي الحرب بأبي نعمة ^٢ .

وقد أولع ابنُ المصيصي [٨٥ ب] بهذا المعنى فأعاده وأبداه ، وألحمة وأسداه . وأعجبه ما اتفق له منه . حتى أخرجه إلى ما كان في مندوحةٍ عنه . والشعرُ ميدانٌ ربما دعا الأرنَ إلى المراح ، وأخرج السابقَ إلى الجماح ، فقال من قصيدة يمدح بها المعتمد ، وذكر نفسه وابن عمَّار :

كَانَ أَبَا بَكْرٍ أَبُو بَكْرٍ الرَضَى وَحَسَّانُ حَسَّانُ وَأَنْتَ مُحَمَّدُ ^٣

فأراد أن يُعرب فأعجم ، وأحبَّ أن يضيء فأظلم ، ونعوذ بالله من الخطل في القول ، ونبرأ إليه من القوة والحول .

.....

١ ديوانه ١ : ٤٣٢ وصدر البيت : « أضر بجسمي مر الدهور » .

٢ كان حسن يكنى أبا الوليد - وهي الأشهر - وأبا المضرب وأبا الحسام وأبا عبد الرحمن ؛ ولم أجد أحداً ذكر له كنية في الحرب ؛ وأبو نعمة كنية قطري بن الفجاءة ، ولا مانع من أن يتكنى بها غير واحد من الناس .

٣ إزاء البيت بهامش ط تعليقات بخط الأصل ، وهو : يا مصيصي لقد أفرطت ، وفي قبيح القول تورطت ، وفي التأدب فرطت .

وقول ابن المصيصي : « مَنْ مَبْلَغُ يَدِهِ » . . . البيت كقول ابن عبدون :
 بَلِّغْ سَلامَ فَمِي يَدَيَّ مَلِكٍ غَابَ الْمَلُوكُ عَنِ الْعَلَا وَشَهِدُ
 وَكَوَّرَهُ ابْنُ عَبْدِوْنَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ ، فَقَالَ :
 وَبَلِّغْ عَنِ فَمِي يَدَهُ سَلاماً كَمَا أَدْنَى الْأَزَاهِيرِ الرَّبابُ
 وقول حسان : « وَيَلْبَسُ تَقْوَى اللَّهِ فِي الْحَلَلِ » لفظ أبي الطيب :
 * وَكَسَانِي الدَّرْعَ فِي الْحَلَلِ * .

وقوله : « لَا تَحْمَدَنَّ زَهْدَ مَنْ لَمْ يُعْطَ رَغْبَتَهُ » . . . البيت ، معنى
 قد أكثر الناس فيه ، وإن كان لحسان فضلٌ بزيادة التشبيه ؛ ومن مشهوره
 قول حبيب ^١ :
 إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَزْهَدْ وَقَدْ صُبِغَتْ لَهُ بَعْضُفَرُهَا الدُّنْيَا فَلَيْسَ بِزَاهِدٍ
 وقد أحسن فيه أبو الطيب بقوله ^٢ :
 وَالظَّلْمُ فِي خُلُقِي النَّفُوسَ فَإِنْ تَجَدَّذَا عَفَّةٍ فَلَعَلَّةٍ لَا يَظْلَمُ
 وقال بعضُ أهلِ عصرِي :
 تَوَرَّعُوا بَيْنَ لَا عِزٍّ وَلَا ظَفَرٍ وَأَكْثَرُ الضَّعْفِ مَحْسُوبٌ عَلَى الْوَرَعِ

١ ديوان المتنبي : ٣٢٩ وأول البيت : جاد الأمير به لي في مواهبه ، فزأنا . . .

٢ ديوان أبي تمام : ٢ : ٧٣ .

٣ ديوان المتنبي : ٢١٩ .

٤ د : لا عزوا ولا ظفروا ؛ م س ط : ولا ظفروا .

وقوله : « كالشمس في الطفّل » معنى بيتنُ النقصانِ . قصيرُ الباعِ .
في مدى الإحسانِ . وفيه نقدٌ أعربَ عنه بعضُ أهلِ زماننا . ومَن في
طبقةِ ديواننا . وهو أبو حاتم الحجاري^١ . وزاد فيه بقوله :

فكفى من الدينار صُفْرةٌ وجهه . الشمسُ صُفْرتها من أجل زوالها
وقد نقله بعضُ أهلِ عصري إلى النسيب ، فقال :

يَعْيُونَهَا عندي لصفرةٍ وجهها . فقلتُ المرقليّاتُ^٢ أوجُها صُفْرةٌ

وقوله للمعتمد : « فلم يظأ غير ما تحكي شمائله » . البيت . أرى
حساناً مما بلّغ فيه سبْرُهُ . وَوَقَعَ طيرُهُ . هذا يظأ المعتمد فليت شعري
ما يظأ غيره ؟ !

وقوله : « من كل معتقل بالبأس مخترط » . البيت من التقسيم^٣
الملح في القريض . الذي كثيراً ما يتفق في هذه العروضِ ، وهو شبيه
بقول أبي سعد المخزومي :

وما يريدون لولا الحينُ من رجلٍ . بالليلِ مدّرعٍ بالجريرِ مكتحلٍ .
وشبيه أيضاً بقول أبي تمام^٤ :

١ ترجمته في القسم الثالث : ٦٥٢ .

٢ المرقليات : الدناير .

٣ المعتمد . . . التقسيم : سقط من م .

٤ السمط : ٧٦٦ وزهر الآداب : ٣٣٠ والمختار : ٨٠ ، ودهوان أبي سعد : ٥٢ .

٥ في النسخ : الجب . وهو ما في زهر الآداب أيضاً .

٦ ديوان أبي تمام ١ : ٦٣ .

تدبيرٌ متعممٌ ، بالله منتقمٌ في الله مرتغبٌ ، لله مرتقبٌ^١

إلى غير ذلك مما لا يُحصى ، والإحاطة لله تعالى .

وقال حسّان من قصيدةٍ أو^٢ لها :

بياضَ أياديكَ تحكي الصفاحُ	ومثلَ نفاذكَ تحلو الرماحُ [١٨٦]
وأنبتَ ^٣ الحربُ شوكَ القتّادِ	وفتحتِ الوردَ فيها الجراحُ
وكم لك في السّلم وجهٌ حيٌّ	وكم لك في الحرب وجهٌ وقاح
فما غيرُ أصلِكَ عودٌ نضارٌ	ولا غيرُ لَحْمِكَ حيٌّ لقاحُ
فجودُكَ صِرْفٌ عداهُ المزاجُ	وطبعُكَ جيدٌ عداهُ المزاجُ
فلو كان خَيْمُكَ من ماءٍ كرمٍ	لما شابههُ فيكَ ماءٌ قراحُ
ألم تَرَ غادِرَ أسطبةٍ ^٤	حوّى الخُسْرَ صَفْقَتَهُ لا الرباحُ
سِدى براقشٍ أصحابِهِ ^٥	فقد دلّ منه عليهمُ نُباحُ
فداسوا على قِصْدِ الذابلاتِ	تبكي دماءٌ عليها الصفاحُ
وغنى الحمامُ برقَصِ الرؤوسِ	ولدّ اغتباقٌ وطابَ اصطباحُ
أينفى عَلاك على ذي جفونٍ	ويطمعُ يبدو إليه الصباحُ
ولما زَجَرْتُ بذكرِكَ شعري	تبينَ يَنشالُ فيها المراحُ

١ الديوان : لله مرّقب في الله مرتغب .

٢ منها أبيات في المسالك وبينان في تمام المتن : ٢٩٠ .

٣ م س ط : فأنبت .

٤ أسطبة أو اصطبة (Estepa) على بعد ٢٣ كم إلى الشرق من أشونة (Osuna) وتقع

ضمن ولاية اشبيلية (الروض رقم : ١٨) .

٥ فيه إشارة إلى المثل : « على أهلها دلت براقش » .

ولولا أياديك خابَتْ يدي
برقةٍ معناه يسري كلامي
وَجَدْتُ معاليك أصلاً لشعري
لك الفضلُ أنْ طاب شكري ونشري
ولم يورِ مِن زَنْدٍ فكري اقتداح
إذا الحصرُ رقَّ يجولُ الوشاح
وهل نُظِّمَ الدر لولا النصاح^١
بطيبِ الرياضِ تفوح الرياح

وله فيه^٢ أيضاً من قصيدة^٣ :

ليس العلا إلاً على كرمٍ
من لحمٍ أصلك يا مملوكُ أمْ
كأسُ المسرةِ^٤ قد سكرتُ بها
بشيدٍ في الوغى لك منزلاً خشناً^٥
ودعِ الرياضَ لمن يلدُ بها
أذكى من الآسِ النضير قناً
إنَّ النطاحَ من الورى خلقُ
أيقومُ خطُّ ما له سَطْحُ
في الخطِّ نَبْتُكَ أيها الرمح
والحدُّ يلزمني متى أصحو
لا يهلكِ الديباجُ والصرح
ما إنْ لغير مكارمٍ نفح
وأنمُ من وَرْدِ الرى جرح
حتى الكواكبُ بينها الشطح

قال أبو الحسن : وهذه المقطوعة له من التحريضِ الحسن ، لولا اعتراض
المقادير أنْ تمرَّ^٦ بأذن .

١ الصاح . السلك يخاط به .

٢ فيه : سقطت من م س .

٣ وردت الأبيات في المسالك ، وانظر الفيث ٢ . ٦٠ .

٤ م : المضرة

٥ المسالك . حسناً .

٦ م ط ثم

وقال فيه من أخرى^١ :

غنّى الحمامُ ولو رآني ناحا
ونعم كلانا فاقدٌ محبوبه^٢
وأعارني نحوَ الحبيب^٣ جناحا
قلقي^٤ ، ولكنني كمتُ وباحا

ومنها :

ثم انثنى ليعلني ريقاً ومَن^١
فغفقتُ عن رشفي مُدامَ رضابه
وثلاثة خالطتها بثلاثة^٢
المسك والشعرَ المخلخ والدُّجى
ليس الملاحه في الوجوه تروفي
سبحان من خص المؤيد بالعلا
ملأت بطاعته القلوب أناته^٣
يا أهل قرطبة اغرفوا من بحره
هل لي إلى الشعراء من ذنب سوى
ومناذٍ نام حذرْتُ أناته^٤
لا تأمنن مكرَ العدو لبعده
قد مات سكرأ كيف يشرب راحا
وجنيت من وجناته التفاحا
ما ينتشق منه المتيم فاحا
والوجه والكافور والإصباحا [٨٦ب]
يوماً إذا الأخلاق كُن قباحا
كلأ وعم بجمه الأرواحا
أضعاف ما ملأت لهُناه الراحا
فلطالما خضخضتم الضخضباحا
سبقي إلى عليائك المداحا
ما غرني أمّا أتى وانزاحا
إنّ امرأ القيس اشتكى الطمّاحا^٥

قال ابن بسّام : وخبر الطمّاح على ما ذكره الرواة : رجل من بني

١ منها أهيأت في المسالك ١١ : ٤٣٠ .

٢ المسالك : نحو الديار .

٣ ورد هذا البيت في النفع ٤ : ٣٠٧ .

٤ م س : ذكره .

أسد كان امرؤ القيس قتل أخاه ، فلمّا توجه إلى أرض الروم مع صاحبه عمرو بن قميئة الذي يقول فيه ^١ :

• بكى صاحبي لما رأى الدربَ دونهُ •

ووصل إلى قيصر وأكرمه ، ووجه معه جيشاً فيه أبناء الملوك ، فلما قصّل أتى الطمّاحُ فوشى ^٢ به إلى قيصر ، وقال : إنه أعرابيٌّ عاهر يشبّبُ بابتك في شعره ، ويشهرها عند العرب ، فبعث إليه قيصرُ بحلّةٍ منسوجةٍ بالذهب مسمومة ، وقال : إني أرسلتُ إليك بحلّتي نكرمةً ، فالبسها باليمنِ والبركة ، فسَرَّ بذلك ولبسها ، فأسرع إليه السمّ ، وسقط جلده ، ولذلك سُمّيَ ذا القروح ، وقال في ذلك ^٣ :

لقد طمّح الطمّاحُ من بُعدِ أرضه ليُلبِسني من دائِهِ ما تلبّسا
ولو أنّها نفسي تموتُ جميعةً ولكنها نفسٌ تساقطُ أنفسا

وقد كرّر معنى هذا البيت وأوجزه بقوله ^٤ :

• وإن كنتِ قد أزمعتِ قنلي فأجملِي •

أي اقتليني جملةً ولا تنوعيه . وإلى هذا المعنى ينظر من طرف مريب ،

.....

١ ديوان امرئ القيس : ٦٥ ، وحجز البيت « وأيقن أنا لاحقان بقيصر » .

٢ في النسخ : فوشى .

٣ ديوان امرئ القيس : ١٠٨ ، ١٠٧ .

٤ ديوانه : ١٢ وصدر البيت : « أفاطم مهلا بعض هذا التدلل » .

قولُ عبدة بن الطبيب^١ :

فما كان قيسٌ هُلْكُهُ هُلْكٌ واحدٍ ولكنَّهُ بِنانٌ قومٌ تهتما

هذا على تفسير مَنْ جَعَلَ هُلْكُهُ هُلْكٌ جميعٍ من اتبعه وعاش
في رِفْدِهِ ، كما قال الآخر :

ولكنَّ الرزيةَ فَقَدُ قَرْمٍ يموتُ لموته خلقٌ كثيرٌ^٢

وأبينُ منه وأولى بقولِ امرئ القيس قولُ المجنون^٣ :

وعروة مات موتاً مستريحاً وها أنا ميتٌ في كلِّ يومٍ

لا بلْ أَشَبَّهُهُمْ عِنْدِي بقولِ امرئ القيس ذي القروح ، قولُ قيس
ابن الذريح^٤ :

تساقطُ نفسي حينَ أَلْكَ أَنْفَساً يَرِدُنْ فما يَصْدُرُنْ إلا صواديا

وتمام الحديث عن امرئ القيس أنه رأى هنالك حين احتضِرَ قَبْرَ امرأةٍ
من بناتِ الملوك ، في سَفْحِ جَبَلٍ يقال له عسيب . وأخبر بقصتها فقال^٥ :

١ انظر البيان والبيان ٢ : ٣٥٣ ، ٣ : ١٨٨ وعيون الأخبار ١ : ٢٨٧ والحماسة رقم :
٢٦٣ والأغاني ١٠ : ٢٠٢ .

٢ ورد البيت للمليل بن الدهقانة التغلبي في الحماسة البصرية ١ : ٢١٢ ومجمع المرزباني : ٤٤٥
ونسب في الأمالي ١ : ٢٧٢ لأعرابية ، وفي البيان والتبيين ٢ : ٣٥٣ ورد البيت التالي دون نسبة :
إذا ما مات مثلي مات شيء يموت بموته بشر كثير

٣ ديوان المجنون : ٢٥٦ .

٤ الأغاني ٩ : ٢٠٠ .

٥ ديوان امرئ القيس : ٣٥٧ ومادة « عسيب » في مجمع ياقوت .

أجارتنا إننا غريبانِ ها هنا وكلُّ غريبٍ للغريبِ نسيب
ومات فدفن إلى جنب^١ تلك المرأة . وروي^٢ أن امرأ القيس دفن بأنقرة
الروم ، وأنهم اتخذوا صورته كما يفعلون بمن يعظمونه . وحدث المأمون أنه
مرَّ بأنقرة ورأى صورةَ امرئ القيس قال : فإذا رجلٌ مُكَلِّثٌ الوجه ،
يريد مستديره ؛ وقيل المدفون بعسيب صخر أخو الخنساء^٣ ، وهو القائل :
* وإني مقيمٌ ما أقام عسيب *

رجع :

وقال حسان بن المصيصي^٤ :

روضُ الشبابِ تناوبتْ أزهارُهُ وليّ بنفسجهُ وجاءَ بهارُهُ [٨٧^٥]
ودَّ المها^٥ لو أنَّ أسودَ لحظه^٦ أضحى خضاباً حين شابَ عذاره
قد كان يعجبهنَّ خِفَّةُ حلْمِه فالآن ساءَ الغانياتِ وقاره
تركَ الذي اشتعلَ الكئيبَ إزارُها منه الذي اشتعلَ العفافَ إزاره

ومنها :

لئنِّي على هذا لأسمعُ بالصبا فيسرّني ممن صَبَّأ^٧ أخباره

١ م : حانب .

٢ انظر هذا الخبر في معجم ما استمع ١ : ٢٠٤ (مادة : أنقرة) .

٣ معجم ما استمع ٣ : ٩٤٣ وابن خلكان ٦ : ٣٤ .

٤ المسالك ١١ : ٤٣٠ - ٤٣١ .

٥ د : امرؤ .

٦ ط م : لحظها .

٧ المسالك : فيسرّني تتعلا .

وَأَمِيلُ نَحْوَ الرُّوضِ فَارْقَهُ الْحَيَا
وَكَأَنَّمَا خَدُّ الْحَبِيبِ شَقِيقُهُ
فَكَأَنَّنِي مِمَّا ظَمِنْتُ وَشَاحَهُ
حِينَما فَلَمَّعَ إِشْرَهُ نُورُهُ
خَجَلَانٍ أَوْ وَجْهَهُ الْمَحَبِّ عِرَارُهُ
وَكَأَنَّنِي مِمَّا شَرَقَتْ سَوَارُهُ

ومنها في المدح :

هُوَ أَعْرَفُ الْكَرَمَاءِ ، إِنْ سَمَّيْتَهُمْ
لَا تَعْدِلْنَهُ عَلَى إِهَالَتِهِ اللَّهَى
لَا تَغْتَرَّرْ بِالْبَشَرِ مِنْ سَطَوَاتِهِ
يَأْبَى لِمَوْلَايَ الْهَوَانَ وَظَلَمَهُ
لَا يَسْتَطِيعُ النِّكَاسُ يَنْطِقُ بِاسْمِهِ
قُلْ لِلْمُؤَيَّدِ إِذْ تَقَيَّلَتْهُ ابْنُهُ
يُحْكِيكَ فِي شَأْوِ الْعَلَاءِ وَإِنَّمَا
إِنْ تُنْصِبِهِ رَحْمًا فَأَنْتَ وَشَيْجُهُ

وقال يداعبُ ابنَ جمهور^١ :

شَكَوْتُ إِلَيْهِ بِفَرْطِ الدَّنْفِ
وَقَالَ الشُّهُودُ عَلَى الْمَدَّعِي
فَأَنْكَرَ مِنْ عَلَّتِي مَا عَرَفَ
وَأَمَّا أَنَا فَعَلْتُ الْخُلْفَ

١ لم يرد البيت في م ط س ، وقصة عرار الذي أرادت زوج أبيه إهالته فامتعض أبوه لذلك ،
تحدث عنها الحماسية :

أرادت عراراً بالهوان ومن يرد عراراً لعمرى بالهوان فقد ظلم
٢ انظر التحريدة ٣ : ٥٨٨ والمسلك السهل : ٤٣٥ ووردت الأبيات في زاد المسافر : ١٤١
والوافي للرندي : ٣٠ والنفع ٣ : ٣٨٢ منسوبة لأبي عبد الله محمد بن الفراء الأعشى ، وفيها
زيادة على ما هنا ، واختلاف في الختام .

فجئنا ابنَ جمهورٍ المرتضى فقيهَ الملاحِ وقاضيَ الكتّاف^١
وكان بصيراً بحكم الملاحِ ويعلم^٢ من أين أكلَ الكتف
فأومى إلى الخلد أن يجتني وأومى إلى الرقيق أن يرتشف
وقال له جاهداً في انتصافي دعوا يا مخانيثُ هذا الصلف
كلما تقتلون مشاهيرنا إذا مات هذا فأين الخلف^٣ ؟

وأرى حسناً أراد أن يسلكَ من هذه السبيل ، مَسْلُكَ ابنِ معمرٍ
جميل ، في قصيدته حيث يقول^٤ :

وقلتُ لها : اعتديتِ بغيرِ جُرْمٍ وغبُّ الظلمِ مرتعهُ وبيل^٥

فجاء بين الشعرين ما بين الشاعرين ، وبين القطعتين ما بين الزمانين ؛
على أن محاسنَ حسانٍ كثيرة ، وحسناته مشهورة ، وإنَّما أُلغيتُ منها بقليل ،
لزهدي في التطويل .

١ روايته في زاد المسافر والوافي والفتح : فجئنا إلى الحكم الألمي شيخ المجون وقاضي الطرف .

٢ م س : يعلم .

٣ ديوان جميل : ١٦٤ .

٤ الديوان : فقلت له قتلتي .

٥ د : وخيم .

ومنهم الوزير الفقيه أبو بكر بن الملح^١

قال ابن بسّام : وأبو بكر ، -فرد من أفرادِ العصر ، وهو من بيت أصالة ، وبجوبة جلالة ، وفارسُ ميداني الزهد والبطالة ، وشاعرُ ناد ، وخطيبُ أحواد ، غبّر صدرأ من زمانه لا يحفلُ بعاذل ، ولا يُصغي في الفتوةِ إلى قولِ قائل ، وكان في ذلك أحسنَ من التوريد في الخدّ ، وبمكان الحلمة من النهد ، والدينُ في أثناء [٨٧ ب] تلك الوهلة ، وبين خصاصات تلك الغفلة ، يستطيلُ غيبتُهُ ، وينتظرُ أوبتُهُ ، فلما أقصرَ باطله ، وأسمعه عذّاله وعواذله ، تلقّاه باليمين ، واشتراه بالثمنِ الثمين ، فأصبح سجيرَ عنزةٍ ومنبر ، وأمسى سميرَ مصحفٍ ودفتر ، وفي ذلك يقول من أبيات :

وكنْتُ في الكاسِ عهدَ الشبابِ فصيّرنِي الشيبُ شيخَ الدعا
ومُدَّ لأبي بكر هذا في العمر وعاش إلى وقت تحريري هذا المجموع
سنة خمسائة ، وتوفي رحمه الله في شهر رمضان منها : وقد أثبت من شعره
ما يملأ الأسماع بياناً . ويهر الطباع حسناً وإحساناً .

١ هو أبو بكر محمد بن اسحاق اللخمي من أهل شلب يعرف بابن الملح وابن الملح ، كان له
ابنان هما أبو القاسم أحمد وأبو محمد عبد الملك وقد روي عنه . (انظر ترجمته في الذيل والتكملة
١ : ١١٨ والتكملة ٤١٤٠ والمغرب ١ : ٣٨٣ والرايات : ٢٧ (غ) والقلائد : ١٨٧
والنفع ٤ : ٧٠ ، ١٤٨ ، ٢٦٣ ، ٣ : ٤٦٦) وفي ترجمة ابنه عبد الملك انظر الذيل
والتكملة ٥ : ٣٢ والتكملة رقم : ١٧٠٥ وأما في ترجمة ابنه أحمد فانظر الذيل والتكملة
١ : ٤٠٠ والتكملة : ٥١ ، وكان أحمد هذا ريان من الأدب شاعراً ، ولي الصلاة والخطبة
بجامع بلده زماناً ، وعن أحمد وعبد الملك يروي أبو بكر ابن خير ، وقد مر لأحمد هذا
شعر في النفع ٤ : ٧١ والمغرب ١ : ٣٨٤ وفي أخباره ما يشير إلى أنه انقلب بعد الغفلة
إلى الانحلال وتزوج امرأة كانت ترقص في الأعراس باشيلية .

ما أخرجته من شعره في النسيب وما يناسبه

قال^١ :

أنت تدري سريري ^٢ ما أبالي	حَسِبَ القومُ أني عمك سالي
فمتى كنتَ قبلَ هذا هلالي	قمري أنت كلَّ حينٍ ^٣ وبدري
حُجِيتُ ليلها حِذارَ الملال	أنت كالشمسِ لم تَغَيَّرْ ^٤ ولكن
قد حسباهُ من صروف الليالي	ما مللنا فكان ذا غَيَّرَ أنا

وقال^٥ :

حتى إذا ما رنا ^٦ به انبعثا	ظبي بموجُ الهوى بناظره
يعدُّ شكوى صبايَ رثنا	مبتدع البخلِ ^٧ لا كفاءَ له
وما تعرَّضْتُ للهوى عبثا	أنكرَ سُنَنِي وما قصدتُ له
فما قضى بيرةً ولا حثثا	أقسمَ في الحبِّ أن أموتَ به

وقال :

حراماً بشربِ الراح من كلِّ تأنيبٍ	حبيبِ إلينا أنْ نراكَ على طيبِ
وعندك قَضْلٌ آخرُ غيرُ مكسوبِ	تُكَسِّبُكَ الصهباءُ قَضْلَ خلاتقِ

١ منها ثلاثة أبيات في الحريدة ٣ : ٦٧ والقلائد ١٨٨٠ (وبيتان في المغرب ١ : ٢٨٤) .

٢ أصل ط والقلائد : صباي ؛ الحريدة والمغرب ١٠ قصيتي .

٣ المغرب كل يوم

٤ القلائد لم تعب لي .

٥ انظر القلائد والحريدة .

٦ القلائد والحريدة دمي .

٧ القلائد والحريدة الخلق .

ومن قصائد ابن الملح المطولات^١ في المدح

قال من قصيدة في المعتمد أولها^٢ :

سَكَنَ اشْتِياقُكَ ما عدا عما بدا
لم يُطْفِئَ وَجْدُكَ إِنَّمَا هي شعلة^٣
والعَضْبُ يَسْرُهُ القِرَابُ وربما
والروضُ يبعثُ بالنسيم كأنما
سكرانُ من ماءِ النِّعَمِ وكلَّما
ياوي إلى زَهْرٍ كانَ عيونُهُ
زهرٌ يفوحُ به اخضرارُ نباتِهِ^٤
وبيت في فتنٍ توهَّم ظِلَّهُ
قد خَفَّ^٥ موقعُهُ لديه وربما
أعلى محلِّ الشعر أنَّ قصائدي
خَطَبَتُهُ تَرْكَبُ بطنَ كَفِّي منبراً
أثقلتُ أعناقَ المآربِ لؤلؤاً

أرَوَيْتَ أم خَمَتِ الخُطوبُ الوردا
كالسيفِ جَرَدُهُ المقام وأغمدنا
خَشْنَتِ مضاربه الرقاقُ من الصدا
أهداه يضربُ لاصطباحك موعدنا
غَنَّاهُ طائِرُهُ وأطربَ رَدْدُنا
رُقَبَاءُ تقعدُ للأحبة مَرَصِدنا
كالزَّهْرِ أَسْرَجَها الظلام وأوقدا
بالصُّبْحِ في عَيْنِ القَرارةِ^٦ مرودا
سمح النسيم بعطفه فتأودنا
جَعَلَتْ مَدِيحُكَ بِالْمَعاني مقصدا [أ٨٨]
وَدَعَتْكَ تَعَمَّرُ ظَهْرَ كَفِّكَ مسجدا
وملأتَ آفاقَ البصائرِ إِمعدنا

١ د ط . المطولة .

٢ منها ستة أبيات في كل من الخريدة والقلائد والريحان ١ . ١٥٧ / أ وأربعة في المغرب .

٣ المغرب : مانه .

٤ ط د : فتن .

٥ القلائد والخريدة : يسمي ويصبح في القرارة

٦ ط د س : حب .

كم قد ركبْتُ إليكَ كاهلَ همةٍ كادتُ تغالطُ في أخيهِ الفرقدَا
أبنيَ لديكَ العيشَ أخضرَ يانماً فأجوبُ جنحَ الليلِ أسْفَعَ أسودَا
يقظانَ تحسبني الكواكبُ ناظراً فيها يراقبُ للغزاةِ مولدا
وإذا تكتنَّفني النهارُ لبسُهُ وهجاً لفوحاً أو سراياً مزبدا
رطب الجوانح في اليبابِ كأنما اس تهديتُ في الماء الخفي الهدهدا

قال ابن بسام : لو قطع المفازة التي اهتدى فيها أصحابُ رسول الله ،
صلى الله عليه وسلم ، ببيت الضليل حيث يقول :

تيمَّمتِ العينَ التي عند ضارجٍ بفيءٍ عليها الظلُّ عَرَمَتْهَا طامي¹

ما زاد على ما وصَفَ ، فكيف في رُقعةٍ من الأرض مساحتها يومان ،
لراكبٍ أتان ، أكثر بلادِ الله ماءً ، وأرطبها هواء ، إلا أنه والله قال
فأجاد ، وخيَّلَ فسحر وزاد . وليس هذا البيت في شعر امرئ القيس في
أكثر الروايات . وفي العرب عشرة رجال يسمون كلهم بامرئ القيس .

وروى ابن الكلبي قال : جاء قوم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ففضلوا
في طريقهم ووقفوا على غير ماء . فمكثوا ثلاثاً لا يقدرّون على الماء ، فجعل
رجلٌ منهم يستدري² فروعَ السَّحَرِ والطلح ، فبينما هم كذلك إذ أقبل رجل
راكبٌ على بعير ، فأنشد بعضُ القوم بيتَ امرئ القيس المتقدم الذكر ،
فقال الراكب : ما كذب ، هذا والله ضارجٌ عندكم ، وأشار إليه ، فأنوه ،

.....

١ انظر مادة « ضارج » في معجم ما استمعج والروض المطار .

٢ م . يستدر ؛ ط . يستدير ؛ د . يستدر .

فلذا ماء غدق^١ قد غطاه العرم^٢ مض^٣ ، والظل^٤ يفيء^٥ عليه ، فشرّبوا منه وارتووا ، فلمّا بلغوا النبيّ . صلى الله عليه وسلم ، وأخبروه القصة ، قال لهم : ذلك رجل^٦ مذكور^٧ في الدنيا شريف^٨ فيها . خامل^٩ في الأخرى منسي^{١٠} فيها ، يجيء يوم القيامة معه لواء الشعراء إلى النار .

وقال ابن الملح من أخرى في المعتضد بالله :

نشرت^١ للحمد طيباً عن شدا^٢ نفّس^٣
فنوّرت^٤ بالقوافي روضة^٥ أنف^٦
لي^٧ الثواب فلم أرجع^٨ لمشكلة^٩
لي^{١٠} همّة^{١١} ما يزال^{١٢} الدهر^{١٣} يطلبها^{١٤}
وما تحمّلتها^{١٥} في ظهر^{١٦} فاحشة^{١٧}
ما لي وللناس عمت^{١٨} لي منابتهم^{١٩}
تمزّقت^{٢٠} بردة^{٢١} الإنصاف^{٢٢} بينهم^{٢٣}
ليقتصر^{٢٤} الدهر^{٢٥} خصمي^{٢٦} لست^{٢٧} مكرّثاً^{٢٨}

بعثته^١ عن ضمير^٢ غير^٣ متهم^٤
في تربة^٥ العقل^٦ تُسقى^٧ وابل^٨ النعم^٩
عن اليقين^{١٠} ولم أعكف^{١١} على صنم^{١٢}
وما تزال^{١٣} من التأميل^{١٤} في حرّم^{١٥}
ولا وقفت^{١٦} بها في برزخ^{١٧} التهم^{١٨}
تباين^{١٩} اللبس^{٢٠} بين الآس^{٢١} والسلم^{٢٢}
في منكبي^{٢٣} ولم تضغظ^{٢٤} بمزدحم^{٢٥}
من الحصوم^{٢٦} وفي بيت^{٢٧} الندى^{٢٨} حكى

وله فيه من أخرى :

قد صيرت^١ في أخرى^٢ المقاصد^٣ فأنصرف^٤
واختر^٥ لهذا الدر^٦ أجياد^٧ العلا^٨
واشهد^٩ صروف^{١٠} الدهر^{١١} تظفر^{١٢} عندها^{١٣}
فصغير^{١٤} مرأى^{١٥} العين^{١٦} عن بُعد^{١٧} المدى^{١٨}

وشرعت^١ في شتى^٢ الموارد^٣ فاصدُر^٤ [٨٨ب]
يزدُن^٥ فحسُن^٦ البعيد^٧ زين^٨ الجوهر^٩
بالظافر^{١٠} ابن أبي الكرام^{١١} وتنصر^{١٢}
كالنجم^{١٣} أصغره^{١٤} تنائي^{١٥} المنظر^{١٦}

١ د . حروب ؛ ط م س : ضرّوب .

٢ م ط د س : يظفر .

وهذا كقول المعري^١ :

والنجم تستصغرُ الأبصارُ صورته^٢ والذنبُ للطرفِ لا للنجمِ في الصغرى

وقال منها :

حازَ السناء^٣ وما أسن^٤ وإنما
من معشرٍ يُمسي ويصبحُ طفلهم
ألفوا مُضاجعةَ الظُّبا بمهودهم
فلتحفظِ الأيامُ منهمُ عصبه^٥
ثبتوا على الأصلِ القديمِ فاثبتوا
وبَنَوْا على السَّعيِ الجميلِ فبيَّنوا
ولتحفظِ الأيامُ سالفَ أمةٍ
بقيَ الثناءُ عليهمُ فكأنما

نمتِ الفروعُ بطيبِ ماءِ العنصرِ
من حبٍّ [...] العلا في معشر
ولولا مطاولةُ الوشيحِ الأسمرِ
سكنتُ بأرجاءِ الوغى والمنبرِ
نسَبَ الكواكبِ في قبائلِ حمير
أنَّ المكارمَ في تراثِ المنزر
ملأتُ مفاخرهُمُ فروجَ الأعصرِ
ركبوا المنابرَ في بطونِ المقبرِ

ومنها :

أهْدَى إليك الودَّ عبدٌ يدعي
طابتِ مواردهُ لَدَيْكَ كأنما
وسما يبلغُهُ إليك كأنما

شَرَفًا بصهرٍ في بناتِ المحبرِ
وقفتُ ركبتهُ بريفِ الكوثرِ
قَطَعَ المراحلَ في بروجِ المشتري

١ شروح السقط : ١٦٣ .

٢ د : رؤيته ، وهي رواية البطليوسي .

٣ م ط س : حان النماء ؛ د : حاق .

٤ بياض في ط م س ؛ وفي د : أنهار ، ولا معنى له .

نقل الوداد على قطار قصائد
يحملن طيب الحمد فيك كأنما
وله فيه من أخرى :

ضمائلك ملء الأرض كالأخذ باليد
لذلك يبدو الموت نارا ولحجة
لذلك مادت بالرماح صيادها
يهز بها أعطافه كل باسل
على شزب لو سايرتها خطوبها
يصلن السرى والماء غور^٢ كأنما
ومنها :

له جدول من صارم متسلل
هناك ربيع للسيوف مرجس^١
وهذا كقول أبي العلاء^٣ :

روض المنايا على أن الدماء بها وإن تحالفن أبدال من الزهر

وقال ابن شهيد من شعر قد تقدم^٤ : [٨٩ أ] :

١ د م الوامر .

٢ ط ٠ غرو ٤ س ٠ عرق

٣ تروح السقط ١٥٨ .

٤ ديوان ابن شهيد ١٠٨ والدخيرة ١ : ٢٨٩ .

فلذا جدول^١ في الغمدِ تسقى به المنى وذا غصن^٢ في الكف^٣ يُجتنى فيشمرُ

وقال المتنبي^١ :

أأخلع^٢ المجدَ عن كِثْفِي وأطلبه وأتركُ الغيثَ في غمدي وأنجعُ

وقال ابن الملح من أخرى :

أوطأن^١ في ظُبةِ الحسامِ توسدي
واليك^٢ من نارِ الحيامِ بوجنتي
ولكم لقيتُ لهم^٣ يملأُ أرضه^٤
وتركتُ ذاك الجيشَ نهبا للظبا
حتى إذا رمتِ الليالي جانبي
خَطَمَت^٥ بجبلِ الشيبِ أنفَ شبيبةِ
لو كنتُ أقدرَ قادرٍ لم أجزها^٦
إني لأقبضُ في مراجعها يدي
وأرد^٧ عزمي والحقيقةَ مطلبي
أنا صاحك^٨ للدَّهرِ ضحكةَ شامتِ
قصدَ الزمانِ الآملينَ بحربهِ
وعلمتُ أني إن^٩ أصيلُ بمحمد
الله أكبرُ لو قضى لخليفةِ

وَمَزَجَنَ كَأْسِي فِي لَمَاةِ الْأَرْقَمِ
وَهَجَا نَحْفُ بِهِ عَيُونُ الْمَرْزَمِ
بَأَحْمَ طَامِي اللَّجَيْنِ عَرْمَرَمِ
مُتَخَاذِلَ الْأَنْصَارِ مَطْلُولَ الدَّمِ
مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ بِكُلِّ الْأَسْهَمِ
قَدْ كَانَ قَبْلَ صُرُوفِهَا لَمْ يَخْطَمْ
إِنِّي لِأَزْهَدُ فِي عِقَابِ الْمَجْرَمِ
وَلَوْ احْتَدَيْتُ بِهَا فُرُوعَ الْأَنْجَمِ
وَأَبِيعُ حِظِّي وَالْكَرِيمَةَ مَغْنَمِي
إِنْ كَانَ يَعْبَسُ لِلنَّدَى الْمُتَبَسِّمِ
وَأَتَيْتُ فِي الْقَمَرَاتِ أَوَّلَ مَقْدَمِ
أَنْفُذَ عَلَى ضَبَقِ الْمَكْرِ وَأَسْلَمِ
بِمَزِيَةِ الْعِلْمِ الَّذِي لَمْ يُعْلَمِ

١ ديوان المتنبي : ٣٠٢ والخيرة ١ : ٢٨٨ .

٢ الديوان : أ طرح .

٣ ط : وأرود (اقرأ : وأفود) .

وتيقنوا التنزيلَ غير مترجم
للمجد قبل إشارة التكلم
وافرض ليوميك بالمآثر واقسم
واثأر بسيفك للقنا المتحطم
نبأ لرمح ربيعة بن مكدم
جشم وكل الأرض وادي الأخرم^٢

لرووا حديث النفس غير مرجم
يا أيها البشر المتزه جملة
خذ بالندى والبأس أعدل وجهة
واحطم عداك مكابداً ومكابداً
واقنع بعذر من قنالك^١ فإنه
بيدك صعدته ، وكل قبيلة

وله من أخرى في المعتضد بالله :

مكلل آفاق كليل نجوم
وعاذوا بشيطان هناك رجيم
ولا فرحوا في سكرهم بنديم
أديرت على الأقوام كأس حميم
نفوساً فلم تسلم لها يجسوم
مضت في رباها عاصف بهشيم [٨٩ب]
شياطين ضللت تحت رصد نجوم
تميل إلى آذانهم بنميم
محللت على عسر حلول غريم

سروا تحت ليل في الظلام بهيم
تواصوا بأعمال الشقاوة بينهم
مقامة شرب ما قضوا حق مجلس
ولا وجدوا برّد السرور كأنما
مذاهب سوء غيرت من معاشر
نحاموا بلاداً مزقتهم كأنما
سروا تحت أطراف الرماح كأنها
ومالوا على حد السيوف كأنما
كان المنايا الحمر دانت نفوسهم

١ ط د : فتاك

٢ في يوم الكديد بارز ربيعة بن مكدم عدداً من الفرسان تواتروا لمبارزته ، وحمى الطعينة ،
فلما ذهب دريد بن الصمة لهرى ما حدث ووجد ربيعة حديث السن ، أعطاه ربحاً وعاد عنه
دريد وادعى لأصحابه أن ربيعة انتزع منه الرمح ؛ وفي ذلك اليوم يقول ربيعة :
إن كان ينفعك اليقين فسألني عن الطعينة يوم وادي الأخرم
(انظر العقد ٥ : ١٧١) .

ومنها :

ألا فاطخبوها للعقول فلأنها
ولا تبخسوها في المهور فلأنها
وان رخصت يوماً بنات كريم
إباء ستي في الملوك عظيم

وقال من أخرى أيضاً :

كم قصير أنس لهونا في مطالع
فمن مغن بالحن المني غرد
وغافل بالصبا عن قطع مدته
حتى إذا جثت آمالي تحرفت لي
إذا الهوى فاض طوفاناً ركبته له
لولا الحياء وقد شبت معاركة
قد عاد والعهد دان موحش الطلل
وشارب بين طاسات الهوى ثمل
قد راش أجنحة الأيام بالجلد
خطب دفعت به في غرة الأمل
فلنك الغزاة ولم آوي إلى جبل
لقد كشفت لنائم الصبر عن بطل

ومنها :

ضاق الزمان بما حطمت من قصب
لا تغمد البيض إلا في ضرائبها
رواق ملكيك بالأسياف ذو طنب
وباب حربك مفتوح لقارعه
كأنه بكم والله يكلتكم
لو كانت الشمس من خدام دولتكم
في رعيهن وما قصدت من أسل
حتى لقد عادت الأضداد للقلل
وبرد مجدك بالأرماح ذو خمل
عن قسور أهرت الشديقين ذي عصل
يقضي على الدهر أو يختار للدول
والعدل ما العدل لم تبرح من الحمل

.....

١ ط : نبات .

قال ابن بسّام : ولم أسمع بمثل هذا البيت لمن سبق ، فإن كان اتباعاً فما أحسن ما أرق ، وإن يكن اختراعاً فما أولى وأخلق .

وفي هذه القصيدة يقول :

كم حُطِّتُمْ من ضياع في الأنام وكم وصلتم من شتيت غير متصل
بِسُنَّةِ كسنان الرمح ماضية ومَدَّ مَتَبِ كقناة الرمح معتدل
مَدَحْتَكُمْ حيث لا فخر أزيدكم فقد كحلت عيوناً جَمَّةَ الكحل

كما أن هذا البيت أشار فيه أبو بكر إلى التقصير ، فلعله أراد أن يجعله في شعره تيممة من الفتور ، وأحسن مما انتحاه ، قول بعضهم في معناه :

لم أفِدْكَ المديحَ إلا لنفسي ليس للسيفِ إربةٌ في الصِّقالِ

وقال ابن الملح :

لا حدَّ للوجدِ إلاَّ أنتَ عارفُه كأنَّ قلبك للأشواقِ ميزانُ
ولا صِباةَ إلاَّ أنتَ واسِعُها كأنَّ صدركَ للأشجانِ ميدانُ [٩٠]

ومنها ١ :

مِرْناً نراقبُ إعلانَ الصباحِ بنا كأنَّنا في ضميرِ الليلِ كتمانُ

وهذا كقول صاحب بن عباد :

• كأنِّي سِرَّ والظلامُ ضميرُ •

ومنها • سقط من م س .

وقال أبو الطيّب ١ :

• سرّيت وكنت السرّ والليلُ كاتمهُ •

وقال أبو الوليد بن زيدون ٢ :

سِرَّانٍ فِي خَاطِرِ الظُّلُمَاءِ يَكْتُمُنَا حَتَّى يَكَادَ لِسَانُ الصُّبْحِ يَفْشِينَا

وفيها يقول ابن الملح في المدح :

هو المُقِرُّ العَلاَ والخَيلُ سَارِحَةٌ	واللَّابِسُ الحَمْدَ والصَّمَامُ عُرْيَانُ
والمَبْصُرُ الرُّشْدَ فِي أَقْصَى مَطَالِبِهِ	وَالنَّاسُ مِنْ فِتْنَةِ الْأَهْوَاءِ عَمِيَانُ
تَاهَتْ بِمَجْدِكَ قَحْطَانُ وَعَدْنَانُ	وَقَدْ تَخَاضَعَ يُونَانُ وَسَاسَانُ
وَسَارَ ذِكْرُكَ وَالْأَفْوَاهُ تَتَنَقَّلُهُ	حَتَّى تَطَارَحَ فِيهِ الْإِنْسُ وَالْجَانُ
وَشَكََّ فِي الْعَصْرِ أَقْوَامٌ فَقُلْتُ لَهُمْ	فَلَانُ فِي ثِقَلَيْنِهَا لَا سَلِيمَانُ
ذَكَّبْتَ جُودَكَ حَرْبًا وَالْعَدَا جَزَرًا	وَسَيَفُكَّ النَّارُ وَالْأَطْيَارُ ضَبِيقَانُ
هَمِي عَلَيْهَا مِنَ الْمَوْتِ الرُّعَافُ حَيًّا	مُجَلَّجِيلٌ بِصَلِيلِ الْبَيْضِ حَتَّانُ
وَمَاجَ فِيهِ وَرِيحُ الْبَاسِ . تَنْسُجُهُ	جَيْشٌ هُوَ الْيَمُّ وَالْأَسْيَافُ خُلُجَانُ
وَلِلدَّمَاءِ غَدِيرٌ فَوْقَ ضَبَقَّتِيهِ	لِلجَيْشِ دَوْحٌ وَسُمُرُ الْخَطِّ أَغْصَانُ

وله من أخرى يصف حَلْبَةَ الخَيلِ :

خَوَافِقُ قَدْ رِيشتُ بِأَجْنَحَةِ الْهَدَى فطَارَتْ بِبَحْرِ الرُّومِ كُلِّ مَطَارِ
فَهْنٌ بِشَدِّ الْجَرِيِّ عِيقَانُ شَاهِقِ وَهْنٌ بِالْحَنِّ الصَّهْلِ قَمَارِ

١ ديوان المتنبي . ٢٤٨ و صدر البيت « وكنت إذا يمت أرضاً بعيدة » .

٢ ديوان ابن زيدون : ١٤٦ والذخيرة ١ : ٣٦١ .

بكل مباهٍ بالسَّلاحِ كأنَّما
 مهينٌ لدنياه يظنُّ^١ حياتهُ
 تسنمَ جدرانَ المكاره فانتهى
 سقى من قلبِ الحربِ أشجارَ مفخر
 يجرُّ من الخطيِّ فضلَ إزار
 إذا لم يمتَ في الله دارَ بوار
 مآثرَ لم تُحجبَ له بجدار
 تدلَّتْ له من ساعةٍ بشمار

ومنها :

فمن سابعٍ وزدٍ تجلبَّبَ خلقةُ
 وأبلقَ كالريمِ المدمى مُفضَّضٍ
 وأشهبَ نجلوهُ المعاني كأنَّما
 وأشقرَ نوري يهبُ كأنَّه
 وأدهمَ كالليلِ البهيمِ تعلَّقتُ
 إذا ما علاه راكبٌ فكأنَّه
 بلبَّته خيَّطُ المجرة فصلت
 سفينةُ برٍّ سُخِّرَتْ غيرَ أنها
 تُطَّاطأ من عُونِ الطباعِ بحاذفٍ
 له خلُقٌ لولا تواردُ غيره
 بنسجٍ^٢ دمٍ قبل التاج ممار
 تحالُ بشقيه مَسَّالَ نُضَّار
 تزيِّنُ منه زندَها بسوار
 وقد قدَحَتْهُ الحربُ مِقْبَسُ نار
 به تحت كمَّ الفجر كَفُ نهار
 بغرته تحت المطالب سار
 له موهناً أوساطه بدراري
 تجوبُ من الإلهاب لُجَّ غبار [٩٠ب]
 وتُهَنَّا من لَوْنِ الأديمِ بقار
 على عِتْقِهِ لم ينحرفَ لنفار

ومن الحسن في تشبيه الخيل بالبحر ، قولُ بعضِ أهلِ العصر ، وهو
 الأديب أبو بكر ابن العطار اليابسي^٣ ، من شعرٍ أنشدنيه لنفسه بـيَطَلَّيْتَوْسَ

١ م د ط س : يظل .

٢ بنسج : سقطت من م س .

٣ هو محمد بن العطار اليابسي نسبة إلى جزيرة يابسة ، انظر المغرب ، ٢ : ٧٠ والمساك
 ١١ : ٤٥٨ والنفع ٤ : ١٠ وله ترجمة في القسم الرابع من الأخيرة .

سنة ست وثمانين^١ :

والجيشُ قد جعلتْ أبطالهُ مرحاً تختالُ عن خيلٍ السبقِ العتيقِ
إذا تسعّرتِ الهيجاءُ أحمدها ما في معاطفها من نُدوةِ العرقِ
هيّ البحورُ ولكنْ في كوائبها^٢ عند الكربة منجاةٌ من الفرقِ

والشيء يذكر بالشيء إذا ناسبه أو قاربه ؛ كان للمتوكل فرسٌ أخضر
أغرّ محجلٌ ، وعلى كفله ستُّ نقطٍ بيض ، فتناغَتْ لمةٌ من الشعراء يومئذ
ببطليلوس في صفته ، فكلُّ جهد جهده ، وبذل ما عنده ، فما سبق إلى
الغاية ، ولا أخذ الراية إلا النحلي^٣ ، على أنه كان مُزجى البضاعة ، في هذه
الصناعة ، فقال^٤ :

حمل البدرَ جوادٌ سابعٌ تقفُ الريحُ لأدنى مهلهِ
لبسَ الليلِ قميصاً سابغاً فالثريا نُقطٌ في كفلهِ
وكانَ الصبحُ قد خاضَ به فبدا تحجيلة من بللهِ
كلُّ مطلوبٍ وإن طالَتْ به رجلهُ ، من أجله في أجلهِ

بيته الثاني أراه أخذَ^٥ من قولِ ابن صاحب الاسفيري^٦ معناه :

١ منها بيتان في المغرب ٢ ٤٧٠ .

٢ ط : كوائبها ؛ د : كوائبها .

٣ بدائع البداه : ٢٦٩ والنفع ٣ : ٣٢٣ والفريشي ٣ : ١٥٤ .

٤ البدائع والنفع : ركب البدر حواداً سابغاً .

٥ البدائع والنفع : خيضر .

٦ ط د م س . أخذه .

٧ هو أبو المطرف عبد الرحمن بن فتوح . وقد وردت ترجمته في القسم الأول : ٧٧٠ .

لبسَ الظلامَ أديمهُ فبدا لنا من بين عينيه سنا جَوَرائِهـ

والثالث نبّه عليه ابن نباتة بيته^١ :

وكأنما لطمَ الصباحُ جبينهُ فاقترضَ منه فخاضَ في أحشائه

وما أراه نقل إلا لفظ ابن شهيد ومعناه ، من جملة قصيد له قد أنشدناه ،
وهو قوله^٢ :

* وكأنما خاضَ الصباحُ فجاءَ مبيضُ القوائمِ *

وقال فيه أبو بكر الداني^٣ :

لله طِرفٌ جال بابنِ محمدٍ فحوتُ به حَوَباؤهُ التأميلا
لما رأى أنَّ الظلامَ أديمهُ أهدى لأربعةٍ الهدى تحجيلا
وكأنما في الردف منه مباسمٌ تبغي هناكَ لوجهه تقبيلًا

ولأبي عبد الله بن عبد البرّ الشنتريني فيه جملة أبيات^٤ :

فعلى المحيّا كوكبٌ متألّىٌ وعلى القطاةِ بناتُ نَعَشٍ تسطعُ
وكأنما عُمَرُ على صَهَوَاتِهـ قمرٌ تسيرُ به الرياحُ الأربعُ

... ..

١ قد مر البيت ص ٣٧٩ من هذا القسم .

٢ مر في القسم الأول : ٢٠١ وانظر ديوانه : ١٥٧ .

٣ بدائع الهدائه : ٢٧٠ والنفع : ٣ : ٢٢٣ .

٤ البدائع والنفع : يا ابن محمد .

٥ ورد البيت الثاني في البدائع والنفع .

ولم يحضرني من شعر أهل العصر في وصف هذا الطرف إلا ما أثبت ،
 وكانت لهم عندي في صِفَتِهِ عِدَّةُ مقطوعات وجملةُ أبيات ، سقطت من
 ذكرِي ، وطارت من شَرَكِ صدري ، وتعلّقَ بحفظي أشعارُ لمن تقدّمهم
 من أهل هذا الأفق ، ممن تقدّم زمانه ، وشهِرَ إحسانُهُ بالقول ، في صفة
 الخيل ، رأيت إثباتها ، إذ لها موقع بهذا الموضع

قال يوسف بن هارون الرمادي^١ : [١٩١] .

وأبلى من شرطِ الطرادِ^٢ لزينةٍ وإخوانِ^٣ ميدانِ ويومِ قتالِ
 فخضرتُهُ ثلثٌ وثلاثاءُ شُهبةً^٤ فأخضرُ قُدّامِ وأشهبُ^٥ تالِ
 له لَهَبٌ من دُهْمَةٍ فيه شُهبةٌ^٥ كعامِ صدودٍ فيه يومٌ وصلِ
 تدرعَ بدرَ التيمِّ حُسناً وبهجةً^٦ فالنِزَمُ^٦ في حيزومه بهلالِ

وقال أبو عامر بن عبدوس في صفة أشهب ، حاشا عرفه كان أحمر :

يا حُسْنَ هذا الجوادِ حين بدا في شِيةٍ لم تكنْ لذي بَلَقِ
 قام عليه النهارُ مدّعيًا فاعترفتْ عِرفَهُ يدُ الشفقِ

. . .

١ كتاب التشبيهات : ١٩٣ .

٢ التشبيهات : الكمي .

٣ التشبيهات وإحراز .

٤ التشبيهات : لب من شهبة بون دهم .

٥ التشبيهات : نوراً وظلمة .

٦ التشبيهات . ولبس .

وقال أبو بكر بن حجاج^١ :

وأشهبَ صافي بياضِ الأديم
كبدري سماءٍ بدا زاهراً
له شَيْبَةٌ زانها عَرَفُهُ
وقد مُسَّ في شفقٍ طرفه

وقال ابن فتوح :

طِرْفٌ يفوتُ الطَّرْفَ شأواً عدوهُ
يبيدي سوادَ الليل في إدباره
متبخراً تيهاً كانَ بلحامةُ
عَقَدَ الجيادَ بشأوه وجرى على
ذَرَعَتْ مَتْنُ الأرضِ منه بذارعٍ^٢
تعبا الرياحُ وراءَهُ في لايه
ويضيقُ وَسْعُ الأرضِ عندَ مجالِهِ
ويريكَ وَجْهَ الصُّبحِ في إقبالهِ
إكليلُ كسرى لاحَ فوق قذاله
عِرْقٍ نماه عللاً إلى عَقَّالهِ
كادت تكونُ الأرضُ من أُمياله
ويكلُّ شأوُ الدهرِ دونَ كلالهِ

وقال الرمادي :

ومعارضٍ للريح في حركاته
ذو منظرٍ حَسَنٍ تَضَمَّنَ مَخبراً
حَسُنَتْ به الحركاتُ والمعشوقُ لا
حَطَمَتْ حوافِرُهُ السَّلامَ صلابَةً
لولا اللجامُ لجالَ كلُّ مجالٍ
حَسناً وكانَ لزينَةٍ وقاتل
يصبي لغيرِ براعةٍ ودلالٍ
فكانه من أوجهِ البُخَّالِ

١ هو أبو بكر عبد الله بن حجاج العافقي . من شعراء المعتصم ، هجر إشبيلية إلى الجزيرة الخضراء
ومدح صاحبها محمد بن القاسم بن حدود . وقد لقيه الحميدي في حدود ٤٣٠ (انظر الجذوة :
٢٤٣ والبهية رقم . ٩١٩ والمغرب ١ . ٢٦٠ . ٣ . ٣٨٥) .
٢ د . ٥ . بأدرع .

وهذا كقول حبيب^١ :

أَيْقَنْتَ^٢ إِنَّمَا لَمْ تَشَبَّتْ أَنْ حَافِرَهُ من صَخْرٍ تَلَمَّرَ أَوْ مِنْ وَجْهِ عِثْمَانٍ^٣

وأخذه البحرِيّ فقال^٤ :

مَا إِنَّ يَعَافُ قَذَى وَلَوْ أوردتهُ يوماً خَلَاقِيَّ حَمْدِيهِ الْأَحُولِ

وقال القسطلي^٥ :

سامي التليلِ كَانَ عِندَ عِذارِهِ فِي رَأْسِ غَضَنِ الْبَانَةِ الْمَبَادِ
يُهْدَى بِمِثْلِ الْفَرَقْدِينَ وَنَابَ عَنْ رَعْيِ السَّمَاءِ بِقَلْبِهِ الْوَقَادِ
فَكَأَنَّمَا أَطَأُ الْأَبَاطِخَ وَالرَّيَّ بِعَقَابِ شَاهِقَةٍ وَحِيَّةٍ وَادِي [٩١ب]
وَكأنه مِنْ تَحْتِ سَوَاطِي خَارِجاً فِي الرَّوْعِ شَعْلَةٌ قَادِحٍ بَزْنَادِ

وقال يحيى بن هذيل^٦ :

فِي خُضْرَةٍ مَفْتَرَةٍ فِي غُرَّةٍ كَالصَّبْحِ كَشَفَ عَنْهُ لَيْلُ الْبَيْلِ
يَعْمَشِي الْعِرْضَنَةَ فَهُوَ يَحْكِي بِالطَّلِي كَيْفَ الصَّدُودُ عَنْ الْحَبِيبِ فَيَقْبَلِ

.

١ ديوان أبي تمام ٤ : ٤٣٤ وأخبار أبي تمام : ٦٨ .

٢ الديوان : حلفت .

٣ هو عثمان بن إدريس الشامي (أو السامي) .

٤ ديوان البحرِيّ : ١٧٤٥ وأخبار أبي تمام : ٧٠ .

٥ من ملحقات الديوان ٥٤٣ عن الذخيرة ، وانظر الشريشي ٣ : ١٥٤ .

٦ عن يحيى بن هذيل (- ٣٨٩) انظر كتاب التشبيهات ص ٣٣٦ - ٣٣٨ حيث ورد ذكر القطع الكثيرة التي صمها ذلك الكتاب من شعره مع نبذة عن حياته وذكر لمصادر ترجمته .

وقال أبو تمام بن رباح^١ من أهل عصرنا :

وأقْبَ تنقُدُ البروقُ إذا جرى من غيظها حسداً بأن لم تلتحقِ
ملكَ الرياحِ قوائماً فجرى بها فيكادُ يأخذُ مغرباً في مشرقِ

وقال فيه^٢ :

وتحوي ربيعٌ سبقُ الريحِ إنْ جَرَتْ وما خلتُ أن الريحَ ذاتُ قوائِمِ
لها في المدى سَبَقٌ إلى كلِّ غايةٍ كأنَّ لها فيه نفوذَ عزائمِ
وهمّةَ نفسٍ نَزَّهَتْها عن الوجى فيا عجباً حتى العلا في البهائمِ

رجع :

بقية ملح ابن الملح

له من قصيدة عتاب قال فيها :

لقد ظلمتني أمةٌ ما خَمَشَتْها بلحظ وقد عَمَّتْ حشايَ ندوبا
توهمتهمُ سلماً فسُولتُ ظاهراً وشبُّوا على ظهر المغيبِ حروبا
وثقتُ بهم في النائباتِ فأخلفوا وكانوا إلى جَنبِ الخطوبِ خطوبا
فكم صاحبٍ منهم يبيتُ بقلبه بعيداً ويغدو باللسانِ قريباً
إذا لاح خيراً ذادني عن حياضه كما ذادت الزَّجَرُ العرامسَ نيباً
وإنْ عنْ شراً قاذني نحو ضنكةٍ جنياً وأنَّى لي أقادُ جنياً

١ ترجمته في القسم الثالث : ٨٢١ والبيتان في الشريشي ٣ : ١٥٤ .

٢ انظر الشريشي أيضاً .

وآخر قد فاجأته الودَّ أولاً
سريتُ له من حُسْنِ ظنِّي بطالعٍ
وكنْتُ إذا بَلَّ الودادَ بلفظةٍ
جفاني ولكنتي أهبُّ بعشرني
وآخر لم أسأل به مَنْ ولا ابنُ مَنْ
نشرتُ له بُردَ الإخاءِ كأنما
وكنْتُ إذا رثْتُ من الودِّ بُردَةً
سقى كأسَ حِقْدٍ فوق لحقِ نيمَةٍ
فماذا يرى العبدان في ذنبِ أمةٍ
ومن ينكرُ الشكوى إلى الله منهم
سأغفرُ لا عجزاً ولكن سجيّةً

بديهة ساعٍ ماجدٍ وأديبا
أمنْتُ له حتى المماتِ غروباً
أدرْتُ عليه بالمحبةِ كوباً
شمالاً إذا هبَّ الصديقُ جنوباً
فلستُ لما بُرتابُ منه طلبوا
خضبتُ بها في العارضينِ مشياً
عليه صرفتُ الإهتبالَ قشياً
تشقُّ قلوباً لا تشقُّ جيوباً
رأتُ حسناني في الوفاءِ ذنوباً
وقد ملأوا الصدرَ الرحيبَ وجيباً
نمتني نجياً أو ورثتُ نجيباً

ومن شعره في الأوصاف

قال يصف سوار فضة مذهباً ، وأخبر عنه :

أنا من الفضة البيضاء خالصة
لكن ذهنتي خطوطٌ غيرتُ جسدي [١٩٢]
علّمتُ عضي بما أحوي فأحسدني
جرّيتُ الوشاحَ فهدي صفرةُ الحسد

وقال في شمانة فضة منبيلة^١ :

١ م : منبيلة ؛ أما المنبيلة فقد شرحت في القسم الثالث : ٤٣٢ (حاشية : ٢) ومعناها مرصع أو مزخرف .

أنا المدارةُ بين الكأسِ والطبقِ والمستعمارةُ للاكتافِ والحدَقِ
أكونُ للوردِ والخبري آونةً وتارةً لغصونِ الآسِ والحبقِ
لولا صيانةُ^١ جسمي عن مجاذبةِ لثارتِ الحربِ بين النورِ والورقِ
خفتُ الزمانَ على تغييرِ عهدتها ففي إهابي آثارٌ من الحرقِ
كأنني نقطةً في الصحو صافيةً قد غيّرتُ بعضَ لوني خضرةُ الورقِ^٢

وكان^٣ في بعض قصور المعتمد باشيلية في من جملة التصاوير صورة^٤
من خالص اللجين على صورة الفيل ، وهو الذي يقول فيه عبد الجليل :

ويُفْرِغُ فيه مثل النصلِ بدعٌ من الأفيالِ لا يشكو ملالا
رعى رطبَ اللجين فجاء صلداً وقاحاً قلماً يخشى هزالا

فجلس المعتمد يوماً على البحيرة والماءُ يسيل^٥ ، من فم ذلك الفيل ،
وقد أوقدت شمعتان من جانبيه ، ومعه ابنُ الملح ، فقال في ذلك عدة مقطوعات
منها قوله :

كأنما النارُ عند الشمعتين سنا والماءُ من نُفْدِ الأنبوبِ ينسكبُ^٦
غمامةً نحت جناحَ الليلِ هامةً في جانبيها جناحُ^٦ البرقِ يضطربُ

.....

١ ط م د س : صباية .

٢ الورق : موضعها بياض في ط م س .

٣ انظر نفع الطيب ٤ : ٢٦٣ وبدائع البدائنه . ٣٧٣ .

٤ النفع والبدائع : يجري .

٥ النفع والبدائع : منسكب .

٦ النفع والبدائع : خفاف .

وقال في ذلك :

ومِشْعَلَيْنِ من الأضواء قد قرنا بالماء والماءُ بالدولابِ متزوفُ
لاحا لعينيَّ كالنجمين بينهما خَطُّ المجرَّةِ ممدودٌ ومعطوفُ

وقال فيه :

وأنبوبِ ماءٍ بينَ نارين ضُمَّنا هوى لكَؤوسِ الراحِ تحت الفياهِبِ
كَأَنَّ اندفاعَ الماءِ بالماءِ حَيَّةٌ يحركُها بالليلِ^١ لمعُ الحبابِ

وقال فيه :

كَأَن سراجيَّ شربهم في النظاهما وأنبوبَ ماءٍ الحوضِ^٢ في سيلانِهِ
كَرِيمٌ تولى كِبَرَهُ من كليهما لثيمانِ في إنفاقهِ يعذلانهُ
إذا هزَّهُ للجود بُردُ سماحةٍ أصراً على تربيهِ يحرقانهُ

في ذكر الأديب أبي محمد عبد الحليل بن وهبون المرسى^٣

شمس الزمان وبدره، وسرُّ الإحسانِ وجهه، ومستودعُ البيان ومستقرُّه،

.....

١ النفع والبدائع: في الماء .

٢ النفع والبدائع: القيل .

٣ ترجمته في بغية الملتبس رقم : ١١٠١ والمطرب : ١١٨ والقلائد : ٢٤٢ والخريدة ٢ :

٩٥ والمعجب : ١٥٩ والنفع ١ : ٦٥٧ (نقلا عن القلائد) ومواطن أخرى متفرقة .

والمسالك ١١ : ٢١٩ والسلفي : ١٩ ومواطن مختلفة في بدائع البدائع، ورايات المبرزين

٧٧ (غ) .

آخرُ مَنْ أفرغ في وقتنا فنونَ المقال^١ ، في قوالبِ السحرِ الحلال ، وقيدَ شواردِ الألباب ، بأرقٍّ من مُلحِ العتاب ، وأزوق من غفلاتِ الشباب ، وكورةُ تدميرِ أفقه الذي منه طلع ، وعارضُهُ الذي فيه لمع ، ولما ذكرته في هذا القسمِ الغربي مع أهلِ إشبيلية لأنها بيتُ شرفه المشهور ، ومسقط عيشِهِ المشكور . طرأ عليها منتحلاً للطلّاب ، وقد شدا طرفاً من الأدب ، وكان الاستاذ أبو الحجاج الأعلام^٢ يومئذٍ زعيمَ البلد ، وأستاذَ وَلَدِ المعتمد ، معوّل عليه من رحلته . وانقطع إليه بتفصيله وجملة ، وكانت له في أثناءِ ذلك همّةٌ ترامي به إلى العلا ، ترامي السَّيْلَ من أعالي الزُّبى ، وكان بين الاستاذين أبي الحجاج وأبي مروان بن سراج^٣ ما يكون بين فحلين في هَجْمَةٍ . وزعيمين [٩٢ ب] من أُمَّة ، فاتفق أن كتب ابنُ سراج إلى المعتمد بشعرٍ بائني من شطير الوافر يمدحه فيه ، وكأنه — زعموا — عرّضَ بقرنيه ومُباريه . وأعلّمَ بذلك الأعلام ، فصمت عن جوابه وأحجم ، وولّاها عبدَ الحليل فأطلّعه في أفقها قمرأ . ونبه منه لحربها عمرأ ، فقال قصيدته البائية التي أوّلها :

١ م د س . المال .

٢ أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالأعلام الشتمري (٤١٠ - ٤٧٦) كان عالماً بالعربية واللغة ومعاني الأشعار ، وكف بصره آخر عمره (انظر ابن خلكان ٧ : ٨١ والصلة ٦٤٣٠ ومجمع الأدباء ٣٠ : ٦٠ ونكت الحميان : ٣١٣) .

٣ أبو مروان ابن سراج : له ترجمة في القسم الأول من الذخيرة : ٨٠٨ وفيه فصل من أشعار رثي بها . وانظر صورة من هذه الحصومة بينه وبين الأعلام حول الرسالة الرشيدية في إحكام صناعة الكلام : ٦٨ .

٤ فيه إشارة إلى قول بشار (ديوانه : ٢١٧ جمع العلوي) :

إذا أيقتلك حروب العدا فيه لها عمرأ ثم ثم

• هوى بين النجوم له قباب •

ومع أنها ليست لاحقةً بعيون شعره ، لما سمعها ابنُ عمارٍ خادمُ الدولة يومئذٍ طار بذكره ، وأجنأهُ ثمارها ، وباهى به أقمارها ، وخلع عليه أصائلها وأسحارها ، ووافق من المعتمد ناقدًا بصيرًا ، وعاشقًا قديرًا ، فأغلى بتلك الأعلاق ، وأقام له الدنيا على ساق ، وقصر عبد الجليل على هواه ، فلم يرحلْ إلى ملكٍ سواه .

وكانت له كلَّ عامٍ رحلة ، يتعهد فيها بلده وأهله ، فحدثني غيرُ واحد أنه اجتاز بالمرية ، في بعض رحلته الشريفة ، وملكها يومئذٍ قبله الأمال ، وقطب رحي الآمال ، ومرمى جمار المدائح ، أبو يحيى ابن صمادح ، فاهترَّ لعبد الجليل واستدعاه ، وعرض له بجملة وافرة من عرضِ دنياه ، فلم يعرجْ على صفده ، وبادر العيد — وكان قريباً — بالارتحال عن بلده ، وقال في ارتجال ١ :

دنا العيدُ لو تدنو لنا كعبةُ المي وركنُ المعالي من ذؤابة يعربِ
فيا أسفا ٢ للشعر تُرْمَى جماره ويا بُعد ما بيني وبين المحصبِ

ولما ابتدأت الفتنة بالمعتمد ، بادر الخروج عن البلد ، فلم يغنِ عنه نفاره وأدركه مقداره ، على قربٍ من مُرسية ، لقي قطعةً من خيل النصارى فتورط فيهم ، وقضى الله له بالشهادة على أيديهم .

١ القلائد : ٢٤٤ والمطرب : ١٢١ والخريدة ٢ : ١٠٢ .

٢ الخريدة : فيا ويلتا .

وذكرت بمقتل عبد الجليل - رحمه الله - ومقره أعجوبة من الزمان ،
وحديثاً ظريفاً من الحدثان : كان بحضرة إشبيلية أيام ماجت بها على المعتمد
الفتنة^١ ، ودارت عليه^٢ رحي المحنة ، أبو القاسم ابن مرزقان^٣ ، من شعراء
الدولة ، ونبهاء أهل الحضرة ، ميمّن^٤ مثلاً إليها بقديم جوار ، لا يبارع
أشعار ، وأدلّ عليها باسم مرزقانيه^٥ ، لا بفضل بيانه ، وكان في بني عبّاد
عُجْبٌ بكثرة عددهم ، وعصبية لأهل بلدهم ، وكان أبو القاسم هذا حلّو
الحوار ، نادر الأخبار ، وكان به على ذلك توهّم^٦ يُخْرِجُهُ إلى جبن الفرار
السُّلَمي^٣ ، وغفلة تشهد عليه بلوثة أبي حية النمري^٧ ، وكان هو وعبد
الجليل من بين سائر أهل القريضة ، في طرفي نقيض ، هذا يتعصّب لسلطانه
بهواه ، وعبد الجليل يقفو الصواب^٨ بزعمه ويتحرّاه ، فكانا ربّما اجتماعاً
فيكون بينهما بونٌ بعيد ، وشقاقٌ شديد : فأما عبد الجليل فقد ذكرتُ
الخبر عمّا فَعَلَ ، وشرحتُ كيف قُتِلَ ، وأما أبو القاسم هذا فإنه غرّة
القتال فأقدم عليه ، وهبّت له القتلُ فبرز إليه ، على حالٍ لو تحيّل بها
المجدُّ بلحده ، وفي يومٍ لو رآه دون الماء لما وردّه ، فأدركه سرعانُ الرجالِ

١ م : عليهم .

٢ ترد ترجمته في ما يلي من هذا القسم ص : ٥٢٠ .

٣ هو حيان بن الحكم السلمي (انظر حماسة البحتري : ٦٥ وحماسة الخالديين ١ : ١٤٢
والميون ١ : ١٦٤ والحيوان ٤ : ١٨٥) .

٤ اسمه الهيثم بن الربيع (ترجمته في الشعر والشعراء : ٦٥٨ والأغاني ١٦ : ٢٣٦ وطبقات
ابن المعتز : ١٤٣ والخزانة ٤ : ٢٨٣ والسطح : ٢٤٤ وقد جمع شعره رحيم صفي
التولي - مجلة المورد (١٩٧٥) المجلد الرابع - العدد الأول : ١٣١ - ١٥٢) .

٥ م : على الصواب (اقرأ : يقف على الصواب) .

فهبروه بالسبوف ، وحرّعه^١ أكثره ما كان له من الخنوف ، فصار حديثهما عجباً من الخبر عجباً ، ومثلاً في تصرفِ القدر مضروباً ، كلاهما أنهب نفسه^٢ الأقتال . وذاق منيته^٣ على يدي من خال .

ولابن مرزقان هذا أخبار طريفة ، ونوادر في الشعر معروفة . ونأخذ فيما بعد بطرف مستطرف منها . ان شاء الله .

وقد أثبت هنا من شعر عبد الجليل في مدحِه العائقة ، وأوصاه الرائقة ، ما يشهد أنه سابقُ الحَلَبَةِ . وصدُرُ الرتبة . وضاق ذرعُ هذا المجموع ، عن تضمين ما له من البديع . فجمعت شعره على حروف المعجم في تصنيف ترجمته بـ « كتاب الاكليل المشتمل على شعر^٢ عبد الجليل » وكذلك فعلتُ في سائر أعيان الوزراء الكتاب . لم يتسع لاستيفاء محاسنهم هذا الكتاب . فجمعت في تأليفِ ترجمته^٢ بـ « سلك الجواهر [٩٣] » من نوادر تروسل ابن طاهر^٣ وفي تصنيف رابع^٣ وسمّته^٣ بـ « كتاب الاعتماد على ما صحَّ من أشعار المعتمد بن عباد » وفي كتاب خامس ترجمته بـ « نخبة الاختيار من أشعار ذي الوزارتين أبي بكر بن عمار » . ولبعض الناس إلى كلام بعض صغرى ، وذلك الكلام عند آخرين — على جودتِه — لغو ، وإنما كان ذلك لتباين النحائر ، واختلاف الفرائز . فاستوفيتُ في هذه التواليف لكل^٣ فرقة مرادها ، وخلصت لها موادّها ، إن شاء الله .

... ..

١ م : وجروه .

٢ على حروف . شعر . سقط من م .

٣ كذا . وهو ثالث بحسب ما عده في هذه العقرة ، إلا أن يكون قد عده الذخيرة صنفاً

ما أخرجته من شمر عبد الجليل في شتى الفنون
من ذلك ما له في الرثاء والتأين

من ذلك قصيدته^١ في الأستاذ أبي الحجاج يوسف بن عيسى المعروف
بالأعلم ، أولها :

سَبَقَ الفناءُ فما يدومُ بقاءُ تنفى النجومُ وتسقطُ البيضاءُ

يقول فيها^٢ :

نفسى وحسبى إنْ وصفتها معاً	آلٌ يذوبُ وصخرةٌ مخلقاء ^٣
لو تعلمُ الأَجبالُ كيف مآلها	علمي لما امتسكتُ لها أرجاء
إنا لنعلمُ ما يراد بنا فلمْ	تعيأ القلوبُ وتُغلبُ الأهواء
طيفُ المنايا في أساليبِ المني	وعلى طريقِ الصِّحةِ الأدواء
بتعاقبِ الأضدادِ مما قد ترى	جُلِبَتْ عليك الحكمةُ الشنعاء
ماذا على ابنِ الموتِ من إبطاره	ولقائِهِ هل عَقَّتِ الأبناءُ ^٤
أيفرُّني أن يستطيلَ بيَ المدى	وأبي ببحثٍ تواصتِ الغبراء

.....

١ م : قصيدة .

٢ يقول فيها : سقط من م

٣ خلقاء : مصتة ملاء .

٤ م : لما أمت

٥ د : عفت الأبناء

لم ينكرُ الإنسانُ ما هو ثابتٌ في طبَّعِهِ لو صحَّتِ الآراءُ
ونظيرُ موتِ المرءِ بعدَ حياته أن تستوي مِن جنسه الأعضاء
دَنِيفٌ يبيكُني للصحيحِ وإنما أمواتنا لو تشعُرُ الأحياءُ
وسواءٌ أن تجلِيَ اللحاظُ من القذى أو تنتفضَ من شَخَصِها الحوَّاءُ
ما النفسُ إلا شعلةٌ سقطتْ إلى حيثُ استقلَّ بها الثرى والماءُ
حتى إذا خلصتْ تعودُ كما بدت ومن الخلاصِ مشقةٌ وعناءُ

قال ابن بسّام : لعلَّ عبد الجليل اكتسب في هذا البيت والذي قبله من العمل^١ بحقيقة النفس ما جهله في وصفه لها قبل أنها «آلٌ يذوب» وما أعجب أيضاً قوله عن جسمه بأنَّه صخرةٌ خلقاء ، اللهم إلاَّ إن كان عني بذلك رأسه لأنه كان يلقَّبُ بالدِّمغة^٢ . وذهب هنا من صفة النفس إلى مذهب كلامي^٣ ، كقول بعض أهل بلدنا ، وهو أبو عامر ابن سوار^٤ الشنبريني ، من جملة أبيات :

يا لتعومي دفنوني ومَضَوْا وَبَتَّوْا في الطينِ فوقِ ما بَنَوْا
ليت شعري إذ رأوني ميتاً وبكوني أيَّ جزأيَّ بكوا
أَتَعَوَّأَ جسمي فقد صار إلى مركزِ التعفينِ أم نفسي تَعَوَّأَ
كَيْفَ يَنْعَوْنَ نفوساً لم تزلْ قوائمٌ بحضيضٍ ويجوَّ
ما أراهم ندبوا فيَّ سوى فُرْقَةٍ التَّأليفِ إنْ كانوا^٥ دروا

١ كذا في النسخ ، وأظن صوابه : « العلم » .

٢ لعل لهذا اللقب صلة بقولهم : « الدائمة » وهي الشعة التي تبلغ الدماغ ، وإن كنت أرجح أن اللقب يشير إلى ضخامة رأس عبد الجليل وأنه لذلك نبز عامي .

٣ ط د : نوار .

٤ د : التعيين .

٥ ط م س : كان .

وهذا معنى فلسفيّ ، قلّما عرّج عليه عربيّ ، وإنما فرع إليه المحدثون من الشعراء ، حين [٩٣ ب] ضاق عنهم منهج الصواب ، واعدوا رونقَ كلام الأعراب ، فاستراحوا إلى هذا الهديان استراح الجبان إلى تنقّص أقرانه ، واستجادة سيفه وسانه ؛ وقد قال بعضُ أهل النقد إنه عيب في الشعر والنثر أن يأتي الشاعر أو الكاتب بكلمة من كلام الأطباء ، أو بألفاظ الفلاسفة القدماء ؛ وإنّي لأعجب من أبي الطيب ، على سعة نفسه ، وذكاء قَبَسِهِ ، فإنه أطال قرعَ هذا الباب ، والتمرّسَ بهذه الأسباب ، وكذلك المعريّ : كثرَ به انتزاعه ، وطال إليه إيضاعه ، حتى قال فيه أعداؤه وأشياعه ، وحسبك من شري سماعه ، وإلى الله مآله ، وعليه سؤاله .

وإنما سلك عبد الجليل في هذا المعنى سبيل القائل حيث يقول :

يا سالكاً موثلاً^١ يكلّمنا عرّجُ أخْبَرَكْ خالصَ الفائدة
جِسْمُكَ وَالنَفْسُ خُلْتَا عَرْضِي كُلُّ خَلٍّ نَحْلُهُ قَائِدُ^٢
وَالنَفْسُ تُلْقَى الْخُلُودَ إِنْ خَلَصَتْ وَالْجِسْمُ لَا بَاقِيًا وَلَا خَالِدُ

وقال المتنبي^٣ :

تخالَفَ النَّاسُ حَتَّى لَا اتَّفَاقَ لَهُمْ إِلَّا عَلَى شَجَبٍ وَالْخُلْفُ فِي الشَّجَبِ
فَقِيلَ تَخْلُصُ نَفْسُ الْمَرَمِ سَالِمَةً وَقِيلَ تَشْرِكُ جِسْمَ الْمَرَمِ فِي الْعَطَبِ

وقال :

..

١ ط م : منزلاً (دون اصحاح) .

٢ ط د م س . فائد .

٣ هذه القطع في ديوان المتنبي : ٤٢٦ ، ٢٢٦ ، ٤٧٨ ، ٥٧٣ - ٥٧٤ .

إلفُ هذا الهواءِ أوقع في الأذُنِ مُسِرٌّ أنَّ الحِمامَ مرُّ المذاقِ
والأسمى قبلَ فُرقةِ الروحِ عجزٌ والأسمى لا يكونُ بعدَ الفراقِ

وقال :

تمتّع من سهادٍ أو رقادٍ ولا تأملُ كَرى تحتَ الرجامِ
فإن لثالثِ الحالينَ معنىً سوى معنى انتباهِك والمنامِ

وقال :

تبخلُ أيدينا بأرواحنا على زمانٍ هنَّ من كَسْبِهِ
فهذه الأرواحُ من جَوِّهِ وهذه الأجسامُ من تربيهِ
يموتُ راعي الضأن في جهله ميتةَ جالينوسَ في طبِّهِ
وربما زاد على عُمره وزادَ في الأمنِ على سُرْبِهِ

ولنأخذ منقول أبو الطيب هذا المعنى من قول أبي غسان المتطبيب^١ :

حُكْمُ كَأْسِ المُنونِ أن يتساوى في حماها الغيُّ والألميُّ
ويحلُّ البليدُ تحت ثرى الأر ضٍ كما حلَّ نَحْمَتُ اللوذعيِّ
أصبحت رمةً تزايلُ^٢ عنها فضلها الجوهريُّ والعرضيُّ

١ لعل الصواب ابن غسان ؛ وقد سماه الثعالبي (اليتيمة ٣ : ٤٢٨) أبا الحسن ابن غسان البصري الشاعر الطيب ، وذكر أنه ورد الأهواز مع الشعراء ومدح عاملها ، وذكره التوحيدي باسم «ابن غسان» في الامتاع ٢ : ١٦٩ وحكى أنه غرق نفسه لأسباب تجمعت عليه من فقر وجرب وعشق ؛ وترجم له القفطي (تاريخ الحكماء : ٤٠٢) وذكر أنه كان يخدم بهناته ملوك بني يوييه .

٢ م ط : أصحا . . . يزایل .

وتلاشى كيانُها الحيواني^١ وأودى^٢ تفويضها المنطقي

وهذا كلامٌ من الإلحاد ، على غاية الاضمحلال والفساد ، فليس تساوي الناس في الموت والفناء ، حجةً في عدم البقاء ، والمراتب في دار الجزاء .

ومن شعر أبي العلاء ، في هذه الأثناء ، التي ولع بها أيضاً وشغف ، وصرف كلامه فيها فتصرف ، قوله^٣ :

والنفسُ أرضيةٌ في قول^٤ طائفةٍ وعند قومٍ ترقى في السمواتِ
وكونُها في طريحِ الجسمِ أحوجُّها إلى ملابسٍ عنَّتها وأقوات

وقال^٥ :

وأوصالُ جسمٍ للترابِ مآلُها ولم يدرِ دارِ أين تذهبُ روحُها

وقال^٦ :

والروحُ تنأى ولا يدرى بموضعها وفي الترابِ لعمرى يرفت الجسدُ

[وقال^٦ :

١ ط م د س : وأردى .

٢ الزوميات : ٥٥ ب (نسخة ليدن رقم : ٩٠٦) ١٤ : ١٤٨ - ١٤٩ (ط . هندية) .

٣ الزوميات : والروح . . . في رأي .

٤ الزوميات : ٦٦ ب ، ١٤ : ١٧٨ .

٥ الزوميات : ٨٧ أ ، ١٤ : ١٩٧ .

٦ الزوميات : ٩٠ أ ، ١٤ : ٢٠٠ .

والعيشُ كالماء يغشاه حوائنا فصاحرون وقومٌ إثرهم وردوا [١٩٤]
ومدٌ وقِيَ مثلُ القَصْرِ غايته وفي الهلاكِ تساوى الدّر والبرد

وقال ١ :

أما الصحابُ فقد مرّوا وما عادوا وبيننا في لقاءِ الموتِ ميعادُ
سيرانٌ ٢ ضدّ أن من روح ومن جسد هذا هبوطٌ وهذا فيه إصعاد

وقال ٣ :

وفكري سلٌ حبّ المال مني ووجدي بالحياة أطالَ شعفي
ستضريني الحوادثُ في نظيري فتمحقني ولا يزدادُ شعفي

رجعت إلى ما قطعت من قصيدة عبد الجليل .

وفيها يقول :

كذبتُ حياةَ المرءِ عند وجودها وجِدَ الحمامُ ومنه كان الداءُ
لله أيُّ غنيمةٍ غَنِمَ الردى ومن الفجائعِ غارةٌ شعواء
من كان غرّةً جنسه حتى احمى فإذا البريةُ كلُّها دهماء
جبلٌ تقوّضَ لو تشخّصَ عظمه لتواصتِ الغبراءُ والخضراء
ومَنِيضُ ما قد غاضَ منه شاهدٌ أن لا يدومَ بحاله الدأماء

... ..

١ الزوميات : ٩١ أ ، ١٠٤ : ٢٠٣ - ٢٠٤ .

٢ ط م د س : شيطان .

٣ الزوميات : ١٨٩ ب ، ٢٠٤ : ٩٧ .

٤ الروميات : ولا أزداد .

أكبرتُ نَعْيَ جلالِهِ فنفيتُهُ
مات ابنُ عيسى مَنْ يقولُ به عسى
وهو الجليّةُ ما عليه خفاء
شفقاً وليس مع الحمام رجاء

ومنها :

أفلا حَمَتُهُ فضائلُ "موفورة"
وأذمةٌ في سرِّ نَحْمٍ طالما
شهرُوا سلاحَ الدَّمعِ خَلَفَ سريره
رُحْنَا به بل بالسيادةِ والعلا
نطأ القلوبَ على سواءِ سبيله
أخذَ الأسى فيه البرودَ بشاره^١
حتى إذا بلغوا به ملحودَهُ
ضرب الهدى في لحدِهِ يمينه
وأظله التزليلُ يتلو نفسه
مستصحباً أعماله متأنساً
ولربما استخلصت منا أنفساً
وهناك لو كُشِفَ الغطاءُ لناظري
في الحبِّ إذ يحوي سميكَ أسوةً
يا تُرَبَّةُ استبقي سناه ، ويا فلا
اللهَ فيّ وفي جوانحِ رطبةِ
أبنيه نحن وأنتمُ شرعُ به

وجلالةٌ تعنو لها العظماء
خَدَمَت رعايةَ حقِّها الأمراء
إذ لم يكن للباثرات غناء
والشمسُ نجمٌ والنهارُ مساء
فالسيرُ مهلٌ والعتارُ ولاء
مما جناهُ الزَّهْوُ والخيلاء
قمنا به لو أنَّهُ الجوزاء
فتناولتُهُ عَرَصَةً فيحاء
بتلاوةٍ لم يؤتها القراء
بزواهير هي والنجومُ سواء
ملأتْ ضريحَكَ والصدورُ جلاء
حول القلبِ حديقةً غناء
لو حُمِّ منك وقد حُجِبَتْ لقاء
لا تَلَحَّحْنِكَ^٢ جريمةً شنعاء
لم تخلُ من شفقاتها الأعداء
وعلى المصابِ بفقدِهِ شركاء

١ بشاره : سقطت من م س .

٢ ط م س : مناه (دون اصحاج في ط وفوقها كذا) ويا فل ؛ د : لا تخلقك .

هزوا قوادمكم إلى عليائه
أماً وقد شبهتُ مائلَ رَسمِهِ
واعجبُ لذلك الخطَّ في صفحِ الثرى
أننى وسعتُ وأنت مضجعُ واحدٍ
يا زائريه تكحلوا بصعيدِهِ
فغرتَ له فاها الجدالة^٢ فانطوى
قسمَ الأنامُ تراثَ علمك فاستوى
كنّا عبيدَكَ في اعتقادِ نفوسنا
يا مُلبّسَ النعَمى يجرُ ذيوها
وبكتُ عليك الشمسُ حتى بكائها
خذُها علالةَ خاطِرٍ دلّهتهُ
قامتُ تناوحُ فيك كلَّ قصيدة

قد رَشَّحتُ أبناءها الفخاء [٩٤ ب]
سطرا فمَّ الحكمة الغراء
أن حاز علماً ما له إحصاء
من هذه الآفاقُ مِنْهُ ملاء
كُحلُّ البصائرِ تلکمُ البوغاء^١
في طيها الإسهابُ والإيماء
في نيلهِ البُعْداءُ والقرباء
إذ في اعتقادك أننا أبناء
لبستُ ثراكَ غمامةً وطفاء
أن كان قد تتفاقد النظراء^٣
من حيثُ ينشطُ جاءهُ الإعياء
ثَقَّفْتُها وقناتها زوراءُ

أنشدتها على توالي الانتخاب ، حسبما صنعتته في أكثر أشعار هذا الكتاب .

قوله : « أيغرنى أن يستطيلَ بى المدى » . . . البيت ، يلمح من بعض
الوجوه ، وإن لم يشبهه كل التشبيه ، قولَ أبى العلاء :

وقبيحُ بنا وإن قدّمَ المَهْدُ هوانُ الآباء والأجدادِ

١ البوغاء : التراب عامة ، أو التراب الهاني في الهواء .

٢ الجدالة . الأرض .

٣ د : القرناء .

٤ شروح السقط . ٩٧٥ .

وأبو العلاء إنما ذهب إلى قول أبي الطيب^١ :

يدفنُ بعضنا بعضاً ويمشي أوأخِرُنَا على هامِ الأولي

وقوله : « وسواء أن تجل اللحاظ » . . . البيت ، كقول التهامي^٢ :

واستلَّ من أترابهِ ولِدَاتِهِ كالمقلَّةِ استلَّتْ من الأشفارِ

إلاَّ أنَّ عبد الجليل قد نفخ فيه روحاً ، وسلك به مسلكاً مليحاً ، وولَّد له إحساناً صريحاً .

وأما قوله : « أكبرتُ نَعْيَ جلاله » . . . البيت ، فقلَّ أحدٌ من الشعراء ال بيتاً في الرثاء ، إلا ولهذا المعنى أشار ، وحواله دار ، لأنَّه من متداولات المعاني ، قال صريح الغواني^٣ :

تأملُ أيها الناعي المشيد أحقَّ أنه أودى يزيدُ
أتدري^٤ من نعتٍ وكيفَ فاهتَ به شفتاك كان بها الصعيد

وقال أبو الطيب^٥ :

طوى الجزيرةَ حتى جاعني خبرُ فرعتُ فيه بآمالي إلى الكذبِ

١ ديوان المتنبي : ٢٥٧ .

٢ ديوان التهامي : ٥٣ .

٣ ديوان مسلم بن الوليد : ١٤٧ ورجع ابن خلكان ٦ : ٢٣٨ أن الشعر لعبد الله بن أيوب النيمي .

٤ الديوان : تأمل .

٥ ديوان المتنبي : ٤٢٣ .

وقال أبو إسحاق بن معلّى من أهل عصرنا^١ :

وتلجّجَ الناعي به فسألتُهُ عن ذا الحديث لعلهُ يرقابُ

وقال أبو الحسن ابن الجلد^٢ :

تصاممتُ عنها مستريحاً إلى المني وقلتُ عصاها في الأحاديثِ بهتانُ

وقال أيضاً بعض أهل عصرنا^٣ :

ونبّهني ناعٍ مع الصبح كلّما تشاغلّت عنه عنّي وعناني [١٩٥]
أغمّضَ أجناني كأنّي نائمٌ وقد بلّغتِ الأحشاءُ في الخلفقان

ولبعضهم أيضاً في قريب منه وإن لم يكن به :

أبجي وما أدعوك إلاّ تعلّةً^٤ نغالط فيك بالنفس حيناً من الدهرِ
وإنّا لندرى أنّه لا يخبينا ولكنّ نخلينا الجواب فما ندرى

وقوله : « شهرُوا سلاحَ الدمع » . . . البيت ، كقول أبي الطيب^٥ :

• يبيكي^٦ ومن شرّ السلاحِ الأدمعُ •

١ ترجمته في القسم الثالث : ٨٤٠ وانظر البيت : ٨٤٤ .

٢ سيرد البيت في هذا القسم . وانظر الثالث : ٨٤٩ .

٣ هو الأعمى التليلي ، انظر ديوانه : ٢٢٨ وستأتي ترجمته في هذا القسم : ٧٢٨

٤ ط م : لعلّة .

٥ ديوان المتنبي . ٥٠٨ وصدّره : بأبي الوحيد وجيشه متكاثّر .

٦ ط د م س : أبكي .

وقوله ^١ : « والشمس نجم » . . . البيت ، معنى " أحسن فيه وإن لم يكن " اخترع ، فقد أحسن وأبدع حيث اتبع .

وقوله : « نطأ القلوب » . . . البيت ، من قول التهامي ^٢ :

كَأَنَّ وَخَدَّ مَطَايَاهُمْ إِذَا وَخَدَّتْ يَطْأَنَّ فِي حُرٍّ وَجْهِي أَوْ عَلَى بَصْرِي

وقوله : « أخذ الأسى فيه البرود » . . . البيت ، نبّهه عليه ابن الرومي بقوله ^٣ :

أَخَذْتُ مِنْ رُؤُوسِ قَوْمٍ كَرَامٍ ثَارَهَا عِنْدَ أَرْجُلِ الْأَعْلَاجِ

وقوله : « يا تربة استبقي » . . . البيت ، من قول المعري ^٤ :

فِيَا قَبْرُ وَاهِ مِنْ تَرَابِكَ لَيْسَ عَلَيْهِ وَآهِ * مِنْ جَنَادِلِكَ الْخُشْنِ لِأَطْبِيقَتْ لِطَبَاقِ الْمَحَارَةِ فَاحْتَفَظَتْ بِلَوْلُؤَةِ الْمَجْدِ الْحَقِيقَةِ بِالْحَزَنِ

وقوله : « أننى وسعت وأنت مضجعٌ واحد » . . . البيت ، كقول أشجع السلمي ^٥ :

١ وقوله : سقطت من ط م .

٢ لم يرد في ديوانه .

٣ مر قبلا ص : ٣٧٩ مع تحريجه .

٤ شروح السقط : ٩٣٨ - ٩٣٩ .

٥ ط دم : واهأ . . . واهأ .

٦ أمالي القالي ٢ : ١١٥ والحماسية رقم : ٢٨٠ (شرح المرزوقي) وزهر الآداب : ٧٩٤

والسقط : ٧٤٥ ووفيات الأعيان ٤ : ٨٩ .

فأصبح في الحذر من الأرض ميتاً وكان به حياً^١ تضيق الصحاح
وأجمع أئمة الأدباء^٢ ، أنه لا فرق بين المدح والثناء ، إلا أن يقال :
أودى وعُدِمَ به كيت وكيت وشبهه ، مما يُعْلِمُ أن المدوح ميت ،
هذا إذا كان المؤبّن ملكاً أو ذا صيت وقدر ، كقول النابغة في حصن بن
حذيفة بن بدر^٣ :

يقولون حصن ثم تأبى نفوسهم فكيف بحصن والجلال جُنوح
وألفاظ النساء ، أشجى في باب الرثاء ، من كثير من الشعراء ، لما
ركب في طباعهن من الخور والهلح ، وألفاظ الناس مبنية على كثرة التفجع
كما قال حبيب^٤ :

لولا التفجع لادّعى متّضب الحمى وصفاً المشقرّ أنه محزون
ولذلك عرّوا المراثي من ألفاظ النسب ، وجرت بذلك سنة البعدي
والقريب ، على قديم الزمان ، إلا ابن مقبل فإنه قال في رثائه لعثمان بن عفان
رضي الله عنه^٥ :

١ الأما لي : وكانت له حياً .

٢ متابع للمدة ٢ : ١٤٧ .

٣ ديوان النابغة : ٢١٣ والمدة ٤ ط د : حصن بن بدر ٤ م : حصن والفاظه بدر .

٤ قارن بالمدة ٢ : ١٥٣ .

٥ ديوان أبي تمام ٣ : ٣٢٤ والمدة .

٦ ط د م : حسب .

٧ ديوان تميم بن أبي بن مقبل : ١١ ومطلع القصيدة .

عفا بطحان من قریش فیثرب فملقى الرجال من منى فالمحب
وهذا الذي أورده ابن بسام هو ما جاء به ابن رشيق في المدة ٢ : ٢٥٢ .

ولم تنسني قتلى قريش ظعائناً تحملن حتى كادت الشمس تغرب
ودريد في تأبين أخيه ، تغزل أيضاً فيه ^١ ، والشاذ لا يلتفت إليه ، ولا
يُعَوَّل عليه .

ومن أشد ^٢ الرثاء صعوبة على الشعراء ، تأبين الأطفال والنساء ، ألا
تري أبا الطيب — وهو الذي قال ، فأصاحت الأيام والليال ، قد عابوا قوله
في رثائه أم سيف الدولة :

سلامُ الله خالقنا حنوط على الوجه المكفن بالجمالِ

وقالوا : ما له ولهذه العجوز يصف جمالها ؟؟ وتعصبَ له بعضهم وقال :
إنها استعارة ، فقيل : إنها استعارة حداد في عرس ^٣ ، وكذلك قوله في أخته :

ولا ذكرتُ جميلاً من فعائلها ^٤ إلا بكيتُ ولا ودُّ بلا سبب [٩٥ب]

ولولا الإطالة ، وأنها تُفضي إلى الملالة ، لزدنا ، فلنرجع إلى ما وعدنا

١ مطلع قصيدة دريد في رثاء أخيه :

أرت حديد الحب من أم معبد عاقبة وأحلفت كل موعد

٢ السبعة ٢ : ١٥٤

٣ هو قول صاحب بن عباد في رسالته : ٢٢٣ .

٤ الديوان . صانمها .

ومن شعر عبد الجليل في المدح ، وهو فيه فائز القدح

قال من قصيدة في المعتمد بالله ، أولها ^١ :

بني وبين الليالي همّة جَلَلُ	لو نالها البدرُ لاستخدى له زُحَلُ
سرابُ كلِّ يَبَابٍ عندها شَتَبُ	وَهَوَلُ ^٢ كلِّ ظلامٍ عندها كحل
من أين أبْخَسُ لا في ساعدي قصر	عن المساعي ولا في مقولي خَطَلُ
ذنبِي إلى الدهر إن أبدى تَعَثُّهُ ^٣	ذنبُ الحسام إذا ما أحجمَ البطل
يا طالبَ الوفْرِ إني قمت أطلبها	علياءَ تَغَيُّ بها الأسماعُ والمقل
لا كان للعيش فضل لا يجود به	يكفي المهندَ من أسلابه الخلل
لكن بخلتُ بأنفاسٍ مهذَّبةٍ	تروي العقول وهنُ الجمرُ والشعل
إذا مدحتُ فقي لحمٍ وسيدها	عن الأنامِ وعمّا زخرفوا شُغلُ
وإن وصفتُ فكالיום الذي عرفت	بكَ الفرنجة فيه كُنْهَ ما جهلوا
وقد دلفتُ إليهم تحتَ خافقةٍ	قلبُ الضلالة منها خائف وجل
فراعهم منكَ وَضاحُ الجبينِ وعن	نشر الحسام يكونُ الرعب والوهل
وحينَ أسمعتَ ما أسمعتَ من كلمٍ	تمثَّلَتْ لهمُ الأعرابُ والرَّعلُ ^٤
وكلما نفحت ريحُ الهدى خَمَدَتْ	ذِماؤهم ^٥ وسيوفَ الهند تشتعلُ

١ بعض أبياتها في القلائد والحريدة والبنية والمسالك والرايات .

٢ الرايات : ودحن .

٣ الرايات : والحريدة فلتكره سجيته .

٤ م ط د : والوهل .

٥ م ط س : ذماؤهم .

جيش فوارسه^١ بيض كأنصله ونخيله كالقنا عسالة^٢ ذُبل
يمشي على الأرض منهم كل ذي مرج^٣ كأنما التيه في أعطافه كسل

ومنها :

أشباه^٤ ما اعتقلوه من ذوابلهم فالحربُ جاهلة^٥ مَنْ منهم^٦ الأسَلُ
لولا اعتراضك^٧ سدّ آ بين أعينهم^٨ لكان يَغرقُ فيها السهل والجبل
أنسيها النظرَ الشَّرَّ الذي عهدتُ فكلُّ عينٍ بها من دَهْشَةٍ قَبْلُ
ترسلوا آلَ عبادٍ فريّتما لم يُدركِ الوصفُ ما تأتون والمثل
إذا أسرتم^٩ فما في أسركم قنطُ وإن عفوتم فما في عفوكم خللُ
يقبلُ الغلَّ مرتاحاً أسيركم فهو البشيرُ له أن تُسحبَ الحللُ

قوله : « ذنب الحسام إذا ما أحجم البطل » ، أشار إلى قول حبيب^{١٠} :

وقد يكهم^{١١} السيفُ المسمى منيةً وقد يرجعُ المرءُ المظفرُ خائباً
فأفة^{١٢} ذا أن لا يصادفَ مضرباً وآفة^{١٣} ذا أن لا يصادفَ ضارباً

وأخذه البحري فقال^{١٤} :

وعذرتُ سفي في نبوّ غيَراره إني ضَرَبْتُ فلم أقعْ بالمضربِ
ونعم ما نقله بعضُ أهل عصرنا ، وهو أبو الفضل ابن شرف ، وزاد

.....

١ جيش فوارسه : موضعها بياض في ط س .

٢ ديوان أبي تمام ١ : ١٤٨ .

٣ ديوان البحري : ٢٨٣ .

فيه حسن النقل وبراعة التشبيه فقال^١ :

تقلدني الليالي وهي مدبرة^٢ كأنني صارم^٣ في كفّ منهزمٍ

وقال ابن عبد الصمد السرقسطي^٤ : [١٩٦]

ذلّ في ذا الزمانِ نظمي ونثري ذلّة السيفِ في يمين الجبانِ

وإن كان أبو الطيب سلك سبيلها ، وكان في حسن مذهبه دليلها ، حيث يقول^٥ :

أتى الزمانَ بنوه في شببته فسرّهم^٦ وأتينا^٧ على الهرمِ

وقال أبو تمام^٨ :

نظرتُ في السيرِ اللائي مَضَتْ فإذا وجدتها^٩ أكلتُ باكورةَ الأممِ

فجمع ابنُ شرفِ المعنيين ، واتخذ طريقاً معلماً بين الطريقين ، وأجاد المعري في هذا المعنى ما أراد وزاد ، حيث يقول^{١٠} :

تمتّع أبكارُ الزمانِ بأيّدهِ وجئنا بوهنٍ بعدما خَرِفَ الدهرُ

.....

١ الذخيرة ٣ : ٨١٢ .

٢ الذخيرة ٣ : ٨١٢ .

٣ ديوان المتنبي : ٥١٣ .

٤ ديوان أبي تمام ٣ : ١٩٢ .

٥ الديوان . أيامه .

٦ اللزوميات : ١٠٩ / ١٤١ . ٢٤٧ .

فليت الفتى كالبدرا جُدّد عمره يعودُ هلالاً كلما ففي الشهر

وقال ٢ :

كأنما الخيرُ ماءٌ كان واردةُ أهلُ العصورِ وما أبَقُوا سوى العَكرِ

وقال ابن شماغ^٣ من أهل عصرنا :

صفا للأُلى قبلي أتوا دَرُّ دَهْرِهِمْ فلم يصفُ لي مذ جئتُ بعدهم عمرُ
فجاءوا إلى الدنيا وعصرُهُمْ ضحىً وجئتُ وعصري من تأخره عصر

وقال أبو جعفر المحدث من أهل عصرنا^٤ :

لقي الناس قبلنا غُرّةَ الدهرِ ولم نلقَ منه إلا الدُّنابِ

وقال عبد الجليل من قصيدة في ابن عمار :

قتلتُ بني الأيامِ خُبْراً فباطني	مشيبٌ وما يبدو عليّ شبابُ
ولما رأيتُ الزورَ في الناس فاشياً	تخيّل لي أن الشبابَ خضابُ
وآليتُ لولا مَنكُ لحمُ محمد	لما كان ملك في الأنامِ لبابُ
ولولا ابنُ عَمّارٍ وفاضلٌ سعيه	لأصبح رَبعُ المجدِ وهو خرابُ
وما كان يؤتى المجد من حيث يبتغي	ولا كان يُدرى للحوادث بابُ

١ ط م د س : كالفجر .

٢ الزوميات ١٣٧ / ١٤١ : ٣١٥ .

٣ أبو مروان عبد الملك بن شماغ ، وردت ترجمته في القسم الأول : ٨٢٧ .

٤ ترجمة أبي جعفر المحدث في القسم الأول ص : ٩٠٥ وقد ورد البيت هناك .

ولا أحرقت أرض العدو صواعق
وما كان هارون أصح وزارة
بعيد الرضى في النصيح ما كان راضياً
نهوض ولو أن الأستة مركب
مضى مثلما يمضي القضاء وهزه
كما اقترنت بالبدري شمس منيرة
فكايته صاع المودة وافياً
ومن كأي بكرٍ لبكرٍ مكارم
أنافت به فوق السماكين همة
فلفظته يوم المهابة خطبة
له ستة في الجدد والهزل مثلما

ومنها في وصف كلامه ١ :

رقيق كما غننت حمامة أبكة

وله من أخرى :

أطلت في الدهر تصعيدي وتصويبي
ورب أخرج لا يهتدي إلى فمه
وأفني أدب بادٍ فضيلته
كنى من اللحظ أني لا أنافس في
وقد أرى صوراً في الناس ماثلة

ولا مطرت أرض العفاة سحاب
لموسى . وهل دون السحاب حجاب
لو أن له السبع الشداد قباب
ورود ولو أن الحمام شراب
همام يهز الجيش وهو مضاب
له عن سناها في الخطوب مناب
وكل مثيب بالوفاء مثاب
لها من ثنائي حليلة وملاّب
أناف عليها عنصر ونصاب
ولحظته يوم اللقاء ضراب [٩٦ب]
تدار كؤوس أو تدق حراب

وجزل كما شق الهواء عقاب

ودهر ذي اللب مضمار التجارب
أصاب غرة مأمول ومرغوب
من حيث يشفع لي قد صار يغري بي
حظي ومخبرتي تكفي ونجربي
أشيعها بين تحقيق وتكليب

١ انظر الذخيرة ، القسم الأول : ١٤ .

لما ملأتُ يدي منهم لأخبرهم
بيضُ وجوههم ، سودُ ضمائرهم
الصدقُ أولى بمن يُبدي ضغينتهُ
تفضتُ كفتي بأشباهِ العاسيب
فما حصّلتُ على عُربٍ ولا نوب
لا تجعلِ الصدقَ في نعتِ الأصاحيب

ومن المدح :

في حسن رأي عبيد الله لي عيوض^١
وإن صحبتُ فتأملي لغرتهِ
بذلك الوجه تُجلى كلُّ غاشيةِ
عاد المصلّي بوضاحِ أسيرتهُ
فاستقبلت قبلةُ الإسلام بدرَ علا
وغرةً تطلبُ الآمال قبلتها
أدنى المؤيد إذ شطّت منازلها
كالطُرفِ والقلبِ فيما بين ذلك وذا
وفضلهُ بدّل من كلِّ مطلوب
وذِكْرُهُ خَيْرُ مألوفٍ ومصحوب
عن ناظرٍ بوجوه اللوم محسوب
تنبيك عن خلدٍ بالفهم مشوب
يُسمي له البدر نجماً غير محسوب
بين المحارب طراً والمحارب
فضلاً بفضلٍ وتهدياً وتهذيب
مسرّى الضمير وتبعدٌ كتقريب

يتطرق هذا ، وإن لم يكن به ، قول ابن الرومي^٢ :

كضميرِ الفؤاد يلتهمُ الدُّنيا ونحوه دفّتا^٣ حيزومِ

ومنها :

فبتُ من وصفه في غايةِ قذافٍ
كأنني واجدٌ من عَرَفٍ سوددهِ
والطبعُ ينجدني والفكرُ يسري بي
ريحَ القميصِ سرّت في نفسٍ يعقوب

١ م : عرض ؛ وسقطت « لي » منها ومن ط .

٢ زهر الآداب : ٣٩٢ وتشبيهات ابن أبي عون : ٣٤٧ .

٣ م ط د : دففا .

واه من أخرى^١ :

يعزُّ على العلياء أنيَ خاملٌ وإن أبصرتُ منيَ خمودَ شهابٍ
وحيثُ يَرى زَندُ النجاةِ واريأ فثمَّ يَرى زَندُ السعادةِ كابي

ألمَّ في هذا بقول أبي الطيب^٢ :

وما ألجمُ بين الماءِ والنارِ في يدي بأصعبَ من أن أجمع الوفرَ^٣ والفهما

بل إلى قول الآخر أشار ، وحواليه دار ، وهو :

إذا جمعت بين امرأين صناعةً فأحببتُ أن تدري الذي هو أحلقُ
فحيثُ يكونُ الجهلُ^٤ فالرزقُ واسعٌ وحيثُ يكونُ النبيلُ^٥ فالرزقُ ضيق

وفي هذه القصيدة يقول عبد الجليل : [١٩٧]

وإني لفي دهرٍ فرائسُ أسدِه سدَى عشتُ فيه نيوبُ كلابِ
أتخفى على الأيامِ غُرُ مناقبي وقد بذَّ شأوي شأوَ كلِّ نَقابِ
ويركبنِي رسمُ الحمولِ وقد غدت خصالُ العلا والمجدِ طوعَ ركابي

١ انظر الميث ٢ : ٧٤ والشريشي ٢ : ١٣٩ .

٢ ديوان المتنبي : ١٦٢ .

٣ الديوان : الجد .

٤ الشعر لأبي إسحاق الصائغ ، انظر اليتيمة ٢ : ٢٩٣ ومجمع الأدباء ٢ : ٨٥ - ٨٦ وبهجة

المجالس ١ : ١٩٤ .

٥ اليتيمة والمعجم : النقص ؛ بهجة المجالس : النول .

٦ اليتيمة والمعجم : الفضل ؛ بهجة المجالس : الخلق

سأرقى بهمائي قُصَارَى مراتبي
لتعلم أطرافُ الأسنّةِ أني
وتشهد أطرافُ البراعاتِ أني
وليس نديمي غيرَ أبيضَ صارمٍ
مضخّةٌ لا بالخلقِ أناملِي
ولكن بنفعٍ يُخَجِّلُ الروضَ زاهراً

وإن كان أدناها يُطِيلُ طلابي
كفيلٌ بها عند الصدا بشراب
بهنٌ مصيبٌ فصلَ كلِّ خطاب
وليس سميري غيرَ شخصٍ كتاب
مزعفرةٌ لا بالعيرِ حرابي
ولكن بدعسٍ في كُلِّ ورقاب

ومنها ٢ :

ومن لم يَخْضِبْ رُمَحَهُ في عداته
ومن لم يُحَلِّ السيفَ من بُهَمِ العدا
إذا ورقُ الفولاذِ هزَّ تساقطتْ
ومن يتَّخِذُ غيرَ الحسامِ مخالِباً
ومن غرَّهُ من ذا الأنامِ تبسُّمٌ

تساوتْ به في الحيّ ذاتُ خضاب
تحلّى بخزي في الحياة وعاب
ثمارُ حتوفٍ أو ثمارُ رغب
فما هو إلّا وادٌ بسراب
فبالعقل قد أضحي أحقّ مصاب

وله من أخرى أولها :

لولا تبسُّمُ ذاك الظلِّمِ والبرَدِ
بل لا أطيعك في غُصْنِ أهيم به
وَأين لي وبصبري عن جفونِ رشا
بعدي على اللومِ قلبي وهي تؤلمه

قبلتُ نُصْحَكَ إلّا في هوى الغيدِ
كأنه نابت في طيٍّ معتقدي
غوامضِ السحرِ لا ينفثن في العقدِ
كما تضرُّ كميّاً شِكَّةُ الزردِ

١ د : كتابي .

٢ ومها . سقطت من م .

٣ م د : اللاد .

وهذا من قول أبي الطيب^١ :

بنو كعبٍ وما أثمرت فيها^٢ يدٌ لم يَدُمها إلا السَّوارُ
لها^٣ من قَطْعِهِ ألمٌ ونقصٌ وفيها من جلالته افتخار

ومن قصيدة عبد الجليل حيث يقول :

قل للرَّشيد وقد هبَّتْ نوافحها أسرفت يا ديمةَ المعروف فاقتصدِ
أشكو إليك الندى من حيث أحمدُه كو فاضَ فيضاً عليَّ البحرُ لم يزد

قال ابن بسّام : وأخبرني من لا أَرُدُّ خبره أنه دخل على عبد الجليل يوماً
وقد تطاول حتى كاد يمسُّ رأسُهُ السماء ، فقال له : قد أتيت [بيت] فلم
أَزِدْ^٤ ، وما أحسب حُسْنَهُ لأحد ، وأنشد هذا البيت ، قال الحارثي ،
فقلت له : فأين أنت من قول أبي عباد^٥ :

تنصَّبَ البرقُ غتالاً فقلتُ له لو جُدَّتْ جودَ بني يزجَاد لم تزدِ

قال : فبدا عبوسه ، وتضاءل حتى كدَّتْ أَدوسه ، وقال : كسرني
والله ، لو خطر هذا على بالي ما قلت [٩٧ ب] ذلك .

وفيها يقول :

١ ديوان المتنبّي : ٣٩٧ .

٢ الديوان : فيهم .

٣ الديوان : بها .

٤ م س : هل أتيت فلم يزد .

٥ ديوان البحتراني : ٦٥٩ .

يا قاتلَ الشكرِ بالإحسانِ يعمره
عجبتُ من كَرَمٍ في راحتِكَ بدا
جادتِ سحابُكَ إذ جادتِ على أُملي
أثريتُ عندَكَ^٢ من جاهٍ ومن نشب
يا واحداً تقتضي الآؤه جملاً
للناسِ بعدَكَ في العَلْيَا منازلُهُمْ
يُدْعَى^٣ الرشيدَ ولم تعدم به صفة
لك الرشادةُ أخلاقاً وتسميةً
أيُّ الفضائلِ تَسْتَوْفِيهِ مكتهلاً
بادهنتي بأبادٍ لا يقومُ بها
عاد الزمانُ بما أوليتني غُصْناً
ما عذر طبعي أن ينبو وما تركتُ

مهلاً أما لقتيلِ الجودِ من قَوَدِ
إشراقه كيف لم يُعَزَّزَ إلى الفند
فقال أشياعها جادتِ على بلد
حتى وجدتُ الغنى في همي ويدي
بَرَّحتَ بي وبنظم الشكلِ فاثد
والواحدُ الفردُ يحوي مبدأ العدد
يا مَنْ هو الفصلُ بين الغيِّ والرشد
مثل البسالة إذ تُعزَى إلى الأسد
وذا شبابُكَ قد أربى على الأمد
ما في لساني من قصدٍ ومن لد
غصاً فقامتُ^٤ مقام الطائرِ الغرد
به أياديك من أمتٍ ومن أودِ

وله من أخرى في المعتمد أولها :

قالوا صحا وأدال الغيَّ بالرشدِ
لئن صحوتُ فغن كَرَهٍ وقد علموا
لم يقصد الدهرُ إصلاحِي ولي مثلُ

من لي بذاك الصبَا في ذلك الفندِ
بأيّ علقٍ من الدنيا فتحتُ يدي
في الغصن تذهبُ عنه صورةُ^٥ الغيدِ

١ س : يغمره .

٢ ط د : عبيدك .

٣ م س : تدعو .

٤ د : فقامت فيه .

٥ وقعت لفظة « ومنها » في ط بعد هذا البيت .

٦ م س : سورة .

ومنها :

رنا بعين الرضى منها ولم يكـد
مزجن بالسم ما احلولى من الشهد
إلا ترحلت اللذات من خلدي
بما تثقف^٢ من أمت ومن أود
بغير أزرق كالنبراس . منقـد
أولى وأجدر^٣ بي من بيضها الخرد
وإن تقلب بين البؤس والنكد
لكنه في وفور العزم والجلد
أيدي الملوك عن الإفضال والصمد
وربما نفثوا بخلاً على العمد
وما حوته يداه غير منقـد^٤
ورحمة الله في سلطانه النكد
على بوائده من آرائه بدد^٥ [٩٨ أ]
يقظان^٦ يسئى إليهم سئى متد
عيناً من الله لا تغنى^٦ من الرصد

طوى الزمان لييلات نعمت بها
وقاتل الله أدوار السنين فكم
لم يرسم الشيب في فودي خطته^١
ضيف الوقار أفدنا منه تكرمة^٢
وأسمر الخط لا تبدو فضيلته
للدهر عدي بنات^٣ من تجاربه
الحر يرزأ إلا فضل شيمته
وما الغنى في يد مملوءة عرضاً
أو في رجاء ابن عباد وقد رغبت
استوثق الناس مما في أكفهم^٤
ولا يرى العمد إلا في أذمتيه
بقية الفضل في دنيا قد ارتضعت
مستجمع الفكر لا ينحو معاندته^٥
إذا استخفت حلوم القوم وقرها
يكفي المؤيد في الأعداء أن له

١ م : قطعت .

٢ ط د : فما تثقف .

٣ ط د : نبات .

٤ سقط هذا البيت واثنان بعده من م .

٥ ط س : ينحو .

٦ م : لا تخفى .

تلقى به حيلٌ أصلالٍ وآيتهُ
وما نمرٌ بأدهى من ليوثٍ وغى
يبرُ من شجر الخطي غابته

أن تستبين عليه قشرةُ الزرد
يتبعن منه أباناً وافر اللبد
وذاك ما لم تَسَعهُ عزمةُ الأسد

ومنها :

جاريتمُ الدهرَ في مضمار حلتبها
لكن تحيتها قدماً وقد شهدت
لحمُ ابن يعربٍ أولى أن يضاف إلى
أنت الجميع وأنت الفرد قد علموا

جرياً سواءً إلى أقصى من الأمد
« يا دار ميةً بالعلياء فالسند »^١
سواء معتصد فيكم ومعتمد
سريرة لم تكن في واحد العدد

ومنها :

يا أشبه الناسِ آداباً بما لك من
من أين لي قَدَمٌ في الفضلِ سابقةً
هذا الأنيُّ لذلك المزنِ منتسبٌ
أرسلتها في سماءِ المجد طائفةً
تُصْحي النهى أبداً من حيث تسكرها
لو أن لقمان يُعْطَى عمرها بك لم
طبعها ولك التبرُ الذي طُبِعَتْ

جمال وجهٍ تحدّثني وفضل يد
لو أن طبعي في واديك لم يرد^٢
عاري الأديم من الأقلء والزبد
عن غير جهدٍ وفيها متعةُ الأبد
وتسمع^٣ اللحظَ صوتَ البلبل الغرد
يُخْزن عليها الذي أنخى على لبد
منه فأسلّمتها في كفٍ منتقد

وله وقد توقف مرتبه عند العامل :

.....

١ لم يرد هذا البيت في م س .

٢ ط د : يزد .

٣ م س : وتشيع .

أَلَسْتُ مُعَشَّرَ الْأَمْلَاقِ طَائِفَةً
 فَانْ نَقَصْتُمْ أَنَا سَأْ مِنْ نَوَالِكُمْ
 لَكُمُ خُلِقْنَا وَلَمْ نُخْلَقْ لَأَنْفُسِنَا
 يَا صَاحِبَ الْمَجْدِ إِنْ الْمَجْدَ سَائِمَةً
 خُلِقْتُ بِمَا شِئْتَ مِنْ غَرَاءَ شَارِدَةٍ
 وَاعْلَمْ بِتَقْصِيرِهِ مَنْ لَا يَزَالُ لَهُ
 لَا يُدْرِكُ الْقَوْتَ مِمَّا أَنْتَ وَاهِبُهُ
 وَلَيْسَ لِلشَّعْرِ إِلَّا خَاطِرٌ يَقْطُ
 وَمَا الْمَدَائِحُ إِلَّا بِالْمُلُوكِ وَهَلْ

تَقْضِي بِتَخْلِيدِهَا هَذِي الْأَنَاشِيدُ
 فَحَقٌّ مِنْكُمْ لِأَهْلِ الشَّعْرِ تَرْيِيدُ
 فَلِنَا نَحْنُ تَحْمِيدُ وَتَمْجِيدُ
 تَفْضُلُ إِنْ لَمْ يَكُنْ^١ بِالشَّعْرِ تَقْيِيدُ
 يَصْنَعِي الْأَصْمُ إِلَيْهَا وَهُوَ مَقْوودُ
 فِي سَاقَةِ الرِّزْقِ إِرْقَالُ وَتَوْخِيدُ
 حَتَّى يَطُولَ مِنَ الْعَمَالِ تَنْكِيدُ
 يَهْزُهُ مِنْكَ تَرْفِيهِ^٢ وَتَأْيِيدُ
 يَبْدِي سَنَا الْعَقْدِ إِلَّا النَّحْرَ وَالْجِيدُ

وهذا كقول أبي الطيب^٣ :

• وفي عتقِ الحُسناءِ يُسْتَحْسَنُ الْعَقْدُ •

وله من أخرى إذ جاز المعتمدُ البحرَ إلى أمير المسلمين وناصر الدين ،
أولها^٤ :

عِزٌّ تَجَرَّدَ^٥ فِيهِ النَّصْرُ وَالظَّفَرُ وَفِكْرُهُ خَمَدَتْ مِنْ نَحْتِهَا الْفِكْرُ
وقال فيها^٥ :

١ م : يحق .

٢ ديوانه : ١٩٤ ، وصدر البيت : وأصبح شعري منهما في مكانه .

٣ منها سبعة أبيات في المغرب : ١١٩ ، وبيت في الخريدة : ٢ : ٩٥ وسبعة في الخريدة : ٢ :

١٠١ وثلاثة عشر بيتاً في المسالك ١١ : ٢٢١ .

٤ م : تجدد .

٥ وقال فيها : لم يرد في م .

رَكِبْتَ فِي اللَّهِ حَتَّى الْبَحْرَ حِينَ طَلَمَا
طِيرَفٌ يَزِلُّ عَلَيْهِ سِرْجُ فَارِسِهِ
كَأَنَّ رَاكِبَهُ فِي مَتْنِ ذِي لَبْدٍ
حَمَلَتْ نَفْسَكَ فِيهِ فَوْقَ دَاهِيَةٍ
عُدِرَتْ لَوْ أَنَّهُ مِيدَانُ مَعْرَكَةٍ
فِي حَيْثُ لِلْكَرِّ وَالْإِقْدَامِ مُضْطَرَبٌ
عَسَاكَ خَلَتْ حِجَابَ الْمَاءِ مِنْ زَرَدٍ
أَوْ قَلَّتْ فِي الْمَوْجِ خَرَصَانُ مَعْرُضَةٍ
مِمِّي الْبَسَالَةُ إِلَّا أَنَّهُ سَرَفٌ
لَا نَحْمِلُ الدِّينَ وَالْدُنْيَا عَلَى خَطَرٍ
إِنْ كَانَ ثَوْبُكَ مَخْتَصماً بِبَلَابِسِهِ
هَلَا رَحِمْتَ نَفْساً حَامِ حَائِمِهَا
وَعَادَ أَجْبَسَتَهَا مِنْ كَانَ أَشْجَعَهَا
إِنَّا لَفِي حِمَصٍ نَسْتَقْرِى مَحَاضِرَهَا
لَا نَحْسِنُ الظَّنَّ إِشْفَاقاً وَقَدْ ضَمَنْتُ
كَأَنَّمَا النَّهْرُ لَمَّا سَرَتْ سَارَ إِلَى
كَأَنَّمَا قَمَتْ بِالْجُدَى تَسَاجِيلُهُ

أَذِيهِ وَبَسُوطِ الرِّيحِ يَنْحَصِرُ^٢ [٩٨ب]
وَلَيْسَ مِمَّا تَضُمُّ الْحَزْمُ وَالْعُدْرُ
غَضْبَانٍ تَقْدَحُ مِنْ أَنْفَاسِهِ الشَّرُّ
دَهْيَاءَ لَا مَلْجَأَ مِنْهَا وَلَا وَزَرَ
يَسْمُو لَهُ رَهَجٌ فِي الْبَحْرِ مُتَشَرِّ
وَحَيْثُ تَمْلِكُ مَا تَأْتِي وَمَا تَذُرُ
تَعُودُ الْخَوْضَ فِيهِ طِيرَفُكَ الْأَثَرُ
تَحَارِبِ الْجَيْشِ أَوْ مَصْقُولَةٍ بَثْرُ
تَنْفِي الْحِدَارِ ، وَمِمَّا يُؤَثِّرُ الْحَذَرَ
وَلَيْسَ يُحْمَدُ فِي أَمْثَالِكَ الْغَرَرُ
فَقَدْ تَعَلَّقَ مِنْ أَذْيَالِهِ الْبَشَرُ
عَلَيْكَ وَاسْتَوَلَتِ الْأَشْوَاقُ وَالذِّكْرُ
شَحّاً عَلَيْكَ وَأَحْيَا لَيْلَهُ السَّهَرُ
وَاللَّقُوبُ بِذَلِكَ اللَّجِّ مُحْتَضَرُ
لَنَا مَسَاعِيكَ أَنْ يَعْنُو لَكَ الْقَدَرُ
ذَاكَ الْمَجَازِ فَأَجْرِي فُلُوكَكَ النَّهْرُ
فَنَالَهُ دَهْشَرٌ أَوْ نَابَهُ حَصَرُ

١ م : حيث .

٢ لعلها : ينحصر .

٣ ط د : المدح . . . معوضة ؛ م : قرصان .

٤ ط : محاذرنا .

٥ ط : الدهر .

٦ ط د : وارتابه (اقرأ : وانتابه) .

أحاط جودك^١ بالدنيا فليس له
وما حسبت بأن الكل^٢ يحمله^٣
لم تن^٤ عنك^٥ يداً أرجاء^٦ ضفته^٧
تواصل^٨ اللحظ^٩ حسرى من هنا وهنا
فصرت^{١٠} فوق دفاع^{١١} الله تهصره^{١٢}
كأنما كان عيناً^{١٣} أنت ناظرها
إلا المحيط^{١٤} مثال^{١٥} حين يُعتبر^{١٦}
بعض^{١٧} ، ولا كاملاً^{١٨} يحويه^{١٩} مختصر^{٢٠}
إلا^{٢١} ومدت^{٢٢} يداً^{٢٣} أرجاؤه^{٢٤} الآخر^{٢٥}
وليس غير^{٢٦} الدعاء^{٢٧} الجيـص^{٢٨} والحجر^{٢٩}
براحة^{٣٠} البر^{٣١} والتقوى^{٣٢} فينهمر^{٣٣}
وكل^{٣٤} شط^{٣٥} بأشخاص^{٣٦} الورى^{٣٧} شفر^{٣٨}

وهذا قول أبي الحسن السلامي . وقد دخل مع بعض إخوانه دجلة ،
فقال^{٣٩} :

وميدان تجول^{٤٠} به خبول^{٤١} تقود^{٤٢} الدارعين^{٤٣} وما تقاد^{٤٤}
ركبت^{٤٥} به إلى اللذات^{٤٦} طيرفاً^{٤٧} له جسم^{٤٨} وليس له فؤاد^{٤٩}
جرى فظننت^{٥٠} أن^{٥١} الأرض^{٥٢} وجه^{٥٣} ودجلة ناظر^{٥٤} وهو السواد^{٥٥}

وعبد الجليل أيضاً الذي^{٥٦} يقول في صفة الأسطول^{٥٧} :

يا حُسْنَه^{٥٨} يوماً شهدت^{٥٩} زفافها^{٦٠} بنت^{٦١} الفضاء^{٦٢} إلى الخليج^{٦٣} الأزرق^{٦٤}
ورقاء^{٦٥} كانت^{٦٦} أيككة^{٦٧} فتصوّرت^{٦٨} لك^{٦٩} كيف شئت^{٧٠} من الحمام^{٧١} الأورق^{٧٢}

١ م : وحدت بها ؛ س : وهدت بها ؛ ط د والمساك : ومدت به ، والتصويب عن المطرب
والخريدة .

٢ هذا البيت والذي يليه في الفيت ١٦٠٠٢ ، والأخير في مختارات ابن الصيرفي : ١٢٤ .

٣ المطرب والخريدة والصيرفي : كأنما السحر عين .

٤ اليتيمة ٦٠٢ قال : وركب في صباه سارية ، ولم يكن رأى دجلة قبل ذلك ؛ وابن
خلكان ٤ : ٤٠٤ .

٥ الذي : زيادة من م س .

٦ نفع الطيب ٤ ٥٩٠ - ٦٠ والمساك ١١ : ٢٢ .

حيث الغرابُ يجرُ شملةً عَجْبِيهٍ وكأنَّه من عزَّةٍ لم يَنْتَقِ ¹ [١٩٩]
من كلُّ لابسَةِ الشابِ ملاءةٌ حَسَنَبَ اقتدارِ الصَّانِعِ المتأنِّقِ
شهدتُ لهنَّ العينُ ² أنَّ شواهِناً أسماؤُها فتصَحَّفَتُ ³ في المنطقِ
من كلُّ ناشرةٍ قوادمَ أفتَحِ وعلى معاطفها فِراةٌ شَوذَقِ ⁴
زأرت زئيرَ الأسدِ وهي صوامتٌ وزحفن زَحَفَ مراكبٍ في مأزِقِ ⁵
ومجادفٍ تحكي أرقامَ ربوةٍ نزلت لتكبرِ في غدِيرِ مُتَأَقِ
والماءُ في شكلِ الهواءِ فلا ترى في شكلها إلا جوارحَ تلتقي

ومن البديع في وصف الأسطول قول محمد بن هانيء الأندلسي من جملة قصيدٍ ، قال فيه ⁶ :

قِبابٌ كما تُرْخَى القِبابُ على المِها ولكنَّ من ضُمَّتْ عليه أسودُ
أُنافَتْ بها آطامُها ⁷ وسما بها بناءٌ على غيرِ العِرامِ مشيد
من الطيرِ إلَّا أنهنَّ جوارحُ وليس لها إلَّا النفوسَ مصيد
إذا زفرتُ غيظاً ترامتُ بمارجٍ ⁸ كما شبَّ من نارِ الجحيمِ وقود

١ ط د : يمتق .

٢ النفح : لها الأعيان .

٣ ط د : فتصحفت .

⁴ الشوذق والسوذق - بالشين والسين - الشاهين ، و«فراة» في النسخ قد وردت «وهادة» ، وتصحيحها على التقدير ، لا أنها قراءة دقيقة .

⁵ لم يرد البيت في م س .

⁶ م س : قصيدة قال فيها ؛ وانظر ديوان ابن هانيء . ٥٢ وزهر الآداب : ١٠٠١ .

⁷ الديوان : أعلامها ، وما هنا موافق لزهر الآداب .

وقال عليّ بن محمد الإيادي يصف أسطولَ القائم من كلمة يقول فيها^١ :

يَنْتَرِلُ الْمَلَّاحُ مِنْهُ ذُؤَابَةً لو رام يركبها القطا لم يركب
وكانتْ رام استراقةً مَقْعَدٍ للسمعِ إلاّ أنّه لم يُشْهَبِ
وكانتْما جنُّ ابنِ داودٍ همُّ ركبوا جوانبها بأعنفِ مركب
من كلِّ مَسْجُورٍ الحريقِ إذا انبرى من سجنه انصلتْ انصلاتُ الكوكب
عريان يقدمهُ الدُّخَانُ كأنّه صُبْحُ بكرٍ على ظلامٍ غيبٍ^٢
ولواحقٍ مثلِ الأهلَةِ جُنَحٍ لُحِقَ المطالبِ فائتاتِ المهرب
يذهبُنَ فيما بينهنَّ لُطَافَةٌ ويجنّ فِعْلَ الطائرِ المتقلّبِ
كنضائِضِ الحياتِ رُحْنٌ لواغباً^٣ حتى نقعنَ ببردِ ماءِ المشربِ^٤
شرعوا جوانبها مجادفَ أتعبت شأوَ الرياحِ لها ولما تعب
تنضاعُ من كَثَبٍ كما نفرَ القطا طَوَّراً وتجتمعُ اجتماعَ الربربِ
والبحرُ يجمعُ بينها فكانه ليلٌ يقربُ عقرباً من عقربِ

رجع :

١ من هذه القصيدة ثمانية وعشرون بيتاً في زهر الآداب: ١٠٠٣ ورفع الحب ١٤١٠١ .
وثمانية عشر بيتاً في النفع ٤ : ٥٧ - ٥٨ وبمضها في المقتضب من تحفة القادم : ١٢٢
ومنها بيتان في الحلة ١ : ٢٨٥ .

٢ النفع : مسجون ٤ م س : مسجون .

٣ زهر : الطلام الغيب .

٤ زهر : لواغباً .

٥ زهر : ببرك ماء الميزب .

٦ ط : نوابها .

وقال عبد الجليل من قصيدة أولها ١ :

محلٌ ألبسَ الدنيا جمالاً وإنْ فَضَحَ المقاصِرَ والخلالا
بناه كما بنى العلياء بانٍ يَشِيدُ مآثراً وَيُبِيدُ مالا

ومنها في وصف القصر :

وللزاهي الكمالُ سناً وحسناً يحاطُ بشكلِهِ عرضاً وطولاً
تواصلتِ المحاسنُ فيه شتى وقورٌ مثلُ ركنِ الطودِ ثَبَتٌ
تدافعُ منْ جَوَانِبِهِ اثلاًفاً فلوْ أَدْنَوْا حرامَ السَّحْرِ مِنْهُ
سماءٌ ترتجى بعبابٍ بحريٍّ فقد كادَ اللَّيْبُ يُهَالُ مِنْهُ
فما أبقى شهاباً لم يصوبْ وللهو البهي سماءٌ نورٍ
مزخرقةٌ كأنَّ الوشي ألقى عليها من طرائقه خيالا

١ منها أبيات في المسالك ١١ : ٢٢٢ - ٢٢٣ والنفع ٤ : ٢٦٣ وانظر ما مر منها في القسم

الثالث ٧٦٦ - ٧٦٧ .

٢ م يحيط .

٣ المسالك : من الأنس .

٤ م س والمسالك : تبر .

٥ س م : يهاب .

٦ م س : خلقت دبالاً ؛ المسالك : خلقت وحالا .

وما خلّتُ الهواءَ يكونُ روضاً
 بلى حققتُ أنَّ النارَ كانتُ
 فلم أعدِلْ بِجماده مذاًباً
 وكلَّ مصوِّرٍ حيَّ جماد
 له عملٌ وليس له حراكٌ
 ولا سقفاً يكونُ كذلكُ آلا
 له ظئراً وعصره زلالاً
 ولم أنكرُ لِنَدْوَتِهِ اشتعالاً
 تبينَ فيه رهواً أو دلالاً
 وافهامٌ وما أَدَى مقالا

ومنها :

ويُفرغُ فيه مثلَ النصلِ بدعٌ
 رعى رطبَ اللجين فجاء صلداً
 كأنَّ به على الحيوانِ عتَباً
 وأوصى بالرياحينِ اغتراساً
 وكان الغرسُ والأثمارُ وقفاً
 وقامتْ يومَ قمنا منشاداتٍ
 من الأفيالِ لا يشكو ملالاً
 وقاحاً قلتماً يخشى هزالاً
 فلم يرفعْ لرؤيتهما قذالاً
 همامٌ طالما اغترس الرجالا
 لمن جعل الندى والوعدَ حالاً
 ففضتْ من رويتنا ارتجالاً

ومنها :

براعةُ مصنعٍ جُلِبَتْ فاضحت
 فكم طلب العويسَ فما تأبى
 ولكنَّ المؤيدَ عزَّ وصفاً
 براعةُ منطقي منها مثالا
 وكم قلبَ العيانَ فما استحالاً
 وأعيتني حقيقتهُ منالا

١ م : لذويته ؛ س : لدويته .

٢ ط د : فما .

٣ انظر ما تقدم ص : ٤٧٢ .

٤ المسالك . فلم ترفع لرؤيته .

• ط د س : رويتها .

إذا استوضحته أبصرت دهرأ
 أقام لها معاليها^٢ شموساً
 وآراء^٣ ينتجها رزاناً
 وفيه أناة^٤ مقتدر^٥ حلیم
 ويبطش^٦ بطشة^٧ تنبي الأعادي
 من البيض الذين إذا تولوا
 وبيننا نجتل^٨ منهم بدورأ
 تألق^٩ وجهه^{١٠} وزكت^{١١} نهاه^{١٢}
 وما يوم^{١٣} العروبة^{١٤} يوم^{١٥} سر
 عجزنا أن نحقق^{١٦} منه وصفاً
 يعارضه^{١٧} بكل^{١٨} سبيل^{١٩} مجد
 ولما لم يطق^{٢٠} يثني صباه
 وكاد يكونه^{٢١} حتى تراه
 وأبتهجتا^{٢٢} طلوعهما بدست^{٢٣}
 فلم أر^{٢٤} قبله بدرأ^{٢٥} كساه^{٢٦}
 لو أن^{٢٧} الدهر لم ينسخ^{٢٨} فعلا^{٢٩}
 ومد^{٣٠} لنا مساعيه^{٣١} ظلالا^{٣٢}
 فیرسلهن^{٣٣} أقداراً^{٣٤} عجلا^{٣٥}
 تكاد تغر^{٣٦} بالأسد^{٣٧} النمالا^{٣٨}
 أكفهم^{٣٩} وما حملوا^{٤٠} اعتقلا^{٤١}
 صنيعاً^{٤٢} لم تجد^{٤٣} فيهم شمالا^{٤٤}
 إذا بهم^{٤٥} قد اعترضوا^{٤٦} جبلا^{٤٧}
 فقلت^{٤٨} مثاله^{٤٩} محق^{٥٠} الضلالا^{٥١} [١٠٠ أ]
 لقد نطق^{٥٢} الزمان^{٥٣} به^{٥٤} فقلا^{٥٥}
 وما عجز^{٥٦} الرشيد^{٥٧} له امتثالا^{٥٨}
 فتحسبه^{٥٩} ينافسه^{٦٠} خلا^{٦١}
 أحال^{٦٢} على شمائله^{٦٣} اكتهالا^{٦٤}
 يجاذبه^{٦٥} ولا يقوى^{٦٦} انفصالا^{٦٧}
 طلوع^{٦٨} الأصل^{٦٩} والفرع^{٧٠} اتصالا^{٧١}
 جوار^{٧٢} الشمس^{٧٣} تمأ^{٧٤} واكتمالا^{٧٥}

١ المسالك : مقالا .

٢ م س . لنا معاليه .

٣ م . تغرب الأسد .

٤ م س : وذكت بها .

٥ د : عز ، ط : عن ؛ م . عن ، والتصريب عن المسالك .

٦ م س : بها .

٧ م س : واكتهالا .

وفيهما يقول :

أنتك على خلافتها جيادي^١ وإن كان الضياعُ لها شكالا^٢
وما يليك ذهنٌ أحوذِي^٣ إذا أصبحت جَدًّا تفالي^٤
تراحمتِ المومُّ خلالَ صدري فما تركتِ لأنفاسي مجالا
وما خلتِ النسيمَ يكون ثِقْلاً^٥ ولا تَفَحَّاهِ تَأْتِي وبالا
كأنِّي كلما استنشقتُ منه أردُّ به إلى كبدي نصالا^٦
وكيف يصحُّ ذو قلبٍ أبي^٧ إذا كان الإباءُ له نكالا
مضى ماءُ الشبيبةِ في الأمانِي ومن ولتي فما يرجو اقبالا^٨
وكنتم خَيْرَ مَنْ يَرْجِي فما لي وجدتُ يقينَ آمالي محالا
ولم أحملْ ودادكمُ ادِّعاءً ولا أظهرتُ مدحكمُ انتحالا

احتذى عبد الجليل فيما وصف به الرشيد من تقبله^٩ لمذهب^{١٠} أبيه قول
الخنساء^{١١} ، وقد قيل لها مدحت أخاكِ حتى هجوتِ أباكِ^{١٢} ، فقالت :

- ١ م س : خلافتها جياذ .
- ٢ مر البيت في الذخيرة ١ - ٨٢ .
- ٣ م : حدًّا نغالا ؛ س : حدًّا ثغالا .
- ٤ المسالك : أردد منه للكبد النصلا .
- ٥ س م د : تقبله .
- ٦ س م : لمذاهب .
- ٧ أبيات الخنساء في زهر الآداب : ٩٢٥ وأماله المرتضى ١ : ٩٨ وحماسة ابن الشجري .
- ٨ ١٠٤ والأول في الخزنة ٣ - ٢٧٧ وأنيس الجلساء ٤٣ .
- ٨ أمال المرتضى : هجنت .

جاری أباه فأقبلا وهما
حتى إذا جدَّ الجراءُ وقد
وعلا هتافُ الناسُ أيهما
برقتُ^٢ صحيفةُ وجهِ والدِهِ
أولى فأولى أنْ يساويَهُ
وهما كأنَّهما وقد برزا
يتعاوران ملاءةَ الحُضريِّ
ساوى^١ هناك العذرَ بالعذرِ
قال المجيبُ هناك لا أدري
ومضى على غُلوائه يجري
لولا جلالُ السنِّ والكبر
صقرانٍ قد حطَّتا إلى وكر

وقيل لأبي عبيدة^٣ : ليس هذا في مجموع شعر الخنساء . فقال : العامةُ
أسقطُ من أن يجادَ عليها بمثل هذا .

وقد أحسن البحري حيث يقول^٤ :

جدُّ كجدِّ أبي سعيد إنَّه تركَ السماك كأنَّه لم يشرفِ
قاسمتهُ أخلاقهُ وهي الردى للمعتدي ، وهي الندى للمعتفي
فلذا جرى في غايةٍ وجريتَ في أخرى التقى شأوا كما في المنصف

وقول الخنساء : « يتعاوران ملاءة الحضر » أبدع استعارة ، وأنصع
عبارة . وقال عدي بن الرقاع^٥ : [١٠٠ ب] .

١ ط د . سارت ، م س . صارت ؛ أمالي المرتضى . لزت هناك .

٢ أمالي المرتضى : بررت .

٣ س م . لأبي عبيد الله .

٤ متابع لزهرة الآداب . وانظر ديوان البحري ١٤٢١ وأنيس الحلساء : ٤٣ .

٥ زهر الآداب : ٩٢٦ والمختار : ٢٦٣ والطرائف الأدبية : ٩٦ وديوان أبي تمام : ٢ : ٣٣٧ .

يتعاونان من الغبارِ ملاءةً غبراء محكمةً هما نسجاها
تُطوى إذا وردا مكاناً جاسياً وإذا السنايكُ أسهلتُ نشرها
ولى هذا أشار حبيب بقوله ^١ :

يثيرُ عجاجةً في كلِّ ثغري يهيمُ بها عديُّ بن الرقاعِ

وأول من نظر إلى هذا المعنى شاعر من بني عقيل فقال من جملة أبيات ^٢ :

قفارٌ مَرَوْرَاتٌ يحارُ بها القطا ويمشي بها الجأبان يقتران ^٣
يثيران من نسجِ الغبارِ عليهما قميصين أسمالاً ويرتديان

وقال عبد الجليل : « يثير مأثراً ويبيد مالا » ، سمّاه بعضُ أهلِ
النقد معاقدة ، وهو أن يشترط الشاعرُ شروطاً في معان يريد التوفيق بينها ،
فيحقد لكلِّ صنف منها ما يشاكله ويمثله . ومن عجيب ذلك قول جنوب
أخت عمرو ذي الكلب ^٤ :

فأقسمتُ يا عمرو لو نبّهاك إذا نبّها منك داءٌ عضّالاً

.....

١ زهر الآداب : ٩٢٦ وديوان أبي تمام ٢ : ٣٣٧ .

٢ زهر الآداب : ٩٢٦ - ٩٢٧ وأنيس الجلساء : ٤٣ .

٣ زهر الآداب : يقتربان .

٤ ديوان المهلبين ٢ : ٥٨٣ وحسانة ابن الشجري : ٨٣ والحسانة البصرية ١ : ٢٢٥

وزهر الآداب : ٧٩٥ والخزانة ٤ : ٣٥٣ وبلاغات النساء : ١٧٣ وحسانة البحتري :

٢٧٣ وأما المرتضى ٢ : ٢٤٣ وكتاب الصناعتين : ١٤٢ ؛ وقد أورد ابن رشيق هذا

الشعر في الصلدة ٢ : ٣١ (تحقيق محي الدين عبد الحميد) في باب التسهيم أو ما يسميه

قدامة « التوشيح » ويسميه ابن ركيح « المطمع » ولم أعرّض على من سمّاه « معاقدة » .

إذا نبّها لبثَ عريّةٌ مُفيتاً مفيداً^١ نفوساً ومالا

فعاقدت بين مفيت ومفيد^٢ .

وقال المجنون^٣ :

وأدنيّني حتى إذا ما سيّنتي بقولٍ يُحيلُ العُصمَ سهلاً الأباطح
تجافيت عني حين لا لي حيلةٌ وخلّيت ما خلّيت بين الجوانح

فعاقد بين قوله : « أدنيّني » و « تجافيت عني » حيث تشابها رسماً
وشكلاً ، وعاقد أيضاً بقوله : « وخلّيت ما خلّيت » وبقوله : « يحل العصم
سهل الأباطح » .

ولى هذا أشار العباس بن الأحنف بقوله^٤ :

أشكو الذين أذاقوني مودّتهم حتى إذا أبغضوني في الهوى رقدوا

ومن مליح هذا لبعض أهل أفقنا قول يحيى بن هذيل القرطبي^٥ :

لما وضعتُ على قلبي يدي بيدي وصحتُ في الليلةِ الظلماءِ والكبدِ
ضجّتْ كواكبُ ليلى في مطالعها وذابتِ الصخرةُ الصمّاءُ من جلدي

١ م : عريّة . . . مفيداً .

٢ م : ومفيد .

٣ ديوان المجنون : ٩٤ والزهرة : ٤٧ والمقد : ٣٧٨ .

٤ ديوان العباس : ٨٤ والمقد : ٣٧٨ .

٥ الذخيرة ٣ : ٣٤٧ .

فعاقد بين قوله : « يدي يدي » و « ذابت الصخرة السماء من جلدي » ،
 وذكر أن المتنبي أنشد من شعر أهل الأندلس ، حتى أنشد هذين البيتين ،
 فقال : هذا أشعر القوم .

ولما سمع المعتمد بن عباد قصيدة عبد الجليل هذه ووعاها ، سرت في
 نفسه حمياًها ، وكانت سبباً لصلة من كان يباه من الشعراء ، غير أنه وفي
 لعبد الجليل في الحياء .

وكنت يوماً بدار أبي بكر الخولاني المنجم ، فاتفق أن دخل علينا
 عبد الجليل وفي كفه صلة المعتمد من ضرب السكة لديه ، قيمتها ثلاثة آلاف
 درهم ، فرفع إليه إثر ذلك قصيدته التي أولها^١ :

ما الشعر مرتجلاً ^٢ أو غير مرتجل	يبالغ كنه ذاك السؤدد الجلل
بأي لفظ أحلّي ^٣ منك ذا شيم	لولا حلاها لكان الدهر ذا عطل
لا حلة الشمس مما قد أحاوله ^٤	ولا نظام النجوم الزهر من عملي
وسائلين أجداً في مباحثي	خذاحديني عن الأملاك والدول [١٠١]
جيش المؤيد يقضي من خلائقه	أن الملوك له ضرب من الخول
فالفرق ^٥ بينهما في كل معلومة	كالفرق يوجد بين النقص والكمال
سل المكارم ^٦ عنه كيف تعلمه	أو لا فسّل شقرات البيض والأسل

١ انظر المسالك ١١ : ٢٢٤ - ٢٢٥ .

٢ ط : أحبي .

٣ م س : والفرق .

٤ ط د : المكاره .

أحد^١ من ذهنه في كل^٢ معضلة
واري البصيرة لا تزري الأناة^٣ به
لذلك الحلم في الاعداء قد علموا
صاحي النهى عربدت فيهم مكايده
يحيّرنا^٤ كلما حكنا مدائح
لله آذار^٥ من شهر سموت^٦ به
ما بين نور^٧ جبين^٨ منك^٩ مؤتلق^{١٠}
ونائل^{١١} أسدي^{١٢} النوء^{١٣} طوع يدي
فديت^{١٤} موسومة^{١٥} باليمن^{١٦} مد^{١٧} بها
لشمتها فرشفت^{١٨} العز^{١٩} ممتزجاً

إذا تعثر في العسالة . الذبل
ولا تعود^{٢٠} عليه آفة^{٢١} العجل
فتك^{٢٢} يسد^{٢٣} طريق^{٢٤} الأمن^{٢٥} بالوجل
فطار عنهم خمار^{٢٦} السكر^{٢٧} والثل
والصبح^{٢٨} عريان^{٢٩} مستغن^{٣٠} عن الحل
حتى لقيت^{٣١} عليه الشمس^{٣٢} في الحمل
وبين فضل^{٣٣} طباع^{٣٤} منه معتدل
يسطو على القرن^{٣٥} أو يسطو على البخل
فكان تقبيلها أسنى^{٣٦} النهى قبلي
فيه الغنى وأخذت^{٣٧} الري^{٣٨} في النهل^{٣٩}

وقال عبد الجليل أيضاً من قصيدة في المعتمد ، أولها * :

أربع [الندى] تهيم [به] وتصوب
ومغنى العلا ناوي له ونثوب^١
بحيث استقل^٢ المجد فوق سريره
وقام لسان^٣ المجد وهو خطيب
سقاك غمام^٤ مثل ودّي ضاحك^٥
كان^٦ سماء^٧ الصبح^٨ منه تدوب

١ ط م : يحيرنا ؛ د : فخيرنا ؛ المسالك . يحيرنا .

٢ ط م د س : منه .

٣ ط م د س : مرسومة .

٤ إل ها تنتهي الترجمة في ط د . وما تبقى منفرد به م س ، ولهذا سيجد القارئ أن النص

قد يجه قلقل في بعض المواضع

٥ منها أبيات في المسالك - ٢٢٤ .

٦ ما بين معقنين زيادة من المسالك .

٧ هذه هي قراءة س والمسالك ؛ وفي م : سمى .

ولا فاءَ ظلُّ العيشِ وهو مقلّصٌ^١
ولا آلَ مزوراً عليك غُدَيَّةٌ^٢
ولا انكفَ للخطيِّ حولك هزَّةٌ^٣
لقد رُقنتَ حتى قيل إنَّك رحمةٌ^٤
كأنَّك بيتٌ نادرٌ وأكفَّهم
طلعتَ كريمان الشبيبة روقة

عليكَ ولا صافيه^١ وهو مشوب
زمانٌ يُسمَّى الصفحتين طروب
وللأعوجياتِ الجيادِ ديب
وإنَّ أكفَّ الضارعينَ قلوب
خواطر أورى زندهنَّ حبيبُ
فكذَّبَ في دعوى البياض مشيب

ومنها يخاطب الريح :

أراق على عطفيه منه طلاوةً
إذا رسبتُ يوماً حُلَّاهُ فإنَّما

مدى الدهرِ ملتأحُ الجبينِ مهيبُ
سيماكُ العلا في متدالك رسوب

ومنها :

فيا أيها القصر المبارك لا تزلْ
ويا أيها الملكُ المؤيد دُمُ به
أسيمُ فيه سَرَحَ اللحظ من طَرْفِ باسل
ستظأره أمُ النجومِ تحلُّه^٦

وأنتَ جديدُ الحلتين قشيب
ليُترَعَ كوبٌ أو يثارَ عكوبُ^٥
مراد الوغى في ناظره عشب
لها كوكبٌ لا حان منه غروب

١ س : صافيه .

٢ صورة اللفظة في م : مويه ، وسقطت من س .

٣ س : حكمة .

٤ يريد بحبيب الشاعر أبا تمام .

٥ المكوب - الغبار .

٦ س . تحاله .

محيط^١ بما أحبيت من كل صورة
ومن حبك دون السموك كأنها
إلى طرر^٢ تحكي أصائل ملكه^٣
ومن مرمر أحده^٤ رونقه^٥ المها
وبحر عليه للرياحين فيئة
لئن كان مكظوماً كفيظك إنّه
أرى حور^٦ الأحداق أروونق الطلى
أجل^٧ إنما يجتاب^٨ منك بشاشة^٩
ولاً^{١٠} فمن آدابك الزهر يجتلي
كما ضاع من أهداب^{١١} ثوبك نشره^{١٢}
وكل^{١٣} هواء^{١٤} تحت ظلك سجنسج^{١٥}
إليك أشارت أعين وأنامل^{١٦}
كأنك من طبع الحياة^{١٧} مركب^{١٨}
ملك كما نهواه أمّا دلاصه^{١٩}
موفر^{٢٠} أعطاف^{٢١} السيادة لم يزل^{٢٢}
إذا ضاق في الهيجا متجر^{٢٣} سنانه^{٢٤}

ومنها :

١ المسالك : مريب .

٢ المسالك : سلكه .

٣ خشيب : صقيل كالسيف .

٤ المسالك : من كل القلوب .

تروقت^١ حتى شكّلهن^٢ قريب^٣
أفاريد^٤ روض^٥ الحزن وهو مضيب
تكاد^٦ بأنداء^٧ التضار تصوب
فأخطأ^٨ فيه اللحظ^٩ وهو مصيب
كيميناك^{١٠} مخضر^{١١} البرود^{١٢} لحوب
كمرضك^{١٣} مصقول^{١٤} الأديم^{١٥} خشيب^{١٦}
طلاه^{١٧} ففيه^{١٨} للعقول خلوب
لها جيئة^{١٩} من فوقه وذهب
فرنداً^{٢٠} له در^{٢١} عليه رطيب
وكل^{٢٢} صعيد^{٢٣} من^{٢٤} وطوك^{٢٥} طيب
ركل^{٢٦} مكان^{٢٧} في ذراك^{٢٨} خصيب
وفيك^{٢٩} أجيلت^{٣٠} السن^{٣١} وقلوب
فأنت^{٣٢} إلى كل^{٣٣} النفوس^{٣٤} حبيب
فغاو^{٣٥} ، وأمّا^{٣٦} برده^{٣٧} فمنيّب
بأفئدة^{٣٨} الأعداء^{٣٩} منه وجيب
فان^{٤٠} مناط^{٤١} السيف^{٤٢} منه رحيب

لهم حارك^١ للملك ثم^٢ حنيفه^٣
وكانوا عليه في الزمان فوارساً
وسنة^٤ مجدٍ من نعيمٍ وشدة
ليخضب^٥ منها اليوم^٦ والأفق^٧ أشيب^٨
سما كاهل^٩ منه وسال^{١٠} سيب^{١١}
علته^{١٢} وشبان^{١٣} تروق^{١٤} وشيب^{١٥}
على الدهر منها محكة^{١٦} وقطوب^{١٧}
وينصل^{١٨} ثوب^{١٩} الليل^{٢٠} وهو خضيب^{٢١}

ومنها في صفة بنية :

ثغور^{٢٢} على المجد^{٢٣} التليد^{٢٤} ضواحك^{٢٥}
ترقرق^{٢٦} عنه الملك^{٢٧} واهتز^{٢٨} عطفه^{٢٩}
مشابه^{٣٠} لا تخطي^{٣١} علاك^{٣٢} سهامها^{٣٣}
تملاً^{٣٤} أثناء^{٣٥} النداء^{٣٦} مهابة^{٣٧}
وبينك^{٣٨} عيد^{٣٩} للصيام^{٤٠} ذخرت^{٤١}
وعيد^{٤٢} عليه منك^{٤٣} رسم^{٤٤} طلاق^{٤٥}
خلعت^{٤٦} عليه من بهائك^{٤٧} حلة^{٤٨}
ونمت^{٤٩} عليه من مديحك^{٥٠} فتوحة^{٥١}
وأيد^{٥٢} إلى المجد^{٥٣} التليد^{٥٤} تصوب^{٥٥}
كما اهتز^{٥٦} غشوب^{٥٧} الفرار^{٥٨} قضيب^{٥٩}
فتهوي^{٦٠} إلى أغراضها^{٦١} فتصيب^{٦٢}
وتبسم^{٦٣} عنها الحرب^{٦٤} وهو قطوب^{٦٥}
كفيل^{٦٦} بأن^{٦٧} الله^{٦٨} عنه^{٦٩} مшиб^{٧٠}
كأوب^{٧١} حبيب^{٧٢} طال^{٧٣} منه^{٧٤} مغيب^{٧٥}
كما عصفيرت^{٧٦} فوق العروس^{٧٧} جيبوب^{٧٨}
كما مسحت^{٧٩} فوق الرياض^{٨٠} جنوب^{٨١}

١ يعني أصلح مائله ؛ وهذه قراءة محتملة لهذا الشطر لا نقتطع مصحتها .

٢ فليخطب ؛ س : فليخضب .

٣ م : مصيب .

الوزير الأديب أبو القاسم بن مرقان^١

هو أكثر القوم قولاً وإصابة ، فأنه يوفق في إصابة الأغراض ، وكلامه سهل قريب . فمما أخرجت من شعره في أصناف شتى قوله في وصف شجرة ، بحكمة الصنعة ، على صورة مدينة ، أهديت إلى المعتمد على الله بالملحدة^٢ :

مدينة في شجرة صوّرت	قامت حُماة فوق أسوارها
وما رأينا قبلها روضة	تتقد النار بنوارها ^٣
تصير الليل نهاراً إذا	ما أقبلت ترفل في نارها
كأنها بعض الأيادي التي	تحت الدجى تسري بأنوارها
من ملك معتمد ماجد	بلادُه أوطان زوارها
أكف ذات الشعر تغنى به	وشعره حل لأشعارها

وأصبح^٤ المعتمد على الله على حال راحته في القصر المبارك ، ودخل إليه

...

١ ذكره في المغرب ١ : ٢٦١ والنفع ٣ : ٢٦٤ ، ٦١٤ ، ٤ : ١٢٤ وبدائع البدائ : ١١٤ ، ٣٦٦ وانظر قصة له فيما تقدم ص : ٤٧٦ - ٤٧٧ وهذه الترجمة لا تفي بما وعد به ابن يسام من نواته ، ولعلها زيدت من بعده ، وقد سقطت من ط د .

٢ الأبيات في المغرب والنفع ٤ : ١٢٤ ما عدا الأخير .
٣ هذه هي القراءة في المغرب والنفع ؛ وأما في م فقد تقرأ « بفوادها » وفي س : بموادها ، وهو غير منسجم مع القافية .

٤ المغرب : تضحك .

٥ المغرب : أصبحت .

٦ انظر النفع ٣ : ٦١٤ وبدائع البدائ : ١١٤ .

الرشيد ابنه ، فتبادل الأنس معه ، ثم أمر بإحضار من جرت عادته بمشاهدة المجلس الكريم من الأصحاب ، فحضرُوا ، فقال لهم المعتمد بعد كلام حذفناه للاختصار طلباً للمعنى : قلت البارحة بيتَ شعر وهو :

بعثنا بالغزالِ إلى الغزالِ وبالشمسِ المنيرة للهِلالِ^١

وذلك أنَّ المعتمد على الله قد أمر بصناعة غزالين من ذهب ، فصنعا معاً من سبعمائة مثقال خالصة ، فأهدى أحدهما إلى الرشيد ابنه ، والآخر إلى السيدة العروس بنت ابن مجاهد ، فقال في ذلك البيت المذكور ، وأحب أن يُذَيَّلَ ، فذيل هذا البيت ممن حضر هذا المجلس ذلك اليوم ومن لم يحضره ، منهم أبو القاسم ابن مرزقان ، وأصاب الغرض ، فقال :

بعثنا بالغزالِ إلى الغزالِ وبالشمسِ المنيرة للهِلالِ
فلما سَكَنِي أَسْكَنُهُ فَوَادِي وَذَا نَجَلِي أَقْلَدُهُ الْمَعَالِي
شَغَلْتُ بِذَا وَذَا خَلَدِي وَنَفْسِي وَلَكِنِّي بِذَاكَ رَخِي بِالِ
زَفَفْتُ إِلَى يَدَيْهِ زَمَامَ مَلِكٍ مَحَلِّي بِالصَّوَارِمِ وَالْعَوَالِي
فَقَامَ يُقَرِّ عَيْنِي فِي مَضَامٍ وَيَسْلُكُ مَسْلَكِي فِي كُلِّ حَالِ
فَدَمَّنَا لِلْعَلَامِ وَدَامَ فِينَا فَأَنَا لِلْكَفَاحِ^٢ وَلِلتَّرَالِ

ورفع أبو القاسم ابن مرزقان قطعة شعر في ذلك أيضاً وهي :

عاطني القهوةَ مثلَ الجَلْتَارِ حَمَلَتْهَا أَكْؤُسٌ مِثْلُ الْبَهَارِ

١ النفع والبدايع : وللشمس . . . بالهِلالِ .

٢ النفع والبدايع : للسماح .

وأدْرِها بين زَهْرٍ عَبِيقٍ
 ملكٌ إن قلتُ مَنْ رَبُّ العِلا
 نَحْمِيْ ما جَدُّ معتمدٌ
 ما دجا ليلٌ على آمِلِهِ
 بين كَفَّيْهِ وفي نادِيَةِ
 عَجَبِيْ مِنْها وهذا أسدٌ
 أُنِستَ مِنْها مُرْسَلَةٌ
 ولها عدَّةٌ إلى غُرَّتِها
 في قُدودٍ^٢ تنهادى وبها
 لا عدتُ موضعَ لَهْوٍ وددٍ
 واسقني ودَّ كَبِيرٍ بكبار
 فإليه كلُّ مخلوقٍ أشار
 كلَّ عَسِرٍ حينَ تَلقاهُ^١ يسار
 كلُّ ليلٍ بأياديه نهار
 ظبيةٌ ريقَها صِرْفُ العِقاد
 كيف لا تُبْعَدُ عنه بنفار
 باتصالِ الوصلِ مِنْ أشرف دار
 أنهم قد صوروها من نضار
 سترى في حَرَمٍ ذاتِ الفقار
 فلقد تنهَضُ في خيرِ سفار^٣

١ م س . تلقاهم .

٢ م س . خدود .

٣ س : سفار .

فهرس المحتويات

٥	مقدمة التحقيق
١١	فصل في ذكر الأعيان المشاهير بحضرة لإشبيلية
١٣	فصل في ذكر أبي القاسم محمد بن عباد
٢٣	فصل في ذكر المعتضد بالله عباد بن أبي القاسم
٢٩	جملة من أشعاره
٣٣	جملة من حروبه مع المظفر وغيره
٤١	فصل في ذكر المعتمد على الله محمد بن عباد
٤٣	جملة من شعره في النسب
٤٦	مقطوعاته السلطانية
٤٩	ذكر الخبر عن حديثه بمالقه وانصرافه مغلولاً
٥١	[شعره في الدفاع عن ابن زيدون]
٥٢	[شعره بعد تضعضع بنيانه]
٥٤	[استطراد بذكر أبي دلالة]
٥٦	رجع إلى شعر المعتمد
٦١	[نقل المؤلف عن نظم السلوك لابن البانة]
٦٧	عود إلى شعر المعتمد
٧٧	مما قيل فيه بعد خلعه
٨١	باب يشتمل على طائفة من الوزراء والأعيان بدولة بني عباد
٨١	فصل في ذكر الفقيه أبي حفص عمر بن الحسن الهوزني

٨٩	من شعره يحض على الجهاد
٩٤	فصل في ذكر القاضي أبي الوليد الباجي
٩٨	أشعاره في أوصاف شتى
١٠٥	الوزير أبو عامر بن مسلمة
١٠٦	جملة من شعره
١١٢	الوزير أبو الوليد محمد بن عبد العزيز المعلم
١١٣	فصول له من مقامة
١١٨	[رقعة له عن المعتضد]
١٢٠	جملة من شعره
١٢٤	الأديب أبو الوليد اسماعيل بن محمد الملقب بحبيب
١٢٥	فصل من نثره
١٢٧	[رسالة ابن برد في تفضيل الورد]
١٣٠	رسالة حبيب في مناقضتها
١٣٢	من شعر أبي الوليد
١٣٥	الأديب أبو جعفر أحمد بن الأبار
١٣٥	شعره في أوصاف شتى
١٣٦	[استطراد بأشعار الحب العفيف]
١٤١	[أشعار في العفاف للأندلسيين]
١٤٤	[أشعار في الحب الماجن]
١٥٠	ومن مجون ابن الأبار
١٥١	[استطراد متفرع عنه]
١٥٥	سائر أشعار ابن الأبار
١٥٧	من قصائده الطويلة في المدح

- ١٥٨ الأديب أبو الحسن علي بن حصن الاشبيلي
١٦٠ جملة من أشعاره
١٦٦ من قصائده المطولة في المدح
١٦٨ [استطراد بالأشعار في الحرباء]
١٧٠ [عود إلى شعر ابن حصن]
١٨٦ الوزير الكاتب أبو عمر بن الباجي
١٨٧ جملة من رسائله
١٩٧ جملة من شعره
٢٠٠ في ذكر الأديب أبي الحسن ابن الاستنجي
٢٠٢ [أشعار له ولعاصريه في المعتضد]
فصل يشتمل على مقطوعات أبيات لجماعة كانوا بعصر المعتضد
٢٠٦ مأخوذة من كتاب الحديقة لابن مسامة
٢٠٦ أبو الأصبغ ابن عبد العزيز
٢٠٩ أبو الأصبغ ابن سعيد
٢١٠ أبو إسحاق ابن خيرة الصباغ
٢١٢ أبو بكر ابن نصر الإشبيلي
٢١٢ محمد بن ديسم الإشبيلي
٢١٣ أحمد بن محمد البلخي الإشبيلي
٢١٥ أبو بكر ابن القوطية
٢١٨ الوزير أبو العلاء زهر بن عبد الملك بن زهر الأيادي
٢١٩ محمد بن مروان بن زهر
٢١٩ عبد الملك بن محمد بن مروان
٢٢٠ أبو العلاء بن زهر

- ٢٢١ جملة من مقطوعاته الاخوانيات
- ٢٢٣ [استطراد في الالتفات]
- ٢٢٧ [بين ابن زهر والمعمد]
- ٢٢٨ [بين ابن زهر وابن عبدون]
- ٢٢٩ شعره في النسب
- ٢٣٢ الوزير الفقيه أبو عبيد البكري
- ٢٣٣ فصل في أخبار البكرين
- ٢٣٥ [فصل في نثر أبي عبيد]
- ٢٣٧ [جملة من شعره]
- ٢٣٩ في ذكر ذي الوزارتين أبي بكر ابن القصيرة
- ٢٤١ جملة من إنشاءاته السلطانيات
- ٢٤٤ [أشعار في يوم الزلافة]
- ٢٤٨ [شيء عن ملوك الطوائف واستخذائهم لاذفونش]
- ٢٥٠ [التخييل والإيهام في الشعر]
- ٢٥٢ [رقاع تصوّر مدى استخذاء ملوك الطوائف]
- ٢٥٧ فصول من ترسيل ابن القصيرة
- ٢٦٨ ذكر الخبر عن قرطبة بين ابن ذي النون والمعمد
- ٢٧٣ [عود إلى رسائل ابن القصيرة]
- ٢٨٥ الوزير الفقيه أبو القاسم ابن الجحد
- ٢٨٦ جملة من رسائله
- ٣١٤ من رسائله في التعزيات
- ٣١٨ جملة من شعره
- ٣٢٣ فصل في ذكر ذي الوزارتين أبي القاسم ابن عبد الغفور

٣٢٥	في ذكر الكاتب أبي محمد عبد الغفور
٣٢٦	فصول من كلامه
٣٤٧	[رسالة أبي الحسين ابن سراج في الزرير]
٣٤٧	[رسالة أبي القاسم ابن الجدي في الموضوع نفسه]
٣٥١	[رسائل أبي محمد عبد الغفور]
٣٦٨	ذو الوزارتين أبو بكر ابن عمار
٣٨٨	شعره في النسب
٣٩٣	من مقطوعاته الاخوانيات
٤٠٥	تلخيص التعريف بآخر أمره
٤١٩	نظمه مدة اعتقاله
٤٢٨	[قصة الاعتقال والقتل]
٤٣٢	[ومن مقاله أثناء اعتقاله]
٤٣٣	الوزير الكاتب أبو الوليد حسان بن المصيصي
٤٣٥	جملة من شعره في المدح
٤٤٠	[استطراد بذكر حسان بن ثابت]
٤٤٦	[خبر الطماح وامرئ القيس]
٤٤٩	[رجع إلى شعر حسان]
٤٥٢	الوزير الفقيه أبو بكر ابن الملح
٤٥٤	من قصائد ابن الملح المطولات
٤٦٥	[استطراد في أوصاف الخيل]
٤٧٠	بقية ملح ابن الملح
٤٧١	من شعره في الأوصاف
٤٧٣	الأديب أبو محمد عبد الجليل بن وهبون المرسي

٤٧٨	شعره في الرثاء والتأين
٤٨٠	[أشعار فلسفية]
٤٨٣	عود إلى قصيدة عبد الجليل
٤٨٩	[استطراد في الرثاء]
٤٩١	من شعر عبد الجليل في المدح
٥٠٦	[استطراد في وصف الأسطول]
٥٠٨	[عود إلى شعر عبد الجليل]
٥١٣	[استطراد بذكر المعاقدة]
٥١٥	[عود إلى شعر عبد الجليل]
٥٢٠	الوزير الأديب أبو القاسم ابن مرزقان

الذخيرة في محاسن أهل الجيرة

تأليف

أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (٥٤٢)

تحقيق
الدكتور إحسان عباس

دار الثقافة
بيروت - لبنان

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة

٢ *

١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي بكر محمد بن ذي الوزارتين المشرف أبي مروان بن عبد العزيز^١ وإثبات جملة من نظمه وثره

وبنو عبد العزيز يعرفون ببني المرخي^٢ . نسبهم في لحم . وهم جملة
فضل . وببنة^٣ نبل . وعلم وفهم . وفيهم يقول الوزير أبو محمد بن عبدون

-
- ١ هو محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز بن محمد بن الحسين بن كميل اللخمي الاشبيلي المعروف بابن
المرخي أخذ عن أبي الوليد العتبي وأبي عبيد البكري وأبي الحسين ابن سراج وأبي علي الغساني
وسكن قرطبة . واختص بأمرها المراهطي محمد بن الحاج داود الممتوني . فلما توفي يوسف
ابن تاشفين سنة ٥٠٠ رفض ابن الحاج أن يبايع علي بن يوسف وانحاز له الملائمة من أهل قرطبة،
ثم إن ابن الحاج نكب وفسد تدبيره . فهرب أبو بكر ابن المرخي إلى شرق الأندلس، حتى إذا
رضي أمير المسلمين علي ابن الحاج عاد ابن المرخي إلى صحبته عندما ولي فاس وغيرها من
أعمال المغرب ثم سرقسطة وبلنسية عندما وليهما . وظل في صحبته حتى قتل سنة ٥٠٨
بمعركة البورت (ومعناها الباب) . وبأخرة من عمره ، جلس يقرئ الناس الكتب الأدبية،
وكان مقرباً إلى الممتونيين . يستفح به الناس لحسن وساطته لديهم . وكان محدثاً متقناً ضابطاً
حسن الخط . واستكتبه علي بن يوسف مع أبي عبد الله بن أبي الخصال . وروى عنه ابنه الوزير
أبو الحكم وغيره . وتوفي سنة ٥٣٦ وقال العماد سنة ٥٤٠ ودفن بمقبرة أم سلمة وشهد جنازته
والي قرطبة الزبير بن عمر الممتوني . (انظر المغرب ١ : ٣٠٧ والصلة : ٥٥٥ والذيل والتكملة
٦ : ٥٤٠ ومجمع الصديقي ١٣٢ والخريدة ٣ : ٤٣٣ والسفينة رقم : ٢٠١ والمطرب :
٢٠٨ والقلائد ١٦٣ والنفيح ٣ : ٤٥٨ . ولا بد من التفرقة بين بني عبد العزيز
هؤلاء وبني عبد العزيز الذي كانوا ببلنسية وكانوا خصوصاً لابن عمار ومنهم أيضاً أبو بكر ابن
عبد العزيز وقد ترجم له ابن بسام في القسم الثالث : ٤٠ وكانت وفاته سنة ٤٥٦) .
- ٢ قال ابن دحية (المطرب : ٢٠٨) صوابه عند أهل النحو يفتح الحاء . وقواه هذا يومئذ
إلى أنه كان ينطق بكسرهما « المرخي » عند العمة .
- ٣ د : ومنبت ؛ ط : وثبته (اقرأ : وببنة) .

من جملة أبيات خاطبهم بها بقرطبة^١ :

بني عبد العزيز لئن سلوتم^٢ فما أنا عن علائكم^٣ بسال
وما عهدي بناسٍ أيّ ناسٍ تواصلوا بالكارم والمعال
ولإثارٍ الغريب على سواه وإن لم يثّر^٣ من جاهٍ ومال
بحورٍ بلاغةٍ ونجومٍ عزٍّ وأطواد^٤ رواسٍ من جلال
سلامٍ يملأ^٥ المدّوين طيباً على تلك السجايا والكمال
فكم كافور أيامٍ خلطنا . ولم نظلم^٥ بمسكٍ من ليال

ومن جواب أبي بكر له :

أمالكَ رِقٍّ أبكارٍ المعاني وربّ السَّبْقِ في يوم الرهان
وفائتَ كلَّ منطقٍ بليغٍ بطولِ الباع واليد واللسان
بدأتَ وكان منك الفضلُ عوداً فمن عذراء تُردّفُ بالعَوَان
فجاء الشعرُ متسقاً حُداهُ كما اتسقت حُلَى السيفِ اليماني
تقاصرَ دونك البلاغُ حظاً كما قصّرَ السماعُ عن^٦ العيان
لئن أهدتُ بدائع كلِّ حسنٍ فمهدبها غريبٌ في الزمان
غريب سيادةٍ غربيُّ أفقٍ وقد عرّضتُ إليه المشرقان^٥ [١٠١ب]

١ م س . من قرطبة .

٢ م س : علائكم : ط : علائكم .

٣ م س : يوثّر .

٤ م س : عل .

٥ د : له بالمشرقان : ط . له المشرقان .

وأبو بكر في وقتنا هذا مهبط صَبَا البراعة وجَنُوبِهَا . ومنتهى بعيدِ
هذه الصناعة وقربِهَا . وكان جدُّه^١ صَدَرَ الفتنَة الناشئة في آخر دولة بني
عامر قد انزوى بضِيعَة له بمدينة شذونة^٢ أحدِ أقاليم القطر الغربي من الأندلس
حيث ظنَّ أنه يخفى على الدليل مناره^٣ . وتلفَّع برمامِ الخمول ناره ، وتأبى
الزَّهْرَة إلا مروفاً من الكمامة ، والشمسُ إلا شروفاً تحت الغمامة . فاهتدى
له أحدُ أمراءِ البرابرة^٤ المتغلبِ — كان يومئذٍ — على مدينة قرمونة وذواتها
من أقطار الجزيرة . فاستخلصه لنفسه . وغلب عليه أهلَ جنسه . فلم يزل
يقتدحُ بزنده . ويُلقي إليه بمقاليد حَلَّةٍ وعَقْدَةٍ^٥ . ونشأ ابنه أبو مروان
المذكور في حِجْرِ دولتهم . فحمى حماها ، ودارتْ عليه رحاها ، إلى أن
انتحاهَا من قَدَرِ الله تعالى على يدي عبَّادٍ^٦ ما انتحاهَا . فلم يجدْ أبو مروان
بُدْأً من لزوم طاعته ، والدخول في جماعته . فأقام باشيلية بقيَّة أيامِ المعتضد
وصدراً من دولة المعتمد . يتبرَّضُ جميعها . ويتزوَّدُ نسيمها ، إلى أن أنشأ
المعتمد لابنه الفتح دولته بقرطبة — حسبما نوميء^٧ إلى خبرها بالشرح —

١ يعني عبد العزيز بن محمد .

٢ تذكر المصادر أن أبا بكر بن عبد العزيز شراني الأصل أي من قرية شرانة إحدى قرى شريش
بولاية شذونة .

٣ م س : أحد من البرابر .

٤ فلم يزل . . . وعقدته : سقط من م س .

٥ أبو : سقطت من م .

٦ استولى عباد على قرمونة سنة ٤٥٩ هـ من يد المستظهر عزيز بن محمد البرزالي (ابن عذاري ٣ :

٣١٢) وفي م : على يد ابن عباد .

٧ م س : سنوميء .

فانتقى لها^١ من حَمَلَةِ السِوْفِ والأَقْلَامِ . مَنْ وَقَعَ عَلَيْهِ ظَنُّهُ^٢ من الأعيان والأعلام ، فكان أبو مروان عَظَمَ بُرْدُهَا ، ووسطى عَقْدُهَا ، ومالكَ زَمَامَتِي عَقَوِيهَا وجهدها .

ونشأ ابنه أبو بكر هذا في حجرها . وبين سِمَاكها ونَسَرها . طِفْلٌ دَقَعَ في صَدْرِ الكَهُولِ . وَغَيْرُ بَهَرٍ أَلْبَابَ ذَوِي التَّجَرِبَةِ والتَّحْصِيلِ . وبخل المأمونُ به بُخْلُ الحَاظِمِ بِسَرِهِ . وَشَدَّ عَلَيْهِ شَدَّ يَدِ الضَّئِينِ^٣ عَلَى وَفَرِهِ . فلما انقضت تلك الدولة . أَخْلَدَ إلى العُطْلَةِ . وَتَمَيَّزَ من الجُمْلَةِ . متلفعاً بالحياء . مستحسلاً للوفاء . وقد لحظته اليومَ هذه الدولة^٤ في وقتنا . فأخذ من حَبْلِهَا بِطَرَفٍ . وتولَّى من ظِلِّهَا إلى كَتَفٍ . ولم يحضرني وقتُ تحريري هذه النسخة من نظمه الفائقة دُرَرُهُ . ولا من نثره الرائقة أحجاليه وغرره . لما أُجريت من ذكره ، إلا ما لا يكاد يفي بقدره ، وفيما أثبتُّ من ذلك دليلٌ وبرهان يريك الفرق بينه وبين سواه ، إن شاء الله .

جملة ما وقع إلي من نثره

مع ما ينخرط في سلك ذلك من شعره

كنت بحضرة قرطبة أوَّلَ سَفَرِي إليها سنه أربع وتسعين . فدخل عندي هلال بن الأديب . وقرع سمعي من شعر أبي بكر هذا بكلِّ حَسَنِ غريب .

١ م س : فانتقله .

٢ م س : البطش .

٣ تلك الدولة . . . الدولة : سقط من م س .

٤ م س : إلى وقت .

فكُتبت معه رقعةٌ أخطبُ فيها ودّه . وأستجلبُ ما عنده ، أقول في فصل منها :

كلّ يبلّغُ^١ - أعزّك الله - من حسناتِ نبلِك وفضلِك . ومعلّواتِ
حسبك ونسبك . ما يُحدِثُ إليك طرباً في الموثان . فضلاً عن الحيوان .
وما زلتُ أسمعُ فأتطلّع . وأستشعرُ فأسْتبصرُ . وأحنُّ إلى مفاتحةِ الخطاب .
وقلّما يقعُ إلّاّ بأسباب . إذ الدخولُ لا يكونُ إلّا على باب . وعندهم -
على علمك - أنّ الهجومَ عليه . دون سببٍ يدعو إليه . نوعٌ من الخفاء . وضربٌ
من مفارقةِ الحياء . ولا يستجيزُهُ إلّا مَنْ كان عن الأدبِ بمغزل . وللأمورِ
غيرَ محصّل . ومع هذا فإنّ الزمانَ شأنُهُ البخلُ إذا استعطي . والمطلُّ إذا
اقتضي . وربّ مرغوبٍ فيه لا يَنْفُقُ . ومجروصٍ عليه^٢ قد سُدَّتْ
دونه الطرق . ومذ^٣ دخلتُ الحضرة . في هذه السفرة . تحدثتُ بلقائِك .
لأكتبَ اسمي في ديوان أوليائِك . فارتقتُ ذلك ارتقابَ الصائمِ للهِلال .
إلى أن كُتبتُ هذه الأحرفَ مع صديقنا أبي الحسنِ الفاضلِ دلال . فلك الفضلُ
بما لك من شرفٍ خيّم . ومحتدٍ كريم . في الغضِّ على ما تراه من زيوف .
والمراجعة إن تأتتْ^٤ عنها ولو بقليلِ حروف . فهذا الخطاب . الذي قرعت
به هذا الباب من مواصلتك . وجعلته سلباً إلى مخاطبتك . أسَّ يقومُ^٥ عليه

١ م : يبلّغه .

٢ عليه دون سبب ومجروص عليه : سقط من م س .

٣ م س . وقد .

٤ تأتت : سقطت من م .

٥ م س : أمر سيقوم .

بنيان". و غرس "ستلتف فوقه أفنان، وهمس" سيكون بعده إعلان. ثم ختمت
الرقعة بهذه الأبيات^١ :

أبا بكر المجتبي للأدب	رفيع العماد قريع الحسب
أيلحن فيك الزمان الخوون	ويُعربُ عنك لسانُ العرب [١٠٢]
وتعدل في الفهم ^٢ بالحاضرين	لديهم وما النبع مثل الغرب
أراك بعين أراهم بها	إذا فأرى الدر كالمخشب
لقد كان جيل ^٣ الوري أدهماً	بقرطبة عجمها والعرب
إلى أن تبسم عنك الزمان	فأسفر عن واضح ذي شنب
فجئت كما شئت ذا مقبول	يفلل حداه بضر القضب
فوا حزناً لزناده كباً ^٤	وروض ذوى وزلال نضب
وما كان جيلك هذا الأنام	ولا لك في أفقيهم من أرب
وطبعتك ^٥ ينفث عن لؤلؤ	تنظمه في نحور الكتب
فأين العميد ^٦ وعبد الحميد	وما حويا من خطير الخطب
وأين البديع وشمس المعالي	بديعك مداه عليهم طنب
ولما سمعت هلالاً يعيد	قوافي لؤلؤك المنتخب

١ انظر نفع الطيب ٣ - ٥٨٠ :

٢ د ط : وتقدم ربهم .

٣ م س : حبل .

٤ ط : أعجم لا عرب - م س : عجم لا عرب .

٥ ط : كتب ؛ س : كبت .

٦ م س : فطبعك .

٧ ط د : الحميد .

شَقَعْتُ بِهَا لَوْ وَقَتَ ذِمِّي بَوَاجِبِهَا إِذْ عَلَيْهَا وَجَبُ
 وَخَامِرُنِي حَبًّا سَمِعِي لَهَا كَأَنِّي خَلَدْتُ بَيْنَ الْعُغْبِ
 فَقُلْتُ جَرِيرٌ يَجِيدُ الْقَرِيضَ وَالْآنَ جَادَ بِحُوكِ الْخُطْبِ
 وَقَرْطَبَةٌ بُدِّلَتْ بِالْعِرَاقِ أُمِّ الْأَرْضِ تُحْمَلُنَا مِنْ كَثْبِ
 فَجَنَّتْكَ خَاطِبَةً وَدٌ فَلَاحَ تَرَدُّ أَبَا بَكْرٍ مِنْ قَدِ خُطْبِ
 وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَفْقُنَا وَاحِدًا فَيَنْظِمُنَا شَمْلُ هَذَا الْأَدَبِ

فراجعني أبو بكر برقة^١ قال فيها^٢ : وَقَفْتُ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - مِنْ كِتَابِكَ
 الْكَرِيمِ . الْمُضْمَنُ^٣ مِنَ الْبَرِّ الْعَمِيمِ . مَا أَيْسَرُهُ يُثْقِلُ الظَّهْرَ . وَيَسْتَنْفِدُ
 الشُّكْرَ . وَيَسْتَعْبِدُ الْحَرَّ . وَرَأَيْتُكَ - رَأَيْتَ أَمْلَكَ - تَخْطُبُ مِنْ مَوَدَّقِي مَا لَيْسَ
 بِكَفٍّ لِحُطْبَتِكَ . وَلَا بَأْزَاءَ جَلَالَةٍ رَتْبِكَ^٤ . لَكِنَّهُ فَضْلٌ مَلَكَتْ زَمَامَهُ .
 وَأَعْظَمْتَ مِقْوَدَةً وَخُطَامَهُ . وَلَا شَكَّ أَنَّ صَدِيقَنَا أَبَا الْحَسَنِ - أَعَزَّكَ
 اللَّهُ - أَنْطَقَهُ هَوَاهُ . وَنَامَتْ عَنِ الْخَبْرَةِ^٥ عَيْنُ رِضَاهُ . فَسَمَاعٌ بِالْمَعْيَدِي لَا
 أَنْ تَرَاهُ . وَلِعَمْرِي لَقَدْ أَخْثَرْتُ الْجَوَابَ فَرَقًا مِنْ كَشْفِ السَّرِّ ، وَإِرَادَةَ
 التَّمَادِي^٦ فِي تَدْلِيسِ الْأَمْرِ . ثُمَّ عَلِمْتُ أَنَّ فَضْلًا وَضِيعَ فِي يَدَيْكَ^٧ ، وَقُصِيرَ

١ د . مصممة . واستغضت اللفظة من م : وفي س : رقعة .

٢ ورد بمصه في المغرب ١ : ٣٠٨ .

٣ المغرب . المهدي .

٤ المغرب : ولا بأزاء رتبته .

٥ م . عن الخبر .

عليك ، يوسعي في النقد طَوَلًا ، كما شرفني^١ في البدء قَوَلًا . وعند
اللقاء أنهي عذري ، وأعرفك حقيقة قدري . إن شاء الله .

ثم أتبع النثر بهذا النظم :

أمحني معاهدَ رَسَمِ الأدبِ	ومبقي مشاهدَ فخرِ العربِ
ومن نَظَمِ الفَضْلِ نَظَمِ الجمانِ	ومن سَبَكَ الشعرَ سَبَكَ الذهبِ
بدأتَ فلبيكَ منْ خاطبِ	وأين الكفيُّ له إنْ خطبِ
أُتَحْتَلُّ يا بدرُ في أفقينا	ولما تحييكَ ^٢ زُهرُ الشهبِ
ويهترُ نصلك في غمدهمُ	ولما تُحَجِّبَكَ بيضُ القضبِ
فَمِنْ تلكَ جلاَّسِكَ الواصلون	وَمِنْ هذه لك غيلُ أشبِ
تناءتْ عَلَيْنَا مساعي العلا	ورُقِيَّتْ منها قصيُّ الرتبِ
لك الفضلُ حرَّكتني للنهوضِ	نحوك ^٣ وهو بعيدُ الطلبِ
وَحُدِّثْتَ عَنِّي وهذا الحديثُ	يدخلُهُ صِدْقُهُ والكذبِ
فمَعذرةٌ إنْ بعضَ المقالِ	محضٌ وأكثَرُهُ مُؤْتَشَبِ
برئتُ إليك من الزائِفَيْنِ	نظمِ القريضِ ونثرِ الخطبِ
وعمدًا تأخَّرَ عنك الجوابُ	أنْ لم يكن قاضيًا ما يجبِ
تعرضتُ شأوك يومَ الجزاءِ	فإذ لم أَجِبْ نَهَجَهُ ^٤ لم أَجِبِ
وأقدمني العذرُ والإعترافُ	فجاءتك تسجدُ أو تقربِ

١ م : شرفني .

٢ كذا وصوابه « تحيك » .

٣ م : بجوك .

٤ ط د : المآل .

٥ ط : بهجة .

ولولا الحياءُ لقد كنتُ قبلُ
لأبقيتَ ذكري بما صُفِّتَهُ
قوافٍ تعطلُ في وزنها
وإن تكُ أحمدَ هذا الزمانِ
أرغبُ من سيدي ما رغب [١٠٢ب]
بخطُ على صفحات الكتب
« قرأتُ الكتابَ أبرَّ الكتبِ »^١
فأين عليّ لنا أو حلب

وقال يخاطب الوزير^٢ أبا محمد بن عبدون معذراً من تخلفه عن تشييعه^٣ :

في ذمّةِ الفضلِ^٤ والعلواءِ مرتحلُ
ضاءتْ به برهةً أرجاءُ قرطبةِ
يا قاطعاً أملاً قد كان واصلهُ
عذراً إلى المجد عني حينَ فارقي
قد كنتُ أصحبتهُ قلبي فأقعدني
صُبَّ أيها القطرُ موروداً شرائعه
إني لأحمدُ هذا الطرسَ تلمسه
والشمسُ تحسدُ والخضراءُ موضعها
لا زعزعتك الليالي النكدُ يا جبلاً
فارقتَ صبري إذ فارقتَ موضعه
ثم استقلَّ فسدَّ البينُ مطلعهُ
ونائراً جدلاً قد كان جمعه
ذاك الجلالُ وأعيانُ أشيعةِ
ما كان أوْدَعَهُ عن أنْ أوْدَعَهُ
فقد ظمئتُ وعمَّ الريُّ موقعهُ
كفّاه أو تجتلي عيناهُ مودعه
للفضلِ تعرفُ في الغبراءِ موضعه
لم ترنُجُ غيرُ الليالي أنْ ترزعه

وله فصل^٥ من رقعة شفاعة : أحسنُ الصلّةِ - أعزّك الله - بينُ الأخوان

١ صدر بيت المتنبي ٥ ديوانه : ٤٣١ وعجزه : « فسمماً لأمر أمير العرب » .

٢ الوزير : سقطت من م س .

٣ القلائد : ١٦٤ والخريدة ٣ : ٤٣٣ والمطرب : ٢٠٨

٤ في المصدر : المجد .

٥ ط د : في فصل .

٦ ط م : حسن الصلّة . . . بين .

ما كان الفضل موجبها ، والمجد مسببها . وطيب الخبر منشيها وحسن
 الثناء مهبطها ومطهرها ^١ : والوزير أبو فلان — أبقاه الله — ممن يفتن في
 شكرك فيسحر السامع . ويوقع ذكرك في القلوب أكرم المواقع . حتى
 يستميل إلى مودتك النفوس فتتقاد سمحة القياد . ويهتف بالثناء عليك في
 المحافل فلا يخاف المعارضة والعناد . وكان له من رأيك الجليل في سالف
 المدة ^٢ . أشرف ذخيرة وعدة . فلما ملكك الفضل أزمت النقص والإمرار .
 ورثبك في ديوان الإيراد والإصدار . علم ^٣ أنه لا يسقط نجمه مع علو نجمك .
 ولا تلدغه عقارب الدهر وهو يرقبها باسمك . وأنت — دام عزك — تسمه
 بمسمى إيجابك ^٤ . وتقيده بالإحسان في جنابك . وتطيع الكرم في رعاية
 نزاعه . ومحافظه تأمليه وانقطاعه . ومهما تعتمد به من مبرة . وتُسديه
 إليه من عادة مستمرة . فلما تسقي غرسك . وتبني أسك .

وله من أخرى : أما الود — أعزك الله — فمقيم . والعهد كريم . والإخاء
 غييم لا يريم : لكنني أخبرك عن حال مختلة . ونفس معتلة . وشغل
 بك قد ضيق الصدر . وأظلم منير الفكر . بما وقفت عليه من كتابك .
 واستطلعت من خطابك . فتجرت الكمد — علم الله — مر المذاق ^٥ ،
 وشربت من كأسه المترع الدهاق . وعلمت أنه جنس ذليل . ورهط مخدول

١ م : منشأها . . . وسطرها .

٢ م س : المودة .

٣ م : علم لنا .

٤ م : إلخافك ؛ س : إلخاف ؛ ط د : إلخائك .

٥ م : الدر (لعلها : الود) .

٦ م : من المراق .

وحزبٌ مفلولٌ" بل مقتول ، حيث لا ناصرَ فَيُسْتَصْرَخُ . ولا فَحْشَمَ
لِقَتَيْنِ فَيُنْفَخُ . ولا وَزَرَ إِلَّا الْعَبْرَاتُ تُسْتَنْجَدُ ، والزفراتُ^١ تستحثُّ
فتوقد . وقلَّ غناءٌ عنك دمعٌ تجريه ، أو حزنٌ تبديه ، أو صديقٌ^٢ لا يملكُ
إلا التفجعُ . ولا يستطيع إلا التلهُّفُ والتوجُّعُ ، لكنه في الشرِّ خيارٌ ، وفي
الأرض قرارٌ . وفي الناس متجعُّ ومزْدَارٌ . وإلى الله انقطاعٌ وفرارٌ ؛
وصاحبُ الشرعِ عليه السلام قال^٣ : « لا تُلْثُوا بدارِ معجِزةٍ »^٤ ؛ وقال
الأول : « وإذا نبا بك منزلٌ فتحوَّلِ »^٥ ؛ وأنت — ولا عتب — تقيم بذلك^٦
الإقليم . مقامَ عَمِيرِ الحَيِّ والوَتِيدِ^٧ . ولا تتعوَّضُ منه ببلد . ولا من أهله^٨
بأخذ ، حتى كأنك إنما تُشْفِقُ من خرابِ عامرٍ ضَيْعِكَ . ودروسِ جديدي
أرْبُعِكَ . ومعذرةٌ إليك من هذا الجفاء . فما يبعثُ إليه إِلَّا حَنَقٌ يقوده
شَفَقٌ . وقلقٌ تذكيه حُرْقٌ . [١٠٣ أ] وقد عرضتُ على عِدَّةٍ من إخواننا
— أعزَّهم الله — شَخْصَ كتابك . فكلَّهْمُ نَأَلَمَ بمصائبك^٩ . وتوجَّعَ

١ م س : وزفرات .

٢ م : صديق ؛ س : صديق .

٣ م س : يقول .

٤ في النسخ : تلبَّثوا . . . م : المعجزة ؛ وفي اللسان (عجز) أنه من حديث عمر . ومعناه
لا تقيموا ببلدة تمجزون فيها عن الاكتساب والعيش . (والمعجزة بفتح الجيم وكسر ها) .

٥ التمثيل والمحاضرة : ٤٠٠

٦ ط د : ذلك .

٧ يريد مقام ذل . مشيراً إلى قول الشاعر :

ولا يقيم على صميم يواد به إلا الأذلان غير الحي والوتد
٨ ط د : أجله .

٩ م : لمصائبك .

لأوصابك . وارتفض لعثرة الأحرار التي لا تقال . ودولة الذلّ التي لا تذال^١ ،
جبر الله الكسر ، وحكم على الدهر . وكشف الضرّ . ورزق فيما بقي
حُسْنَ التسليم والصبر .

قال ابن بسّام : وإنما امتنع أبو بكر في هذا الجواب على خطاب كان
شرح له فيه الأديب أبو جعفر الكفيف^٢ محنته مع مقاتل . غلام كان لابن
مطري أولاً^٣ . ثم لابن^٤ الأفطس . لتنازع وقع بينهما على بيت شعر ظهر
عليه فيه أبو جعفر . فحمد ذلك له . فبينما هو ماشياً فارغ القلب . آمنَ
السَّرب . إذ اعترضه مقاتل^٥ في الطريق ، على مقربة من السوق . على هملاجه .
بين طوقيه وتاجه . فجرى شَوْطُهُ . وأخرج شَوْطُهُ ، الذي كان يحث به
فرسه . وأمر سائسه^٦ بحبس يديه . وانحنى به عليه . قائلاً : لم تعرضتَ
بَطْنَشِي . ولم تخفَ سطوتي ؟ ! فلا النعمان بن بشير يوم الأخطل . ولا
الزبرقان بن بدر في مسألة جرّول . ولا المأمون يسطو بدعبل . وتالله لو كان
مقاتل^٧ كليب وائل . أو قيس بن عاصم . أو مُعَرِّقاً في بني هاشم . لثنى
من عنانه . وقصّرَ من يده ولسانه . فكيف وهو مقسومُ الولاء . معدوم
الآباء ! ! وإنما أقدره يومئذ الكبير . وأبطره الوفر . بعد الكُدَيْتَةِ في
الرفاق^٨ . والقَصَصِ في الأسواق . ونَقْلِ اللحم بالأسبونة من الدور

١ ط : تزال ؛ س : لا زال .

٢ انظر مقدمة ديوان الأعمى التطيلي : ح - ي .

٣ م : لبني .

٤ س : فبينما .

٥ ط : سيه ؛ س : منيه .

٦ س : في الرياق .

إلى ^١ الوضم ، فكيف لا ^٢ يُتَرَبَّصُ خروجُ الدجال ، أو ينزل المطرُ على هذه الحال ، أو تتأخر القيامة ، ومقاتلٌ قد صار ^٣ قدامه ، يقتلُ الأحرار ، ولا قوَدَ ولا ثار ^٤ ! ! ألا مُغيثاً ، ألا مَسْئِلاً إلى الموتِ ، حيثُ ، ألا دعوة نوح ، من قلب قريب ^٥ ! !

ولأبي بكر أيضاً فصولٌ من جوابٍ عن أهلِ قرطبة على خطابٍ ورد من قِبَلِ المستعينِ بن هود قال فيه : وصل كتابك ، فوقفنا على جميع معانيه ، وأحطنا علماً بما فيه ، ورأينا ما تضمنته من المقال الذي لم يوفقه أعزّه الله - حقّ النظر ، ولا تدبره أحسن التدبر ، بل أطاع فيه سلطان هواه ، ودعاه الحرج ^٦ إليه فاستهواه ، ولو حكّم عادل النصفة ، وعصى أمر الأتفة ، لخاصم نفسه قبل أن يخاصم عنها ، وكان قبل أن يأخذ لها آخذاً منها ، ولعلم أن الحقّ ليس بأقوالٍ تُسَطَّرُ ، ولا حُجَجٍ ^٧ تُصَرَّفُ عن طريقها وتغيّر ، والشيطانُ قد ينصبُّ للعاقلِ أشراك الخدع ، ويروم أن يستنزل الحليم بأصناف الطمع ، فمن صرّفته عصمة الله انصرف ^٨ ، ومن وقفته خشيته أحجم ووقف .

وفي فصل منها : وقد كنت ^٩ خاطبتنا المرة بعد المرة ، وكاتبنا الكرة بعد

-
- ١ م س : إلى الضور من .
 ٢ لا : سقطت من م س ط .
 ٣ قد صار : سقط من م س .
 ٤ م : للنية .
 ٥ م : الخروج .
 ٦ م : بحجج .
 ٧ ط : أنصف .
 ٨ وقد كنت : سقطت من م .

الكفرة ، تذكرُ أنك^١ قد حلتَ عن تلك البلاد يدك ، وأصفيتَ^٢ في طاعة
 أمير المسلمين وناصر الدين - أيَّه الله - مُعْتَقِدَكَ ، ورأيتَ أنها^٣ أمانةٌ
 تؤديها ، إلى حافظها وراعيها ، وتسلمها إلى من يقومُ بحقِّ الله - عزَّ اسمه -
 فيها ، إلا مواضعَ يسيرةٍ استثنيتها ، وأماكنَ قليلةٍ سمَّيتها ، فما الذي
 نقلك عن هذا الرأي الحميد . والمذهب السديد ، إلى التمسك بما قد بان لك وجهُ
 الخيرةِ في تركه ، وإرادة التملك بما لا قدرةَ لك على ملكه ؟ ! ولو كنتَ
 - أحسنَ الله توفيقك - مليئاً بالدفاع ، قديراً على التحصنِ من أعداء [الله]
 الكفرة^٤ والامتناع ، لكنتَ معذوراً فيما ترغبهُ ، وجديراً أن يُخلَّى بينك
 وبين ما تطلبه ، لكنَّ العجبَ كلَّ العجب أن يكونَ سعيك للكفار ،
 وتوفيرك للدمار ، وكيف يسوِّغُ لك أن تحذَّرَ من الله وأنت لا تحذَرُهُ^٥ ،
 وتذكرَ به تعالى ثم لا تذكرُهُ ؟ ! أَلستَ تعلم أن النصارى - لعنهم الله -
 قد استولوا على ثغورِ المسلمين التي كانت بنظرك مَنوطةً ، وبمستقرِّ
 قَدَمَيْكَ^٦ مخلوطة ؟ فهل كانت لك طاقةٌ بمحاربتهم ، أو قوةٌ على مقارعتهم ،
 أو إصراخٌ لمن استصرخك من قتيلٍ مستشهد ، أو أسيرٍ مضطهد ؟ !

وفي فصل منها : فحين وصلتْ دعوتهم لسامعها ، واتصلتْ مَظالمُهم

١ تذكرُ أنك : سقطت من م .

٢ م : وأصفت .

٣ م : لنا .

٤ مليئاً : سقطت من ط .

٥ د : الأعداء والكفرة : ط : الفكرة .

٦ زاد في م : العجب أن يكون .

٧ م : مَحمدك ؛ ط : قدمك .

برافعها ، وتعلّقوا من أمير المسلمين وناصر الدين — أيّده الله^١ — بالسبب المتين ، وأووا منه إلى الحصن الحصين ، أردت — والله يقيدك^٢ — أن تقطع منه^٣ حبالهم^٤ ، [١٠٣ ب] وتفرّق اتّصاّهم ، وتذرهم^٥ بين أيدي^٦ الأسر والقتل نهاباً ، لا ترجو فيهم ثواباً ، ولا تخاف^٧ عقاباً . وهو — أيّده الله — لم يبلغ بلادك^٨ ولا غيرها لمال^٩ يبتزّه^{١٠} ، ولا لتملك يستفزّه^{١١} ، وإنما بُغيت^{١٢} أن يقمع شيطان الشك ، ويستنقذ المسلمين من الهلك^{١٣} ؛ ولما^{١٤} نرجوه من حسن إنابتك ، وإسراعك إلى داعي الحق وإجابتك ، خاطبنا أمير المسلمين — أيّده الله — محيلين على ما تضمّنته خطابك ، ووعاه كتابك ، مبهّدين عنده عذرك فيما تضمّنته من القول الذي لا تصحّ شواهد ، ولا ترتبط^{١٥} لتأمل معاقده ، وإنّا لنخشى أن ينقض^{١٦} عن ذلك الثغر يدّه^{١٧} ، ويحلّ من عزّمه^{١٨} فيه ما كان عقده^{١٩} ، فحيثنّ لا ينفع النادم قرع^{٢٠} سنّه ولو هتّمها ، والعاض يدّه ولو ككلمها ، وقد كان لك مندوحة

١ م س : أدام الله تأييده .

٢ ط : يعينك .

٣ منه : سقطت من م .

٤ أيدي : سقطت من م .

٥ م : يرجو . . . يخاف .

٦ س م : الملك ؛ وسقطت من ط .

٧ م : بغية .

٨ ط : وإنما .

٩ م : ترتبطه .

١٠ م س : لينقض .

١١ م : العزم .

في القول اللبّس ، والاحتجاج المبيّن ، عن ^١ الموافقة والمخالفة ، والمدافعة
بغير الحقّ والمكاشفة ، حتى انتهيت ^٢ إلى أن تقول إنه لك في منّ سلف
واعظٌ يزَعُكَ ، أو زاجرٌ يردّ عك ، والله يعصمك من أن تختار اختيارهم ،
وتؤثر إيثارهم .

وفي فصل منها : وقبيحٌ بمن علّم بما ^٣ عند الله عِلْمُكَ ، وفهم بما
لديه فَهْمُكَ ، أن يزهد في الدنيا وهو يطمعُ منها في غير حاصل ، أو
يذمّ العاجلة وهو يعتدّ بعَرْضٍ من أعراضها غير طائل ، ونرجو أن يكون
وراء هذا من ركوبك المثلى ، ورجوعك إلى التي هي أولى ، وتكذيب
ما تلقى الوسوس ، وتمنيه خادعات الهواجس ، ما يبقى به دينك نقيّاً
لا يتدنّس ^٤ إزاره ، وذكرك جميلاً لا تقبُح آثاره ، وهو الذي يشبه
مذهبك الكريم ، وآراء سلفك القديم ، الذي أنت متقبّل حميد آثارهم ،
مستضيء بأنوارهم ، مشيد على ^٥ ما أسسوه من الأثر الصالح ، والعمل
الراجح . وما كان في هذا الكتاب من ^٦ مراجعة ، فيها موافقة ومنازعة ،
فلنّما دعا إليها ما ننوي من النصيحة ، والموالاة الصحيحة ، وقد يعاتب

١ م : على ؛ س : الهين على .

٢ م : انثيت .

٣ م س : ما .

٤ ط د : تلقته .

٥ د : وتمته ؛ م س : وتلقيه .

٦ م : يدنس .

٧ على : سقطت من ط د .

٨ الكتاب من : سقط من م س .

الشفيقُ فلا يُحْجَم ، ويقولُ الصديقُ فلا يَكْتَم ، وأنت تحملُ ذلك على سبيله^١ الواضحة ، وطرائقه اللاتحة ، وتعلمُ أن أخاك من أرضاك باطنه ، وإن عصاك ظاهره وعالته^٢ .

وله من قصيدة^٣ في القاضي^٤ :

وكيف أجزتِ الحَيَّ جَيْبُكَ عاطرٌ
تجاوَبُ أفرادُ الحليِّ وساوساً
وكيف شقتِ الليلَ خَدُّكَ زاهرٌ
وكيف استطعتِ السيرَ حِجْلُكَ مفعمٌ
ومُنْعَرَجُ الوادي ظباً وأسنةً
وقد نصبتِ^٥ الجوزاءُ جيداً^٦ كأنه
تأرَّجتِ المومة أنْ سرتِ وسطها
أقبلُ تَرَبَّ الأرضِ حتى كأنما
فما سجدَ الرهبانُ^٨ في كلِّ بيعةٍ
وَرَدْتُكَ فُكْ فضفاضٌ وعِقْدُكَ صائحٌ
عليك كما غنى الحمامُ النوائح
وجيدُكَ برَّاقٌ وثغرُكَ واضحٌ
وَرَدْتُكَ رجراجٌ وحَلْيُكَ قادحٌ
ومنتقطعُ اليداءِ خَبَبٌ وكاشحٌ
عيونٌ إلى تلك الطروقِ لوامحٌ
فكلُّ سبيلٍ جُزْتُ بالطيبِ فائحٌ
تضمُّ ثناياكِ العذابُ^٧ الأباطحُ
كما أسجدتني أرضها والصحاصحُ

١ م : سبيله .

٢ م : وغالبه .

٣ م : ومن قصيدة له .

٤ انظر ديوان ابن زيدون : ٣٩٠ ، ٨٣ وقصيدة فائية لأبي المغيرة ابن حزم في القسم الأول :

١٧٦ فهذا كله نسق واحد من المعارضات ؛ ولم يتضح أي القضاة يمدح ، ولعل هنا نقصاً

في النسخ .

٥ م : نصب .

٦ م ط : جيد .

٧ م : العراب .

٨ ط : البرهان .

ومنه في المدح :

فان أكُ في سبيلك يَراكضاً فاني للقاضي الأجلُّ لِمادحُ
هو السببُ المدني . لَسُلوةً وكفارةُ الآثام وهي فوادح
به تنهضُ الأيَّامُ ، يي عواثرُ وتُسْتَدْرِكُ الآمالُ وهي نوازح [١٠٤أ]

قال ابن بسّام^١ : قول أبي بكر : « أَقْبَلْ تُرْبَ الأرض » . . . البيت
مع الذي بعده ، من الوصف الغريب ، في توفية إكرام ربيع الحبيب : وأوّل
من بكى بالربيع ووقف واستوقف ، الملكُ الضَّلِيلُ ، حيث يقول :

* قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل *

ثم جاء أبو الطيب فتزل وترجّل ومشى في آثار الديار وقال^٢ :

نزلنا عن الأكوارِ نمشي كرامةً لمن بان عنه أن نُلِمَّ بها ركبا
ثم جاء المعري فلم يقنع بهذه التوفية من الكرامة حتى خنع وسجد ،
وقال^٣ :

تحيةَ كسرى في السَّناء وتبّعَ لِرَبْعِكَ لا أرضى تحيةَ أربعٍ
وأبو بكر إنما ألمَّ بهذا المعنى .

ومحاسنه أكثر من أن تحصى ، ولم أحاضر وقتي هذا إلاّ بقليلها^٤ ، ولا

١ نقل الصفدي جانباً كبيراً من هذا النص في الفيت ١ : ٦٧ وصرح أنه ينقل عن الذخيرة .

٢ ديوان المتنبي : ٣١٨ .

٣ شروح السقط : ١٥٢٧ .

٤ ط د : بأقلها .

بأس من الزيادة — إن شاء الله — عند حصولها .

ومما سمحت^١ به الأيام ، وفازت به الأزلام ، من نثر أبي بكر المتدفق
عن بحر^٢ ، المزري بدرّ انتظم في لبّات الزهر ، رقعة يقول فيها :

مولاي وسيدي الأجل لا يزال بمعونة الله تخدمه الأوطار ، وتطيعه
الأنصار . وتتنافس فيه الأقطار ، وتستأذنه في صوبها القطار ، فدعاؤه
مقبّلٌ مستجاب ، والغيمُ عند استصحابه منجاب ، وقد كان الغمام أسفً
ودُفْعُهُ ، ورجيَّ صدقه ، فصعد وتعلّى ، ثم دنا فتدلى ، فكاد من قام
بالراح^٣ يدفعه ، وانتظرت شأبيبهُ ودُفْعُهُ ، إلاّ أن تلك الدعوة رَدَّتْ
مُخِيلَتَهُ جهاماً . وفرّقت جمعه وكان لاما ، وعاد المحلُ يلتهمُ التهاماً ؛
فرققاً — رفق الله بك — فإنّ الناس مُسْتَنَتُونَ . ولما لا يُرْضَى
من القولِ بسوء الظنِ مُبَيِّتُونَ ، وماذا عليه — أعزّه الله — في أن يُخْصِبَ
محله ، سقى الغيثُ بلداً يحلّه ، وتشيعه حيث ارتحل ديمةً مدارار^٤ . وينزل
حيث ينزل النوار ، وننالُ من بركة دعائه نصيباً ، ولا نلقى منه يوماً عصيباً .
وإن دام دعاؤه في استصحاب الشمس ، فسيتركها خاوية كأن لم تغرب
بالأمس .

١ هذا مما زيد من بعد وقد انفردت به النسختان م س حتى آخر الترجمة .

٢ م س : بحره .

٣ م س : بالراجي ؛ وفيه إشارة إلى قول الشاعر يصف السحاب :

دان مسف فويق الأرض هيدبه يكاد يدفعه من قام بالراح

٤ من قول المتنبي (ديوانه : ٢٦٨) :

وإذا ارتحلت فشيئك سلامة حيث اتجهت وديمة مدار

وأخرى يقول فيها :

سقى بلداً أمتتُ سليمى تحلُّهُ^١ من المزن ما تَرَوى به وتسيم^٢

كيف لا أستسقي لثواه - أدام الله نعماء - عزالي^٣ الغمام ، وأنتقي
لعلياه حرَّ الكلام ، وأعيذ^٤ النفس بمقدار سعده ، وأنفي الأنسَ جملةً
من بعده ، وهو - أعزه الله - سرُّ الضمير ونجواه ، وذكر اللسان ودعواه ،
وشغل القلب والصدر ، والصدق الوفي^٥ الذي بعُدَت أخلاقه عن
الغدر^٦ ، والواحد الذي يَعدِلُ ألوفاً في جلالة القدر ، ويزيد على الأ[نام]
كما زادت على الليالي ليلةُ القدر ؛ ما هذا الاطراء ، والقول بالآراء ؟ !
تكفي شهادة الضمائر ، وتَنَاجي السرائر . ما أولاني بالنَّجْهِ ، وحثي التراب
< في > الوجه ! ! كيف وجد - أعزه الله - تلك البلاد الكريمة ؟
أظنه أكرم فارتبط ، وانتاب^٧ فاغبط ، وحطَّ الرحلَ عند الملك الظاهر ،
المكفي بأبي الطاهر ، فأنشد قول أبي تمام في عبد الله بن طاهر^٨ :

إذا ما امرؤ ألقى إليك برحله^٩ فقد طالَبَتْهُ بالنجاحِ مطالبُهُ

١ انظر الأغاني ٢ : ١٩٨ وأما القالي ١ : ٣٦

٢ م : عز ؛ س : عن (اقرأ : عين) .

٣ س : واعتد ؛ م : واعتد .

٤ م : يمدت عن الضمير الغدر .

٥ م س : الاراء (لعلها : الهراء) .

٦ م س : وارتاب .

٧ ديوان أبي تمام ١ : ٢٣٩ .

٨ الديوان : بربك رحله .

وفي فصل منها : وماذا عليه لو عرف من شأنه بقضه^١ ، من عدة
النسيم اجتاز على أرضه ، فتنتشق عرقه^٢ ، وتقبل عرقه :

يقبلُ الريحَ من صبابتهِ ما قبلَ الريحَ قبله أحدُ

ومنها : ولما علم أن تلك الحضرةَ مجرّ العوالي^٣ ، بل مُستَقَرُّ المعالي ،
ومُجَرَّى السوابق ، بل مَسْرَى البواشق ، أمَلها فأَمَّها ، وقدم أرجاءها
فجاءها ، وغرضه أن يكونَ هنالك خادمَ قائد ، أو جامعَ قائد ، وإذا
ظفرت يدها بجواد ، يحمله على جواد ، فقد أنخصب مراده ، وأكثب
مراده .

ومنها : وإن خفَّت بالمراجعة بالحالِ العليّةِ وصلّةُ الإجمالِ ، وخُتِمَتِ
بالحسنةِ الأعمالِ ، أسمعني الله عنك أنباء طيبة ، وأمطركَ من المعروف
ديمةً صيّبةً ، برحمته .

وأخرى يقول فيها :

وإني واسماعيلَ يومَ وداعِهِ لكالغمدِ يومَ الرّوقِ فارقهَ النّصلُ^٤

لا بل كالخفنِ فارقهُ السّواد ، والصدرِ بان عنه الفؤاد ، هذا تعدادُ
يطول ، ودهرٌ بأحداثه يصول ، وعلى ما جرّ من خطوبه ، وأعقبنا من

١ صورتها في م : يقضه .

٢ م : بحر العزالي .

٣ البيت لمريع الفواوي ، ذيل ديوانه : ٣٣٢ والشعر والشمراد : ٧١٣ .

عبوسه وقطوبه ، لنقرينته صبراً يردّه ، وجلداً يهدّه ^١ ، وتحمللاً يردّعه^٢ ويصدّه^٣ ، فلا يجد لسهامه منفذاً ، ولا يعرف للقدح فيها مأخذاً ، وإنّا لنرضى بالقدر ، ونشربُ على القذاة^٤ الكدر . ولا تؤثر فينا لأواءُ ، ولا تبلغُ منا عزاءُ ؛ أمّا وقد ذقنا طعميه . وحلبنا شطريه ، وخطرنا قُطْريه . وتجربنا حاله ، فما يحدثُ جديداً ، ولا ينشئُ شديداً . وإن الله سبحانه ليختار للعبد . ويهديه إذا استهداه للرشد . إذا انتهى به العسر ، طالعه اليسر . ووافاه النصر .

ومنها : فذكرنا ^٣ — أعزك الله — وطالعنا بأنبائك — أطابها الله — فانا نرتقبُ أخبارك . ونستوضحُ آثارك . ونلحظُ على البعدِ ديارك :

كما نظرَ الأسيرُ إلى طليقٍ يومُ بلادَه^١ لشهودِ عيدِ

ومن الحقُّ أن تشدَّ يدَ اغتباطك . وحبلَ ارتباطك ، بفلان ، فهو للصحة ذاكرٌ . وبعهدك مكائر . ومن أعبائك في تلك الرحلة معتذرٌ متنصل . وودّه وكيدٌ متأصل . وستفرح معه أياماً . وترى الفضل إماماً . والزمان غلاماً ، إن شاء الله .

وأخرى افتتحها بهذين البيتين :

أخاطبَ ودًّا من أخٍ لكَ عنده إنابةٌ مخلوع العنان إذا لبَّى
تقيّاً إذا ما شئتَ ظلَّ ضلوعه ظليلاً وريدٌ من ودّه شبيهاً عذبا

١ م : يردده . . . يهدده .

٢ م س : القدار .

٣ أهل الصواب : « نذكرنا » .

٤ م س : طلوعه . . . أشنباً .

وصلَ لسيدي - وصله الله - تحيةً أهداها ، مقترنةً ببيغةٍ اهتداها ،
فلولا أنَّ تموجَ الهواء . لا ينقلُ^١ الأهواء ، لوافاه يحملُ من رَجْعِ السَّلام
أحفاه . ولو صف ما نشأ له من الولوع ، < و > انتهى < حتى > هدَّ
الضلوع . فما غريبٌ أوحشهُ سلطانُهُ . وجَعَتْ أوطانُهُ ، فباتَ يستهدي
البوارحَ نسيمها . شوقاً إلى وسيمها . ويستكشفُ الرِّكْبَ عن أنبائها ، كلفاً
بأحبائها :

بأشوقَ مني إلى حضرةٍ تخذتُ بساحتها موطناً

وأتمشَلُّ بما بين يديَّ من الأشواق ، إلى تلك الأخلاق . فأقول : ما
غريب . نأى عنه هوَى قريب . فكلَّما أمَّ بابه قطع < أسبابه > ،
أو همَّ أن يثني إليه عنانه . شغلت الأيامُ بنانه ، فبات مُراقٍ كَأْسِ الوَسَنِ .
فضفاضَ رداءَ الحَزَنِ ، بأشوقَ مني إلى ذلك الخلقِ الكريم . فهل يسمح
به صرف الزمان اللثيم . وله الذم : ما وهبَ إلاَّ خلالَ ما انتهب . ولا
أباح إلاَّ ريثما استباح . وإن تكنِ الأيامُ أتتْ دونَ لقائك . فانا أسأل
الله طولَ بقائك . عسى أن يدنو بك داراً . أو يدور بنا عليك مزاراً .

وله ٢ :

قد هزَّزْنَاكَ في المكارم غُصْنَا واستلمناكَ في النواثب ركنا
فوجدنا الزمانَ قد مالَ^٣ عطفاً وتأتى علاً وأشرقَ حسنا

١ م س : لا ينقل .

٢ وردت الأبيات في القلائد والخريدة والمطرب .

٣ في المصادر : لان .

فإذا ما سأله كان سمحاً وإذا ما هزرتَه كان لَدُنَّا
 مؤثراً أَحْسَنَ الخلاقِ لَا يَغْـ رِفُ ضِنّاً وَلَا يَكْـذِبُ ظَنّاً
 أنتَ ماءُ الزمانِ أَخْصَبَ وادٍ هـ وَرَفَّتْ رِياضُهُ وانتجعنا
 نزعَت بي^١ إلى ودادِكَ نفسٌ قلَّما استصحبَت سوى الفضلِ <خدنا>

في ذكر الوزير الكاتب أبي الحسين يوسف بن محمد بن الجلد^٢
 واجتلاب قطعة من نظمه ونثره^٣

قد قدِّمت ذكر بني الجلد^٤ ، وذكرْتُ أَنهم كانوا صدورَ رُتبٍ ،
 وبحورَ أدبٍ ، توارثوه نجيباً عن نجيب . كالرمح أنبوباً على أنبوب ، مع
 اشتهارهم بصحبة السلطان ، وشرفهم على وجه الزمان . وأبو الحسين هذا
 كان من أَسْنَى نجوم سَعْدِهِمْ ، وأَسْمَى هَضابِ مَجْدِهِمْ ، ولولا ما خلا به
 من معاقرة العُقارِ ، وتمسكَ بأسبابه من قضاء الأوطار ، لَمَلَأَ ذِكره البلاد ،
 وطَبَّقَ نَظْمُهُ ونَثْرُهُ الهَضاب والوهاد . وقد استكتبه ذو الوزارتين أبو بكر
 ابن عمار أيام حربه بمرسية ، وله معه أخبار مذكورة ، وعنه رسائل مشهورة ،

١ بي : سقطت من م .

٢ كنيته في المغرب (١ : ٣٤٠) أبو الحسن ، وورد في مواضع أخرى من الذخيرة مرة أبو
 الحسين ومرة أبو الحسن ؛ وفي هذا الموضع من النسخة ط « أبو الحسن » ، وانظر مسالك
 الأبصار ١١ : ٤٣١ ؛ وسقطت لفظة « يوسف » من م س .

٣ م : نثره ونظمه .

٤ ذكر ابن سميذ (المغرب ١ : ٣٤٠) أن بيت بني الجلد بيت جليل ، وهم فهريون سكنوا بلبة
 وسادوا أيضاً بآشيلية . ثم ترجم لأربعة منهم ، ولكن ليس من السهل تبيين صلة القرى
 بينهم . وقد مرت ترجمة أبي القاسم منهم في هذا القسم من الذخيرة : ٢٨٥ .

ولم أقع من كلامه وقت تحريري هذا التصنيف ، إلا على اليسير الطفيف ،
وفيما أثبت منه ما يقر له بالفضل ، ويرفع لواءه في النبيل .

جملة من نثره مع ما يتشبه به من شعره

له من رقعة خاطب بها من استنهضه إلى معارضة الحصري في قصائده
المعشرات^١ قال فيها :

يا سيدي^٢ — أبقاك الله شاحداً فكري . نافذاً ذكري ؛ من حقّ ذمتك ،
الذهابُ مع وفقِ همّتك . ولما أكلتُ رغبتك من كتبِ مُعشّراتِ^٣
الحُصري . هبّ من خاطري النائمُ البكي . فنظمتُ في معناها ، ما لا يُغني
من الضناعة مَغناها ، فالدرُّ لا يُعارضُ بالمخشَلَب ، والبحرُ لا يناهضُ
بالمِذْثَب ، وإنما ذلك لما في طباعِ الإنسان ؛ من اتباعِ الإحسان ؛ مع أنّي
أردت أن أملأَ سَمْعَكَ . بصورةِ حالي معك . وأنت تعلمُ أنّي حين
تعرّضتُ^٤ وأوانَ ترَبّصتُ^٤ . غريبٌ حريب ، قليلٌ قليلٌ ، مريضٌ
الحنان : مقروض اللسان ؛ فالشعرُ إذا لم يحِكه قلبٌ فارغ ، ولم يسبِكه

١ المعشرات: قصائد تتألف كل قصيدة منها من عشرة أبيات . في موضوع من الموضوعات كالنسيب
أو مدح النبي أو الزهد . ومعشرات الحصري في النسيب ، وقد نشرت مع دراسة عن الحصري
قام بها الاستاذان محمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج يحيى : ٢١٢ - ٢٤٠ (تونس ١٩٦٣)
وفي م : المعشرات .

٢ يا سيدي : سقطت من ط .

٣ م : معشر .

٤ م : ترصنت (اقرأ : تبرصت) .

لبّ من ظلماء الشغلِ بازغ ، لم يكملْ خلقه ، ولم يروِ الصدورَ ودقّه ،
وجاءَ خِدادِجَ النتائجِ ، أجاجَ المزاجِ . فلنْ نظر في هذي إليك ناظر . وعطف
من عنانِ المناظرةِ بينها وبين تلك - على تباعدها - مناظرٍ ، فأطلِعهُ على
غَيْبِ حالي . قبل أنْ تُطلِعهُ على عيبِ مقالي . ليعلمَ أنها زبدةُ
الماءِ . وعَصَاةُ الصخرةِ الصماءِ . والله المرجوُ للإدالةِ . والمدعوُ في الإقالةِ .

وله من أخرى خاطب بها عمته من ميورقة . عند تناثر عقد^١ رؤساء
الجزيرة :

يا مولاي وسيدي الذي أفترض برّه^٢ . وألتزم شكره^٣ . ومَنْ لا زال
في أمان من الزمان . وسلامٍ من الليالي والأيام :

طوى الجزيرةَ حتى جاعني خبرٌ فرعتُ فيه بآمالي إلى الكذب^٤ [١٠٤ب]
حتى إذا لم يدع لي صدقه أملًا شرقتُ بالدمع حتى كاد يشرق بي

وإن عينا لم تَصْبُ بدمٍ بعد دمٍ لبخيلة . وإن نفساً لم تَذُبْ على تلك
النازلة العظمى لَجَلَدَةٍ حَمُولَةٍ . لله تعالى التسليم فيما حلَّ وجلَّ . وفجعَ
وأوجعَ . وإن تكن تجافت عن النفوس . ورتعت في العَرْضِ الحسيس .
فخطبُها حقيرٌ . وكسَرُها مجبورٌ . على أنها كيف تصرفت مشكلة ،

١ عقد : زيادة من م س .

٢ س : ذكره .

٣ لأبي الطيب . ديوانه : ٤٢٣ والفخيرة ٢ : ٤٨٦ .

٤ م س : تنصب دماً .

٥ م : وولعت .

٦ م : المجبور .

وعلى ما تُخِيلُ^١ مُذْهِلَةً، وَصَفَاتُكَ - أَعَزَّكَ اللهُ^٢ - أَصْلَبُ مِنْ أَنْ
تُؤَثِّرَ فِيهَا التَّوَازُلُ، وَأُثْبِتُ مِنْ أَنْ تُضَعِّضَ فِيهَا الرُّوَاجِفُ وَالزَّلَازِلُ،
وَأَنَا حِينَ خَطَطْتُ هَذِهِ الْأَحْرَفَ عَلَى جَمْرِ الْأَسَى مُتَقَلِّبٌ، وَبَارْتِقَابٌ مَا
خَصَّكُمْ^٣ - لَا زَالٌ خَيْرًا - مُعَذِّبٌ، وَقَدْ أَوْدَعْتُ مُنَاوِلَهَا مِنْ خَبْرِي،
وَحَمَلْتُهُ مِنْ عُسْجَرِي وَبُسْجَرِي، مَا لَكَ الطَّوْلُ فِي الْإِصْغَاءِ إِلَيْهِ، وَاسْتِيفَاءِ
مَا لَدَيْهِ، ثُمَّ فِي مَرَاஜِعِي بِمَا تَقَرَّرَتِ الْحَالُ عَلَيْهِ.

وختمها بهذه الأبيات^٤ :

كُتِبَتْ وَقَدْ غَالَتْ عَزَائِي^٥ أَشْجَانُ
وَقَدْ وَقَدْتَنِي نَبَأَةُ الْخَطْبِ لَمْ تَصْخُ
تَصَامَمْتُ عَنْهَا مُسْتَرْجِئًا إِلَى الْمَنَى
إِلَى أَنْ جَلَاها الصَّدْقُ عِنْدِي فَهَدَنِي
كَذَا فَارَقْبُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَغْتَةً
عِزَاءً وَأَنَّى بِالْعِزَاءِ وَقَدْ هَوَتْ
وِغَاضَتْ بِحُورٍ^٦ لِلنَّدَى وَتَقَلُّصَتْ

وَقَدْ شَرِقَتْ بِالْدمِ وَأَجْفَانُ
إِلَى مِثْلِهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ آذَانُ^٧
وَقَلْتُ عَسَاها فِي الْأَحَادِيثِ بَيْتَانُ^٨
وإنَّ قَلِيلًا أَنْ تُضَعِّضَ أَرْكَانُ
فِيهِلِكَ شَيْطَانٌ وَيُهْتِكُ سُلْطَانُ
كَمَا قَدْ ذَوَتْ فِيكُمْ نَجُومٌ وَأَغْصَانُ
ظَلَالُ الْعَلَا وَأَنْهَدُ لِلْمَسْجِدِ بَيْنَانُ

١ م : خيلت .

٢ م س : دام عزك .

٣ د : يخصكم .

٤ منها بيتان في كل من المغرب والمساك .

٥ د : غرامي .

٦ سقط هذا البيت والذي بعده من م س .

٧ ورد البيت في القسم الثالث ٣ : ٨٤٩ وفي هذا القسم الثاني أيضاً : ٤٨٧ .

٨ م س : بحار .

لبانَ بما قد بانَ آمنٌ^١ وإيمانٌ
همُ حَسُنُوا بالدهرِ ظناً فخاَهم
ولولا الأُسى لم يبدُ في العيشِ عذره
وكم قبلها من مثلها ثم بعدها
وبين ضلوعي والحقونِ تنازعٌ
ولا شكَّ أني بين هاتين طائِعٌ
تقسّم صبري والحوادثُ جَمّةً
لعلَّ الليالي ، والليالي لواعبٌ
وفي الفمِ ماءٌ مانعٌ من زيادةٍ^٢
فَطَوَّلَكَ في إرعاءِ سَمْعِكَ ساعةً
وراجعٌ ولو في صفحةِ الماءِ راقماً

وفضلٌ وإفضالٌ وَحُسْنٌ وإحسان
وما الدهرُ إلا ناقضٌ^٣ العهدِ خَوَّانٌ
وحسبي ولم أبعدُ عليَّ وعثمان
وليس علي دهر جنى^٤ ذاك عدوان
على الرِّسمِ من جسمي فسُحِبٌ ونيران
فَيَغْرِقُ طوفانٌ ويحرقُ بركان
ملوكٌ وجيرانٌ وقومٌ وأوطان
ستأتي التي فيها عن الغمِّ سلوان
وعند الذي يُهدي كتابي تبيان
لتسمعَ ما شطّطتَ به عنكَ أزمان
وطالعٌ فيكفيني من الطُّرسِ عنوان

وله من أخرى : يا سيدي الأجلّ ، وغمامي المستهلّ ، وكوكبي النير
المطلّ ، ومن أبقاهُ الله في الشملِ الأجمعِ ، والأملِ الأمتعِ . أُوذِنْتُ
بِمَقْدَمِكَ الميمونِ ، المُقَرِّ للنفوسِ والعيونِ ، فارتحتُ ارتياحَ من أنشدتَ
ضالَّتُهُ . وأعيدتَ عليه بعد السَّقَمِ صِحَّتُهُ . وقد كان مِن وِرْدِ اشتياقي
إليك ، أن أقع بين يديك ، غيرَ أنَّ الوجَلَ قَبَدَ القدمَ ، فلم أجِدْ بُدّاً
من أن أستنيبَ القلمَ ، ومثلك - دام عزُّك - شَرَحَ لِعُذْرٍ وليهِ صَدْرُ ،

١ م س : يمن .

٢ م س : ناكث .

٣ م ط : حتى (حنا) ؛ د س : حتى .

٤ م ط : زيارة .

٥ م : الوجه .

ولم يظنَّ بصفيةٍ فيما يقعُ من إخلالِهِ بِجلالهِ وجلالهِ ١ غدرآ . ومع هذا فلو كنتُ على ثقةٍ من وجدانك بمكانك ، لمشيتُ ولو على شوكٍ [١٠٥ أ] القتاد ، مجتنباً من تلك الخلائقِ الناضرة ٢ العاطرة زَهْرَ الربى والوهاد ، وناقعاً من تلك السجايا الباهرة حرارة الجوانحِ والأكباد - لا زلت لأودائك أملاً ، ولأوليائك فضلاً من الزمان كلاً ٣ .

ومن شعره ٤

أهدى الزمرد مورقاً ٥ ومنوراً	عجباً تطلّع كلُّ لحظٍ أبصراً
فحسبتهُ من قلبه ومودتي	حجراً وربحاناً يرفُّ معطراً
وَزَجَرْتُ منه بأنَّ قسوته انثنت	ليناً كخدِّ منه رقٍّ وعدّراً
قد كان سري فيه ممنوع الحمى	فاليوم هتكت كلُّ سرٍّ سترّاً
فلا تخلعنْ ثوبَ الوقارِ عن ٦ الصبا	ولألبسنْ ثوبَ الهوى متبخترّاً
ولأشربنْ كأسَ الصبابة علقماً	حتى أغاطى كأسٌ وصلٍ سكرّاً
ولئن كُتِمتُ الحبَّ فيه صيانةً	وضنّانةً فكفى بجسمي مخبرّاً
وإذا سما بسماؤه بدرُ الدّجى	فعليه من قلبي السلامُ مكرّراً

١ ط : من إخلاله بجلاله .

٢ س : الباصرة (اقرأ : الباهرة) .

٣ س . وكلاً

٤ انظر المسالك ١١ : ٤٣١ .

٥ المسالك : مونةً .

٦ م : عل .

واستكتبه العامل ابن القروي^١ الإسلامي ، فغاب عنه أياماً يشرب النبيذ
فلامه على خلع عذاره ، في استهتاره ، وترك خدمته ، فكتب إليه أبو الحسين :
أَمْسِكْ عَنَّاكَ^٢ إِنْ رَكِبْتَ قَلِيلاً واسمعْ وَإِنْ كَانَ الْحَدِيثُ طَوِيلاً
إِعْزِلْهُ وَوَلِّهُ^٣ فِي حَدِيثِكَ آيَةً لَوْ أَنَّ قَوْمَكَ أَحْسَنُوا التَّأْوِيلاً
هَلَّا عَذَرْتَ عَلَى الْبَطَالَةِ أَهْلَهَا ورأيتَ رأياً في المدام أصيلاً
هي ما علمتَ فإِنْ عَرَّتْكَ^٤ جِهَالَةٌ فاستفسرنَ مِنْ سرِّها الانجِيلاً
وقال^٥ :

تَحَكَّمَتِ الْيَهُودُ عَلَى الْفُرُوجِ وتاهتْ بِالْبَغَالِ وَبِالسُّرُوجِ
وَقَامَتِ دَوْلَةُ الْأَنْدَالِ فِينَا وصارَ الْحَكَمُ فِينَا لِلْعُلُوجِ
فَقُلْ لِلْأَعْوَرِ الدَّجَالُ هَذَا زَمَانُكَ إِنْ هَزَمْتَ عَلَى الْخُرُوجِ

وله يخاطب بعض مَنْ نهضَ به زمانه لا إحسانه ، وكانت لداره بابان
إذا انتظِرَ من الواحدِ طلوعه ، خرَّجَ به من الثاني عدولهُ عن الفضل
ونزوعه ، وفي ذلك يقول أبو الحسين وقد اختلف إليه فلم يلقه ، ولا شامَ
يوماً برَّقه :

يا ماجداً والزمانَ عدلٌ طالَ اختلافي لساحتيك
لقد رأيتَ الغريبَ حتى رأيتَ شعراً* براحتيك

١ ط : ابن القدوي .

٢ م س : عتابك .

٣ م ط د س : حدثك .

٤ المسالك ١١ : ٤٣١ - ٤٣٢

٥ م : شمري .

في ذكر الأديب أبي الحسن [غلام] البكري^١

وإثبات جملة من محاسن شعره

وأبو الحسن في وقتنا بحرٌ من بحورِ الكلام ، قذفَ بدرُ النظام ، فقلَّده أعناقَ الأيام^٢ ، أسحرَ من أطواقِ الحمائم ، وأبهرَ من النجومِ العوالم ؛ من شعراءِ الدولة العبادية ، لم تكن له رحلةٌ لسواها^٣ ، ولا قدَمٌ في غير ذراها ، وكان أخيراً هو وعبد الخليل وأبو بكر الداني هقعةَ جوزائها . ونَسَرَ سماءها ، وطبقَها التي قال بتفضيلها الإجماع ، وشهد لها [١٠٥ ب] العيانُ والسمع . ولما انجابت غيومُها ، وامسحتْ نجومُها ، بخلعٍ صاحبها . خَلَعَ أبو الحسنِ صَنَعَةَ الشعرِ خَلَعَ النجاد ، وتبرأ منها تبرؤُ العبادية^٤ من دعوة زياد ، إلا إمامَ الطَّيِّفِ بَعَيْنِ القَرْقِ . والتقاتِ الدليلِ بينيَّاتِ الطرق ، واشتمل عليه البكريون لِكَوْنِهِ إحدى ذُرَى بنيانهم . وأحدَ^٥ دعائمِ أركانهم . ولتعويله عليهم . وانقطاعه بالولاء اليهم ، فألحفوه نعماهم ، وأغْنَوْهُ عن سواهم .

وقد أثبتُ من شعره ما يقضي له بالفوق^٦ . ويخصّه بِقَصَبَاتِ السَّبْقِ .

١ اسمه حكيم بن محمد : وله ترجمة في القلائد : ٢٩٠ (وانظر ص : ٢٤٢ وعنه النفع : ١ : ٦٥٧) والمغرب ١ : ٣٤٨ وبغية الملتبس رقم : ٦٩٢ والمساك ١١ : ٣٨١ ولقطة « غلام » موجودة في فهرسة الذخيرة ، وفي المصادر .

٢ ط د : الأنام .

٣ ط : سواها .

٤ م س : العباسية .

٥ م س : وإحدى .

٦ د م س : بالفرق .

جملة من شعره

له من نصيدة أولها^١ :

الاحت والظلماء من دونها سيدل^٢ عقيقة برق مثلما انتضي النصل^٣

بقول فيها^٤ :

نكثرت الدنيا والأهل^٥ فيها فليس لي
وأفردني صرف الزمان كأنني
فيا ليت شعري هل مقامي لنية^٦
وسير يخلني المرء منه قرينه^٧
فكم من حبيب كان روضة ناظري^٨
ضحى ظله إذ كورت لي شمس^٩
غبرت وبادوا غير أن تلبئي
إذا كان عيش المرء أدهى من الردى

بها عقوة آوي إليها ولا أهل^{١٠}
طير من الهندي أخلصه الصقل^{١١}
تصبح لنجواها المطية والرحل^{١٢}
فريداً كما خلني تريكتة الرأل^{١٣}
يرف ويندى بين أفنانها الوصل^{١٤}
فشخص نعيمي لا يقوم له ظل^{١٥}
وراءهم عيش يلذ له القتل^{١٦}
فعائدة الأيام داهية خبل^{١٧}

١ النظر القلائد والمسالك وبغية الملتبس .

٢ يقول فيها : سقطت من م س .

٣ د والقلائد : والأرض .

٤ ط : يصيح ؛ والقلائد : تفتح بنجواها .

٥ القلائد : والرجل .

٦ القلائد : قريبه .

٧ القلائد : غاطري .

٨ القلائد : ختل .

وللناسِ هَمَّاتٌ تَبَحِّحُ^١ بالغنى
إذا قنع المضطرُّ كانت بكفِّه
ومن راد^٢ لم يعدم^٣ من الله نجمة^٤
رأيتُ النهى في المرءِ فضلاً يشفِّه^٥
ومن ميَّزَ الدنيا بتمييزِ أهلها
فيا ليت علمي^٦ فيهم^٧ أنه عَمى
وطئتُ من الأيامِ أحسنَ جانبٍ
ولكتُ من الأعداءِ شرَّيَ ضغينة^٨
وقارعتُهُمْ^٩ حتى فلتتُ شبَّاتَهُمْ^{١٠}
ولكنَّ صرفَ الدهرِ قرْنٌ إذ سطا

ومنها^{١١} :

حُبِسْتُ كما ضَمَّ المهنَّدَ غِمْدُهُ
وعَرَّيتُ من مالي وما ملكتُ يدي

وان كان جمعاً ضمته اللؤمُ والبخل
مقاليد^{١٢} لم يَبْهَمَ^{١٣} لها أبداً قُفْلُ
ففي كلِّ مَحَلٍّ من غمامته وبَلُّ
ولكنَّ مَنْ يحويه ليس له فضل
تبيِّنَ أنَّ العقلَ مثلُ اسمِهِ عقل
وحلمي الذي أشقى به أنه جهل
فهل ليَ منها حانب دَمِثٌ سَهْلُ
لبستُ بها ماذيَّةً مَجَّها النحل
بِسُورَةٍ عزُّ لا يكفكفها الذل
يخرُّ حفافيه^{١٤} الفوارسُ والرجلُ

وقُبِدْتُ مثلَ القَرَمِ يَضْغُطُه العَقْلُ
كأنِّي منه مُحْرِمٌ ما له حلّ

١ م د . سجع ؛ م : نالقا ؛ س . فالقت .

٢ القلائد : مفاتيح .

٣ ط . ذاك ؛ د : ذاك ؛ م . أراد .

٤ م س : تحفة ؛ ط : نعمة .

٥ د : يشفقه . ط : يشيفه .

٦ م : شعري .

٧ م : ولو كنت من . . . أسرى سمينة ؛ ط : طمينة ؛ د س : ظمينة .

٨ د : يجر حفافيه ؛ ط : يجرد حفافيه .

٩ ومنها . سقطت من م س .

أري أعينَ الأعداءِ بِشْرَ طلاقهِ
فمن لي بأنّي في جناحِ غمامةٍ
وأوجهُ آمالي مُقَطَّبةٌ طُحْلُ
لها بارق نحو الأجرةِ مُنْهَلُ

وله من قصيدة^١ في المعتمد^٢ :

مضيتَ كما يمضي الحسام المصمّم
وأُسْفِرَ من مراكٍ صبحُ مَسْرَةٍ
تحفُّ به الأجنادُ^٣ نَظَرُ بالقنا
لكَ العَزَمَاتُ النافذاتُ التي بها
سيعلمُ من ناواكَ أنْكَ لا الذي
دعِ السيفَ يُوْهي ما بناه فإنما
لكيما يُقَرَّ الشاخون أنوفهمُ
أحلَّكَ رِبعَ الملكِ^٤ مَجْدُ مؤكِّل
لِتَرْبَأَ^٥ بك الأيامُ عن حدّثانها
لربّك يَتَخَذِي كلَّ نِصْوٍ كأنها
ويومِ كريعانِ الشبابِ شَهِدَتْهُ

وأبْتَ كما آب الحيا المتبسّم^٦ [١٠٦]
تجلّى به قِطْعٌ من الليل مظلم
فخلناكَ بدرَ النِّيمِ حَقَّتْهُ أنجم
رأينا قناةَ الدين كيف تقومُ
يَخِيمُ عن الحربِ العَوانِ وَيُحْجَمُ
على السيفِ أن يَني بما هو يهدمُ
بأنَّ علاكم للمعاطسِ مَرْغَمُ
وسرو على مرّ الحديدِ قَشْعَمُ
فلنك في يَهْماءِ دهرِكَ مَعْلَمُ
قسيَ عليها من عَفَاتِكَ أَسْهَمُ^٧
يقيناً ولم يطمعُ اليه التوهم

١ س م : قصيد .

٢ المسالك ١١ : ٣٨٢

٣ ط د : المتشم .

٤ م : الأجياد .

٥ وقع هذا البيت رابعاً في م س .

٦ ط د : المجد .

٧ ط : لتقرأ (اقرأ : لتبرأ) .

٨ اقترن الشطر الثاني من هذا البيت بالشطر الأول من البيت السابق في م .

فما خلتُ أن البحر يحويه مجلسُ
لقد طَرَّرَتْ نَعْمَاكَ بِمَنْةٍ منطقي
لك الخيرُ إنَّ القلبَ واعٍ وإنما
ولولا الأسي ما رقَّ شعْرُ مهلهلٍ

وله من أخرى ٢ :

إذا أنت عاينتَ الأنامَ ودهرهم
تأهلَ قلبي وحشة حَشَتِ الحشا
فلا جَبْرَةٌ ٣ إلا لإراقةُ عبرة
هما نَصَرْتَا من لم تؤيده قدرة
تدرَّعْتُ قلبي جرأةً وحزامة
فإن خَدَعْتَ دنيائي مني مُنْجِداً
وإن أَفْتَقِدْ عزمي فقد أطا العدا
هَبِيتُ عليهم بالرَدَى فَاطَرَتْهُمْ
عَلَوْا وهُوا من غير نفعٍ كأنهم
أرى النقص عاراً في الجوارح والنهى

ولا يحْتَجِي وَسْطَ النديّ يللم
فراق بها وشيُ القريضِ المسهم
يَبُوحُ بما فيه اللسان المترجم
ولا حاز سبقاً في الرثاء متمم

ترى نَقَدَا يَأدُو لِغِيَرَتِهَا سِمْعُ
وأقفر من أنسى كما أَقْفَرَ الرِّيع
وزفرةٌ منجودٍ يقومُ لها الضلع
وبش النصيران التنفسُ والدمع
ومن يدْرِعُ قلباً يَهْنُ عنده الدرع
فإنَّ سرابَ القاعِ شِيمَتُهُ الخَدْعُ
بأخمَصِ ضِيمي مثلما يوطأ الفَقْعُ
كما نَفَحَتْ عَصْفاً مؤوِّبة مِسْعُ
سواء ولا رجْعُ وأرض ولا صدْعُ
فما لفي أخذ ولا ليدي منع

١ م س : فلولا .

٢ منها بيتان في المسالك .

٣ م س : خبرة .

٤ من قول الهذلي : « قد حال بين دريسيه مؤوبة ، مسع . . . » والمؤوبة : ريح تهب مع الليل

والمسع : ريح الشمال .

لأحفظُ أسرارِي كما يُحفظُ الشرع
بها وصمة تُشقى فيخطفها السمع
لورقائه في أيكَةِ المنتدى سجع

أصونُ بئذٍ الجهدَ عِرْضِي وإني
وأفتشُ أعضاءي مخافة أن يرى
وأصميتُ أفواه الرواةِ بمقولٍ

وله من أخرى في المعتمد :

وسمر العوالي ويبيض القُصْبُ [١٠٦ب]
إذا اختال في الهيدبى المنسحب
تبسمُ عن فُلجٍ^١ ذي شنب
فليل^٢ المضاربِ دامي^٣ الندب
وأبت بها آسأتِ عُرْبُ
رعى الشمسَ حرباًوها المنتصب
وأصمتهُ بعد طولِ الصَّخْبِ
عبأت الهيناءَ لذلك الحرب

قرعت الصَّياصي بِشُعْثِ النواصي
خميس يضاهي الحيا المكفهر
ودانيت حتى تغور الظبا
وخلقت قتلك لما عتا
تأجزُ عنه^٤ العلا فُرْكا^٥
يُراعيك مرتقباً مثل ما^٦
فخفّضت من طرفه إذ سما
وعاودت قرطبةً عندما

ومنها^٧ :

لبؤاني الجدُّ أعلى الرتب
يجرُّ المكاول أنْ تختطب

فلو أنْ جدّي كودّي لكم
أليس ثنائِي وسَطَ الندي

١ ط د : ملح .

٢ في النسخ : قليل .

٣ د : بادي .

٤ م س : تحاد عنه ؛ ط د : تحاجر .

٥ ط د : بركا .

٦ ط د : كلما .

٧ ومنها : زيادة من م س .

أَلْطَّ الرِّوَاةُ بِهِ فَازْدَهَتْ قَلَانْدُهُ فِي نَحْوِ الْكُتُبِ

وله في القاضي أبي عبد الله بن حمد بن يشعُ لبني البكري :

بعدلك رِشَتْ جَنَاحَ الْقَضَاءِ	وسرَبَلْتِ حُكْمَكَ ثَوْبَ الضِّيَاءِ
وصَارَتْ خَطَاكَ عَلَى مَنَهِجٍ	مِنَ الْقَصْدِ بَيْنَ السَّنَا وَالسَّنَاءِ
وَمَدَّتْ ظِلَالُكَ نَارَ الْمَجْبِرِ	وَدَرَّتْ سَمَاؤُكَ بِالْجَرِيَاءِ
وَقَدْ كُنْتَ فِيكَ سِيمَا التَّقَى	كَأَنَّ الْوَعْدُ تَحْتَ اللَّحَاءِ
وَمَا يُحْمَدُ الرَّعْيُ فِي كُلِّ وَادٍ	وَلَا يَوْجَدُ الرَّيُّ فِي كُلِّ مَاءٍ
خَتَمْتَ الْقَضَاءَ بِحُكْمِ الْإِلَهِ	كَخْتَمَةِ أَحْمَدَ لِلْأَنْبِيَاءِ
دُعَيْتَ بِكُنْيَتِهِ وَاسْمِهِ	فَنُورُ الْهُدَى طَيَّ ذَاكَ الدَّعَاءِ
أَهْنَيْتَ لَا بَلْ أَهْنَيْتَ الْوَرَى	بَأَنَّ فَازَ نَقَبُهُمُ بِالْهَيْئَةِ
طَلَعْتَ لَهُمْ وَسْطَ عَمِيَاءٍ لَا	تَرَى الْعَيْنُ فِيهَا سَبِيلَ اهْتِدَاءِ
وَلَحْتَ مَنَارَ هُدًى نَارُهُ	يُؤَرِّثُهَا مَلَكَوْتُ السَّمَاءِ
فَهَدَيْتُكَ شَمْسَ يَطِيرُ الضَّلَالُ	شَمَاعًا بِأَرْجَائِهَا كَالْهَبَاءِ
وَسَعَيْتُكَ فِي ذَاتِهِ لَمْ يَنْزِلْ	يَبِيحُ الْجَنَى فِي جَذْوَعِ الْأَشْءِ
فَحَطَّ أَفْرُخًا ضَمَّهُمْ فِي يَدَيْكَ	حَمِيمٌ ثَوَى فِي رُبُوعِ الْفَنَاءِ
أَغَاضَ الرَّدَى مِنْهُ مَاءُ النَّدَى	وَأَحْمَدُ مِنْهُ شَهَابُ الذِّكَاةِ
يُضْمِكُمَا مُنْتَمَسَى وَائِلٍ	وَقُرْبُ النُّفُوسِ أَجَلُ انْتِمَاءِ
وَأَكْرَمُ حَيٍّ وَفِي رَعَى	أَذْمَةُ مَيِّتٍ كَرِيمٍ الْإِخَاءِ

١ في هامش ط بخط الأصل : انظر هذا التمثيل البشيع ، فليته لم يمثل به .

همُ كبنيك فان تَحْمِيهِمْ^١ تنلُ من إهلك حُسْنُ الجزاءِ^١
 وتبدو مساعيك وضّاحة^٢ تُعيرُ الدجّة بِشَرِّ الضّحاءِ^٢
 وليست بيّذعٍ فكم مثلها صنعت وأوليت في الأولياء [١٠٧]
 وذلك أنك من أسرة^٣ مهذّبة كقداح السّراءِ^٣
 نَضّت^٤ منك تغلبُ مشحودة^٤ مصمّمة في المجنّ السّواء
 فمن شام برّقتك لم يعتمد^٥ ثراك ببذرٍ بطيء النماء
 بعثتُ إليك بها راية^٦ تقودُ لواديك سرحَ الثناء^٦
 ولم يأتك الشعرُ من بابه ولكنّه واثقٌ بالوفاء

وله من أخرى يصف بعض المصانع^٦ السلطانية المعتمدية^٧ :

أقرنُ الغزاة أم معقِلُ يكاد الجمادُ به يعقِلُ^١
 قرارة أنسٍ تُبينُ^٨ الظباء به والضراغة البسل
 تجردُ أفواهها في الصفا سيوفاً بشمس الضحى تُصقل
 وليست سيوفاً ولكنّها لظامي الثرى^٩ منهّل سلسل

١ ط : العزاء .

٢ د : نشر الضياء .

٣ السراء : ضرب من شجر القمي ، الواحدة سراءة .

٤ ط د : قضت .

٥ سقط البيت من م س .

٦ م س : المصانع .

٧ انظر المسالك ١١ : ٣٨٣ .

٨ تبين : تقيم .

٩ ط د : بصافي ؛ د : الندى .

تشق^١ المياهَ بهن^٢ المياهُ
محاسن^٣ للروضِ فيأضة^٤
ترضع^٥ أطفالَ أشجارها
يلي^٦ الحوضَ مذبذبهُ مثلما
تلف^٧ الثرى في برود الربيع
وفي صحن^٨ ساحت^٩ مجلس^{١٠}
كان تماثيل^{١١} جذرائه
تبين^{١٢} بفصل^{١٣} الخطاب^{١٤} الفصيح
وترنو وما راقها منظر^{١٥}
تود^{١٦} الكواكب^{١٧} لو أنه
ولو ظفرت^{١٨} بالمى لم تزل^{١٩}
كان^{٢٠} أعاليه روضة^{٢١}
ينم^{٢٢} سناه^{٢٣} بأسراره^{٢٤}
ويجري عليه فرند^{٢٥} الخبور^{٢٦}
وتكرع^{٢٧} في ماء^{٢٨} لألائه^{٢٩}
فلو أن^{٣٠} زهرته للهجير

كما شق^{٣١} في الأثرة المنصل
بها تفع^{٣٢} الأرض^{٣٣} ما تحمل
ضروع^{٣٤} مثاعبها الحفل
جنا^{٣٥} الردف^{٣٦} واندماج^{٣٧} الأبطال
إذا عزت^{٣٨} الروضة^{٣٩} الشمال
شروء^{٤٠} اللحاظ^{٤١} به يعقل^{٤٢}
على من^{٤٣} يقابلها تقبل^{٤٤}
لديك وإن أخرس^{٤٥} القول
وتصغي^{٤٦} وما رابها أزمَل^{٤٧}
لها يعتلي^{٤٨} أو له تنزل^{٤٩}
خفافيه تطلع^{٥٠} أو تأفل^{٥١}
ومرمر^{٥٢} أسفله^{٥٣} جدول
فتعلم^{٥٤} عينك^{٥٥} ما تجهل^{٥٦}
فكل^{٥٧} كتيب^{٥٨} به يتجدل^{٥٩}
ظماء^{٦٠} العيون^{٦١} ولا تنهل^{٦٢}
بدا^{٦٣} ورده^{٦٤} وشدا^{٦٥} البلبل

١ تشق : يياض في ط .

٢ جنا : مخفف جنا أي الحدودب ومال ؛ وفي الأصل : جنى ؛ المسالك : جثا .

٣ المسالك : صفحته ؛ م س : ساحت ؛ ط : ساجته .

٤ ط د : تعقل .

٥ ط د : له تعتلي .

٦ ط . فريد .

٧ ط د : للنجوم ؛ م س : بقى .

وله من أخرى ، أولها :

شكري لنعمائك شكرُ الروضِ للديمِ
أبتُ خيالكَ إلا كلَّ مكرُمةٍ
سجيةً في العلا شابت ذوائبُها
جيشُ أباديكَ الحسنَى نقدُ لجباً
تهزمُ أعباديكَ اللائي إذا فحَصَتْ
والقَ انتعاشكَ عند العشرِ^٢ منفرداً
والفظَ جَنَادهُ^٣ وإن لذتْ مذاقتهُ
كم من سريرةٍ علنيا بثَّ أثرها^٤
ومن أفانينِ صنْعٍ كلَّها نعم
من أيِّ قطرةٍ يكرّ الخطبُ تصدمه^٥

ومنها^٩ :

فاقطفُ بأيدي الأيادي روضةَ الكلمِ
بثَّتْ^١ لك الحمدَ في عُرْبٍ وفي عجمِ
وهمةٌ نشأت في تربة الكرمِ [١٠٧ب]
واجعلْ سلاحكَ ما تُسديه من نعم
عنها المكارمُ لم توجدْ من الأممِ
بلا أخٍ كافرادٍ الصارمِ الخدمِ
فربما شَرِقَ الغَصَّانُ بالشِّيمِ^٢
لك المهيمنُ بين اللوحِ والقلمِ
لديك ترمي القذى في أعينِ النقمِ
وإن عَمَرَتْكَ^٣ المنايا الحمرُ لم تخمِ

لولاك لم تنتظمُ في السلكِ لؤلؤة

ولا غدا الشعب منه جدٌ ملتئم

١ ط د : بنت .

٢ د : الوفير ، ط : الوفير .

٣ م س : جفاء .

٤ ط د م : بالشيم ؛ س : بالشم .

٥ د : بت أثرها ، س : بت لشرتها .

٦ د : فكر ؛ س : قصر .

٧ م : تصرفه .

٨ د : عتلك .

٩ ومنها : . ترد في م س

واليت^١ سعيك^٢ بالتقوى فشافه^٣
 فمجتبيك^٤ كمرتاج^٥ رمى نظراً
 ومجتويك^٦ كمغروير^٧ أجال^٨ يداً
 دلائل^٩ الفضل^{١٠} في السادات^{١١} واضحة
 تبلى اللبالي ولا تبلى عرائيكها
 همى حياك^{١٢} فأحيا ميت^{١٣} كل^{١٤} ثرى
 من لي بتأدية^{١٥} الشكر التي كتبت
 حملتني منه ما لو حل^{١٦} في جبل
 ما لي سوى العجز^{١٧} والتقصير^{١٨} من وزر

بين الملمات^{١٩} نُجَحُّ الله من أمم
 في ناضر^{٢٠} من رياض الحزن^{٢١} مبتسم
 في مزبد^{٢٢} من عباب البحر^{٢٣} ملتطم
 منها الوفاء^{٢٤} ومنها الرعي^{٢٥} للذمم
 وربما جدّدتها^{٢٦} لبسة^{٢٧} الكرم
 ولاح برقك^{٢٨} وضاحاً لكل^{٢٩} عم
 جدواك^{٣٠} أسطره^{٣١} في صفحتي^{٣٢} عدي
 لرض^{٣٣} رضوى^{٣٤} وآد^{٣٥} الركن^{٣٦} من لاضم
 فاعذر^{٣٧} شكورك^{٣٨} بعض^{٣٩} العذر^{٤٠} أو فلم

١ ط. د. س. : وائيت .

٢ م. س. : فشافه .

٣ ط. د. : فمجتبيك . كمرتاج : رياض في ط. د. : كثرثار .

٤ م. س. : الدهر .

٥ د. : بتأدية : م. ط. : ببادية .

٦ في النسخ : الفخر .

في ذكر الكاتب أبي الحسن صالح بن صالح الشتمري^١ وإثبات جملة من نظمته ونثره^٢

وأبو الحسن غربي^٣ النشأة ، شتمري الأفق ، شاعر^٤ نائر ، وله من المعرفة
بلسان العرب حظ وافر ، وكلامه في المماثلة والسجع . جارٍ على الطبع .
ذاهب^٥ بين الجزالة والحلاوة ؛ من رجل شديد الحياء . كثير الانقباض
والانزواء . يرى الكتابة عليه من أشق الأشياء . لا لنبو^٦ طبع . وقلته أدب .
بل لضعف عصب ، فكان لا يكتب الرقعة إلا في مدة . وكثير من الكتاب .
يشق عليه الكتاب ، لزمانة تكون في يده . أو إفراطٍ ضعفٍ في خطه .
وفيما أثبت^٧ هنا من نوعي كلامه ، في نثره ونظامه : شاهد^٨ على ما وصفته
به ، ومنبه على فهمه وأدبه .

١ انظر ترجمته في المغرب ١ : ٣٩٧ ورايات المبرزين : ٣٥ (غ) وذكر محقق المغرب أن
له ترجمة في المسالك ٨ ، الورقة ٣٣٤ .

٢ م س : نثره ونظمه .

٣ م س : عربي .

٤ ط د : ومما .

جملة من نثره

له من رقعة في استدعاء خلطة : المحاسن^١ - أعزك الله - على رتب وأحوال . وصور وأشكال . فأحقها بالإعظام والإجلال ، ما كان منها في الخصال والخلال ، وما يتلى من آيات براعتك ونبلك . ومعلوات حسبك ونسبك . بعث على التطارح عليك ، والحنين إليك ، وكم حننت إلى المخاطبة فملكني عنها ارتيادي لها سبباً^٢ يوطئ لها كنف [١٠٨ أ] القبول والارتضاء . إذ الهجوم عليها عندهم ضرب من الجفاء^٣ ، والحنين في خلال ذلك يتزايد ويتصاعد^٤ . إلى أن بلغ بي غاية ملكتي عن التمالك ، وأمسكتني عن التماسك .

وفي فصل من أخرى : لو كان البدار^٥ إلى المخاطبة بحكم الاعتقاد ، وعلى حسب المحبة والوداد . لكنت أول من أعمل كلمته في مكاتبتك ، وأرسل قلمه لمخاطبتك^٦ . لكن المخاطبات بين الناس قلما تقع إلا بعلة وأسباب . كاللدخول قلما يكون إلا على باب^٦ .

١ م : سنى ؛ س : سنا .

٢ انظر ص : ٥٢٧ س ٦ - ٧ حيث كور ابن بسام نفسه هذه العبارة .

٣ س : يتصاعد ويتزايد .

٤ م : البدر .

٥ م : بمخاطبتك .

٦ انظر أيضاً ص : ٥٢٧ س : ٦ .

ومن أخرى له^١ إلى الوزير الفقيه أبي الحسين ابن سراج : مثلك - أعزك الله - لا يُغَرَّبُ عليه بمقال^٢ . ولا يُقَعِّقُ له باحتفال^٣ ، فإنَّ العلومَ الشريفة بأصلها ، والآداب الرفيعة بجملتها ، مشهورةٌ بروايتك ، محصورةٌ بدرايتك ، محظوظةٌ بحِفْظِكَ لها^٤ . مَحْظُوتَةٌ بإحاطتك بها . والبلاغةُ التي هي أفضلُ ثمراتها . وأطيبُ طبيباتها ، لا تعزى حقائقها إلا إليك ، ولا تُلْفَى^٥ معجزاتها إلاَّ لديك ، ولا يُقْتَدَى في سُنَنِها إلاَّ بك ، ولا يُعْتَرَفُ فيها بالعجزِ والتقصيرِ إلاَّ لك ، ولذلك^٦ أوجزتُ في كتابي هذا ، وتركتُ طريق^٧ السجع حياءً من التعرض لصناعةٍ قد انفردتَ أنتَ بفضلها ، وسبقتَ أهلَ الزمانِ في ميدانها ، وأخذتَ عليهم مسالكها ، وأحرزتَ شَرَفَ الدلالة^٨ في مجاھلها .

وله من أخرى : كلُّ فَعَالٍ يقصِّر عن فَعَالِكَ . وكلُّ إجمالٍ ينزُرُ عند^٩ إجمالِكَ ، وإنك فاضلُ أهلِ زمانِكَ . ومقلَّةٌ عينِ أوانِكَ ، فلو خاطبتُكَ بلسانِ الوائلي والإيادي^{١٠} مخاطبةً جريتُ معها طَلَقَ الجموحِ ،

١ له : زيادة من م س .

٢ ط د : يعزب عليه مقال .

٣ م س : باحتفال .

٤ لها : سقطت من م س .

٥ ط د س : تلقى .

٦ ولا يقتدي . . . ولذلك : سقطت من م س .

٧ م س : طريقة .

٨ س م : الأدلة ؛ د : الدالة .

٩ ط : عن ؛ د : عنه .

١٠ الوائلي : سحبان وائل ، والإيادي : قس بن ساعدة .

وهبتُ لها هُبُوبَ اليمانيةِ النفوحِ^١ ، وشحنتها بفصولِ الإعظامِ والإجلالِ ،
وبلغتُ بها غايةَ^٢ الاحتفالِ ، سعايةً في الوصولِ إلى قضاءِ حَقِّكَ ، وعنايةً
بأداءِ الواجبِ المتعينِ لك ، لكنْتُ في ذلكِ كمن جال في مناكبِ الأرضِ
يرومُ الإحاطةَ بساحتها ، والوقوفَ على حقيقةِ مساحتها .

وإذا كان التطويلُ : لا يُبْلَغُ معه المأمولُ ، فالإضرابُ^٣ أجملُ ،
والخطابُ دونه أسهلُ ؛ بهذه العينِ نظرتُ ، بعد ما صدرتُ ، ولذلك ما
قَصَّرتُ واختصرتُ ، فحبستُ العنانَ في أولِ الطَّلَقِ ، وصرفتُ العنايةَ
لها إلى الأحقِّ بها والأخْلَقِ ، وصرفتها إلى أن جمعتُ بين الاختصارِ والاعتذارِ ،
وتشفَّعتُ بالاقرارِ إلى الاغتفارِ^٤ ، وإنَّ ذلكَ لما يجعلُ المَعْدرةَ في حيزِ
الاعتذارِ . لا سيَّما عند مَنْ أصله أَصْلُكَ ، وفضلهُ فضلكَ . ممَّن إذا
تُشَفَّعَ إليه ، ورُغِبَ فيما لديه ، جاءتِ الشفاعةُ بين قرينتين : من شرفٍ
قديمٍ^٥ ، وسلفٍ كريمٍ ، ومعونتين : من سريرةٍ جميلةٍ ، ونجيزةٍ نبيلةٍ .

وفي فصل له من أخرى : ومن الحقائقِ التي بَرِحَ فيها^٦ الخفاءُ ، واستوى
في علمها العلماءُ والجهلاءُ ، وأقرَّ لها الأعداءُ والأولياءُ^٧ ، أُنِي متى أَهْبَتُ
بك إلى الإخاءِ . وهزرتُكَ بِوَصْفٍ ما أنا عليه في الخلوصِ والصفاءِ ، فإنَّما

١ النفوح : سقطت من س م .

٢ م س : أبعد غاية .

٣ ط : فالاضطراب .

٤ س : الاعتذار .

٥ قديم : زيادة من س م .

٦ س : معها .

٧ س م : وأقر بها الأعداء كما أقر بها الأولياء .

أهبتُ بمن له في الكرم ، شُهْرَةٌ العَلَم ، وفي السؤدد ، منزلةُ الفَرْقَد ،
ويأبى - لا محالة ^١ - ذلك الكرمُ الراسخُ ، والشرفُ المنيفُ الباذخ ، إلاَّ
أن يبلّغاني من ودك أَمَلِي ، ويعطيني من جميلِ اعتقادك حتّى أقولَ :
بِجَلِّي ، وينقلاني من الوقوف على فضلك بالأخبار ، إلى الوقوف عليه
بالاختبار ، فيصيرَ علمي بكَ علمين ، ويقيني بكَ يقينين ، لا زال الزمانُ
يُبْدي من أسرارِ فضائلك ، ويُهْدي من أزهارِ شمائلك ، ما يَصُورُ ^٢
القلوبَ ^٣ إلَيْكَ ، ويطالبُ الألسنةَ بالدعاءِ لك والثناءِ عليك .

وله من رقعة عتاب : إنّا لله ، لقد غرقتُ من غيشك في بحرٍ عميق ^٤ ،
وامتحنيتُ منك بعدو في ثياب صديق ^٥ :

ومن نكّده الدنيا على الحرّ أن يرى عدوّاً له ما من صداقته بُد ^٦

وقد كنت خاطبتك - لا مَسَّكَ خَطْبٌ ، ولا فُلَّ لك غَرْبٌ ، جارياً
- علم الله - إلى التحقيق ، آخذاً بما يلتزمهُ الصديقُ للصديق ، [١٠٨ ب]
غير ملتفتٍ إلى تلك البوادر التي كانت الدعاة تجريها ، وإدلالُ الودادِ السببَ
فيها : وما كان في كتابي شيءٌ يَتَّهمُهُ مَنْ أخلصَ نيةً ، وأوى إلى حُسْنِ

١ ط د : ويأبى ذلك لا محالة .

٢ ط س : يصون .

٣ م : القلب .

٤ ط م س : غميق .

٥ من قول أبي نواس :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق

٦ للمتنبى ، انظر ديوانه : ١٨٤ .

طويّة ، اللهم إلا إن كان ما ضَمَّنْتُهُ من التبجيل ، قد حَرَفْتُهُ عَنْ الوجهِ
الجميل ، وتأوَّلْتُهُ أَقْبَحَ التَّأْوِيلِ .

قال ابنُ بَسَّامٍ : ومما لَوَّحَ فيه بالعتاب ، وزخرفَ بالتصنُّع ظاهرَ الخطاب ،
رقعةٌ خاطب بها مَنْ أَحوجته الأيامُ إلى مصانعه ، وقد بَدَّتْ منه بَوادٍ^١
صَوَّبَ فيها وصعَّد ، وقام وقعد ، قال^٢ فيها :

معلومٌ — أعزك الله — أن لكلِّ مقامٍ مقالاً ، ولكلِّ حالٍ تناولاً^٣
وحوالاً^٤ ، وكما لا يصلحُ الإكثارُ في كلِّ خطاب ، فكذلك الاختصارُ لا يسوغُ
في كلِّ كتاب ، وفي النفسِ كوامنٌ لا يمكنُ تبيينها عليك ، وتقريرها
لديك ، إلا بالتطويل ، وإن أصرَّ إلى التثقيب ، وأنت بَعْلًا تصرفُ إليها
بالك . لما وَهَبَ لنا أيها العمادُ من عرفانِكَ ما وَهَبَ ، وسبَّبَ من التعلقِ
بك ما سبَّبَ . رأيتني قد رقيتُ إلى جوارِ الأفلاك ، وجعلتُ الأخمصَ
على ذروة السَّمَاءِ ، لما رجوتُ من الاعتزازِ بجانبك العزيز .

وفي فصل منها : ولإني بحمدِ الله لمَنْ إذا عَلِمَ أَكْرَمَ ، وإذا جُرَّبَ
قُرَّبَ ، وإذا خَبِرَ ادْخِيرَ ، أما الإكرامُ فلما أحمله من الأدب ، الذي
به يُرتَقَى إلى عِلِّيَّاتِ الرُّتَبِ ، وأما الادِّخارُ فلا عُدالي في أحوالي ، وثقةٍ
جعلها الله من خلالي ، وعندي من الآلاتِ التي تبعثُ على اتخاذي واستعمالي :

١ ط م س : بوداد (واقراً : بوداد) .

٢ موضع قال : بياض في ط .

٣ م س : وإن لكل .

٤ م : وحذالا ، س : وخلالا .

ه ط د : أخبر .

أني أقولُ من الشعر أبدعهُ ، ومن النثر أرفعه ^١ ، وأنقدُ النقدَ الذي قلُّ من يجاريني فيه ، ويباريني ^٢ في التكلّم على معانيه . وإن كان خطي لا يلحقُ بالخطوطِ القوية الكتابية فإن ضعفهُ لثيمتهُ على جيّد لفظي ، ونعمةُ على ذكاءٍ فهمي واتساعِ حفظي ؛ فمن المعلوم المعروف . أن العلماء مخصوصون بضوالة الخطوطِ ولطافة الحروف ، فكلُّ ^٣ يشهدُ أنني أنهضُ إلى المطولات ، وأقندرُ على المخاطبات السلطانيات ، وما أنا ممّن يفتخر بخدمة الزمام ، ويجعلها ذريعة ^٤ إلى الإكرام :

معاذ إلهي إنني وعشيرتي بنفسي^٥ عن ذاك المقام لراغبُ

ولكنني أفتخرُ - عند الاضطرار إلى الافتخار - أني حاملُ روايات ، وحافظُ لغات ، وذو شمائل تُنسبُ إلى مكرمات ، وما تطارحتُ قطُّ على زاهدٍ فيّ ، ولا أظهرتُ حرصاً على غيرِ حريصٍ عليّ ، بل كنتُ أقابلُ الإباءَ بنظيره ، وأظهر الاستغناء بظهيره ، وأنشد :

ولستُ بساقطٍ في قِدرِ قومٍ وإن كرموا ، كما يقعُ الذبابُ ورائي مذهبٌ عن كلِّ ناءٍ بجانبِهِ إذا عزَّ الذهبُ

ولست أضربَ المثلَ في سقوطي عليك ، وانجذابي إليك ، ولكنني أقول :

١ د : أسمعهُ ؛ ط : أبد (ثم بياض) .

٢ ط : ويماريني ؛ د : ويماريني .

٣ م س : وكل .

٤ ذريعة : سقطت من ط : وفي م : ضريعة .

٥ م : ونفسي .

إني أسقط^١ سقوطَ الطلّ على الرياض ، وأتزيّن^٢ بخدمتك تزيّنَ الجمالِ
بالبياض .

وله فصل في صفة القلم : بخطّ البراعة ، يُنالُ حظُّ البراعة ، وأفضلُ
أقلامِ الكتاب ، المنتخبة للكتاب ، ما لم يكن في طوله تعوّج ، ولا في صلابته
ترجُّعٌ ، وكانت خصوصيةُ العنصرِ الذي نماه ، وسجيةُ المنبتِ الذي إليه
منتماه ، قد أخذت به ما بين الدقّةِ المتناهية التي لا تُستَحَسَنُ ، والغِلَطِ
المفرطِ الذي يُستَخْشَنُ ، وأقرّته^٣ على المقدارِ الذي لا يقعُ اختيارُ الكاتبِ
على سواه ، ولا يتعدّاهُ اقتراحه ولا يتخطّاهُ ، ثم انتحى برّيه ذو يمينٍ
رفيقة ، وسكّين رقيقة ، فأجاد الشق وأحكم القطّ ، وجاء به غير شاقٍ
ولا عاقٍ^٤ ، سَلَسَ الحريان إذا أُرْسِلَ ، موافقاً للينان إذا أُعْمِلَ ، مُعْطِياً
لقياده . غيرَ بخيلٍ بمداده . تتبناه الأناملُ فترامه^٥ ، [١٠٩ أ] وتواصلُ
العمل به فلا تسأمه^٦ .

قال ابن بسّام : ومن البديع في وصف القلم ما حكاه العتّابي عن نفسه
قال^٧ : سألتني الأصمعيّ فقال : أيُّ الأنايب أصلحُ للكتابة وعليها أصبر ؟
قلت : ما تشيف بالهجير^٨ ماؤه ، وسرّ^٩ عن تلويحه غشاؤه ، من التبريّة

١ إني أسقط : زيادة من م س .

٢ م س : وأقربه .

٣ ط . شان ولا عان .

٤ ط د : معط .

٥ زهر الآداب : ٦١٩

٦ م س : في الهجير .

٧ زهر : وسيره .

القشور ، الدريّة الظهور ، الفضية الكسور ؛ قال : فأَيُّ نوعٍ من البرّي
أَكْتَبُ وَأَصُوبُ ؟ قلت : البريّة المستوية القطّ ، عن يمين سنّها برية تأمنُ
معها المجّة عند المطّ، الهواءُ في مشقّها فتيق ، والريحُ في جوفها خريق ،
والمدادُ في خرطومها رقيق . قال : فبقي الأصمعي شاخصاً إلي ضاحكاً لا يحير
مسألةً ولا جواباً^١ :

وهذه أيضاً^٢ قطعة من شعره

قال يتغرّل^٣ :

أَمَلِي مِنَ الدُّنْيَا تَبَسُّرُ خَلْوَةٍ أَبْكِي بِهَا وَأَبْثُ سِرَّ هَوَاكِ
حَوْلِي وَحَوْلِكَ أَعِينِ وَمَسَامِعُ أَخْفِي الْهَوَى عَنْهُمْ عِنْدَ لِقَاكِ^٤
حَذَرًا عَلَيْكَ فِدَيْتِ بِي وَخَافَةً أَنْ يَقْصُرُوكَ^٥ وَيُجْجِبُوا مَرَاكَ^٦
لَوْلَا الْحَيَاءُ وَأَنْ تُشِيعَ سَرِيرَتِي لَنَثَرْتُ^٧ شَمْلَ الدَّمْعِ حِينَ أَرَاكَ

ومن شعره الطيار المليح ، المتناهي في خفة الروح . قوله^٨ :

١ لا يحير . . . جواباً : سقط من م س .

٢ أيضاً : سقطت من م س .

٣ انظر المغرب ١ : ٣٩٧ .

٤ المغرب : إذ ألقاك .

٥ س : يبصروك .

٦ ط د : مأواك .

٧ المغرب : بددت .

٨ البيتان في المغرب ، وقد وردا في الذخيرة ٣ : ٤٩٠ ونسبهما صاحب الذخيرة له هناك أيضاً ،
وصرح ابن سعيد بأنهما قد ينسبان أيضاً لأبي محمد ابن سارة .

أَسْنَى لِيَالِي الدَّهْرِ عِنْدِي لَيْلَةٌ لَمْ أُخْلِ فِيهَا الْكَأْسَ مِنْ إِصْعَالٍ
فَرَّقْتُ فِيهَا بَيْنَ جَفْنِي وَالْكَرَى وَجَمَعْتُ بَيْنَ الْقُرْطِ وَالْخَلْخَالِ

وقوله :

لِلْحَسَنِ فِي خَلْقٍ مِنْ أَهْوَى خِلَاقِهِ رَوْضَ بَيْتٍ بِسَيْفِ اللَّحْظِ مَحْمِيٍّ
فَالْجِدُّ سَوْسَةٌ وَالْعَيْنُ نَرْجَسَةٌ وَالْحَدُّ وَرْدٌ وَذَاكَ الْحَالُ خَيْرِيٍّ

وقال :

لِلَّهِ مَا صَنَعَ الْحَيَاءُ بِصَفْحَةٍ لَمْ تُبْقِ عِنْدِي لِلتَّجَلُّدِ مَذْهَبًا
كَانَ الْبَيَاضُ بِهَا بَلِينًا خَالِصًا فَأَحَالَهُ فَغْدًا^١ بَلِينًا مُذْهَبًا

وقال :

أَبْدَى الْحَبِيبُ تَعْجَبًا مِنْ طَوْلِ مَكَّةَ ثَ الْوَرْدِ عِنْدِي عِنْدَمَا أَهْدَاهُ
لَمْ يَدِرْ أَنَّ دَوَامَهُ فِي مَتَرِي مِنْ أَجْلِ أَنَّ مَدَامَعِي سَقِيَاهُ

وقال :

وَصَافِيَةٌ كَمَعْتَقَدِ الصَّدِيقِ لَهَا فِي الْكَأْسِ إِيمَاضُ الْبُرُوقِ
كَأَنَّ بَكَاسَهَا مَا تَشْتَكِيهِ^٢ قُلُوبُ الْعَاشِقِينَ مِنَ الْحَرِيقِ
إِذَا قَبَضَتْ يَدُ السَّاقِي عَلَيْهَا رَأَيْتَ لَهُ أَنْأَمَلَ مِنْ عَقِيقِ^٣
شَرِبْتُ وَصَاحِبِي عَذَبُ الثَّنَايَا يَعْطِنِي لَمَاهُ عَلَى الرَّحِيقِ

١ د : فقدي .

٢ م س : تشتهيه .

٣ ط : عقوق .

وقال :

وصهباء لم تُنَسَسْ بنايٍ ولم تُذَلْ بعَصْرِ ولم توهن^١ قواها^٢ بماءٍ
لحاني عليها مَنْ لَحَا فزجرتهُ وقلت له : مَهْ لست من قُرْنائي
سأشربها ما سَوَّغَ الدهرُ شُرْبَهَا وعفُو إلهِ العالمين ورائي

ومما أبهم فيه ، وإنما يكني عن قدَحِ فخَّارٍ مزفت^٣ قد اتخذ للمشروب :

وخلُّ^٤ إذا قلَّ المَجِيُّون لم يزلْ إلى كلِّ ما أدعو إليه مجيبي
غدوتُ أخا التوفيقِ لما اتخذتهُ أديبَ السَّجَايا وفقَّ كلَّ أديب
تخيرتهُ من نَجْرِ آدمَ خالصاً فكان أخي في نَجْرِهِ ونسبي [١٠٩ب]

وله يمازح بعض إخوانه :

خذُ ما أتاك من الزمانِ ولا تُطيلْ في إثرِ ما قد فاتك البرحَاءُ
ماذا ترى في فلذةٍ^٤ شراشة ورقاقةٍ ورقيقة^٥ صفراءُ
إن كان عندك ما ذكرنا كلُّهُ وبعثتُ فينا لم تخفُ إبطاءُ

وقال :

ألا يا خيرَ مَنْ يُبَغِّي نداه وَيُسَعِّي نحو منزله ويُمشي
نحنُ إلى بناتِ البحرِ نفسي وأكرهُ أن تموتَ لديَّ عطشى

١ ط د : ولا .

٢ اقرأ الألف الأخيرة من « قواها » بالقصر .

٣ مزفت : زيادة من م س .

٤ س م : بلدة .

٥ م : ورقيقة ؛ س : وفريقة .

وله يفتخر من كلمةٍ طويلة^١ :

خليليّ ليس المجدُّ إلّاّ لعالمٍ
أخوالعلم حيثُ احتلّ أضحى مكرّماً
وذوالجهل معدود^٢، وإن كان سيّداً
وإني لمن فاز بالعلم قدحهُ
ولي قلّمٌ قد شرفَ الله شأنهُ
خليليّ ليس الخطُّ ما قد عسّيتُهُ
ولكنه لفظٌ إذا ما وشيتُهُ
بلى إنّ خطي فيه ضعفٌ وإنّما
إذا شئتُ نثرأ كنتُ أنثرَ ناثري

على كلّ مجهولٍ من العلم قائمٍ
ولا سيّما إنّ حلّ بين الأكارم
طريقَ الكساء، في مُهنّاتِ البهائم
وممن له فيه اشتهاؤُ العالم
بصنعةٍ وشأٍ على الماءِ راقمٍ
وإن كنتُ مشغوفاً به جدّ هائمٍ
تخيّرَ فيه كلُّ واشٍ وواشمٍ
أقامتُهُ ألفاظي مقامَ التّسائم
وإن شئتُ نظماً كنتُ أنظّمَ ناظمٍ

ومنها :

تكلّفني الحوّباءُ لا درّ درّها^٣
تقولُ أحبُّ ذا قربى وصيل^٤ ذا وسيلة
أمّا إنّي لو نلتُ أيسرَ نزرّة^٥
فآه^٦ لعصرٍ مثلِ أهليه جاهلٍ

سماحَ البهاليلِ الكرامِ الخضارمِ
وقم بالحقوقِ الواجباتِ اللّوالمِ
لكانت لكفّي بسطةً في المكارمِ
ودهرٍ لأبناءِ المروءةِ^٧ ظالمِ

١ منها أبيات ثلاثة في الفيت المسجّم ١ : ١٣٧ .

٢ هدمش ط : معدوم .

٣ به : م تردد في ط ؛ د : عل .

٤ م س : لله درها .

٥ الفيت : يسرة .

٦ الفيت : فأها .

٧ م : المودة .

وله من أخرى يصف شروط المروعة ومكارم الأخلاق^١ :

أحب^٢ من الأقوام كل^٣ نجيب^٤ وإنني للنو علم صحيح يقينه^٥ ومن خلقتني أني إذا ما وجدته^٦ وإن نصيب البحار عند احتياجه وإن بعيد القوم ينزل^٧ ساحتي أمين^٨ له مالي وأحفظ^٩ ماله وألقى الخطوب السود في الذب^{١٠} دونه وجدك^{١١} لو كان الزمان مساعدي لأفيتني جم^{١٢} الفضائل منعاً تجود^{١٣} يدي قبل السؤال وتمتري لحا الله وهاباً بطيئاً حباؤه ولكن^{١٤} وهاباً يهب^{١٥} إلى الندى يحاذره أحداث الليالي وقلما ويرتاب^{١٦} بالأيام عند سكونها وما الدهر في حال السكون بساكن لقد عاين الأيام من^{١٧} خاف غدرها

شريف زكي^{١٨} الوالدين حبيب^{١٩} بأن صديق الصدق غير^{٢٠} غريب شددت^{٢١} عليه منه كف^{٢٢} رغب إلى العون في مالي لمثل^{٢٣} نصيبي ويأوي إلى ركني لمثل^{٢٤} قريب وآتية من برّي^{٢٥} بكل^{٢٦} عجب لقاء^{٢٧} أخي صدر لمن^{٢٨} رحيب وكان الذي في راحتي^{٢٩} يفي بي كثير^{٣٠} إلى الفعل الجميل هبوني [١١٠ أ] طلب^{٣١} الندى جدواي غير^{٣٢} طلب يجيء^{٣٣} الذي يعطيه بعد لغوب كما هب^{٣٤} غضب في يمين^{٣٥} ضروب خلا من نوقيتهن^{٣٦} قلب^{٣٧} لبيب وما ارتاب^{٣٨} بالأيام غير^{٣٩} أريب ولكنه مستجمع^{٤٠} لوثوب بعيني^{٤١} بصير^{٤٢} بالأمور طيب

١ منها ثلاثة أبيات في الفيت المسجم ٢ : ١٩٨ .

٢ ط د : عجيب .

٣ ط د : بمثل .

٤ م : مالي .

٥ الفيت : تحاذر ؛ م : يحادث .

٦ الفيت : وترتاب .

وقال في مثل ذلك :

ولا كرامُ قُصَّادي وعونُ خليلي	حبيبٌ إليَّ الدهرَ إعطاءُ سائلي
إلى الجودِ لا أرضى طباعَ بخيل	أهزُّ طباعي بل طباعي تهزُّني
لطارقِ ليلٍ ما عليَّ جليل	وراحٌ كما افترَّ الصباحُ سباتها
فَعُوضَ من تَعْرِيسِه بمقبل	نضوتُ بها عنه جلايبَ ليلِهِ
وكأسُ الكريمِ الفضلِ ذاتُ فضول	وما زلتُ أسقيه وأشربُ فضلَهُ
ومالتُ به الصهباءُ كلَّ مميل	إلى أن تناهى طيبُهُ ونعيمُهُ
بضافٍ ليصنِّبرِ الشتاءِ قنول	فوطأتُ مثوى جنبِهِ وكنتنَّتُهُ
صنيعي به ، هذا أقلُّ قليل	وقلتُ له لما تعاظَمَ عندَهُ
فلم يبقَ منه مَنعٌ لأكيل	حلمتُ بنا ليلاً وقد قُسمَ القيرى
فأنتَ لدينا أهلُ كلِّ جميل	أقيمُ عندنا تستوفِ ما أنتَ أهلهُ
إذا آذنتُ أضيافُهُ برحيل	ولاني لمننٌ تعتربه كآبةُ

وهذا من حرِّ الكلام ، وجَزَلِ النظام ، وسجية حاتمية ، وشينشنة^١
أعرابية ، وإنما احتذى أبو الحسن في هذا قول أبي عامر بن شهيد القرطبي
في أبيات ، وقد تقدّم إنشادها ، أولها :

ولما رأيتُ الليلَ عَسْكَرَ قَرَّةُ^٢ وهبَّتْ له ريحانٍ تلتطمانِ

١ الذخيرة ، القسم الأول : ٣١١ وديوان ابن شهيد : ١٦٣ وجواب « لما » قوله :
ومعت الساري الليل نار بن فارتأي شعاعين تحت النعم يلتقيان
وسائر القصيدة في الخفوة بالضيف على نسق شبيه بما أتى به الشتمري .

فصل في ذكر الوزير أبي الحكم عمرو بن مدحج

وأبي الوليد ابن عمه ، ابني حزم ، وإيراد بعض ما لهما من ملح النظم

وأبو الحكم^١ منهما في وقتنا شقيق الوفاء ، وخاتمة^٢ مَنْ حَمَلَ هذا الاسم من النجباء ، وكان نادرة الوقت لمن اتخذ الإحسان قبلة^٣ ، وَحُجَّةً على من جعل النقصان جبلة^٤ ، إذ عن كل قوسٍ من الفخر نزع^٥ ، وفي كل أفقٍ من علو القدر طلع ، أول ما نشأ بدر فلك ، ومسحة ملك ، وإكليلا على جبين ملك ، قلما عنّ لنظر إلا راقه ، ولا اختلج ذكره في قلب بشرٍ إلا شاقه ؛ وإياه يعني الوزير أبو الحسن بن سعيد البطليوسي [١١٠ ب] وقد غلب على لبّه ، وأخذ بمجامع قلبه ، عجباً منه أو عجباً به^٦ :

رأى صاحبي عمراً فكلّف وصفّه^٧ وحملني من ذاك ما ليس في الطوقِ
فقلت له عمرو كم عمرو فقال لي صدقت ولكن ذاك شبّ عن الطوقِ

وفيه أيضاً يقول الوزير أبو محمد بن عبدون من جملة أبيات^٨ :

١ ترجمة أبي الحكم عمرو بن مدحج بن حزم الاشيلي في المغرب ١ : ٢٣٨ والمساك ١١ : ٤٢٢

وله شعر في النفع ٣ : ٤٧١ .

٢ نزع : سقطت من ط د .

٣ انظر نفع الطيب ١ : ٦٣٦ ، ٣ : ٤٧٠ والمغرب والمساك ؛ وفي س م أنه أبو الحسن

ابن السيد ، وهو خطأ ، لأن ابن السيد كنيته أبو محمد ، وأما ابن سعيد هذا فترجمته تيجي في هذا القسم من الذخيرة .

٤ نفع الطيب ٣ : ٤٧٠ .

يا عمرو رُدَّ على الصدورِ قلوبَها من غيرِ تقطيعٍ ولا تحريقٍ
 وَزُرِ الثريا وهي نحن بكوكبٍ لولا العقوقُ لقلتُ بالعيوقِ
 وأدِرْ علينا من خلاليك أكثُوساً لم تألُ تسكرنا بغيرِ رحدٍ
 رفيه أيضاً يقول أحدهما ١ :

قل لعمرو بن مذحج خاب ما كنتُ أرنجي
 شاربٌ من زبرجدٍ ولميٍّ من بنفسجٍ

فلما همَّ ليلُهُ بنهاره ، ودبَّ على سيفٍ وجنته فرندٌ عذاره ، راع المجدَّ
 بحزمٍ وكرمٍ ٢ ، ونبوةً ٣ سيفٍ وقلمٍ ، ممَّنْ سارى نجومَ الليلِ ؛ واحتلَّ ٤ صهواتِ
 الخيلِ ، وعلى ذلك كله فلم ينسَ مكارمَ الأخلاقِ ، ولا خلا ذِكرُهُ من
 قلوبِ العشاقِ ؛ وله في الأدبِ سَبَقٌ سَلَفٍ ، ومنه بيتٌ شرفٍ ، وله شعرٌ
 مطروحٌ قلَّما يغبّه البديعُ ، وقد أتيتُ منه بفصولٍ ، تشهد له بالفضلِ ٥ .

.....

١ نفع الطيب ٣ : ٤٧٠ والمساك ونسبهما العمري لابن عبدون .

٢ س ط د والمساك : بحر كرم ، وأثبت ما في المغرب .

٣ ط س : وأسوة ؛ والمساك : وأسرة .

٤ ط د : وأصل ، وبهاش ط : لعله : وأسهل ؛ المغرب : وتقلب في ؛ س
 والمساك : وأمل .

٥ وفيه أيضاً يقول الوزير . . . بالفضل : سقط من م وحدها .

جملة من شعره في أوصاف شتى

كتب إليه الوزير أبو محمد عبدون أبيات قال فيها ^١ :

سلامٌ كما هبت من الحزنِ نفحةٌ تنفّسَ قبل ^٢ الفجر في وجهها الزهرُ
من الوارف ^٣ الفينان وشت برودةُ ذراعٌ من الليث ، الثريا له شبرُ
ولاً يدٌ حزيمة مذحجية تقشّع عنها مذحجٌ فأنهمى عمرو
فجاد على تلك الأجارع والرّبي رواعدُهُ وعدٌ وبارقُهُ بشر
أبا حكمٍ أبلغ سلام فمي يدَيُّ أبي حسنٍ وارفٍ فكلتاها بحر
ولا تنسَ يملك التي ^٤ هي والندی

فراجعهُ أبو الحكم أبيات منها ^٥ :

أنى النظمُ كالنظم الذي تردهي به عروسٌ من الجوزاء لكيلها لبدُرُ
تجلت ^٦ لنا منه بخطك رقعةٌ هي الروضة الغناء كللها الزهر

١ النفع ٣ : ٤٧٠ - ٤٧١ .

٢ النفع : عند .

٣ ط : الوافر .

٤ م : الميث ؛ ط : ستر .

٥ ط د : وارقني .

٦ م : ولا تنس لي تلك التي .

٧ انظر النفع ٣ : ٤٧١ والمسالك ١١ : ٤٣٢ - ٤٣٣ والمغرب ١ : ٢٣٨ .

٨ ط م : تجلت .

تَحْيَرُ ذَهْنِي فِي مَجَارِي صِفَائِهِ فَلَمْ أَدْرِ شَعْرٌ مَا بِهِ فَهَتْ أَمْ سَحَرُ
فَان قَلْتُ شَعْرٌ فَالْقُلُوبُ شَعَارُهُ وَإِنْ قَلْتُ سَحْرٌ فَهُوَ سَحْرٌ وَلَا كَفَرُ
أَرَى الدَّهْرَ أَعْطَاكَ التَّقْدِيمَ فِي الْعَلَا وَإِنْ كَانَ قَدْ أَوْفَى أَخْبَرَا بِكَ الدَّهْرُ
لَنْ حَازَتْ الدُّنْيَا بِكَ الْفَضْلَ آخِرَا فَمَيِ أَخْرِيَاتِ اللَّيْلِ يَنْبَلِجُ الْفَجْرُ

قول أبي محمد: «... أبلغ سلام فمي يدي» ، معنى قد كرره في مواضع من شعره كقوله في المتوكل :

إِنْ كُنْتُ مِنْ أَصْلِي وَمِنْ عَصَبِي أَوْ كُنْتُ مِنْ فَرْعِ نَائٍ وَمَجْدُ
بَلِّغْ سَلَامَ فَمِي يَدَيِّ مَلِكٍ غَابَ الْمُلُوكُ عَنِ الْعَلَا وَشَهِدَا

وحسان بن المصيصي القائل من شعر قد تقدّم إنشاده ٢ : [١١١]

مَنْ مَبْلَغُ يَدِهِ أَنِّي نَظَّمْتُ لَهَا شُكْرًا جَعَلْتُ قَوَافِيهِ مِنَ الْقُبُلِ

وقال أبو الحكم في صديقٍ كان له به هوى يسمّى باسمه :

يَا مَنْ شُكَا فَشُكَا جَسْمِي بِشُكْوَاهِ اللَّهُ يَكْلَأُنِي فِيهِ وَبِرْعَاهِ
رَبَا ضَنِي جَسْدِي بِاللَّهِ صِلْ جَسْدِي وَخَلْ عَنْهُ وَلَا تُلْسِمِ بِمَشْوَاهِ
عَمُرُو بِعَمُرِي وَلَكِنْ فِي مُحْتَمَلِ لَمَّا تَجَشَّمَهُ مِنْ بَرَحِ بِلَوَاهِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ حَتَّى السَّقَمُ نَافَسَنِي فِيهِ فَأَضْحَى كَمَا أَهْوَاهِ يَهْوَاهِ
عَيْنُ الْكَمَالِ أَصَابَتْنِي وَلِي كَبَدِ مَصْدُوعَةٍ فِيهِ إِنْ لَمْ يَدْفَعْ اللَّهُ

١ ورد البيت في هذا القسم : ٤٤٢ .

٢ انظر ما تقدم ص : ٤٣٩ .

وله فيه وقد سقط عن دابته ووُثِيتَ رجله ^١ :

لقد أسرعَ فيكَ العيونُ وإنما جميلُ دفاعِ الله عنكَ التمايمُ
وما أنت إلا البدرُ طارتُ بسرجه عقابُ لها الريحُ ^٢ الحريقِ قوادمُ
ولا غروَ أنْ طافتُ برجلِكَ وثأةً ^٣ لها المجدُ خفّاقَ الجناحينِ حائمُ
فقد ترجفُ الأفلاكُ في دورانها وتنقضُ أعلامُ النجومِ العواتمُ

وكتب إلى الوزير أبي محمد بن عبدون ^٤ :

زُرْتُ فديتُكَ يا زعيمَ الناسِ ترى بدوراً من كبارِ أناسِ
أنت الهزبرُ وهم جاذرُ جاسمِ قد خيموا من منزلي بكناسِ
من كلِّ مَنْ أثوابُهُ مَزْرُورة منه بغصنِ البانةِ الميَّاسِ
يا راضعاً دَرَّ المكارمِ قفُ بنا « ما في وقوفك ساعةً من باسٍ »

وله في عمرو المتقدم الذكر :

يا عمرو إنك لعبة من ^٥ سكرٍ فإذا مررت بسكرٍ فتذكرِ
ما شان وجهك نمشة في صفحة فبذاك يوصفُ كلُّ بدرٍ أزهري
يحمرُّ أحياناً فأحسبُ أنه ^٦ ورد ينقطُ صفحُهُ بالعنبرِ

١ انظر المغرب ١ : ٢٣٨

٢ ط د : الجو .

٣ ط د : قائم .

٤ المسالك ١١ : ٤٣٣ .

٥ صدر بيت لأبي تمام (ديوانه ٢ : ٢٤٢) وعجزه : نقضي حمام الأربع الأدراس .

٦ ط : في .

أضمرتُ فيك صبايتي فوشى بها دمع فككتُ به صحيفةً مضمر
من ذا يفرُّقُ بيننا وجلالنا متكافئ في المنتهى والعنصر

وكتب إلى الوزير أبي العلاء بن زهر :

يا من نضا العزمُ منه صارماً خَدِمَا توشَّحَ المرهفين السيفَ والقلما
افرش^١ بمغدىٍّ ومَسْرَى حُرّاً أوجهنّا وبعدها فانتعلُ أبصارنا أدما
وما بأنفسنا بخل عليك فقد سارتُ أمامك تعدو البعدَ والأما
أبا العلاء ابنِ للعليا تشيد ما أضاع منه بنو التضبيع فأنهدما^٢
لا زال شَمْلُكَ في وِرْدٍ وفي صدرٍ على اقتراحِ المعالي فيك منتظما

وله فيه ^٣ :

ضَعِ الرجلَ في حمصٍ بأيمنِ طائرٍ ووالِ اصطناعَ الخيرِ فيها وظاهرٍ
فما هو إلا السَّروُ بين مواردٍ تصاحبه طولُ المدى ومصادرُ [١١١ب]
لعمرُ العلاء لولا أبوها، وذكره^٤ لما شاقني برقُ بَيْرَقَةٍ صادرٍ
ولا بُتٌ والظلماءُ لأُثمِدُ مقلتي يؤرِّقها ببيضُ النجومِ الزواهرِ
وهبتُ فؤادي للبشيرِ بأوْبِهِ سليماً ولم أبخلُ عليه بناظري
وأصغرُ بموهوبٍ وإنْ جلَّ قدره يقضي به الأحرارُ حقَّ الأكابرِ
ولاني وإعظامي لسودده الذي يعظّمه أهلُ النهى والبصائرِ
لألحى^٥ اللبالي إنّهنَّ قعدنَ بي

١ د : اسرف .

٢ لم يرد البيت في ط د .

٣ منها ثلاثة أبيات في المسالك ١١ : ٤٣٣ .

٤ م : أبوه .

فلو نهضتُ بي قدرة لهزرتُ في
وما ليَ مركوب سوى رجليَ التي
غمام عدائي عن غمامٍ كلاهما
وله فيه :

مَنى تجلّي منك ابنَ زُهْرٍ نواظري
فقد دَوِيَتْ شوقاً إليك جوانحي
وأعجبُ مني كيف أصبحتُ جارَ من
وله ٢ :

قلمتَ علينا والزمانُ جديدُ
وعيشٍ^٣ العلالولا مراتبك العلى
فيا ناهضاً والجِدُّ والجَدُّ صحبهُ
لقيتَ أميرَ المسلمين وظلُّهُ
فقمُ بالمعالي واستقلَّ بملكها
ولوحوا بني زهر فانَّ وجوهكم
وله فيه ٤ :

١ ط د : وحباء .

٢ منها ثلاثة أبيات في النفع ٣ : ٤٧١ .

٣ النفع : رحق .

٤ منها بيتان في المغرب ١ : ٢٣٩ .

يا جالياً وجه السعادة^١ واضحا
صير مجنك صفحتي قمر الدجى
الله يعلم أن بين جوانحي
دم للعلاء أبا العلاء مصاحباً
ومقلّباً طرّف النباهة طامحا
وسنان رايتك السماك^٢ الراعما
قلبا إليك مدى الليالي جانحا
واقعد زمانك ساعحا لا جامحا

وله فيه وقد جاز البحر معه ، فقال^٣ :

يا ابن زهر طأ الثريا عبيراً
وتلق الهواء وهو طليق
ما ترى الريح كيف هبت رخاء
وضحت البحر هبة لك لما
غمزته من راحتك بحار
فريق اللج منك حتى استطارت
جزه يا ابن الكرام أرضاً ذلولاً
وانتفض الحزم حيث كنت حساماً
وتفياً عللك ظلاً ظليلاً
وحصى اليد لؤلؤاً وعقيقاً
كمحيك حين تلقى الصديقاً
لك بعد الهبوب ريحاً خريقاً
جسته سالكاً عليه طريقاً
صاح من موجها^٤ الغريق الغريقاً
منه أحشاؤه فريقاً فريقاً
أوفقه^٥ إن شئت طرفاً عتيقاً [١١٢أ]
واصحب الشجع حيث كنت رفيقاً
وتنشق ذكراك مستكاً فتيقاً

وكتب إلى أبي الوليد ابن عمه ، فقال^٤ :

إني لأعجب أن يدنو بنا وطن ولا يقضى من اللقيا لنا وطراً .

١ م : السيادة .

٢ فقال : زيادة من م س ؛ وانظر المسالك ١١ : ٤٣٣ .

٣ المسالك ؛ من بعدها ؛ م : وجهها .

٤ فقال : زيادة من م س ؛ ومنها بيتان في المسالك وثلاثة في النسخ .

لا غرو أن بَعُدَتْ دارُ مصابِقَةٍ
فمحجَرُ العينِ لا يلقاهُ ناظرها
صبراً جميلاً وإن أبدى الزمانُ لنا
ويعتبرُ فقيراً يجري المزاحُ بها
نثراً ونظماً من الآدابِ بينهما
سحرُ البلاغةِ منظومٌ ومنثورٌ

بيته الثالث من هذه يتطرق قول الآخر :

كم والدٍ يحريمُ أولادهُ وخيرهُ يحظى به الأبعدُ
كالعينِ لا تبصرُ ما حولها ولحظُها يدركُ ما يبعدُ

وكقول الآخر أيضاً :

كجاورِ العينين لا يتلاقيا أبداً وبينهما قصيرُ جدارٍ^٢

ومن جواب أبي الوليد له^٣ :

لبيكَ ليكَ أنتَ السمعُ والبصرُ وإن أتتْ دونك الأحداثُ والغيرُ
إيه أبا حكمٍ فالودُ مقربُ لا عتبَ فالودُ يحو ما أتيتَ به
ينبو لساني عن عتبِ الصديق وما أزرى يغرَّبَ به لا عي ولا حصر

١ النفع : لخصرة .

٢ م : قصيد حداد .

٣ انظر المسالك ١١ : ٤٣٣ - ٤٣٤ .

ضئافَةٌ بخليلٍ ١ أنْ أفاقرهُ
أراعَ سربكَ يا ابنَ العم أنْ درستَ
إنْ يرفعَ الدهرُ يوماً منْ خسيستهمْ
قالدهرُ كالبحرِ تطفو فوقه جيْفُ

ما القوسُ إنْ لم يكنْ يوماً لها وتر
سُبُلُ الوفاءِ فلا عينٌ ولا أثر
وحطَّ منا ونحنُ الأنجمُ الزهر
وتستقرُّ بأقصى قعره الدر

وقدم أبو الحكم من بعض أسفاره ، فكتبت إليه أنا بأبيات منها ٢ :

يهيْ قدومكَ كلاً يا أبا الحكمِ
مذْ غبتَ ما رتقتَ عيني إلى سِنَةٍ
إنْ كنتُ منْ تغلبَ في بيتِ سؤدها
فلم يَضِرْنا تنائي النسبتين وقد
والعذرُ في زَمَنٍ أنْ جثتَ في أممِ

يا دوحةَ العلم والآداب والحكمِ
يا عمروُ إلا لكى ألقاك في الحلمِ
وكنتَ منْ مذحجٍ في السؤدد العَمَمِ
رحنا نسيبين في علمٍ وفي فهمِ
لا الجليلُ جيلُك فاعذرهم ولا تلم

في أبيات غير هذه ، وعاتبْتُ فيها بعضَ إخوانه ، فراجعني بأبيات منها
قوله ٣ : [١١٢ ب]

يا مَنْ تناول حُرَّ اللفظِ من أَمَمِ
لو أنْ لفظك تَهْدِيهِ إلى حَجَرٍ
هذي جوارحُ جسمي كُلُّها أذُنُ
حاشا لنبلك أنْ تخفى معالمهُ

بذي غرارين مثلِ الصارم الخدمِ
لما استجيز عليه الوصفُ بالصممِ
مذ جاء منكَ بأذني لؤلؤ الكلمِ
وهنَّ أشهرُ من نارٍ على علم

١ م س والمساك : بخليل .

٢ المساك ١١ : ٤٣٤ .

٣ المصدر نفسه .

٤ المساك : جاز .

إنْ كان للنبل عرينٌ تُدِلُّ به
 ارددُ أنوفَ الليالي وهي راغمةٌ
 من تغلبِ أنت في علياءِ مركزها
 قومٌ أراد ابنُ هندٍ أن يضيهمُ
 مآثرُ قُسمتٍ بين الورى وغدا
 رأيتُ نفقةَ مصلورٍ بعثتَ بها
 لم تفضِ مني بالشكوى إلى طَلَلٍ
 سافر بطرفٍ أو انظر هل ترى يقظاً
 حوادثٌ لم تزل بالحرا^١ لاعبةً
 وبيننا قربةٌ ليست أواصرها
 حُسناً فأنت به أبهى من الشمم
 ما لم تكن لك في الإذعانِ كالخدم
 فمن يباريك في مجدي وفي كرم
 فأوطأوا الرأسَ منه أخصَصَ القدم
 للتغليين منها أوفرُ القِسَمِ
 مني إلى متلطي الصدرِ محتدم
 ولم تبتْ عاكفاً مني على صنم
 يحلُّ من طَلَبِ الأيام في حرم
 كما تلاعبتِ الأيسارُ بالزلم
 ما بين آدابنا مجفوةَ الرحم

ومن أبناء هذه القبيلة ، وشعراء هذه البيتة الأصيلة ،

ابن عمه أبو الوليد محمد بن يحيى بن حزم^٢

أحدُ أعيانِ أهلِ^٣ الأدب ، وأجلِ الناس شعراً لا سيما إذا عاتبُ
 أو عتب ، جعل هذا الغرض هجيراًه ، فقلتما يتجاوزنه إلى سواء ، وكلما
 أبدأ فيه وأعاد ، أحسنَ ما شاء وأجاد ، وفي كل معنى يُحسِنُ ،

١ م س : بالمرء .

٢ انظر ترجمته في المغرب ١ : ٢٣٩ والمسالك ١١ : ٤٣٤ ونفع الطيب ٣ : ٤٧٢ .

٣ أهل : سقطت من م .

٤ م : عابث .

أكثر مما يمكن ، ولكن رأيت في باب العتاب يعلن بأمره ، ويُعَرِّبُ عن ذات صدره ، وقد أُجريت من شعره في هذا المعنى وسواه ، ما يصرح عن مغزاه ، ويشهد على بعد مداه .

جملة من شعره في أوصاف شتى في النسيب وما يناسبه

قال ٢ :

أَتَجَزَعُ من دمعي وأنت أسَلْتَهُ ومن نارِ أحشائي ومنك ٣ لهيها
وترعم أنَّ النفسَ غيرَكَ عَلَّمْتَ وأنت ولا منْ ٤ عليك حبيها
إذا طلعت شمس عليَّ بسلوةٍ أثار الهوى بينَ الضلوعِ غروبها

وهذا البيت الأخير ينظر إلى قول مجنون بني عامر ٥ :

نهاري نهار الناسِ حتى إذا دنا ليَ الليلَ هزَّتني إليكِ المضاجعُ

وقال أبو الوليد ٥ : [١١٣ أ] .

وطارحكِ الواشون عني سلوةً مغالطةً هيهات ذاك بعيدُ

١ م : جواب .

٢ الأبيات في النفع ومنها اثنان في المسالك وفي معاهد التنصيص ١ : ٣٧٢ .

٣ النفع : وأنت .

٤ ديوان المجنون : ١٨٥ .

٥ . فيها ثلاثة أبيات في المسالك .

وكيف سلوي عن هواك وإنه
إذا ما ثناه الناسُ عنك لوت به
ليبتلي فؤادي وهو فيك^١ جديد
علائقُ حبٍّ فيك ليس تبيد
بلى إن عرتني^٢ فترة الصبرِ هزني
تذكرُ أيامي بكم فأعود

وقال وهي من حسنات شعره ، وآيات ذكره^٣ :

وكم ليلةٍ ألطفتُ بالمني	فقتُ أبادرُ الطافها
بشمسٍ إذا ما تأملتُها	رددت على الشمسِ أوصافها
بفترةٍ ^٤ لحظٍ كأنَّ الكرى	أعانَ عليها وإن خافها
ولاني وإن عفتها مُعلنًا	لأعدلُ في السرِّ مَنْ عافها
وهبتُ علينا صبا رطبةً	وقد عابثَ الطلُّ أعطافها
وقد بثَّها الروضُ هجر الحيا	فجرتُ على النورِ أطرافها ^٥
وتخيَّلُ الظلامُ أمامَ الصباح	والركضُ قد ضمَّ أجوافها
وقد فضضَ الفجرُ أذيالها	وزاد فذهبَ أعرافها
وكاثرتِ البدرَ شمس بدت	فمدَّت على الأرضِ أكتافها
وغاضبتِ السَّحْبُ فيها الرياح	فصرتُ من الغيظِ أخلافها
وذكرني بإدارات الحمام	حمام تندبُ ألاَّفها

١ م : فيه .

٢ المسالك : علتني .

٣ انظر المسالك ١١ : ٤٣٥ ومنها بيتان في المغرب .

٤ م : وشمس .

٥ ط : لعزة ؛ د : لفترة .

٦ سقط البيت من س م .

٧ ط د : الصبح .

وقال من أخرى^١ :

كم قلتُ فيكَ معرّضاً ومصرّحاً
ومنيّت من خلطائه بعصاةٍ
هيهاتٍ لولا غُنْجٌ^٢ لحظي محمد
ولقد بعثت على السلو لو أن لي
فجعلتُ ثوبَ الصبر فيه بصيرةً
ونبذتُ حلمي والتفتُ إلى الصبا
لله أيام على وادي القرى
إذ نجّني في ظله ثَمَرَ المنى
والشمسُ ترمقُ من محاجر أرمدٍ
والراحُ تأخذُ من معاطفٍ أغيدٍ
حتى إذا ضرب الظلامُ رواقه
ملنا نؤملُ غيرَ ذلك منزلاً
ويرومُ قولَ أبي الوليد وربّما
ثم احتللنا والوشاةُ بمغزلٍ
والبدْرُ يرميني بمقلةٍ حاسدٍ
حتى إذا نشر السرورُ بساطه
أهوى يقبلُ راحتيّ توددًا

أكذا علقت ضلالةً بفلان
خلطتُ بها شُبّهًا من البهتان
ما كنتُ نُهْزَةً أعين الغزلان
قلباً يطاوعني على السلوان
وثبتُ عن علمٍ إليه عناني
ويدُ العفافِ تضمُّ من أرادني
سلفتُ لنا والدهرُ ذو ألوان
والطيرُ ساجدةٌ على الأغصان
والظلُّ يركضُ في النسيم الواني
أخذَ الصبّا من عطفِ غصنِ البان
وخشبتُ فيه طوارقَ الحداث
والراحُ تقصرُ خطوه^٣ فيُداني
كتبتُ مكانةَ لامي الوان^٤ [١١٣ب]

وقد التقتُ في جفنه سينتانِ
لو يستطيعُ لكان حيث يراني
وطوى بساطَ شكيتي لأوان
ويشدُّ عقدَ بنانه بيناني

١ انظر المسالك أيضاً .

٢ المسالك : غنج فاتر لحظه .

٣ المسالك : خطونا .

٤ ورد البيت في القمم الأول : ٣٠٩ وروايته « كتبت » .

ويقول إشفافاً عليَّ ورحمةً
هاك^١ اغتنمها من زمانك خلصة
فلثمتُ فاه والتزمتُ عناقتهُ
ومرقتُ من ظنِّ الأعداء عفتةً
متلجلجَ الألفاظِ بعد بيان
تشفي غليلَ فؤادك الهيمان
ويدُ الوصالِ على قفا الهجران
والليلُ مشتملٌ على الكتمان

وقد كرر هذا المعنى في موضع آخر فقال^٢ :

فاطلعْ طلوعَ الشمسِ أو معها
في ساعةٍ سمحَ الزمانُ بها
فبَيدُ^٣ السرورِ على قفا الحزنِ
فكأنما هي المدةُ الوسنِ

وقال^٤ :

وكم ليلةٍ كاد الهوى يستفزني
وفي ساعدي بدرٌ على غُصْنِ بانهٍ
وفي لحظهٍ كالسكرٍ لا مِينَ مدامةٍ
وقد سلبته الراحُ سَورةَ كِبَرِهِ
وبين ضلوعي يعلمُ الله حاجةً
فلم يك إلا ما أباح لي التقى
ولا رقةً دون الأمانِ ولا سِتْرُ
يودُ مكاني بين لبَّاتِهِ البدرِ
ولولا اعتراضُ الشكِّ قلتُ هو السكرُ
ومال على عطفيه وانقطع العذرُ
طواها عفافي لا كما زعم الغدرُ
ولم يبق إلا أن تحلَّ لي الخمرُ

١ م : هات .

٢ هما في المسالك ١١ : ٤٣٦

٣ م : بيد .

٤ منها أربعة أبيات في المسالك .

٥ سقط البيت من س .

وله في مثله ١ :

وكم ليلة ظافرت^٢ في ظلّها المنى وقد طرّفت^٣ من أعين الرقباء
وفي ساعدي حلّو الشماثل مترف^٤ لعوب^٥ يئاسي تارة^٦ ورجائي
أطارحه^٧ حلّو العتاب وربّما تغاضب^٨ فاسترضيته^٩ ببيكائي
وفي لفظه^{١٠} من سورة الكأس فترة^{١١} تمت^{١٢} إلى الحاظه بولاء
وقد عابثته^{١٣} الراح حتى رمت به لقى^{١٤} بين ثنبي بردقي وردائي
على حاجة في النفس لو شئت نلتها ولكن^{١٥} حمّني عفتي وحيائي

قوله : « وفي لفظه من سورة الكأس » . . . البيت ، مما فتن فيه أبو
الوليد فتنة^{١٦} لا يحسنها السامري ، بل سحر سحرأ لا تتعطاء الحبال ولا العصي .

وقال من أخرى :

لاح العذار^{١٧} فلاح عذري^{١٨} فيه وسقى ومن عينيه ما يسقيه^{١٩}
وقضى علي^{٢٠} ومر^{٢١} يسحب^{٢٢} ذيله أكذا سفكت^{٢٣} دمي ولست^{٢٤} تديه
وفجعت سادة^{٢٥} مذحج^{٢٦} بزعيمها وأمنت^{٢٧} من أشياعه^{٢٨} وذويه
هيات^{٢٩} لو ملك القضاء^{٣٠} سبيلها لثنى^{٣١} عنان^{٣٢} جماحه^{٣٣} ثانيه
لكن^{٣٤} حمّالك^{٣٥} الحسن^{٣٦} من سطواتهم^{٣٧} ومن^{٣٨} الذي ترنو فلا تصبيه^{٣٩} [١١٤أ]

١ انظر المسالك أيضاً .

٢ المسالك : ضافرت .

٣ م : وكم طرفت .

٤ س والمسالك : لفظه .

٥ سقط هذا البيت والذي يليه من س .

٦ ط د : حمامه .

ولقد أتاح لك الهوى من معشري
وهويته عذبَ الشماثلِ مرفأً^١
كالغصنِ غازلتِ الصبا أعطافه
أطوي الهوى شحاً عليه ورقة
يخبي فأضمرُ هجره لا عن قلى
ولكم صدّدتُ فعارضني سورة
كم ليلة ضمتُ عليه ساعدي
والبدْرُ من حسدٍ يجمجمُ قوله

وقال أبو الوليد من أخرى :

وشتَ بهواه مقلتي ولساني
فلما تناهى الشوقُ واستحكم الهوى
نأى عن مكاني حين لا لي حياة
وصدّ على عَمَدٍ لبشرِك في دمي
ومن عَجَبَ أني إذا رُمْتُ سلوة
أبا قاسمٍ خذّهما شكاية واجدٍ

وقال^٢ :

أساكنَ قلبي والمقامُ كما ترى^٣

ما لا يكادُ الدهرُ يطعمُ فيه
نشوانَ يعثرُ في فُضُولِ التيه
فتكادُ لمحةُ ناظري تننيه
والدهرُ ينشرُ منه ما أطويه
والحبُّ يغفرُ كلَّ ما يجنيه
من وَرْدٍ وجنته وخمرة فيه
والمسكُ يأخذُ منه ما يعطيه
ما ضرَّ مَجْدَكَ لو شركتُك فيه

وأتلُفْتُ فيه مهجتي وجناني
وقبلَ فلانٍ طاعةً لفلان
وقد حلَّ من قلبي بكل مكان
ولو ظفر الأعداءُ بي لبكاني
وجدتُ هواه آخذاً بعناني
كما وجدَ المقصوص للطيّران

لعلك تصفي ساعةً فأقول^٤

١ ط د م س : مترف .

٢ المغرب ١ : ٢٤٠ .

٣ المغرب : والحوار حفيظة .

٤ سقط البيت من ط

أعيدُكَ من أقوالِ قومٍ وربِّما^١ فكم قمرٍ غطى عليه أفولُ
وكم أمَلُوا لا بُلُغُوا^٢ فيك خطَّةٌ وحاشاك منها والحديثُ يطول
ومستكشفٍ لم يدْرِ ما بين أضلعي يعرضُ^٣ بي واللومُ فيك ثَقِيلُ
فصكَّتْ^٤ لساني يعلمُ الله سكتةً لها في جَنَانِي زفرةٌ وعويل
وسدَّ طريقَ اللحظِ دمعٌ كأنما تشحَّطَ من جفنيّ فيه قَتِيلُ

وهذا البيت مما أحسن فيه ، ولكن ابن الرومي زاد عليه بحسن الاستعارة والتشبيه ، وهو قوله^٥ :

رسمُ الكرى بين الجفونِ محيلُ عَفَى عليه بكأ عليكَ طويلُ
يا نظرةً ما أَقْشَعَتْ لحظَاتُها حتى تَشَحَّطَ بينهما قَتِيلُ
ونسب هذين البيتين صاحبُ « العمدة »^٦ لأبي نواس .

وقوله : « فصكَّتْ لساني » البيت يشبه قول جيب^٧ :

ولّى وقد أَفْحَمَ الخطيَّ منطقَهُ بسكتةٍ تحتها الأحشاءُ في صخبِ
وقال أبو الوليد من أخرى :

١ المغرب : مريبة .

٢ ط د : يبلغوا .

٣ المغرب : تعرض .

٤ المغرب : فشدت .

٥ البيتان لأبي نواس في ديوانه : ٣٨٨ ، وكذلك نسبهما له صاحب زهر الآداب : ٢٤١ .

٦ العمدة ٢ : ١٢٠ .

٧ ديوان أبي تمام ١ : ٧٢ .

وكم معشرٍ لاموا عليك رددتهم
ومالوا إلى رَجْمِ الظَّنونِ وبيننا
ولمّا بدتْ أشياءُ منكَ تريبني
وشاركني فيك الذين علمتْهُمْ
تجافيتُ عن حظي لهم فيكَ عنوةً
إذا عرَّضوا أوليتْهُمْ فيكَ سكتةً
وأكبادهُمْ غيظاً عليّ تذوبُ
إذا ما خَلَوْنَا للعفافِ رقيب
وأكثرَ فيها مخطيءٌ ومصيب
ولم يكُ لي إلاّ السلوَّ طيب
وقد يتجافى الشيءُ وهو حبيب [١١٤ب]
ويَعْرِضُ دمعِي دونهم فيجيب

وقال ١ :

لما استمالك مَعَشَرٌ لم أرضَهِمْ
داريتُ دونكَ مَهْجِي فتَما سكتُ
فأذهبُ فغيرُ جوانحي لكَ منزلُ
والقولُ فيكَ كما علمتَ كثيرُ
من بعدِ ما كادتُ إليكَ تطيرُ
واسمعُ فغيرُ وفائكَ المشكور

وقال ٢ :

يقول وقد لمتُهُ في هوى
أتحسّدي ؟ قلتُ : لا والذي
فكيف وقد حلَّ ذاك الحمى^٣
فلان وعرضتُ شيئاً قليلاً
أحلَّكَ في الحبِّ مرعىً وبيلاً
وقد سلكَ الناسُ تلكَ السبيلاً

وقال :

١ الأبيات في المغرب ١ : ٢٤٠ والنفع ٣ : ٤٧٢ .

٢ الأبيات في النفع ٣ : ٤٧٢ .

٣ النفع : ذاك الجَناب .

٤ م س والنفع : ذاك .

أبلغ فلاناً وإن كنتُ الضنينَ به
 أني تركتُ الحمى عن غير مقلبةٍ
 وصنتُ وجهَ عفاي عن تبدُّله
 يا أملحَ الناسِ إلا ريبةً عرضتُ
 ما الذنبُ عندك إلا عفةً صرفتُ
 وباحثٍ عن غرامي فيك قلتُ له
 ويلى عليه ويحيى من تبدُّله

قولاً تطاير من أرجائه الشررُ
 لمعشرٍ وردوا قبلي وما صدروا
 حتى سلا القلبُ عنه وارعوى البصرُ
 تكادُ من ذكرها الأحشاءُ تنفطرُ
 يدُ الهوى عنك إلا ما جنى النظرُ
 عني إليك فلا عينٌ ولا أثرُ
 وطالما صُنَّتهُ لو ساعدَ القدرُ

ومن شعره في العتاب

قال من كلمة ٢ :

مقالٌ يطيرُ بالحرُّ من جنباته
 أحيانَ نبذتُ الناسَ إلا علالةً
 ودنتُ بما تهوى هدىً وضلالةً
 سرتُ لك في أفياءِ ظليّ قولةً
 فهلاً على حالٍ وفيت لمن وقتٌ ٣
 وحاشاك أن تُعزّي إلى المجد خطه
 ولكن أبى إلا إليك التفاتةً

ومن تحتَه قلبُ عليك يذوبُ
 من الحسن يدعو ناظري فيجيب
 وما الناسُ إلا غطى ومصيب
 لها بين أحناءِ الضلوعِ ديب
 سجيتهُ حيثُ الوفاءُ غريب
 تجشّمه داءٌ وأنت طيب
 فؤاد عليه من هواك رقيب

١ م س : وويلي .

٢ بمض أبياتها في المسالك ١١ : ٤٣٤ : ٤٣٧ ومنها بيت في المغرب .

٣ وف : سقطت من م .

وود^١ وإن أخرتموه مقدّم
وكم بيننا إن كنت تحفظ ما مضى
وقد قام في وجه النسيم غزّيل
وسدّ طريقَ الشمسِ بدر إذا بدا
يدبرُ علينا السّحرَ ملءَ جفونه
وتحت جناحِ الغيم أحشاءُ روضة
ولزّهرٍ في ضمن الرياضِ تبسم^٢
وقد شملتنا يعلمُ الله عفة^٣
أما والذي أعطاك شاعخة العلا
لقد علقتُ كفّاك منّي كوكباً
حنّانينك لا تحمدهُ بعد توقّد^٤
وخلدها وإن صدّت قليلاً بوجهها

وصدّر وإن أخرجتموه رحيب
إذ العيش غصّ والزمان قشيب
تغازل عطفه صباً وجنوب
أهأت عيون^٥ بالهوى وقلوب
فكلّ بريء عند ذاك مريب
بها لخفوق العاصفاتِ ضروب
والطير من فوق الغصون نجيب
على ماترى والعاشقون ضروب [١١٥أ]
فزّل شباب^٦ عن مذاك وشيب
له في سماء المكرّماتِ ثقب
فربّما علّ الطلوع^٧ غروب
ففي صدّرها شوقاً إليك هبيب

قوله : « وقد قام في وجه النسيم غزّيل » من براعة الشعراء الحلوة ؛
وأنشدت لأبي بكر بن سعيد البطلبوسي^٢ :

عندي قطيع^٣ قهوة ومودّتي وأبو الحسين

وقال أبو الوليد من أخرى^٤ :

- ١ س م وأصل ط : عل ؛ ط : الفلوع .
٢ هو أبو بكر عبد العزيز بن سعيد أحد بني القبطورة ، وشرّد ترجمته في هذا القسم : ٧٥٣ .
٣ القطيع : الزجاجة الصغيرة .
٤ منها أربعة أبيات في المسالك .

ولقد منحتك مهجتي لبصيرة
فلو اطلعت على فؤادي لم تجد
وهوى لطيف الكشح ذا جبرية
كالغصن غازلت الصبا أعطافه
وكأنما غمر الكرى أجفانه
فكأنما^٢ لبس الملاحه حلة
يروى ترابك من مدامة ريقه
فلئن هممت فغير مشدود الحبي^٣
ولقد قنعت فلا قنعت بزورة^٤
فأبحت مَرَحَ اللهو مرتاد الهوى
لاحت لقلبي في إغائك أو عمي
إلا لك فيه ما أجل وأعظما
إلا عليك فما أحن وأرحما
نشوان يعبث بالنفوس وربما
فتصرجت وجناته منها دما
ولقد خجلت لقلوبي فكأنما^٥
وسواك يهلك لا سواي من الظما
ولئن عفت فغير ممنوع الهمي
ولقد نجوت فما نجوت مسلما
ومنعت طير الوجد أن يترنما

قوله: « يروى ترابك » ... البيت ، ذهب إلى قول الآخر :

أتمتع ريقك المعسول عتي وأنت على التراب به نجود

إلا أن هذا زاد عليه ، لبعض حاجته إليه ، ولكنه والله دعا الإحسان
فأسمع ، وجادت نفسه فأقنع ، حيث يقول بعده :

وأنت لو اقتصرت عليه جدنا ولكن قد علمنا ما تريد

١ المسالك : غمز ؛ م س ط : عمر .

٢ م س : وكأنما ... وكأنما .

٣ م ط د س : الحيا .

٤ د : ولقد قنعت بزورة من طيفه .

٥ م : حرننا .

وقوله : « ومنعت طيرَ الوجدِ أن يترنما » ، من لطيف الاشارة ، ومليح الاستعارة . أو ما به إلى الكتمان ، إيماءً يأخذ بمجامع البيان .

وقال من أخرى^١ :

خذها أبا العباسِ قولَةَ مُخْلِصٍ	إنْ وافقتْ من مِسْمَعَيْكَ قبولا
تظني ويمنعها ^٢ الحياءُ وربَّما ^٣	مالَ العتابُ بها عليك قليلا
واضيعتا للود ^٤ عند معاشرٍ	لا يهتدون إلى الوفاءِ سبيلا
فارغبْ بنفسك عن معارِضِ العدا	لا زال دونك حدُّهُم مفلولا
وانظرْ فربَّما ضللتَ وكم فتى ^٥	لعبَ السَّرابُ بناظريه طويلا ^٦
وأصيحْ فقيري من يسوعك غيبه ^٧	وسوايَ من رضيَ الودادِ عليلا
وارفقْ فثمَّ وإن صدرتْ ^٨ بقيَّةُ	تأبى على رِغم السلو ^٩ رجلا [١١٥ب]
فلطالما أجريتْ أجفاني دما	وملأت أضلاعي جوى وغليلا

وله من أخرى إلى أبي الحكم ابن عمه^٧ :

أعمرو ^١ كم أطامينها حياءَ	فتُطغِيها معاتبَةُ الأمانِي
وإن وقفَ الغرامُ بها قليلا ^٢	فعذرُ أخيك في جَفَتِي فلان

١ منها أربعة أبيات في المسالك ١١ : ٤٣٧ .

٢ م س : تصفي ويحفظها ؛ المسالك : ويحفظها .

٣ ط د : وإنما .

٤ ط د : فانظر .

٥ ط د : طولا .

٦ م س : صدت .

٧ منها بيتان في المسالك : ٤٣٧ .

أَتَنِي قَوْلُهُ هَجَمَتْ فَكَادَتْ
وَلَمْ أَرْتَبْ وَجَدِكَ غَيْرَ أَنِّي
أَأْرَحِلُ وَالنَّوَى قَدْ قَدْ وَرَحِلِي
أَمَّا رَأْيُ الْأَمِيرِ وَلَمْ أَرْجَمْ
يُعِينُ عَلَى الْمَكَارِمِ عَاشِقِيهَا
وَيَتَنِي الدَّهْرَ طَوْعَ يَدِي حَتَّى
وَأَنْ سَدَّ الْقَضَاءُ سَبِيلَ سَعِي

تَغْلُ يَدِي وَتَعْقِدُ مِنْ لِسَانِي
كَلِيمٌ مِنْ مَقَارِعِ الزَّمَانِ
كَمَا تَدْرِي مَظَاهِرُ الْخِرَانِ
ظَنُونِي فِي التَّبَاعِدِ وَالتَّدَانِي
وَإِنْ عَزَّتْ مَصَافَاةُ الْحَسَانِ
كَأَنَّ الدَّهْرَ كَفَيْتِي أَوْ بَنَانِي
فَلَيْسَ جَمِيلٌ سَعِيكَ لِي بَدَانِ

فأجابه أبو الحكم بأبيات منها :

أَمَّا وَعَقِيلَةُ لَكَ غَاذِلْتَنِي
لَقَدْ أَهْدَيْتَ لِي مِنْهَا عُرُوسًا
جَلَلَتْ مِنْ رَقَّةِ التَّعْرِيفِ صَحْفًا
وَأَخْشَى أَنْ أَكُونَ لَهَا ظَلُومًا
بِنَفْسِي أَنْتَ قَوْلُ النَّاسِ رِيحٌ
أَنَا لَكَ حَيْثُ كُنْتَ أَخٌ أَمِيرٌ
أَلَا لَيْتَ الْقَبُولَ غَدَّتْ بِسَرَجِي
فَأُلْمَعَ مِنْكَ أُرُوعَ أَرِيحِيًا

بَغْنُجِ السَّحَرِ مِنْ جَفَنِي فُلَانِ
مُعَرَّسَهَا سَوِيدَاءُ الْجَنَانِ
أَرَقَّ مِنْ الْحَسَامِ الْهِنْدَوَانِي
إِذَا سَمَّيْتُهَا سَحَرَ الْبَيَانِ
يُوَافِقُ مِنْكَ رَكْنًا مِنْ أَبَانِ
إِذَا مَا خَانَ إِخْوَانُ الْعِيَانِ
إِلَى لِقْيَاكَ مَطْلَقَةَ الْعِنَانِ
تَبَوَّأَ ذُرُوءَ الْحَسَبِ الْهَجَانِ

ولأبي الوليد إلى أبي بكر ابن عمه ١ :

١ أبو بكر محمد بن مذجح : أخو أبي الحكم عمرو ، انظر المغرب ١ : ٢٣٩ ونفع الطيب ٣ : ٤٧١ ومنها بيتان في المسالك : ٤٣٧ .

إليكَ وإن أصبحت عني بمزول
عتاباً كحدِّ السيف إلا بقيَّةٌ
وأعدته للدهر جُنَّةٌ واثقٌ
وأرسلته سهماً سديداً على العدا
أريشٌ ويبري أعظمي غير مُقصرٍ
وأخفقَ ظنِّي في هواك ولا أدري
عليك ولولاها لساء لك ما يفري
فألفيتهُ سيفاً عليّ مع الدهر
فأخطأهم عمداً وعاجاً إلى نحري
فيا ليت شعري كم أريشٌ وكم يبري

ومن جواب أبي بكر له ٣ :

ولمّا رأى حمصاً استخفّتْ بقدره
تحمّل عنها والبلادُ عريضةً
فيا أيها المهدي إليّ صوارماً
أني الحقُّ أن يحظي بقربك معشرٌ
على أنها كانت به ليلة القدر
كما سُلّ من غمد الدّجى صارمُ الفجر
من العتبِ يفري حدُّها جُننُ الصبر [١١٦]
قليلو الحجي ليسوا بخلٌ ولا خمر؟

ومنها ٤ :

ألسنا من القوم الذين سَمَوْا بنا
فكم جعلوا عبساً يطولُ عبوسُها
إلى حيثُ لا تسري النجومُ التي تسري
وكم صبّحوا بتكراً براغيةِ البكرِ

وقال أبو الوليد من قصيدة ٥ :

١ المسالك : إلى .

٢ س والمسالك : وعاد .

٣ منها بيتان في المسالك والنفع .

٤ ومنها : زيادة من م س .

٥ م : ملوا .

٦ البيتان في المسالك ١١ : ٤٣٧ - ٤٣٨

وإذا الزمانُ رمى إليك مسالماً وأمينتهُ فاحذرُ من الإخوانِ
وسجيتي ما قد علمتَ وربّما صدىءَ الحسامُ من النجيعِ القاني

ومعنى البيت الأول كأنه يشير إلى ما قال الفقيه منصور^١ :

لو قيلَ لي خُذْ أماناً من حادثِ الأزمانِ
لما أخذتُ أماناً إلاّ من الإخوانِ

والبيت الثاني كقول ابن الملح من شعر وقد تقدّم^٢ :

والغضبُ يستره القرابُ وربّما خَشُنَتْ مضاربُهُ الرقاقُ من الصدا

ولأبي الوليد^٣ من قصيدة^٤ :

حبيبٌ إليه الورْدُ ، والمنهلُ الردى يسيرٌ عليه الخطبُ ، أهونهُ القتلُ
إذا نال غاياتِ المكارمِ والعلا فلا أسعدتْ سَعْدَى ولا أجملتْ جملُ

ومنها^٥ :

١ هو أبو الحسن منصور بن اسماعيل بن عمر التميمي المصري الفرير (- ٣٠٦) ،
وقد ذكرت ترجمته في القسم الأول : ٨٨٣ والمصادر ، ويمكن أن يضاف إليها معجم
الأدباء ١٩ : ١٨٥ والمغرب (قسم مصر) ١ : ٢٦٢ والمنظوم ٦ : ١٥٢ وحسن
المحاضرة ١ : ١٦٨ ومعجم المرزباني : ٢٨٠ . وجمع الجواهر : ١٢٠ - ١٢٢ ولم يرد
البيتان في المصادر المذكورة هنا أو في القسم الأول .

٢ انظر ص : ٤٥٤ فيما تقدم .

٣ م س : ولأبي بكر .

٤ منها بيتان في المسالك .

٥ ومنها : لم ترد في م س .

نَبَذْتُ^١ إِلَيْكَ النَّاسَ لَا غَادِرًا لَهُمْ وَلَا طَالِبًا جَدْوَاكَ إِنْ خِيسَمَ الْمَحَلَّ
وَنَكَبْتُ عَنْ قَوْمٍ مَضَوْا وَبُودُ هُمْ لَوْ أَنَّ ثَرَى رَجُلِي لِأَجْفَانِهِمْ كُحُلٌ

وهذا كقول بعض أهل عصري :

وَكَمْ رَافِعٍ لِي بِالْعَدَاوَةِ صَوْتُهُ يُوَدُّ لَوْ أَنَّي بَيْنَ أَضْلَاعِهِ قَلْبُ

ولأبي الوليد من مرثية^٢ :

بَأْيٍ مَقَالٍ مِنْ لِسَانِي أَرْثِيهِ وَأَيُّ دُمُوعٍ مِنْ جَفُونِي أَبْكِيهِ
وَقَدْ جَلَّ رُزْنِي فِيهِ حَتَّى كَأَنَّمَا رَزَايَا جَمِيعِ النَّاسِ مَجْمُوعَةٌ فِيهِ

ومنها :

فَرَوْضُ سُرُورِي بَعْدِيَوْمِكَ قَدْ ذَوَى وَعَارِضُ حَزَنِي فِيكَ حُلَّتْ عِزَالِيهِ
وَلَوْ كُنْتُ أَدْرِي أَيْنَ ثَارِي نَلْتُهُ وَلَوْ حَلَّ مَا بَيْنَ الْكَوَاكِبِ جَانِيهِ

ومنها :

وَلِنْ كُنْتُ أُوتِيتَ السِّيَادَةَ نَاشِئًا فَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ مِنْ شَاءِ يَوْثِيهِ
وَمَا بِاخْتِيَارِي عَشْتُ بَعْدَكَ سَاعَةً فَلِي أَجَلٌ يُغْنِي سَوَادِي وَأَفْنِيهِ^٣
فِيَا قَبْرَهُ مَاذَا تُجِنُّ مِنَ الْعَلَا وَيَا يَوْمَهُ مَاذَا نَعِي فِيكَ نَاصِيهِ

وله مما كُتِبَ عَلَى قَوْسٍ وَأُخْبِرَ عَنْهَا :

١ ط د : تَبَدَّت .

٢ منها بيتان في المغرب ١ : ٢٤٠ .

٣ الشطر الثاني من هذا البيت اقترن مع الشطر الأول من البيت السابق في ط د .

إِنَّا إِذَا رُفِعَتْ سَمَاءُ عِجَاجَةٍ وَالْحَرْبُ تَقَعْدُ بِالرَّدَى وَتَقُومُ
وَتَمُردُ الأَبْطَالُ فِي جَنَابَتِهَا وَالْمَوْتُ مِنْ فَوْقِ النُّفُوسِ يَحُومُ
مَرَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْخُتُوفِ كَأَنَّمَا نَحْنُ الأَهْلَةُ وَالسَّهَامُ رَجُومُ
وَلَكُمْ دَمٌ عَزَّ الْقَضَاءُ وَرُودُهُ فَتَرَوِينَ مِنْهُ وَالْعَوَالِي هَيْبُ

في ذكر الأديب أبي بكر يحيى بن بقي^١ وإثبات جملة من سري نظامه ، وحرر كلامه

[١١٦ ب] وأبو بكر في وقتنا هذا على صغر سنه شهاب فهم ونبل
قلما يخلو شعره من بديع ، وأخرجته فتنة طليطلة - جبرها الله - الآتي خبرها
في القسم الرابع من هذا المجموع ، ولما يسطع بعد ضوءه ، ولا نشأ نوعه ،
فاحتل اشبيلية ، فمن ثم شرق وغرب ، وأحزن ذكره في البلاد وأسهب ،
ولذلك نسقته في دررها ، وأثبتته أثناء حجولها وغرورها ، وقد أخرجت من شعره
ما يشهد بما أجريت من ذكره ، ويبرأ من الإطراء ، ويرى أنني ربما قصرت
في الثناء .

١ أبو بكر يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن بقي (وعند السلفي يحيى بن حكم بن بقي وعند ابن
الأبار يحيى بن أحمد) الشاعر الوشاح ، سرقسطي النسب (وقيل طليطلي) اشبيلي الأدب ، سلوي النسب ،
وادياشي المطب ، أي أن أصله من سرقسطة (أو طليطلة) وتآدب باشبيلية ، واكتسب المال
بمدينة سلا ، وتوفي بوادي آتش سنة ٥٤٠ هـ (أو ٥٤٥ هـ) ؛ قيل إن له ما ينيف على ثلاثة آلاف
روضة ومثلها قصائد ومقطعات ، وله مدائح كثيرة في بني عشرة أحيان سلا (انظر ترجمته
في القلائد : ٢٧٩ وعنه وعن المطبع ترجمة منقولة في نفح الطيب ٤ : ٢٣٦ - ٢٤٠ ؛
وفيات الأعيان ٦ : ٢٠٢ والسلفي : ٥٠ - ٥١ ومجمع الأدباء ٢٠ : ٢١ والمساك ١١ :
٢٨٠ والخريدة ٢ : ٣٠٨ ونفح الطيب ٣ : ٢٠٩ ، ٣٤٧ ، ٤٠٤ ، ٤٣٩ ، ٤٤٨ ،
٤ : ١٣ ، ١٥٥ ، والمطرب : ١٩٨ وله موشحات في دار الطراز وجيش التوشيح .)

جملة من شعره في أوصاف شتى

استهدى من بعض إخوانه أفلاماً ، فبعث إليه منها بثلاثٍ من القصب ،
وكتب معها إليه :

خُذْهَا إِلَيْكَ أبا بكرٍ العلا قصباً كأنما صاغها الصوّاغُ من ورقه
يُزْهِى بها الطرسُ حسناً ما نثرت بها مسك المدادِ على الكافور من ورقه

فأجابه أبو بكر بأبيات منها قوله :

أرسلت نحوي ثلاثاً من قنأ سُلْبٍ منأدة تطعنُ القرطاسَ في درّقه
فالحظّ ينكرها والخطّ يعرفها والرقّ يخدمها بالرقّ في عنقه

فكان بعض من حضر سماع شعره حسده عليه ، ونسب الانتحال
إليه ، فقال أبو بكر مخاطب صاحبه الأول من جملة أبيات :

وجاهلٍ نَسَبَ الدعوى إلى كلمي لمّا رماهُ بنبلِ النبلِ في حدّقه
فقلتُ من حَتَقٍ لمّا تعرّض لي من ذا الذي أخرج اليربوعَ من نفقه
ما ذمّ شعري وأيم الله لي قسمٌ إلا امرؤٌ ليستِ الأشعارُ من طرّقه
الشعرُ يشهدُ أني من كواكبه بل الصباحُ الذي يستنُّ في أفقه

وله من كلمة في الوزير أبي العلاء ٢ :

١ لم يرد هذا البيت في ط د .

٢ يعني أبا العلاء ابن زهر ، الذي تقدمت ترجمته ص : ٢١٨ .

عُلِّقَتْهَا مِنْ رَبِّ رَبِّ الْعَفْرِ
 لَا تَلْتَمِحْهَا رَبِّمَا سَكَبَتْ
 وَاذْهَبْ بِشَأْنِكَ إِنَّ مَقْلَتَهَا
 سَلٌ بِالْعِيُونِ فَيَّ أَصِيبَ بِهَا
 مِنْ السُّيُوفِ مِنَ الرَّدَى طَبَعَتْ
 لَكِنَّهَا عَرِيَّةٌ النَّجْرِ^١
 مِنْكَ الْفَوَادَ وَأَنْتَ لَا تَدْرِي
 سَقَيْتَ^٢ بِيَابِلَ قَهْوَةَ السَّحَرِ
 مِثْلِي لِتَعْلَمَ صَحَّةَ الْأَمْرِ
 تَبْرِي الْقُلُوبَ وَقَلَمًا تُبْرِي

ومن المدح :

مَنْ جَدُّهُ كَعْبُ بْنُ مَامَةَ قَدْ
 هُوَ آثَرَ النَّسْرِ صَاحِبَهُ
 وَاسَاهُ حَتَّى مَاتَ مِنْ ظَمًا
 وَأَرَاكَ يَا زُهْرُ اقْتَدَيْتَ بِهِ
 زُهْرُ الْكَوَاكِبِ كُلُّهَا شَهَدَتْ
 ذَرَّ حَاتِمًا يَشْجَى بِكَعْبِكُمْ
 وَافْخَرْ بِنَفْسِكَ لَسْتَ دُونَهُمْ
 حَازَ النَّدَى بِالطَّيِّ وَالنَّشْرِ
 بِالْمَاءِ فِي دَوِيَّةِ الْقَفْرِ
 ثُمَّ انْطَوَى وَالْجُودَ فِي قَبْرِ
 فِي صَبْرِهِ وَنَوَالِهِ الْغَمْرِ
 أَنَّ السِّيَادَةَ فِي بَنِي زَهْرٍ
 وَافْخَرْ بِدَعْمِي^٣ عَلَى عَمْرٍو
 وَلَثْنُ سَكْتٍ^٤ فَخِيفَةَ الْكَبْرِ

وله من أخرى < فيه > :

أَفْخَرْ عَلَى النَّاسِ مِلءَ الْأَرْضِ مِنْ شَمَمٍ
 هَلْ يَسْتَوِي النَّاسُ قَالُوا كُلَّنَا بَشَرٌ
 الْعِزُّ أَقْعَسُ وَالْآبَاءُ أَنْجَادُ [١١٧]
 فَالْمَنْدَلُ الرُّطْبُ وَالطَّرْفَاءُ أَعْوَادُ

١ بعد هذا البيت في م س : ومنها .

٢ سَقَيْتُ : سَقَطْتُ مِنْ ط د .

٣ دَعْمِي الَّذِي يَعْنِي هُنَا مِنْ إِيَادِ قَبِيلَةِ كَعْبِ بْنِ مَامَةَ وَهُوَ أَخُو زَهْرٍ الْقَدِيمِ (انظر كاسكل ١ : ١٧٤) .

٤ ط م س : سَكَنْتُ .

وهذا يشبه قول أبي الطيب^١ :

فان تفقر الأنام وانت منهم فان المسك بعض دم الغزال

وقال المصري :

أبا بكر أن أصبحت بعض ملوكهم فان الليالي بعضها ليلة القدر

ومنها :

يا زهر زهر إباد لا كما زعت
حقاً سلكت إلينا كل موحشة
يجب فيها الصدى من ليس يسأله
وينضب الماء وهو الجم مورده
والمروني الحرّة الرجلاء قد حبيت
من شر ما طرّق الأقوام من نوب
يخرجن من جنبات النع طائفة
كأنهن من العشاق أكباد
وخير ما ارتاده للنجع مرتاد
كأنهن سقوط وهي أرناد

ومنها :

ولتوا جميعاً بما في الدهر من حسن لا عيب في القوم إلا أنهم بادوا

وهذا كقول أبي تمام حيث يقول^٢ :

١ ديوان المتنبي : ٢٥٨ .

٢ بياض في ط د س وموضعه كلمة غير واضحة في م ، ولعلها « ويحشد » .

٣ م س : كقول أبي حاتم من قصيدة ، وانظر ديوان أبي تمام ١ : ١٩١ .

وما كان بين الهَضْبِ فرقٌ وبينهم سوى أنهم زالوا ولم يَزَلِ الهَضْبُ

ولأبي بكر من قصيدة :

لم أعلمِ الشوقَ إلاّ من مطوّقةٍ لا مثلها وسقيطُ الطلّ يضرّ بها
تذكرتُ ساقَ حرٍّ وهي تندبُه كأنهم بأعلى الدوحِ إذ سجعتُ
والنجمُ منهزمٌ أولى كتابيه والروضُ يوشفُ ريقَ الطلّ عن ترفِ
دعِ المنى ربما نيلتُ بلا طلبٍ فهمتُ عنها الذي قالت ولم تُبِنِ
في عاتقَي حلّةٍ من سندسِ اليمنِ بالأخضرين من الظلماءِ والفسنِ
رومٌ ترأطنُ بالألفاظِ من قدنِ والصبحُ يغسلُ ثوبَ الليل من درنِ
وليت لي مثله ممّن يعذبني وربّما وقع الحرمان في المهنِ

ومنها في وصفِ طِرْفٍ :

لكن على سابعِ نهدٍ مراكيلهُ أقام في الحميّ أحوالاً وآونةً
فجاء إذ صَنَعُوهُ وهو مضطمرٌ يهوي من الأرض أنثى شاءَ راكمه
مؤلّلٍ الجحدِ والأرساغِ والأذنِ يُسْقَى الخليطينِ من ماءٍ ومن لبنِ
سامي التليلِ مُمرّاً الخلقِ كالشّطنِ وتركُ الرّيعِ في الآريّ والرّسنِ

قوله : « والصبحُ يغسلُ ما في الليل من درنِ » . يشبه قولَ بعضِ أهلِ العصرِ : [١١٧ ب] .

شهمٌ له نظرةٌ في كلِّ مشكلةٍ يكادُ يغسلُ ما في الطينِ من درنِ

وقلبه من قول المعري^١ :

فلن كان يكتبه كاتبٌ فقد سَوَّدَ الصبحَ مما كتبُ

وقال أبو بكر من قصيدة :

أقبلتَ بالجيـشِ مـلـمـومـاً كـتـابـهُ كأنكَ البدرُ تحتَ العارضِ المـطـلِـ
في فتيةٍ كـسـيـوفِ الـهـنـدِ أنـحـلـهـمُ حبُّ الصوارمِ والخطيةِ الذبـلِ
وتـيـمـوا بـعيـونٍ غـيـرِ فـائـرةٍ من الأسنةِ لم تهجعْ مع المـقـلِ
إنْ لا تـكـنْ أعيـناً نـجـلاً فـانْ لها في أضلاعِ القومِ مثـلَ الأعـيـنِ النـجـلِ

وما أحسن ما أتى بهذا المعنى ، وإنما ذهب إلى قول^٢ أبي الطيب^٣ :

أثبتُّ عـيـنـكَ في حـشـايَ جـراـحـةً فتشابهـا كلتاها نجلاءُ

وقال :

« عليهنَّ من وقعِ السيوفِ حواجبٌ »

ومن قصيدة أبي بكر :

تـرى السـمـاءَ دـخـاناً مـثـلـما خـلـيـتْ والأرضَ قـدْ شـرقتْ بـالـحـيـلِ والإبـلِ

١ اللزوميات ٤٧ / أ ، ١ : ١٢٦ .

٢ م س : ذهب بقول .

٣ ديوان المتنبي : ١١٥ .

٤ الديوان : مثلت .

٥ وقال . . . حواجب : لم يرد في م س ؛ ولا يعرف إلى من يعود الضمير في « وقال » .

تمشي بها الخيل لا جُرْدٌ مطهَّمةٌ
من كلِّ مضطمرٍ الكشحين حافرهُ
يا معشرَ الروم قد شالتْ نعامتكم
لم يَكْسُكُم من ثياب الخزي أسبعها
يا ويلكم معشراً بل ويلَ أمكم
مشيَ الكواعب في حَلْيٍ وفي خلل
أحقُّ من ميسم الحسناء بالقبل
إمّا من الحَيْنِ أو من شدّةِ الفشل
إلاّ اتّقاؤكم للصّدْرِ بالكفل
فإنها وَلَدَتْ للتكلِّ والهبل

وهذا المعنى كثير ، ومنه قول أبي تمام ^١ :

لم تبقَ مشرّكةٌ إلاّ وقد علمتْ
إن لم تُنِبْ أنّه للسيف ما تكِدُ
وأخذه أبو الطيب فقال ^٢ :

للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا
والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا
وقال محمد بن هانيء ^٣ :

لو تعلم الرومُ ما لاقت بطارقها
ما هُنَّتْ أمٌ بطريقٍ بمولود
وقال أبو بكر من قصيدة :

مَنْ لي به والوغى شهباءُ من أسلٍ
يُرْدي ويصرع أقواماً ، عيونهمُ
بكلِّ غُصْنٍ من الخطي منعطفٍ
في صهوةٍ من أقبِ البطن منجردٍ
حُمُرٌ من الرّوعِ لا حمر من الرمد
بطائرٍ من سنانٍ ليس بالغرد

١ ديوان أبي تمام ٢ : ٢٠ وروايته « إن لم تنب » .

٢ ديوان المتنبي : ٣٠٣ .

٣ ديوان ابن هانيء : ٤٦ .

٤ الديوان : لو كان الروم علم بالنبي لقيت .

ومنها :

الدهرُ أخونٌ من أن يستقيمَ لكم وإنما جاد عن كثره ولم يكده
ومن تصنع يرجع بعد آونة إلى الطباع رجوع العير للوتد

وهذا المعنى مشهور ومنه قول الآخر^١ :

كلُّ امرئٍ راجعٌ يوماً لشيئته وإن تمتع أخلاقاً إلى حين

وقال آخر^٢ :

يا أيها المتجلبّي غيرَ شيءته إن التخلّق يأتي دونه الخلقُ [١١٨]

وقال آخر^٣ :

ومن يتكلّف غيرَ ما في طباعه يدّعه ويغلبه على النفس خيمها

وقال الرضي^٤ :

١ م س : الأول ، والبيت الذي الاصمعي العدواني ، المفضليات : ٣٢٣ وبهجة المجالس : ٢ :

١١٣ .

٢ بهجة المجالس : ٢ : ١١٣ وروايته :

ما ان تخلّقت إلا شيءتي خلقاً إن الخلائق يأتي دونها الخلق
وسقط البيت من م .

٣ هو كثير غزّة ، انظر ديوانه : ١٤٨ وعيون الأخبار : ٢ : ٥ والشعر والشعراء : ٤٢٠
واللسان (خيم) وروايته :

ومن يبتدع ما ليس من سوس نفسه (من خيم نفسه) .

٤ الرضي : سقطت من م س ، وانظر ديوان الرضي : ١ : ٦٥٢

لَا تُبْدِيَنَّ لِي التَّكْلُفَ فِي الْهَوَىٰ ١ فَضَحَّ التَّطَبُّعَ شَيْمَةً الْمَطْبُوعِ
ولكن ٢ أبا بكر استولى على الأمد ، ونفت بالسحر في العقد ، بقوله :
« رجوع العتير للوند » .

وله من قصيدة :

لم أنسَ إذ ودَّ عَنَّهُ ٣ وقد التقت مني هنالك بالبكا عينا
يرنو بنرجسة إلي ٤ وربما قرع الأقاح ياسمين بنان

وهذا كقول الآخر ٥ ، ولكن ٦ أبا بكر نقص عنه ٧ :

وَأَسْبَلْتُ ٨ لَوْلَاؤًا مِنْ نَرْجَسٍ فَسَقَتْ ٩ ورداً وعَضَّتْ ١٠ عَلَى الْعَنَابِ بِالْبَرْدِ

وقال من أخرى ١١ :

وقالوا ألا تبكي وتلك مطيهم ١٢
لئن نفدت ١٣ مني الدموع تغامزوا
فهلأ أقاموا كالبكاء تنهذي
على الشهب يحملن الأوانس ١٤ كالدمى
وقالوا : سلا أولم يكن قبل مغرما
إذا ما بكى القمري قالوا ترنما

١ الديوان : هيهات لا تتكلفن لي الهوى .

٢ هو الوأواء الدهشي ، ديوانه : ٨٤ .

٣ ط : تقصر منه .

٤ الديوان : وأطرت .

٥ منها ثلاثة أبيات في كل من القلائد والفريدة وبيتان في الرايات : ٤٩ (غ) وبيت واحد في المغرب .

٦ القلائد : الخرائد .

٧ ط م د س والقلائد : بعدت ، الرايات : إن بعدت .

وهذا من حُجُول الكلامِ وغرره ، وإن لا يكن اخترع ، فما أتقنَ ما
اتبع ! !

ومنها :

نأوا بِصَمُوتِ الحِجْلِ عَاطِرَةَ الشَّدَا مَبْتَلَّةُ الأعْطَافِ مَعْسُولَةَ اللَّمَى
ألا نَظْرَةً مِنْهَا فَتَنَقَعَ غُلَّةٌ عَلى كَبْدِي ما أَشْبَهَ الشَّوْقَ بِالظَّمَا
وله من قصيدة :

ولاني من الوُرْقِ السَّوَاجِعِ بِالضَّحَى وَلَكْتَنِي مِنْ بَيْنِهَا لَمْ أَطَوِّقِ
وهذا كقول ابن حمديس الصقلي ، وهو أبرع وأجمع وأصنع ، إلا أن
أبا بكر قلبه على ما أراد ، ونقص منه فما أخلَّ به ولا كاد^١ :
جَنَاحِي مَبْلُولٌ وَجَبْدِي مَطَوَّقٌ وَرَوْضِي مَطْلُولٌ^٢ فَمَا لِي لَا أَشْدُو
وله من قصيدة أيضاً^٣ :

أَتَى بِهِ الدَّهْرُ فَرْدًا فِي فِضَائِلِهِ وَفِي الْفَرَائِدِ مَا يُرْبِي عَلَى الْجَمَلِ
يَبَاضُ عَرَضِي تَحَامِي الدَّمَّ جَانِبُهُ لَيْسَ السَّوَادُ بِأَبْيَ مِنْهُ فِي الْمَقَلِ
والبيت الأول منها كقول بعض أهل عصرنا :

١ ديوان ابن حمديس : ٤٤٥ هـ (عن الذخيرة) .

٢ د : مبلول ؛ ط : مطلول .

٣ أيضاً : سقطت من م س .

وقد تقتضي هذه المفردات معانٍ تقصّرُ عنها الجملُ

وله من قصيدة :

عندي حُشاشةٌ نفسٍ في سبيل ردى^١ إن شتتها اليومَ لم أمطلُ بها لِيغدِ
وكيف أقوى على السلوانِ عنك^٢ وقد ربّيتُ حبكَ حتى شب في خلدي^٣
خُذْها وهاتِ ولا تمزجْ فتفسدها الماءُ في النار أصلٌ غيرُ مطرّد

وهذا كلام بديع ، ونظم سنيع^٤ .

وقال :

جربُ ولا تغتبرِ بِمحمدةٍ قد يقتلُ [النورُ]^٥ وهو نقاحُ

وقال :

ولقد وصفتُ لعاذلي من حسنه طرّفاً فودَّ بأنه لم يَعدُلِ
وعصيتهُ فيما مضى من عهدنا وأنا الذي أعصيه في المستقبل

وله من قصيدة^٦ : [١١٨ ب]

١ أصل ط : هوى .

٢ عنك : سقطت من ط د .

٣ م س : كبد (ي) .

٤ ونظم سنيع : سقط من م س ، كما سقط البيت التالي أيضاً من م وحدها ؛ ط : شنيع .

٥ ما بين مقفعين لم يرد إلا في س .

٦ منها أربعة أبيات في كل من المغرب والقلائد ، وبيتان في الخريدة .

إذا ما غراب الليل مدَّ جناحا
تقلَّبتُ في طيِّ الجناحِ لعلَّني
إلى الله أشكوها نوىً أجنبيَّةً
سلا كلُّ مشتاقٍ برؤيةٍ لفيه
إذا جاش صدرُ الأرضِ بي كنتُ منجداً
أكلُّ بني الآدابِ مثلي ضائعٌ
أمَّ الظلمُ محمولٌ عليَّ لأنَّني
لعمري أليك الخير ما أمل الغنى
ولكنَّما أملتَه لصنيعةٍ
سبكي قوافي الشعرِ ملءَ جفونها
ولا ذنبٌ لي عند الزمانِ علمتهُ
توهَّمتهُ عمرو بنَ هندٍ وخلتني

عليَّ وغطَّاني بريشِ قوادمٍ^١
أرى الصبحَ يبدو من خلالِ القوادمِ
لها من أبيها الدهرِ شيمةٌ ظالم
وكان عليَّ الشوقُ ضربةً لازم
وإن لم يحشَ بي كنتُ بين التهام
فأجعلَ ظلمي أسوةً في المظالم
طلبتُ العلا من قبل حلِّ التمام
للين لبُوسٍ واحتفالٍ مطاعم
أسرُّ بها نفسَ الصديقِ الملائم
على عربيٍّ ضاع بين أعاجمٍ^٢
سوى أني للشعرِ آخرُ ذاظم
شقياً أناهُ من وفودِ البراجمِ^٣

ومنها :

إليكَ ترامتُ بي قُلُوصُ كنبعةٍ
لعوبٍ إذا رَقَصُ السَّرابِ استفزَّها
تباري الصِّبَا في سيرها فكأنَّها
وما راعها إلاَّ الزَّمام تظنُّه

معطفةٌ في دَفِّها والحيازِم
بييضِ الأداحي في النقا المتراكم
جبانٌ تولى في غبارِ الهزائم
إذا ما تلىَّ حِيةً في المخاطم

١ سقط هذا البيت من ط د .

٢ المغرب : الأعاجم .

٣ يشير إلى المثل : « إن الشقي وافد البراجم » . (فصل المقال : ٤٥٤ : والمسكري : ١ :

٨١) وكان عمرو بن هند قد آلى أن يحرق مائة من بني تميم ، فحرق تسعة وتسعين ووفى

العدد برجل من البراجم أقبل على النار يظن أنه يجد عندها طعاماً .

وهذا كقول المعري^١ :

يحاذرن من وقع^٢ الأزمّة لا اهتدى مُخَبَّرَهَا أَنَّ الْأَزْمَةَ أَصْلَالُ

وهذا كقول بعض أهل العصر^٣ :

تخشى الزمامَ فتشني جيلها فَرَقاً كأنه بين ثني حيةٍ ذكرٍ

ومن قصيدة أبي بكر :

كأني من البيداء أطوي صحيفةً
لنفسك أكرمتني ولا لمعاشري
وميزك بي ميمز الكمي بسيفه
أحبك للعليا غصبتك بعضها
وإن كان منك الود فيثأ أخذته
وإن تصطنعني تصطنع ذا حفيظة
له كلمات كالقلائد في الطلى
يشق عليها ترك مدحك ضلّة
يصولون مني بالمهتد ماضياً

قد اختلفت فيها خطوطُ المناسمِ
إذا انتقيدوا كانوا زيوف الدّراهمِ
وان أدركته مهنة في الصوارمِ
وكل كريمٍ مولع بالأكارمِ
غلولاً وحظي وافر في المغامِ
شديداً على الأعداء صعب الشكائمِ
ولكنها في أوجه كالمياسمِ
للدح أناس في عداد البهائمِ
وأمنسك منهم بالحبال الرّمائمِ

ومنها في المدح :

حمدت السرى عند الصباح بماجدٍ هو الماء يُعطي ريه كل حائم [١١٩]

.....

١ شروح السقط : ١٢٥٧ .

٢ شروح السقط : من لدغ .

٣ هو الأعمى التعليل ، أنظر ديوانه : ٥١ .

رَحْسَبُكَ من قاضي الجماعة أنه
 به ثَبَّتَ الإسلامُ في مستقره
 إذا مشقتُ بمناء في بطنٍ مُهْرَقٍ
 ولاحتُ سُلُورٌ كالشبابِ حَكِينٍ لي
 ومن لي بتقيلِ الحروفِ فلانتها
 أقلُّ أيادي كُتُبِهِ رَدٌّ عسْكَرٍ
 ورثتُ العلا من تغلبِ ابنةِ وائلٍ
 وأنتى يجاريكم إلى المجدِ حاسدٌ
 وهذا بُجَيْرٌ وهو خيرٌ لداته
 ويا عجباً يُعزى إلى الجودِ حاتمٌ
 بل المثلُ المضروبُ في الجودِ للذي
 أمانٌ للذعورِ ومالٌ لعدم
 وشُلٌّ فريقُ الكفرِ شُلٌّ النعائم
 تحجبُ نَوَارُ الرَبِّي في الكئامِ
 سلاسلُ أصداغِ الحدودِ التّواعم
 ثغورُ الدُّمَى إلّا أبيضاضُ المباسم
 وتألِفُ أَشْتَاتٍ وَسَلٌ سخائم
 تلاداً لها من عهدِها المتقادم
 جهولٌ بأسرارِ العلا غيرُ عالم
 سوى شِيسَعٍ نَعْلٍ منكم لم يقاومُ
 وما هو منه في اللهى واللاهزم
 يعودُ على أبناءِ كعبٍ وحاتم

وله من أخرى في الوزير أبي الحسين بن سراج :

تَشِفُّ وراءَ فطنَتِهِ المعاني
 وما طلب الكلامَ الحرَّ إلّا
 أقام العلمُ دهرًا ليس يبدو
 وكان الناس في ظُلُمَاتٍ جهلٍ
 شفيفَ الراح من تخلفِ الزجاجِ
 أقي بين انفرادٍ وازدواجٍ
 لها منه سوى نَتَفٍ خِداجٍ
 فما جليّتْ بغيرِ بني سراج

١ ط د : أنوار .

٢ يشير إلى قول مهلهل التغلبي ، وقد قتل بجير بن الحارث بن عباد : « يؤشع نعل كليب » .

٣ ط د : المجد .

٤ ط : إلى .

٥ هذا البيت والذي يليه سقطا من م س .

وقال من قصيدة :

وبناتُ أعوج قد برّمنَ بصحبتني ممّا قطعنَ من اليبابِ المقفرِ
بيداءُ كالمحرومِ في أحواله لا ذا أنيلَ وهذه لم تعمر

أراه كأنّ له في هذا بعضَ اللام ، بقول أبي تمام ^١ :

وإذا تأملتَ البلادَ وجدتها ^٢ تُثري كما تُثري الرجالُ وتعدمُ

ولمّا هذا أشار بعضُ أهلِ العصرِ بقوله :

حظّ من الدين والدنيا أصبتَ به كلُّ يرزأ حتى هذه البُقَعُ

ولأبي بكر من قصيد ^٣ :

من لم يعانقْ غزالاً في مغازلةٍ ما بين ممتنعٍ طوراً ومنفعلٍ
فما قضى من لباناتِ الصُّبا وطراً ولا تنزّه في روضٍ من الجذَلِ
وعاذلين رأوا أنّي على خطأ كما رأيتُ بأنّ القومَ في خطلٍ
هل أنكروا غير تهيامي بغانيةٍ سكرى من الدلّ أو الحاظها النجلِ
ما زال يحجبها الغيرانُ مذ نشأتُ لو غيرَها حجب الغيران لم أبلِ [١١٩ب]
في كلّةٍ سيراٍ تتّقي نظري يا أيّها الناسُ حتى الظلمُ في الكللِ
من لي به حيثُ لا نخشى مراقبةً ولا نبيتُ من الواشي على وجلِ
في ليلةٍ لا يلي المريحُ مدّتها ولا نقيمُ بها إلا على زحلِ

١ ديوان أبي تمام ٣ : ١٩٥ .

٢ الديوان : رأيها .

٣ م س : قصيدة .

أما الرياض^١ فقد أمهرتها قدحاً من المدام نكاحاً ليس فيه ولي
عقيقة في يدي سالت وأشربها لو شعثت بسجايا الدهر لم تسيل
وله من أخرى :

كيف صبري على الكؤوس إذا ما عثر الروض في ذيول النسيم
وهذا من المقلوب : إنما يعثر النسيم في ذيول الروض . فإن ذهب به
أبو بكر مذهب الأخطل في قوله^٢ :

* أو بلفت سواتهم هجر *

وشبهه فأبو بكر ممن لا يتهم أدبه . ولا يعنجم نبعه ولا غربه^٣ .

رجع :

وقال :

ورنا نرجس^٤ الربى بعيون
وبدا معصم الخليج فخطت
سوف تدري الهموم أيتها راح
بنت دن رعت^٣ ببيداء نفسي
كرممت^٤ في حدائق غرسوها
وجلا الورد عن محيّا وسيم
فوقه الريح أسطراً من وشوم
أخذت من أرواحنا واليسوم
فهي تعدو به كعدو الظلّيم
لكرام فسميت بالكروم

١ م س : الليالي .

٢ ديوان الأخطل : ١١٠ وأول البيت : « على العيارات هداجون قد بلغت : نجران أو ... الخ

٣ م س : ريفت .

٤ م س : كرمة .

طُفْتُ بِالْأَيْكِ فَاسْتَهَلْتُ دُمُوعِي لِحَمَامٍ تَبْكِي فِرَاقَ حَمِيمٍ
تَتَغَنَّى الثَّقِيلَ حَتَّى كَأَنَّ قَدْ نَشَرَ اللَّهُ مَعْبَدًا مِنْ رَمِيمٍ
عَجْمَةً أَعْرَبْتُ بِوَجْدٍ دَقِيقٍ وَكَلَامٍ مُقَطَّعٍ مِنْ كَلُومٍ

قال ابن بسّام : لو لم يتجاوز معبد الثقل إلى سواه ، لكان لأبي بكر ما
ادّعاه ، وقرب منه ما تكلفه وتعاطاه ، وأسحّر منه وأولى بالحكمة وفصل
الخطاب ، أبو العلاء حيث يقول ، يصف الأبل^١ :

كَأَنَّ الْمَثَانِي وَالْمَثَالَثَ بِالضَحَى تَجَاوَبُ فِي غَيْدٍ رُفِعْنَ طَوَالَ^٢
كَأَنَّ ثَقِيلًا أَوْ لَا تَزْدَهَى بِهِ ضَمَائِرُ قَوْمٍ فِي الْخَطُوبِ ثَقَالِ

ولعمري لو شبه سَجَّعَ الحمام ، بخفائف الغريض وأهزاج حكم الوادي
لكان أحسن عبارة وأفتق إشارة .

وأما قوله : « كَلَامٌ مُقَطَّعٌ مِنْ كَلُومٍ » فأشفى للقلوب من اعتلال النسيم ،
وأحلى على الأكباد من محاورة الطرف السقيم .

وفي هذه القصيدة يقول أبو بكر :

أَوْضَعْتُ بِي إِلَيْهِ وَجَنَاءُ حَرْفٍ أَكَلَتْهَا السَّفَارُ أَكَلَ الْقَضِيمِ
تَرَكْتُ الرِّيحَ خَلْفَهَا وَهِيَ حَيْرَى بَيْنَ إِضَاعِهَا وَبَيْنَ الرَّسِيمِ
ظَلْتُ أَطْوِي الْقَفَارَ مِنْهَا بِلَامٍ طَبَعَتْهَا بِالْمِيمِ بَعْدَ^٣ الْمِيمِ

١ شروح السقط : ١١٨٨

٢ الفيد : العلوال الأعناق من الأبل .

٣ م : إثر .

فَأَتَيْتُهُ وَالْمَرُوءُ^١ قَدْ نَالَ مِنْهَا فَهِيَ تَخْطُو عَلَى وَظِيفٍ رَثِيمٍ
وَقَلِيلًا تَمْتَعَتْ فِي الْفَيَافِي بِسَنَامٍ كَالْعَارِضِ الْمَرْكُومِ
فَأَنخَنَّا إِلَى فِنَاءٍ جَوَادٍ مَالُهُ نُهْبَةٌ لِكُلِّ عَدِيمٍ^٢
فَأَكَلْنَا لُهَاهُ أَكَلَ الضَّوَارِي وَشَرَبْنَا [...] ^٣ شَرَبَ الْمِيمِ

أما تشبيههم الخليج بالمعصم ، فطريق لم يبق له ستر محرم إلا هتك ، ولا فيه موضع قدم [١٢٠ أ] إلا سلك ، فمن أشهره مناراً ، وأبهره أنواراً ، قول ابن عمار :

رَوْضٌ كَانَ النَّهْرَ فِيهِ مَعْصَمٌ صَافٍ أَطْلَ عَلَى رِداءٍ أَخْضَرَا

وقوله : « فسميت بالكروم » يشبه لفظه لفظ بيت المعري ، وبينهما من البعد ، ما بين الدرّة والحجر الصّلد ، المعري أثبت فيه قدماً ، وأمسّ رحماً ، حيث يقول^٤ :

وَأَنْتَ أَبُوهَا إِنْ غَدَتُ كَرْمِيَّةً وَإِنْ سَكَنْتُ رَاءَ فَوَالِذِهَا الْكُرمِ^٥

وذكرت بقوله : « بلام » ، طَبَعَتْهَا بِالْمِيمِ بَعْدَ الْمِيمِ ، قول ابن الرومي في جهة أخرى :

١ ط د : والمرء، والمرء : الحجارة .

٢ هذا البيت والذي يليه لم يردا في م س .

٣ سقطت في ط ، وموضعها في د : « لما » .

٤ انظر ما تقدم ص : ٣٨٢ .

٥ شروح السقط : ١١٥٠

٦ شروح السقط : كرم .

يا أخا النحوي والمقدم فيه ليم تَرى^١ اللام أدْغِمَتْ في الميم
وكتب خلف الأحمر إلى بعض المؤدبين :

أترك في الحلال مَشَقَّ صادرٍ وثأني في الحرام مشقَّ ميم
وذكر الثعالبي^٢ أنه كان للقاضي عليّ التنوخي غلامٌ وسيمٌ ، اسمه
نسيم ، وكان يؤثّرهُ على سائر غلمانه ، ويخصّه بتقريبه واستخدامه ، فكتب
إليه بعض إخوانه يداعبه :

هل عليّ لامُهُ مُدْغَمٌ لا اضطرارٍ الشعرِ في ميمٍ نسيمٌ

فوقع تحته : نعم ولِّمَ لا ؟ !

وقال أبو بكر من قصيدة :

واحرّ قلبي من خليطٍ زائلٍ صبري على آثاره سيزولُ
زُمْتُ له قُلُوصٌ يبارين الصبا ولربّما سبقَ الهبوبَ ذميلُ
همٌ فارقوك وحملوك من الأسى ما ليس يحملُ شامةً وطَفِيلُ
زَرَعُوا بقلبك حُبّه ، ونباته برحُ الجوى ، لا لإذخرٍ وجليل^٣

١ ط : لم تر ٤ م س : لن ترى .

٢ اليتيمة ٢ : ٣٣٦

٣ في هذا البيت والذي قبله إشارة إلى قول بلال بن رباح مؤذن الرسول (ص) :

ألا ليت شعري هل أبين ليلة بوادٍ وحولي إذخر وجليل
وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل
وشامة وطفيل : جبلان قرب مكة .

شِبَعْتُهُمْ متوجّهين وأدعني حدّرَ الفراقِ سوافعٌ وهمول
ونظرتُ في تلك الحدوج وطبّتها غزلانٌ وجرةٌ أهيفٌ وكحيل

وقال من أخرى :

لا تحملني على التسويف في هبة فيلتقي فرحي فيها مع الأسف
ليس اعتذارك بالأشغال أقبلهُ فان شُغْلَكَ بي أدنى إلى الشرف

وهذا كقول الأوّل ١ :

ولا تعتذر بالشغل يوماً فإنّما تُنْطأُ بك الآمالُ ما اتّصل الشغلُ

وقال أبو حاتم الحجاري ٢ :

إني لأعلم أن شغلك بالعلا والمجد فاجعلني من الأشغال

وقال أبو بكر من قصيدة ٣ :

عليك أبا عبدِ الإله خلعتُها لها البدرُ طوقٌ والنجومُ دلائلُ
وما هي إلّا الدهرُ في طولِ عمرها وإن لم يكن فيها الضحى والأصائل

قال ابن بسام ٤ : ويا لهذا البيت ما أحسنَ مدّهَته، وأبدعَ متواه ٥

١ انظر الإمتاع والمؤانسة ٣ : ٢٢٩ والبصائر ١/٢ : ١٥٩ وزهر الآداب : ٢٨٦ وربيع الأبرار : ٢٥٨ ب (نسخة برنستون) .

٢ انظر الذخيرة ٣ : ٦٦٣ ؛ وسقط قول الحجاري من ط د .

٣ البيتان في تمام المتن : ٢٨٩ .

٤ قال ابن بسام : سقطت من ط د .

٥ ط د : متواه .

وَمُنْقَلَبَهُ ، إلا أنه أتى بالدهر مسلوب الضحى والأصائل ، فلم يزد على أن جلّاه في أيّ عاطل ، لا بل أبرزه في مُسوحٍ شوهاءٍ ثاكل ، وليت شعري أيّ شيء أبقى للدهر المظلوم ، بعد ضحاه الناصعة الأديم ، وأصاله المعتلة النسيم ؟ هل بقي إلا ليله الأسود الجلباب [١٢٠ب] وهجير السائل اللعاب ؟ ولو قال للمدوحي : « وتلك العلا فيها الضحى والأصائل »^١ لأبرز قصيدته رفاقة البرود ، شفافة العقود ، ولأفاد بمدوحيه بهذه الكلمة مدحاً لا يسعه المقال ، ولا تنفي به القصائد الطوال .

وله من أخرى :

وما أكثرُ الأقوامِ إلّا ثعالبٌ تروغُ ولا يُحلى لديها بطائلٍ
يردُّونَ ذهني حائرًا في طباعهم كأنهمُ من مُشكلاتِ المسائلِ
وأصغني إلى أقوالِهِمْ فتَربيني صدورٌ لهم أقوينَ مثلَ المنازلِ

وقال :

خُذْها على وجهِ الربيعِ المُخْصِبِ لم يقضِ حقَّ الروضِ من لم يشربِ
هممي سماءُ علاٍّ وهمتي ماردٌ فارجمهُ من تلكِ الكؤوسِ بكوكبِ
والله ما أدري وإنّي واقفٌ الراحِ بين تحيّرٍ وتعجبِ
أفضضتُ دنأً أم فككتُ الخدرَ عن بكرٍ تجولُ مع المني في ملعبِ
أختِ الزمانِ تَكَسَّبَتْ^٢ من خلقه جهلَ المراهقِ واحتناكَ الأشيبِ

وله من أخرى :

١ قارن هذا بما اقترحه الصفدي من تغيير (تمام المتن : ٢٨٩ - ٢٩٠) .

٢ ط د : تكشفت .

مُسَوِّمةٌ تَحْكِي سَنَابِكُهَا الصِّفَا
نَمَتْهَا إِلَى حَرٍّ كَرِيمٍ^١ صِفَاتُهَا
وَمِنْهَا :

دَخَلْتُ عَلَيْهَا خِيْمَةً شَرَفَاتُهَا
فَقَالَتْ : أَلَسْ^٢ قُلْتُ : بَلْ ذَوْصَرَامَةٍ
لِإِيكِ شَقَقْتُ اللَّيْلَ كَالسَّيْلِ يَرْتَمِي
فَقَالَتْ : أَقِمْ^٣ عِنْدِي لِكَالْوَصْلِ كَامِلًا
وَمِنْ قَوْلِهِ^٤ :

عَاطِيَتُهُ وَاللَّيْلُ يَسْحَبُ ذَيْلَهُ
حَتَّى إِذَا مَالَتْ بِهِ سِنَةٌ الْكَرِي
زَحَزَحَتْهُ^٥ عَنْ أَضْلَعِ تَشْتَاقِهِ
صَهْبَاءَ كَالْمَسْكِ الذَّكِيِّ^٦ لِنَاشِقِ
بَاعَدَتْهُ شَيْئًا ، وَكَانَ مَعَانِقِي
كِي لَا يَنَامُ عَلَى وَسَادِ خَافِقِ

١ س م : النجار .

٢ ط د : وأغادها ؛ م س : وأمهدها .

٣ م س : وأخطب .

٤ س م : ألقى .

٥ انفردت س م بهذه المقطوعة ، وهي من قصيدة اشتهرت عند المشاركة ، ووجدت استحساناً

ومعارضات ، ومنها بيت في القسم الأول من الذخيرة : ٨٢٣ وقد ذكرت بعض مصادرها

هناك ويضاف إليها : الرايات : ٤٨ (غ) والمسالك : ٢٨٠ ورفح الحبب : ١ : ٥٩

ومما حد التنصيص : ٨٠ والقلائد : ٢٧٩ ومطلعها في المقتضب من تحفة القادم : ٨٤ .

وانظر أيضاً نفح الطيب : ٣ : ٢٠٩ والفيت : ١ : ١٨٦ والمسلك السهل : ٣٢٩ .

٦ في أكثر المصادر : الفتيق .

٧ في رواية : باعدته .

في ذكر الأديب أبي الحسن بن هارون الشنمري^١

قال ابن بسّام : وأبو الحسن هذا سهل الكلام ، بارع النظام ، ممّن اغترف من بحر الكلام بكلتا يديه ، وجذب ثوبَ البيان من كلا طرفيه ؛ جدّه^٢ لأمه أبو الحسن بن الاستحي المتقدّم الذكر^٣ ، فأما سلفه^٤ من قبل أبيه فقد انخدع لهم الزمانُ برّيته^٥ ، وهينمَ بأسمائهم هنيهة ، بشتيمية الغربِ إلى أن نَبّه الدهرُ الغافلُ على^٦ أمرهم^٧ ، وأسكت من ذكرهم ، على يدي المعتضد عباد بن محمد مُخلي الأوطان ، وملحق الأقران بالأقران ؛ وقد ذكر ابن حيان ذلك ، وألمت أنا بطرف مما وقع لهم معه هنالك .

ومن شعر أبي الحسن المعرب عن أدبه ، والشاهد لما وصفته به ، قوله :
يصف صدودَ غلامٍ كان له به كَلَفٌ^٨ :

عادتُ إلى أديانها هَيْفُ^٩ واطَّرد الإسرافُ والحيْفُ

١ هو علي بن محمد بن سعيد بن هارون، وقد كان أهله يحكمون في شتيمية الغرب حتى انتزعها

منهم المعتضد بن عباد سنة ٤٤٤ (انظر الحلة السيرة ٢ : ١٧ - ٢٠ والمغرب ١ : ٣٩٥
والمسالك ١١ : ٤٣٨) .

٢ انظر ص : ٢٠٠ من هذا القسم .

٣ ط د : عن .

٤ الحلة ٢ : ١٩ .

٥ من المثل : «ذهبت هيف لأديانها» (المسكري ١ : ٦٠ تحقيق أبو الفضل، وفصل المقال :

٣١٣ والميداني ١ : ١٨٧) يضرب مثلا لركوب الرجل رأسه ، والهيْف : الريح الحارة ؛

الأديان : العادات .

وامتنع الأصبغُ من وصلنا
شتمريُّ الأفقِ^١ غربيَّه
ذو لحظةٍ إن لم تكنْ في الحشا
وأنشدت له^٢ :

يا ليلةَ العيدِ عُدَّتِ ثانيةً
إذ أقبل الناسُ ينظرون إلى
وفيهمْ من أحبيّه وأنا
فقلتُ لا مؤمناً بقولي بل
أثرَ شهرُ الصيام فيك أبا
بل أثر اليومَ في هلالكمُ
وقال^٣ :

وحديقةٍ شَرِقَتْ بغمرٍ^٤ نيرها
تُجْري المياهَ بها أسودٌ أَحْكِمَتْ
وكانها أسدُ الشرى في شكلها
يحكي صفاءَ الجوّ صَفَوُ غديرها
من خالصِ العقيانِ في تصويرها
وكانَ وقع الماء صوتُ زيرها

١ س م والحلة : القطر .

٢ انظر الحلة ٢ : ١٩

٣ في النسخ : نازل .

٤ م س : انظر وهو في السماء ينظر .

٥ الحلة ٢ : ٢٠ والمسالك والمغرب .

٦ ط د : بغير ؛ الحلة : بعد ؛ وما أثبتته رواية م والمغرب ؛ وفي س : شربت بغمر .

وقال^١ :

انظر إلى ثابتٍ على طِرفِهِ قد سلَّ سيفَ المنونِ من طِرفِهِ
وهزَّ من قدَّهِ لواءَ ردَى يُدْني الصَّحيحَ السليمَ من حَتَفِهِ
يطوفُ بالحِجِّ^٢ مِنْهُ بدر دجى على جوادِ كالبرقِ في خَطَفِهِ
يكادُ من لينِهِ ونعمَتِهِ يُعَقِّدُ عَقَدَ العنانِ في نصفِهِ
فلا ترى غيرَ باهتٍ فرق بين يديه منًا ومن خلفِهِ
ومن مشيرٍ له باصْبَعِهِ ومعلنٍ بالسَّلامِ من كَفِّهِ

فصل يشتمل على ذكر الكتاب الوزراء وأعيان الأدباء الشعراء ،

ممن نشأ في المدة^٣ المؤرخة بحضرة بطليوس ،

وسائر بلاد البحر المحيط الرومي^٤ ،

والأخذ بطرف من نوادر أخبارهم ، وشوارد أشعارهم .

قال ابن بسام : قد قدِّمت في صدر هذا القسم أنَّ هذا الجانبَ الغربي
من الجزيرة . لأوَّلِ تلكِ الفتنَةِ المبيِّرة^٥ ، الواقعة بقرطبة في آخر دولة بني^٦
عامر : اشتمل على بيتيَ حسب ، وجمهوريَ أدب : مملكتان من لحم وتجبب .

١ سنّها أربعة أبيات في المسالك

٢ كذا في الأصول .

٣ المدة : سقطت من ط د .

٤ زاد في م س : والأندلس .

٥ م س : المنيعة .

٦ ط د س : ابن أبي .

فَوَقَدَ عليه لذلك كلُّ أديب، واستوطنه كلُّ أغرٍّ نجيب. وقد جثتُ بِجُمْلَةٍ موفورة، لطوائف كثيرة، وجماعة أعداد، كانوا بدولة بني عباد، من أرباب هذا الشأن، فلنذكر الآن من نشأ من أرباب المنشور والمنظوم، بعقر هذا الإقليم، ولنقدّم منهم من تقدّم في الزمان.

وقاعدة بلاد هذا الساحل من الجانب الغربي بطليوس، ورئيسها في أكثر المدة المؤرخة — كان — .

المظفر أبو بكر محمد بن عبد الله بن مسلمة المعروف بابن الألفطس^١

أديب ملوك عصره غير مدافع ولا منازع، وله التصنيف الرائق والتأليف الفائق، المترجم بـ «التذكرة» والمشتهر اسمه أيضاً بـ «كتاب المظفر^٢»، في خمسين مجلدة، يشتمل على علوم وفنون من مغاز وسيّر، ومثّل وخبّر، وجميع

١ جد بني الألفطس عبد الله بن محمد بن مسلمة — فيما يقول ابن حيان — من فحوص البلوط وكان من أهل المعرفة والدهاء والسياسة، استطاع أن يملك بلاد غرب الأندلس : بطليوس وشترين والأشبونة وتوفي سنة ٤٣٧ هـ فخلفه ابنه محمد الملقب بالمظفر وكان أديباً عالماً، وأقام ملكاً عظيماً بالشعر الجوفي ضاهى فيه ابن عباد وابن ذي النون، وكانت بين هؤلاء حروب وغارات، وقد كان محمد المظفر يدفع الاتاوة للأذقونش، وبقي في حكمه حتى سنة ٤٥٦ هـ (انظر البيان المغرب ٣ : ٢٣٦ والحلة ٢ : ٩٦ والمغرب ١ : ٣٦٤ والتكملة ٣٩٣ (وفيه نقل عن اللخيرة) وأعمال الاعلام : ٢١٢ وصفحات متفرقة من نفع الطيب وتاريخ ابن خلدون ٤ : ١٥٩ وابن الأثير ٩ : ٢٨٨ والمعجب : ١٢٧ وشرح البسامة ودوزي Spanish Islam : ٦٣٤ وابن خلكان ٧ : ١٢٣).

٢ المشهور فيه : «المظفري» وكذلك هو في التكملة ويقال إنه لم يستعن فيه بأحد من العلماء إلا بكتابيه أبي عثمان سعيد بن خيرة (البيان المغرب ٣ : ٢٣٦) وفي م س : بكتاب ابن المظفر.

ما يختصُّ به علم الأدب ، أبقاه^١ في الناس خالداً . وليس بمعدود في الشعراء والكتاب ، فأفرد له فصلاً من هذا الكتاب ، ولو كان مجموعنا هذا في طبقات العلماء ، لكان قطبَ أفقه ، وغايةَ طَلِّقه . وكان ينكر الشعر على قائله في زمانه ، ويفيِّلُ رأيَ مَنْ ارتسمَ في ديوانه ؛ حدثني من سمعه يقول : من لم يكن شعره [١٢١ ب] مثل شعر المتنبي أو شعر المعري فليسكت ، لا يرضى بدون ذلك .

وقد ذكر أبو مروان بن حيان خبره في جملة ما شرح من قصص ملوك الطوائف في ذلك الأوان ، وشرح كيف غرَّ سراجهم ، وطَنَّ ذباهم ، فقال^٢ : كان عبد الله بن مسلمة رجلاً من مكناسة ، وكان سابور العامري أحدُ صبيانِ فائقِ الخادم ، فقي الحكم ، قد انتزى ببطيوس وثرغِ الغرب من عمل الحاجب ابن مَيَويه^٣ ، فصحبه عبد الله وظاهره^٤ ، ورمى إليه بأمره ، فدبَّرَ أعماله وتزَيَّدَ في الغلبة عليه ، حتى صار كالمستبدِّ به ، فلما هلك سابور ورث سلطانهُ بعده ، فاستولى على الأمور وتلقب بالمنصور ، ثم أفضى الأمرُ لابنه محمد وتلقب بالمظفر .

قال ابن حيان : ومن النادر الغريب انتماؤه في تجيب ، وبهذه النسبة مدحه الشعراءُ إلى آخرِ وقتهِ ، منهم ابن شرف القيرواني حيث يقول^٥ :

١ م س : أبقاه الله .

٢ النص في الحلة ٢ : ٩٦ وانظر البيان المغرب ٣ : ٢٣٧ .

٣ ط م د س : مَيَويه .

٤ م س : وصاهره .

٥ انظر أبياتاً منها في المسالك ١١ : ٢٤٠ .

يا ملكاً أُنسَتْ تَجِيبُ به تحسد قحطانَ عليه نزارُ
لولاك لم تشرفَ معدٌ بها جلَّ أبو ذرٌ فجَلَّتْ غفارُ

انتهى كلام ابن حيان .

قال ابنُ بسَّام : وأوَّلُ قصيدةِ ابنِ شرف هذه في المظفر قوله ^١ :

زار وقد شمرَ فَضْلَ الإزارِ	جُنَحَ ظلامٍ جانحٍ للفرارِ
وروضةُ الأنجمِ قد صَوَّحَتْ	والفجرُ قد فَجَّرَ نَهْرَ النهارِ
قلت له : أهلاً بطيف دنا	من نازحِ الدارِ بعيدِ المزارِ ^٢
كيف خطوتَ الشرَّ ثم الشرى	وابنى هلالٍ والقنا والشتارِ
أصهوة الغبراء أم داحساً	ركبتَ حتى خُضَّتْ ذاك الغمارِ
وجئتَ بالخطارِ أم أعوجِ	جنيبةً معتدَّةً ^٣ للخطارِ
وهل تقلدتَ لدفعِ الردى	حمائلَ الصمصامِ أم ذي الفقارِ
وأنت زيدُ الخيلِ أم عامرٌ	ومالك بن الربيعِ أم ذو الخمارِ
فقال لا هذا ولا ذا ولا	بل كنتُ عنهم قمرًا في سرارِ

ومنها :

١ قوله : سقطت من م س .

٢ قبل هذا البيت في م ط : ومنها .

٣ م س : معدة .

٤ المسالك : الأذى .

٥ عامر بن مالك أبو براء ملاعب الأمتة أو عامر بن الطفيل .

٦ ذو الخمار : لقب عوف بن الربيع ذي الرمحين (التاج : خمر) ، وانظر فيما يلي (ص :

٦٤٦) تعليق ابن بسام فهو خطأ ، لأن الإشارة هنا إلى فارس لا إلى فرس .

سيري فلم نَقْدِفَكَ في مجهلٍ
حيث علوق^٢ العلمِ مطلوبةٌ
خذاها أبا بكرٍ غريبةً
ليست من الشعر القصير الخطي
قدّمتها قبل قدومي كما

ولا ضربنا بكِ ضَرْبَ القمارِ
يوافقُ السوقَ كرامُ التجارِ
سرى بها الودُّ إليكم وطار
ولا من المسروقِ والمستعارِ
قدّمتِ الحُجَّاجُ رميَ الجمارِ

ومنها :

أُقيمتَ للعلمِ مناراً وما
فما ندماك سوى أهليه
مَيَّزُكَ ميزانُ عقولِ الوري
تبدو لك الهجنةُ في لحظةٍ
من لفظهم تعرّف ما هم وفي
فما رأيتك العينُ تصغي إلى

أظنُّ في الدنيا لعلمٍ منار
وكلّهم بين ندامي العقار
وفهمك العدلُ لكل عيار
وتعرفُ الأسنانَ قبل الفِيار
جحفلة العائرِ يبدو العثار
مُحالٍ^٣ عجلِ سامري الخوار [١٢٢أ]

وكان ابن شرف كتب بهذه القصيدة من طليطلة إليه . فوصله بمائه مثقال
من ضرب السكّة لديه .

قوله : « زار وقد شمّر فضل الإزار ، جنح ظلام » أشار إلى أنه زار
آخِر الليل كما قال أبو تمام^٤ :

١ من قول أبي الطيب :

ضربنا بها التيه ضرب القمار فإما لهذا وإما لهذا

٢ ط د : علوم .

٣ في النسخ : مجال .

٤ ديوان أبي تمام ٣ : ١٨٥

زار الخيال له^١ لا بل أزاركه^٢ فكر^٣ إذا نام فكر^٤ الخيل لم ينم^٥
ظبي^٦ تفتنته^٧ لما نصبت له في آخر الليل أشراكاً من الحلم

وقد عاب الآمدي هذا عليه فقال^٨ : وإذا زاره بالفكر فقد زار ، فلا
معنى للاستدراك ؛ ثم اعتذر له فقال : الاستدراك صحيح لأنه إذا قال زار
الخيال احتمل زيارة الاختيار ، من غير بعث باعث ، واحتمل وقوع الزيارة
عن حمل حامل ، فأزال هو^٩ الإبهام بقوله : « لا بل أزاركه فكر » ؛
وقوله : « لم ينم » لم يرد حقيقة النوم بل كما يقال : لم ينم فلان عن هذا
الأمر . وقال : « آخر الليل » ولم يقل أوله ، لأنه أنبأ أنه يسهر ، وإنما يهوم
في آخره تهوياً فيطرقة الخيال في ذلك الوقت ؛ وقيل وجه آخر ، وهو أن
الخيال لا يطرق في العادة إلا مع وفود النوم ، وهذا إنما يكون في آخر الليل
مع استمرار النوم وطول زمانه .

وقال أبو الطيب^{١٠} :

لا الحلم جاد به ولا بمثاله^{١١} لولا ادكار^{١٢} وداعه وزياله^{١٣}
إن المعيد لنا المنام^{١٤} خياله^{١٥} كانت إعادته^{١٦} خيال^{١٧} خياله^{١٨}

يقول : التمثيل والتخييل له في اليقظة إعادة خياله في المنام ، فكان الخيال
الذي في النوم خيال^{١٩} الخيال الذي تصور في اليقظة ؛ وأظهر من هذا قول أبي

١ الديوان : لها .

٢ الموازنة ٢ : ١٦٧ وفي النص اختلاف كثير .

٣ م س : هذا .

٤ ديوان المتنبي : ٢٧٤ .

تمام المتقدم^١ ، وإنما أخذه من قول جران العود^٢ :

حيثُ طيفك من زورٍ ألم^٣ به حديثُ نفسك عنه وهو مشغولُ

فقوله : « وهو مشغول » أي لم يزر على الحقيقة ؛ فبني حبيب من هذا

قوله : « وما زارك الخيال »^٤ ، وبني من قوله : « حديث نفسك » قوله :

« ولكنك بالفكر زرت طيف الخيال »^٥ .

وقال الكمي^٦ :

ولما انتهتُ وجدتُ الخيالَ أمانِيَّ نفسٍ وأفكارَها

وقد أعاد حبيب لفظ جران العود فقال^٧ :

استزارته فكرتي في المنام فأتاني في خفيةٍ واكتنام
يا لها للذةٍ تزهتِ الأرواحُ فيها سرّاً من الأجسام
محاسنٌ لم يكن لنا فيه عيبٌ غير أننا في دعوةٍ الأحلام

١ المتقدم : سقطت من م س .

٢ - الموازنة ٢ : ١٦٨ وديوانه : ٥٥ وحماسة ابن الشجري : ١٧٧ .

٣ الموازنة : أهلاً بطيفك . . . أتاك به ؛ الديوان : سقياً لطيفك .

٤ ط م س : طيف الخيال ، وهو خطأ ، انظر التعليق التالي .

٥ الإشارة هنا إلى بيتين لأبي تمام حذفهما ابن بسام أو سقطا من النسخ ، وأوردتهما الآمدي ، وهما :

عادك الزور ليلة الرمل من رملة بين الحمى وبين المطالي

ثم فما زارك الخيال ولكنك بالفكر زرت طيف الخيال

٦ - الموازنة ٢ : ١٦٩ وديوانه ١ : ٢٢٢

٧ الموازنة ٢ : ١٦٩ وديوان أبي تمام ٤ : ٢٦٢

وعيب عليه « دعوة الأحلام » ، لأنها من ألفاظ العوام ، وصفة طيف الخيال بابٌ ممتدّ الأطناب ، لا يتسع له عرض هذا الكتاب .

وقول ابن شرف : « وأنت زيد الخليل أم عامر ... البيت ، أراه مما وهم فيه ، وذو الحمار فرس مالك بن نويرة ، حكاه المبرد^١ وأنشد قول جرير^٢ :

عتيبة والأحيمر وابن عمرو
وعتّاب وفارس ذي الحمار

جملة من نثر المتوكل وشعره^٣

من ذلك رقعة خاطب بها وزيره أبا الوليد بن الحضرمي^٤ وقد صرفه عن خدمته قال فيها : ولما رأيت الأمر قد ضاع والإدبار قد انتشر وذاع ، أشفقت من التلف ، وعدلت إلى ما يُعقِبُنَا — إن شاء الله — بالخلف ، وأقبلت أستدفعُ مواقع أنسي ، وأشهد ما ضيّعتهُ بنفسي . فلم [١٢٢ ب] أرَ إلاّ بلجاً قد تورطتها ، وغمرات قد توسّطتها^٥ ، فشمرتُ عن الساقِ

١ انظر الكامل ٣ : ٤٠٠ وفرس مالك يعرف حقاً بنذي الحمار ، ولكن ابن شرف لم يقع في الوهم ، كما ظن ابن بسام ، إذ أن « ذو الحمار » أيضاً لقب عوف بن الربيع ، كما تقدم ص : ٦٤٢ وكان يحارب في خمار امرأته ، فإذا سئل المطعون : من طعنك ؟ قال : ذو الحمار .
٢ ديوان جرير : ٨٥٥ .

٣ هو عمر بن مظفر محمد الذي حاصره المرابطون في بطليوس وقتل هو وابناه ذبحاً سنة ٤٨٧ .
(انظر الحلقة ٢ : ٩٦ والمعجب : ١٢٧ وأعمال الاعلام : ١٨٥ والقلائد : ٣٦ والمغرب : ١ : ٣٦٤ والفوات ٣ : ١٥٥ والخريدة ٣ : ٣٥٦ والنفح ١ : ٦٦٣ « نقلا عن القلائد » .

٤ انظر التعريف به فيما تقدم ص : ٣٩١

٥ م س : غرقتها .

للتجتها ، وخدمت النفس بمهجتها^١، حتى خُضْتُ البحر الذي أدخلني رأيتك^٢،
 ووطئت^٣ الساحل الذي كاد يحولُ بيني وبينه فعلك ، فنَفَسَكَ لَمْ ،
 وبسوء صنيعها أَلَمِمْ^٤ واعتصم^٥ ، وإن مَتَّتْ بِجَمِيلِ اعتقاد ، ومحضِ وداد ،
 فأنا مَقْرٌ بِذِكْرِهِ^٦ ، معترف بقله وكثره^٧ ، لكنك كنتَ كالمثل السائر :
 « شوى أخوك حتى إذا أَنْضَجَ رَمَدَ^٨ »^٩ حتى أطمعت في العدو ، ولبست
 لأهلِ حضرتي الاستكبارَ والعتو ، واستهنتَ بِجيرانك ، وتوهَّمتَ أَنَّ
 المروءةَ التزامُ زَهْوِكَ وتعظيمُ شأنك ، حتى أخرجتَ النفوسَ عليَّ وعليك^{١٠} ،
 فأنجذب مكروه ذلك إليك ، ومع ذلك فليس لك عندي إلا حفظُ الحاشية ،
 وإكرامُ الغاشية .

واتصل بالمتوكل أيامَ سلطانه بياطرة^{١١} أنه قُدِحَ فيه ، بمجلس المنصور
 يحبي أخيه^{١٢} ، فكتب إليه : كلُّ صديقٍ - أيدك الله - إذا خاطب صديقه ،

١ ط د : مهجتها .

٢ م : وواطيت ؛ س : وواطأت .

٣ م س : أَلَم .

٤ ط د : بفره ؛ وفي م س : مفر بذكره .

٥ د : بقلك وكثرك ؛ ط : بقله وكثرك .

٦ فصل المقال ١ : ٢٤٣ يضرب لمن يفسد اصطناعه بالحن .

٧ وحليك : سقطت من ط .

٨ ط د : بياطرة (اقرأ : بياطرة) ؛ وبياطرة (Evora) بلدة في جنوب البرتغال (الروض

المعطار ، الترجمة الفرنسية : ٢٣٩) .

٩ تولى يحبي الملك في بطليوس بعد أبيه المظفر سنة ٥٦٤ وتلقب بالمنصور ، أما المتوكل فأعطي
 بياطرة .

فأعربُ ما يُطَنَّبُ به عليه، ويسهبُ فيه لديه^١، أن يقول: أنا كأخيك،
 محبةً فيك، فإذا كتبت إليك، فأني غريبة أوردُ عليك؟ ونحن منتهى كُتُوبِ
 المخاطبين^٢، وغاية آمال المتحابين؟! غير أنه جرى في ناديك - لا زال
 معموراً بمعاليك - أنني أبيع^٣ الأحرارَ والحرائرَ، وأستصغر المعاصي^٤ والكبائرَ،
 والله نَزَّهني عن هذا وأبعدني عنه، فلا قدرةَ لبشرٍ أن ينيطه^٥ بي ويدنيني منه.

ثم ختم الرقعة إليه بشعر أثبتناه، على ما ذكرناه: من رواية أشعارِ الحلقة
 والأعيان، على قدم الزمان، وهو^٦:

فما بالهُم ^٧ لا أنعمَ اللهُ بالهم	يُنيطون ^٨ بي ذمّاً وقد علموا فضلي
يسيئون في القولَ جهلاً وضلّةً	ولاني لأرجو أن يسوءهم ^٩ فعلي
طغّام ^{١٠} لثام ^{١١} أو كرام ^{١٢} بزعمهم	سواسية ما أشبه الحولَ بالقُبل
لئن كان حقّاً ما أذاعوا فلاخطت ^{١٣}	إلى غايةِ العلياءِ من بعدها رجلي

١ م س : عليك . . . لديك .

٢ ط د س : المخاطبين .

٣ م : أني أسمع .

٤ ط د : الصغائر .

٥ ط : يلبطه (اقرأ : يلطه) .

٦ الحلقة ٢ : ١٠٤ والقوات ٣ : ١٥٦ والقلائد : ٤٠ والخريدة ٣ : ٣٥٧

٧ م س : فما لهم .

٨ الحلقة : ينيطون .

٩ ط د : يسيئهم .

١٠ م س : طغام ليال أم .

١١ القلائد والخريدة والقوات : فلا مشيت .

ولم ألق^١ أضيافي بوجه طلاقة
وكيف وراحي درس^٢ كل^٣ غريبة
ولي خلقت^٤ في السخط^٥ كالشري طعمه
« ولاني وإن كنت^٦ الأخير زمانه^٧ »
وما أنا إلا البدر^٨ تنبج^٩ نوره^{١٠}
فيا أيها الساقى أخاه^{١١} على النوى
لنطفى^{١٢} نارا أضرم^{١٣}مت في نفوسنا
ألس^{١٤} الذي أصفاك^{١٥} قدما^{١٦} وداده^{١٧}
وصيترك^{١٨} الدختر^{١٩} الغبيط^{٢٠} لدهره
وقد كنت^{٢١} تشكنيني إذا جئت^{٢٢} شاكيا^{٢٣}

ولم أمنح^{٢٤} العافين^{٢٥} في زمن المحل
وورد^{٢٦} التقى شمس^{٢٧} وحرب العدا نقلي
وعند الرضى أحلى^{٢٨} جنى^{٢٩} من جنى النحل
لأت^{٣٠} بما أعيأ الصناديد^{٣١} من قبلي
كلاب^{٣٢} عيدي^{٣٣} تأوي اضطرابا^{٣٤} إلى ظلي
كؤوس^{٣٥} القلى مهلا^{٣٦} رويدك^{٣٧} بالعل^{٣٨}
فمثلي^{٣٩} لا يقلى^{٤٠} ومثلك^{٤١} لا يقلى^{٤٢}
وألقى^{٤٣} إليك الأمر^{٤٤} في الكثر^{٤٥} والقلى^{٤٦}
ومن لي^{٤٧} ذخرا^{٤٨} غيرك^{٤٩} اليوم^{٥٠} لا من لي^{٥١}
فقل لي^{٥٢} لمن أشكو^{٥٣} صنيعك^{٥٤} بي^{٥٥} قل^{٥٦} لي^{٥٧}

نفثت^{٥٨} — أيدك^{٥٩} الله — نفثة^{٦٠} مصدور انتهى الجفاء به^{٦١} متناه^{٦٢} ، وبلغ به
أقصى مداه^{٦٣} ، فان ظهر زلل^{٦٤} ففضلك^{٦٥} في ستره^{٦٦} على المعهود منك^{٦٧} قديم^{٦٨} الزمان^{٦٩} ،
لا على المنفصل عنك^{٧٠} الآن^{٧١} ، والله يقالب^{٧٢} القلوب^{٧٣} ، ويصلح^{٧٤} العيوب^{٧٥} ، ويبلغنا
الأملا^{٧٦} والمرغوبة^{٧٧} .

وقد ذكر ابن حيان بعض^{٧٨} ما كان شجر بين المتوكل وأخيه في ذلك الأوان

١ الفوات : ولم أسخ للعافين .

٢ م س : تلمح .

٣ م س : لتطفئ .

٤ ط د : فمثلك .

٥ م س : يغلى . . . يغلى .

٦ انفردت م س بإيراد هذا البيت .

٧ م س : به الجفاء .

فقال : وفي صَدْرِ سنة إحدى وستين ، نشأ من تلقاءِ ثغر غربيِّ الأندلس
 المشغور عارضُهم ضاعفَ الإشفاقَ ، وأكدهُ التوقعَ بانكشافِ خبر الاختلافِ
 الواقعِ بين أميريهِ : يحيى وعمر ابني المظفر بن الأفطس ، [١٢٣ أ] واهتدى
 الطاغيةُ اذفونش بن فرذلند المتحرس^١ بجماعة ملوك الطوائف بالأندلس ، إلى
 شبِّ نارِ الفتنة بينهما كياداً للمسلمين^٢ ، فبدأ بالاعتلالِ على يحيى صاحبِ
 بطليوس منهما ، يسومه الزيادةَ في مال جزيرته التي كان فارق أباه الهالكَ
 عليها بوساطةِ^٣ المأمون بن ذي النون بينهما ، فانتقض على هذا الغلام لوحيهِ
 في جبلته ، وطماعية في إتيانه من قبل أخيه ، فأظهر له يحيى العجزَ عن الزيادةِ
 في الجزية ، فجرتُ بينه وبين الطاغية في ذلك خطوبٌ اعتدى^٤ بها بلد بطليوس
 وثرغره ثغوراً ، فأقام يحيى منهما على ولاية المأمون بن ذي النون وحليفه
 ورائة^٥ عن أبيه المظفر ، ومال أخوه عمرُ إلى المعتضد ، وتأثتْ بين هذين
 الأخوين في أثناء ذلك هدنةٌ على دَحْنٍ ، لم يتمَّ معها أنسٌ ولا تمكَّنتْ لهما
 طمأنينة ، وما زالتِ السعايةُ تقدحُ بينهما نارَ العداوة . حتى أوزتْ نارَ فتنةٍ
 ضرمتِ^٦ البلادَ ، وأجاحتِ الرعية ، وثلمتْ ثغرها وضاعفتِ البلية ؛
 انتهى كلام بن حيان .

قال ابن بسام : ثم استوسق الأمرُ للمتوكل بموت يحيى أخيه^٧ ، وحصلتْ

١ ط د : المتورس

٢ م س : للإسلام

٣ م س : بوساطة .

٤ م س : اعتدى .

٥ م س : وارثه .

٦ س : أضرمت .

٧ ط د : أخيه يحيى .

له جميع بلاد أبيه ، واحتل حاضرة بطليوس ، وجعل ابنه العباس في يابورة^١ واتفق أن خرج طلحة بن عبيد الله^٢ مستوحشاً عنه لأمر بلغه عنه . ولحق ببلد المعتمد . فكتب العباس^٣ إلى أبيه معتذراً عن فراره ، ويقسم أنه ما خرج إلا باختياره . فأخبرني الوزير الكاتب أبو المطرف بن الدباغ قال : إني لمسائر المتوكل خارج حضرته ، بطليوس ، حين ورود تلك الرقعة من ابنه العباس عليه . فبلغ منه الضجر متناه . وتجاوز مداه ، واستدعى وهو على ظهر دابته دواة^٤ ، ووقع في ظهر الرقعة يومئذ فصلاً قال فيه — دون عنوان ولا دعاء ولا سلام ، وأنا أتعجب في كتبه تلك الفقار ، مع فرط الضجر^٥ — : قبولي لتصلّيك من ذنوبك موجباً لبراءتك عليها ، وعودتك إليها ، واتصل بي ما كان من قبلك في خروج طلحة بن عبيد الله عنك ، ولم تثبت في أمره . ولا تحققت صحيح خبره . حتى قرّ بنفسه عن أهله ووطنه . والعجلة من الشيطان . ولا يحتمد قبل النضج بحران . وهو الذي أوجبه إعجابك بأمرك . وانفرادك برأيك ، ومتى لم ترجع إلى ما وعدت به من نفسك^٦ ، وصدرت به كتبك فأنا المريح والله نفسي من شغبك ، وإن تكن الأخرى فهو لك الخطأ الأوفى . فاختر لنفسك أي الأمرين ترى .

وأخبرني الوزير أبو طالب بن غانم قال : لا أنسى والله خطأ المتوكل بهذين

١ م س . يابورة

٢ م س : عبيد الله (حينما وقع)

٣ فصلاً قال . . الضجر : سقط من م س .

٤ ط : عودت به نفسك .

البيتين في ورقة^١ بَقْلَةِ الكَرْبِ^٢ وقد كتب إليّ بهما من بعض البساتين^٣:

انهضُ أبا طالبٍ إلينا واسقطْ سقوطَ الندى علينا
فنحن عقدٌ بغيرِ وسطى ما لم تكنْ حاضراً لدينا

في ذكر الوزير الكاتب أبي عبد الله محمد بن أيمن ،
واجتلاب جملة مما بلغني من ترسيله

وكان أبو عبد الله محمد بن أيمن بأفقنا أعجوبة الدهر ، وفريد العصر ،
وفارس ميدان النظم والنثر ، اشتهر في حَمَلَةِ الأَقلام ، اشتهارَ البدر في
السماء ، وتلاعبَ بغرائب الكلام ، تلاعبَ الأفعال [١٢٣ ب] بالأسماء .
ولما صرف المتوكلُ ذا الوزارتين أبا الوليد بن الحضرمي عن خدمته ، وقبض
يَدَهُ عملاً كان يتصرف فيه من تدبير دولته ، لم يفوضْ بعده إلى وزيرٍ ،
ولا ألقى إلى أحدٍ بأزمنة ذلك التدبير ، غير أن أبا عبد الله بن أيمن هذا كان
من وزرائه ، وصَحْبَتُهُ بمنزلة الرقيب من الحبيب ، لا يحظى بِشَرِّ بنوالة ،

١ في ورقة : سقطت من م س .

٢ ط : يقلب الكرب ؛ د : بقلة الكرب ؛ وانظر الحلة ٢ : ١٠٧ .

٣ القلائد : ٤٦ ؛ المغرب ١ : ٣٦٥ وأعمال الاعلام : ١٨٥ والحلة ٢ : ١٠٧ والنفح ١ :
٦٦٦ ، ٣ : ٣٢٩ ؛ ٤ : ١٥٥ ونسبهما في الموضع الثاني إلى المعتمد بن صمادح ، وانظر
بدائع البدائ : ٣٧٤ والمقتطف : ٣٢ والفوات ٣ : ١٥٦ وفيه أن الوزير هو أبو غانم وهو
يخاطبه بقوله : انهض أبا غانم الخ .

٤ انظر ترجمته في المغرب ١ : ٣٦٦ وذكر المحقق هناك أن له ترجمة في مسالك
الأيصار ٨ : ٣٣٢ .

ولا يطعمُ أحدٌ معه في وصاله ؛ ولما احتلَّ الوزير الكاتب أبو المطرف^١ ابن
الدبَّاغ حضرة بطليوس - حسبما سنشرحه^٢ - خاف ابنُ أيمن أن
يمحوَ سناه ، ويستولي على مداه ، فاشتعلتَ بينهما نارٌ ملأ الآفاقَ شعاعُها ،
وأخذ بعنانِ السماء ارتفاعُها ، وأحسبُ ذلك كان سببَ ارتحال أبي المطرف
عن حضرتهم ، وخروجهِ من جملتهم ، وسنأتي بذكره في القسم الثالث من
هذا المجموع ، إن شاء الله .

وقد أخرجت من كلام ابن أيمن ما يأخذ من البلاغة باليمين ، ويشهد
له بالمكان المكين .

فصل من ترسيله

لما اشتدَّ يومئذ كَلَبُ الروم ، بهذا الإقليم ، على ما تقتضيه شهادةُ
المنثور والمنظوم ، بلسان من اندرج ذكرُهُ في هذا الديوان من كلِّ زعيم ،
استصرخَ ملوكُ الطوائف بأفئدة أمير المسلمين وناصر الدين أبا يعقوب
يوسف بن تاشفين ، رحمه الله ، وقد أَلْقَوْا بأيديهم ، فكتب أبو عبد
الله بهذه الرسالة عن صاحبه ، وأراها كانت ثلاثة المفاصلة ، أو ثانية
المداخلة^٣ ، وهي :

لما كان نورُ الهدى - أيدك الله - دليلك ، وسبيلُ الخير سبيلك ،

١ م س : أبو المطفر .

٢ ورد مشروحاً في القسم الثالث : ٢٥١ .

٣ عن صاحبه . . . المداخلة : سقط من م س .

ووضحت في الصّلاح معالِمُك ، ووقفت^١ على الجهاد عزائمُك ، وصحّ العلمُ بأنّك لدعوة الإسلام أعزُّ ناصر ، وعلى غزو الشّرك أقدر قادر ، وجبّ أن تُستدعى لما أعْضَلَ من الداء ، وتستغاث لما أحاطَ بالجزيرة من البلاء ، فقد كانت طوائفُ العدو المطيفةُ بها - أهلكهم الله - عند إفراط تسلّطها واعتدائها^٢ ، وشدة كلبها واستشرائها ، تُلاطفُ بالاحتيال ، وتُستزكُ بالأموال ، ويُخرَجُ لها عن كلِّ ذخيرة ، وتسترضى بكلِّ نفيسة خطيرة ، ولم يزلْ دأبها التشطُّط والعناد ، ودأبُنَا الإذعان والانقياد ، حتى استُصْفِيَ الطريف والتّلاذ ، وأتى على الظاهر والباطن النّفاد ، وأيقنوا الآن بضعف المينن ، وقويت أطماعُهُمْ في افتتاح المدن ، واضطربت في كلِّ جهة نارهم . وَرَوَيْتُ من دماء المسلمين أَسْنَتُهُمْ وشفارهم ، ومن أخطأه القتلُ منهم فلنما هم بأيديهم أسرى وسبايا ، يمتحنونهم بأنواع المحن والبلايا ، وقد هَمَّوْا بما أرادوه من التوثّب ، وأشرفوا على ما أمْلَوْه من التغلّب^٣ ، فيا لله ويا للمُسْلِمِينَ ! ! أيسطو هكذا بالحقّ الافك ، ويغلب التوحيدَ الشّرك ، ويظهر على الإيمان الكفر ، ولا يكتنفُ هذه المِلَّةَ النصرُ؟! ألا ناصرَ لهذا الدين المهتَضَم ، ولا حامِيَّ لما استبيحَ من حِمَى الحرم ! ! وإنّا لله على ما لحق عَرْشَهُ من ثلّ ، وعزّه من ذلّ ، فإنها الرزيةُ التي ليس فيها عزاء ، والبليّةُ التي ليس مثلها بلاء .

١ م س : ووقف .

٢ م : واغترابها

٣ قوله : ولم يزلْ دأبها . . . من التغلب : انظر ما تقدم ص : ٢٤٨ - ٢٤٩ حيث

اقتبسه ابن بسام كأنما هو من إنشائه .

٤ عرشه : يعني عرش الدين .

ومن قبل هذا ما كنتُ خاطبتك - أيديك الله - بالنزلة في مدينة قورية - أعادها الله - وأنها مؤذنةٌ الجزيرة بالخلاء، ومن فيها من المسلمين بالجللاء، ثم ما زال ذلك التخاذلُ يتزايدُ، والتدابيرُ يتساندُ، حتى تخلصت القضية، وتُعجّلت البليّة، وحصلت في يد العدو - قصمه الله - مدينةٌ سرّته^١ وعليها قلعةٌ تجاوزت حدَّ القلاع، في الحصانة والامتناع، وهي من المدينة كنقطة الدائرة وواسطة القلادة، يُدركها من جميع نواحيها، ويستوي [في]^٢ الاستضرار بها قاصيها ودانيها^٣، وما هو إلا نفَسٌ خافت، ورمقٌ زاهق، إن لم تبادروا بجماعتكم عجلاً، وتنداركوها رُكباناً ورجالاً، وتنفروا نحوها^٤ خفافاً وثقالاً. وما أحضركم على الجهاد بما في كتاب الله تعالى، فإنكم له أتى، ولا أحرّضكم على [١٢٤ أ] التسرع إليه بما في حديث رسوله عليه السلام، فإنكم إلى معرفته أهدى.

وكتابي هذا جُملةٌ* : الشيخُ الفقيه الواعظُ يفصلها، ومشتملٌ على نكتةٍ هو يوضحها ويبينها، فإنه لما توجه نحوك احتساباً، وتكلّف المشقة إليك طالباً ثواباً، عوّلتُ على بيانه، ووثقتُ في عرض الحال عليك بفصاحة لسانه، وأنت بفضلِكَ تستوعب ما يؤدّيه استيعاب المستوفي، وتصني

١ ذكرها الادريسي (نزهة المشتاق - قسم الأندلس والمغرب : ١٧٥ ، ١٩٦ تحقيق دوزي) وذكر أن بينها وبين شقورة مرحلتين كبيرتين، وأنها مدينة متوسطة القدر حسنة البقعة كثيرة الخصب.

٢ ط : ويستوي.

٣ قارن بما ورد ص : ٢٤٩.

٤ نحوها : زيادة من م س.

٥ ط د : يحمله ؛ م س : حملة.

إلى ما يُنْهيه إصغاءَ الوعي ، وتجد منه مفضّ المرتعص ، وتتحرك له تحركَ
المرتعص .

ثم لم يزل يستشري الداء، ويعمُّ أقطارَ الجزيرة البلاء، وأميرُ المسلمين وناصر
الدين - رحمه الله - مشغولٌ ببقية حرب طوائف البرابرة المتغلبين - كانوا -
على أقطار العدو ، فلم يزل يميّطُ أذاها ، ويصرحُ قذاها ، حتى سَلِكَ^١
سبيلُها ، وطاب مُسْتَقَرُّها ومَقِيلُها . وكان من أشدّ تلك الطوائف أَيْدًا ،
وأَمْتِنَها كَيْدًا ، العزّ بن سقوت^٢ ، المتغلب - كان - على مدينة سبتة وما والاها ،
فإنه جاهرَ بالخلاف سَمَاعًا وعِيَانًا ، وشغل أميرَ المسلمين - رحمه الله - عن
تلافي هذه الجزيرة زمانًا ، إلى أن بلغ الكتابُ أَجَلَهُ ووقته ، وفُتِحَتْ على
يديهِ سبتة ، حسبما نلخص الخبر عنها .

١ م س : سلكت .

٢ د م : سكات ، وهذا وجه من وجوه كتابة هذا الاسم (انظر الجذوة : ٣٣) وهو أيضاً
سكوت ، وسواجات ، وفي أخباره راجع البيان المغرب : ٢٥٠ وأصوال الاعلام : ١٤١
وروض القرطاس : ١٠٤ وابن خلدون ٦ : ١٨٤ ؛ وقد كان الحموديون استخلفوا على
سبتة شخصاً اسمه رزق الله (أبو المطاف) فقتله سقوت سنة ٤٥٣ و حكم سبتة وتسمى
« المنصور » وهو والد الحاجب المز ، الذي دخل المرابطون سبتة في أيامه .

إيجاز الخبر عن فتح مدينة سبتة وتلخيص التعريف بأولية أمرها^١

كان سقوت بن محمد المتغلب عليها قد جرى عليه سباء ، واستبد^٢ به
ولاء ، ففاز به^٣ قِدْحُ علي^٤ بن حمود أَيْسَامَ امترى أخلافهما ،
واعرورى شقاقها^٥ وخلافها ، ومن هالتيه طلع هلالاً^٦ وبدراً ، وبين باطله
وبطالته عتق خلاً^٧ وخمراً ، وعليه^٨ جيب رحاها ، وإليه كان مَجْرَاهَا
ومُرْسَاهَا ، حتى عُدَّتْ^٩ أيامه ، واشتهر مقامه^{١٠} ، وملأ أجزاء الزمان
وصدر الأوان بأسه^{١١} وإقدامه^{١٢} . ولما أفضت الدولة الحمودية إلى سِقْط
زَنْدِهَا ، ومنتهى جهدها ، يحيى بن علي - المتقدم الذكر - ألقى بمقاليد
سبتة إلى هذه الأفعى الجارية ، والشعلة الوارية ، سقوت المذكور ، فأقام
به عمودها ، وأطعمه قائمها وحصيداها ، وطفق لأول حينه يخلق ويفري ،
ويجمر لأبعد شئونه ليسير ويسري^{١٣} ، وقد كان يحيى بن علي^{١٤} أشرك معه في عملاتها
مولى^{١٥} آخر من مواليه يكنى أبا العطف ، أخذ أجندال الطعان ، وكُفَاة
الأقران ، فأقاما بقيّة أيام يحيى بن علي^{١٦} يتجاذبان أهدابها ، ويتعاطيان

١ م س : أميرها .

٢ به : سقطت من ط د .

٣ م س : ثقافها .

٤ م س : وعنه .

٥ ط : غدت .

٦ وطفق . . . ويسري : سقط من ط د .

أفداحها وأكوابها ، إلى أن وقع من مقتله^١ سنة سبع وعشرين ما فرغنا من ذكره ، ونبئنا على مستودع مستقره ؛ ولما أفضت دولة آل حمود إلى ابنه إدريس بن يحيى بن علي سما سقوت بن محمد فأخذ بِلَقَمِ الطريق ، وطلع لمغبونه إدريس من ثنايا العقوق ، وأول ما بدأ به من ذلك الفتكُ بشريكه الخاسر ، بحيلة خفية ، تمخضت له بميتة^٢ وحية ، في خبر طويل ، تركته تخفيفاً للتثقيل ، فأصبح بعده سقوت بن محمد قد حلت شمسُ سلطانِه بالحمل ، وقام وزنُ زمانِه فاعتدل^٣ ، وتسمى لأوّل وقته يومئذٍ من الأسماء السلطانية بالنصور المعان ، وقد عرض له ابن حيان ببعض أوابده ، وفصل بذكره سلك مُقَيّداتِه وشوارده ، وأنا أذكر من ذلك ما وفي به وسعي ، وكان من شرط جَمعي .

قال ابن حيان^٤ : وهذه نادرة من طخيات^٥ هذه الفتنة^٦ المبيرة ، أن تخطت أرض هذه الجزيرة ، إلى ما وراء بحرها الزقائي الذي كان منه دخول العرب أيام فتحهم لهذا الصّقع ، حاجتها^٧ أسبابُ المنافسة الفادحة ، لامتعاض حسيب الأملاك النبيه الأبوة الشاغمة ، عبّاد ، من هضم جاره الخارجي سقوت

١ يعني مقتل يحيى الحمودي .

٢ م س : بموتة .

٣ م س : واعتدل .

٤ نقل بعض هذا النص في كتاب مفاخر البربر : ٤٥ مع بعض اختصار وتغيير في الترتيب وغلط بكلام ابن يسام نفسه ، وانظر مخطوطة الرباط (رقم : 1275) ص : ٨٣ .

٥ ط : طخيات ؛ م : ضحية ؛ س : صخياء ؛ مفاخر : هيجان (وفي المخطوطة : طخليات) والطحية : الظلمة أو السحابة .

٦ زاد في المفاخر : البربرية .

٧ م س والمفاخر : حاجها .

مولى ابن^١ حمود - بزعمه - الناهض الجَدُّ بأنقص^٢ الخلال : من مَعَقَّةِ
المولى وَخَتَر الرقيق^٣ واهتضام الحقوق ، والترقي إلى أعلى مراتب^٤ السلطان ،
حتى تسمي بالمنصور المعان ، لقبين في قران ، أغمض^٥ له عليهما [١٢٤ ب]
الزمان^٦ ، فساء غلطه^٧ في نفسه ، واضطره القدر أن تمرَّس^٨ بجاره^٩ عبّاد
صير في^{١٠} الفتنة الذي لا ينام على دمنة ، كان سبب ذلك باعتقال عبّاد لرجل
من تجار سبّنة^{١١} في شيء حضره بحضرته ، فاعتدى عليه سقوت فاعتقل
له عدّة^{١٢} تجار^{١٣} ، فنشأت لذلك بينهما^{١٤} وحشة^{١٥} سنة سبع وخمسين ،
امتطيا لها ظهر اللّجج^{١٦} ، على ما بينهما من التطام اللّجج^{١٧} ، فتهافتا على القطيعة
واجتمعا على عقد^{١٨} البحر بينهما ، فتلفت فيه رؤوس أموال^{١٩} ، وهلكت
من أجلها نفوس^{٢٠} رجال ، يطول في صِفَتها المقال ، إلى أن أكمل عبّاد^{٢١} من
أسطول^{٢٢} أنشأه نحواً من ثمانين قطعة ، فأجراها إلى سبتة ، فخرج عليها^{٢٣} أسطول^{٢٤}
لسقوت ، فكان الظهور لابن عبّاد ، ثم افترقت الأساطيل بعد حروب^{٢٥} وسفك^{٢٦}

١ م س : آل .

٢ م : بأنقص ؛ س : فانقص .

٣ م س : وخبر الرقيق .

٤ م س : لأعلى موارد (س : موازب)

٥ م س : يجاه .

٦ ط : صيفري ؛ م : صرني .

٧ ط : رجال .

٨ م س : بينهما لذلك .

٩ ط د : عقل ؛ س : حقر .

١٠ م س : إليها .

دماء ، وانقطع بحر الزقاق بينهما مدة استهما اجتراحاً منافعه فيها ؛ انتهى
ما لخصته من كلامه .

قال ابن بسام : ثم غلظ أمر سقوت ، حتى أخاف^٢ القريب والنّازح ، واقتاد
الحرون والجوامع ، وانبثت سراياه في البحر والبر ، فأدرك المطلوب والطالب ،
وتصيد الطافي والراسب ، ونجم^٣ في ملتونة أمير المسلمين وناصر الدين أبو
يعقوب يوسف بن تاشفين ، رحمه الله ، فأحاطت دولته بالفرق ، إحاطة
القلادة بالعنق^٤ ، ودبت في ممالك العرب والعجم ، دبيب البرء في السقم ،
وطفق يتبع آفاق جوارهم بالعدل ، تتبع الديمة آثار المحل ، ويسبق قولهم^٥
بالعمل ، سبق السيف العدل ، وتجاروا إلى مصارعهم ، حتى لحق متبوعهم^٦
بتابعهم ، وانتظم دانيهم بشامعهم ، ودارت النبوة على سقوت بن محمد ،
فتطرف^٧ أمير المسلمين — رحمه الله — بلدّه للفراغ ممن شدّ عنه من ذؤبان
زناة ، وقد التفؤوا بأحد محاش^٨ الفتنة ، ووالوا إلى موضع يعرف بالدمنة ،
فتزل بساحتهم أمير المسلمين ، سنة إحدى وسبعين ، على مقربة من بلاد
سقوت^٩ ، فهم بالانحياش إليه ، فقد كان آل وليل عليه ، فنهاه حزبُه
الدميم السعّي ، وثناه ابنه الفائل الرأي ، فقد كان هذا الفتى على بعد

١ ط د م س : احترام .

٢ أخاف : سقطت من م س .

٣ من هنا يبدأ النقل في كتاب مفاخر البربر : ٤٤ ومخطوطة الرباط : ٨٧ .

٤ م س : بالفراق . . . بالأصناف .

٥ مفاخر والمخطوطة : فتطوف .

٦ م س : يدعى .

٧ زاد في المفاخر : فتضيفه لا من خلّة ، وأراد أن يكثر به لا من قلة .

مراميه ، ولوذعيّةٍ — زعموا — كانت فيه ، يذهب مذهب الجبابرة من ملوك الطوائف عندنا ، من الإعراض عن العواقب ، وأخذ الشاهد عياراً على الغائب ، أين ما هو فيه . لا يحفل بشيء يذره ولا يأتيه ، ووضحت لأمير المسلمين — رحمه الله — السبيل إلى حربه ، لما كان من فقاره عن قُربيه ، وانتباهه لأوّل وهلةٍ عن حزبه ؛ فلما أوقع بأهل الدمنة ، رمى سقوت ابن محمد بأقماره ونجومه ، وأحله وجوه هيمته^١ وهمومه ، والبلاد تنقاد لحكمه ، والمنابر تكاد تهل^٢ باسمه ، وسمع الرعية بمقدمه ، فانتالوا عليه انثيال الجياح على الوليمة ، وتباشروا به تباشّر البلد^٣ بالديمة . وخرج سقوت بن محمد في عديده وعُدّته ، للذب — زعم — عن رعيّته وبلده ، وعساكر أمير المسلمين يومئذٍ على مقربة من مدينة طنجة ، وعليها من قبله ابنه المسمّى بضياء الدولة ، فلقى عساكر المرابطين وقد سالت بها سيولهم . وشارفها لواؤهم ورعيّتهم . فأقام بإزائهم يومين والأجل يُقّحمه . والخليل تُسليمه ، إلى أن طحنته رحاهم . وسالت نفسه على أستانهم وظباهم ، يوم الكسوف الشمسي الكلي من العام المؤرخ ، ودخل المرابطون طنجة ذلك اليوم .

وأفضت الدولة البرغواطية إلى الحاجب العزّ ابنه ، شهاب أفلاكها .

١ م س والمفاخر : همته .

٢ م ؛ تهذ ؛ س : تمد .

٣ زاد في المفاخر : التيهام (وفي المخطوطة : التمية) .

٤ زاد في المفاخر : وأقسم أن لا يسمع قرع طلبه (طلبه ؟) في ملكه .

٥ يمّني : وعلى طنجة من قبل سقوت . . .

٦ م : وطار بها ؛ س : وشان بها .

وخيرة أملاكها ، هبّ للأدب ريحاً ، ونفخت دولته في أهليه روحاً ،
 أعرض^١ به الشعراء وأطالوا ، ووجدوا به السبيل إلى المقال فقالوا . ومن
 خيّم في ذراه ، ونال الخطّ الجسيم من دنياه ، الحصريّ الضريع ، فلن^٢
 له فيه^٣ ما أذهل الناظر عن الرقاد ، وأغنى المسافر عن الزاد ، والحاجب^٤
 يكحل عينيه بزينة دنياه ، ويفتق لهاته بمواهبه ولهاه ، وكان سهل الخائب
 للقصد ، طلق اليد بالمواهب الأفراد ؛ من رجل [١٢٥ أ] استعان بالشر ،
 وتهاون بالأمر ، لا يجي إلا من غلول ، ولا يجيش إلا إلى ابن سبيل ؛
 لا سيما البحر فإنه أضرم لجججه ناراً ، ولقي ريحه إعصاراً ، أخذ كل^٥
 سفينة غصباً ، وأضاف إلى كل رعب رعباً ، فضجّت منه الأرض والسماء ؛
 والتقت الشكوى عليه والدعاء ، وأذن الله لأمر المسلمين وناصر الدين
 - رحمه الله - فأناخ بعقوته ، وحكّم مداه بين سنّاميه وذروته .

وكان من الاتفاق العجيب أن أنشأ المعتمد سفينة ضاهى بها مصانع الملوك
 القاهرين بعد العهد بمثلها : شدة أسري ، وسعة بطن وظهر ، كأنما
 بناها على الماء صرحاً مرّداً ، وأخذ بها على الريح ميثاقاً مؤكداً ، ووجهها
 على مدينة طنجة لتمتار ، وقد أنجد أمر الله وغار ؛ ولما رأى أمير المسلمين
 وناصر الدين - رحمه الله - تلك السفينة ، خاطب المعتمد في ذلك ، فشحت
 على سبته موتاً ذريعاً ، وأقيمت بإزاء أسوارها حصناً منيعاً . فلما كان يوم

١ مفاخر : أعوص .

٢ ط د : فيان .

٣ في التسخ : فيها .

٤ ط د : ومنعة .

٥ م س : إلى .

٦ م س : سورها .

الخميس من صفر سنة ست وسبعين ، قدّم أمير المسلمين لقتال سبته أسطولاً فخماً ، رجم به مرّة عفاريتها رجماً ، ولقيه العزّ بن سقوت ببقية جمّة من أسطول طالما أوسع البلاد شراً ، وملاً قلوب أهلها ذعراً ، فكان لأوّل ذلك اليوم ظهوراً على أسطول المرابطين حتى أخذ منه قطعة جليلة المقدار ، ظاهرة الحماة والأنصار ، فكان من إذلال الله للعزّ بن سقوت يومئذ أن بخل على أخذها^١ ، وتكلّم بكلام أنكر عليه فيه ، وارتاعت محلة المرابطين لأخذ تلك القطعة ، حتى همّوا بالإحجام ، وقوّضوا بعض الخيام . وغضب أمير المسلمين وناصر الدين — رحمه الله — لإحدى غضبته فكانت إياها ، وفغرت المئاني^٢ على سبته فاها ، وتقدّمت تلك السفينة حتى أطلّت على أسوارها ، ورفعت صوتها ببوارها ، وأفضت بدولة صاحب سبته إلى سوء قرارها ، ليلة الجمعة من صفر المؤرخ ، ولجأ العزّ بن سقوت في نفير من أصحابه إلى البحر ، فهمّ بركوبه ، فأعوزه الفرار ، ودقّ في صدره المقدار ، وكرّ راجعاً ، فدخل داراً تعرف بدار تنوير^٣ . وبدر به جماعة من المرابطين ، فاقتحموا عليه بعد مرام بعيد ، وقتال شديد ، حتى ضاق اضطرابه ، وفرّ عنه أصحابه ، ولما أحسّ بالشرّ دفع ذخائره كانت عنده إلى أحد من وفي له من رؤوس حماته . فبلغني أنه عثر عليها ووُجد فيها جوهر كثير . ونشّب من نشب

١ م س والمفاخر : ظهر .

٢ ط : أخذها .

٣ ط د : المنية .

٤ م س : أظلت أسوارها ، ط د : طلّت على . . .

٥ مفاخر : شوير (وفي المخطوطة : تنوير) . . .

٦ م س : دنالير .

المملوك^١ خطير ، وَوَجِدَ في جملتها خاتم يحيى بن علي بن حمود . وخرج العزّ بن سقوت حين وضع الفجر من ليلته تلك . فلقبه المعزّ ابن أمير المسلمين^٢ — رحمهما الله — فجلبه الحسام ، وحكّم فيه الحمام ، تعالى من لا يردّ قضاؤه ، ولا تبيد آلاؤه .

ومن ترسيل ابن أيمن أيضاً رقعة^٣ عن المتوكل إلى المعتمد في معنى خروج أبي المطرف ابن الدبّاع عنه^٤ إليه ، قال فيها : من تخيّرك — أيدك الله ° — على سواك : وأرادك^٥ وترك وطنه هجرة إلى ذراك ، وأسرع تلبية إلى دواعي سرّوك وعلاك ، فمجدك يقضي له — وإن أزعجته عنك بحكم الاضطرار ، صروف الأقدار — أن تستمرّ عليه النعمى ، وتطرّد لديه^٦ العارفة الحسنى ، وينتظم بدء الصنيعة فيه بالعقبى ، فالفضل على علمك بتمامه ، والطول باختتامه ، والبرّ بمقتضاه^٨ ، والمن بأخراه .

وهذه — أدام الله تأييدك — حال فلان ، فإنه هجر إليك الورى ، وركب

.....

١ م س : المملك .

٢ كان المعز ولي عهد يوسف بن تاشفين ، لكنه توفي في حياة أبيه فقدم يوسف ابنه علياً لولاية العهد ، وفي مفاخر البربر أن المعز طلب إلى ابن سقوت أن يعطيه المال فقال له : « خازن أبيك كنت نجمع لك المال ؟ » فجلبه الحسام . . . الخ .

٣ ط د : ومن ذلك رقعة . . .

٤ عنه : زيادة من م س .

٥ م س : أدام الله تأييدك .

٦ وأرادك : سقطت من م س .

٧ م س : عليه .

٨ م س : بمقتضاه ؛ ط د : بمقتضاه .

نحوك أعناق الأمل والهوى ، وقد كان ظفراً بالخط^١ من دنياه ، واعتلقَ منها السبب الذي لا تُنتَقَضُ مِرَرُهُ ولا تتكثُر^٢ قواه . إلا أن الزمان من بت^٣ العِصَم ، وإحالة النعم ، والقَطْعِ بذوي الآمالِ والهمم ، جارٍ في سَنَنِهِ الدميم ، على القديم ، وحين جدَّ به^٤ الجدد العائر — أسعد الله جدودك ، وأدام تأييدك — في الانزعاج من جنابك ، ومفارقة النعمة من ملازمة ركابك ، وخِدْمَةِ بابك ، لحق بحضرتي — طاعتك — يعتقد — وحق^٥ [١٢٥ ب] ما اعتقده — أنه لم يفصل عن جماعتك ، ولا تحوّل إلا إلى أعمالك ، ولا انتقل من يمينك إلا إلى شمالك ، وعنده تذكّر لحسن معاهدِه لديك ، وطيب مشاهدِه بين العزيزتين يديك ، ما ليس مثله إلا عند معتقد أيام الصبا ، ومستعيد عشيّات الحمى ، وأما شكرُه لسؤالك نعمك ، ونشرُه لمطاوي منازلِك الحميلة وهِمَمِك ، وإشادتهُ بسنائك ، وإبداؤه وإعادتهُ في حُسْنِه آثارك وأنبائك ، فبحيث لو جاز أن تُتَقَلَّدَ مقاومه في ذلك لعطّلتِ الحلى ، أو تُتَوَرَّدَ لشفت من الصّدَى ، أو تُتَرَشَّفَ لأغث عن برد اللمى ، أو تُقْطَفَ لكفّت من يانع الجنى . ومن فارقك — أيّدك الله — وتحرقُه للبعد عنك تحرقُه ، وتحققُه بالتشيع لك تحققه ، ففضلُك الباهرُ يابى أن تنقطع عنه عوارف الإجمالِ على النوى ، ولا سيّما

١ م : بالخط فيه ؛ س : بالحد فيه .

٢ م س : ينتقض . . ينتكث .

٣ م س : الزمن من بت .

٤ م س : جذبه .

٥ م س : تحسين .

وقد وسدت مع القرب جوازي^١ أمالي^٢ أبردي^٣ ظلاله^٤ ، وأوردت على
الدنو^٥ ظامته^٦ ذمامه^٧ النمير^٨ العذب^٩ من جمامه^{١٠} ، وقد كان لحقه^{١١} عند انزعاجه
عن حضرتك - والله حراستها ، ولك رئاستها - ما الفضل^{١٢} له متألم^{١٣} ، والمجد^{١٤}
منه متذمّم^{١٥} ، ممّا أعلم^{١٦} - والله - عِلْم^{١٧} اليقين^{١٨} أن سيادتك تأتي مسموعة^{١٩} ،
ولا ترضى وقوعه^{٢٠} ، وإنما أتى ذلك التعدي^{٢١} - لا محالة - من جهة المتولّي^{٢٢} ،
لأنّ قدّرك^{٢٣} - رفعه الله - منزه^{٢٤} عن ارتجاع^{٢٥} موهوب^{٢٦} ولو عظم^{٢٧} ، ومعاملة
خادم^{٢٨} باستصفاء^{٢٩} مكسوب^{٣٠} وإن ظلمتم^{٣١} ، وعند الوزير الكاتب أبي طالب من
بسّط^{٣٢} هذه النكتة^{٣٣} ما أنت بمعاليك تقتضيه^{٣٤} منه وتستوفيه^{٣٥} ، وتأتي متفضلاً^{٣٦} من
الإيجاب^{٣٧} فيه ، بما يليق^{٣٨} بسؤددك^{٣٩} الأثيل^{٤٠} ، وقعدك^{٤١} الجليل^{٤٢} ، ومعتدك^{٤٣}
الحسن^{٤٤} الجميل^{٤٥} ، واضعاً^{٤٦} بذلك عندي^{٤٧} يدأ^{٤٨} تشف^{٤٩} على متقدّم^{٥٠} أخواتها ، وتهتف^{٥١}
بالتعجيز^{٥٢} عن معارضتها^{٥٣} من جميع جهاتها^{٥٤} .

وله^{٥٥} : الفضل^{٥٦} - لا زلت له أهلاً^{٥٧} ، وبه أولى^{٥٨} - عن شرف حامليه^{٥٩} موضح^{٦٠} ،
«وكل^{٦١} إناء^{٦٢} بالذي فيه ينضح^{٦٣}» ؛ وورد كتابك - لازالت المسار^{٦٤} تردك^{٦٥} ،
والأقدار^{٦٦} تسعيدك^{٦٧} - بوصول^{٦٨} فلان^{٦٩} إلى حضرتك - ضاعف^{٧٠} الله جلالها^{٧١} ،
وبسط^{٧٢} ظلالها^{٧٣} - ، وما كان من^{٧٤} أخذه^{٧٥} عند مثوله^{٧٦} ، بكرم^{٧٧} فرعه^{٧٨} التابع^{٧٩}
لطيب^{٨٠} أصوله^{٨١} ، في وصفي^{٨٢} بما والله قطعني^{٨٣} على البعد^{٨٤} ، وقنّني^{٨٥} حياء^{٨٦} من
المجد^{٨٧} ، فلاني ما رأيت^{٨٨} مثله^{٨٩} سواه^{٩٠} ، والله يغفر^{٩١} له ما أتاه^{٩٢} ، ذكر^{٩٣} الجود^{٩٤} والبحر^{٩٥}

١ ط د : ظله ؛ وهذا من قول الشاعر :

إذا الأوطى توسد أبرديه خدود جوازي^١ بالرهل عين

٢ وله : سقطت من ط د ، واتصلت هذه الرسالة بما قبلها .

٣ م س : المرات .

٤ م س : بكرم طبعه .

٥ ط د : والمجد .

شاهد ، وأسهمَ في الفضل وربُّهُ واحد ، وإذ لا أستجيز موافقةَ جفائه ،
بالاعتراضِ على تقيظه وثنائه ، فلا بدَّ أن أعتذر مما استكثر ، وأتلمَّسَ ممَّا
استعظمَ ، وأقول : إني ما عدوتُ في تلقيه ببعض حقوقه ، استرسالَ الصديق
مع صديقه ، ولو ذهبتُ إلى معارضةِ فضله ، وتوفيةِ واجبِ مثله ، لضعُفْتُ
عن ذلك أسبابُ المقدرة^١ ، ووضحتُ بوقوع العجزِ وجوهُ المَعذرة ، وهو
وليُّ البرِّ والإجمالِ ، فيما عرضه وحسنه من الحال ؛ وهكذا مَنْ شَرَّفَ
اللهُ محبتهُ ، وأطابَ^٢ مشهده ، ومن زكا عنصره ، وكرَّمْ مَحَضْره .

وذكرتُ في الكتاب الكريم ، عقبَ هذا الفصل ، بل سابغِ الفضل ، أنَّ
ما نقله فلان المذكور إليك ، وأورد عني عليك . مما وافق مرادك ، وطابق
غرضك واعتقادك ، ولا غرو فاتفقُ المذاهبِ والآراءُ تبعُ لتمازج^٣
النفوسِ والأهواء ، ونحن بحمدِ الله في الاتصالِ يدٌ وساعدٌ ، وفي الانتظامِ
جسمان والروحُ واحد .

وتقدِّمتُ كُتبي إليك بما كان من تطرُّقِ خيلِ العدوِّ — بدَّها الله —
جهاتي^٤ ، طاعتِكَ ، حتى كادت تتركها خلاء ، وتعيدها عَقَاءً ، وأنبأتك
أنَّ ذلك لا يثبتُ معه سَلَمٌ ، ولا يرقأُ عليه كَلَمٌ ، ولا يطيبُ معه مُعْتَقَدٌ ،

.....

١ ط : المقدرة .

٢ م س : من شرف محبته وطاب .

٣ ط د : لتنازع .

٤ جهاتي : موضعها بياض في م س .

٥ ط د : وتوعدا .

ولا يصبرُ عليه أحدٌ ؛ والآن فقد ورد ما هو أشدُّ ، وطاع ما هو أشنعُ وأفظعُ ، وذلك ضَرْبُ الخيلِ من قبل فلان على تلك الجهاتِ ، وبلوغها في النكاياتِ أقصى الغاياتِ ، فِعْلُ العدوِّ المحاربِ ، وِعَمَلُ الضدِّ المطالبِ ، لا يمرُّ بحصنٍ إلاَّ أناخَ بجياله ، وجدَّ في قتاله ، وهذه حالٌ ليس وراءها إلاَّ الاستئصالُ ، فمذهبُ القومِ في حِيْزِ الحلِيِّ ١ [١٢٦ أ] الظاهرُ ، وقد وضح الصبيحُ لذي ناظرٍ ، وأهلُ تلك الجهاتِ مُظهِرو القلقِ ، من اتصال هذا التطرُّقِ ٢ ، مُعَلِّنو الشكوى ، بتجاوزِ هذه العدوى ، فكيف يسوغُ لي - وجهاتُهُمْ - مباحةً ٣ ، وأحوالهم مُجْتَاحَةً ، طَلَبُهُمْ بما تَعَرَّفَهُ ، والاستعانةُ بهم على ما نُكَلِّفُهُ ، أليس ذلك في حدِّ الامتناعِ ، وجانبِ الأمرِ غيرِ المستطاعِ ؟ !

فَصْلٌ في ذكر الوزير الكاتب أبي محمد عبد المجيد بن عبدون ٣ ، وسياقة فصول من غرائب نثره ونظمه .

وأبو محمد هذا في وقتنا سرُّ الدهرِ المكتومِ ، وشرفُ فيهِرِ الحديثِ والقديمِ ،

١ م : الجلا .

٢ ط د : هذه الطرق .

٣ كان ابن بسام يعتقد أن المميزين من كتاب عصره أربعة كلاعيان وفهريان ، فالكلاعيان هما ابن القصيرة وابن عبد الغفور ، والفهريان أبو القاسم ابن الحد وأبو محمد ابن عبدون ، (إحكام صنعة الكلام : ١١٠) وكانت صلة ابن بسام بابن عبدون وثيقة وقد صور اللقاء الأول بينهما في القسم الأول والثالث ١ : ١٤٤ - ٣ : ٤٩٨ (وانظر إحكام صنعة الكلام : ٢٦٠) ؛ كما أن ابن عبد الغفور سور علاقة ابن عبدون بأبيه (إحكام : ١٤٨) وكيف تصافيا بعد خصام ، وأبرز اعتداد ابن عبدون بنوع من النثر يقال له المبتدع (١٥٧) . ولا ابن عبدون ترجمة في الفوائد : ١٤٥ والخريدة ٢ : ١٠٣ (وكناه مرة أبا بكر ومرة =

لأنَّ صِدْقَهَا فِي الْآخَرِينَ ، وَقَمَرُ أَفْئِقِهَا الَّذِي مَلَأَ الصَّدُورَ وَالْعِيُونَ ،
 وَدِيَوَانُ عِلْمِهَا الْمَذَالِ وَالْمَصُونِ ، وَمَسْتَرَقَّ كَلِمِهَا الْمَشُورَ وَالْمُوزُونَ ، أَعْجُوبَةُ
 اللَّيَالِي ، وَذُرُوءَةُ الْمَعَالِي ، ذُو لِسَانٍ يَفْرِي ظُبَةَ السَّيْفِ ، وَصَدْرٌ يَسِعُ رَحْلَةَ
 الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ، أَفْصَحُ مِنْ صَمْتٍ وَنَطَقَ ، وَأَجْمَحُ مِنْ صَدَى وَسَبَقَ ، عَوَّلَ
 مِنْ مَلُوكِ الطَّوَائِفِ عَلَى رَئِيسِ بِلَدِهِ الْمُتَوَكَّلِ ، فَعَلِيهِ نَثْرُ دُرَّةِ الثَّمِينِ ، وَبِاسْمِهِ
 حَبَّرَ وَشَيْئَةُ الْمَصُونِ ، وَقَدْ رَحَلَ إِلَى الْمُعْتَمِدِ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَجِدْ قَبُولًا ، وَلَا وَافَقَ
 مِنْهُ رَأْيًا جَمِيلًا ، وَأَرَاهُ لِنَمَّا أَتَى مِنْ أَزْوَارِ جَانِبِهِ ، وَبُعْدِ مَطَالِبِهِ ، فَلَمَّا
 صَمَتَ ذَكَرُ مَلُوكِ الطَّوَائِفِ بِالْأَنْدَلُسِ ، طَوَى الشَّعْرَ عَلَى غَرَّةٍ^١ ، وَبَرَىءَ
 مِنْ حُلُوهِ وَمَرَّةٍ ، إِلَّا نَفْثَةَ مَصْدُورٍ ، أَوْ التَّفَاتَةَ مَذْعُورٍ ، وَهُوَ الْيَوْمَ بِلَدِ يَابِرَةِ
 يَرْتَشِفُ^٢ فَضْلَ ثَمَادِهِ ، وَيَأْكُلُ مِنْ بَقِيَّةِ زَادِهِ ؛ وَقَدْ أَثْبَتَ مِنْ نَظْمِهِ الرِّقِيقَةَ
 حَوَاشِيهِ ، الرَّائِقَةَ أَعْجَازُهُ وَهَوَادِيهِ ، وَنَثْرَهُ الْغَضَّةَ مَجَانِيهِ ، الْمَبْيُضَّةَ مَجَالِيهِ ،
 مَا يَشْهَدُ لَهُ بِالْفَضْلِ ، شَهَادَةُ الْبِرْهَانِ عَلَى الشَّكْلِ .

.....

= أبا محمد) والمغرب ١ : ٣٧٤ والرايات : ٣٢ (غ) وبغية الملتبس رقم : ١٥٦٧ (وقال
 إنه كان في حدود الأربعمائة فوهم أو عن شخص آخر) وصلة الصلة : ٤٢ والتكملة : ٤٠٧
 (وذكر أن وفاته كانت بعد ٥٢٠) والمعجب : ١٢٨ ، ٢٢٨ ، (وأورد له رسالتين لم
 يوردهما ابن بسام) والمطرب : ١٢٧ ، ١٨٠ والفوات : ٢ : ٣٨٨ والزرکشي : ٢٩٨ وأورد
 ابن بشكوال ترجمة في الصلة : ٣٦٩ لمن سماه عبد المجيد بن عبد الله بن عبد ربه الفهري
 وذكر أنه توفي سنة ٥٢٧ ؛ وانظر صفحات متفرقة من إحكام صناعة الكلام ومن نفح الطيب
 (وفي ج ١ : ٦٧٣ نقل لترجمة ابن عبدون عن القلائد) والريحان ١ : ٨١ ب - ٨٦ / أ .
 ١ الأصل في النثر أنه كسر الثوب ، يقال طويت الثوب على غره أي على كسره الأول .
 ٢ م : يرشف .

نسخة^١ له خاطب بها الوزير أبنا^٢ القاسم بن الجعد يخطب فيها ودّه ،
ويستجلب ما عنده ، قال^٣ فيها : يا راية مجدٍ رُفِعَتْ ، فان تلقيتها باليمين ،
وأعطيتها الثناء الثمين ، شددتُ عليها يدَ الضنين ، وشريرةَ فضلٍ على
مائها ؛ أخلقُ وأحوم ، وبصفائها أجيدُ وأهيم ، وفي ابتغائها أقعدُ وأقوم ،
فلو وُصِلَ رشائي بِناع ، من رَجَعَ جوابٍ واجتماع ، لبردتُ غلّةُ ذلك
الاشتياق والالتباع ، وإن تعدّر لقاء ، فقد انتشر ثناء ، امتلأت الأرضُ
منه والسماء ، ووصفُ عزِّ الأوصافِ وغلبها ، وهزَّ الأعطاف وجذبها ،
وذِكْرُ ملاء الآذان حليّاً ، والآناف ريتاً ، والأفواه أرياً ، ونُبلٌ جَلَّتْ
مطالعهُ دياجِي الأوهام ، وصقلتُ^٤ مواقعهُ صواديّ الأفهام ، ومجدٌ ردّ
الليالي الدُّهْمَ زُهرًا ، والمسامي البُهْمَ غُرًّا ، فوددتُ أن أعار جناحي
طائرٍ ، فأكونَ لكعبة ذلك الجلال أوّلَ زائر ، فأقرن هناك حَجَّةَ بَعُثْرَةٍ ،
وأفوزَ من عمادي - وصل الله علوهُ - بنظرة ، نوسِيعُ عيني قُرّةً ، ووجهي
نَضْرَةٌ ، وأعشوا لي ذلك الضياء ، وأرى محلي من تلك السماء ؛ والله دهرٌ
أطلعك أفعه ، ووقتٌ وسِعَكَ طَلَقُهُ ، ما أكرمَ طبيعته ، وأضخَمَ دسيعته ،
وأشرفَ في الأوقات خيمتهُ ، وأعبقَ في الآناف شميمهُ ، وأرقَّ على
الأنفاسِ نسيمه ! ! وبحقِّك أقسم ، وألتزمُ من ذلك ما ألتزمُ ،

١ م س : نسخة رقعة .

٢ م س : أبو .

٣ قال : زيادة من م س .

٤ ط د : ثنائها .

٥ ط د : وبصفتها أحدو .

٦ م س : وروت ؛ وعلى هذه القراءة تكون « صوادي » بمعنى « عطاش » ؛ أما على القراءة
المثبتة فإن « الصوادي » تعني التي أصبحت صدئة تحتاج إلى صقل .

لقد أظهر بك شرفه^١ وبيّن^٢ ، وأخذ منك زُخرفه^٣ وازيّن^٤ ، وجعلك
غرة^٥ بهيمه^٦ ، وغارة^٧ [١٢٦ ب] مليه^٨ ، والحجة على خصومه^٩ ،
وأبدى سرّاً طالما كتمه وأخفاه ، وشرح معنى شدة ما أبهمه وعمّاه ، فلو
كنت في الأزمان السالفة لوددت أن يتقدّم^{١٠} دهري فألقاك ، أو في الأوقات
المستأنفة لحمدت أن يتأخّر^{١١} عمري فأراك ، فكيف وقد ضمّني معك عصراً^{١٢} ،
وجمعني وإياك فيهر^{١٣} ، وأنا أخطبُ إلى عمادي - أدام الله عزته - مودّته^{١٤}
عقيلة^{١٥} ، وأجعل رَحمتي الأدب والنسب وسيلة ، وأبذل من تحلية حمدي
وشكري مهراً^{١٦} ، وأبني لها بين سَحري ونَحري قصرأ^{١٧} ، وأسدل عليها من
الإشاعة والإذاعة سترأ^{١٨} ، وأحليها^{١٩} من مشدود موائق ومعاهد ، بمسرود
مخانيق وقلائد^{٢٠} ، والله جلّ وعلا يعينني^{٢١} على فرضه أوذّيه^{٢٢} ، وقرضه أفضيه^{٢٣} ؛
ومن^{٢٤} جزيل تحيتي ، على سيدي الأعظم وإمامي ، ما يفعم^{٢٥} ريتاه الخافقين^{٢٦} ،
ويُقرّ^{٢٧} مرآه كلّ عين ، ينقاد من غير قائد ، وينساق من غير سائق ، إذا
انتهت أولاه ، عادت أخراه ، وإذا صدّقت^{٢٨} نباشيره^{٢٩} ، برّقت أساريه^{٣٠} ،
يُحيّي مغناه ، عند^{٣١} سروبه وسراه .

فراجعه الفقيه^{٣٢} أبو القاسم بما نسخته : يا روضة أدب غديت برهم^{٣٣}

١ ط : وعذرة ؛ س د : وغدرة .

٢ ط : خصومه .

٣ م : وأحليها .

٤ ط د : يميننا .

٥ من هنا حتى آخر الرسالة ورد غير منسوب في إحكام صنعة الكلام : ٨٣

٦ عند : سقطت من ط د .

٧ الفقيه : سقطت من م س .

الفَهْم ، وسُقِيَتْ بِدَيْسٍ حُسْنُ الشَّيْم ، ما أَدْمَتْ رَبَّكَ ، وأَطْيَبَ شَذَاكَ ،
وأزكى قرارِكَ ، وأذكى عرارِكَ ! لقد شَرِقَتْ بأزهارِكَ^١ زُهْرُ النُّجُوم ،
ولبستُ من الكَمَدِ والحسدِ زِيَّ الوجوم ، وبَطَلْ لِنَفْحَاتِ^٢ شَذَاكَ وَرِيَاكَ
أَرَجُ^٣ العبير ، وتعطَّلَ لِمَمًا وَشَتَّ يَدَاكَ واكتسى ثراكِ نَسِيجُ الحبير ، لله
دَرْ^٤ تحفة أهدَيْتَ من تحفِكَ ! ما أنصَرَ جناها ، وأزهَرَ سناها ، وأبهر
لفظها ومعناها ! ! لقد ضُمَّنْتُ من بدائع الكلم فقرأ شوارد ، وقُلِّدْتُ من
نواصع الحكم درراً فرائد ، وَخَلَعْتُ^٥ عليَّ خلعة نبلٍ لو كسي مثلها
أَوَيْسُ^٦ لا هَتَرَ طرباً ، أو سُلِّيَ بشبهها قيسٌ لعاد نَبْعٌ وَجَدِهِ غَرَبًا ،
لا جرم أنها حُلَاكَ ، تبرَّعتُ بها عُلَاكَ ، وصفاتُكَ ، تجافَّتْ عنها مصافاتُكَ ،
فيا لها منَّةٌ لا يكافئها ثمنٌ ، ولا يسمحُ بمثلها زمنٌ ، ومنحةٌ تتضاءلُ لها
بيضُ النَّعَم ، وتتقاصرُ عنها حُمْرُ النَّعَم .

وما زلت أستشيقُ من عَرَفِ أُنْبَائِكَ ، ما يُرْغَبُ في اقتنائِكَ ، وأتُحَقِّقُ
من قِلَّةِ أُنْدَادِكَ ، ما يبعثُ على خِطْبَةِ وِدَادِكَ ، لا سِيَّما وقد جمعتنا
عناصرُ ، وضممتنا من سهمِ الأدبِ والنسبِ أَوَاصِرُ ، لكن تحاميتُ المفاتحةُ
هَيْبَةً لِبَرَاةٍ لإحسانِكَ ، وبلاغَةٍ يدُكَ ولسانِكَ ، ومن ذا يَنَازِعُكَ رتبةَ

١ م س : بأزهارِكَ .

٢ م : نفحات .

٣ م س : ريج .

٤ در : سقطت من م س .

٥ م س : أهديت لي .

٦ م : وجعلت .

٧ أويس القرني مضرب المثل في الزهد، توفي في خلافة عثمان (سنة ٣٧ هـ) انظر طبقات ابن سعد

٦ : ١١١ وحلية الأولياء ٢ : ٧٩ ؛ وقرن - بفتح الراء - بطن من مراد .

البيان ، ولو سَحَبَ ذِيولَ سحبان ، أو نطق بلسان حَسَّان ؛ وإن كانت للكلام إمارةً فأنت فارسٌ منابرها ، وطاعنٌ محابرها ، ومقلِّداً علَمَها ولوائِها ، ومذللٌ صَعَرها والتوائِها ، ولئن كنتَ - أعزَّكَ الله - من غرائب المغرب ، لقد زُهَيْتَ بك المشرق ، وحليت بجواهرِكَ ونوادرِكَ المهارقُ ، ولَمَّا صَحَّ لك فَضْلُ التقدُّمِ إلى صلةِ الأسبابِ ، ومفاتيحِ هذا الباب ، تعيَّنَ الجوابُ^٢ ، وإن أنبِطَ من حِسِّي بكي ، وقلب غير ذكي ، وناهيك من خَجَلٍ من يقيس الصُّفْرَ بالذهب ، ويعرِّضُ الحمدَ للهب ، فتكلِّفتُ المراجعةَ اضطراراً ، واستشعرتُ اعترافاً بفضلِكَ^٣ وإقراراً ، وأنت بِسِرِّكَ تصفحُ عن هَنَاتِها ، وتقيمُ أودَّ قناتها ، ولولا حقُّ الاقتضاء ، والثقةُ بكرم الإخاء ، لأحجمتُ ذُعْراً : وقدمتُ عُذْراً .

وأما المودَّةُ التي خطبتَ بفضلِكَ بِكُرِّها ، واستوجبت حَمْدَها وشكرها ، فقد زَفَفْتُهَا إِلَيْكَ مُشْرِقَةً الْجَبِينِ ، بنور الحقِّ المبين ، ضاحكةً الترائبِ ، على حُسْنِ الضرائبِ ، تتأوَّدُ في حُلُلِ الثناءِ^٤ ، تأوَّدُ الكاعبِ الحسناء ، وتحملُ من نُطْفِ الصِّفاءِ ، ما يُزْرِِي على الديمةِ الوُطْفاءِ ، فإن وافقتُ لَدَيْكَ وجهاً خصيباً ، واستحققتُ من رضاكَ وقَبُولِكَ نصيباً ، فقد فاز قِدْحُها ، ووَرِي قَدْحُها ، ولم يخبْ سعيها وكَدْحُها . وظنَّي أنها ستسعد بارتضاءكَ ، وتهتزُّ في يد انتضاءكَ ، وتأنسُ بحواركَ ، وتسكنُ إلى جواركَ ،

١ م : ومتقلد .

٢ الجواب : سقطت من م .

٣ م : لنفسك .

٤ م : بحل حسن ؛ وسقطت « حسن » من ط .

هـ . في . . . الثناء سقطت من م .

[١٢٧ أ] والله تعالى يبقيك ، مرغوباً فيك ، وأقرأ على سيدي سلاماً دائماً
الاتصال ، عَطِرَ الْبُكْرِ والآصال . يتكررُ تكررُ الأنفاس ، ويخضرُ دائماً
اخضرار الآس .

وكتب أيضاً أبو محمد^١ إليه برقة قال فيها : يا أعظمَ مَنْ لو سريتُ
بأنواره لاهتديت ، وأفخمَ مَنْ لو اقتديتُ بآثاره لا كتفيت ، ومن أبقاه الله
لفخرِ آبائه يُفضلهُ لإامن بنيه ، وَلِستَرِ إغضائه يَسُدُّهُ على مستحقِّيه ،
ولِعُدْرِ أوليائه يَقبله على ما فيه ، كتبتُ عن قريجةٍ خمد^٢ لهيها ،
ونخيزة ركدَ هبوبها ، وذهنٍ امحت أضواؤه . وطبع أخوت أنواؤه .
وجنانٍ فلَّ ظبتهُ^٣ الكسلُ ، ولسانٍ عَقَدَ عَدَبَتَهُ الحجلُ ، ندَبَتُهُ إلى
الاحتفال فانقطع ، وبعثتهُ على الاسترسال فامتنع ، وقال : في كلِّ حينٍ
تعرضني على العيون ، بوجهٍ مجدورٍ ، بكلِّ نَجْهٍ جدير . فقلتُ : لا عليك .
وَلَتَتَّبِ نفسُكَ إليك ، العذرُ إن شاء الله بين يديك : حاملُ الرقةِ إلى
عمادي — وليته لم يحملها إليه ، ولم يُطْلِعْها عليه . ولم يضعها بين الكريمتين^٤
يديه — حفزني أشدَّ حفزٍ ، واختطفها^٥ من يدي اختطافَ الذئبِ دامية العنز .
ومعني من النظر فيها ، وتصفَّح ألفاظها ومعانيها . فأسقطتُ لفظتين . كانتا

١ م س : أبو محمد أيضاً .

٢ إلا من . . . خمد : سقط من م .

٣ م س : الطوبى .

٤ م س : نجد .

٥ ولم يطلها عليه : سقطت من ط .

٦ الكريمتين : زيادة من م .

٧ م : واستخطفها .

بين سطرين ، فاتفق بذلك نوعٌ من الإغراب ، لم يقع في بابٍ من الإعراب ، ولا سُمِعَ من العرب ولا من الأعراب ، ولم يقع في حساب . فكيف في كتاب ؟ ! ولئن عَشَرَ قلبي وما أولاه بالتعثير ، وغيَّرَ قلبي وما أجْدَرَهُ بالتغيير ، ما بهَرَ من جلالك ، وتعيَّنَ من إجلالك ، فمن رام الصعودَ إلى السماء زلَّ ، أو المكاثرَةَ بالهباءِ قَلَّ ، أو المظاهرةَ على الرؤساء ذلَّ ؛ وبين يدي نجواي صدقةٌ على الكتاب أقْدَمُها ، وكلمةٌ من الصواب أغْنَمُها : مَنْ طَمَعَ في مجاراتِكَ قَطَفَ^١ ، ولو ركب البرقَ ، ومن دفعَ إلى مباراتِكَ تَحَلَّفَ ، ولو سبق الخلقَ ، وإن وصلتَ تلك الرقعةُ تنعُشِرُ ألفاظها في معانيها ، وتبرأ هواؤها من تواليها ، ووافتك ترسُفُ من مهابتك في عقال ، وتقفُ من سيادتِكَ بين انقباضٍ واسترسال ، فلك — أدام الله عزَّكَ — شرفُ الاهتبالِ وكرمُ الإجمالِ ، في إرخاءِ سترٍ وإسدالِ سجنفٍ ، على ما فيها^٢ من خفاءٍ بشيرٍ وإخلالٍ حدَفَ ؛ فقبَّحَ الله العجلةَ فما أسوأ آثارها ، وأكثرَ عثارها وأكبرَ شتارها ، وأوحشَ غَلَطَها ، وأفحشَ سَقَطَها ! وقد يما تخامتها الحكماءُ ، وتبادرتها العقلاءُ ، من ركبها لم ينجُ — لو أقيلا — من عثار ، ومن صحبها لم يخلُ — لو قبلَ — من اعتذار ، والله جلَّ وعلا يُعلي قَدْرَ عمادي على الأقدار ، ويجعلُ إليه وفي يديه مقاوم الليل والنهار ، ويديمُ سِترَ إغضائه ، على أودائِهِ وأوليائه ، ويزيلُ وحشةَ أرضِهِ بتأنيسِ سمائه .

وكتب^٣ إليه أيضاً برقة ثانية يقول فيها : يا حامل يراعي

١ قطف : مشى بهطه .

٢ عند هذا الحد تنتهي النسخة م .

٣ تفردت هذه الرسالة ، ولرداء هذه المخطوطة فإن إقامة نص صحيح تماماً منها أمر بالغ الصعوبة .

الأعظم ، ومعول انقطاعي الأقوم ، ومعقل امتناعي الأعصم ، ومن لا زال جنابه للأمطار رضيعا ، وبابه للأوطار شفيعا ، ترشح فيه نعم الأيام ، وتقسم أزراق الأنام ، سلام الله وروحُ رحماه ، ونفح سقياه ، عليك من روضة نجد ، وزهرة حُسْنٍ لا زهرة حَزْنٍ ، ما أغدق صوبها ، وأغزر شربها ، وأرسخ وهاد مطاويها الشريفة ، وأشمخ نجاد مباديها المنيفة ، وأشهر بغير المجد وحجوله بطونَ مجانيها ، وأغمر بدر الرقد وسيوله ظهور روائها . وأصفق غيوم كرم تسقيها ، وأرق نسيم شيمٍ يجري فيها . وآثق تسييح لسانها ، وأعقب رائح أنفاسها ، وأخلص شذاها إلى الأرواح ، وأعرض ريبًاها على الأنواح . وأضحك ثغور أقحوانها ووارف نُوْرها . على رقص قدود أغصانها وغناء طيرها ، لقد حيّا بها نفوسنا فشفاهها ، وكساهما من حرّ أزهر الكرم ما كساهما ، وحلاها من درر نواذر الحكم بما حلاّها ، وأجرى هوامي الخير والحمد من أصولها وفروعها . وأبدى مطاوي النور من كمونها وبروعها ، فهامُ رعانها محلاّهُ الأكاليل بمحاسن من المفاخر العظام ، وأجسام غيطانها موشاة السراويل بترايين من المآثر الجسام . وأبقى من أرواحها ، في رؤوس أدواحها . ألسنًا تثني عليك بالجميل . ودموع أندائها تخلق في وجوه مائتها نوالك بالقبول ، فلا لحقَ أزهارَ خِلَالِكَ ذبول ، ولا طَرَقَ أنوار خِصَالِكَ أفول . ما مشى بالقسيم ، بريد النسيم ، بين الأزاهر والخياشيم .

يا مرادي الخفي . ومن أعلى الله أمره السنيّ ، وصلني كتاب كريم ، طلعت عليّ منه نجوم . أستغفر الله تعالى بل رجوم ، هوت من أساطيري على شياطين فأحرقتها بنور الحق المبين . ومحقتها مَحَقّ ضياء اليقين ظلام الشكّ الظنين . وتلقفتها تلقف عصا موسى حبال المُلْتَقِينَ . وقبل نظري إليه وفيه . قبلتُ يدَ مَوْشِيهِ ومهديه ، وخفتُ أن أمحوَ سطره تقيلاً .

فوضعت له لرأسي إكليلاً ، وصرتُ به على الدهر أميراً ، وكيف لا و [قد]
 ملأ عيني نوراً وقلبي سروراً ، ويدي مسكاً وكافوراً ، وداخلت نفسي
 منه قوة لا أعرفها ، فكيف أصفها ، ولا أدريها ، فكيف أحكيها ؟ وهي
 — أظن — ما يداخل المفضل إذا أنشد فوجد ، والمقل إذا استعدى على
 الدهر فأعدي بنسبة الحيا ، فقال : يا رفاه ، فرحاً بسقياه ، وأنا أقول ذلك
 ألفاً ، وأضعُ خدّاً وأرفعُ كفّاً ، فرحاً بما أولى عمادي — أعلى الله
 قدره — من مسارٍ متناصرة ، ومبارٍ متظاهرة ، لا ينبري إليها شكر ، ولا
 يحتوي عليها حُضر ، ولولا رجائي — إن اختارني — بلاقته ، واعتزائي إلى
 ولاته ، ما حاسنتُ البقيعَ المزهَرَ بشجرة ، ولا ماتت الربيعَ المخضرَ بِقَطرَةٍ ،
 وأرجو أن يسمح بالعمو ، ويصفح عن الهفو ، ويلقي عليه سترَ معروفه ،
 ويغطيّه بسجفٍ من سجوفه ، والله تعالى يقيه ويبقيه ، مشكوراً أياديه
 ومساميه ، قريرةً عيون أودائه وأوليائه فيه ؛ ومن سلامي على عمادي
 المعظم ، وإمامي المقدّم ، ما لا يخلف مكانه قطر ، ولا ينوب منابه زهر ،
 ولا يقوم مقامه عنبر ، ولا يشق قتامه مسكٌ أذقر ، يلوحُ بلغة لكل رامق ،
 ويفوحُ صبغة لكل ناشق ، ما أديل غاربٌ لشارق ، وساربٌ بطارق ، والسلام .

فكان من جواب الوزير الفقيه أبي القاسم له على ذلك ما نسخته : تَمَهَّدْتُ
 لك يا عمادي أكتافُ المهمم ، وحرّت عليك أخلافُ النعم ، وألقت إليك
 مكنونَ ضمايرها ومَصُونِ جواهرها أصدافُ الحكم ، فما أتمّ فضائلك
 وشمالك ، وألمّ^١ بأنوارِ المحاسنِ خَمَائِلِكَ ، وأسمعَ بكلِّ جوهرةٍ
 ثمينةٍ ولؤلؤةٍ نفيسةٍ بحارك ، وأنفحَ بأنفاسِ الآدابِ بل بأرواحِ الشبابِ أصاتيلك

وأسحارك ١١ وأكرم^١ بخطابين لك تسابقا إلي^٢ وتلاحقا لدي^٣ ، كما لحق المصلّي السابق ، وتطاع^٤ الضحى غب^٥ الشارق ، وتدفق^٦ الحيا إثر البارق ، أو كما شفع المولي الطوق^٧ بالسّوار ، وجمع العروس^٨ بين بهجة^٩ الحلبي^{١٠} ونفح^{١١} الصوار^{١٢} ، وأنجد^{١٣} البطل^{١٤} ٢ المبارز بالفارس المغوار ، فما طويت^{١٥} للمتقدّم مطارف^{١٦} ، حتى نُشِرت^{١٧} من المتأخّر رفارف^{١٨} ، وما انحسرت^{١٩} عن محاسن الأول^{٢٠} معاجير^{٢١} ، حتى سحّرت^{٢٢} من براقع^{٢٣} الآخر محاجر^{٢٤} . وقد كان في السابق منهما^{٢٥} ما يملأ^{٢٦} بهراً مدارج^{٢٧} نقّسي^{٢٨} ، ويملك^{٢٩} دهرأ^{٣٠} أعنة^{٣١} خرسى^{٣٢} ، ويوسع^{٣٣} لساني^{٣٤} وجتاني^{٣٥} إفحاماً^{٣٦} ، ويوجب^{٣٧} لدواعي^{٣٨} الانقطاع بين يدي^{٣٩} ازدحاماً^{٤٠} ، فكم تقلّد^{٤١} من درّة^{٤٢} فكر لفظها بحرك^{٤٣} العذب^{٤٤} الزلال^{٤٥} ، ونفث^{٤٦} فيها سحر^{٤٧}ك^{٤٨} الحلو^{٤٩} الحلال^{٥٠} ، فلم تنفع^{٥١} لغامر^{٥٢} [١٢٧ب] بحره^{٥٣} ، وباهر^{٥٤} سحره^{٥٥} ، حتى شدّدت^{٥٦} عرى^{٥٧} أواخيه^{٥٨} ، بقوى^{٥٩} أخيه^{٦٠} ، وأمدّدت^{٦١} مذانب^{٦٢} سربه^{٦٣} ، بتلاع^{٦٤} تربيّه^{٦٥} ، فلئن كان الأول^{٦٦} قد استعار^{٦٧} من الجوزاء^{٦٨} مِرْطاً^{٦٩} ، لقد استمنح^{٧٠} الآخر^{٧١} من الثريا^{٧٢} قُرْطاً^{٧٣} ، ولئن ورد^{٧٤} السابق^{٧٥} من موارد^{٧٦} النّشرة^{٧٧} نَغْباً^{٧٨} ، لقد شرب^{٧٩} اللاحق^{٨٠} من ماء^{٨١} المجرة^{٨٢} نَغْباً^{٨٣} ، فهلا كففت^{٨٤} استنان^{٨٥} خيلك^{٨٦} ، وأمسكت^{٨٧} قليلاً^{٨٨} عنان^{٨٩} سَيْلِكَ^{٩٠} ، وثبتت^{٩١} من غَرْب^{٩٢} غرائبك^{٩٣} ، وجريت^{٩٤} على سَجَاحَةٍ^{٩٥} ضرائبك^{٩٦} .

وقد كان من حق الإخاء أن^١ لا تُهَيَّبَ عواصفك^٢ على نسيم^٣ عليل^٤ ، وتجهزَ^٥ كتابك^٦ إلى عددٍ قليل^٧ ، وحدٌ قليل^٨ ، وبدون هذا كنت^٩ أواليك^{١٠} مبيعاً^{١١} ، وأعطيت^{١٢} صفقة^{١٣} يدي بالعجز^{١٤} طائعاً^{١٥} ، فلست^{١٦} ممن يعارض^{١٧} قوة^{١٨} البرهان^{١٩} بضعف^{٢٠} الإقناع^{٢١} ، ويشبهه عليه فرق^{٢٢} ما بين الإمكان^{٢٣} والامتناع^{٢٤} ، ولني لأعلم^{٢٥}

١ الصوار : وعاء المسك .

٢ البطل : سقطت من س .

٣ في الأصول : منها .

ممرٌ سهمي فأقفُ وأنصرف ، ومنتهى علمي فأنصِفُ وأعترف ؛ وأما العذرُ
الذي بَسَّطْتَهُ في معنى الوهم ، فقد كنتَ غنياً عن مدِّ أوضاحه ، وحريراً
باطراًحه لا تنضّاحه ، وهيهات أن يلتبسَ عليك الغريب ، فكيف القريب ؟ !
أو يشتهَ لديك الخفيُّ ، فكيف الجليُّ ؟ ! وما حسبه إلا تيممةٌ في صدرِ
الكتاب ، تصرفُ عنكَ أعينَ الكتاب .

وبعدُ — باعدتك الأسواءُ — فإنَّ رسمي في صناعةِ الكتابةِ قد دثر ،
ونظمي في ضبطِ معانيها قد انتثر ، ولم يبقَ عندي منها إلا أنثرُ خرابٍ ، أو
لمعُ سرابٍ ، فإذا امتريتُ خليفها درّاً بعُسْرٍ ، وعلى قَسْرٍ ، وتحلَّبَ رِسلُهُ
بضَجْرٍ ، كأنما يتفجّرُ من حَجَرٍ . وهي خطّةٌ مدّارُها على الإقبال ، وفراغُ
البال ، وزمامُها في يدي الشباب ، مع توكُّدِ الأسبابِ ؛ وأنا — أغزك الله — قد
عطَلْتُ صهوةَ جوادها ، ونزلتُ عن ذروة أعوادِها ، فلا تُرهِقَنِي فيها
عُسراً ، ولا تحمِلَنِي من مناهضتك إصراً ، وتوخَّ بفضلِكَ معي جانبَ الترفيه
والتخفيف ، وتقبَّلْ مِنِّي عَفْوَ اليسير اللطيف ، وأقرأ عليك من سلامي ما
يُرْبِي على القَطْرِ ، ويُزْري بعَنَبِ الشَّحَر ، ويبقى ميسمُهُ في صفحة
البدر .

قال ابن بسّام : قول أبي القاسم : « وما حسبه إلا تيممةٌ في صدر الكتاب »
احتذى في ذلك حذو أبي المغيرة بن حزم ، في فصل خاطب به ابن عمه الفقيه
أبا محمد بن حزم في حَرْفٍ هَمَزَهُ ، مما لا يهمز ، فقال له ^١ :

ومن أين نفذَ بصركَ حتى هَمَزْتَهُ هَمَزَ عامر بن الطفيل ، قِرْنَتَهُ في

١ انظر القسم الأول من الذخيرة : ١٦٣ - ١٦٤ .

سواد الليل ، وما أظنك جعلتها إلا تهيئةً ، لتلك القطعة الكريمة ، وامثالاً
لقول القائل :

ما كن أحوجَ ذا الكمالِ إلى عَيْبٍ يوقيه من العَيْنِ

فصول من ترسيل أبي محمد

فصل له من رقعة عتاب : سلام على من نظر بقلبه لا بعينه ، وحكمَ
بيقينه لا بظنه ، ونطقَ بعقله لا بهواه ، وأخذ من دنياه لأخراه ، ولم يستفره^١
قال ولا قيل ، ولم تهزه^٢ تلك الأباطيل . وبلغني قول من قضى عليّ بالظنة ،
وحكم بالشبهة ، وللمقولات طُرُق لا يتعدّاها متعدياً إلاً وكان وبكال^٣
ذلك راجعاً عليه ، ولا يتجاوزها متجاوز إلا نُسِبَ زيغها إليه ، لا سيما في
ضربةٍ توجبُ حدّاً ، وتُضرعُ حدّاً ، وتَقُلُّ من فاضلٍ حدّاً ، لم يطلع
مُشبعها منّي على ريبة ، ولا وقفَ مذيعها على حقيقة ، بل افتراء من
مُفتري ، وادّعاء من مدّعي ، في تلك التي لا أسميها ، فإني طلقنها قبل
الدخول ثلاثاً ، « وقُضتْ حَبْلٌ وصَالِيهَا أَنْكَاثٌ » ، قبل هذا الزمانُ مساعد ،
والسلطانُ مهاود ، فكيف بها الآن ، وقد علّت الإنسان أبهة^٤ [الكبير] ^١
ووَخَطَتْهُ^٥ واعظهُ القتير ، وردّ ما استعار من الشباب إلى المعبر ، وهجرَ
كلَّ المهجر من ذاقها شميماً ، ورفضَ كلَّ الرفض من لم يكن^٦ إلاً على

١ الكبير : زيادة من س .

٢ كذا في النسخ ، ويمكن أن تقرأ أيضاً « ووعظته » .

الحديث نديماً^١ . وأقسمُ وأعرفُ بما أقسمُ ، وألتزمُ من ذلك ما ألتزمُ ، لقد تركتها خوفاً للمعاد ، لا رياءً للعباد ، إذ الصيانة أذكى عتاد ، فكيف وأنا تحت نِعَم من الله ضافية ، ونوافل متوالية ، وفواضل رائحةٍ وغادية^٢ ؟ فلا تظنَّ أنَّ تنصلي لمعذرة أريدُ [١٢٨ أ] قبولها ، وأحب تبليغها وتوصيلها ، لا والذي صيّر العقلَ لصاحبه خصماً ، وجعل بعضَ الظنِّ^٣ إثمًا ، ولا قصدتُ مَنْ قصدتُ إلاَّ تطوعاً ، ولا زرتُ مَنْ زرتُ إلاَّ تبرُّعاً ، ولقد أذهبُ بنفسي عن كلِّ طمع ، وأرغبُ بها عن كلِّ حرصٍ وجشع .

وله من أخرى : كُتِبَ والعهدُ يرفُّ مأوه ، ويشف ضياؤه ، وتأتلقُ غُرَّتُهُ ، وتشرقُ أسرَّتُهُ ، والودُّ كما تدريه ، لا مزيدَ على ما تعلم فيه ، وإن كانت القلوبُ تتناجى على البعاد ، بألْسُن الوداد^٤ ، وتراءى على القراق ، بأعين الوفاق ، فربما أحوَجَتْ حواعي الأيام ، إلى المفاوضة^٥ بالأقلام ، لضرورةٍ لا بدَّ من الإفصاح عنها ، والخروج شفاهاً^٦ منها .

وغاب فلان — أعزّه الله — وأنت تواليه وتناصره ، وتؤاخيه وتظافره ، فلك الفضلُ في إيصال أحرفي ، والعذر على^٦ تخلّفي ، فكان يجب أن أزوره

١ في إشارته إلى ترك الخمر يومئذ إلى قول أبي نواس :

أيها الراححان باللوم لوما لا أذوق المدام إلا شميما
فاصرفاها إلى سواي فإني لست إلا على الحديث نديما

٢ ط د : المداد .

٣ ط د : المعارضة .

٤ ط د : سفاهاً .

٥ ط د : وتواضبه ؛ س : وقواصيه (اقرأ : وتواصيه)

٦ س : عن .

ولو على قدمي ، ولا أخاطبُهُ إلا بقمي لا بقلمي ، لكن هي الأيام وعوادها ،
والأقدار ومجاريها ، ولو أعطيت أعتة الاختيار ، لطرتُ إلى جنبه كل
مطار ، ولكنني في بابه أوثق مسمار ، وإن كانت مهلة انحسرت في
زمرته ، وتشرفتُ بخدمته .

وله من أخرى : لو أن جهتي غصة على مطاويها ، لم تؤثر أيدي الغير
فيها ، ولا تحيقتها الفتن بجوادها ، ولا نظرت إليها المحن بكوارثها ، لوجب
عليّ المبادرة إلى الهجرة ، والتحول إلى الحضرة ، التي الفقيه الأجل القاضي
سيد الأمة فيها ، ويديه أزمة أوامرها ونواهيها ، ولحق على مثلي الانحياز
إلى فيثته ، والانحشار في زمرته ، والانحياش إلى جنبه ، ولكن تنقلي
لذراه ، لتقيل بعض سجايه ، على حسب قدرتي ، ومبلغ مني ، ومتهمي
قوتي ، ولعدت بعلاه من أن أرجع أعرايياً بعد الهجرة ، وبدوياً بعد لزوم
الحضرة ، فكيف وأنا آخذ من اجتباؤه بأوفر قسم ، وأضرب في ولائه بأوفر
سهم ؟ ! وجهتي خاوية على عروشها ، خالية من أنيسها ، فينها وبين النصارى ،
أقصر من إبهام الحبارى ، هي مَجَرَّ عواليهم ، ومَجَرَّى مذاكيهم ، ومورد
ضادهم ، وموقد صاليهم ، ومخفق أعلامهم ، ودريّة سهامهم ، ومسرح
جيادهم ، ومركز صيغادهم : الخروج عنها غنيمه ، والسلامة فيها هزيمة ،
ومن تفرّد بالجلالة تفرّد عمادنا ، وتوحد بالسيادة توحد مصادنا ،
استجنى مؤملهُ من اللبالي والأيام ، ثمرة بسوقه على الأنام ، ولم يزل
يستنشي هبة تلك الماخيل الراحدة البارقة ، ويقتضي عدة تلك الشمايل
الصادقة . وها أنا بين يدي اختباره ، فليُجد في اختياره ٢ ، فان رأى

١ أقصر من . . . سهامهم : اقتبس ابن بسام بعضه : ٣٧٤ س : ٩ - ١١ .

٢ ط : اختاره .

موضِعاً لِحَمِيلِ رَأْيِهِ أَقْدَمُ^١ ، وَإِنْ الْفَائِي مَظْلَعاً بِأَعْيَاءٍ وَلَاثِيهِ صَمْتَمَ ،
وَلَا رَغْبَةَ إِلَّا^٢ فِيمَا يُزْلِفُ لَدَيْهِ وَيَقْرُبُ مِنْهُ ، دَافِعَ اللَّهِ لِلْمَجْدِ وَالسَّرْوِ عَنْهُ :

وَمَا أَسْتَفِي إِلَّا عَلَى فَنَوْتِ رَتْبَةٍ عَلَيْهَا مَضَى قَوْمِي وَلَمْ أَكُ تَالِيَا
وَأَنْتَ عَلَى رَفْعِي وَوَضْعِي حُجَّةً^٣ فَكُنْ لِي عَلَى أَوْلَاهِمَا بِكَ جَارِيَا

وَلَهُ مِنْ أُخْرَى : كِتَابِي عَنْ عَهْدٍ طَالَ زَمَانُهُ^٤ ، وَاسْتِطَالَ سُلْطَانُهُ ،
وَوَقْتُ لَا يَحْزِرُهُ حِسَابٌ ، وَلَا يَحْصُرُهُ كِتَابٌ ، وَلَا يَحْوِيهِ حَدٌّ وَلَا
يَجْمَعُهُ ، وَلَا يَحْصِيهِ عَدَدٌ^٥ وَلَا يَسْعُهُ . وَحَالَتْ بَيْنَنَا فِي الْأَكْثَرِ أَقَالِيمٌ ، لَا
يَقْطَعُهَا إِلَّا يَحَافُ وَلَا الرِّسِيمَ ، وَلَا تَهْتَدِي فِي طُرُقِهَا النُّجُومُ ، لَا أَقُولُ :
مَجَاهِلٌ وَمَعَالِمٌ ، بَلْ أَقَالِيمٌ وَعَوَالِمٌ ، لَا يُفْهَمُ الْحَدَاثُ فِيهَا إِلَّا^٦ التَّرَاجِمُ^٧ ،
وَلَا تَقْطَعُهَا الْجِيَادُ بِشِدَّةِهَا ، وَلَا الرِّكَابُ بِوُخْدِهَا ، فَهَنِيئاً لِلْحَضْرَةِ وَجَمِيعِ
أَهْلِ الْمِلَّةِ حُضُورُكَ ، وَفِي مَقَامِ الْمَجْدِ مُقَامُكَ الْمَيْمُونُ وَمَسِيرُكَ ،
وَلَوْلَا أَلَامٌ تَنَاقَبَتْ ، وَأُسْقَامٌ تَعَاقَبَتْ ، اِتْلَقَيْتُ أَوْبَتَكَ السَّعِيدَةَ بِقَدَمِي ،
أَلَا بَعْدَادِي وَقَلَمِي ، وَاللَّهُ يَمْلَأِي الْإِسْلَامَ عَمْرُكَ ، وَيَحْمِلُ عَنَّا - مَعَشَرَ
أَوْلِيَائِكَ - شُكْرَكَ .

١ ط د س : أَقَامَ .

٢ ط : وَلَا يَجْمَعُهُ عَدَدٌ .

٣ مِنْ قَوْلِ الْمُتَنَبِّئِيِّ (دِيَوَانُهُ : ٣٧٦) :

تَجْمَعُ فِيهِ كُلُّ لِسْنٍ وَأُمَّةٍ فَمَا تَفْهَمُ الْحَدَاثَ إِلَّا التَّرَاجِمَ

٤ س : سَبِيلٌ .

ما أخرجته من شعره الرائع ، الكثير البدائع

له من قصيدة في المتوكل^١ : [١٢٨ ب]

وافاك من فلقِ الصباحِ تبسّمُ	وانجَاب من غَسَقِ الظلامِ تجهّمُ
والليلُ يُنْعَى ^٢ بالأذانِ وقد شدا	بالفجرِ طيرُ البانةِ المترنّم
ودموعُ طلّ ^٣ الليلِ تخلقُ أعيناً	يرنو بها من ماء دجلة أرقم
يا صاحبي بين الصّراةِ ودجلة	ودعا العلاقة مُسْعِد ومتيم
هل في لحاظك إنما هي عطفة ^٤	زهرٌ على خضرِ الرُّبى أو أنجم
بيضٌ كما ضحكتُ حواشي رَوْضة	وشى السماءُ مُلاءَها والمرزم

ومنها :

خَبَطَتْ بنا وَرَقَ الظلامِ سوايحُ	ملءُ النواظرِ سيرهن ^١ توهمُ
فلذا سَرَتْ فالليلُ منهم ^٢ أبيضُ	ولإذا غَدَتْ فالصبحُ منها ^٣ أدهم
من كلِّ هفاهِ العنانِ كأنه	نَقَسُ المشوقِ تعاوَرَتْهُ اللوم
بيني وبين الدهرِ يومٌ مثله	والبيضُ تشهدُ والصوارم تحكم
ومن المشاهدِ كالشهودِ سوامعُ	ومن الأستهِ ألسُنُ تتكلم

وهذا من الكلام الذي لا يجهل متاره ، ولا يشقّ غباره .

١ منها ثلاثة أبيات في الفوات ٢ : ٣٩١

٢ ط د : يعني ؛ س : تنفى ، والتصريب عن الفوات .

٣ ط : منهم .

ومنها :

سامتُ لساني فيك يا ابنَ محمدٍ
وعجبةٌ موروثةٌ مكسوبةٌ
وليلك من بنتِ الضميرِ حديقةٌ
طبقتُ آفاقَ الكلامِ فلم أدعُ
وحلوت من غررِ البديعِ بأينقُ
وتركتُ أرضَ الغربِ وهي كأنما
ورحمتُ في الآدابِ كلَّ مُسفسفٍ
والفهمُ قد غارتِ نجومُ سماءه
لله دركٌ هل لمجدك غايةٌ
وعلاك لي رداءٌ وجودك في يدي
هزتك أرواحُ السماحةِ بانه
وتعلمت منك الغمامةُ شيمةً

مِقةٌ إذا كُتِمْ الهوى لا تُكُنتم
بُدَى الزمانُ بها وعنْها يُخْتَم
غناءٌ تُنْجِدُ بالرواةِ وتتهم
زَهراً يرفُّ ولا جُماناً يُنْظَم
أنا خلفها بادي العروقِ محرم
بي عالجٌ أو ضارجٌ أو زمزم
يشغو إذا هدرَ الفنيقُ المقرم
والعلمُ وحيٌ والطروسُ تترجم
إلا وأنت بها معنًى مغرم
ماضٍ كرايك في الخطوبِ مصمم
ومن الرجاحةِ في حماك يللم
تهمي وفيها للبروقِ تبسم

قوله : « من كل هفاهف العنان » . . . البيت ، أخذه من قول بشار ،
حيث يقول ٢ :

• ثم انثنت كالتفس المرتدة •

وقوله : « وإذا سرت فالليل منهم أبيض » ، من قول محمد بن هانيء ٣ :

١ ط : بالدوات ؛ د : بالدواء .

٢ ديوان بشار : ٨٥ (جمع العلوي) .

٣ ديوان ابن هانيء : ١٩٠ .

قد أطلعوا بالشهبِ صُبْحَهُمْ فلو^١ عقدوا نواصِيها أعادوا الغيها

والمَ بعضَ ألام ، بقول أبي تمام^٢ :

* كظلمة^٣ من دخانٍ في ضحَى شحب^٤ *

ولأبي محمد من قصيدة أولها :

لمن أينقُ تَأْكُلُ الأرضَ وخدا تُريني العوالي إلى الغربِ تُحدَى

وفي قصيدته هذه بيت يُسْتَظَرَفُ فيما وصف من طعنة غلا في سعتها
حتى أدخل عليها الفيل ، [١٢٩ أ] وأراق من دمها ما يُرَبِّي على النيل ، فقال :

له طعنة يدخل الفيلُ منها إذا الطعنُ مزَقَّتِ الزَّغْفَ نقدا

ومن الإفراط في وصفها قولُ قيس بن الخطيم^٥ :

طَعَنْتُ ابنَ عبدِ القيس طعنةً نائِرٍ لها نَقْدٌ لولا الشَّعاعُ أضاءَها

وذكرتُ بخبرِ هذه الطعنة قولَ رجلٍ من شيبان^٦ :

١ الديوان : واستأنفوا بشياتها فجرأ فلو .

٢ ديوان أبي تمام ١ : ٥٩

٣ الديوان ، وظلمة .

٤ ط د : سرب .

٥ ديوانه ٧ والمعاني الكبير : ٩٧٨ والسمط : ٨٩٤ والمختار : ٩١

٦ هو ثعلب (أو ثعلبة) بن عمرو الشيباني ، انظر فصل المقال : ١٥٧ والسمط : ٥٣ والحماسة

شرح التبريزي ١ : ٢٢٠ والمرزوقي : ١٤٦

فَأَتْبَعْتُهُ طَعْنَةً ثَرَّةً يَسِيلُ عَلَى النَّحْرِ مِنْهُ سَيْبٌ
فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَلَمْ أَرْقِهِ ١ وَإِنْ يَنْجُ مِنْهَا فَجُرَّ غَيْبٌ

يقول ٢ : إِنْ قَتَلْتَهُ الطَّعْنَةُ فَلَمْ أَدْعُ جَهْدًا ، وَإِنْ سَلِمَ تَرَكْتُ بِهِ
جَرْحًا رَغِيْبًا ، أَيْ وَاسِعًا .

وقوله : « لَمْ أَرْقِهِ » ، كَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّ الطَّاعِنَ إِذَا رَقِيَ الْمُطْعَمُونَ
بَرِيءٌ ، كَمَا قَالَ زَهِيرٌ ٣ :

عَشِيَّةَ عَاوَدْتُ الْحُلَيْسَ كَأَنَّمَا عَلَى النَّحْرِ مِنْهُ لَوْنٌ بُرْدٍ حَبِيرٍ
فَلَمْ أَرْقِهِ إِنْ يَنْجُ مِنْهَا وَإِنْ يَمُتْ فَطَعْنَةُ لَا غُسٌّ وَلَا بِمَغْمَرٍ
وَقَالَ حَاتِمُ الطَّائِي ٤ :

سَلَا حُكَّ مَرْقِيٍّ فَلَا أَنْتَ ضَائِرٌ عَدُوًّا وَلَكِنْ وَجْهَ مَوْلَاكَ تَخْمَشُ

وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِوْنٍ مِنْ قَصِيْدَةٍ ٥ :

مَضَوًّا يَظْلُمُونَ اللَّيْلَ لَا يَلْبَسُونَهُ وَإِنْ كَانَ مَسْكِيًّا ابْجَلَابِيْبٍ ضَافِيَا

١ السَّمَطُ : فَلَمْ آلِهِ .

٢ مَتَابِعُ السَّمَطِ : ٥٤

٣ هُوَ زَهِيرُ بْنُ مَسْعُودٍ كَمَا فِي السَّمَطِ : ٥٥ وَفَصْلُ الْمَقَالِ : ١٥٧ وَالْأَلْفَاظُ : ١٤٣ وَالْجُمُحُورَةُ

٩٣ : ١

٤ السَّمَطُ : ٥٥ ؛ وَيُرْوَى : مَوْلَاكَ تَقْطِفُ (اللسان والتاج : قطف)

٥ انْظُرِ الْفَوَاتِ ٢ : ٣٩١ وَقَدْ اسْتَعْدَمَ ابْنُ عَبْدِوْنٍ بَعْضَ أَهْيَاتِ هَذِهِ الْقَصِيْدَةِ فِي رِسَالَةٍ ،

(انْظُرِ إِحْكَامَ صِنْمَةِ الْكَلَامِ : ٢٤٧)

يُؤْمِنُونَ بِيَضاً فِي الْأَكْثَةِ لَمْ تَزَلْ
وَأَغْرِبَةُ الظُّلَمَاءِ تَنْفُضُ بَيْنَهُمْ^٢
إِذَا مَرَقُوا مِنْ بَطْنِ لَيْلٍ رَقَّتْ بِهِمْ
وَلِنْ زَعَزَعَتْهُمْ رَوْعَةٌ زَعَزَعُوا الدَّجَى
وَلَوْ أَنَّهَا ضَلَّتْ لَكَانَ أَمَامَهَا
وَصَلَّتْ بِهِ الْهَيْجَا عَلَيْهِ وَسَلَّمَتْ
هَمَامٌ أَقَامَ الْحَرْبَ وَهِيَ قَعِيدَةٌ
شَرِيفُ الْمَطَاوِي تَحْتَ خَتَمِ ضُلُوعِهِ
إِذَا قُرِئَتْ لَا بِالنَّوَاطِرِ طَبَقَتْ^٣
وَهْدِيَّ لَوْ اسْتَشْفَى الْمَعْنَى بِرَوْحِهِ
وَرَقَّةٌ طَبَعٌ لَوْ تَحَلَّى بِهَا الْهَوَى
إِلَيْهِ أَكَلَتْ الْأَرْضُ بِالْعَيْسِ ثَائِرًا
حَوَافِي لَا يُنْعَلْنَ وَالْبَعْدُ آذَنُ^٤
فَجَاءَتْهُ لَمْ تَبْصُرْ سِوَى الْبِشْرِ هَادِيَا

قُلُوبُهُمْ حُبًّا عَلَيْهَا أَدَاخِيَا^١
قَوَادِمَهَا مَبْلُوءَةٌ وَالْخَوَافِيَا
إِلَى ظَهَرِ يَوْمِ عَزَمَةٍ هِيَ مَا هِيَ^٥
إِلَيْهَا كَمَاةٌ وَالرِّيَّاحُ مَذَاكِهَا
سَنَا عَمِيرٍ فِي فَحْمَةِ اللَّيْلِ هَادِيَا
فَمَا ارْتَضِيَا حَاشَاهُ سَاقًا وَسَاقِيَا
وَرَوَى الْقَنَا فِيهَا وَكَانَتْ صَوَادِيَا
تَمِيمَةٌ تَقْوَى رَدَّتِ الدَّهْرَ صَاحِيَا
سُرَى أَخْتَهَا ذَاتِ الْبُرُوجِ مَسَاعِيَا
لَمَّا كَانَ بِالْوَجْدِ الْمَبْرُحِ صَالِيَا
لَأَعْدَى عَلَى عَصْرِ الشَّبَابِ الْبَوَاكِهَا
وَقَدْ أَكَلَتْ مِنْهَا الدُّرَى وَالْحَوَامِيَا
عَلَى نَفْسِهِ إِلَّا الْوَجِيَّ^٦ وَالْدِّيَاجِيَا
وَسَلَّهْ وَلَمْ يَسْمَعْ سِوَى الشُّكْرِ حَادِيَا^٧

١ ط د : حنا عليها جاحيا ؛ س : جناجيا

٢ الفوات : فيهم .

٣ ورد البيت في إحكام صنعة الكلام : ١٤٧ مع تغيير في الرواية .

٤ ط د : كما تأتي الرياح .

٥ الفوات : طابقت .

٦ ط د س : سوى .

٧ ط د : الدجى .

٨ رواية البيت في إحكام صنعة الكلام :

فجاء ولم يبصر كوجهك هاديا إليه ولم يسمع كشكرك حاديا

هوادٍ على أعجازها قيمُ الندى
 أَلِكْنِي أَلِكْنِي والسيادةُ بيننا
 إلى أمرٍ في الدهرِ ناهٍ ، إذا قضى
 وحيثُوهُ لا راجينَ رَجَعَ تحيةُ
 إليك ابنَ سيفي يَعْرُبُ زَفَّ خاطري
 وإني لأستحي من المجد أن أرى
 وأنتى وقد أسلفتني قبلَ وقتِهِ
 وأيقظتَ من قدرِي وما كان نائماً
 ولكن نبا من حُسْنِ رأيك في يدي
 ولولم يكن ما خفتُ لا خفتُ لم أجدُ
 إلى من* إذا لم تُشككني أنت والعلا
 وأنت على رفعي ووضعِي حُجةٌ
 وما أَسْقِي إلا على فَوْتِ رتبةٍ
 وكونِ مكاني من سمائك عاطلاً*
 وإنَّ كسادِي ، رأسَ ألفِ صناعةٍ

فأريجُ بنِ مَشْرِىَ حمِدٍ وشاربِ [٢٩١ب]
 إلى مُوَلِّعٍ بالحمدِ بشره غالباً
 على كلِّ من فيها أطاعوه قاضياً
 وإن كان جوداً لا يَحْيِبُ راجياً
 عقائلَ لا تَرْضَى البروجَ مغانياً
 عليَّ للمأْمُولِ سواكَ أبادياً
 من البرِّ ما حازتُ^١ خطاه الأمانياً
 وأبعدتَ من ذكري وما كان دانياً
 أظُنُّ حساماً لم يجدني تالياً^٢
 على غير ما أخذَ مَتْنِيهِ الليالياً
 أكونُ بما ألقى من الدهرِ شاكياً
 فكنْ بي على أولاهما بك جارياً^٣
 عهدتُكَ فيها بادياً ومبادياً
 ولولا مكاني الدهرَ ما كان حالياً
 ليتركُ وسماءُ^٤ في السيادةِ بادياً

قال ابن بسام : أبو محمد بن عبدون لمكانه من صنعة الكلام ، وسبقه
 — زعم — في غايته النثر والنظام ، أقامها مقام ألفِ صناعةٍ ، وكفى بها واحدةً

١ كذا في الأصول ، وربما كان الأصوب « جازت » .

٢ الفوات : نابيا ؛ س : تافيا .

٣ ورد هذا البيت والذي يليه فيما تقدم ص : ٦٨٣ وقد تغير الشطر الثاني من البيت الثاني .

٤ ط د : يكون . . . عاطل .

٥ ط د : رسماً .

عن جماعة ، كما قال الأول :

يا عين بكئي خالدا ألفاً وَيُدْعَى واحدا

وفي هذه القصيدة يقول أبو محمد ، وهو من حرّ النظام ، وجزل الكلام :

فردّ المنى خضرأ ترف غصونها	بمبسوطة تندى ندى وعواليا
عوال إذا ما الطعن هزّ جذوعها	تساقطت الهيجا عليك معاليا
وعاوين على استنجاز طبع بهّة ^١	ترقص في أفاظهن المعانيا
وأجعل أرض الروم تجلو تلاعها	عليك زروداً والحمى والمطاليا ^٢
وقد نشرت من ذي القروح وبخاله	وعمر بن كلثوم عظاماً بواليا
وقيل لهم من ذا لها فتخيروا ^٣	أخيراً يبدؤ القائلين الأواليا
فإن نسقوا على الولاء ولم يكن	بذلك فاجعل منه ظلك عاريا
وعزّ على العليا أن يلقي العصا	مقيماً بحيث البدر ألقى المراسيا
ومن قام رأي ابن المظفر بينه	وبين الليالي نام ^٤ عنهن لاهيا

ضجر أبو محمد من سكى وطنه يابرة ، وهو يكرر هذا في شعره ،
كقوله فيه في قصيدة أخرى :

١ د : بهمة .

٢ هذه مواطن في بلاد العرب ، والحمى والمطالي قد جمعهما الشاعر في قوله :

« ألا حي ليل والحمى والمطاليا »

٣ ط د : فتخيروا .

٤ ط د : البدو .

٥ س د : قام .

أنا يا ابن^١ سيفي يعرب سيفك الذي إذا شِمتَهُ لم ينبُ واخبرهُ تَعَلَّمْ
هجرتُ إليك الأقربين مهاجرًا ولم أرضَ أوضاً كلُّ ساكنها عَمَّ
فعارٌ على العلياءِ سكنايَ بلدةٌ كَبَلْدَةُ عالي الأفقِ من دون أنجم^٢ [١٣٠]
فلو أنَّ غيلاناً حَوْتَهُ ديارُها تَغْنَى بميَّ بينهم غيرَ مُعْجَم^٣

وقوله : « قوادمها مبلولة والخوافيا » ، ينظر إلى قول أبي الحسن^٤ بن
حصن في سحابة^٥ :

بَكَرَتْ سُحْرَةٌ قَبِيلَ الذَّهَابِ تَنْفُضُ الْمَسْكَ عَنْ جَنَاحِ الْغُرَابِ
وقوله : « إليه أكلتُ الأرضَ » . . . البيت ، نَسَخَتْهُ مِنْ قَوْلِ حَبِيبٍ ،
ونقص عنه^٦ :

من القلاص اللواتي في حقائبها بضاعةٌ غير مزجاةٍ من الكلمِ
وأبو تمام إنما نظر في هذا المعنى إلى قول الأعشى^٧ :

فلن عتاقَ العيسِ سوف تزوركم ثناء على أعجازِهينَ مُعلَقُ

١ ط د : أنا ابن .

٢ البلدة : من منازل القمر ، يقال انها لا نجوم فيها البتة .

٣ غيلان : هو ذو الرمة ، وفي البيت إشارة إلى قوله في مية :

أحب المكان القفر من أجل أنني به أتغنى باسمها غير معجم

وفي ط د : وحته في موضع « حوته » .

٤ ط د : أبي الحصن ؛ س : أبي الحسين .

٥ انظر ما تقدم ص : ١٥٩ .

٦ ديوان أبي تمام ٣ : ١٨٦

٧ ديوان الأعشى : ١٤٩ واللسان (غرب) وفيه : يزوركم ثنائي .

أراد المدح الذي تحدى به من ورائها كما أن الهادي من أمامها ، وهذا كقول الآخر^١ :

سأرفعُ قولاً للحصين ومنذرٍ يطيرُ به الغربان شَطَرَ المَواسمِ
وتَروى به الهيمُ الظَّماءُ وتلتقي بأمثاله منهنَّ سَجَعُ الحمامِ^٢

وعني بالغربان أورك الابل ، وقوله : « تروى به الهيم الظماء » يعني أن الماتح يتغنى به ، فينشطُ ويقوى على سقي لبله .

وقوله : « ولولا مكاني الدهر ما كان حالياً » ، كقول القسطلي^٣ :

غريبٌ تحلّتْ بأدابهِ بلادٌ تواصتْ بتعطيلهِ

وقوله : « ترقصُ في ألفاظهنَّ المعاني » من سرقاته الغربية ، واختلاساته العجيبة ، تدقّ عن أعدادٍ من المباني ، وانها من خفيات المعاني ، وأراه أنا من قول ادريس بن اليماني ، فايها أراد ، وإن كان ملح وزاد، حيث يقول^٤ :

ثقلتُ زجاجاتُ أتنا فرغاً حتى إذا ملئتُ بصرفِ الراحِ
خفتُ فكادت تستطير بما حوت وكذا الجسومُ تخفُّ بالأرواحِ

قوله : « وأيقظت من قدري » . . . البيت ، هو لفظ أبي نُخَيْلَة^٥ :

١ الأول منهما في اللسان (غرب) والمعاني الكبير : ٢٥٧ وهما في الحيوان ٣ : ٤١٨ - ٤١٩

ورواية الأول في المعاني والحيوان : الحصين ومالك .

٢ روايته في الحيوان : ويطبي ، بأمثاله الغازين سجع . . .

٣ ديوان القسطلي : ٥٤٥ (عن الذخيرة) .

٤ الذخيرة ٣ : ٣٤٤

٥ الأغاني ١ : ٢٤٤ .

ونبتت من ذكرى^١ وما كان خاملاً ولكن بعض الذكر أنبه من بعض

وكشف أبو تمام هذا وحسنه ، فقال ^٢ :

لقد زدت أوضاحي امتداداً ولم أكن بهيماً ولا أرضي من الأرض مجهلاً
ولكن أباد صادفتني جسامها أغرّ فخلتني^٣ أغرّ محجلاً

وقوله : « ولكن نبا من حسن رأيك » . . . البيت ، مصراعه الأول
من قول أبي فراس^٤ :

ولكن نبا منه بكفتي صارم^٥ وأظلم في عيني منه شهاب^٦

أخذ هذا البيت بجملته ابن عمار :

أيظلم في عيني كذا قمر^١ الدجى وتنبو بكفتي شفرة^٢ الصّارم العصب

ولأبي محمد من قصيدة أخرى في المتوكل أولها :

هل عمّروا الأفق بالآرام والعقير أم كحلّوا الشهب بالتفتير والحدود
والنقع قد مدّه جنح الليل فوقهم أم عينهم لا ترى التصفير في الشعر [١٣٠ب]
يا ليل هل صاحب^٣ في اليد غيرك لي فالنجم^٤ معني عن الإدلاج والسهل

١ الأغاني : ونوت لي باسمي .

٢ ديوان أبي تمام ٣ : ٩٩ .

٣ الديوان : فأوفت بي .

٤ ديوان أبي فراس : ٢٤ .

٥ ط د : صرمد ؛ س : مرمد .

٦ س : مؤنس .

أسري وأسربُ لا مستصحباً أحداً
أدورُ فيهم وعمرانُ يخاطبُهُمْ
شادٍ وليس لسانُ الرعدِ ذا لسنٍ
كأنما الليلُ زار الأرضَ ذا شَغَفٍ
كانتْها عبلةٌ والليلُ عنرةٌ
والأرضُ قد لبستُ أذراعَ أبحرِها
من كلِّ درعٍ نسيمُ الريحِ غَضَّنها
ما كان في هيئةِ الأرضِ القيامُ لنا
منْ مَجْدُهُ خَصَّ قحطاناً وأنعمه
أكسى من الكعبةِ الزهراء من نشبِ
بسيفه^١ انتاشَ سَيْفُ جَدِّهِ يَمْنًا
أنتم عَتَى مُسْلِمٌ يا آلَ مَسْلَمَةٍ
ولم يُردْ مَطَرًا جدَّ البزيدِ ولا
لولاكمُ أهلكَ الناسَ استواؤُهُمْ

والناسُ عَميانُ لولا الخبرُ عن خبرِ
منِّي وهم في من رَوْحٍ ومن زُفْرًا
هادٍ وما ناظرُ الإيماضِ ذا نظرٍ
فأكبرتُ وصلَ أحوى اللونِ ذاعور
في جَمْعٍ أَشْتاتِهِ لو كان ذا بَصَرٍ
وجرَّدَتِ فوق أيديها ظُبا الغدرِ
وصارمٍ بالحبابِ اعتاضَ^٢ من أثرِ
بالليلِ لولا مزيدُ من سنا عمر^٣
عَمَّتِ ربيعةُ والحمراءُ من مضرٍ
أعرى على لبْسِهِ العَلْيَا من الحجرِ
لا سيفٍ وهرزٍ المحدودِ بالنقرِ
بالخودِ إذ لم يَنازِعْهُ بنو مطرٍ
كن من نَدَى جدِّكم سَمَاءَ بالمطرِ
ولم يكونوا سوى دُهُمٍ بلا غُرَرِ

١ يعني عمران بن حطان ويقال إنه نزل في تنقله بروح بن زنباع وزفر بن الحارث ،
وكان إذا خاف انكشاف أمره ارتحل متنكرًا وادعى لنفسه اسمًا ونسبة غير اسمه ونسبته
(انظر شعر الخوارج : ١٦١ - ١٦٥)

٢ ط د : اغتاض .

٣ لم يرد هذا البيت في ط د .

٤ ط د : لسيفه .

٥ يريد مسلم بن الوليد في مدحه يزيد بن مزيد الشيباني ، ويشير إلى قوله (ديوانه : ٧) :
سل الخليفة سيفاً من بني مطر أقام قائمه من كان ذا ميل
وفي ط د : على مسلم ؛ وصوبته بحسب المعنى .

كم في سُرادقكم^١ من ماجد عَمَمٍ يُعْطِي الْجَزِيلَ وَمَأْوَى الْخَائِفِ الْحَذَرَ^٢
 لَمَّا رَأَوْا أَنَّهُ لَا عَيْبَ يَدْرِكُهُ عَابُوهُ وَهُوَ الْكَبِيرُ الْقَدِيرُ بِالْقَصْرِ
 وَالصَّبْحُ مَبْدِي رَبِّي نَجْدٍ وَإِنْ صَغُرَتْ وَاللَّيْلُ يَسْتُرُ لَبْنَانًا عَلَى الْكَبَرِ

وقوله : « بسيفه^٣ انتاش سيفُ جدِّه^٤ يَمْنًا » ، يريد سيف بن ذي يزن ،
 حين استنقذ من أيدي الحبشة ملك اليمن ، في خبر معروف ، خارج عن غرض
 هذا التصنيف . ووهرز — يقال بالراء والزاي^٣ معاً — وهو الذي أنقذه كسرى
 أبرويز مع سيف بن ذي يزن ، أميراً على من كان في سجنه ، بإشارة مرابته
 فكان من أمره ما كان .

وله فيه من أخرى :

مالي إذا نَفَسَ مُعْنَى قَدْ سَتَّ وَسَرَتْ فِي جِسْمٍ لَفْظُ مُسَوَّى الْخَلْقِ مِنْ مِثْلِ
 أَنْتَ الَّذِي بَاهَتْ الْأَرْضُ السَّمَاءَ بِهِ وَلَا لَهَا بَلَكٌ إِنْ بَاهَتْكَ مِنْ قَبْلِ
 أَحْوَمُ حَوْلَ حَيَاضٍ مِنْ رِضَاكَ وَمَا لِي بِالْوُرُودِ إِذَا حُلْتُ مِنْ عَمَلِ
 رَاعُوا قَدِيمَ وَلَا يَإِلَ مَسْلَمَةٍ وَمَا اطَّرَدْتُ بِكُمْ فِي الْمَدْحِ مِنْ مِثْلِ
 تَفْرِي أَدِيمِي اللَّيَالِي غَيْرَ مَبْقِيَةٍ عَلَيَّ مَا لِلْيَالِي وَيْلَهُنَّ وَلِي
 وَإِنِّي فِي مَوَالِيكُمْ كَلِكُكُمْ^٤ بَيْنَ الْمَمَالِكِ ، وَالْإِسْلَامِ فِي الْمَلَلِ

وهذا كقول ابن الرومي^٤ :

تَلُوحُ فِي دُؤَلِ الْأَيَّامِ دَوْلَتُكُمْ كَأَنَّهَا مِلَّةُ الْإِسْلَامِ فِي الْمَلَلِ

١ وقعت لفظة « ومنها » بعد هذا البيت في س .

٢ ط د : لسيفه .

٣ ط د : والزاء .

٤ الذخيرة ٣ : ٣٤٢ .

وله فيه من قصيدة اندرج له بعضها في رسالة موشحة ، عارض البديع
بها في بابها ، وَصَبَّ فِيهَا عَلَى قَالِبِهِ ، مِنْهَا : [١٣١]

دوحةٌ فرعها على الشَّهْبِ موضوعٌ وأصلٌ قد غاصَّ تحتَ النجومِ
شُهْبٌ زَيَّنَتْ سماءَ المعالي وحمتها من بيضه برجومِ
يردون الظُّبَا ورودَ القَطَا والموتُ قد غَضَّ بالقَنَا المحطومِ
أوقعوا بالمجوسِ ما يعلمُ اللهُ وثَنُوا من بَعْدِهَا بالرومِ
سُوددٌ حارٍ فيه وصفِي فما أَسْطِيعُهُ بالمشوَرِ والمنظومِ
وإذا ما هزُّوا صدورَ القَنَا الصَّمَّ فما صدرُ فيلقِ بِسليمِ
زعزعوها فليس تدري سوى عهدهمُ في حديثها والقديمِ
كلَّما حَكَّمُوا اللّهُمَّ بالنَّدَى في المالِ نادى مالي وللتحكيمِ
مثلما حَكَّمُوا اللّهُمَّ بالنَّدَى في الأخْذِ بالإختبارِ في المحكومِ
ما على البيضِ غير أن تدعَ الهامَ بهمُ مثلَ الهاءِ في الترخيمِ
صوتُها في أسماعِهِمْ كالثاني والثالثِ في سماعِ النديمِ
ليس إلا الظُّبَا لهمُ زَهْرٌ والدَّمُ خمرٌ لكنْ بلا تحريمِ
فثناءٌ مِنِّي أُرْفُفُ بِرُودَيْهِ وَمِنْهُمْ إِدْمَانُ بَرٍّ عَمِيمِ

قوله : « خمرٌ لكنْ بلا تحريم » من الاستدراك البديع ، والتخلص المطبوع .
وقوله : « كلما حكموا اللهى » . . . البيت ، يشبه قول أبي محمد بن صارة
الشنتريني ٢ :

خُلِّقُ الوَازِيرِ أَبِي العَلامِ خَوارجُ لكنها ليست تَدَرى التحكيما

١ ط د : متى .

٢ ط : الشنتريني ؛ وترجمة ابن صارة ترد في ما يلي : ٨٣٤ .

وله أيضاً من قصيدة^١ :

سقاها الحيا من مغانٍ فساح	فكم لي بها من معانٍ فصاح
وحلّى أكاليلَ تلك الرُّبى	ووشى معاطفَ تلك البطاح
فما أنسَ لا أنسَ عهدي بها	وجرّتي فيها ذبولَ المراح
فكم لي في اللهو من طيّرةٍ	عليها بأجنحةٍ الإرتياح
ويومٍ على حَبيراتِ الرياضِ	تُجاذبُ برديَّ أيديَّ ^٢ الرياح
بحيثُ لم أعطِ النهى طاعةً	ولم ألقِ سمعاً إلى تحنيّ لاح
وليلٍ كرجعةٍ لحظ ^٣ المريب	لم أدْرِ له شفقاً من صباح
كعُمُرٍ عفاثك ^٤ يومَ الندى	وعُمُرٍ عذاتك يومَ الكفاح
إليكَ رمى أمني بي ولا	هويَّ مصفقةٍ بالجنّاح ^٥
أقول لراجي الحيا وهو دان	مدّاهُ وجدواهُ من كلّ راح
إذا عُمُرٌ هَطَلَتْ كفه ^٦	فلا حَمَلَتْ سَحْبٌ من رباح
من النافذي الطعنِ تحت العجاج	بين الدلائلِ وبين الرماح
من القومِ ينزلهم خَصْدُهُم ^٦	عن الموتِ شوكَ القناني البراح [١٣١ب]
وعنهم تَكُونُ رفعُ العلا	سماةً على عمدٍ من صفاح
وقادوا الزمانَ إلى اليوم وهو	رقيقُ الحواشي صَقِيلُ النواحي

١ الفوات ٢ : ٣٩٣ والقلائد : ١٤٦ والمغرب ١ : ٣٧٥ والنفع ١ : ٦٧٤

٢ القلائد والنفع والمغرب : مر الرياح .

٣ في المصادر : طرف ، وكذلك خ بهامش ط .

٤ الفوات : عذاتك (جمع عدة) .

٥ الفوات : بالرياح .

٦ ط : ينزلهم خضرهم ؛ د : يزدحم حصدهم ؛ س : ينزلهم حصدهم .

وله من أخرى ، وهي قصيدة فريدة فضح بها الأوائل ، وصرح فيها
عن كل طائل ، والمرءُ مخبوءٌ تحت لسانه ، وشرفهُ بنفسه لا بزمانه ،
أولها ١ :

<p>وطرّةُ الشرقِ غُفْلٌ دونَ تذهيبِ يُلْهِي بَأَنَقِ ملفوظٍ ومضروبِ قامتْ له بالثاني والمضاربِ بالبرق فوقَ درّا غيرِ مثقوبِ أدراسَ عن موعدي الحَيِّ مكذوبِ عنهم ولو أنها تهفو بتأنيبي حسبي أكونُ محبّا غيرَ محبوبِ ولا ألدّ بحبّ دونَ تعذيبِ ليس النفاقُ إلى خلقي بمنسوبِ فاستثنني إنَّ غيَلي غيرُ مقروبِ عجبا وسيف عزيبي غيرُ مقروبِ إنَّ القناعةَ جيشٌ غيرُ مغلوبِ</p>	<p>ساروا وميسكُ الدباجي غيرُ منهوبِ على ربيّ لم يزلْ شادي الذبابِ بها كالغيد في قَبَبِ ٣ الأزهار أذرُعُه والغيمُ تنثرُ منه راحةٌ خَضِبَتِ ٤ فرحتُ أستخبرُ الأنفاسَ لا الطُّسُمَ ٥ وأشتفي بسؤالِ الريحِ مُخْبِرَةَ هيهات لا أبتغي منكم هوى بهوى فما أراحُ لذكرى غيرِ عالية ٦ ولا أصالحُ أيتامي على دَخَنِ يا دهرُ إنْ توسع الأحرارَ مَظْلَمَةَ مهلاً فدرعُ حويلي غيرُ مُحْتَنَةِ ولا تخلُ أني القاك منفرداً</p>
--	--

١ منها بيتان في الفَيْث ٢ : ٢٣٢ والريحان : ١٥٦ / أو ثلاثة في رفع الحجب ٢ : ٣٦ .

٢ الريحان : موهوب .

٣ س : كالقيد في قلب .

٤ س : خضلت .

٥ ط : بتأنيب .

٦ س : عالنة .

٧ سقط البيت من د س .

ما كلُّ مَنْ سِيمَ خَسِفاً عَافَ مَورِدَهُ
 وَكَمْ تَأَزَّرَتِ الْغِيْطَانُ لِي كَرَمًا
 أَمْشِي الْبَرَازَ وَلَا أَعْفِي بِهِ أَثْرِي
 وَرَبَّ عَاوِي عَلَى لِأَثْرِي بُلَيْتُ بِهِ
 أَسْكَنْتُ عَنْهُ وَلَوْلَمْ يَزِدْ جَرْغُضِي
 سَوَيْتُ أَشْبَاحَ أَلْفَاظِي وَقَدَّسَ أُرْ
 أَوَانِسُ أَذِنْتُ لِي وَالنَّوَى قَدَفُ
 سَمَا بِذِكْرِي إِلَى أَسْمَاعِهِمْ أَدْبِي
 وَطَارَ بِي أَذْنُهُ فِي أَفْقِ حِرْصِهِمْ
 لَا يَنْظُرُونَ إِلَى شَخْصِي كَمَا نَظَرْتُ
 مِنْ كُلِّ مُطْلِقِ قَيْدِ الْحَرْبِ عَنْ لَجْبِ
 بِمَرْمَرٍ الْغَمَامِ الْجَوْنِ يَتَّبِعُ مِنْ

إِنَّ الْإِبَاءَ لَظَهَرُ غَيْرُ مَرْكُوبِ
 وَاسْتَشَقْنِي أَنْفَاسُ الشَّنَاحِبِ
 حَسَبُ الْمَرْيَبِ رَكُوبُ الْقَاعِ ذِي اللَّوْبِ
 بَلَاءَ لَيْثِ الشَّرَى فِي اللَّيْلِ بِالذِّبِ
 وَشِمْتُ صَارِمَ تَأْنِيْبِي وَتَهْرِيْبِي
 وَاحَ الْمَعَانِي لَهَا نَقْدِي وَتَهْدِيْبِي
 عَلَى عُلَا كُلِّ صَعْبِ الْإِذْنِ مَحْجُوبِ
 مَسْرَى النَّسِيمِ إِلَى الْآثَافِ بِالطَّيْبِ
 عَلَى قَوَادِمِ تَأْهِيلِي وَتَرْحِيْبِي
 بِيضُ الْخُدُورِ إِلَى الْقَرَا^١ مِنَ الشَّيْبِ
 قَيْدُ الْأَسْوَدِ عَلَى طَيْرِ السَّرَاحِبِ
 لَحْمُ أَبَارِيقَ تَرْغِيْبِ وَتَرْهِيْبِ

مدح بهذه القصيدة المعتمد بن عباد .

قوله : « حَسْبِي أَكُونُ مَحَبًّا غَيْرَ مَحْبُوبٍ » لفظ أبي الطيب ^٣ :
 أَنْتَ الْحَبِيبُ وَلَكِنِّي أَعُوذُ بِهِ مِنْ أَنْ أَكُونَ مَحَبًّا غَيْرَ مَحْبُوبٍ [١٣٢]
 وقوله : « وَلَا أَصَالِحُ أَبَا مِي عَلَى دَخْنٍ » ؛ لفظه أيضاً ، وقوله :

١ علا : سقطت من ط .

٢ ط : الفقرا ؛ د : القفرا .

٣ ديوان المتنبي : ٤٤٩ .

٤ يريد قول أبي الطيب :

فلا أحارب مدفوعاً على جدر ولا أصالح مغروراً على دخن

« إن غيلي غير مقروب » ، لفظ [بيت] الجميح ' .

« تسكن غيلاً غير مقروب »

وقوله : « أمشي البراز » . . . البيت ، عكس قول امرئ القيس ^٢ :

* على أثرينا ذيلَ مِرْطٍ مرحلٍ *

وأخذه ابن المعتز فقال ^٣ :

فطلتُ أبسطُ خدّي في الترابِ له ذُلاًّ وأسحبُ أذيالي على الأثرِ

وقوله : « لا ينظرون إلى شخصي كما نظرت » . . . البيت ، كقول
محمد بن هانيء الأندلسي ^٤ :

همُ لحظوكم والنبوةُ فيكمُ كما لحظت شَيْبَ الكبيرِ الفواركُ

وأصله من قول امرئ القيس ^٥ :

أراهنَّ لا يُحْبِبُنَّ من قَلَّ مالهُ ولا من رَأَى الشيبَ فيه وقوَّسا

١ س ط د : الجمحي ، والجميح لقب لشاعر اسمه منقذ بن الطماح ، وبيته هذا من قصيدة

له مفضلية ، وهي الرابعة في الترتيب : (شرح ابن الأنباري : ٢٥ - ٢٩) :

أبأ إذا حردت حردي فمجرية جرداء تمنع غيلاً غير مقروب

٢ ديوان امرئ القيس : ١٤ ، وصدره : « خرجت بها تمشي تجر وراءنا » .

٣ ديوان ابن المعتز : ٣ : ٥٠ .

٤ ديوان ابن هانيء : ١٠٤ .

٥ الديوان : كما لحظ الشيب النساء .

٦ ديوان امرئ القيس : ١٠٧ .

وللوزير أبي محمد عبد الغفور من أهل وقتنا فصل^١ يتعلق بهذا المعنى من رقعة ، قال فيه : كنت^١ قبيل هذا المشيب الذي علا ، والشباب الذي تولّى ، كريماً على ذوات الطلّي ، لا يتعرّضن^٢ في لمكان القلّة^٢ يلوّلا ؛ ولما أطار غراب الشباب باز المشيب ، ورُحنت رث الجلباب بعد كل شخنة قشيب ، سمعتهن^٣ حيناً يتبرّمن^٣ ، وحيناً يترنمن^٣ ، إلا^٤ أنهن^٤ يُجمِجن^٤ ولا يُسَرِجن^٤ ، وبفضل حاستي - والله الفضل - ما فهمت الوزن ، فلما استقرّيت لتعرف حروفه السهل والحزن ، عثر لهجي في تطلّب تلك الضالة بلعل^٥ وعسى ، بقول الملك الضليل : « ألما على الربع القديم بعسسا » ولم أزل بعد مُحَدَّثاً مَوْسَوْساً ، حتى سقط بي اليقين على قوله « وقوساً » وفي صدر هذا الروي « أراهن لا يُحْبِبن^٦ من قلّ ماله » ، وإذا قوس ظهر المرء فقد استحال جماله ، فإذا قاتلهن^٦ الله يُحْبِبن^٦ القبيح ذا المال ، والفقير ذا الجمال .

وصفة ابن عبدون للذباب : أجاد فيه ما أراد ، وقد تناول هذا المعنى أبو بكر بن سعيد البطليوسي ، فقال من قصيدة^٣ :

كأنّ أهازيج الذباب أساقف لها من أزاهير الرياض محاريب

وأخذه ابن عبدون من قول ابن الرومي يصف روضاً^٤ :

١ ط : كتبت .

٢ ط : القلت .

٣ بيت البطليوسي في رفع الحجب ٢ : ٣٦ .

٤ زهر الآداب : ٧٤٢ وديوان المعاني ١ : ٣٦١ والسمط : ٤٨٦ وتشبيهات ابن أبي عون

٣٨٩ .

وغرّدَ رُبْعِيُ الذبابِ خلاله كما حثّحتِ النشوانُ صُنْجاً مشرّعا
وكانت أهازيجُ الذبابِ هناكمُ على شدّواتِ الطيرِ ضَرْباً موقعا

ولنّما اخترعه أوّلاً عنّرة بقوله ^١ :

فترى الذباب بها يُغَنّي وحده هَزَجاً كَفَعِلِ الشاربِ المترنم
غَرِداً يحكُّ ذراعَهُ بِذراعِهِ فَعِلَ المكبُّ على الزنادِ الأجدم

وهذا من التشبيه الذي ما له شبيه ، ولم يجسر عليه أحد ، غير أن ذا الرمة
نقل معنى الصفة إلى الجندب فقال ^٢ :

كانَّ رجله رجلاً مُقْطِيفِ عَجَلٍ إذا تجاوبَ ^٣ من بُردَينِ ترنيم

[١٣٢ ب] والمُقْطِيفُ : راكبُ الدّابة القطوف ، فنقلَ صفةَ يدي
الذبابِ إلى رجل الجندب فأحسنَ الأخذَ ، وكأنّه لم يَعرِضْ لعنّرة في
معناه .

وقال السلامي في صفة زنبور ^٤ :

إذا حكَّ أعلى رأسِهِ فكأنّما بسالفتيه من يديه جوامعُ
فباعد عنّرةً في الصّفةِ ، وإن قاربه في الموصوف ، وتعلّقَ في اللفظِ

١ زهر الآداب : ٧٤٠ والمحيوان ٥ : ٥١٣ وتشبيهات ابن أبي عون : ٣٨٩ وديوانه :

١٩٧ - ١٩٨ ، وابن بسام يتابع في هذه القطعة ابن رشيقي في قراضة الذهب : ٦٩ - ٧٠ .

٢ ديوان ذي الرمة ١ : ٤١٩ وقراضة الذهب : ٦٩ .

٣ ط د س : تتجاذب .

٤ اليتيمة ٢ : ٤٢٠ وقراضة الذهب ٦٩ .

بصرى الغواني إذ يقول في النساء^١ :

فغطت بأيديها ثمارَ نخورها كأيدي الأسارى أثقلتْها الجوامعُ

وقد قال بعضُ أهلِ أفقنا ، وهو يوسف بن هارون الرمادي :

وكأسٍ كريقٍ الإلفِ شعثتها به وعيشيَ من هذا الشرابِ المشعشعِ
على روضةٍ قامتْ لنا بدرانكٍ وقام لنا فيها الذبابُ بمسمعِ
إذا ما شربنا كأسنا صُبَّ فضلها على رَوْضِنَا للمسمعِ المتخلِّعِ
وهذا مما أغربَ فيه الرمادي .

وقد قال الجاحظ^٢ : وجدنا المعاني تُقَلَّبُ ويؤخذ بعضها من بعض
إلاَّ قولَ عنترَةَ في الذباب ، وقولَ أبي نواس في تصاويرِ الكأسِ ، حيث
يقول^٣ :

قرارتُها كسرى وفي جنباتها مهأ تدَّريها بالقسيِّ الفوارسُ
فللراحِ ما زُرْتُ عليه جيوبُها وللماءِ ما دارتْ عليه القلائسُ
يريد أنَّ حدَّ الخمرِ بلغَ نخورَ هذه الصور ، وزيد الماء فيه فانتهى الشراب
إلى فوق رؤوسها ، وفائدة هذا معرفةُ حدِّها صرفاً ، من حدِّها ممزوجةً .

١ ديوان مسلم : ٢٧٣ وزهر الآداب : ٩٩٦ وقراسة الذهب : ٧٠ .

٢ ورد هذا القول في زهر الآداب : ٧٣٩ - ٧٤٠ وانظر تمليق الجاحظ على شعر عنترَةَ في

وصف الذباب في كتاب الحيوان ٣ : ٣١١ - ٣١٢ .

٣ ديوان أبي نواس : ٢٩٥ وزهر الآداب : ٧٤٠ .

قال ابن بسام : وقد ذُكِرَ أنَّ الحسن ولّد هذا المعنى من قول امرئ القيس^١ :

فلما استطابوا صُبَّ في الصحن نصفه وشُجَّتْ بماءٍ غير طَرَقٍ ولا كدرٍ

فجعل الشراب والماء نصفين^٢ ، لقوة الشراب ، فتسلّق الحسن عليه ، وأخفاه بما شغل به الكلام ، من ذكر الصورة المنقوشة في الكأس ، إلا أنّها سرقة^٣ مليحة . وكرّر أبو نواس هذا المعنى عجباً به في مواضع كقوله^٤ :

بنينا على كسرى سماءَ مدامةٍ مكلّلة حافاتُها بنجوم
فلوردّ في كسرى بن ساسان روحه إذن لاصطفاني دون كلّ نديم

وأخذه الناشيء وولّد معنى زائداً فقال^٥ :

في كأسها صوّرٌ تُظنُّ لحُسْنِها عُرْباً بَرَزْنَ من الحجال وغيدا
وإذا المزاجُ أثارها فتقسّمت ذهباً ودرّاً توأماً وفريدا
فكأنهنّ لبسنَ ذاك مجاسداً وجعلنَ ذا لنحورهنّ عقودا

وقال ابن المعتز^٥ :

وكأس^٦ من زجاجٍ فيه أسدٌ فرائسهنّ ألبابُ الرجالِ

١ ديوان امرئ القيس : ١١ .

٢ س ط : قسمين .

٣ زهر الآداب : ٧٤٢ .

٤ زهر الآداب : ٧٤٠ .

٥ زهر الآداب : ٧٣٨ وديوان ابن المعتز ٣ : ٩٧ والأوراق : ١٩٩ .

٦ الديوان : يغاب .

وَأَلَمَ بهذا الملتمس بن بطل البطلوسي^١ فقال :

وْغَابٍ مِنْ الْأَكْوَاسِ فِيهَا ضِرَاعُمْ
مِنْ الرَّاحِ أَلْبَابُ الرِّجَالِ فَرِيْسَهَا
قَدَرَعْتُ بِهَا سِنَّ الْمَمُومِ فَأَقْلَعْتُ وَقَدْ كَادَ يَسْطُو بِالْفَوَادِ رَسِيْسَهَا
[١٣٣ أ] وقال بعض أهل عصرنا ، وهو أبو تمام بن رباح^٢ :

وَكَأْسٍ بَدَا كَسَرَى بِهَا فِي قَرَارَةٍ غَرِيقًا وَلَكِنْ فِي خَلِيجٍ مِنْ الْخَمْرِ
وَمَا صَوَّرَتْهُ فَارِسٌ عَبْنًا بِهِ وَلَكِنَّهُمْ جَاعُوا بِأَخْفَى مِنَ السَّحَرِ
أَشَارُوا بِمَا دَانُوا لَهُ فِي حَيَاتِهِ فَيُؤْمِسُ إِلَيْهِ بِالسُّجُودِ وَمَا يَدْرِي

ومثل هذه المعاني التي ذكروا مما انفرد به كل واحد من الشعراء ، لا يكاد يتناولها حاذق إلا قصّر ، إلا أن يزيدَ زيادةً تظهر ، ولذلك ما تحامى الناس أشياء كثيرة من المعاني التي أخذت حَقَّها من اللفظ ، ولم يبق فيها فَضْلَةٌ تُلْتَمَسُ ، والقرائح تتفاضل ، ألا ترى إلى قول جميل في وصف امرأة فاجأها^٣ :

غَدَا لَاعِبٌ فِي الْحَيِّ لَمْ يَدْرِ أَنَا نَمْرٌ وَلَا أَرْضٌ لَنَا بِطَرِيقِ
فَلَمَّا انْتَحَيْنَاهُ اتَّقَانَا بِكُمُهُ وَأَعْلَنَ مِنْ رَوْعَاتِنَا بِشَيْقِ

١ هوسليمان بن محمد بن بطل ، أبو أيوب : كان فقيهاً مقدماً وشاعراً محسناً قريباً من الأربعمئة (انظر ترجمته في الجذوة : ٢٠٦ وبغية الملتمس رقم : ٧٦٢ والنفع ٣ : ٢٩٢ ، ٤٥٠) وله مقطعات كثيرة في كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس .

٢ ترجمته في القسم الثالث : ٨٢١ .

٣ لم يرد هذا الشعر في ديوان جميل ؛ ولكن ابن بسام يتابع هنا ما يقوله ابن رشيق في قراضة الذهب : ٥٧ .

٤ القراضة : افتجيناها (ولا آراه صواباً) .

كيف وَصَفَ حَقِيقَةَ الحال التي صَوَّرَهَا تصويراً ، مع حسن لفظ ،
وليس مع ذلك ببالغ قول النابغة ^١ :

سَقَطَ النَّصِيفُ ولم تُرِدْ إسقاطُهُ فتناولتَهُ واتَّقنتا باليدِ

رجع

وقال ابن عبدون من قصيدة :

لولا المؤيدُ ، مدَّ الله مدَّتَهُ ،
فلم أكنْ وسوى بغداد ^٢ لي أملٌ
وإن نبتَ حمصُ بي واللهُ يعصمها
والمؤيدُ ، مدَّ الله مدَّتَهُ
لم ينتقبْ وجههُ للسُّمْرِ مشرعةً
يشأى المُسَاجِلَ في بأسٍ وفي كرم
تراهُ إن تدَّعُهُ يَوْمِي ^٣ ندى ووغي
إليكَ منِّي ، أعزَّ الله نصْرَكَ ما
جاءَتْكَ تَرْقُصُ أردانُ الكلامِ به

ما كان لي في سوى بغداد من أربٍ
فيها كما كنت في أهلي بمغرب
ركبتُها عزيمةً تشأى الكواكبُ بي
رأيٌ يغالطُ شُهْبَ الليل في القطب
وإنه من حياءِ الوجه في نُقُبٍ
ويملاً الدلو في العليا إلى الكَرْبِ
النارُ في عَرْفَجٍ والماءُ في صَبَبٍ
أُنْفِثَتْهُ أيدي السَّريِّ والبيدِ والنَّوْبِ
سوابجُ تأكلُ الغبراءُ بالخبِ

وله في المعتمد من قصيدة :

إنَّ الممالكَ والسيوفُ شهودُ لكمُ إماءُ والملوكُ عبيدُ

١ ديوان النابغة : ٣٤ وقراسة الذهب : ٥٧ .

٢ بغداد : سقطت من ط د .

٣ ط د س : يوماً .

شامتكم^١ في المكرماتِ عزائم^٢ جاري على^٣ أحكامها التأيد
وعلاً^٤ نشأن مع النجوم وقبلها
من معشر^٥ أخذوا بأطراف العلا
جادوا فبانت في البسيطة^٦ أنجم^٧
يا روضة^٨ وصف النسيم أريجها
ما لي أرغف^٩ حول دوحك^{١٠} ضاحياً
لا ذنب^{١١} للآمال^{١٢} إلا^{١٣} أنها
ركبت^{١٤} إليك جناح^{١٥} كل^{١٦} عزيمة^{١٧}
أكلت^{١٨} إليك الأرض^{١٩} وهي بحسبها إن لم تعقها من ثناك قيود
رفي^{٢٠} علي^{٢١} فانتني غريد^{٢٢}
أصف^{٢٣} الأوار^{٢٤} وماؤها مورود^{٢٥}
شهب^{٢٦} لها من أن تراك سعود^{٢٧} [١٣٣ب]
قرب الردى من خلفها مزمود^{٢٨}
إن لم تعقها من ثناك قيود

قوله : « وعلاً نشأن مع النجوم وقبلها » ، مأخوذ من قول المعري ،
وله فيه زيادة ، تجاوزت الغاية في الإجادة ، وخرقت في الإحسان كل عادة ،
وهو قوله يصف خيلاً^٣ :

نَشَأَنَ مَعَ النِّعَامِ بِكُلِّ دَوْ فَقَدْ أَلِفَتْ نَتَائِجُهَا الرِّثَالَا^١

ولعل هذا توارد^٢ من الطباع ، وبحسب القرينة يكون الإبداع والاختراع .

وقوله : « يا روضة وَّصَفَ النِّسِيمُ أُرَيْجَهَا » ، من قول اسحق

١ ط : رقي .

٢ لعل الصواب : « الأوام » .

٣ شروح السقط : ٤٥٤ .

٤ نشأن : الضمير يرجع إلى بيت ذكر فيه السوابق ، أي وقعت الألفة بين المهار والرثال
وهي أولاد النعام .

الموصلي^١ :

يا سَرَحَةَ الماءِ قد سُدَّتْ موارِدُهُ أمّا إليكِ طريقٌ غيرُ مسدودِ

ولا بن عبدون من قصيدة في الرشيد فقلتها من مبيضاته ، ولم يعرضها عليه ، ولا أوصلها إليه ، أولها^٢ :

عزيمٌ لا يُسدُّ عليه بابٌ وقلبٌ لا يُفلُّ له ذُبابٌ

ومنها :

مضى في نائباتِ الدهرِ صِلْدًا ^٣	فلم يُثَلِّمَ* وقد طال الضرابُ
وقد زَرَّوا الضلوعَ على قلوبِ	لو انتضيتُ لقطَّ بها الرقابِ
وسرُّ ومن كواكبه حُلِّيَّ	عليَّ ومن غياهبه قرابِ
ولو بسوى الرشيد جعلتُ هديي	لضلَّ الركبُ فيها والركابِ
من النَفَرِ الألى طلَعوا نجومًا	فمن أنوائهم فينا انسكابِ
إذا هَزَّتْهُمْ نَغَمُ العوالي	فليس سوى النجيعِ لهم شرابِ
وباءَ فقلتُ في الغبراءِ برجٌ	وثار فقلتُ في الخضراءِ غابِ
لقد عَقِدْتُ حُبَّاهُ على خلالِ	ظُبَاهُ لا تهابُ كما تهابِ
وطبَّقَ مَقْصِلَ العُلَيَّا بِنَفْسِ	مآثرها تراثٌ واكتسابِ
كأنَّ عداه في الهيجا ذنوبٌ	وصارمُهُ دعاءٌ مستجابِ

١ الأغاني ٥ : ٣٥٠ ورفع الحجب ١ : ٤١ ونهاية الأرب ١ : ٢٧٩ والذخيرة ١ : ٨٦٣ .

٢ منها ستة أبيات في الريحان ١ : ١٥٥ ب .

٣ الريحان : فرداً .

٤ الريحان : عطفوا .

وهذا ممّا أغرب فيه ، ولم أسمع له بشييه ، ولعلّه أميرُ شعره ، ونتيجة
فكره ؛ وفيها يقول :

إليكَ أبا الحسين ركبْتُ عزمًا يضيقُ برحبِ مسعاه الطّلابُ
رمتُ في البحرِ منك ولم تعرّجْ على أرضٍ بقيعتها سرابُ
وقد مرّقتُ إليكَ من الدجى بي أعاريبٌ تحبُّ بها عرابُ
هفتُ بي والدجى يهفو حشاه كما كَسَرَتْ على خُزْرِ عِقَابُ

قول أبي محمد : « وسرتُ ومن كواكبه حلّي » . . . البيت ، سلك
فيه سبيلاً من البديع لا تُسَلِّكُ ، واستولى منه على غاية من الكلام المطبوع
قلّما تُدرِك .

وأما قوله : « كما كَسَرَتْ على خُزْرِ عِقَابُ » فما أولاه عليه بالعقاب ،
لأنّ نسخَ لفظِ أبي الطيب كما تراه ، وقصّر أكثر مما شاء عن معناه ، وهو ٢ :

يهزُّ الجليشُ حولك جانبيه كما نفَضَتْ جناحيها العقابُ

على أنّ أبا الطيب إنما تطرّفَ قولَ طرفة ٣ :

بكتائبٍ تردّي كما تردّي إلى الجليفِ النّسورُ

[١٣٤ أ] ولكن المتنبي طار في السماء مع العقاب ، وترك طرفة في
الأرض على التراب .

١ وقع هذا البيت آخرأ في س .

٢ ديوان المتنبي : ٣٧٠ .

٣ لم يرد في ديوان طرفة .

وكان أبو محمد حين استوحش من المنصور بن المتوكل^١ ، ولحق بأشبيلية ،
كتب إلى الوزير الأجل أبي بكر بن زيدون بهذه الأبيات :

لك الخيرُ من مَثري اليدين من العلا إذا تَرَبَّتْ أَيْدِي النَّوَى والتطوَّلُ
بما كان بين الماضيين من الذي إليه استنادي^٢ أو عليه مُعَوَّلُ
ولم تَمْسِكْ بالمؤيد لي يدُ وقد زهفت^٣ رجلي عن المتوكل
وله أيضاً يقول :

قل للوزير أدام الله عزَّتهُ واجلاهُ يَفَنِّى وقولُ الدهرِ مفهومُ
لئن نبت بيَ حمصٌ وهي قد قعلتُ فليس تنبو بيَ السَّبعُ الأقاليمُ
لي في مناكبِ أرضِ الله مُضْطَرَبٌ إن ساحتُ بيَ النَّوَى لحمٌ ومغزومُ
ثم انصرف إلى حضرة المتوكل ببطليوس ، ودفع إليه قصيدةً أوَّلها :

خَصَمْتُ الظُّبَا عنكم على أنَّها لدُ بقرعٍ له في كلِّ بارقة رَعْدُ
بِزُرْقٍ بما خَلَفَ الضُّلُوعِ بصيرة على أنَّها مما بكتُ حَدَقُ رُمْدُ
تركتُ لمن هزَّ الأسنَّةَ رأيهُ وقلتُ لغيري الخَفَضُ والعِيشَةُ الرُغْدُ
وطار جناحُ الليلِ مِنِّي بأجدلٍ إذا ما الظُّبا فاضتُ ففيها له وِرْدُ
منيرُ أساريرِ الرُّثاسِ إذا سَرَى وشتُ بسُراهِ البِيدُ والليلُ مسودُ

١ كذا في النسخ ، والمنصور هو أخو المتوكل لا ابنه ، وقد ولي بطليوس بعد وفاة أبيه المظفر
(سنة ٤٦٠) ؛ وأما ابنا المتوكل فهما الفضل والعباس ولا أعرف إن كان أحدهما لقب
بـ المنصور ، وقد قتلا مع أبيهما (سنة ٤٨٧) .

٢ س : اجتهدى .

٣ ط د : زهقت ؛ س : زلقت ؛ وزهفت : خفت وعجلت .

٤ س : بالنوى .

وفيها من عتابه للمتوكل :

أَفَالآنَ لَمَّا مَلَكْتِي وَمَلِكْتُهُ
وَبَاضْتُ عَلَى رَأْسِي السَّنُونَ وَفَرَخْتُ
طَمَعْتُ بِمَحْصٍ أَنْ تَلِينَ لِمَطْلَبِي
وَلِي، فَاسَأْتُ، الذَّنْبُ فِي ذَاكَ لَا لَهَا
طَلَابٌ لَوْ عَنِ نَيْلِهِ الزَّمَنُ الْوَعْدُ
وَمَا لِي حَلٌّ فِي الْأُمُورِ وَلَا عَقْدُ
وَلَا عَجَبٌ قَدْ يَرْشَحُ الْحَجَرُ الصَّلْدُ
فَمَذُوجِدُ الْجُعْلَانُ لَمْ يَنْفَقِ الْوَرْدُ

ما أخرجته من سائر مقطوعاته الاخوانيات

من ذلك ما أنشدنيه لنفسه ، مما خاطب به الوزراء الكتاب بني سعيد
ابن القبطورنة ، حين خرج عن بطليوس مستوحشاً ، حسبما وصفته ^١ :

أَخْلَاقِي وَفِي قُرْبِ الصَّدُورِ
وَقَدْ ضَمَمْتُ جَوَانِحُنَا^٣ قُلُوباً
إِذَا الْكِرْمَاءُ نَامَتْ فَوْقَ ضَيْمٍ
فَقَبَّلُ^٤ أَبِي الدَّنْيَةِ قَيْسُ عَيْسٍ
لَنْ عَثَرُوا وَلَيْسَ لَهَا جَوَابُ
وَلَا سَمِعُوا بِهَا إِلَّا بِصَمٍ^٥
ظَلَمْتُ تَقْضِي^٢ عَلَى قَمَمِ الدُّهُورِ
أَبَتْ غَيْرَ الْقُصُورِ أَوْ الْقُبُورِ
فَمَا فَضَّلُ الْكَبِيرِ عَلَى الصَّغِيرِ
وَلَمْ يُصْغِي إِلَى قَوْلِ الْمَشِيرِ
فَلَا عَلِقَتْ بَطُونُ^٦ مَنْ ظَهَرَ
وَلَا نَظَرُوا بِهَا إِلَّا بَعُورُ

١ منها أربعة أبيات في القلائد : ١٤٦ .

٢ القلائد : تمضي .

٣ س : جوانحها .

٤ القلائد : باتت تحت .

٥ القلائد : المشير ؛ وقيس عيس هو قيس بن زهير الذي هاجر قومه بعد حرب داحس والغبراء

وأوى إلى عمان .

ومنها : [١٣٤ ب]

ودلّهنّ فراقُ بني سعيدٍ فما أدري قبيلاً من دَيرٍ

وبات بطريقه هنالك على وادي آنة بقرية لبّ ، فقال :

عديري إلى المجد من كَوْنٍ مثلي بآنة أو من مبيتي بلبّ
وبغداد لو هتفت بي هلمّ هلمّ لما كنت ممّن يلبي

وأنشدني أيضاً له مما خاطب به بعض الأعيان :

سأطلبُ لا بالسنّةِ اليراعِ	سوى ذا الحظّ من أيدي الزماعِ
وأخبطُ بالسرى ورَقَ الدياجي	وَوَجْهُ الموتِ محدودُ القناعِ
وأمرقُ من أساريِرِ المواضي	كما مرقِ الهلالُ من الشعاعِ
فسلني عن ملوكِ الأرضِ تسألُ	خبيراً فاقضِ حقَّ الإستماعِ
عرضتُ عليهمُ نَفْسِي ونفسي	لأوضحَ غَبْنَهُمْ عندَ البياعِ
فما اتّبِعُوا دليلاً في اجتنابي	ولا سلَكُوا سبيلاً في اصطناعي
كأعضاءٍ بها ألمٌ فقلبٌ	على ضمَدٍ ^١ ورأسٍ في صداعِ
ومن عَصَبٍ إذا سئلتِ حراكاً	شَكَتْ بسكونها نُحْلَ ^٢ النخاعِ
ويعني لا تجودُ على شمالٍ	ولا تُصْفي المودّةَ للذراعِ
وعينٌ لا تغمُضُ عن قبيحٍ	وأذنٌ لا تَأْلَمُ من قذاعٍ ^٣
فما أَبْقُوا ولا هَمُّوا ببقيا	وتَقَلُّ الطبعِ ليس بمسْتَطاعِ

١ الضمد : الحقد .

٢ التحل بمعنى التحول ، وهو من النادر في الاستعمال .

٣ ط د : قراع .

فلو سَقَّتِ السماءُ الشريَّ أرياً لما احلوتُ مراعيه لراع
 بدهرٍ ضاعتِ الأحسابُ فيه ضياعَ الرأيِ في السرِّ المذاع
 فبعثهمُ بتاتاً لا بِشُنيئنا ولا شرطٍ ولا دركٍ ارتجاع
 ولم أجعلْ قرايَ غيرَ بقي فحسبي ما تقدَّم من قراع^١

قوله : « كأعضاء بها ألم » . . . البيت ، مع الذي بعده ، أراه فيما انتحاه
 سلك سبيلَ أبي نصر المَعافى^٢ ، من أناشيد الثعالبيّ ، حيث يقول :

لما رأيتُ الزمانَ نِكْساً وفيه للرفعةِ اتّضاعُ
 كلُّ رئيسٍ به^٣ مَلالٌ وكلُّ رأسٍ به صداع
 لزمْتُ بيتي وصنْتُ عرضاً به عن الذلّةِ امتناع
 أشربُ ممّا ادّخرتُ راحاً لها على راحتي شعاع
 لي من قواريرها ندامى ومن قراقيرها سماع
 وأجتنى من ثمارِ قومٍ قد أقفرتُ منهم البقاع

وقول أبي محمد : « كما مَرَّقَ الهلالُ من الشعاع » ، معنى متداول
 إلّا أنَّ قولَ أبي محمد أولى بالتقديم ، ومنه قول بشر بن أبي حازم^٥ :

-
- ١ س : نزاع
 ٢ هو أبو نصر المَعافى بن هزيم الهزيمي من أبيورد ، وكان يكثر المقام ببخارى ويخدم رؤساءها
 (اليتيمة ٤ : ١٢٩ - ١٣٣ وأبياته هذه ص : ١٣٢) .
 ٣ اليتيمة : له .
 ٤ اليتيمة : عقول .
 ٥ ط : أبي بشر بن حازم ، د : بشر بن حازم ؛ س : بشر أبي حازم ؛ وليس البيت في
 ديوان بشر ، وقد جاء في اللسان (ودق) منسوباً لزيد الخليل .

ضربنَ بغمرةٍ فخرجنَ منها خروجَ الودقِ من خللِ السحابِ

وقال المتنبي^١ : [١٣٥]

وضاقتْ خُطّةٌ فخلصتُ منها خلوصَ الخمرِ من نسجِ القدامِ

وقال أبو تمام^٢ :

فخرجتَ منها كالشهابِ ولم تزلْ مد كنتَ خراجاً من الغماءِ

وقال أبو الحسن الرضي^٣ :

مرقتُ منها مروقَ النجمِ منكدرأً وقد تلاقتْ مصاريعُ الردى دوني

وقال ابن مقبل^٤ :

خروجٌ من الغمى إذا صكك صكّةٌ بدا والعيونُ المستكفة تلمحُ
إذا امتحتته من معدٍ عصابةٌ غدا ربّه قبل المفيضين يقدح

والغماء^٥ : هاهنا جماعة القداح .

١ ديوان المتنبي : ٤٧٧ .

٢ ديوان أبي تمام : ١٩ .

٣ ديوان الرضي : ٢ : ٤٤٦ .

٤ ديوان ابن مقبل : ٢٩ ، ٣٠ والعمدة ٢ : ٢٨٨ والميسر والقداح : ٦٥ واللسان (همم)

وفي الأصول « الغما » حذفت همزته ، وهو عندئذ يفتح العين ؛ وفيه يجوز القصر والمد .

٥ يصف القدح ؛ الغمى : الشدة والضيق ؛ العيون المستكفة : المحيطة به .

٦ كذا ورد أيضاً بالمد ، ورواية الديوان بالقصر وضم العين .

وأول من نطق بهذا المعنى امرؤ القيس بقوله ^١ :

إذا ما ركبنا قال ولدانُ أهلنا تعالوا إلى أن يأتي الصيدُ نحطبُ

فنقله ابن مقبل إلى صفة القدح ، وقال : إذا امتحنه ممتحنٌ غدا يقدحُ
ناراً قبل الإفاضة به ثقةً بفوزه ، ونقله ابن المعتز إلى صفة جارج فقال ^٢ :

قد وثق القوم له بما طَلَبَ فهو إذا جَلَى لصيدٍ واضطربَ

عَرَّوْا سكاكينهمُ من القُرْبُ

وأنشدني أيضاً لنفسه ممّا خاطب به الوزير أبا القاسم ابن الجلد ^٣ :

سجيري ^٤ من فهر لا تخمشن ^٥	وجه الإخاءِ بِظُفْرِ العَدَلِ
فأقسمُ أني أجيبُ الصِّبَا	إذا ما دعني إليه المقل
وما أنس ليلتنا والعناقُ	قد مزَجَ الكلَّ منا بِكُلِّ
إلى أن تقوَّسَ ظهرُ الظلامِ	واشمطَ عارضُهُ واكتهل
ومسَّ رقيقَ رداءِ النسيم	على عاتقِ الفجرِ بعضُ البلل
وسبَّحَ رعدُ المثاني بحمدِ	بني يعربٍ في سماءِ الجذل
إذ الدهرُ ميتُ الخطى واللاحظ	عنا وأحداثُهُ في غفل
وللطير في الورقِ النضرِ شدو ^٦	كشدوِ القيانِ عليها الكلل

١ ديوان امرؤ القيس : ٣٨٩ والعمدة ٢ : ٢٨٨ .

٢ ديوان ابن المعتز ٤ : ٧ والأوراق : ٢٠٩ .

٣ منها ثلاثة أبيات في كل من المغرب ١ : ٣٧٥ والخريدة ٢ : ١٠٩ والقلائد : ١٤٧ .

٤ د : مجيري ، والسجير : التحليل والصفى .

٥ المغرب : في عاتق الليل ؛ الخريدة والقلائد : على عاتق الليل .

فأبتُ وذنبِي أميرُ الذنوبِ ودولته فوق تلك الدول

أشار في هذا البيت الأخير إلى قول أبي الطيّب^١ :

أميرة^٢ اللحظِ في الألاحظِ مالكةٌ لمقلتيها عظيمُ المُلْكِ في المقلِ

وقال أبو نواس^٣ :

أصبني منك يا أملي بذنبٍ تتيهُ على الذنوبِ به ذنوبي

وأنشدني أيضاً لنفسه^٤ :

هل تذكرُ العهدَ الذي لم أنسهُ ومودتي^٥ ومجدوتي^٥ بصفاء
والأنسُ قد خَلَعَ العذارى^٦ فبيننا برُّ البنينَ ورقةُ الآباءِ
ومبيتنا في نهرِ حمصٍ والحجى قد حُلَّ عَقْدُ جباه بالصهباءِ [١٣٥ب]
ودموعُ طلِّ الليلِ تُخلَقُ أعيناً^٧ ترنو إلينا من عيونِ الماءِ

وأنشدني أيضاً لنفسه^٨ :

١ ديوان المتنبي : ٣٢٩ .

٢ الديوان : مطاعة ؛ ط د : أسرة .

٣ ديوان أبي نواس : ٤٢٨ .

٤ منها ثلاثة أبيات في كل من القلائد : ١٤٧ والمغرب : ١ : ٣٧٥ والخريدة : ٢ : ١٠٦ .

٥ س : ومودة .

٦ س : الوقار .

٧ تكرر هذا الشطر من قبل ص : ٦٨٤ س : ٥ .

٨ انظر القلائد والخريدة والغوات والمطرب .

وما أنسَ بين النهر والقصرِ وقفةً نشدتُ بها ما ضلَّ من شاردِ الحبِّ
رَميتُ بلحظي رميةً سمحت به^١ فلم أثْنِهْ إلا ومحرابُها^٢ قلبي

وأنشدني أيضاً لنفسه قصيدة أولها :

دَعَتِكَ ومن سَجِيَّتِكَ البدارُ رؤوسُ أُنِعتْ منها ثمارُ

ومنها في وصف السيوف :

فيوردها ظماءٌ وهي ماءٌ وَيُصْدِرُهَا رواءٌ وهي نارُ
ويقرضها أعاديه بلحينا وترجعُ وهي لو سلمت نضارُ

بيته الأوسط منها نَقَلَهُ من قولِ أبي الشيص ، إلا أنه زاد عليه ،
واستلبه من يديه ، وهو^٣ :

فأوردها بيضاً ظماءٌ صلورها وأصدرها بالريِّ ألوانها حُمْرُ
وهذا المعنى كثير ؛ وبيته الثالث نسخ بيت أبي الطيب ، ونقله من الوادي
إلى السيف ، وهو^٤ :

ركض الأميرُ وكاللجينِ حَبَابُهُ وثنى الأعنة وهو كالعقيانِ
وقال أيضاً أبو الطيب^٥ :

١ القلائد : بيتي رمية جمحت به ؛ الخريدة : سخت به .

٢ القلائد والخريدة : ومجروحها .

٣ لم يرد في ديوان أبي الشيص المجموع .

٤ ديوان المتنبي : ٤١٤

٥ ديوان المتنبي : ٣٩٠ .

ولا تردُّ الغدرانَ إلا وماؤها من الدم كالريحانِ تحت الشقائقِ

وقال محمد بن هاني^١ :

لا يوردونَ الماءَ سُنْبُكَ سابِحٍ أو يكتسي بدمِ الفوارسِ طُحْلُبًا

وأشهر موضع نقله منه قول السناط^٢ :

فخذْ ذهباً وردَّ لنا لجيناً تكنُ في الناس أَرْبَحَ صيرفي

إلاَّ أنَّ قول ابن عبدون قد^٣ سلم من الحشو الذي لا يحسنه إلاَّ من
أدمنَ محاولة مضايق المقال فاقتحمها ، واعتري بفجاج السَّحرِ الحلالِ فتسنَّما ،
وما أشبهه في لين المهزِّ ، وإجادةِ المحزِّ ، بقول ابن المعتزِّ :

صبينا عليها ظالمين سياطنا فطارت بها أيدٍ سراعٌ وأرجلُ

وأنشدني له من قصيدة^٤ :

مرتُ على الأيامِ من كل جانبٍ أصعدُ فيها تارةً وأصوبُ
ينمُّ بي الثغرانِ : صُبْحٌ وصارمٌ ويكتمني القلبانِ : نَقْعٌ وغيبُ
وقد لفظتني الأرضُ إلا تنوِّفةً يحدُّثني فيها العيانُ فيكذبُ

١ ديوانه ابن هاني : ١٨٩ .

٢ هو أبو علي الحسن بن حسان ، قرطبي عاش في زمان عبد الرحمن الناصر وأصله من وادي

الحجارة وقد عرفت به وبمصادر ترجمته في القسم الأول : ٥١٢ وبهتة هذا في المغرب ٢ : ٣٧

والقسم الأول من الذخيرة : ٣١٢ ، ٥١٢ .

٣ ط د : لو .

٤ زهر الآداب : ٣١٠ ونهاية الأرب ١٠ : ٥٩ .

٥ انظر القلائد والمطرب .

وهذا كقول المتنبي^١ :

وغادر الهجرُ ما بيني وبينكم يهماءَ تكذبُ فيها العينُ والأذنُ
ومن شعر ابن عبدون في الرثاء والتأبين قوله ممّا أنشدنيه في أخيه عبد
العزيز يرثيه :

رويدكَ أيُّها الدهرُ الخوونُ	ستأكلنا وإياكَ المتونُ
تعلّنا الأمانِي وهي زورُ	وتخدعنا الليالي وهي خُونُ [١٣٦أ]
وكم غرَّتْ بيزيرِجها قروناً	فما أبقتْ ولا بقتِ ^٢ القرون
فُجِعَتْ بزاهرٍ من سِرِّ فهِرٍ	كبدِ التِّمِّ هالتهُ عرين
بأروعَ ملءِ عينِ الحُسْنِ قيداً ^٣	إذا أخذت مجاريها العيون
منيرِ العِرْضِ فضفاضِ المساعي	طويلِ الباعِ ناديه رزين
سمتُ فوق السماءِ به ظهورُ	وما حطَّتْهُ إذ حطَّتْ بطون
فأنضبتِ المنايا منه بجرّاً	جواريه صفونُ لا سفين
وأغمضتِ البسيطةُ منه نصلاً	طوابعهُ قبولُ لا قيون
مضى مَنْ لو سبقتُ لما تعزّى	ولا جفّتْ له بعدي جفون
وأبقتني يدُ الأيامِ فرداً	كما غدّرتْ بيسراها اليمين
وهل يبقى على غيرِ الليالي	شفيقُ أو شقيقُ أو قرين

وقال يرثي ذا الوزارتين أبا محمد بن خلدون^٤ ، وكان استشهد يوم الجمعة
المشهور :

١ ديوان المتنبي : ٤٦٨ .

٢ س : أنت .

٣ ط د : قيد .

٤ ذكره في النسخ ٣ : ٢٤٢ وأنه كان مع أبي الوليد ابن زيدون وابن عمار ، وانظر بدائع
البداهة : ٢٢٥ - ٢٢٦ .

ملكت فأسجج لا أبا لك يا دهرُ
رثته فقلنا إنها لتماضر^١
مضى لم يبرث عنه الرئاسة وارث
وما كان إلا الغيث ألق جُملة
فيا ليتي بين العوالي وبينه
لأطبق منه بالعشا حدق القنا
أني كل عام في العلا فتكة بكر
وان ابن خلدون لسمفودها صخر
ولولا المساعي الزهر لانتقطع الذكر
فلم يك منه لا غدير ولا زهر
وقد ملككتني من أعتتها فهر
ضرابي وإن كانت لها الأعين الخزر

فيا لأبي محمد بن عبدون في الحرب الزبون ، مجنأ ليس بحصين ، ليته
كلما شهد وقعة كان كمجن^٢ ابن أبي ربيعة ، حسبه الكتب من الكتاب ،
وكفاه اعتناق القضب من خراط القواضب ، وأرى فهرأ لو ملكته يومئذ
أعنتها ، وجعلت إليه سيوفها وأسننها ، لمات ميتة ضحاكية^٣ ، أوحى
حياة فهرية قطنية^٤ ، ونحر البيت وعموده ، وضاع الرعيل ومن يقوده .
وقال من قصيدة له فريدة ضمنها من أباده الحدثان ، من أكثر ملوك
الزمان^٥ :

١ تماضر : الخساء .

٢ ط : كجر ؛ د : كجد ؛ س : كحق ؛ والإشارة إلى قول عمر بن أبي ربيعة :

فبات عني دون من كنت أتقي ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

وقيل ان يزيد بن معاوية عرض جيش أهل الحرة فمر به رجل من الجند معه ترس خلق ،
فقال له يزيد : ويحك ، ترس عمر بن أبي ربيعة كان أحسن من ترسك (الأغاني ١ : ٩١) .

٣ أي مات كما مات الضحاك بن قيس الفهري .

٤ أي طالت حياته كما طالت حياة عبد الملك بن قطن الفهري والي الأندلس (ابن عذاري
٢ : ٣٢) .

٥ وردت مشروحة ، شرحها ابن بدرون (ونشرها دوزي ، ونشرت بمصر ١٣٤٠) وهي
في المطرب والمعجب والقوات والنفع ونهاية الأرب ٥ : ١٩٠ . وبمضها في المغرب والرايات :
٣٢ (غ) والواقى للرندي : ١١٦ وساقارن نصها في الذخيرة بالقوات .

الدهرُ يفجعُ بعدَ العينِ بالأثر
 أنْهَكَ أنْهَكَ لا آلوكَ موعظةً^١
 فالدهرُ حربٌ وإنْ أبدى مسألةً
 فلا تغرّنكَ من دنياك نومتها
 ما لليالي أقالَ الله عثرتنا
 تسرُّ بالشيء لكنْ كي تغرَّ به
 كم دولةٍ وليت بالتصيرِ خدمتها
 هوت بدارا وفلت غرَبَ قاتله
 واسترجعت من بني ساسانَ ما وهبت
 واتبعت أختها طسماً وعاد على
 وما أقالَت ذوي الهيئات من يَمَنٍ
 ومزقت سباً في كلِّ قاصيةٍ
 وأنفدت في كلِّ سبٍ حُكْمها ورمت
 ودوّخت آلَ ذبيانٍ وجيرتهم
 وما أعادت على الضليلِ صِحَّتته
 وألحقت بعدي بالعراقِ على

فما البكاءُ على الأشباحِ والصُّورِ
 عن نومةٍ بين نابِ الليثِ والظَّفَرِ
 والسُّودُ والبيضُ مثلُ البيضِ والسُّمَرِ
 فما سجيّةٌ^٢ عينيها سوى السهرِ
 من الليالي وخانتها يدُ الغيرِ^٣
 كالأيّمْ ثار إلى الجاني من الزهرِ
 لم تُبقِ منها وسَلْ ذكراك من خبر
 وكان عَضْباً على الأملاكِ ذا أثرٍ [١٣٦ب]
 ولم تدعُ لبني يونانَ من أثر
 عادٍ وجُرْهُمَ منها ناقضُ المررِ
 ولا أجارت ذوي الغاياتِ من مضرِ
 فما التقى رائحُ منهمُ بمبتكرِ
 مهلهلاً بين سَمْعِ الأرضِ والبصرِ
 نحماً وعَضَّتْ بني بدرٍ على النهرِ
 ولا ثنّتْ أسداً عن ربّها حُجْرُ
 يدِ ابنه أجمَرَ العينينِ والشعرِ

١ د والفوات : معذرة .

٢ الفوات : صناعة .

٣ س وأصل ط : القدر .

٤ د : منها .

٥ ط : وضعت .

٦ أحمر العينين والشعر : وصف النعمان بن المنذر ؛ وقد سُمي في قتله زيد بن عدي بن زيد ثاراً لأبيه (شرح البسامة : ١٢٨ وما بعدها) .

وبلَّغَتْ يَزْدَجَرَدَ الصِّينَ واختزلتْ
ولم تكفَّ مواضي رستمِ وقنا
ومزَّغَتْ جعفرًا بالبيض واختلستْ
وأشرفتْ بِخُبَيْبٍ فوق قارعةٍ
وخضبتْ شَيْبَ عَثْمَانَ دماً وخطتْ
ولا رَعَتْ لأبي اليقْظَانِ^١ صحبته
وأجزرتْ سيفَ أَشْقَاهَا أبا حسن
وليتها إذ فِدَتْ عمرًا بخارجةٍ
وفي ابنِ هَندٍ وفي ابنِ المصطفى حسنٍ
فبعضنا قاتلٌ ما اغتاله أحدٌ
وأردتْ ابنَ زِيَادٍ بالحسينِ فلمْ
وعمَّمتْ بالطبا فودَّيْ أبي أنسٍ
وأنزلتْ مصعباً من رأسٍ شاهقةٍ
ولم تراقبْ مكانَ ابنِ الزُّبَيْرِ ولا
ولم تدعْ لأبي الذُّبَّانِ ماضيةً^٢
وأظفرتْ بالوليدِ بنِ اليزيدِ ولم
ولم تعدْ قُضْبُ السِّفَّاحِ ناييةً

عنه سوى الفرسِ جَمَعَ التُّركَ والخزِرَ
ذي حاجبٍ عنه سَعْدًا في ابنة الغيرِ
من غيله حمزةَ الظَّلَامِ للجزُرِ
وألصقتْ طلحةَ الفَيَاضِ بالعَقَرِ
إلى الزُّبَيْرِ ولم تستحي من غمرِ
ولم تُزَوِّدْهُ إِلَّا الضَّيْحَ في الغمرِ
وأمكنَتْ من حسينٍ راحتي شمرِ
فَدَتْ علياً بمن شاءتْ من البشرِ^٣
أنتِ بمعضلةِ الألبابِ والفكرِ
وبعضنا ساكتٌ لم يؤتَ من حصرِ
يَبْؤُ بِشَيْعٍ له قد طاحَ أو ظُفِرَ
ولم يَرُدَّ الرَّدَى عنه قنا زفرِ
كانت به مهجةُ المختارِ في وزرِ
رعت عيادتهُ بالبيتِ والحجرِ
ليس اللطيمُ لها عمروٌ بمنتصرٍ
تُبَّتْ الخِلافةَ بين الكأسِ والوترِ
عن رأسِ مروانٍ أو أشياعهِ الفجرِ

١ أبو اليقظان : صابر بن ياسر (شرح البسامة : ١٥٤) .

٢ ورد في طراز المجالس : ١٣٢ .

٣ شرح البسامة : قاصية ؛ د : قائمة ، وأبو الذبان هو عبد الملك بن مروان .

٤ ط د : بمجتجر (اقرأ : بمجتجر) ؛ س : بمقتخر ؛ واللطيم هو عمرو الأشدق بن سميد بن العاص .

وَأَسْبَلَتْ دَمْعَةَ الرُّوحِ الْأَمِينِ عَلَى
وَأَشْرَقَتْ جَعْفَرًا ، وَالْفَضْلُ يُنْظَرُهُ
وَأَخْضَرَتْ فِي الْأَمِينِ الْعَهْدَ وَانْتَبَذَتْ
وَمَا وَفَتْ بَعْهَوْدِ الْمُسْتَعِينِ وَلَا
وَأَوْثَقَتْ فِي عَرَاهَا كُلَّ مُعْتَمِدٍ
وَرَوَّعَتْ كُلَّ مَأْمُونٍ وَمُؤْتَمِنٍ
وَأَعْرَضَتْ آلَ عَبَّاسٍ لَعْلَهُمْ
بَنِي الْمَظْفَرِ وَالْأَيَّامُ مَا بَرَّحَتْ
سَحْقًا لِيَوْمِكُمْ يَوْمًا وَلَا حَمَلَتْ
مِنَ الْأُسْرَةِ أَوْ مِنَ الْأَعْنَةِ أَوْ
مِنَ الْبِرَاعَةِ أَوْ مِنَ الْبِرَاعَةِ أَوْ
أَوْ رَفَعَ كَارِثَةً أَوْ دَفَعَ آزِفَةً
وَيَحَ السَّمَاحِ وَيُوحِ الْجُودِ لَوْ سَلِمَا
سَقَّتْ ثَرَى الْفَضْلِ وَالْعَبَّاسِ هَامِيَةً
ثَلَاثَةً مَا رَقَى النَّسْرَانِ حَيْثُ رَقُوا
[ثَلَاثَةً مَا رَأَى الْعَصْرَانِ مِثْلَهُمْ
وَمَرَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فِيهِ أَطْيَبُهُ
مِنَ الْجَلَالِ الَّذِي عَمَّتْ مَهَابَتُهُ

دَمٍ بِفَخٍّ ١ لَّالِ الْمَصْطَفَى هَدَّارِ
وَالشَّيْخُ يُحْيِي ، بِرَيْقِ الصَّارِمِ الذِّكْرِ
بِجَعْفَرٍ فِي ابْنِهِ وَالْأَعْبُدِ الْغُدْرِ
بِمَا تَأْكُدُ لِلْمَعْتَزِ مِنْ مِرَرِ
وَأَشْرَقَتْ بِقَدَاهَا كُلَّ مُقْتَدِرٍ [١٣٧أ]
وَأَسْلَمَتْ كُلَّ مَنْصُورٍ وَمُنْتَصِرٍ
بِذِيلِ رَبَّاءَ مِنْ بَيْضٍ وَمِنْ سَمَرِ
مَرَاحِلَ وَالْوَرَى مِنْهَا عَلَى سَفَرِ
بِمِثْلِهِ لَيْلَةً فِي مُقْبِلِ الْعَمَرِ
مِنَ الْأُسْتَةِ يُهْدِيهَا إِلَى الثَّغَرِ
مِنَ السَّمَاحَةِ أَوْ لِلنَّفْعِ وَالضَّرَرِ
أَوْ رَدَعَ حَادِثَةً تَعْيَا عَلَى الْقَدَرِ
وَحَسْرَةَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا عَلَى عَمَرِ
تُعْزِي إِلَيْهِمْ سَمَاحًا لَا إِلَى الْمَطَرِ
وَكُلُّ مَا طَارَ مِنْ نَسْرِ وَلَمْ يَطْرَ
فَضْلًا وَلَوْ عَزَّوَا بِالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ٣
حَتَّى التَّمَتُّعُ بِالْأَصَالِ وَالْبَكْرِ
قُلُوبَنَا وَعَيُونََ الْأَنْجَمِ الزَّهَرِ

١ ط د : يسح ؛ والمقتول بفخ هو الحسين بن علي بن حسن بن حسن ، واستشكل ابن بدرون
هنا على الشاعر لقوله « وَأَسْبَلَتْ دَمْعَةَ الرُّوحِ الْأَمِينِ » إِذْ أَنَّ دَمْعَةَ الرُّوحِ الْأَمِينِ لَمْ تَسْبَلْ عَلَى
قَتِيلِ فَخٍّ وَإِنَّمَا عَلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ نَفْسُهُ (انظر ص : ٢٢٠ من شرح البسامة) .
٢ من هنا حتى آخر القصيدة لم يرد إلا في س .
٣ زيادة لاتصال السياق .

أَيْنَ الْإِبَاءُ الَّذِي أَرْسَوْا قَوَاعِدَهُ
 أَيْنَ الْوَفَاءُ الَّذِي أَصْفَقُوا شَرَايِعَهُ
 كَانُوا رَوَاسِيَ أَرْضِ اللَّهِ مِنْذُ نَازُوا
 مِنْ لِي - وَلَا مَنْ - بِهِمْ إِنْ عَطَلْتَ سَنَنْ
 مِنْ لِي - وَلَا مَنْ - بِهِمْ إِنْ طَبَّقْتَ عَن
 عَلَى الْفَضَائِلِ - إِلَّا الصَّبْرُ - بَعْدَهُمْ
 يَرْجُو عَسَى وَلَهُ فِي أُخْتِهَا أَمَلٌ
 عَلَى دَعَائِمٍ مِنْ عَزِيٍّ وَمِنْ ظَفَرٍ
 فَلَمْ يَرِدْ أَحَدٌ مِنْهَا عَلَى كَدَرٍ
 عَنْهَا اسْتَطَارَتْ بَعْنٌ فِيهَا وَلَمْ تَقِرْ
 وَأُخْفِيَتْ أَلْسُنُ الْأَيَّامِ وَالْبَشَرِ
 وَلَمْ يَكُنْ وَرْدُهَا يَفْضِي إِلَى صَدْرِ
 سَلَامٌ مُرْتَقِبٌ لِلْأَجْرِ مُتَنْظِرٌ
 وَالْدَّهْرُ ذُو عُقَبٍ شَتَّى وَذُو غَيْرِ

وقد سلك بعض أهل عصرنا هذه السبيل ، وهو أبو جعفر الكفيع
 التطيلي^١ ، فقال^٢ :

خَذَا حَدَّثَانِي عَنْ فُلٍ وَفُلَانٍ
 وَعَنْ دَوْلٍ جُسْنُ الدِّيَارِ ، وَأَهْلِهَا
 وَعَنْ هَرَمَتِي مَصْرَ الْغَدَاةِ أُمْتَعَا
 وَعَنْ نَخْلَتِي حُلُونٍ كَيْفَ تَنَاءَتَا
 وَطَالَ ثَوَاءُ الْفَرَقْدِينَ لَغْبَطَةٌ
 وَزَايِلَ بَيْنَ الشَّعْرَيْنِ تَصْرُفٌ^٣
 فَإِنْ تَذَهَبَ الشَّعْرَى الْعَبُورُ لَشَانِهَا
 وَجُنَّ سَهِيلٌ بِالثَّرِيَّا جُنُونَهُ
 لَعَلِّي أَرَى بَاقِيَّ عَلَى الْخَدَثَانِ
 فَنِينَ ، وَصَرَفُ الدَّهْرِ لَيْسَ بِفَانٍ
 بَشْرَخِ الشَّبَابِ أَمْ هُمَا هَرَمَانٍ
 وَلَمْ تَطْوِيَا كَشْحًا عَلَى شَتَانٍ^٢
 أَمَا عَلِمَا أَنَّ سَوْفَ يَفْتَرِقَانِ
 مِنَ الدَّهْرِ لَا وَاوٍ وَلَا مَتَوَانٍ
 فَإِنَّ الْغُمَيْصَا فِي بَقِيَّةِ شَانٍ
 وَلَكِنْ سَلَاةٌ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ

١ ديوان الأعمى التطيلي : ٢٢٤ ومر منها بيتان ض : ٤٨٧ .
 ٢ نخلتنا حلوان اللتان ذكرهما مطيع بن اياس في شعره ، وقيل انه قطع للرشيذ جمار إحداهما
 فماتت ، انظر ثلاثة شعراء عباسيون : ٦٩ .
 ٣ الديوان : مصرف .

وهيهات من عدل القضاء وجوره
فأجمع عنها آخر الدهر سلوة
وأعلن صرّف الدهر لابني نويرة
وكانا كسند مانّي جذيمة حقة
فهان دم بين الدكادك واللوى^٣
وضاعت دموع بات يبعثها الأسى
ومال على عبس وذبيان ميلة
فعوجا على جفّر الهباءة^٤ فاعجبا
دماء جرت منها التلاع بملئها
وأيام حرب لا يتأدى وليدوها
فأب الربيع^٥ والبلاد تهرة
وأنحى على ابني وائل فتهاصرا
تعاطي كليب فاستمر بطعنة

١ الدبران : نجم يدبر الثريا ، بينها وبين الجوزاء .

٢ إشارة إلى قول متمم بن نويرة في رثاء أخيه مالك (المفضلية : ٦٧)

وكانا كندمانى جذيمة حقة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

ونمانا جذيمة هما عقيل ومالك اللذان يقول فيهما أبو خراش الهذلي :

ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا خليلا صفاء مالك وعقيل

٣ إشارة إلى قول متمم :

وقالوا أتبكي كل قبر رأيت له قبر ثوى بين اللوى فالدكادك

٤ جفر الهباءة : مستنقع ببلاد غطفان قتل فيه عدد من بني فزارة ، أخذوا على غرة .

٥ الاعلاق الشامي رهن من بني عبس قتلهم حذيفة بن بدر في اليعمرية قبل جفر الهباءة .

٦ هو الربيع بن زياد الحبشي .

وبات عديّ بالذنائب يصطلي
فلت رقاب من رجال أعزة
وهبوا يلاقون الصّوارم والقنا
فلا خدّ إلا فيه حدّ مهند
وطال على الجنّين بالشعب فأنثى
وأمضى على أبناء قيلة^٣ حكمته
ولو شاء عدوان الزمان ولم يشأ
وأى قبيل لم تُصدّع جميعهم
خليلي أبصرت الردى وسمعته
خذنا من فمي هلاّ وسوف فلاني
ولا تعداني أن أعيش إلى غد

بنار وغى ليست بذات دخان^١
إليهم تنهى عز كل زمان
بكل جبين واضح ولبان
ولا صدر إلا فيه صدر سنان
بأسلاب مطلول وربقة عان^٢ [١٣٧ب]
على شرس أدلوا به وليان
لكان عذير الحي من عدوان
بيكر من الأرزاء أو بعوان
فإن كنتما في مريبة فسلاني
أرى بهما غير الذي تريان
لعل المنايا دون ما تعداني

وقد تقدّم أيضاً إلى هذه الطريقة جماعة من المتقدمين والمتأخرين* ،

١ عدي : هو مهلهل بن ربيعة أخو كليب ، والذنائب : اسم موضع يذكره مهلهل في قوله :
فإن يك بالذنائب طال ليلى فقد أبكي من الليل القصير
وفي ط : علي .

٢ الشعب : شعب جبلة ، وفيه يوم من أيامهم ، والجنّون : عمرو ومعاوية ابنا شراحيل ابن
الجنّون وقد أسرها بنو عامر يوم الشعب (شرح النقائض : ٤٠٧) .

٣ ابنا قيلة : الأوس والخزرج .

٤ عدوان : قوم ذي الأصبع ، تفانوا ، وفيهم يقول ذو الأصبع :
عذير الحي من عدوان كانوا حية الأرض
بغى بعضهم بعضاً فلم يبقوا على بعض

وانظر ما تقدّم ص : ١٢

ه والمتأخرين : سقطت عن ط .

قال أبو العلاء المعري ^١ :

أصاب الأنفخين بصيرُ خطبٍ وعِيلَ المازنيِّ من الليالي
وزندٍ من خطوبِ الدهر واري وللجرميِّ ما اجترمتُ يداه
وحسبُك من فلاحٍ أو بوار وأما فترخه ^٢ فبلا جناحٍ
يطيرُ بحملِ أقلامِ جوارٍ وما نفعَ المبرِّدَ من حميمٍ
وصادتْ ثعلباً نوبٌ ضوارٍ

وقال ^٣ :

أصحابُ أَيْكة ^٤ أهلكوا بظهيرةٍ كسرى أصابَ الكسرُ جابرَ ملكه
حميتْ وعادُ بالرياحِ الصرصر والقصرُ كَرَّ على تطاولِ قيصر

وقال ^٥ :

أعيا سوارُ الدهرِ كلَّ مساوٍ فاحذرْ وإنْ بعدتْ غزاتك في العدا
ورمى الخليلَ بأسهمِ الأسوار جرتِ القضايا في الأنامِ وأمضيتْ
قدراً أغار على أبي المغوار ^٦ صدقاً بأسوارٍ ولا أسوار ^٧

١ اللزوميات : ١٤٢ / ١٤١ : ٣٢٨ .

٢ فرخ الجرمي : كتابه ، كان يسمى فرخ سيويه .

٣ اللزوميات ١٤٢ ب ١٤ : ٣٣٠ .

٤ اللزوميات : أصحاب ليكة .

٥ اللزوميات ١٤٤ / ١٤١ : ٣٣٤ .

٦ أبو المغوار أخو كعب بن سعد الفنوي ، وقد رثاه كعب بقصيدة مشهورة .

٧ ط د : بأسرار ولا أسرار ؛ والأسوار في القضايا المنطقية مثل « كل » و « بعض » فإذا عريت منها فهي بلا أسوار .

في ذكر الأديب أبي جعفر أحمد بن عبد الله بن هريرة القيسي الأعمى التطيلي^١

له أدبٌ بارع ، ونظرٌ في غامضه واسع ، وفهمٌ لا يجارى ، وذهنٌ لا يبارى ، ونظمٌ كالسحر الحلال ، ونثرٌ كالماء الزلال ، جاء في ذلك بالنادر المعجز ، في الطويل منه والموجز ؛ نظم أخبار الأمم في لبّة القريض ، وأسمع فيه ما هو أطرف من نغم معبد والغريض . وكان بالأندلس سرّ الإحسان ، وفرداً في الزمان ، إلاّ أنّه لم يطل زمانه ، ولا امتدّ أوانه ، واعتبطَ عندما به اغتبط ، وأضحّت نواظر الآداب لفقده رَمِدَةً ، ونفوسُ أهله متفجّعة كدّة . وقد أثبت ما يشهدُ [له] بالإحسان والانطباع ، ويثني عليه أَعْنَةُ السماع .

١ ذكر الصفيدي (نكت الحميان : ١١٠) أنه توفي سنة ٥٢٥ ، وترجمته في المغرب ٢ : ٤٥١ والمسالك ١١ : ٣٨٩ (وفيها نقل عن الذخيرة) والقلائد : ٢٧٣ والخريدة ٣ : ٥١١ (قسم المغرب) وبغية الملتبس رقم : ٤٢٩ والسلفي : ١٦ وله ذكر في الروض المعطار : ١٣٣ ، ١٩٦ وبدائع البدائه : ٢٤٦ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٤ والنفع (انظر الفهرست تحت : الأعمى التطيلي) وقد ورد اسم أبيه في نسخة حلّيم من الذيل والتكملة (الورقة : ١٦٧) « عبيد الله » وترد له كنيّتان أبو جعفر وأبو العباس ؛ وقد كنت نشرت ديوانه اعتماداً على نسختين خطيتين (بيروت ١٩٦٣) وصدرته بمقدمة في دراسة حياته وشعره ، وضمت إلى الديوان موشحاته من دار الطراز وجيش التوشيح وغيرهما ، ولكن هذه الترجمة التي أوردها ابن بّسام (والتي انفردت بها النسخة س) قد احتوت شعراً لم يرد في ديوانه ونثراً لم تورده المصادر الأخرى ، إلا أن انفراد « س » يحمل بعض القراءات أحياناً غير دقيقة ، بكل أسف .

فمن ذلك رقعة كتب بها إلى بعض إخوانه يعاتب : شاكرك أو شاكيك ،
من لا يحمد ولا يذم الأيام فيك : يا سيدي - كناية عن ذكره ، لا توخياً
لبره ، وإحياء رغبة في إنصافه . لا طمعاً في استعطافه - الذي عاطيته كأس -
الوداد فأمرها . وزفقت إليه بنت الفؤاد فأضر بها وأضرها ، ومن أطال
الله بقاءه ممتعاً بظل السلطان . وإقبال الزمان : فإن الرجل بسلطانه ، لا
بإخوانه ، وباقبال زمانه ، لا بإحسانه ، إني - أعزك الله - وإن كان الدهر
وضعني ورفعك ، وضاق عني ووسعك ، بين جنبي نفس عصام ، وبين
فكي صارم بسطام ، إذا ضيم الرجال فليست بالمضروب زيد ، وإذا
تكلّم القول فليست بسعيد بن حميد :

« الشجر شجوي والعويل عويلي » *

لا أستعير عيناً للبكاء ، ولا أبتغي بكبدي كبداً سليمة من الأرزاء .

وإنك أعزك الله - لما تكلّمت بلسان سهل بن هارون . وجلست مجلس
الفضل من المأمون . وخدمك الدهر ، واثالث في يدك الأنجم الزهر ،
قلت : أحمد وعلي . وإن لم يكن شيع فري^٢ . أسواء من أعنق أو نص ،
وأين من ولي حلب ممن ولي حمص ، وعلى رسلك : ما كنت أنا الغلط في
مثلك . إني أبيت ظمان ، ولا أبيت خزيان . وأحتمل الحرمان ، ولا أحتمل
الهوان . وليت هذا الأمر وقلبك لي معمور . وأنت بزعمك إلي فقير .
وأنا أظن أني سأولتي وأعزل . وأحدث في كنفك وأعدل . فما هو إلا

١ شطر بيت لرمادي - وقبله : « من حاكم بيني وبين عدولي » .

٢ يشير إلى تمر لامرئ القيس جاء فيه :

فمنألا بيتنا أقطأ وسمنا وحسبك من غنى شيع وري

أَنْ نَبَتْ قَدَمَكَ ، وَخَفَقَ عِلْمَكَ . وَوَابِتَلَ قِرطَاسَكَ وَقَلَمَكَ ، [حَتَّى]
اِخْتَصَرْتَ شَطْرَ السَّلَامِ ، وَدَفَعْتَ فِي صَدْرِ الْقِيَامِ . وَغَزَلْتَ فَلَانًا قَبْلَ
الْوَلَايَةِ ، وَاقْتَصَرْتَ بِأَبِي الْأَصْبَغِ دُونَ الْغَايَةِ ، هَيْئَةً أَنَا كُنْتُ مَعْنَاهَا ، وَكَأَسُ
لِي شَعَشَعَتِ حُمَيَّاهَا ، وَوَلَايَتِكَ خَطَرَ ، وَفِي عَمَلِكَ نَظَرَ . إِنَّمَا هُوَ ظَلَّ
عِمَامَةً . وَمَبِيضَ حِمَامَةٍ : ثُمَّ تَعَوَّدُ إِلَى اسْتِحْلَاسِ الْبَيْتِ . وَأَكْثَلَ الْخَبْرِ
بِالزَّيْتِ .

وَكُتِبَ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ بْنِ بِياعٍ^١ بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ وَالشَّعْرَ الَّذِي بَعْدَهَا : يَا
عِمَادِي الَّذِي شَفَّ قَدْرُهُ عَلَى الْأَقْدَارِ . شَفَوَفَ الضُّحَى عَلَى الْإِبْدَارِ ،
وَسَرَى ذِكْرَهُ بِأَطْيَبِ الْأَخْبَارِ . مَسَرَّى النِّسِيمِ بِالْأَزْهَارِ . وَامْتَرَجَ حَمْدُهُ
وَشَكَرَهُ بِالْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ . امْتَرَجَ الْمَثَانِي بِالْأَزْيَارِ .

وَفِي فَصْلِ مِنْهَا : وَإِنْ كُنْتُ ضَيِّقَ الْبَاعِ مُزْجَى الْبُضَاعَةِ . فِي غَيْرِ
وِرْدٍ وَلَا صَدَرٍ مِنْ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ ، فَانِي أَقُولُ بِفَضْلِهَا : وَأَعْرِفُ الْحَسَنَ
مِنْ أَهْلِهَا . وَأَعْرِضُ بِنَفْسِي — فَادِيَتِكَ — لِلتَّلَافِ فِي حَبْلِهَا . وَالتَّصَرُّفِ
بَيْنَ جِدَّتِهَا وَهَزْلِهَا ؛ وَلَمْ أَزَلْ مِنْذُ تَخَيَّلَ جَنَانِي . وَتَقُولَ لِسَانِي ، وَأَدْبَرَ
مَتَلَكِّي أَوْ شَيْطَانِي : أَلْتَمَسُ مِنْ أَهْلِ هَذَا الشَّانِ إِمَامًا أَسْعَى بِاسْمِهِ وَأَحْفَدُ .
وَأَقِيسُ عَلَى حُكْمِهِ وَأَقْلُدُ ، وَأَحِلُّ بَيْنَ تَهْمِهِ وَأَعْقُدُ . وَالنَّاسُ كَثِيرٌ .
وَالنَّاقِدُ بَصِيرٌ ، وَلِلْأُمُورِ أَعْجَازٌ وَصُدُورٌ . فَكَيْفَ تَرَانِي اتَّخَذْتُكَ خَلِيلًا ،

١ ذكره ابن بسام في الذخيرة ١ : ٧٦ وأورد له بيتاً على وزن قصيدة الأعمى التالية وروىها
وجاء عند السلفي ذكره عرضاً (ص ١٢٢) واسمه علي بن بيباع (كما سيجيء في القصيدة)
وهو سبقي النسبة ، وقد نقل بعض شعره وشعر غيره من المغاربة أبو عمران السبقي وأنشده
السلفي .

وَذَخَرْتُكَ عَلَى الْأَيَّامِ عَهْدًا مَسْؤُولًا . وَبَايَعْتُكَ عَلَى الطَّاعَةِ وَالسَّمْعِ .
وَشَايَعْتُكَ سِرِّيَ الْإِسْطَاعَةِ وَالْوَسْعِ ، فَعَوَّلْتُ عَلَيْكَ كَعْبَةً أَوْ لَتِي وَجْهِي شَطْرَهَا ،
وَأَسْنَدْتُ لِيْلِكَ هَضْبَةً إِنْ خَشِيَ سِوَايَ وَعَرَهَا . لِأَكُونَ قَدْ قَدَّرْتُ
هَذِهِ الصَّنَاعَةَ قَدْ رَهَا . وَأَبْلَغْتُ نَفْسِي فِي ظِلِّهَا وَالتَّلَقُّ بِسَبَبِهَا عُدْرَهَا .

وَفِي فَصْلِ مِنْهَا : وَكَتَبْتُهَا عَنْ جَنَّانٍ بِلِقَائِكَ صَبَّةً . وَلِسَانٍ بِشُكْرِ آثَاكَ
رَطْبًا ، وَشَاهِدٍ سَرِيرَةٍ وَإِعْلَانٍ لِأَوَايَاكَ نَهَبًا . وَعَلَى أَعْدَاكَ إِلْسَابًا .
وَعِنْدِي مِنَ الْقَوْلِ بِإِمَامَتِكَ . وَالْحَرَصِ عَلَى سَلَامَتِكَ . وَالشُّكْرِ لِأَيَادِيكَ .
وَمُنَافَسَةِ أَهْلِ ذَلِكَ الْقَطْرِ فَيْكِ . مَا لَا يَسَعُهُ نَظْمٌ وَلَا نَثْرٌ . وَلَا يَحِيطُ بِهِ
عَدَدٌ وَلَا حَصْرٌ .

وَفِي فَصْلِ : وَلَمَّا حَجَّجْتَ سَنَّاكَ . وَنَظَرْتَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمُنْهَزِمِ إِلَى السَّلَآمِ .
وَتَنَكَّبَ الْحَادِي ذِرَاكَ . وَقَرَّبْتُ مِنْكَ بِمَكَانِ الدَّبْرَانِ مِنَ النُّجُومِ . وَاسْتَمَرَّ
الزَّمَانُ عَلَى عَادَتِهِ فِي إِمَالَةٍ حَالِيَةٍ . وَظَفَرَ بِإِرَادَتِهِ مِنْ عَكْسِ أَرَاغِيٍّ وَأَمَالِيٍّ ،
خَاطَبْتُ الْخَضِرَةَ الْبَهِيَّةَ الْمَزْدَانَةَ بِمِثْلِي — دَامَ عِزُّهُ — بِأَيَّاتٍ مِنْ ذَلِكَ الْهَذْيَانِ .
الْحَالِيَّ إِلَّا مِنَ الْبَيَانِ . أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ : بَلْ لَهَثَاتٍ مِنْ ذَلِكَ الْبِرْسَامِ . الْمُتَوَلِّدِ
عَنْ عَكْسِ الْإِحْتِدَامِ . وَهِيَ عَلَى حَالِهَا نَاطِقَةٌ بِلسَانٍ شُكْرَهَا . سَافِرَةٌ
عَنْ وَجْهِ عُدْرَهَا . وَقَدْ زَفَقَتْهُنَّ إِلَيْكَ . وَاسْتَسَبَّحَتْهُنَّ عَنِّي فِي الْمَثْوَى بَيْنَ
يَدَيْكَ . غَيْرَ — وَاللَّهِ — مَبَاهٍ لِيْكَ . وَلَا مُتَشَبِهٍ بِكَ . وَلَا طَمَعًا فِي اقْتِفَاءِ آثَارِكَ .
فَضْلًا عَنْ شَقِّ غِبَارِكَ . وَلَكِنْ تَغْنَمًا لِمَسَرَّتِكَ . وَاعْتِلَاقًا بِمَهْرَتِكَ . وَخِدْمَةً
لِلْعَلِيَّةِ حَضْرَتِكَ . وَلَتَرَى أَيْنَ أَقَعَ . بِمَا أَصْنَعُ . وَلَوْلَا أَنْ أَعْدَتْنِي طُورِي .
وَأُحَوَّرَ بَعْدَ كَوْرِي . لَقُلْتُ : إِنْ تَفَضَّلَ سَيِّدِي وَإِمَامِي بِجَوَابِ عَزِيزِ لَيْسَطٍ
نَفْسِي ، وَبِرْدِ شَارِدِ أَنْسِي . فَعَلَّ .

وأول الشعر ١ :

أبا حسنٍ دعاءٌ أو حنيناً
أتأذَنُ في التظلمِ من زمانٍ
ولو أنَّ الخيالَ يتوبُ عني
ولولا أن أدلّس في التلاقي
فلم ترَ بيننا وأبيك فرقاً
ذكرتك ذكراً جَدَّبتك نحوي
وأعلمُ أنها كهواك سحر
بلى إن يدنُ طيفُك من وسادي
وكيف يحسُّ طيفُك أو يراه
معنى لا يزالُ سَميرَ شوقٍ
يؤرقُه بعداك كلَّ ليلٍ
كانَ نجومُه أقداحُ شَرَبٍ
أبا حسن وأينُ الحسنُ مما
لك الفضلُ الذي هو فيك طبعٌ
قتلتَ حقائقَ الأشياءِ علماً
نَمَتَكَ إلى المكارمِ والمعالِي
صقورٌ أو بدورٌ أو بحورٌ
إذا شهدوا القطارَ فسوف تدري
بنو الهيجاء طاروا في وغاها

ولا آلوك إن كانت خبالا
عدا تلك الزيارة والوصالا
لأبلغك الكرى قصصاً طوالا
لزررتك حيثُ تعرّفُ الخيالا
سوى أنني أحنُّ إذا أحالا
فهل أحسنتُ نقلاً أو نقالا
ولكن كيف تستهوي الجبالا
فقد سميتها السحرَ الحلالا
ولو نصبَ الحبائلَ والحبالا
عهدتَ لبرحه ألا يزالا
توهّمَ طولَ زفرته فطالا
إذا زيدت هدى زادت ضلالا
تشيرُ به فعلاً أو مقالا
إذا احتقبوه غصباً وانتحالا
كفاك البحثُ عنها والسؤال
إذا نجم تكارم أو تعالى
وإن لم تلقَ مثلهم رجالا
لآية عِلّة شهدوا القتالا
وإن كانت حلومهم ثقالا

١ انظر الديوان : ٢٤٣ .

٢ الديوان : القتال .

إِذَا زَبَنَتْهُمْ شَنُّوا عَلَيْهَا
 وَنَعَمِ النَّازِلُونَ عَلَى الرُّوَابِي
 إِذَا اكْفَتْ^١ الرِّيحُ بِحَيْثُ تَدْعُو
 وَلَوْ أَنِّي أَشَاءُ لَأَبْلَغْتَنِي
 قَلَانِصُ^٢ مَا رَحَلْنَاهُنَّ إِلَّا
 كَأَنْصَافِ الْبَرَى وَتَدْقُ عَنْهَا
 إِذَا انْبَعَثَ رَأَيْتَ قَسِيَّ نَبْعٍ
 تَنَاسِبُ شَدَقَمًا^٣ أَوْ أَذْكَرْتَهُ^٤
 [تَرَاعَ مِنَ السَّقَابِ إِذَا رَأَتْهَا
 وَقَدْ أَلْفَتْ بَنَاتِ الْفَقْرِ حَتَّى
 إِذَا لَمَعَ السَّرَابُ تَبَادَرْتَهُ
 وَبَيْنَ جَفُونِهَا مِنْهُ نَطَافُ^٥
 لَعَلَّكَ يَا عَلِيُّ^٦ لَهَا مَعَاذُ^٧
 وَتَبَسُّطَ^٨ أَوْ تَمَدُّ^٩ لَهَا يَمِينًا
 أُبَيْعُكَ يَا ابْنَ بَيْتَاعِ فَوَادِي
 وَأَصْفِيكَ الْوَدَادَ وَغَيْرُ^{١٠} وَدِّي
 لِمَلِكِ هَوَايَ تَكْرَمَةً^{١١} وَبِرًّا

جِيَادًا ضَمْتَرًا وَقَنَّا طَوَالَا
 إِذَا مَا الشَّمْسُ أَحْرَقَتْ الظَّلَالَا
 بِصُوبِ الْمَزْنِ خَالَقَهَا ابْتِهَالَا
 ذَرَاكَ ، وَلَوْ أَسِيءُ بِهَا فَعَالَا
 رَأَيْتَ بَيْنَ عَصْمًا أَوْ رَثَالَا
 شَوَاهَا دَقَّةً تَسْعُ الْخِلَالَا^٢
 وَتَحْسِبُهَا إِذَا بَرَكْتَ سَخَالَا^٣
 وَصَارَ لَهَا السُّرَى عَمًّا وَخَالَا
 وَتَشْتَاقُ الْأَزْمَةَ وَالرَّحَالَا^٤
 حَسِبْتَ الْغُولَ يَحْدُوهَا النُّعَالَا
 فَأَحْسِبُهَا تَرِيدُ بِهِ اشْتِمَالَا
 إِذَا سَمِعَ الْغُلِيلُ^٥ بَيْنَ خَالَا
 فَتَسْقِيهَا بِجَارًا^٦ أَوْ سَجَالَا
 غَدَا نَوَّءَ السَّمَاءِ لَهَا شِمَالَا
 وَغَيْرِي مِنْ إِذَا نَدَمَ اسْتِقَالَا
 إِذَا حَالَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ حَالَا
 إِذَا كَانَ الْهَوَى قِيْلًا وَقَالَا

١ الديوان : التقت .

٢ ورد البيت في الذخيرة ١ : ٧٦ .

٣ الديوان : إذا بلغت محالا .

٤ الديوان : أنكرته .

٥ زيادة من الديوان لاستكمال المعنى .

٦ الديوان : غماراً .

وَمَعْدَرَةٌ تَشِيرُ بَنَاتُ صَدْرِي	إِلَيْكَ بِهَا اخْتِصَارًا وَاحْتِفَالًا
عَدَا بِي أَنْ أَزُورَكَ صَرْفُ دَهْرِي	أَلَحَّ فَمَا أَطِيقُ لَهُ احْتِيَالًا
وَهُمْ ^١ مِنْ هُمُومِي ^١ لَوْ تَوَخَّيْ	طَرِيقَ الرِّيحِ كَانَ لَهَا عَقَالًا
إِذَا أَغْفَيْتُ رَاعَ إِلَيَّ مِنْهُ	عَبَّ لَا يُمَلِّ ^٢ إِذَا أَطَالَ ^٢
يُخَضِّضُ خِضْرًا مَدْمَعِي وَيَخْوِضُ فِيهِ	فَمَا يَدْعُ الْمَصُونَةَ وَلَا الْمَذَالَا
وَدُونَكُهَا وَأَنْتِ أَجَلٌ قَدْرًا	وَلَكِنْ عَادَةُ حُلْدَيْتِ مَثَالًا
فَإِنْ ضَاعَتْ لَدَيْكَ فَأَنْتِ شَمْسُ	يَشِبُّ تَعَسُّفِي فِيهَا الذَّبَالَا
وَلِنْ حَظِيَّتِي وَأَرْجُو أَنْ سَتَحْظَى	فَإِنَّ الشَّمْسَ نَوَّرَتْ الْهَلَالَا
عَلَى خَطَرٍ أَوْ أَنَّ اللَّيْلَ مِنْهُ	لَعَادَ شَبَابُ رَاكِبِهِ اكْتِهَالَا
وَعَبَّ ^٢ تَعَقَّبَ لَوْ كَانَ مِنْهُ	فَرَنْدَ السَّيْفِ مَا قَبِيلَ الصَّقَالَا

١ الديوان : هموم .

٢ هذا البيت والتالي له لم يردا في الديوان .

ومن شعره في النسب وما يناسبه

قال ١ :

هو الهوى وقديماً كنت أحذرُهُ السقمُ مورده والموتُ مصدرُهُ
يا لوعةً أجلاً من نظرةٍ أملٍ ٢ الآن أعرفُ رشداً ٣ كنتُ أنكره
جيدٌ من الشوقِ كان الهزلُ أولَّهُ أقلُّ شيءٍ إذا فكرتُ أكثره
ولي حبيبٌ دنا لولا تمنُّعُهُ ٤ وقد أقولُ نأى لولا تذكره

وله في قبينة كانت تسمّى للذينة ٥ :

يا قلبُ ذُبْ من أسيٍّ أو لا فلا تذبِ ما من تحبٍّ وإن تحرصُ بمقتربِ
ركبتَ هول الهوى عن غيرِ تجربةٍ وراكبُ الهولِ محمولٌ على العطبِ
قد صاب طعمُ الهوى من بعدما وضحتُ منه ضروبٌ منى أحلى من الضربِ
لبيتٍ داعيه لما أن دعاكَ وما دعاكَ داعي الهوى إلا إلى الشَّجبِ
حتى إذا نلتَ من تلك المنى جعلت تدعو عليك بطول الويل والحربِ
أيا لذيدُ ولا والله مذ حجبت عني لعيني في اللذاتِ من أربِ

١ الديوان : ٢٤٠ وانظر بغية الملتبس : ١٧٥ والقلائد : ٢٧٤ والخريدة ٢ : ٥١٩

والمسالك ١١ : ٣٩٠ والمغرب ٢ : ٤٥٢ .

٢ الديوان : يا لوعة هي أحل من جنى أمل ؛ المسالك : قربت من نظرة أجلا .

٣ الديوان : شيئاً .

٤ الديوان : وإن شط المزار به .

٥ منها أبيات في الديوان : ٢٤٧ .

تركتني يا حياتي للردى غرضاً
 يصلى فؤادي سعيراً من صباه
 يا رب قد سفكت أمّ الوفاء دمي
 وقد وهبت لها قلبي ، وما خطّري
 نسيت إلا تدانينا وموقفنا
 لما التقينا وقد قيل المساء دنا
 وأضلعي بين منقذ ومنقصف
 تأملني أخت المجد قائلة
 فقلت قلبي مسبي وإنك لو
 فأعرضت ثم قالت قد أسأت بنا
 فقلت إني امرؤ لما لقيتكم
 سبت فؤادي ذات الحال قادرة
 أشقى بها وهي عني في بلهنية
 أصابت القلب لما أن رمته ولو
 فقالت أشك إليها ما لقيت ولا
 عسى هواك سيّعديها فينصبها
 فقلت أعظمها بل ما أكلّمها
 قالت أنا أتولّى ذاك في لطف
 فقلت مثلك من يرجى لمعضلة
 قالت لها يا للذيد الحسن صاحبنا
 صليبه أو فاقتليه فالحمام له
 فلو تراني قد استسلمت مرتقباً

تفديك أُمّي من صرّف الردى وأبي
 والعين في لجة من دمعها السرب
 وقد تخوّفت يوماً أن تؤاخذ بي
 حتى يعاقب ذاك الحسن من سبي
 على مراقبة من أعين الرقب
 وغابت الشمس أو كادت ولم تغب
 وأدمعي بين منهل ومنسكب
 بمن أراك أسير الوجد والطرب
 كمت سري لم أكتمك كيف سبي
 ظناً ، أيجمل هذا من ذوي الأدب
 والمرء وقف على الأرزاء والنوب
 ولا نصيب له منها سوى النصب
 شتان والله بين الجدد واللعب
 رمته أخرى إذن لاشك لم تصب
 ترهب فلن تبلغ الآمال بالرهب
 وقد يكون الهوى أعدى من الحرب
 إلا أشار إليّ الموت من كتب
 فقد أؤلف بين الماء واللهب
 لازلت في غبطة ممتدة الطنب
 يهفو إليك وأضحى جيد مكتتب
 خير من الجهد في جيد وفي تعب
 منها حنان الرضى أو جفوة الغضب

حتى إذا ما ألأنت تلك جانبها
 طفقت أَلثمُ كَفَيَّها وقد جَنَحَتْ
 ثم افترقنا وما ساءَتْ حَفائِظُنا
 لله مثليَ ما أدنى سَجِيَّتَهُ
 كم مأثمٍ مُسْتَلَدٍ قد هَمَّتْ به
 وله فيها أيضاً ١ :

يا حُبَّ لَدَّةٍ قد أدْنَفَتْ فائتدِ
 ويا لَدِيذَةً لا والله ما خَطَرَتْ
 أَنحَسِينَ فَوَادِي عَنكَ مُنْصَرَفًا
 بِنِشْمٍ فخلدَ عِنْدِي وَشَكُّ بَيْنِكُمْ
 مِهْمَاتٍ يسلو فَوَادِي عَنكُمْ أَبَدًا
 أُمَّ الوفاءِ لِحَبِيَّتِي ما فَتَنْتُ بِكُمْ
 الله يعلمُ أَنِّي مَذْ عَرَفْتَكُمْ
 ولا اتَّكَالَ لِعَيْنِي بَعْدَ قُرْفَتِكُمْ
 ترى جَفَوْنَكَ أَرْضَاهَا الَّذِي صَنَعْتُ
 أَتَرَكُ النَّاسَ صَرَعَى لا حَرَاكَ بِهِمْ
 مَنْ كَانَ يَقْطَعُ طَعْمُ المَوْتِ فِي فَمِهِ
 فَإِنْ سَقَمِي أَضْحَى ما لَهُ أَمَدٌ
 بَمَا يَلْحَظُكَ مِنْ غُنْجٍ وَمِنْ حَوَرٍ
 حِنِّي عَلَى هَائِمٍ بِالْحَبِّ مَخْتَبِلٍ

والقلبُ مَهْمَا أَرُمُ تَسْكِينَهُ يَجِبُ
 إِلَيَّ تَضْحُكُ بَيْنَ العَجَبِ والعَجَبِ
 إِذْ اجْتَمَعْنَا وَلَمْ نَأْثُمْ وَلَمْ نَحِبْ
 مِنَ المَعَالِي وَأَنَّاها عَنِ الرِّيبِ
 فلم يَدْعَني لَهُ دِينِي وَلَا حَسْبِي

إِنْ كُنْتَ تَجْهَدُ فِي نَقْصِي فلا تَزِدْ
 بِالْقَلْبِ ذِكْرَاكَ إِلَّا بَتْ فِي عَضْدٍ
 وَقَدْ حَلَلْتَ حُلَّ الرُّوحِ مِنْ جَسَدِي
 شَوْقًا نَقَى جِلْدِي لا بَلَّ سَبَى خِلْدِي
 أَنَّى وَوَجَدِي بِكُمْ باقٍ عَلَى الأَبَدِ
 وَالنَّاسُ قَدْ فَتَنُوا بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ
 لَمْ يَخْلُ قَلْبِي مِنْ خَبَلٍ وَمَنْ كَبَدَ
 إِلَّا عَلَى مَفْنِيئِهَا : الدَّمْعُ وَالسَّهْدُ
 بِي أَنِّهَا نَقَشَتْ بِالسَّحَرِ فِي العَقْدِ
 وَلَا سَبِيلَ إِلَى عَقْلِ وَلَا قَوَدَ
 فَإِنَّهُ فِي فَمِي أَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ
 وَالْمَوْتُ أَرْوَحُ مِنْ سَقَمٍ بَلَا أَمَدَ
 وَمَا يَعْطِفُكَ مِنْ عَطْفٍ وَمِنْ أَوَدَ
 بِالشَّوْقِ مَرْتَمٍ بِالْحَزَنِ مُنْفَرَدَ

١ منها أبيات في الديوان : ٢٤٨ .

أضحى أسيرَ صدودٍ بل قتيلَ نوى
يخشى على حُبِّك الحسادَ تفضحه
وإن بكى فبدا لعاذليه فعن
أما كفى حزناً أن قد ظلمتُ وقد
قد أرهفتُ دونه سيفان من دعج
ورَدُّ شهي حماه الموتُ مُنصلتاً
وما عجوزُ لها ابنٌ واحدٌ بصُرتُ
يوماً بأجزعٍ مني يومَ قولهمُ
أضحت على الأجدلِ الأقوادِ باكيةً
لقيتُ فعلةً واللذاتُ قد زُهِيتُ
غنتُ فلو أنَّ ميتاً كان يسمَعُها
فهل يسكنُ عذالي وإن جهدوا
يا لذلِّ مالكٍ في قتلي بلا سببٍ
رفقاً بقلبي يا قلبي فإنك قد
لم تنطقي قط إلا ظلتُ أفرقُ من
ولا مددتُ يداً للعودِ عامدةً

وله فيها أيضاً ١ :

رَمَتْهُ منها بسهمٍ عنه لم يَحِد
فما يَبوحُ به يوماً إلى أحدٍ
غير اختيارٍ ولكن عادةُ الكمدِ
عاينتُ عَذْبَ الحيا يجري على البردِ
بلحظٍ أحوى رَهِيفَ القَدِّ ذي غَيْدٍ
فظلتُ حيرانَ لم أَصْدُرْ ولم أُرِد
به يخوضُ الردى في ملتقى كبدٍ
أصخُ لداعي تنائينا غداةَ غدٍ
فلم يَنَلْ أحدٌ ما نلتُ في الأحدِ
بنا وقد مات صرفُ الدهر من حسدٍ
لعاد حياً كأنَّ لم يَرُدَّ يومَ رَدِّي
ما حرَّكتُ حَرَكَ الأوتار في كبدي
وأنت سؤلي في قُرْبٍ وي بُعدٍ
أُسْكِنْتُ حيثُ الأسى في اللَّبِّ والخلدِ
أنَّ أَسْتَطارَ فلم أبدىء ولم أَعِدِ
إلاَّ وضعتُ عليه أن يذوبَ يدي

من ذا ينامُ وقلبهُ يتصرَّمُ
رَتَقُ ووجهُ الدهرِ جَهَنَّمُ مظلمُ
والوجدُ يُنْجِدُ في الفؤادِ ويتهمُ

النومُ بعدكمُ عليَّ محرَّمُ
ماءُ الحياةِ وقد نأيتُمُ آسنُ
قد بانَ عني الصبرُ لما بنتُمُ

١ منها أربعة أبيات في الديوان : ٢٤٧ .

أَجْرَيْتُمْ دُمْعِي لِفِرَاقِكُمْ
 مَا كَانَ أَكْتَمَنِي لِسْرِّي قَبْلَ أَنْ
 فَإِذَا شَهِدْتُ جَمَاعَةً وَاعْتَادَنِي
 فَبِحَقِّكُمْ مِنْ ذَا يَعَايُنُ أَدْمَعِي
 حَمَلْتُمُونِي ثَقْلَ بَيْنِكُمْ أَلَمْ
 عَاقَبْتُمُونِي فِي الْهَوَى بِلَذُنُوبِكُمْ
 أَتَظَلَّمُونَ وَتَظَلَّمُونَ مَحَبَّتَكُمْ
 أَعْتَبْتُمْ فَعَتَبْتُمْ وَأَطَعْتُمْ
 قَدْ كَانَ لِي فِي هَجْرِكُمْ لَوْ أَنِّي
 وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي قَدْ رُمْتُهُ
 أَنْتُمْ مَنَائِي وَفَيْتُمْ أَوْ خَتَمْتُمْ
 يَا حَبِذَا أُمَّ الْوَفَاءِ وَإِنْ جَفْتُ
 وَهِيَ الَّتِي انْفَرَدَتْ بِوَدْعِي كُلِّهِ
 ظَلَمًا وَقَلْتُمْ مَا لَهُ لَا يَكْتُمُ
 تَكَيْفَ الدَّمْعُ كَأَنَّمَا هِيَ عِنْدُكُمْ
 تَذَكَّارَكُمْ فَاضَتْ دُمُوعِي تَسْجُمُ
 تَنْهَلُ إِلَّا قَالَ هَذَا مَغْرَمُ
 تَتَبَّعْتُمُونِي أَلَمْ الْحَيْنِ فَتَرْحَمُوا
 لَقَدْ اسْتَطَلْتُمْ إِذْ قَدَّرْتُمْ فَاعْلَمُوا
 وَمِنْ الْعَجَائِبِ ظَالِمٌ مُتَظَلَّمٌ
 فَعَصَيْتُمْ وَوَصَلْتُمْ فَهَجَرْتُمْ
 أَقْوَى عَلَيْهِ مِنَ السَّلَامَةِ سَلَّمَ
 فَضَعُفْتُ عَنْهُ فَافْعَلُوا مَا شِئْتُمْ
 وَلَكُمْ هَوَايَ ذُنُوبٌ أَوْ بَتْتُمْ
 وَتَغَيَّرْتُ فِيهِ الَّتِي لَا تَسَامُ
 وَلَطَالَمَا قَدْ كَانَ وَهُوَ مَقْسَمٌ

ومن شعره في المديح

له في محمد بن عيسى الحضرمي^١ :

عَتَابٌ عَلَى الدُّنْيَا وَقَلَّ عَتَابُ
 وَقَالَتْ وَأَصْغَيْنَا إِلَى زَوْرِ قَوْلِهَا
 وَغَمَّتْ^٢ عَلَى أَبْصَارِنَا وَقُلُوبِنَا
 رَضِينَا بِمَا تَرْضَى وَنَحْنُ غَضَابُ
 وَقَدْ يَسْتَفْزُ الْقَوْلُ وَهُوَ كَذَابُ
 فَطَالَ عَلَيْهَا الْحَوْمُ وَهِيَ سَرَابُ

١ الديوان : ٨ .

٢ الديوان : وغطت .

ودانت لها أفواهنا وعقوبنا
وتلك لعمرُ الله أمّا ركوبها
نلدُّ ونلهو والأعزّة حولنا
وتخدعنا عمّا يراد بنا مني
ونغتتم الأيام وهي مصائب
بكت هندٌ من ضحك المشيب بمفرقي
وقالت غبارٌ ما أرى وتجاهلت
هل الشيب إلا الرشد جلّٰى غوايتي
وأصبح شيطاني يعصُّ بناته
أغفو لصرف الدهر عن حقّوائه
وأتركه يمضي على غلّوائه
برئت من العلياء إن لم أزدّه
وإن لم أنهته من شبّه بعزّة
وقائلة ما بال حمص نبت به
نبت بي فكنت العرف في غير أهله
وتالله ما استوطنتها قانعاً بها
أبغضب حسّادي قيامي إلى العلا
هم حسدوني لا لوغير وفترته
وأروع لا ينأى على عزّماته

وهل عندها إلا الفناء ثواب
فهلك وأما حكمها فغلاب
رفاتٌ ونبي والديارُ خراب
لبحر المنايا دونهنّ عباب
لمن علينا جيئةٌ وذهاب
أما علمت أن الشباب خضاب
وليس على وجه النهار نقاب
فأصبحت لا يخفى عليّ صواب
وقد لاح دوني للقتير شهاب
على حين لا يأبى عليّ عقاب
وقد عزّ ٢ إعتابٌ وطال عتاب
ولي ظفّرٌ قد عاث فيه وناب
تدلّ لها الأشياء وهي صعب
وربّ سؤال ليس عنه جواب
يعود على مؤليه وهو تباب
ولكنني سيفٌ حواه قيراب
وقد قعدوا عما ظفرت وخابوا
ولكن شهدت المكرمات وخابوا ٣
ترامٌ ولا يخفي سناء حجاب

١ الديوان : يأتي .

٢ الديوان : قل .

٣ لم يرد هذا البيت في الديوان .

من الحضرميين الأولى أحرزوا العلا
من المانعين الدهر حوزة جارهم^١
هم عراضوا دون المعالي فأصبحت
وهم جأجأوا^٢ بالمعتفين إلى ندى^٣
مضوا إن تسمنهم خطة الضيم يأنفوا^٤
سجايأ على مرّ الليالي كأنسما
تخوفني ريب^٣ الزمان وقد حدت
إذا الله سنّى لي لقاء محمد
فنى لم تسافر عنه آمل^١ آمل
ولا ظمى العلم المضيع أهله^٢
له همم في الجود والبأس لم تزل
وأقسم لولا ما له من مآثر^٣
مآثر هنّ المجد لا كسب درهم^٤
يغيظ العدا منه أغرّ حلايل^١
ولا عيب فيه لامرئ غير أنه^٢
هو الأسد الورد الذي طال ذكره^٣
تبوّأ من دار الخلافة مقعداً
وباهت به منذ استقل^٤ بأمرها

بسنّوا فأطالوا أو رمّوا فأصابوا^١
وأشلاؤه بين الخطوب نهاب^٢
مطالب لا يدنو بهنّ طلاب^٣
هو القطر لا يأتي عليه حساب^٤
وإن يدّ عنهم داعي السماح أنابوا^١
هي المزن فيه رحمة وعذاب^٢
برحلي إلى ابن الحضرمي ركاب^٣
تفتح دوني للسماحة باب^٤
وكان لها إلاّ إليه إياب^١
فساغ له إلا لديه شراب^٢
لها فوق أثابج النجوم قباب^٣
لأصبح ربع المجد وهو يباب^٤
وهنّ المعالي لا حلى وثياب^١
أشم طوال الساعدين لباب^٢
تعاب له الدنيا وليس يعاب^٣
وليس له إلا البسالة غاب^٤
له فيه عن حكنم القضاء مناب^١
كما تتهاذى للجلال كعاب^٢

١ الديوان : جنحوا .

٢ لم يرد في الديوان .

٣ الديوان : صرف .

٤ الديوان : والبأس والندى .

سلّ الدينَ والدنيا هل ابتهجاً به
 نضاه أميرُ المسلمين^١ مهتداً
 له المثلُ الأعلى معاداً ومبدأً
 ألانت لك الأشياءَ وهي صليبة^٢
 إليك أبيتاناً من الشعر صُغْتُها^٣
 فإن تَتَقَبَّلْنَهَا فتلك طويّتي^٤
 وهل أنا إلا الروضُ حيّاك عَرَفُهُ^٥
 ومن يُشْنِ بالصنع الجميل فإنه^٦
 وهل أنا إلا عبدُ أنعمِكَ التي
 وهل شهد المجدُ الذي أنت سرُّه^٧
 وما أنا يا رضوانُ باسمِكَ هاتفُ^٨
 وهل يُدْرِكُ الحسّادُ غوركَ في العلا
 إذا قايسوكَ المجدَ كنتَ غضنفرأ^٩
 وما احمرَّ إلا من صيالك معرَّكَ^{١٠}

كما انجذب من ضوءِ النهارِ ضباب
 له الحلمُ متنٌ والمضاءُ ذباب
 وللحاسدِ العاوي حصيٌ وتراب
 عزائمُ في ذاتِ الإله صِلاب
 بودّي لو أني بهنَّ كتاب
 فيا من رأى خطباً ثناه خطاب
 وقد باكرتهُ من نذاك سحاب
 شكورٌ ولا مثلَ المزيّد ثواب
 هي الشهدُ إذ كلُّ المواردِ صاب
 بأنّك بحرٌ والكرامُ شعابُ
 فهل لي إلى دار المقامةِ باب
 وإن طال مكرٌ منهم وخلاب
 إذا زار لم تثبّت عليه ذئاب
 ولا اخضرَّ إلا من نذاك يباب

وقال أيضاً يمدح ذا الوزارتين أبا جعفر بن أبي رحمه الله :

فؤادٌ على حُكْمِ الهوى لا على حُكْمِ يهيمُ على إثر البخيلة أو يهيم

١ الديوان : المؤمنين .

٢ الديوان : فلتها .

٣ الديوان : وتلك مطيقي .

٤ الديوان : سراب .

٥ الديوان : نافسوك .

٦ انظر الديوان : ١٧٥ .

متى أشتفي من لوعي أو أطيقها
هنيئاً لسلمى فرطُ شوقي وأني
غداة وقفنا نقسمُ الشوقَ بيننا
وقد طلعتْ تلك الهوادجُ أنجماً
فأبتُ بدمعي لؤلؤاً فوق نحرها
خليلي هل بعد المشيبِ تَعَلَّةٌ
وهل راجعٌ عيشٌ لبسناه أنفأ
وهل لي حظٌ من مواتةٍ صاحب
بدتْ رقةُ الشكوى على غضباته^١
كما اضطرب الخطيُّ في حومةِ الوغى
رمانى على فَوْتِ الشباب وإنما
ولم يدري أني لو أشاءُ خَتَلْتُه
ووكَّلَ عينيه باتلافٍ مهجتي
أبا جعفر هذي المكارمُ والعلا
أرى الناسَ قد باعوا المروءاتِ فاشترى
وأنتَ أحقُّ الناسِ بالخزمِ فأتى
وأنتَ بعيدُهم مقتربُ الجدا
أبى إذا لم يدفعِ الضيمَ دافعٌ
وأكرمُ مَنْ يُرْجى لدفعِ مَلَمَّةٍ

إذا كان يجنيها فؤادي على جسمي
ذكرتُ اسمها يوم التوى ونسيت اسمي
على ما اشترطنا وارتضتْ سُنَّةَ القسم
تركنَ جفوني في الكرى أسوةَ النجم
وآبت بما في مقلتيها من السقم
لذي الجهل أوفي الحبِّ شغلٌ لذي الحلم
كيومٍ يزيدُ في بيوت بني جرَّم^٢
له قدرةُ القاضي وموجدةُ الخصم
ورابتك في أعطافه قسوةُ الظلم
وصمُّ المنايا في أنايبه الصم
تعرضَ لي لما رآني لا أرمي
على رسلِهِ إن الحبالَةَ كالسهم
سيعلمُ إن لم يستجرْ بي من الغُرم
دعاء بحقٍّ وادعاء على علم
وقد ضيَّعوا ما كان من حسبٍ فاحم
وصونُ العلا بالمالِ أشبهُ بالخزم
كريمُ السجايا ماجدُ الحالِ والعم
بغيرِ الحديثِ الإفكِ والحلفِ الإثم
إذا الطفلُ لم يسكنْ إلى لُطْفِ الأم

١ يعني يزيد بن الطرية وقد دخل حي بني جرم وانصرف من عند النساء مدهوناً مثقلاً بالهدايا
(الأغاني ٨ : ١٥٨ : ١٦١)

٢ الديوان : حركائه .

وأهني بألباب الرجال من الهوى
وأحمي لحوزات المعالي من الردى
وذو عزّات لو تُساوى بها الرثى
ولم أر أحبا منك وجهاً ولا يداً
وأصبر في ظلماء كل كريمة
إذا الخيل غامت في النجيع وألحمت
ولم تر إلاّ عاثراً بدمائه
ولا حصن إلاّ السيف في يد ماجد
هنالك حدث عن أبيّ وأحمد
تسميت بالفضل الذي أنت أهله
والنبيست من مشى الوزارة حلة
وتنميك من سعد العشيرة أسرة
بهليل أبطال ججاج سادة
إذا ركبوا الجرد الجياد إلى الوغى
سيأتيك شعري ذاهباً كل مذهب
جزاء بنعمائك الجزيلة لأنني
فكم لك عندي من يد ملأت يدي
هنيئاً لك العيد الذي أنت عيدُهُ
نأى الحجر المثلوم فيه فأحظيني

وأخفي وراء الحادثات من الوهم
وأسخى بآمال النفوس من الحلم
لطأطأها بين المذلّة والرغم
إذا استأثر الحر المرمق بالطعم
بحيث يكون الصبر أفرج للغم
يسمر العوالي وهي تطغى على الاجم
يحاذر كلماً أو يدافع عن كلم
يرى الموت دون المجد غشماً من الغنم
وعبد المليك الشم في الرتب الشم
ومعناه ، والمذموم أجدر بالذم
تقوم لها تلك المآثر بالرقم
هل الفخر إلا ما نمتُهُ وما تنمي
كأسد الشرى في الحرب كالمرن في السلم
رأيت الأسود الضاريات على العصم
على شيهتهم من خطّة أو على شههم
تكرمت عن شين الصنيعة بالكتم
ومن نعمة أولى بشعري من نعم
وعيد لما حاكوا من النثر والنظم
بيمناك واجعل لي سيلاً إلى اللثم

١ الديوان : وجعفر .

٢ ص : إن الدم .

وقال أيضاً يمدح الوزير أبا العلاء بن زهرا :

يفديك كلُّ جبانٍ في ثياب جري
لما رأى الخبر شيئاً ليس يُنكره
ولَّ السَّهْيَ ما تولَّى من تكذِّبه
وهي الشَّفَارُ إذا الإقدام جرَّدها
والناسُ كالناسِ إلا أن تجرَّبَهُمْ
كالأينكِ مشبهاتٍ في منابتها
ولَّى رجالٌ غضاباً حين سُدَّتْهُمْ
واستشفروا كلما أحرزت طائلةً
طولوا وإلا فكفُّوا من تطاولكم
مللتُ حمصٍ وملتني فلو نَطَقَتْ
وسوَّلتُ ليَ نفسي أن أفارقها
هيهات بل ربما جنى الرحيلُ غنىً
كم ساهرٍ يستطيلُ الليلُ من دَنَفِ
أما اشتفتُ منِّي الأيامُ في وطني
ولا قضتُ من سواد العين حاجتها

نازعتهُ الورْدُ واستأثرت بالصَّدرِ
أحال بالدين والدنيا على الأثر
إن المزيَّنة عند الناس للقمر
ألوتُ بما يدَّعيه العُشِّيُّ للشفر^٢
وللبصيرة حكمٌ ليس للبصر
ولئنما يقعُ التفضيل بالثمر
لا ذنب للخيل إذ لا عُذْرَ للحمر
وللستان مجالٌ ليس للابر
إن المآثر أعوانٌ على الأثر
كما نطقتُ تلاحيناً على صدر^٣
والماء في المزن أصفى منه في الغدُر
بالمالِ أجني به رغداً من العمر
لم يدري أن الردى آتٍ مع السحر
حتى تضايق في ما عنَّ من وطر
حتى تكبرَّ على ما ظلَّه في الشعر

١ الديوان : ٤٨ وبعضها في المسالك والنفح والوافي والمغرب والشرطي ١ : ١١٠ وطراز

المجالس : ١٢٤ ورفع الحجب ١ : ١٤٠ والذخيرة ١ : ٣١٢ .

٢ الديوان : العين للسهر .

٣ هذا البيت والذي يليه في الرايات : ٩٠ (غ) .

٤ الديوان : أحبي به فقراً .

٥ الديوان : كان .

كم ليلة جُبْتُ مثنى طولها بقي
حتى بدأ ذنبُ السرحان لي وله
في فتية يَنْهَبون الليل عزمهم
لا يَرْحَضُونَ دجاء كلما اعتكرت
لهم هموم تكاد العيس تعرفها
باتت تخطى النجوم الزهر صاعدة
القائلين أقدمي والأرض قد رجفت
والهام تحت الظُّبا والبيض قد حيت
أثناء كل سنان عُدَّ^١ في زرد
والخيل شعَّتْ النواصي فوقها بهم
شابت من النقع وارتاب الشباب بها
والشيب مما أظن الدهر صحفه
لو يعلم الأفق أن الشيب منقصة
وليس للمرء بعد الشيب مُقْتَبِل
أما ترى العرمس الوجناء كيف شكَّتْ
تسري ولو أن جَوْنَ الليل معركة
باتت توجى وقد لانت مواطئها
تخشى الزمام فتشني جيدها فرقا
من كل ناجية الآصال قد فصلت

شتى المسالك بين النفع والضرر
كأنما هو زندٌ بالصباح يَري
فليس يطرقهم إلا على حذر
إلا بمال ضياع أو دم هدر
وربما اشتملت بالحدث النكر
كأنما تغتليها عن بني زهر
إلا ربي من بقايا البيض والسمر
فما تطاير إلا وهي كالشرر
كأنه جدول أفضى إلى نهر
حُسنُ العرائم والأخلاق والمرر
فغُيرت من دم الأبطال بالشقر
معنى من النقص عماء عن البشر
لم تسر أنجمه فيه ولم تسر
نهاية الروض أن يعتم بالزهر
طول السفار ولم تعجز ولم تخر
تري الردى كاشراً فيها عن الظفر
كأنها إنما تخطو على الإبر
كأنه بين ثني^٢ حية ذكر^٣
من الردى فحسبناها من البكر

١ الديوان : عل .

٢ الديوان : من ثني .

٣ الديوان : الآمال .

٣ مر قبلا ص : ٦٢٧ .

لهيئة^١ لو توفى كنه^٢ شرها^٣
تجري فللماء ساقا عائم^٤ درب^٥
قد قسمتها يد^٦ التقدير بينهما
أما إباد فثالت^٧ كل^٨ مكرمة^٩
وأوقدوا ونجوم^{١٠} الليل قد خمدت^{١١}
ألقى المراسي والتجت^{١٢} غياطه^{١٣}
وأترع الوهد^{١٤} من إزباد^{١٥} لحتته^{١٦}
فالأرض^{١٧} ملساء^{١٨} لا أمت^{١٩} ولا عوج^{٢٠}
أفادني حبك^{٢١} الإبداع^{٢٢} مكتهلا^{٢٣}
إذا رميت^{٢٤} القوافي في فرائصها^{٢٥}
أين^{٢٦} ابن^{٢٧} بابل^{٢٨} أو مهبأ^{٢٩} من مدح^{٣٠}
أشدو^{٣١} فيلنقي^{٣٢} ابن^{٣٣} حُجر^{٣٤} بالمقالد^{٣٥} لي
أبا^{٣٦} العلاء^{٣٧} وحسبي^{٣٨} أن^{٣٩} تُصيخ^{٤٠} لها^{٤١}
أنا^{٤٢} الذي^{٤٣} أجتني^{٤٤} الحرمان^{٤٥} من أدبي^{٤٦}

وله في القاضي ابن حمد بن رحمهما الله يستمينه ويستعطفه :

١ س : اثرتها .

٢ الديوان : ذكر .

٣ . إشارة إلى قول امرئ القيس (ديوانه : ١٢٣) :

رب رام من بني ثعل^١ متلج^٢ كفيه في قتره^٣

وأتلج^٤ الكفين : أدخلهما ، والقتر : بيت الصائد الذي يكن فيه .

٤ ابن بابل : أبو القاسم عبد الصمد بن منصور من شعراء اليتيمة ؛ ومهبأ الديلمي تلميذ الشريف

الرضي (تاريخ بغداد ١٢ : ٢٧٦)

٥ الديوان : ٤ .

أَغْمَرُ جَفُونِ^١ وانكسارُ حواجِبِ
سرى وسرى طيفُ الخيالِ كلاهما
وفي مضجعي أخفى على الليلِ^٢ منهما
لقى غير نفسِ حرّةٍ نازعت به
مُعَوَّدَةً^٣ ألاَّ تطبق روعةً
إليك ابنَ حمدين وإن بَعْدَ المدى
صبايةً ودُّ لم يكدرَ جمامه
وذكرى عساها أن تكونَ مهزّةً
بآيةٍ ما كان الهوى متقارباً
أَسْخِلِفَةً^٤ تلك الرسائل بعدما
وكم غدوةٍ لي في رضاك وروحةٍ
ليالي لم تمشِ الأخابُ^٥ بيتنا
ولم يزحفوا في نقضٍ ما كان بيتنا
وأيامَ لم يجنِ الدلالُ على الهوى
أفلا نَ لما كنتَ أحكمَ قادِرٍ
ولم تبقَ إلا نزعةً ترتقي بها
أَضَعْتَ حقوقي أو حقوقَ مودني

أم البرقُ في جُنْحٍ من الليلِ راتبِ
يودُّ لو أنَّ الليلَ ضربةٌ لازبِ
وأثَقَبُ في أجوازِ تلك الغياهبِ
نجومَ الدُّجَى ما بين ساري وساربِ
بها مذهباً . والموتُ شَتَّى المذاهبِ
وإن عَزَبَتْ بي عنك إحدى العوازِبِ^٣
مرورُ الليالي وازدحامُ الشواظِ
تردُّ على أعقابِهِ كلُّ شاغِبِ
وخطوي فيه ليس بالمتقاربِ
شددنا قواها بالنجومِ الثواقِبِ
على مَنَهِجٍ من سُنَّةِ البَرِّ لاحِبِ
بما كاد يستهوي حلومَ الأطايبِ
بِصَيَّابَةٍ ينمونها وأشائبِ
هناك جنت عتباً على غير عاتبِ
وسرَّكَ أني جنتُ أصدقَ تائبِ
شياطينُ تخشى القذفَ من كلِّ جانبِ
فدونكها أعجوبةٌ في الأعاجِبِ

١ الديوان : عيون .

٢ الديوان : على العين .

٣ الديوان : غربت . . . الفوارب .

٤ الديوان : الأخابيث .

٥ الديوان : قاصد .

وفجعتَ بي حياً نواذبَ كلما
 وقال العدا ليلُ الحمولِ أجنهُ
 وأصبحتُ لا يرتاعُ من خوفِ سطوتي
 ولا تتباهى بي صدورُ مجالسِ
 وما تتلاقاني ^١ العفاةُ كأنما
 ولا أمري أخلافَ كلِّ مشيئةٍ ^٢
 أعاتبُ إِدلالاً وأعتبُ طاعةً
 أبوءُ بذنبي ليس شعري بمقتضٍ
 ولكنه ما أستطيعُ وعوده
 ويجحدك الحسادُ أنك سدّتهم
 وقد وقفوا دون المدى غيرَ خلوةٍ
 غضاباً على من ناكر الدهرَ بينهم
 سراعاً إلى الدينار حيث بدا لهم
 إذا المرءُ لم يكسب سوى المالِ وحده
 عجبتُ لمن لم يقدر التربّ قدره
 ومن لم يوطنْ للنوائبِ نفسه
 أعدّ نظرةً فيهم وفي حرّماهم
 وكُنْ بهم أدنى إلى الرشدي منهم
 لعلّهم والدهرُ شتى ضروفهُ
 قد انصرفَتْ تلك المومُ لواغباً

تذكّرني أسعدنَ غيرَ نواذب
 على رسلهم إني عياضُ بن ناشب
 عدوي ولا يرجو غنائِي صاحبي
 أسركُ فيها أو صدورُ مواكب
 أهابوا بمنهلٍ من الغيث ساكب
 بأيدي صبا من عزمي وجنائب
 وحسبك بي من مُعتبٍ أو معاتب
 علاك ولو ققيستهُ بالكواكب
 لفضلك إلاّ تمنحُ ذنبي تقارب
 على شاهدٍ مما انتحيتَ وغائب
 بأنفسهم أو بالظنون الكواذب
 وقد عرفوه بين راضٍ وغاضب
 ولو أنّه بين الظبا والضوارب
 فالأمُ مكسوبٍ للأُم كاسب
 وقد تاهَ في نقد النجوم الثواقب
 وقد لجَّ في تعريضها للنوائب
 وإن لم يعيدوا نظرةً في العواقب
 تكنْ هذه إحدى علالك العجائب
 ومجحدك أولىَ بارتقاء المراتب
 إلى المقصد الأدنى وغيرَ لواغب

١ الديوان : ولا تتلاقاني .

٢ الديوان : مرنة .

وثابت حلوم^١ ربما زال يذبل^٢
وأيقن قوم^٣ أنها هي ترتني
وألقوا بأيدي صاغرين وأخلصوا
وأهون^٤ مغلوب^٥ على أمر^٦ نفسه
إليك ابن حمدين نصيحة مشفق^٧
برغمي ورغم المكرمات تقضبت^٨
ورغم رجال علمتهم ذنوبهم^٩
قضوا نجبهم إلا أسي غير نافع^{١٠}
يلوذون منه بالخضوع مردداً^{١١}
فإن تنتصف منهم فأعذر^{١٢} آخذ^{١٣}

ومن شعره ، في التآبين ، قصيد له يعزّي ابن مرتين : أوله ٢ :

على مثله فلتبك إن كنت باكيا
وقد أجمعوها آخر الدهر رحلة^{١٤}
سفار تداعوا من نواهم بطيئة^{١٥}
أفي كل يوم أودع الأرض صاحباً^{١٦}
وأحسب أني لو غدت مكانه^{١٧}
ولو أنني أحبته الحب كله^{١٨}
وقل غناء عنه إسبال^{١٩} عبدة^{٢٠}
وعدّي له الأيام لا أنا واهم^{٢١}

١ الديوان : النواثب .

٢ لم ترد هذه القصيدة في الديوان .

٣ قراءة تقديرية غير دقيقة للبيت كله .

وحفظي له بالغيب حتى كأنه
وقولي لا تبعد وقد حال دونه
خليلي قد أفنيت سهدي وأدمعي
خليلي من يطعم بشيء فلاني
وليست حياتي غير شجو مردد
صلاة ورضوان وروح ورحمة
على الجلد المحبوب خالط تربه
على جدث ما ضرَّ إنسان مقلتي
طوى الحسن والإحسان والدين والحجى
وشخصاً لو أن الفضل أعطي حكمه
من الخفريات البيض ما انفكّ دونها
أتت دونها الآمال محتومة فما
تخطى إلينا يومها كل شائع
على كل طاو طالما جثم الورى
من اللائي يدعون الردى أو لحينه
إذا أقبلوها الروح خلت رقابها
حصون لو أن الرزق معتصم بها
أمصغية حي تبثك شجوها
إذا استشعرت ذكراك أنهبت الأسى
وملآن من عطف عليك ورقّة
يراك بعيسيتي شوقيه وادكاره
تهيج له ذكراك أنه ضائع

بحيث أراه أو بحيث يرانها
كثيب تهاده الرياح تهادها
وعيني فما لي لا أرى الوجد فانيا
نفضت به لا بل نقضت فؤاديا
عهدت له ألا ألدّ حياتيا
وكلّ سحاب لا أخصر الغوادي
سنا البدر تماماً أو شذا المسك ذا كيا
وقد بان عنها لو غدا فيه ثاويا
وبيض الأبادي يكتفن الأياديا
لكان له مما هنالك واقيا
مرام تحاماه الخطوب تحاميا
تحدّث عنها الشهب الا تناجيا
يكفكّ غضباناً ويكفيك راضيا
كفيلاً بأن لا يصبح الموت طاويا
عوادي يحملن الأسود عوادي
عوالي مما يتبعن العوالي
لأعيالك إلا أن تمنى الأمانيا
حوائم لم تعهد كواديه واديا
عيوناً رواء أو قلوباً صوادي
غدا منك مأهولاً وإن كان خاليا
فيا دانياً هلا كما كنت دانيا
فتضنيه مدعواً وتعنيه داعيا

عزاء بني مرتين ما أحسب الأسى
 أبت هذه الأيام إلا طباعها
 وقد أمكتكم وهي خون غواذر
 إليك عيب الله والبعء بيننا
 وليك قد أسمعني وإن التوت
 ولا بد من أن أنتحيك بهذه
 أثك حالي لا لأنك جاهل
 وأدلي بعذري ثم رأيك بعدها
 صدقتك عن نفسي على القرب والنوى
 وكنت قديماً [قد] أعرض بالهوى
 وإنني لأستحيك من حيث بعني
 وما كنت أخشى أن أيت بليلة
 ولكنها لما استخفت مدائحاً
 وكنت أراني ربما اسود موضعي
 فان يرع الأجاب طول تعلملي
 وان يطعم الأعداء فرط تذلي
 والله ما بي أن تضيع مودتي
 وما لت الأيام ديتي لعل
 عزاءك قد أبلغت نفسي عذرها
 أرى هذه نفى ويفنى متاعها

لذي اللب إلا آسياً أو مؤاسياً
 وإن هي دارتكم هوى أو تدها
 فإن شتم لم تركوها كما هيا
 هوى بات يرمي بي إليك المراميا
 بعزمي هموم لا تجيب المنايا
 خليلاً صفيّاً أو عدواً مداجيا
 بحالي ولكن ربما كنت ناسيا
 أميراً ومأموراً وخصماً وقاضيا
 وقلت لعلّي أو لعلّ اللياليا
 لتدنو فما ترداد إلا تنائيا
 رخيصاً على أنني اشتريتك غاليا
 من الدهر لا أهدي إليك القوافيا
 حذرت عليها أن تضيع مراثيا
 يسيراً فما ظني به اليوم قانيا
 فاني سليم لم أجد لي راقيا
 فحاشاك معزولاً وعتباك واليا
 لديك ولكن أن يضيع وفائيا
 ولكن لعلّي قد أسأت التقاضيا
 ودهرك غدار فما لك واقيا
 ويأبى عليها الناس إلا تغانيا

ويأبى معز الشيء إلا ارتجاعه^١ فيا أدعياء السّرّو ردّوا العواريا
تساوى الورى قبلَ الحياةِ وبعدها فما بالُ قومٍ ينكرون التساويا
وقال الفى أهلي ومالي ضلّةً وأين به عن نسبى^٢ وماليا

الوزير الكاتب أبو بكر عبد العزيز بن سعيد البطلبوسي^٣

أحد فرسانِ الكلوم والكلام ، وحملةِ السيوفِ والأقلام ، من أسرةِ
أصالة ، وبيت جلالة ، أخذوا العلمَ أوّلاً عن آخر ، ورووه كابراً عن كابر ،
وللهِ درّه فانه ، وأخويه أبا محمد طلحة وأبا الحسن محمداً ، منتهى قولِ

١ س : منشي .

١ هو أحد ثلاثة أخوة يعرفون ببني القبطرنة (أو القبطورنة أو القبطورنية) والأرجح أن هذه
التسمية مركبة من كلمتين هما caput وتعنى رأس و torno بمعنى مستدير ، فيكون
معناها : « ذو الرأس المستدير » (انظر وثائق تاريخية جديدة للدكتور محمود مكّي ،
صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ٧ : ١١٧ الحاشية رقم : ٣) . وهؤلاء الاخوة الثلاثة هم
أبو بكر عبد العزيز وأبو محمد طلحة وأبو الحسن محمد .

أما أبو بكر عبد العزيز بن سعيد فقد كان من جلة الأدباء ورؤسائهم ، كاتباً مترسلاً ،
كتب للمتوكل ابن الأفلح ثم لابن تاشفين من بعده وتوفي بعد ٥٢٠ وذكر مؤلف إحكام
صنعة الكلام (١٣٧) أن أبا بكر كان من رؤساء مصر في صنعة النظم والنثر ، وأنه
كانت بينهما مراسلة سنة ٥٠٧ أورد ذكرها في كتابه « ثمرة الأدب » . (وانظر
التكملة رقم : ١٧٤٣ ورسالة له في الريحان ١ : ٩٢ ب) .

وأما أبو محمد طلحة بن سعيد فقد أخذ عن مشيخة بلده ، وكان أحد الأدباء الأذكياء
وكان صديقاً لأبي بكر بن العربي وتوفي في حياة أخيه أبي بكر (التكملة : ٢٣٧) وكان
لأخيهما محمد بن سعيد مكانة مشابهة ، إذ كتب أيضاً للمتوكل ابن الأفلح ، ولكن
المصادر لا تعين شيئاً واضحاً عنه . (انظر تراجم الثلاثة في المغرب ١ : ٣٦٤ والإحاطة ١ :
٥٢٨ (وفيه نقل عن الذخيرة) والقلائد : ١٤٨ والخريدة ٣ : ٤٢٢ والمطرب : ١٨٦

القائل ، وأعجوبةُ الأواخرِ والأرائل ، ثلاثةٌ كهقعةِ الحوزاء ، وإن أربوا
على الشمس في السَّنا والسناء ، امترُوا أخلافَ الفخر فأمطرتهمُ شبعاً ورياً ،
وهزؤوا بجلوعِ النظم والنثر فاستأقطت عليهم رطباً جنيّاً ، ولم يحضرني من
أشعارهم ومستظرف أخبارهم حين إخراجي هذه النسخة من هذا المجموع
إلاّ ما أثبتّه لأبي بكر منهم خاصة ، وهو علّمُ بُردِهم ، وواسطة عقدهم .

فمن ذلك رقعة خاطب بها الوزير أبا الحسين ابن سراج قال فيها ^١ :

لولا أنّ عوائق الزمان — أدام الله عزّك — تعوقُ ، وبنائق مساعدتهِ
على الأحرارِ — بعلمك — تضيق ، لساعدت إليك نزاعي ، وانقدتُ في
جبل تشوّقي ^٢ واطّلاعي ، ولطرت بجناحِ ، وامتطيت أعناقَ الرياح ،
ولاستبطنات السلاهيّب ، واستهجنّت الجردَ اليعاييب ، ولم أرضَ بالتي تنفخُ
في البرى ، واستقصرتُ بريدَ السرى ، بالليلِ من خيلِ بربرا ^٣ ، ولارتحلتُ
الكوكبَ ، وحملتُ إليك قلباً كقلبِ العقرب ، ولا تتخذت المجرةَ سبيلاً ،
وسهيلاً دليلاً ، ولقدتُ البدرَ المنير ، [١٣٨ أ] وركبتُ الشعري العبور ،
وامتطيتُ الأفلاك ، وترسّستُ بالثريّا وطعنت بالسّمّاك ؛ هذا لو أردت
البرّ ، ومقاساةَ السّهْلِ منه والوعر ، وإلاّ اتخذتُ السمكةَ سفينةً ، وأقمتُ
لها النعائم ألواحاً ، وعطارداً ملاحاً ، وقيّرتُ بالغيوم ، وسمرتُ بالنجوم ،

١ ورد بعض هذه الرسالة في إحصاء صنعة الكلام : ١٣٦ وقد اعتمد ابن عبد الغفور فيها الحذف

والإيجاز ، كما جاءت قطعة منها في تمام المتون : ٢١٨ .

٢ س والاحكام : شوقي .

٣ من قول امرئ القيس (ديوانه : ٦٦) :

عل كل مقصوص الذنابي معاود بريد السرى بالليل من خيل بربرا

وجدتُ بالفرقدين ، وحملتُ من آمالي فيها من كلِّ زوجين^١ اثنين ،
 واعتصمتُ بالقوةِ والحوْل ، وتخلّفتُ^٢ كلَّ مَنْ سبق عليه القول ،
 واستعدتُ من شيطانِ الكسلِ وهو رجيم ، وقلتُ بِاسْمِ اللَّهِ مجراها ومرساها
 إنَّ ربي لغفورٌ رحيم ﴿ (هود : ٤١) ﴾ حتى أخطأتُ في واديك ، وأعرض
 نُسَخَةً مِذَاهِجِي فِي نَادِيكَ ، فَأَرْتَسِمَ فِي الْجَمَلَةِ ، وَأُصَلِّيَ إِلَى تِلْكَ الْقَبْلَةِ ،
 وَأُسْعِدَ بِتِلْكَ الْغُرَّةِ ، وَأَقْضِيَ مِنْ لِقَائِهِ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ ، وَأَطُوفَ بِذَلِكَ الْمَقَامِ ،
 وَأَذْكُرَ اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ، وَعَسَى ذَلِكَ الْحَيْنُ يُحِينُ ، وَجَوَانِبُ الْأَيَّامِ
 أَنْ تَلِينَ ، فَقَدْ تَأَسَّوْا لِمَا تَجْرَحُ ، وَالصَّعْبُ يَنْقَادُ^٣ بَعْدَمَا يَجْمَحُ ، وَالشُّوكُ
 بِالْمَنْ يَسْمَحُ .

وفي فصل منها : ومؤدّيه حملته من عقوق زماني ما ليس ينكر ،
 ومن عتّراتِ أَيْامِي ما لم يكنْ بيكر ، وعودتني — دام عزك — الأخذَ
 بيدي عند العثار ، والنهوضَ بي على رغم أنفِ الليل والنهار ، فلك الفضلُ
 الذي عودتَ ، والطَّوْلُ الذي أسلفت ، في التهمُّمِ بردٌ ، لحظّةِ العنايةِ
 إلى ما يُعِينُ على صلاحِي ، وَيُعِيدُ بعضَ الريشِ لحناحِي ، جاريّاً على
 عادتيك ، وعاملاً على شاكلك ، والله يبيك للمنن تتقلّدها^٤ ، والمكارمِ
 تشيّدُها ، وأقرأئك^٥ من أثناء تلك الدولة والاشتياق ، سلامَ حبيبٍ على

١ ط : من كل زوج .

٢ تمام المتون : وخالفت .

٣ س : يمكن ، وهو أقرب إلى قول بشار :

عصر النساء إلى مياسرة والصعب يمكن بعد ما جمعا

٤ ط د : بود .

٥ س د : تقلدها .

٦ س : وأقربك .

الحسن بن وهب والعراق^١ ، وإن بكيت عني مع إخواني فظالما كنتُ
أعير الدموعَ للعشاق^٢ .

وله من أخرى : لا معنى — دام عزك^٣ — لذكر ما أنا عليه من التعظيم
والتأميل ، ولا لتجميل وجه حالي معك وهو الحسن الجميل ، فضعيفُ
هوى يُبغى عليه دليل^٤ ، واعتراضي تدريه إليك ، وتعويلي تعلمه عليك ،
وأني لك أنتسب في ودادي ، وبك أتخل في النادي ، إن لمحت عيني نظرتك ،
أو خلدت رجلي ذكرك ، لا أفخرُ إلاً بولائك ، ولا أقرُ إلاً لنعمائك ،
ولا أتمنى إلاً كان المنى في لقاءك . وهذا الباب لو أفنيت فيه الأيام ،
والقرايطيس والأقلام ، لم أبلغ فيه بعضاً ، ولا أدّيتُ فرضاً ، فأنا أقتصرُ
منه على ما في ضميرك ، وأقنعُ منه بتذكيرك ، والله تعالى يُبقيك لي ويُعليك ،
ويعين^٥ على شكر أياديك .

وموصله ناصح — مملوكك — حركة ما حركة^٦ ، وتوجهَ لأمر أرجو
بغزتك دركه ، وذلك أن أختاً لي ، أمتك ، لا باكية لي سواها ، كان

١ إشارة إلى قول أبي تمام (ديوانه ٢ : ٤٢٥) :

سلام ترجف الأحشاء منه على الحسن بن وهب والعراق
على البلد الحبيب إلى غوراً ونجداً والفق الحلو المذاق

٢ من قول الشريف الرضي (ديوانه ٢ : ٧٩) :

وابك عني فظالما كنت من قبل أعير الدموع للعشاق

٣ س : ادام الله عزك .

٤ من قول المتنبي : ضعيف هوى يبغى عليه ثواب .

٥ ط د : ويمينك ؛ س : ويميني .

٦ ما حركة : سقط من ط .

طأ ابن^١ من ابن فلان ، فعرض له^١ فاخترسه ، وقربته إلى الحضرة المزدانة بك ، فتمثّل ما شئت من كدها ، واحترق كبدها ، وتذكّر قوله عليه السلام : « لا تُؤَلِّهُ والدَةٌ على ولدها » ، وانظر سوءَ فعل هذا المعاند ، وتدرى وجَدَ ثكلى أصيبت بواحد ، وهو وإن كان غير واضح فهو عندها عرار^٢ ، وفي عينيها ديتار^٣ ، وإن كان كما سترى ، فكلُّ شيء يحبُّ ولده حتى الحبارى^٤ ، والولد — كما في علمك — فتنة ، والخنفساء في عينِ أمها رامُشنة ، وستراه — إن شاء الله — وترى أباه ، فتعلم الإقراف^٥ من حيث أتاه ، وترى تلك المخايل ، وتعرف فيه من أبيه شمائل^٦ ، وتتحقق به المشابهة والمناسبات ، وتنشد :

وانّا نرى أقدامهم في نعالهم وآنفهم بين اللّحي والحواجبِ

وترى فيه من علامات الكرام ، لأنّه شبيه^٦ لأمير المؤمنين هشام ، وانه متخاظر ، وأنّ اسمه عبدُ الله بن طاهر ، وهذا هزلٌ كلّهُ جيدٌ ، ومزحٌ تحقيقهُ عمْدٌ ، فهو على كلّ حالٍ ولدٌ ، وقطعةٌ من كبدٍ ، وأنّت [١٣٨ب]

١ ط د س : ابن من ابن فلان يعرض عليه .

٢ من قول عمرو بن شأس (الحماسية رقم : ٨٤) :

وإن عراراً إن يكن غير واضح فإني أحبّ الجون ذا المنكب العمم

٣ إشارة إلى قصة أعرابي كان ينشد ابناً له ضل فلما سئل أن يصفه قال : كأنه دينير ، وكانت الصفة بعيدة عن الواقع .

٤ انظر الميداني ٢ : ٦٢ .

٥ الإقراف من قبل الفحل أي حين يكون الأب هجيناً غير عربي .

٦ من قول امرئ القيس (ديوانه : ١١٣) :

وتعرف فيه من أبيه شمائل ومن خاله ومن يزيد ومن حجر

وليُّ النعمة في جبره عليها ، وردَّ نومها به إليها ^١ ، والتطول في تأنيسي بأحرفٍ كريمة تتضمنُ حالك ومجاريها ، ومصانعَ الله الجميلة عندك فيها ، والله يُطلعني منك المبهج ، ويُسْمِعني عنكَ الطيب الأريج ، وأقرئك سلاماً كودِّي كريماً ، وكندي ^٢ المسك شميماً ، وإن مننتَ بإبلاغه لإخواني بإخائك ، وكواكبي في سمالك ، أو وسَّعتَ فيه نفسكَ وإيَّاهم ، وخصصْتَ به الوزراء مفردهم ومثناهم ، وأخبرتَهم أني عبدٌ ودَّهم ، وشاكرُ عهدهم ، والباكي دماً من بَعْدِهِم ، أنعمتَ وتطولتَ .

وعُرضتُ عليه بعض تلك الرسائل التي تقدمت في صفة الزرزور فكتب في ذلك رقعة : أملكك أبا الحسن ^٣ الأحرارُ ، وأملك الكبار ، وانتجعت قُطْرُك الأقطارُ ، وشكرتُك حتى بترجيحها الأطيَّارُ . وبصلُّ به — وصل الله سعودك ^٤ — من الطير نطَّاق ، من غير ذوات الأطواق ، يمسُّ من المسك في حبرة أو طاق ، صغَّروه على جهة التعجب والإشفاق ، كما صغَّر سُهَيْل ، وذُؤَيْب وهذيل ، وقيل العذيق والحذيل ، وكما صغَّروا العذيب ، وقال عمر — رضي الله عنه — أخافُ على هذا العُريب ، وكقولهم يا سُمَيْراء ، وكقوله عليه السلام لعائشة : يا حُمَيْراء ، مهَّدتُهُ العذارى الحجور ، وألحفتُهُ الشعور ، وربَّتُهُ بين الترائب والنحور ، وعلَّلتُهُ بالرُّضاب ، وسقته بأفواهها العذاب ، فما خلغ الشَّكير ، حتى رفض الصغير ، وهجر

١ ط د : عليها .

٢ ط : وتندى ؛ س : ويندى .

٣ أعتقد أن صوابه « أبا الحسين » أي ابن سراج ، لأنه هو الذي أثار هذه الرسائل الكثيرة حول الزرير .

٤ س : سعادتك .

الراء الدائمة التكرير ، وتخلّى في المنطق بحلية الإنسان ، ودخل في من
 عليم البيان ، وزايل عميّة اللبل والورشان ، وأفصح تسييحاً وتكبيراً ،
 وخرج من جملة من قال تعالى فيه ﴿ ولكن لا تفقهون تسييحهم ﴾ إنّه كان
 حليماً غفوراً ﴿ (الإساءة : ٤٤) فإن طلبت - أعزك الله - اسمه مكبراً ،
 وجدته لفظاً من الزيادة مكرراً ؛ أقام عندنا زماناً . لا يتألف إلاّ رنداً
 أو باناً . ولا يلتقط إلاّ عنباً أو سيباناً^١ ، يتدرّج في البساتين ، يتطلّب العنب
 المنتقى والتين ، فذكرت له يوماً والحديث ذو شجون ، مُستبينة الزيتون ،
 وأرضك الميثاء ذات الشجر والعيون . وأطيار محامدك فيها السنح
 الميامين . فصنّ جناحاً ، واهتزّ ارتياحاً ، وحنّ إلى ذلك القطر . وانتفض
 كما^٢ بلله القطر^٣ . ورجّع اطراباً ، وسألني إلى مجدك كتاباً . فأنشأته ما
 ابتغى ، وقلت : سلمت أخت البيغا . من المنسر الأشغي . وبلّغنت المدى .
 وجنّبت من حزة^٤ المدى ، وعوفيت من كل حية صفراء . ترنو
 إلى الطائر في السماء ، بمقلة سريعة الاقضاء ، ولقيت الوفاء ، غير اللّفاء .
 وخولت حتى من التبن والحلفاء^٥ ، فانه يسبّد^٦ ريشك . ويردّ عشوشك ،

١ ط د س : سبستانا .

٢ س : كأنما .

٣ من قول مجنون ليلى (ديوانه : ١٣٠) :

وإني لتعروني نذكراك هزة كما انتفض المصفور بلله القطر

٤ ط : حدة .

٥ انظر الذخيرة ٣ : ٧٥ ؛ حيث ورد :

فرقت دقراط الطيور تطباً إذا عالج الرسام أو أبرأ العرس

من المنسر الأشغي ومن حزة الماي ومن يندق الأرامي ومن قصه المقص

٦ س : وحوشيت سى من الدق وحلاء .

٧ سب الفرخ : إذا بدا ريشه وشوك .

فاهض^١ فقد لقيت معمراً^٢ ، وما شئت منتهراً ومصفراً^٣ ، ورعيشت ريفاً^٤ ، ونزلت بجرأ وريفاً^٥ ، فأخذ الكتاب بمنقار ، وصفق من ريش الجناحين سروراً وطار ؛ ومن ركب - أعزك الله - الجناح ، وامطى الرياح ، طوى البراح ، وهو آتيك كالبرق في لَمْعَةٍ ، تصفيقة الطائر المستحرج^٦ ، سرعة ، فإن حلَّ البساط فابنُ سُرينج والغريض ، وإن احتفل السباط^٧ فأبو جلدة وابنُ بيض^٨ . وأنت بسيادتك تبسط^٩ له في بساتينك ، وتفرش^{١٠} له من وردك وياسمينك ، حتى تلبس من أغاريدہ الحلل المنشرة ، وينشر على منابر أدواحك شيباً وابن لسان الحمرة^{١١} ، وتنبأ أرضك مندلاً^{١٢} ، وجوئك صندلاً^{١٣} ، وثرارك خزامى وقرنفلاً^{١٤} ، وتهب له ريحك جنوباً ، ويحق^{١٥}

١ المصمر : المنزل الواسع .

٢ إشارة إلى رجز ينسب لطرفة أو لكليب (الخزائن ١ : ١٧٠ وفصل المقال : ٣٦٤) :

يا لك من قبرة بمصر خلا لك الجو فبيضي واصفري

ونقري ما شئت أن تنقري

٣ ط : ورقا . . . وريقا .

٤ استحر الطائر : غرد بسحر .

٥ ط د : السماء .

٦ ط د : فابن جلدة ؛ وأبو جلدة البشكري شاعر من شعراء الدولة الأموية من شاكني الكوفة خرج مع ابن الأشعث فقتله الحجاج ، وكان معاقراً للخدر (انظر أخباره في الأغاني ١١ : ٢٩١ - ٣١٢) وأما ابن بيض فهو حمزة بن بيض الحنفي ، وهو أيضاً شاعر أموي كوفي سائر القول في المجون ، توفي سنة ١٢٠ (انظر معجم الأدباء ١٠ : ٢٨٠ والأغاني ١٦ : ١٤٣ والفوات ١ : ٣٩٥) .

٧ شبيب بن شيبه من خطباء تميم ، يتردد ذكره في البيان والتبيين أما ابن لسان الحمرة فاسمه عبيد الله بن حصين أو ورقاء بن الأشقر (الفهرست : ٩٩) وهو أعرابي نسابه أدرك الدولة الأموية .

لشأسِ أمكِه من نذاك ذنوباً^١ ، حتى يرجع بتطريب ، وينشد في الخفيف
الأول لحبيب^٢ :

وما يلحظُ العاني جذاك مؤملاً^٣ سوى لحظةٍ حتى يعود مؤملاً
وأهديك وداداً مزج باشتياق ، وأقرئك سلاماً يُنسي سلام حبيبٍ
على الحسن بن وهب والعراق^٤

وله فصل من رقعة خاطب بها أبا بكر بن قزمان^٥ : [١٣٩] المجد
— أعزك الله — سباق^٦ ، وللفضائل استحقاق ، وأنا أردُّ قولهم فيها بالحدود ،
وأقول :

* لأمر ما يُسودُّ من يسودُّ *

وأعتقد أنه ما رُفِعَتْ رايةٌ لمجدٍ إلا كنت عراباً^٧ ، ولا أخذ حمدُ
بشمنٍ بها ربيعٍ إلا كنت ابن الاطنابة^٨ .

١ إشارة إلى قول علقمة بن عبدة يشفع في أخيه شأس وكان أسيراً عند الفساسة (ديوانه : ٤٨) :

وفي كل حي قد خطبت بنمة فحق لشأس من نذاك ذنوب

٢ ديوان أبي تمام ٣ : ٩٩

٣ قد مرت الإشارة إلى ذلك ص : ٧٥٦ .

٤ ترد ترجمته في ما يلي من هذا القسم : ٧٧٤ .

٥ إشارة إلى قول الشماخ (ديوانه : ٣٣٦) :

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمن

٦ يشير إلى قول ابن الاطنابة (الكامل ٤ : ٦٨) :

أبت لي عفتي وأبي بلائي وأخذي الحمد بالشمن الربيع

وله من أخرى على لسان من استعفى من ابنه إلى السلطان : معلوم — أيد الله الأمير الأجل — أن العقوق تُكَلِّمَنَّ مَنْ لَمْ يُكَلِّمْ ، وأن العاق إن عاش نغص ، وإن مات نقص ، وأن الناس بأزمانهم ، أشبه منهم بآبائهم ، ولا يشفع في ابن أب ، وإن المرء لا يَهْدِي من أحب ، ولو كان في يد الإنسان من ابنه شيء أوليّه ، لكان أولى الأمة نوح صلى الله عليه ، ولما أضلَّ ابنه المرشد والمصالح ، حتى ^١ قال الله تعالى ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ (هود : ٤٦) ولوليك ابن سلك هذه السيل ، واتبع هذا الدليل ^٢ ، ولما أريته طُرُقَ التبصير والتسديد ، وقلت له : يا بني مَنْ وَعِظَ بغيره فهو السَّعِيد ^٣ ، ولم يُغْنِ الوعد ولا الوعيد ، تراءتُ منه إليك ، وقلت له : لا تجن يا بنيَّ عليَّ ولا أجني عليك ، وإنه للفلذة من كبدي ، وآخر ولدي ، ولكن لم أجِدْ فيه صنيعاً . و ﴿ لو يشاءُ الله لهدى الناسَ جميعاً ﴾ (الرعد : ٣١) وفي الخبر أن الإمام العادل إذا دعا أجيبَ دعوته ، ووليكَ يرغبُ في دعوةٍ تنفعه ، أو زجرةٍ تَرُدُّه .

وله من أخرى : والفقير الأجل الحافظ — زاده الله من التوفيق — بيني وبينه العهدُ المصون ، وليالِ قطعناها « عند أصلِ القنّة من جيّرون » هو يسألُ ثراها ، ولا ينساها ، ويستنقذني من أنيابٍ * قد قَتَلَنِي بعضُها ، وعساهُ

١ حتى : سقطت من ط د .

٢ واتبع هذا الدليل : سقط من ط د .

٣ من المثل : السعيد من وعظ بغيره ، فصل المقال : ٣٢٧ والميداني ١ : ٣٣٢

٤ ط : يسأل ؛ س : يقل .

٥ ط : أينات ؛ س : أبيات .

يذبحُ لي بقرةً من علمه فيضربُ نفسي ببعضها^١ ، ويردُّها^٢ وقد بلغت التراقي ، ويُحييها بياسر^٣ من ذلك العلم الرقيقِ العراقي ، فجرَّد لي من سيفه القاطع ، واغرف لي من بحرهِ الواسع .

وله من أخرى على لسان مَنْ قرَّ من موضع اعتقال: الأمير — أيده الله — حُرِّك إلى ظلمي فسكن ، وجاءه عني فاسق بنياً فأخذ بأدب الله تعالى وتبين ، وأنا رِعْتُ فارتمتُ ، وقرأتُ قوله تعالى ﴿ ففررتُ منكم لما خفتكم ﴾ (الشعراء : ٢١) فاتبعت ، وبحقِّ نَفَرْتُ فَنَفَرْتُ ، وأوعدني أبو قابوس ففررت :

• ولا قرارَ على زارٍ من الأسد •

وقد قيل : لا تقرب البحرَ إذ ماج ، ولا السلطانَ إذا هاج ، وقديماً اتبعت السلطانَ فوعيت^٤ ، ورأيتُ من الديكة في السفايد ما رأيت ، ولم يكن فراري نفاقاً ولا إباقاً ، إنما أردتُ إظهارَ برأعي ، وتطهيرَ ساحتي ، فأنزلتُ قِدْرِي بجعلها^٥ ، وأطفأتُ ناري في موضع إشعالها ، وطلبتُ طالبتي ، وقرعتُ بابَ ظالمتي ، ودعوتُها إلى الخصام ، وأبرزتُها إلى الحكَّام ، ورفعتها إلى القاضي

١ إشارة إلى ما جاء في سورة البقرة : ٧٣ (قلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى) .

٢ ويردُّها : سقطت من نس .

٣ س د : بياس .

٤ صدر البيت : نبئت أن أبا قابوس أوعدني (ديوان النابغة : ٢٥) .

٥ ط : فرصيت .

٦ الجعال : ما تنزل به القدر من خرقة أو غيرها .

محمد بن حمدين^١ ، وإلى محمد بن شبرين^٢ ، ولو وجدتُ على القافية غيرهما لدعوتها إليه ولو كان محمد بن سيرين ، فأحقَّ الله حقِّي تحقيقاً ، وأزهدَ باطلها ﴿ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ﴾ (الإسراء: ٨١) وما أنا معها في بساطٍ واحد ، وبين يدي ملك راشد ، أرفلُ في الأمان ، وقديماً استُعِيدَ من شرِّ النسوان ، ومن لم يُبَيِّتْنِ قبلي على أسفٍ ، وهُنَّ عوادي يوسف^٣ ، وقد قال عليه السلام فيهن ما قال وأنذر وأعذر ، ولولا أن للنساء أبناء^٤ ، ويطولُ استقصاءُ الأحاديثِ والأنباء ، لذكرتُ ما أحدثن من بلوى ، وجلبتُ من شكوى ، وسقتُ من بين دنيا - وهي ظالمتي هذه - إلى عصرِ أمنا حوا ، رضي الله عنها ، ولكن تركتُ ذلك أولى ، وأنا أكفرُ فيه بيميني وأصيرُ مع مولاي إلى فصيلتي التي تؤويني ، وأعرضُ عليه أمري في معرضه ، وأنحقُّ أسودَه من أبيضه .

وله من أخرى : لا غرو - أعزَّك الله - وقد غطَّاني من إنعامِكَ الرَّغْدِ ما غطَّى ، وتوطَّأ بي من كنفك الممهد ما توطَّأ - أن أسألَ شَطَطاً ، وأذهبَ فُرطاً ، وأتكلَّمَ مُنْبَسطاً ، وأبينَّ غرضي كلَّه ومذهبي ، وأتحكِّم

١ قد مر التبريد به .

٢ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن شبرين ، استقضى بأشبيلية وحدث سيرته ، وكانت وفاته سنة ٥٠٣ هـ (الصلة : ٥٣٨) .

٣ من قول أبي تمام (ديوانه ١ : ٢٢٣) :

هن عوادي يوسف وصواجه فمزماً فقدماً أدرك السؤل طالبه

ط : أنباء .

ه وردت عبارات قليلة منها في تمام المتون : ٣٢٧ .

على مكارمك نحكم الصبي^١ ، وأبلغ بك إلى كل أمثل^[١٣٩ب] وأرب ،
وأملأ دلوي في جاهك إلى عقد الكرب ، فإنك سببت لي ذلك ، وأرعيتني
الروض الأنف من جاهك ومالك ، وحررتني ولا حرّ بوادي عوف^٢ ،
وأنعت عليّ نعمة الله على قريش وأطعمتني من جوع وآمنتني من خوف^٣ ،
إلا أنه يلزم من النجم أن يسرج ، ومن اعتمر أن يتم الحج ، ووعد
الكريم مطلوب ، وانتزاع العادة ذنب محسوب ، فجردني صارماً في ساعدك ،
وارم بي سهماً مسموماً في كبد حامدك ، وهو الوسع المجهود ،
* والجود بالنفس أقصى غاية الجود * .

وهذه أيضاً قطعة من شعره

كتب إليهم الوزير أبو محمد بن عبدون أبيات منها * :

سُئِنِي بِنِي عَبْدِ الْعَزِيزِ وَمَا أَنَا بِنَابٍ إِذَا التَّقَتْ عِدَاً وَنَوَائِبَ
لَعَا لِسُرُورٍ لَمْ يَقُمْ مِنْكُمْ بِهِ مُحَيٍّ عَلَى طَوْلِ الْمَدَى أَوْ مَخَاطِبَ
وَلَمْ تَكْتُبُوا حَرْفًا لِي وَأَنْتُمْ ثَلَاثَةٌ كُتِّبَ وَمَا أَنَا كَاتِبَ

١ انظر تفسير قولهم « أعطي حكم الصبي على أهله » في تمام المتون : ٣٢٥ - ٣٢٨ وثمار
القلوب : ٦٧٠ .

٢ هذا مثل ، انظر فصل المقال : ١٢٩ ، ٣٣٦ والميداني ٢ : ١٢٤ والمسكري ٢ : ٢٧٥
والفاخر : ١٧٨ .

٣ انظر السورة : ١٠٦ (وهي سورة قريش) .

٤ صدر البيت : « يجود بالنفس إذ ضن البخيل بها » وهو لمسلم بن الوليد في ديوانه : ١٦٤ وجمهرة
المسكري ١ : ٩٥ (تحقيق أبو الفضل) وانظر التمثيل والمحاضرة : ٣٠٧ .
س : أبيات قال فيها .

وكان أبو محمد قد خرج من وطنه يابرة مستوحشاً وقت حلول الفاقة
بالرؤساء ، فأجابه أبو بكر منهم بأبيات ، منها :

تباعدُ في طولِ المدى وتُقاربُ	وتذنبُ في باب الجفا وتعاتبُ
بمجدك ^١ أرشدنا إليك ودلّنا	عليك من الدنيا وخدنا نكاتب
ومن خرقَ الآفاقَ يبغي بنفسه	مساحةَ وجهِ الأرضِ أين يُخاطبُ
دُعَيْنَصْرُ رَمْلٍ حينَ يمشي وحارثُ	ضحىً وعديّ في الزَّمَاعِ وحاجب
ترى لم تُصَبْ في آلِ بدرٍ فتتقي	تَرى ثائِرٍ أو يلتقي بك طالب
وإن تَنَسَّيْ يوماً تُردُّكَ طفاوةٌ	لتطفو على الدنيا وتُباكِ راسب
لك الخيرِ ملّتْ رحلتُك العيسُ ، حُطَّه	قليلاً ، وعرسٌ قد شَكَّتْكَ السباب
على أنَّ للأيَّامِ فينا وقائعاً	نبا شاعرٌ فيها وأفحيم ^٢ كاتب
وأما امرؤ القيسِ السَّواري فلأنه	رأى الدربَ حقّاً فأبكيه أنت صاحب
يغنيهِ غريدُ الدجى ^٣ فإذا ونى	يغنيهِ ساقٍ من دمِ الساقِ شارب

قوله : « امرؤ القيس السواري » يعني أبا بكر بن سوار الأشبوني ، وكان
أميرَ في طريق قورية ، وبقي بها إلى أن منَّ الله باطلاقه ، من وثاقه ،
وأشار بذكر الدرب إلى قول امرئ القيس^٤ :

* بكى صاحبي لما رأى الدربَ دونهُ *

١ ط : لمجدك .

٢ س : وأنجح .

٣ ط د : الوحي .

٤ تأتي ترجمته ض : ٨١١ .

٥ عجز البيت : وأيقن أنا لاحقان بقيصرا .

وقال الوزير أبو بكر يخاطبُ جماعةً من إخوانه بحضرة قرطبة:

يا سيدي وأبي هدىً وجلالةً	ورسولَ ودِّي إنْ طلبتُ رسولا
عرجَ بقرطبة إذا بُلِّغتها	بأبي الحسين ونادِه تمويلا
فإذا سعدتَ بنظرةٍ من وجهه	فاهدِ السلام لكفَّه تقبيلًا
واذكرْ له شوقي ووجدي ^٢ مُجَنِّلاً	ولو استطعتُ شَرَحْتُه تفصيلًا
بتحية تُهدَى إليه كأنَّمَا	جَرَّتْ على زَهْرِ الرياضِ ذبولا
وأشيمٌ منها المُصْحَفِيُّ على النوى	نَفْسًا يُنْسِي السوسنَ المبلولا [١٤٠أ]
ولم أبي مروانَ منها نفحة	تُجَيِّ ^٣ له روضَ الربى مطلولا
وإذا لقيتَ الأخطي ^٤ فسَقِّه	من صفو ودِّي قَرَقَفًا وشمولا
وأبو عليّ بُلٌّ منه رُبْعَةٌ	مُسْكًا بماء غمامة محلولا
واذكر لهم زمنًا يهبُ نسيمُه	أَصْلًا كَشَفَتْ الرَاقِيَاتِ عليلًا
بالْحَيْرِ ^٥ لا عبستُ عليه غمامة	إلا تضحك إذ خُراً وجليلاً
يوماً وليلاً كان ذلك كله	سَحَرًا وهذا بكرة وأصيلًا
مولى ومولى نعمة وموالي ^٦	وأخا إخاءٍ خالصاً وخليلاً

١ انظر القلائد والنفع ١ : ٦٣٤ : ١٥٦ ، وفي القلائد أنه يخاطب أبا الحسين ابن سراج ، وذلك

واضح في البيت الثاني من القصيدة ، ثم ذكر أسماء عدد من أصدقائه .

٢ القلائد : وشكري .

٣ القلائد : تهدي .

٤ القلائد : الأخطبي

٥ س : بالخير ؛ د : بالحي ؛ والحير : هو حير الزجالي خارج باب اليهود بقرطبة (انظر

التعريف به في القلائد والنفع) .

٦ القلائد : وكرامة .

لا أدركتُ تلك الأهلّةُ دهرَها^١ نقصاً ولا تلك النجومُ أفولاً

وله يخاطب بعض إخوانه وهو عليل :

كباري وساداتي إليكم تحيةً تفتّحُ سوساناً وتجنّي رياحينا
ومعذرةً منّي إليكم بعلّةٍ برّرتني ولا لدناً من الخطّ مسنونا
كأنّي فيما اشتكي ابنُ محمّدٍ سقاماً ولكن لستُ أشكو الثمانينا^٢

وقال :

إليك وإن كنتَ قطبَ الوفا أبا عامرٍ والأريبَ الأديبا
تكونُ بحمصٍ ثلاثين يوماً وأصبحُ منك القصيّ الجنيبا
نسيتَ ودادي وحُرّاً اعتقادي وجمعي بأفقي عليك القلوبا
وهبّك تناسيتَ حرّاً الوفاء ولم ترَ لي في ودادٍ نصيبا
فهلاًّ رعبتَ جزيلَ الثواب وعدتَ العليلَ وزرتَ الغريبا^٣
وتدري الحديثَ وماذا عليه عائدُ ذي السقمِ حتّى يؤوبا
ولكنها شيمةٌ للزمان أنْ لا صديقَ وأنْ لا حيييا

وله يصفُ بقرةً أخذها الريقُ الطاغية صاحب قلمرية^٤ :

١ ط د : دهرنا .

٢ إشارة إلى قول عوف بن محمّد : « إن الثمانين وبلغتها . . . البيت » .

٣ س : القريبا .

٤ الريق أو الرنق هو الفونسو هنريكز (Alphonso Henrices) صاحب قلمرية (Coimbra) وكانت حينئذ عاصمة البرتغال .

٥ انظر الإحاطة ١ : ٣٠ هـ وهي هناك شديدة التصحيف والتحريف .

وأفقدنيها الريق أما حقيّة
تعنّني أمّي على أن رثيتُها
لها الفضلُ عندي أَرْضَعْنِي أَرْبَعاً

وله فيها :

إذا هي ضُفَّتْ أَلْفَتْ بَيْنَ رَفْدَيْنِ^١
بشعري وأن أثْبَعَتْهَا الدَّمُ من عيني
وبالرغم ما بَلَّغْتَنِي رَأْسَ عَامَيْنِ^٢

وفجّعتني ذا الريق لا درّ درّه^٣
ترى فخذها يَحْمِلَانِ خِزَانَةً^٤

وقال يستهدي المنصور بازياً^٥ :

شُمُّ الْأَنْوَفِ مِنَ الطَّرَائِ الْأَوَّلِ
عُنْفِي فَحَلَّ يَدِي كَذَاكَ بِأَجْدَلِ
حُدَيْتُ قَوَادِمَهُ بِرِيحِ شَمَالِ
رِيحاً وَأَخَذَ مُطْلَقاً بِمَكْبَلِ [١٤٠ب]

يا أَيْهَا الْمَلِكُ الَّذِي آبَاؤُهُ
حَلَّيْتُ بِالنَّعَمِ الْجَسَامِ^٦ سَمَاحَةً
وَأَمِنْتُ بِهِ ضَافِي الْجَنَاحِ كَأَلَمَا
أَغْدُو بِهِ عُجْباً أَصْرَفُ فِي يَدِي

وله في دنّ خمرٍ تَخَلَّلَتْ لَهُ :

أُنَيْسٌ يُنْسِي الْهَمَّ عِنْدَ احْتِلَالِهِ
وَأَمْسَتْ كَجَسْمِ الشَّنْفَرَى بَعْدَ خَالِهِ

أَبَا حَسَنِ إِنِّي فَجَعْتُ بِصَاحِبِ
غَدَتِ بِنْتُ بَسْطَامِ بْنِ قَيْسٍ بِدَنْهَا

١ ضفت : حلبت باليد كلها لفخامة الفرع (ط د س : صفت) والرفد : القبح الضخم .

٢ س والإحاطة : حولين .

٣ النفخ ٤ : ٣١٣ .

٤ د : الحسان .

أشار إلى قول الشنفرى^١ :

* إنَّ جسمي بعد خالي نحل *

وكنى بنتِ بسطام عن الحمر لأن بسطاماً كان يكنى أبا الصهباء .

وقال في مثله وعرض بأبي سلمة الخلال :

فإذا الوزيرُ وزيرُ آلِ محمدٍ شانيكمُ ، لا كان ، فيها طافي

وهذا كقول الآخر^٢ :

ختمتها بنتَ بسطامٍ لها أرجٌ ثم اقتضضتُ ختاماً عن أبي سلمة^٣

وبعث إلى بعض إخوانه بخرشف وكتب معها :

بعثتُ بها عشرًا بناتٍ شياهم مكلَّمةً هلماتُها بمباضعٍ
تراها بها الأعداءُ فوق جفونهم نهاراً ، وليلاً تحتهم في المضاجع
وإنَّ مدَّ مولانا لها يدَ قابلٍ فلئنِّي فيها باسطٌ خدَّ ضارع

وكان ابن رشيق قد أنزل على أموالهم^٣ وقت حلول الحوالة ، فكتب
إليه أبو بكر ، وأخذتها عنه :

١ وقيل هو لابن أخت تأبط شرا يرثي خاله ، وصدر البيت : « فاسقنيها يا سواد بن عمرو »

انظر الحماسية رقم : ٢٧٣

٢ ورد البيت في الشريشي ٢ : ٢٩٢ (بولاق) .

٣ ط د : أحوالهم ؛ س : أخواهم .

بني رشيقٍ أما لي عندكم سعة*
 أما يشقُّ عليكم شربُ صافيتي
 أرعى الخزامى وأنتم في بلنسية^١
 هلاً استحيتم* وقلتم إنَّ ذا كدَرٌ
 فتَحْضِرُوني ولو ملَّقتي نعالكمُ
 وتظفرون بما تهوون من أدبٍ
 وأنشدني أيضاً له :

وأحورَ حياءَ بنارنجةٍ
 مخمَّشةٌ الوجهِ مرشومة
 تضرَّم نصفُ اسمها في البدن*
 كما عَصْفِرَتْ كُرَّةٌ من سَقَن^٢
 وأنشدني له قوله :

قريبٌ على عزمي بعيدُ^٣ المطالب
 وما الشعرُ من همِّي ولكنَّ خواطري
 أَقَلَّلُ منه مازحاً غيرَ طالبٍ
 وسهلٌ على مجدي لحاقُ الكواكب
 تغالبُني فيه وهنٌ غوالي
 وأكثرُ فيه فاخراً غيرَ كاذبٍ
 وأنشدني أيضاً لنفسه من قصيدة ، أولها :

لعينك^٤ وعدٌ من فؤادي مَكْذُوبٌ مضى عَزْمُهُ^٥ إلاَّ سهادٌ^٦ وتعذيبٌ^٧

١ س : بلنسية .

٢ س : موشومة ؛ ط : موشامة ، والمرشومة : التي فيها برش ؛ السفن : جلد خشن غليظ .

٣ س : قريب .

٤ ط : بعينك .

٥ س : مهده .

٦ د : سناد ؛ ط : معاد .

٧ س : وتكذيب .

ومنها :

ومن شقَّ هُدُبَ الليل عن شهلة الضحى يبرق على ثوب الدجى^١ منه تكتيب

ومنها^٢ :

كانَ أَهَازِيجَ الذَّبَابِ أَسَاقِفُ لها من أَزَاهِيرِ الرِّياضِ مَحَارِيبُ

وأنشدني لأخيه أبي الحسن وقد رمد ، يستهدي المتوكل كحلاً : [١٤١ أ]

يا ملكاً آمَنُ ما يُخْشَى ونيراً أَوْضَحَ ما أَعْشَى
شاعركم كان زهيراً وقد أصبح ممّا ناله الأعشى
يقرأ والشمسُ على رأسِهِ تنيرُ ﴿ واللَّيلِ إِذا يَغْشى ﴾

ولأخيه أبي حمّد :

يا سائلي عن علوّهِ وجمالها أغنت محاسنها عن التبيين
هيَ درهمُ البخلاءِ يُلْقَى^٣ دونها قُفْلٌ وفوقَ القفلِ طابِعُ طين
هي روضةُ الآمالِ إلّا أنّها لم تخلُ من أفعى ومن تتين

وله يرثي الفضل بن المتوكل ، ويشير إلى أنه قتل ولم يدفن ، من جملة

قصيدة :

١ ط : الرجا .

٢ مر هذا البيت ص : ٧٠١ من هذا الجزء .

٣ ط د : تلقى .

٤ ط د : يفع

وواعجبا للأرض حين ملكتها وميتاً ولم يستترك من عرضها شبر
فليتك من قلبي وعيني^١ صيانة^٢ تؤوب^٣ إلى قبر إذا لم يكن قبر
فيرعاك مني مشفق^٤ ذو حفيظة^٥ عليك إذا لم يرعك الذئب والنسر

وباتوا^٦ ثلاثهم ببعض المواضع ، تتجافى جنوبهم عن المضاجع ،
ويتعاطون أدباً كالراح ممزوجة بماء الوقائع ، والمدام لهم نقل ، والزمان
لولا هم غفل إلى أن غازلت السنة أجفانهم ، وأجمت قليلاً أذهانهم ،
فانتبه أبو محمد منهم والصبح قد ومض ، والعصفور قد انتفض ؛ فقال :

يا شقيقي وافى الصباح بوجه^٧ سر الليل نوره^٨ وبهاؤه
فاصطح^٩ واغتنم^{١٠} مسرة^{١١} يوم لست تدري بما يجيء مساؤه
ثم استيقظ أبو بكر فقال :

يا أخي قم تر^{١٢} النسيم عليلاً باكر الروض والمدام شمولاً
لا تنم^{١٣} واغتنم^{١٤} مسرة^{١٥} يوم^{١٦} إن تحت التراب نوماً طويلاً

ثم هب^{١٧} أبو الحسن من مرقدته ، بأذكي ذهن وأوقده ، فقال :

يا صاحبي ذرا لومي ومعتبي^{١٨} ولنصطح^{١٩} خمرة من خير ما ذخروا
وبادرا غفلة^{٢٠} الأيام واغتنما^{٢١} فالיום خمر^{٢٢} ويبدو في غد خبر^{٢٣}

١ س : بعضها . ٢ س : عيني وقلبي .

٣ من هنا حتى آخر الترجمة تنفرد به س ؛ وانظر القلائد : ١٥١ والمغرب ١ : ٣٦٧ والإحاطة

٤ : ٥٣٠ .

٥ رغم أنه متصل بقول امرئ القيس « اليوم خمرأ وغداً أمر » فإنه من صياغة بشار بن برد
إذ يقول :

اليوم خمر ويبدو في غد خبر والدهر ما بين إنعام وإيأس

في ذكر الوزير الكاتب أبي بكر بن قزمان^١

وسياقه جملة من نظمه ونثره^٢

وأبو بكر أيضاً من كتاب الوقت والأوان ، ومن أهل البلاغة والبيان^٣ ، والمتوكل أول من اتخذ كاتباً ، واقتدح زنده فأورى شهاباً ثاقباً ، وله محتد^٤ كريم ، ولسلفه تقدّم^٥ معلوم ، ورسائله جلائل ، إلا أنه لم يحضرني منها عند نقلي هذه النسخة إلا فصول قلائل ، لا تنفي بقدره ، وفيما كتبت منها أنموذج يُعَرَّبُ عمّا أُجريتُ من ذكره .

فصول له من رقعة عتاب ، خاطب بها بعض الوزراء الكتاب ، قال فيها :
ما أكثر الأشياء الجامعة لنا : أدب كروض الحزن ، وودّ كصوب المزن ، وأولية كرم تاريخها واتصلت أسانيدها ، لا يُنكر فضلها ولا تُدَمِّعُ عهودها ، وأسلاف سلفت بينهم صفة حميدة ، وأذمة وكيدة ، مثلها نهج إخاء ، وأورث صفاء ، ونظم أهواء وآراء^٦ . ومازلت على تراخي المزار ، وتنازع الأقطار ، أودك كلّ الوداد ، وأعتقدك أصحّ

١ ترجمته في القلائد : ١٨٧ والخريدة : ٣ : ٤٦٥ والمغرب : ١ : ٩٩ والصلة : ٥٤٠ وهذا هو محمد بن عبد الملك بن عيسى بن قزمان (عم ابن قزمان الزجال) ، وكانت وفاته سنة ٥٠٨ ودفن بمقبرة أم سلمة ، وقد وهم المقرئ حين نقل ترجمة الوزير وترجمة الزجال ظناً منه أنهما شخص واحد ، في نفح الطيب : ٤ : ٢٤ .

٢ س : نثره ونظمه .

٣ والبيان : سقطت من ط د .

٤ وآراء : سقطت من ط د .

الاعتقاد ، وألحظك بعين الإعظام ، وأقترح لقاءك على الأيام ، معرفةً
بسبقك ، وتوفيةً لحقك ، وتوفياً إلى مطالعة تلك الطباع الرقيقة ، ومباشرةً
تلك الآداب الأنيقة ، إلى أن وقع ما وقع ، وأتيح من التداني ما لم يتوقع ،
وهي الأقدارُ ، وليس عليها الخيار .

وقد كنتُ أعلمتُ بسؤالك - بفضلك - عني ، ونزاعك نحوي ، وغرضك
إلى لقائي ، واعتذارك بخفاء مكان نزولي ، وغموض موضع حلولي ، ولقيتُ
فلاناً فعرض عليّ من قصيدك ما فُت^١ إليه حدّ المسابق ، لو^٢ أفرجت لي
عنه العوائق ، فأريتُهُ من اختلال الحالِ الباعثِ على الانقباض ، وتجنُّبِ
الاسترسالِ المخوف من الإعراض ، ووقوع الإخلال ما رآه ، فأحسبته
وكفاه ، وتلقّاه عذراً واضحاً يلقيكهُ فتلقاه ، ثم ما زال يفتلُ في الذرّوةِ
والغارب ، حتى أجبته التزاماً لما لم يسنزمني إلاّ بحكم جلالتك ، وشرطي
المتعين من استمالتك ، فوافيتنا منزلك ذات يوم بُعيد العصر ، وعلى
بابه غلامٌ ، سألناه عنك فقال : هو ينام ، فطوينا آثارنا ، وأعلمني بعدُ
باجتماعكما من الغد ، وأنه^٣ عرّفك بذلك المقصد ، فسألك أن لم تعلم ،
وعزّ عليك الالتقاء أن لم يتم ، ودعاني إلى المعاودة . [١٤١ ب] فلم يسعني
ولم يسع لي ، ومضت على ذلك أياماً إلى أن دخلتُ على فلان ومعه فلان ،
وأنت حاضرهما ، فحين لمحتك عرفتُك ، بما كان ثبتَ عندي من صفيتك ، وتقرّر
لدي من سِميتك ، وعند أخدي لمعدي رأيتك قد وحيّت إلى من كان

١ ط د س : كنت .

٢ ط د : ولو .

٣ س : وأعلمني بعيد اجتماعكما من الغد أنه .

يليك وَوَحَى إِلَيْكَ ، فَانْثَنَيْتَ وَقَدْ زَوَيْتَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْكَ ، وَشَمَرْتَ أَنْفَكَ ،
وَمَعَرَّتْ وَجْهَكَ ، وَضَمَمْتَ إِلَيْكَ مِنْ ثِيَابِكَ ، وَقَارَبْتَ بَيْنَ أَجْزَائِكَ ،
فَقُلْتُ : أَرَاهُ أَزْدَرَى طَلْعَتِي ، وَتَقْدَّرُ هِيَأُنِي ، وَخَشِيَ أَنْ أَعْدِيَهُ بِسُوءِ
حَالَتِي ، وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « لَا عَدُوِّي » ، وَقَالَ : « فَمَنْ أَعْدَى
الْأَوَّلُ » ، وَإِنْ اعْتَرَضَ عَلَيْنَا بِحَدِيثِهِ الْآخِرُ : « لَا يُورَدَنَّ مُجَرَّبٌ عَلَى
مُصْحٍ » ، وَدَفَعْنَا مِنْ صَحِيحِ التَّأْوِيلِ ، وَأَوْضَحِ الْأَقَاوِيلِ ، بِمَا لَا مَدْفَعَ
فِيهِ ، مِمَّا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ وَأَذْكُرُ لَهُ . وَأَمَّا الْأَزْدَرَاءُ وَالْإِنْتِخَاءُ ، وَالتَّقْدَرُ
وَالْتَعْدَرُ ، مَعَ عِلْمِكَ بِالْحَالِ وَأَوَّلِهَا ، وَتَمَكُّنِهَا وَتَأَثُّلِهَا ، وَبِحَالِ الْأَيَّامِ وَتَقَلُّبِهَا ،
وَتَعَاوُرِ أَقْطَارِهَا وَتَنَاقُوبِهَا ، وَمَعَ ذِكْرِكَ قَوْلَهُمْ : « لَيْسَتْ الْعِزَّةُ فِي حُسْنِ
الْبِزَّةِ » وَقَوْلِ مَنْ قَالَ : « لَيْسَتْ الْعِبَادَةُ تَكَلُّمُكَ إِنَّمَا يَكَلِّمُكَ مِنْ فِيهَا » ،
وَقَوْلِ بَعْضِهِمْ ٢ :

لَيْسَ الْجَمَالُ بِمُتَزَرٍّ فَاعْلَمْ وَإِنْ رُدِّيتَ بِرَدَا
إِنْ الْجَمَالَ مَأْتَرٌ وَمَنَاقِبٌ أَوْرُنَ حَمْدَا

وَقَوْلِ غَيْرِهِ :

وَفَضْلُ النَّاسِ فِي الْأَنْفُسِ لَيْسَ الْفَضْلُ فِي الْمَالِ

فَشِيءٌ خَرَقَتْ بِهِ عَادَةَ أَمْثَالِكَ ، وَخَالَفَتْ فِيهِ سِيرَةَ نَظَرَاتِكَ وَأَشْكَالِكَ ،
وَكَفَى بِالْمَثَلِ الْمَضْرُوبِ بِفَرَحَةِ الْأَدِيبِ بِالْأَدِيبِ ، وَقَوْلِهِمْ : « الْأَدَبُ بَيْنَ
أَهْلِهِ نَسَبٌ » ، وَقَوْلِ الطَّائِفِ الْأَكْبَرِ ٣ :

١ شمر : قلص ؛ ولعل الصواب : وأشمت أنفك ، وذلك كناية عن الكبر .

٢ هو عمرو بن معد يكرب ، انظر الحماسة : ٣٤ .

٣ ديوان أبي تمام ١ : ٤٠٧ .

إن تفرق نسباً يؤلف بيننا أدبُ أقمناه مقامَ الوالدِ

وقول الأصغر^١ :

ان كنتَ من فارسٍ في بيتِ سؤدها وكنتُ في بحرٍ في البيتِ والحسبِ^٢
فلم يَصِرْنا تنائي المنصبين وقد رُحنا نسيبين في علمٍ وفي أدب

وإن كنتُ أكثرُ الاعتزاءِ إلى النسبِ الكريمِ ، وأعتدُّ من أهليهِ في
الصميمِ ، وأزاحمهم بمنكبٍ واهنٍ ضعيفٍ ، وأمتُّ لآلِهم بسببِ سَحِيلٍ
سخيفٍ ، ثم أرجعُ عندَ الامتحانِ ، وإلتي منكم كِلالُ السَّقْبِ من ولدِ الأثانِ^٣ ،
فقد قال عليه السلام : « من كثر سواد قومٍ فهو منهم » ، وعسى أن يبدوَ
لي ما يستنكر ويستكثرُ لمثلي ، فأكونَ عباسَ بنِ الأحنفِ ويكونَ كبشَّارُ ،
إذ يقولُ^٤ : « ما زال غلامٌ من بني حنيفةٍ يُدْخِلُ نفسه فينا ويخرجها حتى
قال :

١ ديوان البحري : ٢٥٤ .

٢ الديوان : ان كان من فارس . . . طي . . . في الحسب .

٣ خلط هنا بين بيتين أحدهما لحسان (ديوانه : ٣٩٤ والحيوان ٤ : ٣٦٠) وهو :

لعمرك إن إلك من قريش كِلالُ السقب من رآل النعام

والثاني هو قول الشاعر :

وأشهد أن رحلك من زياد كرحم الفيل من ولد الأثان

وهذا البيت الثاني يروى لمجد الرحمن بن الحكم (الحيوان ١ : ١٤٦ ، ٧ : ٧٣

والخزائن ٢ : ٥١٨) كما ينسب لابن مفرغ (الشعر والشعراء : ٢٧٩ ووفيات الأعيان

(٣٥٠ : ٦

٤ انظر الأغاني ٥ : ١٩٣ .

نزف البكاء دموعَ عينك فاستعمرُ عيناَ لغيرك دَمْعُها مِدْرَارُ
من ذا يُعبركَ عَيْنُهُ تَبْكِي بها أَرَأَيْتَ عَيْنًا للبكاء تُعار

فتتصلَ حينئذِ رَحِيمٌ لا تَخْفَى ، وتحصلَ قرابةٌ لا تُجْفَى ؛ وإن
كنتَ نكرتَ ما نكرتَهُ ، ونظرتَ ما نظرتَهُ ، من ابتدائك بالتسأل والتكليم ،
وترفعتي إياك ما لا أدَّعيه فضلاً عن أن أقتضيه من الترفيع والتقديم ، بخمولي
ونباهتك ، وذليّ وعزّتكَ ، وبُعدي عن بلدي وعددي ، وكوني في طينتك
ومدينتك ، وبين قبيلتك وفصيلتك ، وجيرتك وعشيرتك ، وحاشيتك
وغاشيتك ، وصنائعك وتوابعك ، فقد قال ابن عباس ، رضي الله عنه : « إن
لكلِّ داخلٍ دهشةً فابدأه بالتحية » ، وإذا أطلق الحكم بهذا للبعيد والقريب ،
فما ظنُّكَ بالغريب مثلي المنكوب ؟ !

ونتركُ ما استمرَّ إلى هلمَّ جرّاً ، وأطولُ به دهرًا ، فربما تلاقينا ،
وكأنّا ما تراءينا ، لا كلامَ بينت شفة ، ولا إيماءَ بطرف أنملة ، واللومُ
في هذا كله يسقطُ عني ، كما يضيّقُ العذرُ عنك ، بقضيةِ سنّةِ الإسلام
في السلام ، في أني ألقاك راكباً وأنا ماشٍ ، وأنت بحمد الله طائر ، وأنا
— ولا كفران بالله — واقع [١٤٢ أ] وعلى الطائر أن يغشى أخاه . وإن طمح
بك ، وحطَّ من قدرِي عندك ، إدبارُ الأمر عني وإقبالُهُ عليك ، ففيها ما
فيها ، وما أرضاها لك طريقةٌ ، فالكريم يُجلُّ الكرام ، وإن قلتَ : إني
أدعو إلى مباعدي ، وأبعثُ على مقاطعتي ، باستبهام خلُقي ، وإظلام أفقي ،
وثقل حواسي ، وقلّة استثناسي ، فهذا من لم تغره رقة الحضر اللطيف^٢ ، وقد

١ ط د : مثل .

٢ ط : تقدّه رقة اللطيف .

قال عليه السلام : « من بدا جفا » . على أنني أتكبر على المتكبرين ، ولا ألين لمن لا يبتغي ليني^١ ، ولولا أن يدال القربُ بالبعد ، دون أن يقع عتبٌ ويشرع وداد ، ويكشف يوماً على هذا التهاجر الغريب . والتنافر العجيب . ولا يعرف من الظالم منّا من المظلوم ، ولا من المحكوم عليه من المحكوم له . لأضربتُ عنها صفحاً ، وطويتُ دونها كشحاً . ولسددتُ عليها أذني ، وسابرتها ساجداً رَسَنِي ، ولقد لقيتُ بعدُ فلاناً فذكر بصفاتك ، وأثنى باتساع آدابك وكثرة أدواتك ، وسألني عن الخلطة ، وأشار إلى هذه السمة بيننا والوصلة . فقلت : لا خلطة ولا خلل ، ولا وصلة ولا اتصال . فكأنه أنكر ذلك . وهذا هو الذي أثار من هذا الكتاب ، ما لم يكن في الحساب ، ودونكه هراء غثاً ، وهباءً منبثاً . وهاك إليه^٢ ما يوازيه^٣ عن الموازنة والمقاربة لؤماً ودقة . وركاكة لا رقة :

أبا أيوبَ والأيامُ لا تبقى على حالٍ
وأصبحتُ مقللاً رهناً لإذلالٍ وإقلالٍ
لئن رحمتَ رخيَّ البالَ ذا جاهٍ وذا مالٍ
ومركوبٍ وغاشيةٍ وأكمامٍ وأذيالٍ
فلأنكَ حَدُّ أشكالي وأشباهي وأمثالي
بحكمِ الأدبِ العاليِ الحنيفِ المونقِ الخالي
ولكني أنا التالي وأنت السابقُ العالي

١ من قول ذي الأشبح العدواني (شرح ابن الأنباري : ٣٢٥ ، المفضلية : ٣١) :

لا يخرج الكره مني غير مأبية ولا ألين لمن لا يبتغي ليني

٢ وهاك إليه : سقطت من ط .

٣ ط : يوازيه ؛ د : يوارثه .

فكم خيَّمتَ من قلبي بدارٍ منك محلال
وقد كان التلاقي من أمانِيٍّ وآمالي
فلما أنْ تلاقينا على ما قد تصدَّى لي
فلم تبدأ بتسليمٍ ولم تنشطْ لتسالي
كما يلزمُ أمثالكَ أنيساً لأمثالي
تَقاصَلْنَا على الحين وكلُّ ذاهلٍ سالي
ولولا طيبُ نفسٍ قلتُ كلُّ شائءٍ قالي
وقد كنَّا كما أنتم ولا بأسَ على حال
وقدْ يُعقَّبُ وادي القوم خصباً بعد إحمال

وكأنني بك قد قلتَ عند تصفح هذه الرقعة : هذان حمارا العبادي كُسيَّرُ
وَعَوِيْرُ ، وكلُّ غير خير^١ ، ثم ثنيت بقولهم : « مَنْ يَسْمَعُ يَخْلُ »^٢ ،
وثلثت بقول من يسمع :

سبكناه ونحسبُهُ بلحياً فأبدي الكبيرُ عن خبَث الحديد^٣

فمهلاً : فمن أنبأكَ أني أتَشَبَّعُ بما لا أملك ، فأقول : مَنْ عبدُ الحميد
وابن العميد ، ومن الوليد وابن الوليد ، لاها الله !! إني لأرِيعُ على ظلمي
وأعلمُ قصرَ باعي ، ولا أجهل سقوطَ بضاعتي ، وهل غيرُ ألفاظٍ لفَقَّتْها

١ انظر المثل في جمهرة السكري ٢ : ١٥١ (تحقيق أبو الفضل) والفاخر : ١٧٨ والسان
(= دور) ، وسئل العبادي عن حمارين له أيهما أردأ فقال : هذا ثم هذا .

٢ المثل في فصل المقال : ٤١٢ والميداني ٢ : ١٦٩ والسكري ٢ : ٢٦٢ (تحقيق أبو الفضل) .

٣ التمثيل والمحاضرة : ٢٨٨ (دون نسبة) .

بمبلغ علمي ، عبّرتُ بها عن ذات نفسي ، وأما إنْ سُمِّتني في هذا الباب
مَدَّآكَ ، ورمتَ مني ما لا يتعاطاه سواك ، فمن للسُّها بتمام القَمَر ، ومن
للدَّادي بأنوار العُشْرَا وأوضح الغُرَر ؟ ! فَأَرْشِدْنَا ، أكرمَكَ الله ،
وسدِّدْنَا ، يرحمك الله .

وانفتح علينا من كلامك نفحةٌ إنْ كانت الأخلاقُ مما توهبُ
وبعد فاني :

أناقشكم ووراءَ النقاش أنفُ العلوق ورثمانه^٢
وأهجركم هَجْرَ مُستعَبٍ وكم وامقٍ طالَ هجرانهُ

وكُلِّفَ مخاطبةَ عروسٍ فكتب رقعةً قال فيها^٣: الكلفةُ بيننا — أعزَّك
الله — جدُّ ساقطة ، والحال الجامعةُ لنا في أقصى حدِّ المؤانسة والمباينة ،
فلا نُكْثِرُ أن نُبَيِّنَ السرَّ المحجَّب ، ولا غَرَوْهُ أن نتكاشف المغيَّب ، واتصل
بي دخولُكَ بعقيلة أترابها ، وببيضة خدرها وربَّة محرابها ، تشاطرُكَ نَسْلُكَ ،

١ الدَّادي : ليالي أواخر الشهر ، والعشر : ثلاث من ليالي الشهر بعد التسع ، وفي ط د س : ومن
الوادي

٢ أراه أخذه من قول الشاعر (السان : رثم ، والخزاة ٤ : ٤٥٥) :

أم كيف ينفع ما تعطي العلوق به رثمان أنف إذا ما ضن بالبن
والعلوق التي لا تراءم ولدها ولا تدر عليه ، والرثمان : عطفها ومحبتها ، وهذا البيت
مثل يضرب لكل من يعد بلسانه كل جميل ولا يفعله لأن قلبه منطو على ضده .

٣ وردت الرسالة في المطاء الجزيل : ١١٢ .

٤ ط د : السحر .

٥ من والمطاء : ولا عجب .

كما شاطرتك أصلتك ، التي [١٤٢ ب] لم تكن تصلحُ إلا لَهَا ولم^١ تكن تصلحُ إلا لك ، فَخَدَمْتُكَ بالنية ، وَحَضَرْتُكَ على بعد المشقة وتغاضف الطيبة ، وسألتُ الله أن يباركَ لكَ ويباركَ عليك ، ويجمعَ بينكما في خير وعافية ، على أسعدِ الجدد وأيمنِ الطير إلى آخر القافية ؛ ثم تَرَقَّبْتُ كتابَكَ مُودِعاً من وصفِ حالِكَ ، ما ينبيءُ فحواه عن اجتماعِ شَمْلِكَ ونعمةِ بالِكَ ، فرأيتُ التواؤهُ ، وَقَدَحَ في نشاطي توقُّفُهُ وإبطاؤُهُ ، وتسلَّطَتْ عليَّ الظنون ، وخفتُ ما عسى أن لا يكون ، وساءَ لي أن أستمطرَ من الأملِ جَهَاماً ، وأستنصر^٢ لدى ذلك العملِ كهاماً ، ويحيدَ صاحبُكَ مُعَرِّداً^٣ عن المناجزة ، [لأنَّ] بالمحاجة^٤ متقطعاً في موضعِ الحجج^٥ ، مُبْدِعاً^٦ به عند مُسْتَقْبَلِ^٧ مَقَرِّقِ الطريقِ وَلَقَمِ المنهج :

تريدُ جواً ويريدُ برّاً كأنما أسعطَ شيئاً مرّاً

ثم قلت : لعلَّه قد حَظِيَّ بما جُنِيَ له ، فافتتح الحصنَ الذي نازله قسراً ، وتخلَّله كيف شاء مجالاً ومكرّاً^٨ ، وأفضى به انصداعُ ما صدعه إلى

١ ط د : ولا .

٢ ط : ويستنصر .

٣ العطاء : مفرداً .

٤ زيادة من العطاء الجزيل .

٥ ط د : الحجج .

٦ مبدع به : مخذول منقطع .

٧ العطاء : عندما استقبل .

٨ ط : وأكدا ؛ د : وكدا ، وأثبت ما في س والعطاء .

النشام ، وانشعابُ ما شَعَبَهُ إلى انتظامٍ والتحامٍ ، وَلُهِبِيَ^١ بتوابع هذه الحال التي هي أختُ^٢ الامرة ، وجامعةُ أفانينِ المسرَّة ، عن صديقٍ يصله بكتابٍ إليه يعلمه ، وإن يكن ذلك فَمَهْنَك ، وظَفِرتُ يداك ، وإن يكن ما عدها ، ويكفي الله ، فمعَ اليومِ غدٌ ، وفي اللَّمَمِ خلالَ ذلك متعلِّلٌ^٣ ، ثم لا يشغل عن الكتابِ جدَلٌ ، ولا يحولُ دونه خَجَلٌ .

جوابها من إنشائه أيضاً^٤ : الكلامُ مأثورٌ ، والإفراطُ في الانبساطِ حِجْرٌ عجورٌ ، وقديماً جَرَّ على أهليه ، وأثار عليهم التقاطعَ من مجائمه وأبرزه من مطاويه ، فسيل ما وردني الآن كتابك المقتحِمُ هذا الباب المتحامى ، إلاَّ أنَّ ما عولتَ عليه ، وأسندتَ إليه ، من تمكُّنِ الألفة ، وارتفاعِ الكُلْفَةِ ، سوَّغَ بعضَ المغزى . وقد وقفتُ على مَقْطَعِهِ ، وعجبتُ من التفرغِ لمودَّعِهِ ، فلئن كنتَ مندراً فليخفَ وَقْعُكَ^٥ ، أو حَذِرْ رَأْيَ الحقيقةِ فليُفْرِخْ رَوْعُكَ ، فالحدُّ بحمدِ الله ماضٍ ، وكلا الفريقين راضٍ ، على عُنْفِ التقاضي ، ثم لا بأسَ ولا إبلاسَ لو عَرَّتْ نبوة ، وعَرَّضَتْ^٦ دونَ المرامِ كبوة ، فربما خان الثَّقَاتُ ، في بعضِ الأوقات :

١ س : والتهى .

٢ أخت : سقطت من س .

٣ ط د : متقلد .

٤ وردت في المطاء الجزيل : ١١٣ .

٥ المطاء : فان .

٦ ط : فلخف رقعك .

٧ المطاء : وعدت .

وسيف بني عبس^١ وقد كان صارماً نبا بيدي ورقاء^٢ عن رأس خالد^٣

وأرجع^٤ فأقول بحكم الحال ، وعلى شرط الاستئمان والاسترمال :
لله أخوك ، الذي لا فرق عندك ما بين ما يعرفه ويعرّوك ، فلقد افترّ عن
بازل ، وجردّ عن قاصل^٥ ، ورمى بلا أفوق ناصل ، ولو لقيت أعداءك
بمثل صاحبه مضاء وإقداماً ، وتسرعاً واستعداداً :

طعننهم سلكي ومخلوجة^٦ لفتك^٧ لامين^٨ على نابل^٩

قال ابن بسام : وينظر من معنى هذا الخطاب والجواب أبيات خاطب بها
بعض أهل عصرنا أحد إخوانه وقد ابنتى بزوجة ، قال فيها ، وضمن
بيت ابن حجاج :

أبا بكر اسمعها وراجع مؤنساً ولو بقسيم أو بمصرع قافيه
فإننا دخلنا بالفتاة ولم يكن
وكنّا رجوتنا وصل الأسبوع كله
هناك واش غير مسك وغاليه
لننعم فيه فابتلينا بداهيه
فدمعة أيري فوق خصيه جاريه
بجيش تهادى فامتنعت لحرمتي
« إذا لم يكن للأير بخت تعذرت
عليه وجوه النيك من كل ناحيه »

١ البيت لفرزدق يقوله متذراً عن نبو ضربته حين أمره سليمان بن عبد الملك بقتل أحد الأسرى
(انظر شرح النقايس : ٣٨٣ - ٣٨٤) وورقاء هو ابن زهير بن جذيمة العبسي ، ضرب
خالد بن جعفر ، وخالد مكب على أبيه زهير ، فلم يصنع سيف ورقاء شيئاً ، وانظر ثمار
القلوب : ٢٢٠ - ٢٢٢ .

٢ س : وأنا أرجع .

٣ ط : فاضل .

٤ البيت لامرئ القيس (ديوانه : ١٢٠) وروايته : نملنهم .

قال فأجابه الآخر بهذه الأبيات : [١٤٣ أ]

لك الخير لا تعجل ^١ فإنك مقسم ^٢	وفي الليل ما تسريه إن كنت ساريه
طعنت الفتاة البكر طعنة ^٣ نائري	بمثل ذراع البكر شد ^٤ بأخيه
حسبت النجيع القائيء اللون ^٥ حينضة ^٦	وما كان إلا العود في الحين ^٧ ثانيه
غدوت على شكل ^٨ تدانت طبوقه ^٩	فباعدت من أقطاره ^{١٠} المتدانيه
ولو كنت من أهل ^{١١} المساحة لم تدع ^{١٢}	مكسرة ^{١٣} أضلاعه ^{١٤} المتساويه
ولكن له قطر ^{١٥} يقوم مقامه	هو الشكل إلا أنه منه زاويه
وإن لم يكن إلا الذي كان فاتئد ^{١٦}	فإنك باقي ^{١٧} عندها وهي باقيه

ومن شعر أبي بكر بن قزمان مما أنشدني لنفسه ، قوله^{١٨} .

ركبوا السيول من الخيول وركبوا	فوق العوالي السمر زرق ^{١٩} نطاف
واستودعوا الخلل الجداول واصطفوا	بيض ^{٢٠} الرؤوس من الحجاب الطافي
وتجملوا الغدران من ماذيهم ^{٢١}	مرتجة ^{٢٢} إلا على الأكتاف

وأنشدني أيضاً لنفسه :

قلت للعين حين أذرت على الخد^{٢٣} دموعاً لا تستفيق^{٢٤} انهما لا
جزعاً من صلود^{٢٥} أجور^{٢٦} كم حير^{٢٧} بالاً وكم جنى^{٢٨} بلبالا
لا ترومي مثال^{٢٩} ما لن تنالي^{٣٠} والمحيه^{٣١} كما رأيت^{٣٢} الهللا

١ س : شخوصه .

٢ منها بيتان في القلائد والخريدة ٣ : ٤٦٦ والمغرب والنفع .

٣ س : ما تستبين .

٤ ط : أن تنالا .

فأجابتْ لقد أحتلّ مثلاً هو أنأى من الهلالِ منالا
إن بدرَ السّماءِ يطلع للأبصارِ مُمنسىّ ومُصنّباً وزوالا
وإذا ما استسرّ آبَ وقد ذابَ اكتئاباً من أن يُغبّ وصالا
وهوَ البدر قد أجدّ ملالاً واجتناباً كما أجدّ كمالا
يتوارى من العيون نهاراً ومع الليل لا يزور خيالا

وأنشدني له أيضاً :

لا تطمئنّ إلى أحدٍ وأحذر وشمّر واستعدّ
فالكلّ كلبٌ مؤسّدٌ إلّا إذا وجدوا أسدّ

في ذكر الأديب أبي زيد عبد الرحمن بن مَقَنَا الأشبوني^١

من شعراء غربنا المشاهير ، وله شعرٌ يُعْرِب عن أدبٍ غزير ، تصرفَ
فيه تصرفَ المطبوعين المجيدين ، في عنقوان شبابه وابتداء حاله ، ثم تراجع
طَبَعُهُ عند اكتهاله .

أخبرني الوزير الفقيه أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الفهري^٢ المقتول بالأشبونة

١ له ترجمة في الجذوة : ٢٦٠ (بقية الملتمس رقم : ١٠٤٤) والمغرب ١ : ٤١٣ والرايات :
٦٢ (٣٣ غ) وأشار في النفع ١ : ٢١٤ إلى مدحه إدريس بن يحيى الحمودي صاحب
مالقة ، وأورد قصيدته النونية في ملح ادريس ١ : ٤٣٣ وذكر في ٣ : ٢٦٤ اجتماعه
مع ابن الشقاق عند ابن دري بيجان (وانظر أيضاً مسالك الأبصار ١١ : ٤٣٨ وبدائع البداة :
٣٦٥ - ٣٦٦) وابن الشقاق هذا هو المنفلت ، وقد مرت ترجمته في القسم الأول ص : ٧٥٤ .
٢ قد مرت الإشارة إلى قتله في هذا القسم ص : ٣٧٨ والقسم الثالث ص : ٧٥٤ .

— رفع الله منزلته ، وقتل قَتَلَتَهُ — قال : كان أبو زيد بن مقانا قد انصرف شيخاً إلى وطنه عندنا ، بعد أن جال أقطارَ الأندلس على رؤساء الجزيرة ، قال : فمررت به يوماً بقريته التي تدعى بالقبداق^١ من ساحل شِنْتَرَة^٢ ، ويده مزبرة^٣ ، فلما رأيته ملت إليه ومال إليّ ، وأخذ يدي [١٤٣ ب] وجلسنا ننظر في حرَّاثٍ يحرثُ بين يديه ، فاستنشدته فأنشدني ارتجالاً لوقته :

أيا عامرَ القبداقِ لا تخلُ من زرعٍ	ومن بَصَلٍ نزرٍ وشيءٍ من القَرَعِ
وإن كنتَ ذا عزمٍ فلا بدَّ من رحيٍّ	سحايةٍ لا تستمدُّ من النبعِ
فما أرضُ قبداقٍ وإن جادَ عامها	بموفيةٍ عشرين من حزمِ الزرعِ
وإن أنجبتَ شيئاً وزادتْ تواترتْ	إليها خنازيرُ المفاوزِ في جمعِ
بها قلةٌ من كلِّ خيرٍ ونفعةٍ	كقلةٍ ما تدري للذي من السمعِ
تركتُ الملوكَ الخالعينَ برُودَهمْ	عليَّ وسيري في المواكبِ والتنعِ
وأصبحتُ في قبداقٍ أحصدُ شوكتها	بمزبرةٍ رعشاءَ ناييةٍ القطعِ
فإن قيل تهجوها وأنت تحبها	فقل إنَّ حُبَّ الخلِّ من شرفِ الطبعِ
وحُبُّ أبي بكرٍ المظفرِ قاذي	وإحسانه حتى انصرفتُ إلى ربي

وهذا من الشعر النازل البارد ، عند ما له من القصائد القلائد . ووصف

١ في د : القيداق ، وفي ط : القيداق ، الفنداق ، وفي س : القيزان ؛ العيران ، القيدان ، وقد أثبتتها محقق المغرب (١ : ٤١٣) « القبداق » .

٢ شِنْتَرَة (Cintra) من مدن البرتغال (الروض المطار رقم : ١٠٢) .

٣ المزبرة : المنجل ، أو المنجل الصغير (ملحق دوزي) .

٤ ط : قلت .

نفسه بقلّة السمع ، لأنه كان كما زعموا كذلك . وهو القائل من جملة أبيات :

سمعتُ الكَنَّكَ^١ يصرُخُ في الربيع على ما بي من الصَّمم الطبيعي

جملة من شعره في أوصاف شتى

من ذلك من قصيدة في منذر بن يحيى صاحب سرقسطة :

لن طَلَلُ ^٢ دارسُ ^٣ باللوى	كحاشية البردِ أو كالرّدا
رمادٌ ونؤيُّ ^٤ ككُحُلِ العروسِ	ورسمٌ كجسمِ براهُ الهوى
غداً موسماً لوفود البلى	وراح مراحاً لسرْبِ المها
عجبتُ لطيفِ خيالِ سرى	من السَّدْرِ أتى إليَّ اهتدى
وكيف تجاوزَ جَوَزَ ^٥ الحجارِ	وَجَوَزَ ^٦ الخميسِ وسَدَرَ ^٧ المنى
ولم يثْنِه حَرٌّ نارِ الضلوعِ	وبحرُ ^٨ الدموعِ وريحُ ^٩ النوى
فذكرَ ^{١٠} أيامنا بالعقيقِ	وليلتنا بهضابِ الحمى
وقولي وصيفي ^{١١} بالمتنصّفينِ	وقد نقشَ ^{١٢} الصبحُ ثوبَ ^{١٣} الدّجى
أسِرْبُ ^{١٤} العذارى بسقطِ اللوى	مشى الخيزلى أم نجومُ السما
برزنَ ^{١٥} لنا عاطراتِ الجيوبِ	يتنازِعنَ في الحُسْنِ شمسُ ^{١٦} الفصحى

١ لعله يريد الكنكلة وهي آلة موسيقية (ملحق دوزي) ، أو الخنك (وجيمه وكافه صجيمتان)

ويطلق على الدف الذي يضرب به ، ثم عرب بالجهيم والكاف العربيتين ، وفي س : الكد .

٢ س : حوز البحار وحوز .

٣ ط : نفس ؛ س : نفس .

خماصَ البطونِ مراضَ الجفونِ
لدانَ القدودِ حسانَ الحدودِ
عذابَ الثغورِ لطافَ الخصورِ
مشينَ الهوينا ووادي الخزامى
فما زلنَ يرفُلُنَ حتى إذا
أقمنَ الشعورَ مقامَ الرُدا
صغارَ النهودِ طوالَ الطلى
خفافَ الصدورِ ثقالَ الخطى
يودُ من البشرِ أنْ لو مشى
عقدنَ لواءَ الهوى باللوى

وفيها يقول :

وقد أغتدي في سبيل العلا
بهم بذي همة تازح
كانَ فؤادي بوادي الغضا
كانَ عقائلَ برقٍ^٢ الدجى
ويهدأ طوراً كغمزِ العيونِ
إذا قلقلَ الرعدُ من فوقه^٣
كانَ السحابَ في سَيْرِها
نجيبُ نجيبَ إذا استُصْرِخَتْ
ففى يقرعُ النبعَ بالنبعِ لا
لو الفلَكُ انخرَّ من فوقه
حَمولٌ لأعباءِ هذا الزمانِ
بذي مَيْتَعَةٍ من نِيتاجِ الصِّبَا [١٤٤أ]
براه السرى مثلَ بريِ الطُّبَا^١
وقلبَ الدليلِ جناحُ القطا
خلالَ الحبيِّ بريقُ الطُّبَا
فيلتاعُ من لوعتي ما هدا
تقلقلَ قلبي له والحشا
بنودُ المظفرِ يومَ الوغى
وفارسُها البطلُ المنتقى
جبانَ الجنانِ ولا مزدهى
عليه بأقطاره ما شكا
ولا يرهبُ الموتَ عندَ اللقا

١ سقط البيت من ط د .

٢ د : بدر .

٣ س : في برقه .

إذا سار يحيى إلى غارة فويل* لأعدائه أينما
 بجيشين : جيش يهد* الرئي وجيش يظلمه في هوا
 مطاعمها من شغاف القلوب ومشربها من نجيع الدما
 إليك ابن منذر المنتقى قرعت يد الخطب قرع العصا
 فقال مناديك لي مرحباً وقالت أياديك لي حبذا
 دعوت فأسمعت بالمرهفات صم* الأعادي وصم* الصفا
 وشمت سيفك في جلتى فشامت خراسان منها الحيا

قال ابن بسام : جلتى وادى بشرق الأندلس ، فكذبة* أبي زيد في هذا
 البيت أشنع* من كذبة مهلهل في قوله ٢ :

فلولا الريح أسمع أهل حجر صليل البينض* تفرع* بالذكور

وخرج أبو زيد يوماً من بلنسية إلى طرطوشة ليلقى صاحبها مقاتلاً^٣ الفتي ،
 فلما ورد عليها ، منع الجواز ، فكتب إلى مقاتل :

إن كان واديك نبلاً لا يُجاز به فما لنا قد حرّمنا النّيل والنّيلا
 إن كان ذنبي خروجي من بلنسية فما كفرت ولا بدّلتُ تبديلا
 « هي المقادير تجري في أعنتها » ليقضي الله أمراً كان مفعولا

١ ط : واينما .

٢ الأغاني ٥ : ٣٥ .

٣ ط د : مقاتل ، ومقاتل خلف لبيباً الفتي في رياضة طرطوشة وتسمى بسيف الملة ، وكان عنده
 من العمال والكتاب ما لم يكن عند غيره ؛ ولما توفي ولي طرطوشة الفتي نبيل ، وفي سنة ٤٥٢
 خرج عنها وأسلمها للمقتدر بن هود (البيان المغرب ٣ : ٢٢٤ . ٢٥٠) .

وله القصيدة المشهورة في ابن حمود يتداول القوالون أكثر أبياتها ، لعدوبة
ألفاظها وسلاستها وهي التي أولها ^١ :

أَلْبَرَقِ لَانَحٍ مِنْ أَنْدَرِينَ	ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ بِالْمَاءِ ^٢ الْمَعِينِ
لَعَبْتُ أَسْيَافَهُ عَارِيَةً	كَمْ خَارِقَ بِأَيْدِي اللَّاعِبِينَ
وَلَصُوتِ الرِّعْدِ زَجْرٌ وَحْنِينَ	وَلِقْلَبِي زَفَرَاتٌ وَأَنْيُنْ
وَأَنَادِي ^٣ فِي الدُّجَى عَاذِلِي	وَيْكَ لَا أَسْمَعُ قَوْلَ الْعَاذِلِينَ
عَيَّرَنِي بِسِقَامٍ وَضَنِي	إِنَّ هَدِينَ لَتَزِينُ الْعَاشِقِينَ

ومنها : [١٤٤ ب]

قَدْ بَدَا لِي وَضَحُ الصَّبْحِ الْمُبِينِ	فَاسْقِنِيهَا قَبْلَ تَكْبِيرِ الْأَذِينِ
سَقْنِيهَا مِرَّةً صَافِيَةً	عُتِّقَتْ ^٤ فِي دَنْهَا بَضْعَ سَنِينِ
نَثَرَ الْمَرْجُ عَلَى مَفْرِقِهَا	دُرَرًا عَامَتْ فَعَادَتْ كَالْبُرِينِ
مَعَ فَتْيَانٍ كَرَامٍ نَجْبٍ	يَتَهَادَوْنَ رِيَّاحِينَ الْمَجُونِ
وَعَلَيْهِمْ زَاجِرٌ مِنْ حِلْمِهِمْ	وَلَدَيْهِمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنِ
شَرَبُوا الرَّاحَ عَلَى خَدِّ قَي ^٥	نَوَّرَ الْوَرْدُ بِهِ وَالْيَاسَمِينَ

١ انظر أبياتاً منها في النفع ١ : ٤٣٣ والمغرب والمسالك والرايات ومنها بيتان في الوافي

للرندي : ١١٠ .

٢ المغرب : بالدمع .

٣ النفع : وأنجى .

٤ النفع والمغرب : مشمولة لبثت .

٥ سقط هذا البيت من س .

٦ المغرب والنفع والرايات : رشا .

رَجَلْتُ دَائِيَّةً^١ عَامِدَةً
لَوْتُ الصَّدْعَ عَلَى حَاجِبِهِ
فَرَى غَضِنًا عَلَى دِعْصٍ نَقَاً
وَيُسَقُونَ إِذَا مَا شَرَبُوا
وَمَصَابِيحُ الدَّجَى قَدْ أَطْفَأَتْ
وَكَانَ الطَّلَّ مَسْكٌ فِي الثَّرَى
وَالنَّدَى يَقَطُرُ مِنْ نَرَجِسِهِ
وَالثَّرِيَا قَدْ عَلَتْ فِي أَفْقِهَا
وَانْبَرَى جُنْحُ الدَّجَى عَنْ أَفْقِهِ
وَكَانَ الشَّمْسُ لَمَّا أَشْرَقَتْ
وَجْهَهُ لِإِدْرِيسَ بْنِ يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ
خَطًّا بِالسَّيْفِ عَلَى أَبْوَابِهِ
وَيَنَادِي الْجُودُ فِي آفَاقِهِ
نَلِكٌ ذُو هَيْبَةٍ لَكِنَّهُ
وَلِذَا مَا رُفِعَتْ رَايَتُهُ
وَلِذَا أَشْكَلُ خَطْبُ مُعْضِلٍ
وَلِذَا رَاهَنَ فِي السَّبْقِ أَتَى

سَبَّحَ الشَّعْرَ عَلَى عَاجِ الْجَبِينِ
ضَمَّةَ اللَّامِ عَلَى عَطْفَةِ نُونٍ
وَتَرَى لَيْلًا^٢ عَلَى صُبْحٍ مَبِينٍ
بِأَبَارِقِ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ
فِي بَقَايَا مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ جُونٍ
وَكَانَ النُّورُ^٣ دُرٌّ فِي الْغُصُونِ
كَدُمُوعٍ أَسْبَلَتْهُنَّ الْجَفُونِ
كَقَضِيبٍ زَاهِرٍ مِنْ يَاسَمِينٍ
كَغَرَابٍ طَارَ عَنْ بَيْضِ كَنِينٍ
فَانْثَنَتْ عَنْهَا عَيُونُ النَّاظِرِينَ
بَنَ حَمُودٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
ادْخَلُوهَا بِسَلَامٍ آمَنِينَ
يَتَمَمُوا قَصْرَ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ
خَاشِعٌ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
خَفَقَتْ بَيْنَ جَنَاحِي جَبْرَتِينَ
صَدَعَ الشَّكَّ بِمَصْبَاحِ الْيَقِينِ
وَيُحْمَنَاهُ^٤ أَوَاءُ السَّابِقِينَ

١. المغرب : دَائِيَّةٌ : الرايات : وجلت آياته (وهو خطأ) .

٢. الرايات : قَانِئِي : ويبدأ ليل .

٣. النفع : الطل .

٤. الرايات : هَوَتْ مِنْ أَفْقِهَا .

٥. الرايات : صَبَحَهُ .

يا بني أحمد يا خيرَ الورى . لأبيكم كان رفداً المسلمين
نزل الوحي عليه فاحتبى في الدُّجى فوقهم الروحُ الأمين
خلقوا من ماءِ عدلٍ وتقىَ وجميعُ الناسِ من ماءِ وطن
انظرونا نقتبسُ من نوركم لأنه من نورِ ربِّ العالمين

قوله : « والندى يقطر من نرجسه » . . . البيت ، أخذه من قول ابن
الرومي ، ونقص منه وقصّر عنه حيث يقول ^٢ :

كأنَّ تلكَ الدموعَ قطُرُ ندىٍ يقطرُ من نرجسٍ على ورد

وقوله : « وانبرى جنح الدُّجى » . . . البيت ، مأخوذ من قول يزيد
ابن الطُّرية ^٣ حين خلق أخوه لمتة فقال ^٤ : [١٤٥ أ]

وغودِرَ رأسي كالصُّخيرةِ أشرفتْ عليها عِقَابٌ ثم طارت عِقَابُهَا

وقوله : « وإذا ما رفعت رأيتَه » . . . البيت ، حسد ابن هانيء في
هذيانه ، وتقيّلتهُ حيث يقول في خلدانه ^٥ :

١ النفع : وفد .

٢ ديوان ابن الرومي ٢ : ٧٦٧ والمختار : ٢٤٥ وزهر الآداب : ٥٣٠ .

٣ هو يزيد بن سلمة بن سبرة بن عامر بن صعصعة يعرف بابن الطُّرية ، كان شاعراً مطبوعاً
من شعراء العصر الأموي ، وقد جمع شعره أبو الفرج الأصفهاني والطوسي ، وقتل مع الوليد
بن يزيد سنة ١٢٦ (ابن خلكان ٦ : ٣٦٧ والشعر والشعراء ٣٤٠ والأغاني ٨ : ١٥٧
والسمط : ١٠٣) .

٤ الأغاني ٨ : ١٨١ .

٥ ديوان ابن هانيء : ١١٩ .

أمدِيرَهَا مِنْ حَيْثُ دَارَ لَطَالَمَا زَاحَمَتْ تَحْتَ رِكَابِهِ جَبْرِيلاً

وقوله في صفة الثريا : « كقضيبي زاهري من ياسمين » من أحسن ما سمعته في تشبيه الثريا مجرداً ، وإن كان قد تقدّم في تقسيم التشبيه وأحسن ما شاء فيه حيث يقول :

في الغرب كأسٌ وفي مطالعها قُرْطٌ وفي أوسطِ السّما قَدَمٌ
وقد قال الناس في الثريا فأكثروا ، وأول مَنْ سَمِعَ له في ذلك الملكُ
الضليل ، حيث يقول ١ :

إذا ما الثريا في السماءِ تَعَرَّضَتْ تَعَرُّضَ أَثْناءِ الوشاحِ المِفصَّلِ
وقد قيل : إن الثريا لا تتعرض ، وإنما تتعرض الجوزاء ، ولم تَتَزَنْ
له ، أو وَهَمَ ، وقال ذو الرمة ٢ :

قطعتُ اعتسافاً والثريا كأنها على قمّةِ الرأسِ ابنُ ماءٍ محلّقٌ
وقال أيضاً ٣ :

أقامتْ به حتى ذوى العودُ في الثرى وساق الثريا في مُلأَتِهِ الفجرُ

١ ديوانه : ١٤ ومعاني السكري ١ : ٣٣٤ وتشبيهات ابن أبي عون : ٤ والأزمنة والأمكنة
٢ : ٢٣٤ .

٢ ديوانه ١ : ٤٩٠ والأنواء : ٤٠ والأزمنة والأمكنة ٢ : ٢٣٤ واللسان (عسف - حلق) وتشبيهات ابن أبي عون : ٥ .

٣ ديوان ذي الرمة ١ : ٥٦١ وزهر الآداب : ٩٧٨ والأنواء : ٣٠ .

وقال التهامي^١ :

وللثريّا ركودٌ فوق أرْحُلِنَا كأنّها قطعةٌ من فروةِ النَمِيرِ

وقال محمد بن هاني^٢ :

وولّتْ نجومٌ للثريّا كأنّها خواتمٌ تبدو في بنانٍ يدٍ تَخْفَى

وكرر هذا التشبيه في موضع آخر فقال^٣ :

وحَتَّى أرى الجوزاءَ تنثرُ عقدها وتسقطُ من كفِّ الثريّا الخواتمُ

وقال آخر :

إلى أن تولّتْ والثريّا كأنّها على حلّةٍ زرقاءٍ جيبٌ مُدَنَّرُ

وقال ابن المعتز^٤ :

وكأنَّ البدرَ لَمّا لاح من تحتِ الثريّا

ملكٌ أقبلَ في ثا جٍ يَفْدَى ويحيّا

وقال المعري^٥ :

١ ديوان التهامي : ٤٢ .

٢ ديوان ابن هانيء : ٢٣٩ .

٣ ديوان ابن هانيء : ٢٨٨ .

٤ ديوان ابن المعتز ٣ : ١٢٣ والأوراق : ٢٠٦ - ٢٠٧ .

٥ شروح السقط : ٢١٤ - ٢١٥ .

وقد بسطت إلى الأرض^١ الثريا بدأ غلقت بأنملها الرهان^٢
كان^٣ يمينها^٤ سرتك شيئا ومقطوع^٥ على السرقي البنان

ومما قيل في ذكر الثريا ، وإن لم يكن فيه صفة تشبيه ، قول الآخر^٦ :

خليلي^٧ إني للثريا لحاسد^٨ وإني على ريب الزمان لواجد^٩
أبجمع^{١٠} منها شملها وهي سبعة^{١١} وأفقد^{١٢} من أحبته^{١٣} وهو واحد

وقال المعري^{١٤} :

والثريا رهينة^{١٥} بافراق^{١٦} الشمل^{١٧} حتى تبعده^{١٨} في الأفراد

ولأبي زيد بن مقانا ، مما يتعلق بذكر الثريا من جملة قصيدة في مجاهد
العامري ، قال فيها^{١٩} :

ولما سقتنا من أبريقها^{٢٠} لثنا يدتيها وخلخالها
وبتنا وباتت على ساقها تصفق^{٢١} للشرب جريالها
كان^{٢٢} نجوم^{٢٣} الدجى روضة^{٢٤} تجر^{٢٥} بها السحب أذيالها
كان^{٢٦} الثريا بها راية^{٢٧} يقود^{٢٨} الموفق^{٢٩} أبطالها

١ شروح السقط : الغرب .

٢ شروح السقط : بدأ لها .

٣ هو لابن مطاط في اليتيمة ١ : ٢٩ وانظر سرور النفس : ١٣٩ وشروح السقط : ١٠٠١

٤ شروح السقط : ١٠٠١ .

٥ شروح السقط : باجتماع .

٦ المسالك ١١ : ٤٤٠ .

٧ س و المسالك : بابريقها .

في ذكر الشيخ أبي الحسن علي بن إسماعيل القرشي الأشبوني^١

قال ابن بسّام : وكان يعرف عندنا بالطيطل ، ممّن نظم الدرّ المفصّل ، لا سيما في الزهد ، فإن أهل أوانه ، كانوا يشبهونه بأبي العتاهية في زمانه .

أنشدني الوزير الفقيه أبو عبد الله بن إبراهيم [١٤٥ ب] قال : أنشدني أبو الحسن الطيطل لنفسه يصف نملة^٢ :

و ذاتِ كشحٍ أهيفٍ شَحَتِ	كأنّما بولغَ في النحتِ
زنجبئةٌ تحملُ أقواتها	في مثل حدّي طَرَفِ الجفتِ ^٣
كأنّما آخرها قطرةٌ	صغيرةٌ من قاطرِ الزفتِ
أو نقطةٌ جامدةٌ خلفها	قد سَمَطَت من قلمِ المفتي
تسري اعتسافاً ولقد تهدي	في ظُلْمَةِ الليلِ إلى الحرّ ^٤
تشتدُّ في الأرضِ على أرجلِ	كشعرةِ المخدجِ في الثبتِ
تشهدُ أنَّ اللهَ خلّاقُها	رازقُها في ذلك السمتِ

١ أشبوني شقباني الأصل ، قرأ العلم بقرطبة وأخذ عن طائفة من علمائها وأكثر من حفظ الآداب والأشعار حتى ليقال إنه حفظ شعر عشرين امرأة ، وكان مشاركاً في الحديث والفقه ، ثم مال إلى النكس والتقصّف ونظم أشعاراً في الزهد ، واتخذ لنفسه رابطة في رقعة من جنة على بحيرة شقبان عرفت برابطة الطيطل ولزم بها العبادة إلى أن توفي (انظر الذيل والتكملة ٥ : ١٩٥ والجلوة ٢٩٤ وفيها « الطيطن » والبغية رقم : ١٢١٢ والمسالك ١١ : ٤٤٠) .

٢ الجلوة والبغية والذيل والتكملة ٥ : ١٩٦ والمسالك .

٣ الجفت : قشرة رقيقة تكون بين اللب والقشر في البلوط (تحفة الأحباب : ١٣ وأمثال الزجالي رقم : ٢١٣٠) .

٤ الحرّ : ثقب الابرّة .

سبحان مَنْ يَعْلَمُ تَسْيِيحَهَا
فَتَسْبِي مَنْهَا لِفَرْطِ الضَّنْيِ
كَلَّا وَلَوْ حَاوَلْتُ مِنْ رَقَّةٍ
أَرْقَى مِنْ هَذَا وَأَضْنَى ضَنْيَّ
لَكِنَّ نَفْسِي وَاعْتِلَا هَمِّي
ووزنها من زينة البُخْتِ
نسبتُها منه بلا كُتْ^١
لجَلْتُ بَيْنَ الثُوبِ وَالتُّخْتِ
رَقَّةٌ ذَهَبِي وَضْنِي بَحْتِي
نَجْمٌ لِيَذْخُرَ كِيَذْخُرَ

وهذا من قول المتنبي^٢ :

وعزمة^٣ بعثتها همة^٤ زُحَلْ

وأنشدني أيضاً له في الزهد :

يَا غَافِلًا شَأْنُهُ الرِّقَادُ
وَالْمَوْتُ يَرْعَاكَ كُلَّ حِينٍ
فَهَيَّ زَادًا وَزِدَ مَزَادًا
إِذْ سَقَرُ الْمَوْتِ فِيهِ شَحْطُ
مَا حَالُ سَقَرٍ بَغِيرِ زَادٍ
ضَمَرُ جَوَادًا لِيَوْمٍ سَبَقِ
أَيْنَ فُلَانٌ وَكَمْ فُلَانٍ
لَا تَبِغِ دُنْيَا فَإِنْ عَنَّا
فَابِنِ لَهَا بِالتَّقَى بَرُوجًا
كَأَنَّمَا غَيْرُكَ الْمَرَادُ
فَكَيْفَ لَمْ يَجْفُكْ الْمَهَادُ
فَقَدْ طَوَى عَمْرَكَ النَّفَادُ
وَالْقَرَبُ مِنْهُ هُوَ الْبَعَادُ
وَالْأَرْضُ قَفْرٌ وَلَا مَزَادُ
لِثَلَّةٍ يَرْفَعُ الْجَوَادُ
قَدْ غَيَّبُوا فِي الثَّرَى فَبَادُوا
أَلْؤَمُنُ الْمُتَّقَى يَذَادُ
تَأْمَنُ إِذَا رُوعَ الْعِبَادُ

١ الكت : الإحصاء ؛ ط د س : كفت .

٢ ديوان المتنبي : ٢٦٥ .

٣ الديوان : يمكن .

واعتبر الأرضَ كيف مُدَّتْ فهي لهذا الورى مهاد
ثم السماءَ التي أَظَلَّتْ قد رُفِعَتْ ما لها عماد
كما بناها بيني سواها كما بدانا كذا نُعاد

في ذكر الأديب أبي عبد الله محمد بن البين^١

أحد الشعراء المجيدين — كان — بحضرة بطليوس ، مستظرف الألفاظ والمعاني ، وكان يميل إلى طريقة محمد بن هاني ، على أن أكثر أهل وقتنا وجمهور شعراء عصرنا ، إليها يذهبون ، وعلى قلبه وجدتهم يضربون ؛ ومن أحسن شعر أبي عبد الله قصائده التي على حروف المعجم ، في أبي الأصبغ بن المنخر أيام استوزره المنصور يحيى بن المظفر ، [١٤٦ أ] ووصله عليها بمائة مثقال .

فصل له من نثر جعله مقدم^٢ تصنيفه ، وصدور تأليفه

قال فيه : وما اختصاصته بالثناء تشيعةً للاخاء ، ولكن لما قلتُ فيه :
تَشَبَّهْتُ فِيهِ لِلْحَقَائِقِ وَالْعَلَا وما أنا فيه للهِى متشَبِّعُ

ولقولي فيه^٣ :

١ له ترجمة في المغرب ١ : ٣٧٠ ورايات المعريين : ٦٠ (٣١ غ) وذكر في النفع ٣ : ٤٥٣

وانظر المسالك ١١ : ٤٤٠

٢ نثر . . . مقدم : سقط من ط د .

٣ المسالك ١١ : ٤٤١ .

لم أرَضَ إلا فيه نظمَ بدائعٍ حسدتهُ في منظومها الأمراءُ
مالت إليه بها حقائقُ سُودٍ لا كالذي مالتُ به الأهواءُ
أهلُ المدائحِ سالكَ في منهجٍ سلكتُ به من قبله الآباءُ

ولما قال أبو الطيب^٢ :

أحبُّكَ يا شمسَ الزمانِ وبدرهُ وإن لآمني فيك السُّها والفراقُ
وذاك لأن الفضلَ عندك باهرٌ وليس لأن العيشَ عندك بارد
فإيه أبا الأصبح ، وفدتُ عليك ، وصرتُ إليك ، وإن كنتُ قد أهديتُ
التمرَ إلى هَجَرَ ، وحاسنتُ بقباحي القمر ، فقد تُمطرُ الدأماءُ^٣ ، وللشاكِرِ
على الله ثناء .

ومن تلك القصائدِ قصيدة مهموزة أولها^٤ :

هل في الغمامِ القادة الحسناءُ أسرتَ عليها الكَلَّةُ الخضراءُ
يقول فيها :

أسرى بها الخيَّرانُ في أفقِ الدَّجَى فتضوَّعتْ عن عَرَفها الأنواءُ
هل كان يطمعُ بالسُّرى في خفية ما للبذورِ إذا سرَّين خفاءُ
كيف الخفاءُ^٥ وللشروقِ مجامرٌ في جانبيكَ وللنسيمِ كباءُ

١ ط د : قوله .

٢ ديوان المتنبي : ٣١٤ .

٣ الدأماء : البحر ؛ ط د : الدماء .

٤ منها أبيات في المسالك .

٥ المسالك : النجاء .

يا ربّة الخدر التي أضللتها
لم كان والدك الطويل نجاده
أشبهته في فتكه يوم الوغى
وكما حكيت البأس فاحكيه الندى
أخفى السرى وأذاعه إشراقه
وكانه عيسى يكتّم جودة
نشرت محاسنه قصائد جمّة
أقصائدي جوبي البلاد بذكره
أمّي النجوم فخبّري عن مجده

وله فيه من أخرى أولها :

أني كيلل الأظعان غزلان رملة
ولمّا تولّت بالجمال جمالهم
بؤادي الكرى لاقيتها وهي عاطل
إذا نسّمت ريح الصبا في جنابها
وإن وردت ماء الفرات فلانها

وهذا كقول أبي الطيب^١ :

أومّا وجدتم في الشراب^٢ ملوحة

يوم النوى ومحبها الأحشاء
ليثاً وأنت الغليظة العفراء
والسمهرية عيشك النجلاء
فيُرى لديك كما لديه حباء
فالأرض منه منيرة زهراء
فيشيعه منّا عليه ثناء
مليّت بها الخضراء والغبراء
وعليك من نور الفخار رداء
فله هنالك في العلا نظراء

أم احتملت فيها جاذر وجرة
تولى جميل الصبر يوم تولّت
فأرسلت دُرّ العين حين تجلّت [١٤٦ب]
ستعرف في أنفاسها حرّ لوعي
ستنكير في سلسالها طعم عبرتي

مما أرقق في الفرات دموعي

١ ديوان المتنبي : ٣٤ .

٢ الديوان : المرأة .

وقال مهيار الديلمي^١ :

بكيتُ على الوادي فحرمتُ ماءَهُ وكيف يحلُّ الماءُ أكثرُهُ دَمُ

وقال ابن البين من أخرى^٢ :

غَصَبُوا الصَّبَاحَ فَقَسَّمُوهُ خُدُودَا وَرَأَوْا حَصَى الْيَاقُوتِ دُونَ مَحْلَمِهِمْ
وَاسْتَوْدَعُوا حَذَقَ الْمَهَا أَجْفَانَهُمْ^٣ لَمْ يَكْفِ أَنْ خَلَفُوا^٤ الْأَسِنَّةَ وَالظُّبَا
وَتَضَافَرُوا بِضَفَائِرٍ أَبَدُوا لَنَا وَاسْتَرْهَفُوا^٥ قُضْبَ الْأَرْكَ قُدُودَا
فَاسْتَبَدَلُوا مِنْهُ النُّجُومَ عَقُودَا فَسَبَّوْا بِهِنَّ ضِرَاعِمَا وَأَسُودَا
حَتَّى اسْتَنَابُوا^٦ أَعْيُنَا وَخُدُودَا ضَوْءَ النَّهَارِ بَلِيلَهَا مَعْقُودَا

ومنها :

صَاغُوا الثُّغُورَ مِنَ الْأَقَاحَةِ^٦ بَيْنَهَا مَاءُ الْحَيَاةِ لَوْ اغْتَدَى مَرُودَا

ومن المدح :

أَبْنَى السُّيُوفِ الْمَشْرِفِيَّةِ نَجْدَةً^٧ وَبَنَى^٧ السَّحَابِ الْمُسْتَهْلَةَ جُودَا

١ تجيء ترجمة مهيار في القسم الرابع من الذخيرة ، وانظر ديوانه ٣ : ٣٤٤ .

٢ وردت الأبيات في المغرب والنفح والمسالك .

٣ المغرب والمسالك : واستوهبوا ، النفح : واستنهبوا .

٤ المغرب : أن سلبوا ؛ النفح : لم يكفهم حمل ، المسالك : أن جملوا .

٥ المغرب والمسالك : استعانوا ؛ النفح : استعاروا .

٦ س : الأقاحي .

٧ ط د : أثنى . . . وثنى .

الدهرُ عندكم طريفٌ مُحدَثٌ وفخاركم ما زالَ فيه تليدا
عطرتمُ نَفْسَ الزمانِ فأصبحت آثاركم في الجيدِ^١ منه عقودا

في ذكر ذي الوزارتين أبي محمد بن هود^٢

كانت قد أزاحتَهُ عن حضرة أسرته سرقسطة ، أسبابٌ غابَ عني
شرحها ، فتجولَ على رؤساء أفقنا ، واتخذ آخر أمره حضرة بطليوس
وطناً ، فرحبَ به المتوكلُ فأواه ، وأجزل قراه ، وولاه مدينة الأشبونة ،
ثم صرفه عنها ، وصَدَرَ محمودَ السيرة منها ، وكان ممّن تندرُ له الأبياتُ ،
وتستظرف له بعضُ المقطوعات ، كقوله وقد سئل عمّا اكتسبه في ولايته ،
فقال^٣ :

وسائلٍ ليَ لَمّا	صدرتُ عمّا وليتُ
ما نلتَ ؟ قلت : ثناءً	يبقى معي ما بقيت
وإنْ أمتْ كان بعدي	خلدًا لا يموت
عفتُ الفضول لعلمي	أنْ ليس يُعْدمُ قوت
وصنتُ قدرِي منها	تجَمُّلاً فغنيت

١ المسالك : للعطف .

٢ الأمير أبو محمد بن هود واسمه عبدالله (وقال ابن الأبار : لم أقف على اسمه ، الحلقة : ١٦٥)
نفاه ابن عمه المقتدر عن الثغر (سرقسطة) فقصده طليطلة حضرة ابن ذي النون ثم مل الإقامة
هنالك ، فجعل يضطرب ما بين ملوك الطوائف إلى أن استقر عند المتوكل ابن الأنطس (المغرب
٢ : ٤٣٩) ثم ولاه المتوكل الأشبونة (المغرب ١ : ٤١١) ثم صرف عنها محمود السيرة
(وانظر المسالك ١١ : ٤٤١ ، والحلّة ٢ : ١٦٥ - ١٦٦) .

٣ الحلقة : ١٦٦ .

وهو القائل وقد خرج عن سرسطة^١ :

ضللتم جميعاً يالَ هودٍ عن الهدى وضيعتمُ الرأيَ الموفقَ أجمعاً
وشتتمُ يمينَ الملكِ بيَ فقطعتُمُ بأيديكمُ منها وبالغديرِ إصبعا
وما أنا إلاَّ الشمسُ غيرُ^٢ غياهِبٍ دَجَّتْ فأبَتْ لي أن أنيرَ وأسطعا
وإن طلعتُ تلكَ البدورُ أهلةً^٣ فلم يبقَ إلاَّ أن أغيبَ وأطلعا
فلا تقطعوا الأسبابَ بيني وبينكم فأنفكمُ منكمُ وإن كانَ أجدعا^٤

واحترق له بيت أيام مقامه بطليطلة ، فقال^٥ : [١٤٧ أ]

تركتُ عليَّ جنةً فوجدتها^٥ على حُكْمِ أيدي الحادثاتِ جهنَّما
لتصنع^٦ الأيامُ ما شئتُ آخرأ فما صنعتُ بي أولاً كان أعظما

وأنشدت له مما نقش على رثاسِ سيف للمتوكل ، وأخبر عنه^٧ :

لا تخشَ ضيماً ولا تُمنسَ^٨ أخا فرق إذا رثاسيَ في يُمْنِي يدبكَ بقي
أصبحتُ أمضى من الحينِ المتاحِ فصلُ على الكماةِ وبني عند الوغى فثِقِ
لولا فتورُ بالحاظِ الظباءِ إذن لقلتُ لنيَّ أمضى من ظُبنا الحديق

١ انظر المغرب والمسالك والحلة .

٢ المغرب : عند .

٣ هو من المثل : أنفك منك وإن كان أجدع .

٤ الحلة ٢ : ١٦٦ .

٥ الحلة : فوجدته .

٦ الحلة : لتصنع بي .

٧ هي في الحلة ومنها بيتان في المسالك .

٨ الحلة : تصيح .

ويتطَرَّفُ هذا المعنى قولَ ابنِ شرف^١ :

لم يبقَ للظلمِ في أيامهم أثرٌ إلا الذي في عيونِ الغديرِ من حورٍ

ولابنِ هودٍ في المتوكلِ أيامَ سلطانه يابرة^٢ :

يا خائفَ الدهرِ يسمُّ أرضَ يابرةٍ تأمنُ وتكفي الذي تخشى من الحذرِ
وواصفَ البحرِ في شتى عجائبه حدثٌ بلا حَرَجٍ عنه وعن عمرِ
وكم سمعنا قديماً عن مكارمه حتى رأينا فأزرى الخبرُ بالخبرِ

في ذكر الشيخ الأديب أبي عمر فتح بن برئوصة البطليوسي^٣

من نبهاء العصر المقلِّين في الشعر ، إلا أن أبياته نوادر سوائر ، وهو
القائل في ابن برد^٤ :

إن ابنَ بردٍ لفتىً ماجداً ونفسُهُ بالعودِ مفتونةٌ
مددتُ كفي نحو بَلْطُوطَةٍ فقال : دَعْهَا وَخُذِ التَّيْنَةَ

وأنشدت له :

وشادنٍ طَلَبَتْهُ مقلتي بدمي فأطلعتُ ليَ في خديته منه أثرُ

١ قد مر في ما تقدم ص : ١٥٨

٢ منها بيتان في الحلة ٢ : ١٦٦ أكثرهما مطموس .

٣ انظر مسالك الأبصار ١١ : ٤٤٢ .

٤ أوردهما في المسالك .

وقام بين يديه الخالُّ يعذرني وقد تعمَّم بالاضلام^١ فوق قمر
كأنما حلَّ جيشُ الحسنِ صَفْحَتَهُ وكرَّ لليلِ فيه فارسٌ فأسر

وأخبرني غيرُ واحدٍ من أدباء عصرنا ، قال : دخل لمةٌ من الأدباء
دارَ الأديب أبي مروان بن الصيقل اليابري ، فرأوا في بيته سيفاً معلّقاً ،
فقالوا له : أيُّ شيءٍ تصنعُ بهذا السيف ؟ فقال : أعددتُه للمخانيثِ العتاةِ
نظرًا لِكُم ، فاهتبل بعضهم غِيرَتَهُ حتّى أخذ السيفَ ، ثم قاموا به عليه
وقالوا : والله لنقتلَنَّك أو نكتبَ لنا كتاباً بخطِّ يدك ، يتضمَّنُ أنا هتكنا
حريمك ، وعَجَمْنَا ميمك ؛ ولما رأى الجِدَّ . ولم يجدْ من بُدِّ . كتب
لهم بذلك خطّاً اليد ، فخاطب أبو عمر هذا بهذه الأبيات بعض^٢ إخوانه :

زُرْنَا أبا مروانَ شيخَ المجونِ ونحن لاندري سوى الظَّرفِ دين^٣
فقام يدعونا إلى نَفْسِهِ بدمعٍ^٤ جارٍ وصوتٍ حنين
قلنا له قد يرفع الدهر من آهِ وندريك رفيق^٥ اللدين
وممكن أن تتناسى^٦ لنا ذلك أو تُلْفَى من الجاحدين
اكتبْ لإخوانك رفقاً بهم صكاً بما عندك يستظهرون [١٤٧ب]
فلذ قضاناً صكَّنا وانحنى قمنا على منبره منشدين
سبحانَ مَنْ سخرَ هذا لنا منه وما كُنَّا له مُقَرَّنين

١ ط : بالإطلال .

٢ س : أحد .

٣ ط : بدمع .

٤ ط د : فقلنا .

٥ د : رقيق .

٦ ط : تناسى .

فقال أبو مروان بن الصيقل في ذلك :

يا رَبِّ مفعولين قالوا أعطنا خطاً يدٍ في أننا فاعلون
قلتُ لهم خطي مباحٌ لكم أكتبُ فيه كلَّ ما ترغبون
فَمَنْ رأى الخطَّ الذي هُم به قبلَ اشتهاهِ الأمرِ مستظهرون
يشهدُ بأن الخطَّ واللفظَ لي وأنَّهم في قولهم يكذبون

وانتهت الأبيات إلى الفقيه أبي عبد الله^١ بن القلاس فكتب إلى ابن الصيقل
بأبيات منها :

قل لأبي مروانَ شيخِ المجون شاعر ذا العصرِ العزيزِ القرين
قال ابن فتح إنه كان قد ولم يقلْ أكثرَ للمخبرين
وقد حكى أن له شاهدتي عدلٍ على ذاك من الصالحين
فإن يكن حقاً فلا تكتب إبليس جانٍ مثلَ ذا كلِّ حين
فالعزم أن تقصده ضارِعاً إليه سِراً فعساه يلين
واسأله أن يسترَ ما جاءه فان أبي فاجحد وزدّه يمين

فأجابه ابن الصيقل بأبيات منها :

أهكذا يفعلهُ الصالحون تقبل أيماناً من الفاسقين؟
لا تعتقد من شاعرٍ لفظَةً ولو غدا من أزهدِ الزاهدين
يريد أن يُخفي صبحاً وهل يخفي سنا الصبحِ على الناظرين
إن كان غرَّتْكَ يمينٌ له واحدةٌ خُذني بألفي يمين

١ س : أبي عمر .

في ذكر الأديب أبي عمر يوسف بن كوثر الشنتريني^١

أنشدت له من كلمة أولها :

ألا لا يُقْنَدُ عاشقاً مَنْ له ذِهْنُ فوالله لولا العشق ما عُرِفَ الحسنُ

ومنها في أحد تلامذ عصره^٢ :

مررت به يوماً يغازل مثلهُ وهذا على ذا بالملاحه يَمْتَنُ^٣
فقلتُ اجمعا بالوصلِ رأيكما فما لمثلكما كان التغزلُ والمجنُ
عسى الصبُّ يقضي الله بينكما له بخيرٍ فقالا لي اشتهى العسلَ السمنُ
فجاءهما دُبٌّ فأحرزَ ذا وذا وما لامرئٍ من ريبِ أيّامِهِ أَمْنُ

وأنشدت له في كلمة أولها :

حلّ^٤ لسيفِ الحبّ دمي ما مثلي منه بمخترم^٥
وفؤادي فيه يساعفها^٦ ويربها اللذة بالأم [١٤٨ أ]
فمتى لحظتُ بشراً^٧ حسناً تلتذُّ بصورته بهم^٨

١ ذكره في النفع ٣ : ٥٨ وأورد له ثلاثة أبيات ، وفي المسالك ١١ : ٤٤٢ وأورد له بيتاً واحداً .

٢ منها ثلاثة أبيات في النفع .

٣ ط د : بمخترم .

٤ د س : يساعدها .

٥ د : شيئاً .

٦ ط د : يلتذ . . . بهم .

يا أملحَ معشوقٍ نعتاً واسماً فلنعتك أنت سمي
شعشعٌ بوصالك كأسَ دلا لك تطنفِ بذلك من ضرمي

في ذكر الأديب أبي الوليد المعروف بالنحلي^١

كان باقة^٢ دهره ، ونادرة عصره ، ولم يصدّ دراهم ملوك عصرنا
إلاّ بحرّ النادرة والتوقيع ، وقد اندرجت له عدّة مقطوعات في تضاعيف
هذا المجموع ، وكان يُضحكُ مَنْ حَضَرَ ، ولا يكاد يتبسّم هو إذا ندّر ،
وهو القائل يصف طلوع الشمس ومقابلة القمر لها :

أما ترى الشمسَ وهي طالعةٌ تمنعُ عنها إدامةَ النظرِ
حمراء صفراء في تلونها كأنّها تشتكي من السهر

١ يتفق نفع الطيب (٣ : ٢٣٣) وبدائع البدائه (١١٤) وتحفة العروس (١١٣) في إيراد
قصة المعتمد مع إحدى حظاياها وما كان من شعر النحلي فيها ، ويورد النفع والبدائع قصة في
وصف فرس للمعتمد كان في كفله ست نقط (النفع ٣ : ٣٣١ والبدائع : ٢٦٩ وهي عن
الذخيرة ٢ : ٤٦٥) . وكذلك يوردان قصة شربه عند ابن طوفان (النفع ٣ : ٣٣١
والبدائع : ٤٠) وينفرد النفع بإيراد نادرة ماجنة له (٣ : ٢٣٤) وشعره في مغنية (٣ :
٤٤٥) وتدل قصة (٤ : ٩) على أنه كان لدى ابن صمادح ثم سار عنه إلى اشبيلية فمدح
المعتمد وغمز من ابن صمادح بقوله :

أباد ابن عباد البربرا وأقنى ابن معن دجاج القرى

ثم نسي ما قاله فلما حل بالمرية ، أحضره ابن صمادح لمناذته ، وأحضر لعملاء موائد
ليس فيها إلا لحم الدجاج ، فلما احتج النحلي على ذلك أفهمه ابن صمادح أنه أراد تكذيبه في
ما قال ، فطار سكره وجعل يعتذر ، فعفا عنه ابن صمادح ، ولكنه فر عن المرية وندم بعد
ذلك .

٢ س : نابغة .

مثل عروسٍ غداةَ ليلتها تُمْسِكُ مرآتها من القمر
أو صورة المجد وهي ماثلةٌ تنظرُ قدّامها إلى عمر

ومن أحسن ما سمعت في وصف^١ الشمس قول متوكل بن أبي الحسن^٢ :

كأنما الشمسُ مرآةٌ مجرّدةٌ وقد غدا المغربُ الأقصى لها سَفَطًا

ومن نوادر^٣ الآفاق ، الحلوةِ المساقِ ، الغريبةِ الاتفاقِ ، خبرُ النحليِّ
مع المعتمد بن عباد ، وذلك انه مشى بين يديه يوماً بعضُ نسائه ، في غلالةٍ
لا تكادُ تفرق بينها وبين جسمها ، ولها ذوائبٌ تخفي إياةَ الشمسِ في مدحهمها ،
فسكب عليها إناءَ ماورد فامتزج الكلُّ ليناً واسترسالاً ، وتشابه طيباً وجمالاً ،
فأدركت المعتمد أريحيةُ الطرب ، ومالت بعطفه راحُ الأدب ، فقال :

وهويتُ سالبةَ النفوسِ عريرةً تختال بينَ أسنّةٍ وبواتيرِ

ثم تعذّر عليه المقال ، أو شغلته تلك الحال ، فقال لبعض الخدم القائمين
على رأسه : سر إلى النحليِّ وخذْهُ باجازه هذا البيت ، ولا تفارقْهُ حتّى
يفرغَ منه ، فأضاف النحليُّ إليه ، لأوّلِ وقوعِ الرقعةِ بين يديه ، هذه
الآبيات^٤ :

١ س : صفة .

٢ س : الحسين .

٣ وردت هذه النادرة في النسخ وبدائع البدائع وتحفة العروس والمسلك السهل : ٤٦٣ .

٤ هي في النسخ وبدائع البدائع وانظر الإعلام ٢ : ٣٢٦ وفي ط د : « هذين البيتين » في موضع
« هذه الآبيات » ولهذا لم يرد منها سوى الأول والثالث ، إلا أن سائرهما مثبت بهامش ط بغير
خط الأصل .

راقت محاسنها ورقٌ أديمها فتكادُ تبصرُ باطناً من ظاهر
وتمايلتُ كالغصنِ في دَعَصِ النقا تلتفُّ في ورقِ الشبابِ الناضر
يندى بماءِ الوردِ مُسَبَّلُ شعرها كالطلِّ يسقطُ من جناحِ الطائر
تزهي برونقها وعزَّ جماها زهو المؤيدِ بالثناءِ العاطر
ملك تضاءلت الملوكُ لقدره وعنا له صرَفُ الزمانِ الجائر
وإذا لمحت جبينهُ ويمينه أبصرتَ بدرأ فوق بحر زاجر

فلما قرأها المعتمد استحضره وقال له : أحسنت . أو معنا كنت ؟
فأجابه النحلي بكلام معناه : يا قاتل المحل . أو ما تلوت ﴿ وأوحى ربك إلى
النحل ﴾^١ (النحل : ٦٧)

في ذكر الوزير الكاتب أبي بكر محمد بن سوار الأشبوني^٢

[١٤٨ ب] وأبو بكر في وقتنا واحد عصره . وله عدَّةُ قصائدٍ في
ملوك قطره . قالها تحبباً لا تكسباً ، وعمر مجالسهم بها وفاءً لا استجداء .
فلما خلَّع ملوكُ الأندلس حالت به الحال . وتقسَّمتْ الإدبار والإقبال .
ثم أسره العدو بعقب محنةٍ ، وبين أطباق فتنة . وقيد بقوريةٍ من عمل
الطاغية ابن فردلند . ثم خرج من وثاقه . خروجَ البدر من مُحاقه
وتردَّد في بلاد أفقنا يحمله قربٌ على بعد . ويكله سعيُّه إلى سعد . حتى

١ زاد في ط بغير خط الأصل : ن زاد المتشد هذا الجواب عجباً ، واعتز له استفراباً وتعجبياً ، وقرب
النحلي وأدناه ، ووهب له من المال ما أرضاه به وأغناه .

٢ له ترجمة في المغرب ١ : ٤١١ ومسالك الأبصار ١١ : ٤٤٣ والمحمّدون من الشعراء : ٣٥٩
والوافي ٣ : ١٤٣ .

ضاقَتْ عنه الخطوب، وملَّه السُّرى والتأويب، واتفق له أن أسمع الله صوته من وراء البحر المحيط الفقيه الأجل قاضي القضاة بالمغرب، وسلالة الأَطيب فالأَطيب، أبا الحسن علي بن القاسم بن عشرة، فأجابه وأباه^١، وجذب بِضْبَعِهِ واستدناه، فأعاد هلاله بدرأ، وصيَّر خَلَّه خمراً، ولبني القاسم^٢ في الجود خيم^٣ كريم، ولهم تقدُّمٌ مشهورٌ معلوم؛ بلغني أن جدَّهم الأكبر أحمد بن المدبر، حاملُ تلك الفضائل، وصاحبُ الأعمالِ الجلَّائل، إذ كان أحدَ نجومِ تلك الآفاق، ببلاد الشام والعراق، واشتهار معرفة قدره، يمنعُ عن ذكره، لكنِّي ألع هنا بلمعة من أمره.

قرأت في الكتاب الكبير لليعقوبي في الدولة العباسية قال: كان لأحمد ابن المدبر منزلةٌ عند المتوكل جعفر، وكان قد قلَّده ديوانَ الضياع لإبراهيم ابن العباس الصولي، قال وهب بن سليمان بن وهب: وكنت أكتبُ له، وكان رجلاً بليغاً، ولم يكن له في علم الخراج تقدُّمٌ، وكان بينه وبين أحمد ابن المدبر تباعد، وكان أحمد نسيجَ وَحْدِهِ، فدخل على المتوكل وقال له: قلَّدتُ ديوانَ الضياع لإبراهيم بن العباس فضاع، فقال له المتوكل جعفر: غداً يحضر، وتكلَّم في أمره بما يظهر؛ فبلغ ذلك إبراهيم فاغتم لمعرفته أنه لا يفي بأبن المدبر، وحضرا من الغد، فقال له المتوكل^٣: تكلم يا أحمد

١ واتفق . . . وأباه : زيادة عن س و المسالك .

٢ بنو القاسم هم بنو عشرة من أعيان سلا، وقد كانوا مقصد الشعراء في عصرهم، أو كما يقول ابن الأبار « رباب السماع وأرباب الأمداح » (اعتاب الكتاب: ٢٢٤) وللدكتور محمد بنشريفة بحث عن أسرة بني عشرة (مجلة البحث العلمي، السنة الرابعة، العدد العاشر ص: ٦٥-١٠٢) ١٩٦٧ .

٣ ط د : التكلّم .

فذكر أشياء صدّقَ فيها ، وإبراهيم ساكت ، فقال له المتوكل : يا إبراهيم
ألكَ جوابٌ على كلامه ؛ قال : جوابي يا أمير المؤمنين في بيتي شعر إن أذن
لي قتلتهما ، قال : قل ، فأنشد^١ :

ردّ قولي وصدّقَ الأقوالا وأطاعَ الوشاةَ والعدّالا
أتراه يكونُ شهرَ صدودٍ وعلى وجهه رأيتُ الهلالا

فقال المتوكل : زاه زاه ! ! أحسنتَ والله ، إيتوني بمن يلحنُ هذا ،
وأحضِرُوا الندمان ، ودعونا من أخبار الديوان ، وخلق على إبراهيم .

وخلا المتوكل يومَهُ بلهوهٍ ، وبقي إبراهيم مغموماً في منزله ، فقيل
له : هذا يومٌ سرورٍ بما جدّدَ عليك من النعمة ، وأخصّصتَ به من الكفاية
بدل النعمة ، فقال : الحقُّ بمثلي أولى وأشبه ، وما أدفعُ أحمد بن المدبر ،
ولا كذبَ في شيء مما ذكره ، ولا أنا ممّنْ يعشره في الخراج ، كما لا
يعشرني في البلاغة ، وإنما ظهرت عليه في يومي هذا بالهزل ، فما لي لا
أبكي فضلاً عن أن أغتم ، من زمان يُدْفَعُ فيه الحقُّ بالباطل ؟^١ وسيكونُ
لهذا وشيئُهُ نَبأٌ بَعْدُ .

وقال يوماً بجي بن أكرم القاضي لابن المدبر بحضرة المتوكل جعفر :
أنت كاتبٌ تفقّه وتذكرُ أنك لا تُلزِمُ الناسَ الأموال إلا بحجج فقهية :
مَنْ كَتَبَ للنبي عليه السلام ؟ قال أحمد : ليس على الكاتب عِلْمٌ ذلك ،
ولا تعلّمهُ أيضاً على الفقيه ، إذ لا يحلُّ حلالاً ولا يحرمُ حراماً ، وقد روي أن

١ ديوان إبراهيم الصولي (الطرائف الأدبية) : ١٤٩ والأغاني ١٠ : ٥٩ وفيه طرف من حكاية
الصولي مع ابن المدبر .

عثمان وعلياً وزيد بن ثابت وحنظلة ومعوية وغيرهم كتبوا له صلى الله عليه وسلم ، ولكن من الذي عمل على عهده عمالك فأمر بقتله ؟ يعرض له بما كان ينسب لابن أكم من اللواط - فحجل ، واستفرغ ضحكاً المتوكل ، فكان ذلك سبب العداوة بينهما ؛ وأخبره كثيرة مأثورة .

جملة من شعر أبي بكر بن سوار في أوصاف شتى

[١٣٩ أ] له من قصيدة أولها ١ :

إيالك من ظبية في ذلك الكنس^١ فلانها أختُ ذاك الضيغم^٢ الهريس^٣
كم نمَّ بي^٤ جرسُ قُرطبيها وساعدني ما في الخلاخل من صممت ومن خرس
ما ظبية المكنس العفراء همتُ بها وإنما تيمتني ظبية^٥ الأنس^٦

ومنها ٤ :

ما يُعرفُ العَرَفُ في المساوك من سبب^١ إلا من الشنَّبِ المعطارِ واللَّعَسِ^٢
يا رَبَّةَ الخدرِ حيثُ النجر من أسد^٣ والموجُ من زَرَدِ والسيْفُ من فرس
رسومُ دارك^٤ في يبرين^٥ دارسة^٦ وفي الحشا لك ربيع^٧ غيرُ مندرس
قس ما تشاءُ تجدُ بي مثله^٨ عوضاً وبالزمان الذي ولَّى فلا تقيس

١ منها أبيات في المحدثون والمسالك .

٢ ط د : لي .

٣ سقط هذا البيت من ط د ، وهو ثابت في س والمحدثون من الشعراء .

٤ منها : سقطت من س .

٥ ط د : البحر (دون اعجام) من أمد ، وأثبت ما في س والمحدثون .

أَلَسْتَ تَذْكُرُ يَوْمًا حِينَ زُرْتَهُمْ والدهرُ يخرجُ من عيدٍ^١ إلى عرس
نزلت في موضعٍ حَفَّ الغديرُ به كما يحفُّ اخضرارُ الليل بالغلس
> تريك دائرةَ الدينار صفحتهُ فإن تهادى قليلاً صار كالترس <^٢
ترى بها الخوت حول الماء جثته [...] ما يرمي من النفس^٣
كأنَّ جودَ عليٍّ جاد بلجتهُ فليس يخشى عليه آفةُ الدرس
مطهرٌ لم يَدْنَسْ عرضه بخلٌ وجوهرُ الشمسِ معصومٌ من الدَّنس

وكان أسر على ما ذكرته ، وبقي معتقلاً بمدينة قورية ، إلى أن خرج
من وثاقه ، وقال في ذلك قصيدةً يصفُ كيفيةَ القبضِ عليه ، قال فيها^٤ :

وليلٍ كهْمٌ العاشقين قميصُهُ ركبْتُ دياجيهِ ومركبها وعَرُ
سريتُ وأصحابي يُميلُهُمُ الكرى فهمُ منه في سُكْرِ وما بهم سُكر
رमितُ بجسمي قلبه فنفدتهُ كما نفذ الإصباحُ إذ فتقَ الفجر

١ المسالك : حزن .

٢ زيادة من المسالك .

٣ سقط البيت من ط د ، كما سقط البيتان التاليان له من س .

٤ هو علي بن القاسم بن محمد بن موسى بن عيسى ، أبو الحسن ابن عشرة ، كان فقيهاً حافظاً
سري أهل بلده ، وجيهاً فيهم نبيه القدر ، رئيساً جواداً ، دخل الأندلس غازياً وامتدحه بها
طائفة من أدباؤها وشرق حينئذ ورجع ثم عاد إلى بلاده ؛ وتوفي بسلا سنة ٥٠٢ هـ ومن امتدحه
من جلة الشعراء ابن حمديس وأبو الوليد اسماعيل بن ولاد وله في مدحه ومدح ابنه أبي العباس
مجموع سماه «نزهة الأدب» (الذيل والتكملة - قسم الغرباء ، الورقة : ١٠ من مصورة الخزافة
العامة بالرباط) ومن مداحه أيضاً الأعمى التطليبي وابن بقي وغيرهما (انظر مقالة
الدكتور بنشر يفة عن أبي عشرة) .

٥ ط : تخفى .

٦ منها أبيات في مسالك الأبصار .

ولما بدا وجهُ الصباح تطلَّعت
فقلت لهم : خيل النصارى فشمِّروا
وكانت حُمَيَّا النومِ قد صرعتهم
وأفردتُ سهماً واحداً في كنانة
وكنت عهدت الحرب مَكْرَآ وخدعةً
فطاعَتْهُمْ حتى تحطَّمتِ القنا
أضرج أثوابي دماً رثيابَهُمْ
وأحدقَ بي والموت يكشر نابه
فأعطيتها وهي الدنيَّةُ صاغراً
فطاروا وصاروا بي إلى مستقرِّهِمْ
فقال العذارى حرَّقُوهُ مقارضاً

ومنها :

خيولٌ من الوادي محجَّلةٌ غُرُ
إليها. وكرُّوا ها هنا يَحْسُنُ الكرُّ
فَقُلُّوا وَوَلَّوْا مدبرين وما قرُّوا
من الحرب لا يُخْشَى على مثله الكسر
ولكنْ مع المقدور ما لا مريء مكر
وضاربَتْهُمْ حتى تكسرتِ البُشُرُ
كأنَّ الذي بيني وبينهم عطر
ومنظرُهُ جَهَمٌ وناظره شَزُرُ
وقد كان لي في الموتِ لو يدَّني عذر
يصاحِبني ذلٌّ ويصحبهم فخر
فمن قتله الفتيانَ عَطَّلَتِ البكر

فجاعوا بأنواعِ الكبول ونظَّموا
وساقوا كلاباً كالْفَحُولَةِ أجْسُماً
فقالوا آعطينا ألفاً فقلت مضاعفاً
فسبحانَ ربي ما أجلُّ جلاله
فضاقتُ عليَّ الأرضُ حتى كأنها
فناديتُ في حولٍ من الدهرِ كامل
وإنَّ وراءَ البحرِ أروَعَ ماجداً
ألا خبراني ابني أبي هل أتاكما

سلاسلَ في جيدي كما يُنظَّمُ الدر
لها أعينٌ خُضِرُ ملاحظها شَزُرُ
[]
تخلَّصني منها له الحمد والشكر [١٤٩ب]
بما رَحُبَتْ ما كان في طولها فتر
ألا رجلٌ حرٌّ ألا رجلٌ حرٌّ
بغرته الغراء يُسْتَنْزَلُ القطر
وشيكاً عن القاضي أبي حَسَنِ ذكر

١ زيادة من س ٤ والشطر الثاني بياض . وهذا البيت يرد في القصيدة التالية .

سلا عَنْ سَلا هَلْ مِنْ عَلِيٍّ حَقِيقَةٌ
 أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا عَلِيٌّ وَقَرْبُهُ
 بَعْدَ عَلِيٍّ تُعْمَرُ الْأَرْضُ كُلُّهَا
 حَنِينِي إِلَيْهِ مَوْثِقًا وَمَسْرَحًا
 فَأَتَيْتُ فِي أَحْشَاءِ قَوْرِيَّةٍ سَرًّا
 وَإِلَّا فَاِنَّ الْأَرْضَ عَامَرَهَا قَفَرٌ
 وَتَتَّسِعُ الدُّنْيَا وَلَوْ أَنَّهَا قَبْرٌ
 كَمَا حَنَّ لِلْبَرِّ الَّذِي يَفْرُقُ الْبَحْرَ

وله من قصيدة في قاضي الجماعة أبي عبد الله بن حمدين :

من معشرٍ حُمِدُوا فَأَحْمَدُ سَعِيهِمْ
 مَضَتْ الْقُرُونُ وَمَرَّتِ الدُّنْيَا وَمَنْ
 اللَّهُ دَرَكٌ أَيُّهَا الْقَاضِي فَمَا
 وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالْعَدُوَّ يَعْصِي
 يَوْمَ الْعَذَابِ وَلِلْكَلابِ تَصَوُّرٌ
 وَتَوْهَمُونِي بِالْغَنَى وَأَضْرَبُ بِي إِلَا
 قَالُوا : آعْطَانَا أَلْفًا فَقُلْتُ مَضَاعِفًا
 فَبَقِيتُ عَامًا فِي الْإِسَارِ مَصْفَدًا
 لَمْ يَسْتُ وَلَمْ تَكُنْ لِي حِيلَةٌ
 وَتَرَكْتُهُ بِيَدِ الْعَدُوِّ مَوْثِقًا^٢
 وَرَدَّتْ رَسَائِلُهُ عَلَيَّ فَتَارَةٌ
 وَلَنَا أَخِيَّاتٌ وَأُمٌّ أَتُكَلِّمُ
 فِقْلُوبِهِمْ كَالْقَلْبِ فِي خَفْقَانِهِ
 فَأَتَيْتُ نَحْوَكَ وَالرَّجَاءُ يَقُودُنِي
 فَلَذَاكَ مَا سُمُّوا بَنِي حَمْدِينَ^١
 فِيهَا وَمَا جَاءَتْ لِمَنْ بَقَرِينَ
 حَبْلُ الرَّجَاءِ لَدَيْكَ غَيْرُ مَتِينٍ
 وَالْعَلَجُ يَلْطُمُ صَفْحَتِي وَجَبِينِي
 حَوْلِي وَنَشَابُ الرَّدَى تَرْمِينِي
 مَا الَّذِي أَخَذُوهُ إِذَا أَخَذُونِي
 لَمَّا رَأَيْتُ الْمَوْتَ مَلَأَ جَفُونِي
 بِسِلَاسِلٍ ضَرْبًا مِنَ التَّنِينِ
 أُرْسِلْتُ فِي ابْنِ أَبِي فَكَانَ ضَمِينِي
 فِي ذُلٍّ أَغْلَالٍ وَضَيْقٍ سَجُونِ
 يَشْكُو إِلَيَّ وَتَارَةٌ يَشْكُونِي
 وَأَخَافُ قَبْلَ الْجَمْعِ وَشُكَّ مَنُونِ
 وَعَيُونِهِمْ فِي جَرَبِهَا كَعْيُونِ
 وَجَمِيلٌ ذَكَرَكَ خَلْفَهُ يَحْدُونِي

١ شر البيت ص : ٢٢٢ .

٢ س : منقفاً .

وله من أخرى في القاضي أبي الحسن بن القاسم^١ :

ساروا وَحَبَلُ وصالهم مَبْنُوتُ
بانوا وروحي عندهم وَحُشَاشَتِي
أسفي على وادي الأراكِ وإنما
أنحي على الأقراطِ ناطقةً ولا
لا تأخذوا في اللوم لستُ بسامعٍ
هذا فؤادي إنْ وجدتمْ غَيْرَهَا
فسلوا نجومَ الليل كيف أبيتُ
وتظنُّ أَنَّهُمْ مَضَوْا وبقيت
يتأسَّفُ المحزونُ وهو يموت
أنحي على الخلخالِ وهو صموت
إنَّ الملامةَ في الهوى تعنيت
في طيِّهِ فالنَّارُ والكبريت

ومنها في المدح : [١٥٠ أ]

لو أنْ رَفَقَكَ في القلوبِ مُرَكَّبُ
ولقد حملتَ من الوقارِ سَكِينَةً
لم يلتقمْ في البحرِ يونسَ حوت
لم يحتملها قبلك التابوت

وله فيه من أخرى أولها :

من لظى قلبي اقتدحُ لا من زنادِ
أصرفوا نومي ليدني طيفكم
أنتمُ الأحبابُ في حُكْمِ الهوى
جسدي أنحل من سرِّكم
تكنُّ الشَّحْناءُ في أحشائهم
يحمدُ النجمُ الثريا ألفي
ما مرادي أن أرى منفرداً
لا سقى الروضَ غمامٌ ساكب
ودموعي استسقى لا صوبَ الفؤادي
وهنيئاً ما غصبتُم من فؤادي
فارقوا لا تفعلوا فعلَ الأعادي
في تناجيكم به يومَ البعاد
ككمونِ الخمرِ في جَوْفِ الرماد
ولقد يبكي سهيلُ لانفرادي
ربَّ محمولٍ على غير المراد
ليس يَسْتَقِي مَعَهُ شوكَ القناد

١ منها أبيات في مسالك الأبصار .

ومن المدح :

إنَّ من بعدِ بني القاسمِ لا
نَسَبَ مُطَرِّدٌ من شرفِ
وقبيلٍ كُلُّهُ من عزَّةِ
وبنو عَشْرِ ذُو العَياضِ لم
وعفافٍ واعتكافٍ وتقى
وله فيه من أخرى :

بَدَتِ الغزاةُ والغزاةُ وجهها
خالستُها وتبسمتُ فظَنَنْتُها
فتشابهتُ منها الثلاثةُ أَضْرَبُ
لو كانَ مرثياً جُمانُ حديدِها
ومضتُ تجرُّ وراءَها شَعراً كما
يمحو مَواقِعَ لآثرها فَكأنَّه
والمسكُ فوقَ التُّرابِ من أُرْدانِها
ما لي وما لك يا غيورُ^٢ تسومني
هلاًّ التقينا حيثُ تنثرُ^٣ الطُّبَا
والجوُّ أدكنُ بالغبارِ قَميصُهُ
وكانَ يومَ الحَشْرِ يومٌ جموعنا

وتكلَّمتُ فسمعتُ ظيماً يَبْغُمُ
عن مثلي ما في نحرها تَبْهَمُ
عقدٌ وثغرٌ طيِّبٌ وتكلَّمُ
لرأيتَ منه أَجلاً شياً يُنظَّمُ
أعطاك جانبَهُ الغرابُ الأَسْحَمُ
يخفيه عن عَيْنِ الرقيبِ ويكتمُ
خَطَّ كما رُقِمَ الرِّداءُ المعلمُ
خطَّ الردى وأنا المعنى المغرمُ
والهامُ تسقطُ والقنا تتحطَّمُ
والجيشُ أرعنُ والحميسُ عرمرمُ
وكانَ غَلِيَّ الحَرْبِ فيه جهنمُ

١ منها أبيات في الوافي والمسالك .

٢ ط د : عيون ، والتصويب عن المسالك .

٣ ط : ينثر .

٤ الوافي : فيه .

وكان كل كمي حربٍ ماردٌ
ومدربين على الطعان لقيتهم
لبسوا جلودَ الرقَم واعتقلوا القنا
حتى علواهم بكل مهتدٍ
ذو خُطبةٍ في الهام يُسمعُ صوتها
ولقد سلمتُ من الصوارم والقنا
أعلي يا ابن القاسم بن محمد
رُدَّ الحيةَ مثل ودِّي غضةً
ولقد كتبتُ وأدمعي منهلةً
أمن السوية أن أكون كما أنا
والله يرضى عنك من حكَمٍ فقد
إن بنتُ عنك ولم تُردّه فلأنه
ولقد ندمتُ على فراقٍ سلا كما

تهوي إليه من الأسنة أنجم
وكانهم في الشمس ليل مظلم [١٥١ب]
فرايتُ كيف يجرُّ أرقمَ أرقم
يبكي فتحسبه لهم يترحم
في كل قطرٍ وهو لا يتكلم
لو كنتُ من فتكات رَميك أسلم
بيني وبينك عروّة لا تفصم
لأنني عليك مع النسيم مسلم
والقلب فيه جدوة تنصرم
فيفوز غيري بالنعيم وأحرَم
وافيت حُكُمَ الله فيما تحكم
بعضي لبعضك في فراقك يخضم
ضعف الندامة حين أهبط آدم

وهذا كقول الآخر :

كأدم حين عصى ربّه عوّض بالدنيا من الآخرة

قوله : « يجر أرقم أرقم » ، كقول ابن اللبابة ، وقد تقدّم :

١ وردت لفظة « ومنها » بعد هذا البيت في س .

٢ وقعت لفظة « ومنها » بعد هذا البيت أيضاً في س .

٣ قرأها الأستاذ بنشريفة : « طعم » ، وهي قراءة جيدة .

٤ انظر ما تقدم ص : ٧٨ .

• فقلتُ الصلُّ أتبع ضيغما •

وقوله : « والمسكُ فوق التراب » . . . البيت ، كقول ابن شهيد :
وولتُ والمسكِ من ذيلها على الأرضِ خطَّ كظهر الشجاع^١
وله فيه من قصيدة أولها :

حننتُ وحثتُ ^٢ أينُمتي وجمالي	إلى ضوءِ ذاك البارقِ المتعالي
ويحكى فؤادي خفقهُ المتوالي	تألّقَ يَزجي عارضاً مثلَ أدمعي
لطارت إليه في صباً وشمال	فلولا شمالي في زمامِ شملتي
به لا إلى سدرٍ هناك وضال	إلى مسقطِ الغرس الذي كان غرسها
لدى موردٍ عذبِ المياه زلال	ولم تُنسها الأرطى رياضاً ترودُها
وإن كان في حاشاه ناعمَ بال	وحُبَّبَ للإنسانِ أوّلُ موطنٍ
فعانقَ جسماً مثلَ طيفِ خيال	همُ بعثوا طيفَ الخيال الذي سرى
مغلّفةً أعطافهُ بغوالي	وأقبل من تلقائهم فكأنه

ومنها :

عليك ، وقلبي ليس عنك بسالي	فيا دارهم بالحزنِ حُزني مُجدد ^٣
ومن دون أن ألقاك سورُ عوالي ^٤	أرى أعيناً صُوراً إليّ كثيرة
مُطارَ ذبابٍ أو مدبَّ نمال	وأبيضُ هنديّ كأنَّ بجده

١ لم يرد من البيت في ط إلا قوله : « كظهر الشجاع » .

٢ د : وحثت ؛ س : وحثت .

٣ ط د س : مجرد .

٤ سقط البيت من س .

جری فوقه ماءُ الفرندِ وتحتہ
وقد أظهرت فيه المنايا نفوسہا
وجال علی متنیہ کلّ مَجّالِ
كما خَوَّضَتْ لُجَّ السرابِ سَعالي

ومن المدح^١ :

ولم یَحْكَمْهُمْ صوبُ الحیالِ کَنِ اغتدی
وجاءوا علی جید الزمانِ قلائدًا
أقاموا لواءَ المکرّماتِ وخیّما
إذا احتجبوا لم یَسْتِرِ الحجبُ نورهم
أو انتسبوا فی المجدِ کان انتسابُهم
وان ورثَ العلیاءَ عنهم علیّها
سکینتُهُ من أعْفَرٍ^٢ وبللم
إلیکَ رمتنا العیسُ حتی کانتها
بما فیهمُ من شیمةٍ وخال
وأفعالُهُم فیها ضروبُ لآلِ [١٥١]
من المجدِ والعلیاءِ تحتَ ظلال
وإن طلّعا كانوا بدورَ جَمال
لأعظمِ عمٍّ أو لأکرمِ خال
فلا بدعَ فی حالٍ وراثتُهُ عال
وبعضُ رجالٍ فی سکونِ جبال
من الوهنِ أقواسُ رَمَتِ بنبال

وهذا لفظ أبي العرب الصقلي^٣ . وهو معنى قد نبّهتُ عليه في تضاعيف
هذا التأليف :

وحطَّ بنا عن ناجیاتِ کانتها قسيُّ رَمَتِ منّا البلادَ بأَسْنَهُمِ

وكذلك قوله : « جری فوقه ماء الفرند » لفظ ابن المعتز^٤ :

جری فوق متنیہ الفرندُ کأنّما تنفّسَ فیہ القسینُ وهو صقيلُ

١ س : ومن مدح هذه القصيدة .

٢ أعفر : جبل في بلاد الشام (معجم ما استعجم ١ : ١٧١)

٣ ترجمته في القسم الرابع من الذخيرة . الورقة : ١٠٩ ويرد البيت هناك .

٤ زهر الآداب : ٧٧٦ .

وفي أشعار أبي بكر تليفق كثير ، على تدفق نخبزته ، وقوة غريزته ،
كقوله في قصيدة ، منها :

وفتية من أعاريب كأنهم	أسدٌ على أعوجيات سراحيب
لا يلبسون جلودَ الرقم سابعة	حتى تُخاطَ بأحداق اليعاسيب
ولا تبيتُ على قُربٍ مَحَلَّتْهُمُ	إلا يبيت حمامهم غيرَ مقروب
يا كم مضيتُ وغولُ الهول يتبعني	وكم سريتُ وسيلُ الليل يرمي بي
مُلابساً ما تراه العين مُلْتَبِساً	ليلاً مع الليل أو ذُبياً مع الذيب
وأطرقُ الفتياتِ البيضَ لابسَةً	بيضَ الجلايب في سودِ الجلايب
والقرطُ كالقلب من خَوفٍ ومن حذر	كأنه هوَ في خوفٍ ٢ وتعذيب
لم آتِها قطُّ إلا نمَّ بي وبها	واش من الحَلْيِ أو واشٍ من الطيب
ولا أنتَهِيتُ إلى أطناب قُبَّتْها	إلا على ظهرِ مطعونٍ ومضروب
بأبيضِ بدمِ الأجسادِ مغتسلِ	وأسمِرِ بدمِ الأكبادِ مخضوب
والطبعُ أكرمُ في تركيبِ خلقتهِ	من أن أكون محبباً غيرَ محبوب
إن كنتَ يا دهرُ لم تُحسِنِ معاشرتي	فيما مضى فلقد أحسنتَ تأديبي
أجربُ الناسَ في ضيقٍ وفي سعة	والناسُ صنفان في حدِّ التجاريب
وما على العود أن يُهدي نوافحه	إلا على لَهَبٍ بالجرمِ مشبوب
ويُطلبُ الجودُ من قومٍ وجودِ بني	عَشْرِ يَجِيثُكَ عفواً دون مطاوب
محاسنٌ ثقفت منها أوائلهم	كما تَشَقَّفَ أنبوبٌ بأنبوب

وقال من أخرى ، وذكر حمامة :

١ ط د : وحول .

٢ س : خفق .

بكت لم تُسَلِّ دمعاً ولا هي أعربت
ولم أرَ أشجى من بكاءِ بَعَثْنَهُ
نوائحُ ما غاضَتْ دموعُ جفونها
وما ذلك المحمرُّ فيهنَّ خلقة

ومنها :

سقى منزلاً بالغرب مُنْسَكِبُ الحيا
بحيثُ بنو عَشْرِ تَئِيرُ وجوهُهُمْ
فما أكثرُ المثني عليهم سَجِيَّةً
رعى الله فيكم ذمَّةَ المجد والعلا

وله فيه من أخرى ٢ :

إذا نزلَ العافون في عُمْرِ دارِهِ
بحيثُ حياضُ الجودِ ٣ زُرُقُ مياهُها
وللغيثِ أوقاتٌ يفاجي ٤ صَوْبُهُ
أغرُّ طليقُ الوجهِ يَهْتَرُ للندى
فما لعلِّي في البريَّةِ مُشَبَّه
فلو أنني في الوصفِ لم أذكرِ اسمه

ولا أفصحت معنى بلحنٍ كلامٍ
فزدن به في لوعتي وغرامي [١٥١ب]
على السَّكَبِ إلا والضلوعُ حوام
ولكنها ١ مما بكين دوامي

وجاد عليه كلُّ أسحمٍ هامٍ
كما طَلَعَتْ ليلاً بدورُ تمام
وما أشبهَ النُّعْمَى بطوقِ حمام
فلا خلقتُ أَرعى منهمُ للذمام

فقد نزلوا في غبطةٍ وأمانٍ
وَمَزُنُ العطايا دائمُ المَطْلانِ
ونائلُهُ ينهلُ كلَّ أوانٍ
كما اهتزَّ مصقولُ الفرندِ يمانٍ
وما لعلِّي في الأنامِ بثاني
دَرَوُهُ وقالوا : ذي صفاتُ فلان

١ ط : ولا كنت .

٢ من أخرى : زيادة من س .

٣ س : الموت .

وله فيه من أخرى عند صدره من حضرة أمير المسلمين :

مضيتَ بوجهِ السَّعدِ وهو طليقُ	وأبنتَ بثوبِ النججِ وهو يروقُ
لقيتَ أميرَ المسلمين مقرباً	كما يتلاقى شائق ومشوق
رآكَ وللإسلام نُصْحُكَ كُلُّهُ	وعهدُكَ في ذاتِ الإله وثيق
تلقَّاكَ بالبشر الذي أنتَ أهلُّهُ	فقالوا : أب حانٍ عليه شفيق

ومنها :

ولما طغى قوم وفرتَ لحومهم	فعاَجَ فريق واستقامَ فريقُ
وَضَلَّتْ حلومُ ^١ بالجهالةِ مثلما	أضلَّ سَواع معشراً وَيَعُوقُ
وجاموك بالمكرِ الكريه وإنما	بصاحبه ^٢ المكرِ الكريهُ يحيق
أراهم مكانَ الفضلِ منك فرُّوعوا	كما انتشقتُ ريحَ الغضنفرِ نوق
وفرُّوا ولولا حُسْنُ رأيكَ فيهمُ	لما حملتهمُ بعدَ ذلك سوق
فلا عَدِمُوا منك الذي عهدوا فما	بغيرك غفرانُ الذنوبِ يليق
توسَّعتْ فضلاً في وليٍّ وحاسدٍ	ولم يكُ في باعِ المكارم ضيق
كرمتُمُ فروعاً في المعالي حميدةً	وطابتْ أصولُ منكمُ وعروق

وله فيه من أخرى ، وكتب إليه^٣ بها من تلمسان وأولها^٤ :

لعلَّ إِيابَ الظاعنين قريبَ فترجعُ أيامُ الحمى وتؤوبُ

١ ط : نجوم .

٢ ط : لصاحبه .

٣ إليه : زيادة من س .

٤ وردت أبيات منها في الوافي للصفدي وبيتان في المغرب .

مقاني تلاقينا وعهدُ اجتماعنا
وأيامنا بيضُ الليالي ودَهْرُنَا
بها كان يدعوني الهوى فأجيبهُ
وأرمي المها عن ناظري فتصيبها
وفي الخدرِ مكحولُ الجفونِ صفاته
إذا ما أدارا الكأسَ من مثل ريقه
فأجفانهُ سَكْرَى ونحن وقدُهُ
ويهتزُّ نوارُ الملاحَةِ حوله
على مثلِ أيام الزمان الذي مضى

ومنها :

أمثلَ عليّ تطلبُ العينُ أن ترى
فتيَّ يهبُ الدنيا ويرتاحُ للندي
وتأتي عطاياه اطرَادَ خصاله
وإن كنتُ قد أضربتُ عن مدح غيره
أحبُّ سَلاَ من أجلِ كونك في^٣ سلا
لصيررتها مصراً فتسيلُكَ نيلها

وليس علينا للزمانِ رقيب
من الحُسْنِ ما للشمسِ فيه غروب
مطيعاً وأدعوا بهوى فيجيب [١٥٢]
سهامي وترميني المها فتصيب
من السَّحرِ معسولُ الرُّضَابِ شبيب
تمايلَ غُصْنٍ وارجَحَنَ كُثيب
وكلُّ^١ بما استولى عليه مريب
فيعبقُ من أنفاسه ويطيب
تُشَقُّ قلوب لا تُشَقُّ جيوب

ومثلُ عليّ في الملوك غريب
كما اهتزَّ غصنُ البانِ وهو رطيب
كما اطرَدَتْ للسهمريِّ كعوب
فليس له في العالمين ضرب^٢
فكلَّ سلاويٍّ إليَّ حبيب
وكفأكَ بطحاها وأنت خصيب

١ ط د : أراد .

٢ وتمت لفظة « ومنها » بعد هذا البيت في س .

٣ المغرب : من .

وقد كرر هذا المعنى فيه أبو بكر ، في مواضع من شعره ، منها قوله
من قصيدة^١ :

يقولُ رجالٌ غيرَ ما يفعلونهُ وإنَّ عليّاً قاتلٌ وفعلُ
فلا تطلبوا في ساحةِ الأرض مثلهُ فمثلُ عليٍّ في الملوكِ قليلٌ
ولولاك ما كانت سلا دارَ هجري ولا كان لي عمَّنْ أحبُّ رحيلُ
فألفيتها مصرّاً وأنتَ خَصِيْبُها وكفَّاكَ بطحاها ونَيْلُكْ نيلُ

ولما توفي سنة اثنتين وخمسمائة قال فيه يرثيه :

العيشُ بعدك يا عليُّ نكالُ لا شيءَ منه سوى العناءِ يُنالُ
يا عثرةَ عثر الزمانُ بأهله ليتَ الزمانَ من الزمانِ يقالُ
يا عصمةَ الفقراءِ بل يا مالههمُ هيات ما للناسِ بعدك مالُ
أبكيك بالدِّمِّ لا بدمعي إنّه يبكي سواي به وذاك محالُ
دنيا ظفرت وما متاعك كُلُّهُ إلّا سَرابٌ يضمحلُّ وآلُ
قد كنتُ مشغولاً به متوقعاً ولذي الوفاءِ بغيره أشغالُ
فالآن ها أنا لا أبالي عن أسيٍّ وقع التوقعُ فاستراح البالُ
قد كنتُ آمالي التي أنا طالبُ جهدي ومتَّ فمات الآمالُ
لا الظلُّ ظلُّ بعدَ فقدك يا أبا حَسَنٍ ولا الماءُ الزلالُ زلالُ

ومنها :

كنتُ^١ الصَّفوحَ عن المسيء ولم يكنْ إلا الجميلُ لديك والإجمالُ
حُطُّوا عن الأكوارِ قد مات الذي يتحمَّلُ الأعباءَ وهي ثقالُ

١ زاد في س : « تقدمت » .

٢ ط د : كيف .

مذهُ وَدَعَّ الْقَوَالَ وَالْفَعَالَ مَا
وَتَهْدَمُ الْجِبْلُ الْمَنِيفُ فزُلْزِلَتْ
فَلأَجْعَلُنَّ حَجَّيْ لِقَبْرِكَ إِنَّهُ
كَلَّا عِيَالِكَ لَكِنْ [...] [. . .]
أَيْنَ الْعِزَاءُ فَقَدْ أَدِيلَ بِأَحْمَدِ
فِي الْأَرْضِ قَوَالَ وَلَا فَعَالَ [١٥٢ب]
رُتِبُ الْعِلَا وَمِنَ الرِّجَالِ رِجَالُ
لِلخَيْرِ فِيهِ وَلِلتَّقَى أَوْصَالُ
فَجَمِيعُنَا لَكَ يَا عَلِيَّ عِيَالُ^٢
دُوَلُ الْأَفَاضِلِ بِالْبَنِينَ تَدَالُ

ومنها :

طَوَّقْتَنِي النِّعْمَى فَصَرْتُ حِمَامَةً
وَلِذَا الْأَيَادِي لَمْ تَكُنْ مُشْكُورَةً
تَشْدُو وَغُصْنُكَ نَاضِرٌ مِيَالُ
لِلْمُنْعَمِينَ فَلِئِذَا أَغْلَالُ

ومن مدائحه في الفقيه القاضي أبي العباس ابنه^٣ ، له من قصيدة أولها^٤ :

بَعَثْتَ إِلَيْكَ مِنَ الْبَرَاقِ خِيَالَهَا
هَلْ يَنْكُرُ الْغَيْرَانُ مِنِّي وَقِفَةً
فِي لَيْلَةٍ عَثَ الْمَحَاقُ بِيَدِهَا
سُودَاءُ أَشْرَقَ نَجْمُهَا فَلَوْ أَنِّي
وَلَقَدْ فَتَكْتُ بِقُرْطِهَا وَبِمِرْطِهَا
فَأَرَاكَ شَكْلَكَ حَامِلًا أَشْكَالَهَا
وَقَفْتُ أَمَانِيُ النُّفُوسِ حِيَالَهَا
غَضِبًا فَقَصَرَ عُمُرُهُ وَأَطَاهَا
أَجْرِي عَلَى فَلْكَ لَكُنْتُ هَلَالَهَا
حَتَّى هَتَكْتُ حُجُومَهَا وَحِجَالَهَا

١ وقعت لفظة « ومنها » بعد هذا البيت في س .

٢ زيادة من س .

٣ أبو العباس أحمد بن علي بن القاسم ، ولي قضاء سلا بعد أبيه ، ويصفه الفتح بأنه « فخر بني القاسم » وفي مدح التطيلي له يلقبه « قاضي قضاء الغرب » ، وعنده نزل ابن تومرت ، وكانت وفاته بعد سنة ٥١٥ هـ (انظر بحث بشريفة : ٧١ - ٧٤ ، ٨٧)

٤ وردت ثلاثة أبيات منها في الوافي ومثلها في المسالك .

ومن المدح :

ما الخطّةُ العلياءُ زانته ، بلى^١
وبشقّ ماءُ العتق صفحةً خدّه
وبأحمدِ بن عليّ بن القاسمِ بنِ
هو لفظةٌ من منطقِ الدنيا بها
من كلّ مكتهلِ الوقارِ وأزهري
يمشون فوق الأرضِ تحت حلومهم
لولا همُ لتحركتْ جنباتها

هو زانها حتى أتمّ كالمها
شقّ النرندِ من السيوف صقالها
محمد دَرَتِ المكارمُ حالها
فخرَ الزمانِ على بنيه فقالها
لبسوا الشبيبةَ فاكسوا سربالها
فتخالهم أوتادها وجبالها
من رجفةٍ ولزلزلت زلزالها

وله من أخرى^٢ :

أمعاهد المدح^٣ الذي غادرتهُ
وإدٍ إذا ضرب المجيرُ رواقهُ
إن كانت الأرواحُ من ماءٍ فمن
فأنتُ تقبّلني فقلت لها أمسكي
فمضتُ وقد أخرجلتها فتبسّمتُ
حتى إذا ما الروضُ نبّه الندى

مغدّى لبارقة المها ورواحا
أهدى إلى مُهَجِ القلوب رواحا
ذاك المجاج تكوّنتُ أرواحا
عني فلنّني لا أقاربُ راحا
فرايتُ في أرضِ العقيق أقاحا
فتحتُ عيوناً كالعيونِ ملاحا

ومن المدح :

- ١ ط د : بل .
٢ منها أربعة أبيات في المسالك .
٣ كذا ولعل صوابها : المرح .
٤ سقط هذا البيت والذي يليه من س ، وجاء في موضعها « وهنّها » .

طالبتها أدباً فسأل توقدأ وطلبتة كرمأ فذاب سماحا

وله فيه من قصيدة كتب بها إليه من تلمسان ، أولها :

على طول ما أبكي تعاتبني غشبا
سرى جانب من جانب الغرب خافق
فما قنعت في الحرب بيض صوارم
ومنها :

تكلّفتني نظمَ النجوم قلائداً
وهبك ملكة الشمس والبدر في يدي
إذا لم أعلّقها على جيد أحمد
صبا بالغواني من صبا وهو لم يزل
فتى يهب البيض الكواعب كالدمى
لقد وهب الله الجمال لأحمد
موفق آراء القضاء كأنما
إذا اكتسب الناس الدنانير عدة
كذلك مضت في السالفات جدوده

وله فيه :

يا راقداً الليل التمام جفونه
لاني لأرحم خصره من رقة
وغدا يطمعني الوصال تمنياً
ولبست أثواب الملاحة مثلما
لاني بجبك ساهر ما أرقد
وأرق للغصن الذي يتأود
لاني سأهلك قبل أن يدنو غد
لبس السماحة والرجاحة أحمد

لو كان خُلدَ فاضلٌ لفضيلةٍ فيه لكان على الزمانِ يُخلدُ
المجدُ والشرفُ المؤثَّلُ والندى والجلودُ والعليا له والسودد
وبلاغةٌ لم أدرِ حين سمعتها أفصاحةٌ أم لؤلؤ متبدّد
لا ناطقٌ عَجَلُ الكلام بها ولا متوقّفٌ فيها ولا متردّد
من معشرٍ طابوا مناصبَ في العلا وإذا يطيبُ الأصلُ طاب المولد

جملة من مراثيه

له من قصيدة في تأبين أمير المسلمين ، أبي يعقوب يوسف بن تاشفين
رحمه الله ، قال فيها ، وأنشدها على قبره :

ملكَ الملوكِ وما تركتَ لعاملٍ عملاً من التقوى يشاركُ فيهِ
يا يوسفُ ما أنت إلا يوسفُ والكلُّ يعقوبُ بما يطويه
اسمعُ أميرَ المسلمين وناصرَ الـ دين الذي بنفوسنا نقديه
جُوزيتَ خيراً عن رعيّتك التي لم ترضَ فيها غيرَ ما يرضيه
أهّا مساعيك الكرامُ فإنّها خَرَجَتْ عن التحديد والتشبيه
في كلِّ عامٍ غزوةٌ مبرورةٌ تُردّي عديدَ الروم أو تُفنيه
تصلُ الجهادَ إلى الجهاد موقفاً حَتَمَ القضاء بكلِّ ما تقضيه
ونجّى ما دبّرتَهُ كنجيةً فكانَ كلٌّ مغيبٌ تدريه
متواضعاً لله مُظهرَ دينه في كلِّ ما تخفيه أو تبديه [١٥٣ب]
ولقد ملكتَ بحقِّكَ الدنيا وكم ملكَ الملوكِ الأمرَ بالتمويه

لو رامت الأيامُ أن تُحصي الذي^١
 إنا لمفجوعون منك بواحدٍ
 وإذا سمعتَ حمامةً في أَيْكةٍ^٢
 ومضى قد استرعى رعيتهُ ابنهُ^٣
 وإذا هزبرُ الغابِ ضرى شبلهُ^٤
 وإذا عليٌّ كان وارثَ ملكه

وله من مرثية :

وناعِ نعي والقلْبُ كالقلْبُ خافق
 بكتٍ رحمةً لي عينُ كلِّ غمامةٍ
 فيا مزن لا [تؤذن] ^٣ بتسكاب أدمعي
 فلولاً التهابُ النار ما بين أضلعي
 دعوني أشكو الدهرَ للدهرِ معتباً
 فما فوقَ هذا الرزءِ رزءٌ وإنّما
 مضى بابنِ عشرٍ كابنِ عشرٍ وأربع
 مضى بفتى تُزري أسرةً وجهه

وله فيه :

فعلتَ سيوفُكَ لم تكنْ تحصيه
 جُمعتَ خصالُ الخلقِ أجمعَ فيه
 تبكي الهديلَ فلانما ^٢ ترثيه
 فأقام فيهم حقَّ مسترعيه
 في الغابِ كان الشبلُ مثلَ أبيه
 فالسهمُ ملقى في يدي باريه

مَرُوعٌ وممّا رابني لم أصدقِ
 وساعدني نوحُ الحمامِ المطوقِ
 فلي مدمع من بلحة الخزن يستقي
 لأصيحْتُ في بحرٍ من الدمعِ مغرقِ
 على أنني أشكو إلى غير مُشفقِ
 رمى كبدَ العليا بسهمٍ مفوقِ
 فهلاًّ هلالٌ مثلُ نونٍ مُعَرِّقِ
 بضوءِ الصباحِ المشرقِ المتألقِ

١ ط د : التي .

٢ س : فأنها .

٣ زيادة من س .

٤ ط : معنياً .

ما كنتُ أعلمُ علّةَ الزّهر^١ النّدي
 خَطَبْتُ نِي وَجّهَ الصّباحِ كأنّه
 ورزيّةٌ نزلتُ بِآلِ مُحَمَّدٍ
 حتّى نوى في القبرِ جِسمُ مُحَمَّدٍ
 بالحزنِ من قِطْعِ الظّلامِ الأربدِ
 خَصَّصْتُ وَعَمَّتْ آلَ دينِ مُحَمَّدٍ

وله فيه ٢ :

الصبرُ أجملُ عند كلِّ مُلِمّةٍ
 قمران غُيِّبَ بالكسوفِ سناهما
 من قاضيين موفّقين كأنّما
 لم يَعدُوا نهجَ السّيلِ وإنّما
 بنقيّةٍ من صحّةٍ ، وسجّيّةٍ
 ورويّةٍ من حكمةٍ ، وقضيّةٍ
 لكن على فقديهما لم يَحمِلِ
 لا تُخسَفُ الأعمارُ إن^٣ لم تكمل
 هذا شُرَيْحٌ في القضاءِ وذا علي
 [.....]^٤
 من روضةٍ ، وسكينةٍ من يذبل
 من فطنةٍ ، وبديهةٍ من منصل

١ ط د : الدهر .

٢ منها بيتان في المسالك .

٣ س : ما لم .

٤ زيادة من س : والشطر الثاني فيها بياض .

الأديب أبو محمد عبد الله بن صارة الشنتريني^١

ناثر وشاعر مُفْلِق ، وشهاب مثاق ، نَشَرَ فسحر ، ونظم فنمنم ، وأولع بالقصار فأرسلها أمثالا^٢ ، ورشق بها نبالا^٣ ، لا سيما قوارعُ كَدَرها على مَرَدَّةِ عصره ، وسم بها أنوف أحسابهم ، وتركها^٤ مثلاً في أعقابهم ، وأوصاف أبدع فيها ، واخترع كثيراً من معانيها ، ومُلَحَّح في شكوى زمانه ، دلَّ بها على علوِّ شأنه ، حتى لو أنَّ أبا منصور الثعالبي رآه ، أو سمع شيئاً مما نجاه ، لأضربَ عن ذكر كثير ممن به أغرب ، كابن سَكْرَةَ وابن لنكك ، ومن سلك ذلك المسلك .

وكان أبو محمد على جودة شعره . وشفوفه^٥ على [١٥٤ أ] أهل قطره ، ضيَّقَ المجال ، زُحِّلِيَّ الانتقال ، لم يسعه مكان ، ولا اشتمل عليه سلطان ،

.....

- ١ عبد الله بن محمد بن صارة (أو سارة) البكري الشنتريني الأصل ، نزل أشبيلية وسكنها وتعيش فيها بالوراقة ، وتجول في بلاد الأندلس شرقاً وغرباً للتعليم بالعربية ، وسكن المرية وغرناطة وامتدح الولاة والرؤساء ، وكان حسن الخط جيد النقل قائماً على جمهرة من اللغة والنحو ، وكانت وفاته سنة ٥١٧ هـ (انظر التكملة : ٨١٦ والسلفي : ١٥ والقلائد : ٢٦٠ والخريدة : ٢ : ٣١٥ وبغية الملتبس رقم : ٨٩٦ والمغرب ١ : ٤١٩ والرايات : ٣٥ (غ) والمطرب : ٧٨ ، ١٣٨ والإحاطة : ٢٤٠) (النسخة الكتانية) والمسالك ١١ : ٣٨٣ وبغية الوعاة ٢ : ٥٧ (نقلا عن الوافي للصفدي) والشذرات ٤ : ٥٥ وزاد المسافر : ٦٦ ووفيات الأعيان ٣ : ٩٣ وانظر ٦ : ٢٥٢ وصفحات متفرقة من نفح الطيب ، وبدائع البدائ ٣٧٦ : وشرح المقامات للشريشي ، وقدم ذكره في مواطن من القسم الأول ، انظر مثلاً ١ : ٧٩ ، ١٤٧ ، ٣٧٩ .
- ٢ المسالك : وغلدها .

وكانت قصاراه تتبع المحقّرات ، وبعدَ لآيٍ ما ارتقى إلى كتابةٍ بعضِ الولاة ، فلما كان من خلع الملوكِ ما كان ، أوى إلى إشبيلية أوحشَ حالاً من الليل ، وأكثر انفراداً من سهيل ، وتبلغ بالوراقة وله منها جانب ، وبها بصر ثاقب ، فانتحلها على كساد سوقها ، وخلو طريقها ، وفيها يقول ^١ :

أما الوراقة فهي أيكّة حرفة ^٢ أوراقها ^٣ وثمارها الحرمانُ
شبهتُ صاحبها بصاحبِ إبرة تكسو العرّة وجسمها عريان

ولقد رأيت له عدّة مقطوعاتٍ في الهجاء ، تُرّبي على حصّى الدهناء ، وهو فيه صائبُ السهم ، نافذُ الحكم ، طويتُ عليه كشحاً ، وأضربتُ عن ذكره صفحاً ، وربّما ألمتُ منه بالأقلّ ، ل ترى فتستدلّ ، ولو استجزتُ أن أثبتَ في هذا الكتابِ ، بعضَ ما له في هذا الباب ، لتحققتُ أنه بالجملة بائقةٌ محاجة ، وصاعقةٌ مهاجاة ، وقد كتبتُ من ذلك في كتابي المترجم بـ « ذخيرة الذخيرة » جملةً موفورة ، له ولطوائف كثيرة . وفيما أوردت مع ذلك هنا من شعره ، لما أجريت من ذكره ، حجة فصل ، وشاهد عدل .

١ البيتان في القلائد والمسالك وبغية الوعاة وابن خلكان والإحاطة والشذرات والثاني في

طراز المجالس : ١٤١ .

٢ س : أغصانها .

جملة من شعره في النسيب وما يناسبه

قال في غلامٍ أزرق^١ :

ومهففٍ أبصرتُ في أطواقِهِ قمرًا بآفاقِ المحاسنِ يُشرقُ
تقضي على المَهْجَاتِ منه صَعْدَةٌ متألّقٌ فيها سنان أزرق

وهذا كقول السلامي ، من أناشيد الثعالبي ، حيث يقول^٢ :

أعانقُ من قدّه صَعْدَةٌ ترى اللحظَ منها مكانَ السَّنانِ

وأبو محمد يتسلّقُ على أشعارِ اليتيمة ، تسلّقَ القاضي الغشوم ، على مالِ
اليتيم . وفي ذلك يقول عبد الجليل :

قدّهُ مهما تشّتي صَعْدَةٌ والسَّنانُ الذَّلّقُ فيها طَرَفُهُ

ولابن رباح في غلامٍ أزرق :

عيني رأتُ أغربَ شيءٍ يَرى منزّهاً عن كلِّ تشبيهِ
غصن من البلّورِ أعطافُهُ تريك ليناً في تشبيه
يسفرُ للياقوت في حمرةٍ وإن رنا عن زرقةٍ فيه

١ انظر القلائد والخريدة وابن خلكان والمساك والشذرات .

٢ اليتيمة ٢ : ٤٠٣ .

وقال أبو محمد أيضاً^١ :

أعندك أن البدر كان ضجيجي ففضيت أوطاري بغير شفيح
جعلت ابنة العنقود بيني وبينه فكانت لنا أمّا وكان رضيحي

وقال^٢ :

ومعذّر رقت حواشي حسنيهِ فقلوبنا وجدأ عليه رقاقُ
لم يكسُ عارضهُ السوادُ وإنما نَشَرَتْ عليه صباغها الأحداق

وقال^٣ :

قاسبتُ حبك منذ حول كاملٍ وطيورُ آمالي عليك تحومُ
فحرمتُ منك بلوغَ ما أملتُهُ أشقى البرية عاشقٌ محروم

وقال^٤ :

يا من تعرّضَ دونه شحط النوى فاستشرقتُ لحديثه أسماعي
إني لمن يحظى بقربك حاسد ونواظري بحسُدٍ فيك رقاعي
لم تطوك الأيام عني إنمّا نقلتكَ من عيني إلى أضلاعي

١ انظر المطرب والمساك والنفح ٣ : ٤٥٨ .

٢ البيتان في القلائد والمطرب والمساك والرايات وابن خلكان وشذرات الذهب والقسم الأول من الذخيرة : ١٤٧ .

٣ انظر المساك .

٤ الأبيات في القلائد والنفح ٤ : ٣٠١ .

وهذا المعنى كثير ومنه قول المعتمد^١ :

أغاثبة عني وحاضرة^٢ معي كأنك من عيني نُقِلْتَ إلى كبدي^٣

وقال العباس بن الأحنف^٤ :

تالله ما شطتْ نوى ظاعنٍ صار من العينِ إلى القلبِ

وقوله : « إني لمن يحظي بقربك حاسد » ، كقول محمد بن أبي أمية^٥ :

قد رآها الرسولُ حينَ رآها ليت عيني مكانَ عينِ الرسولِ

وقال^٦ :

ومهفهِفٌ يَخْتالُ في أبراده مَرَحَ القُضيبِ اللدنِ تحتَ البارحِ
عَاينتُ في مرآةٍ وهي خَدَّةٌ فحَكيتُ فِعْلَ جَفُونِهِ بِجَوَانِحِي
لا غَرَوَ إن جرحَ التوهُمُ خَدَّةً فالتَّسَحَّرُ يَفْعَلُ في البعيدِ النَّازِحِ

وبيته الثاني من هذه كقول القائل ، إلا أن أبا محمد زاد فيه ، وهو :

فقتلتني وجرحتُ خَدَّكَ ظالماً ما كان أغناني وما أغناكَ

١ ديوان المعتمد : ٦

٢ الديوان : لئن غبت عن عيني فإنك في كبدي .

٣ لم يرد في ديوان العباس .

٤ كان محمد بن أبي أمية (أو ابن أمية) كاتباً شاعراً ظريفاً من ندماء إبراهيم بن المهدي وهو ممن كان يصاحب مسلم بن الوليد وأبا العتاهية (انظر الأغاني ١٢ : ١٣٩ - ١٥٠) والبيت

الوارد هنا في الأغاني ١٢ : ١٤١ .

٥ الأغاني : وإذا جاءها الرسول .

٦ الأبيات في القلائد والخريدة والمسالك .

وقال ١ :

أيُّ امرئٍ يُعَصِّمُ من فتنةٍ بشادنٍ لإبليسٍ من جُنْدِهِ
جَبِينُهُ المَشْرِقُ من وَصْلِهِ وَفَرَعُهُ الخَالِكُ من صَدَّةِ
مَلَكَتُهُ رَقِيٍّ ولا رَقَّةَ يحظى بها قلبي من عنده
وسطوةُ الهنديِّ في لحظه وعطفةُ^٢ الخطيِّ في قدِّه

وقال ٣ :

ماءُ الجمالِ بخدِّهِ مَترَقِرُ والشمسُ منه تعومُ في ضَحْضاحِ
ما خدُّهُ جَرَحَتُهُ عَيْنِي إِنَّمَا صَبَّغَتْ غَلَالَتُهُ دماءُ جراحِ
رِشًا له خدُّ البريء ولحظه أبدأ شريكُ الموتِ في الأرواحِ
ذو طَرَّةٍ سَبَّجِيَّةٍ ذو غُرَّةٍ عاجيةٍ كالليلِ كالإصباحِ
لله راءُ زبرجدٍ في عَسْجَدِ في جوهرٍ في كوثرٍ في راحِ
أُتراه يعلمُ أنَّ قلبي عنده رَهْنُ الهوى يهفو بغيرِ جناحِ
ما زَحَّتُهُ ولم أدر ما حَدُّ الهوى حتى قدحتُ زنادَهُ بمزاحِ
لولا العيونُ لكان من دون الهوى وقلوبنا قُفْلٌ بلا مفتاحِ
قامتُ عليَّ شواهدُ من حُبِّهِ فأرى الكنايةَ فيه كالإفصاحِ

١ في هامش ط هنا تعليقات بخط غير خط الأصل ، وأكثرها شعر منقول عن القلائد .

٢ س : وسطوة .

٣ منها في المسالك أربعة أبيات .

ومن شعره في الأوصاف

قال في النارج^١ :

أجمر على الأغصان زادت^٢ غضارة^٣ به أم حدود^٤ أبرزتها الهواج^٥
وقضب تشنت^٦ أم قلدود^٧ نواعم أعالج^٨ من وجدي بها ما أعالج^٩
أرى شجر النارج أبدى لنا جنى^{١٠} كقطر دموع^{١١} ضرجتها اللواعج^{١٢}
جوامد^{١٣} لو ذابت^{١٤} لكانت^{١٥} مُدامة^{١٦} تصوغ^{١٧} البرى فيها الأكف^{١٨} المواج^{١٩}
كرات^{٢٠} عقيق^{٢١} في غصون^{٢٢} زبرجد^{٢٣} بكف^{٢٤} نسيم^{٢٥} الريح منها صوالج^{٢٦}
نقبلها^{٢٧} طوراً^{٢٨} وطوراً^{٢٩} نشمتها^{٣٠} فمن حدود^{٣١} بيننا ونوافج^{٣٢}

وقال :

رخم^١ من النارج خمسينه^٢ وقل^٣ نار على الإطلاق^٤ ليس تكذب^٥
عجبا^٦ لدوحته^٧ ترف^٨ غضارة^٩ والجمر^{١٠} في أغصانها يتلهب^{١١}
كالغيد لا تشقى^{١٢} بنار^{١٣} حدودها^{١٤} وقلوبنا^{١٥} في حره^{١٦} تتقلب^{١٧}

وهذا كقول بعض أهل عصرنا^٣ :

١. انظر القلائد والحريدة والمغرب والرايات ، ومنها أربعة أبيات في المسالك واثنان في النفع ٣ :

٤١٤

٢. القلائد : أبدى .

٣. هو عمر بن الشهيد كما في الذخيرة ١ : ٦٩١ .

وتحت البراقع مقلوبها تدبُّ على ورد خلد ندي
تسلمُ من وطئت خدَّه وتلدغُ قلبَ الشجي الأبعد

وقال أبو محمد^١ :

أهدى الشناءَ إلى زمانٍ مشرقٍ أهدى إليك شقائق النعمانِ
قامتْ فرادى فوق سُوقِ زبرجدٍ صيغتْ عليه جمائمُ العقيانِ
يهفو بها مرُّ النسيمِ كأنَّها حمُرُ البنودِ تُشِرْنَ في الميدانِ

وقال^٢ :

وحديقةٍ في نرجسٍ وبهارٍ رفعتْ لواءَ الحُسْنِ للنظارِ
فكأنَّما هذا ضحىٌّ متهلِّلٌ وكأنَّما هذا أصبلُ نهارِ
أخوانِ أمَّهما معاً شمسُ الضحى وأبوهما قمرُ السماءِ السَّاري
شربا سُلَافَ القطرِ حتى عرِدا وتراجما بكواكبِ الأزهارِ
واستودعا خبريهما نَفْسَ الصَّبا فأذاع ما كتما من الأسرارِ
فبكى الندى لهما ضُحياً ، والندى مذ كان للأزهارِ أكرمُ جارِ

ومنها :

نمتْ زجاجتُها بها فحسبتُها ماءً يحيطُ بجلوةٍ من نارِ
رام المديرُ بأن يسكنَ قوَرها فتقاذفتْ جنباتُها بشارِ

١ ورد في المسالك بيتان منها .

٢ منها أربعة أبيات في المسالك .

حتى إذا ما ابنُ الغمامةِ شجَّها ثارَ الحبابُ مطالباً بالثارِ
في درعٍ نضناضٍ كأنَّ أديمهُ يرنو بأحداقٍ بلا أشفارِ

ألمَ في هذا بقول المعري وقصّر عنه ^١ :

كأثوابِ الأراقمِ مَزَقَّتْها فحاطتها بأعينها الجرادُ

وكذلك قوله : « أخوانٍ أمهما معاً شمس الضحى » ، من قول ابن
الرومي ^٢ :

هذي النجومُ هيَ التي ربَّتْها بجيا السحابِ كما يربّي الوالدُ
وقال ^٣ :

وبستانٍ وردٍ في مطارفِ سندسٍ يرفُّ على غيدِ السّوالفِ مُتِدِّ
نظرتُ إليه في الكمامِ فَخِلْتُهُ ذوائبَ تبرٍ عُمَّتْ بزبرجدِ

وله يستدعي إلى مجالدر الأُنسِ :

أيا تاجاً بهامِ المعلّواتِ وياوُسْطَى نظامِ المكرماتِ [١٥٥ب]
ومن طَلَعَتْ مآثرُهُ نجوماً بأفلاكِ السعادةِ نيراتِ
أرى ديماً تحثُّ إلى مدام يشيئها النديم بِخُذْ هاتِ

١ شروح السقط : ٣٠٥ ، يصف الدرع ويشبها بجلد الحية ، وقد شبه المسامير فيها بعيون
الجراد .

٢ ديوان ابن الرومي ٢ : ٦٤٤ والمختار : ٢٣٧ وأمالى القالي ١ : ٢٧٠ .

٣ البيتان في المسالك .

٤ ط : فخذ .

وعندي من بنات الكرم بكر
يطوف بكأسها ساقٍ نبيلٌ
يكرُّ إليك الحافظُ مراضاً
يخفّرها ملاحظةُ السّقاءِ
مليحُ الوصفِ مقبولُ الصفاتِ
كانَ بها بقايا من سنات

وقال :

أيا من جارت العلياءُ فيه
يجيد النّبلِ منّا عِقْدُ أنسٍ
فما تدري له العلياءُ كُنْها
أقام بغير واسطةٍ فكُنْها

وقال يصف سحابة :

أعاذك الله من ليلٍ بليتُ به
واغاني السّحر الأعلى بساريةٍ
هللتُ منها وقد هبت صواعقها
لله من عارضٍ ضاقَ الفضاءُ به
تلاّلاً الجوّ من نيرانٍ بارقهٍ
وقلتُ إذ قصفت للرعدِ قاصفةً
كأنّه بغتةُ المقدورِ إذ طرقا
كادت تُعيدُ صعيداً منزلي زلقا
كراكبِ البحرِ لما شارب الغرقا
طولاً وعرضاً فخلتُ البرّ قد غرقا
حتى حسبنا أديمَ الأرض محترقا
تضعضُ الفلّكُ الأعلى أو انطبعا

ومن ملح شعره في ذكر الزمان وبنيه ، وتعذر آماله فيه ^١ :

أرى الدينار للدنيا نسيباً
هما سيّانٍ إن صحّقتَ حرفاً
رأيتُ هواهما استولى علينا
يحيّدُ عن الكرام ^٢ كما تحيّدُ
وجدتَ الرّاء تنقصُ أو تزيد
فنحن بحكمه أبداً عبيد

١ ورد في النسخ ٣ : ٥٦٧ خمسة أبيات منها .

٢ ط : المكارم .

يؤمِّلُ أن يصيدَهما فؤادي فيرجعُ عنهما وهو المصيد
فكم أصغي إلى زورِ الأمانِي ويَغْزِينِي بها الحرصُ الشديد
والمُحُّ من سنا الدينارِ برقاً غمامتُهُ على غيري تجود
يفوزُ به الخليُّ فيحتويه ويُحَرِّمُ وصلتهُ الصبُّ العميد
يجدُ فاسعَ لا تحفلُ بجِدِّ أبتُ لك صحبةً فيها الجلود
فما حُسِّنُ التناولِ فات سمعي ولكن فاتهُ الجلدُ السعيد
إلى كم ينفرُ الدينارُ مني ويطلبُ كفَّ مَنْ عنه يجيد
ألم أنشدهُ في وادي هيامي به لو كان يعطفهُ النشيد
« حبيبي أنت تعلمُ ما أريدُ » ولكن لا ترقُ ولا تجود
وكم غنيتُ حين تنكبتني متى شيطانها أبدأ مرید
« يريدُ المرءُ أن يعطى مناه » ويأبى اللهُ إلّا ما يريدُ «

وقال وقد طلق امرأته : [١٥٦ أ]

أما الزمانُ فرقَ لي من طَلَّةٍ ١ كانت تطلُّ دمي بسيفِ نفاقها
الذئبةُ الطلّساءُ عند نفاقها والحيةُ الرقشاءُ عند عناقها

وقال في هرث له كان يسمى رشيقي :

تبنيْتُ الهزبرَ فبات شبلي وأقصيتُ الغلامَ والغلاما
أوسدُ ساعدي خلدَي رشيقي وأوسعهُ اعتناقاً والتزاما
وأطوي طولَ ليلى ذِكرَ ليلى ولا أقرا على سلمى سلاما

١ الطلة : الزوجة .

وقال في أحد الكتاب :

وأغرَّ ينتحلُ الكتابةَ خطَّةً متوقِّدٍ كالحيةِ النضاضِ
عشق السَّوادَ فأصبحتُ أسنانهُ تشري السَّوادَ ببيع كلِّ بياضِ
فإذا شحا فاه رأيتَ خفافساً يأوين من فيه إلى مرحاضِ

وقال :

وأبخرَ قصَّ حديثاً له فقال الحضورُ فسا ذا الحدَثِ
فقلت لهم بادروا بالقيامِ فإن الفُساءَ نذيرُ الحدَثِ

وهذا كقول عبد المحسن الصوري^١ :

حديثه كالحديثِ يرفثُ كلَّ الرفثِ

ومن غريب ما قيل في البخر قول الحصري :

أبخرُ لا يحبكُ فيه البخورُ حسَدَ الغائبين فيه الحضورُ
قلت لمّا فسا بفيه علينا ما له آستُ فكذبتنا الأيُّورُ

وقال آخر :

أهدى مغيثُ هِرَّةً لقمةً أرسلها من فمه الأبخري
فبادر القطُّ إلى دفنها يحسبها من بعضِ ما قد خري

وقال أبو محمد أيضاً :

١ البيتمة ١ : ٣١٨ .

أما الثنايا فلإني لست مثنياً
يبدو لظرفك منها حين تُبصرها
كأن جنَّ سليمان بنوا فمه
يهدي إلى السَّمْع من ألفاظه نغماً
له فمٌ كحجرٍ في شكلٍ صورته
عن الثناء عليها آخرَ الأبدِ
سنٌ كمثل ميسن الصيقل الفرد
بنيان تدمر بالصفاح والعمد
كأنها نَفَثَاتُ السحر في العقد
« ترمي غواربه العبرين بالزبد »^١

واستجزت إثبات^٢ هذا إذ لم يصرَّح بأحد ، وقد قلت في غير موضع
من كتابي هذا إني نزهته عن الهجاء ، ولم أجعله ميداناً للسفهاء .

وقال من قصيدة :

أرى السيادة مذ صافحت هاجسها
فما تُلَاقِيكَ إِلَّا وهي قائلة
إني خطوت إليك الناس كلهم
أشكو إليك ولا عارٌ بذِي وَصَبِ
الْخَرْجُ^٣ أخرج رأسي من شبيبته
وفي الشهور إذا وافين لي شَهْرُ
وما الهلالُ بمبيضٌ لدى مُقَلِّي
أو من دراهم مذ باتت منجمة
في كلِّ وادٍ من التقوى تهيم بكا
قول التي شفها الصديق هيت لكا
ولم أزر سوقاً منهم ولا ملكاً [١٥٦ب]
ألقي التداوي من أوصابه فشكا
فكلما افترَّ ثغرُ الشيب فيه بكى
بظلٍ عني فيه السُرُّ منهتكا
كأنه من قتيْرِ الشَّيْب قد سبكا
عليَّ كدتُ أسبُّ النجم والفلكا

١ علق ناسخ ط هنا بقوله : انظر هذا الخنا البشيع . فسبحان من قدر علي بكتبه ، فإننا لله وإنا
إليه راجعون .

٢ ط د : أبيات .

٣ ط : الخرج .

وقال أيضاً في مثله ١ :

لولا الخراجُ خرجتُ عنه ولم تكنُ
قالوا الخراجُ فقلتُ ضُمُّوا خاءَهُ

وقال من قصيدة ٢ :

سافرُ فإنَّ الفتى من باتَ مفتتحاً
ولا يذودُ تلكَ عن وجهٍ تصعبُهُ
تنمَّرَ الدهرُ لي حتى مرقتُ له ٣
لا بدَّ أن يقعَ المطلوبُ في شركي
قاضي الجماعة في دار الإمارة لي
فلستُ أنشدُ والقاضي بقرطبةِ
« جار الزمانُ علينا في تصرفِهِ
ولا أقولُ وعندي من تهمةِ
« عندي من الدهر ما لو أنَّ أسره
أصغرتُ من زمني ما كنتُ أكبرُهُ

وفيها :

وهاكَ بكَراً تريكَ الحسنَ في قحةِ
إذا تجلَّتْ وحسُنُ البكر في الحفرِ

١ لم يرد البيتان في س .

٢ منها أربعة أبيات في كل من القلائد والحريدة .

٣ الحريدة والقلائد : الدهر حتى ما فرقت له .

٤ الحريدة والقلائد : داره .

لها بذكركَ أنفاسٌ مُعَطَّرَةٌ كما تنفست الأزهارُ في السحر
طالعٌ بغرتك الميمون طائرُها نواظراً بك في أمْنٍ من الطيِّر
ولا تدعني في كفِّ الزمان سدىً كالقوس عطلها الرامي من الوتر
وقد تلينُ الليالي بعد قسوتها ويسمحُ الوردُ بعد الشوك بالزهر
لم ألقَ في الورد إلا ما أنسيتُ به وأنت لي وزرٌ من وحشة الصدر

قواه : « واو بني وكره في دارة القمر » من قول المعري^١ :

ولو أني في هالة البدر قاعدٌ لما هاب يومي رفعتي وجلالي

وأظنَّ أبا ذؤيب افتتحه بقوله^٢ :

ولو أني استودعته الشمس لارتقتُ إليه^٣ المنايا عيْنُها أو رسولُها

وقال : [١٥٧ أ]

جزى الله إخواني جميلاً^٤، فإنني وجدتهمُ لي عُدَّةً في الشدائدِ
همُ وصلوا كفي فكانوا سواعداً ولا خيرَ في أيدٍ بغير سواعد
أقلَّدُهمُ حرَّ الثناء فإنتهم بجيد المعالي واسطأت القلائد
أبا بكرٍ الأولى بحمدي وبالمنى نثرتُ على الأحرار دُرَّ المحامد
أهزُّ حساماً من لسانك إن سَطَّتْ مضاربُهُ ذلت رقابُ الشدائد

.....

١ شروح السقط : ١٢١٠ .

٢ ديوان المهذلين ١ : ١٧٤ .

٣ ط د : استودعتها . . . إليها .

٤ س : جميعاً

عسى أملي يحظى بإدراكِ سُؤلهِ فتشمرَ بالإنجازِ أينكُ المواعد
وله :

لم أكسهم مِدَحي إلاَّ لأَكسُوهم من سُرُوهم سُنَّةَ الأحجالِ والغررِ
ولم أزدَهمُ بها فضلًا وهل أحدٌ في وَسْغِهِ رَفَعُ قَدَرِ الشمسِ والقمرِ
مِنْ كُلِّ مَنْ يَدُهُ يَمْضِي بها قدماً باعٌ طویلٌ وباعُ السيفِ ذو قصرِ
بحرٍّ وصارمُهُ الدامي براحتِهِ نهرٌ على ضفتِهِ يانِعُ الثمرِ

ومعنى هذا البيت كثير ، ومنه قول المعري^١ :

روضُ المنايا على أنَّ الدماءَ به وإن تخالفنَ أبدالٌ من الزهرِ^٢
وقوله : « ولم أزدَهمُ بها فضلًا » ، من السرق الواضح ، والاهتمام
الفاضح ، وهو قول أبي الطيب^٣ :

مَنْ كَانَ فوقَ محلِّ الشمسِ موضعه فليس يرفعهُ شيءٌ ولا يَضَعُ
وقال أبو محمد من قصيدة :

شاورتُ في سيري إليه عزيمةٌ قُرِنتَ بسعي لا يخبُ نجيحِ
لم أدرِ حينَ علوتُ مَتْنًا بِرَاقِهِ أعلى البراقِ نزوتُ ، أم في اللُّوحِ

١ شروح السقط : ١٥٨ .

٢ وصف السيف بأنه روض المنايا ، والدماء المختلفة فيه أنواع من الزهر .

٣ ديوان المتنبي : ٣٠٦ .

٤ ط د : تروت .

٥ سقط البيت من س .

ومنها :

يَجْتَابُ أَرْدِيَةَ الْعِجَاجِ وَتَحْتَهُ
شَيْحَانُ لَمْ يَعْرِفْ دَرِيْسُ قَمِيصِهِ
وَأَنَا الَّذِي أَخْفَيْتُ جَهْدَ خِصَاصِنِي
حَتَّى بَدَأَ مَاءُ النَّدَى مَرْقَرَقًا
وَأَجَلْتُ مِنْهُ نَوَاطِرِي فِي غُرَّةِ
قَاضِي الْقَضَاةِ الْمُجْتَبَى مِنْ مَعَشَرِ
مَمْنٍ تَرَفُّ لَهُ عَلَيْكَ جَوَانِحُ
كَمْ قَلْتُ إِذْ قَالُوا زَمَانٌ قَابِضٌ
إِنْ طَافَ مِنْ حَدَثَانِهِ الطُّوفَانُ بِي

أَشْلَاءُ ذِمْرٍ أَوْ صَفِيحُ ضَرِيحٍ
عَرَفَ الْكِبَاءِ سِوَى دَخَانِ الشَّيْحِ
مِنْ بَعْدِ مَا ارْتَشَقَتْ بُلَالَةُ رُوحِي
فِي صَفْحَتِي طَلَّقَ الْيَدَيْنِ صَفُوحِ
تَسْتَنْطِقُ الْأَفْوَاهَ بِالتَّسْبِيحِ
كُسَيِّ الْمَدِيحِ بِهِمْ حُلِيٌّ مَدِيحِ
فِيهَا صَحِيحُ مَوْدَةٍ وَجَنُوحِ
مِنْهُ الْكَرِيمُ عَلَى عَيْنَانِ جَمُوحِ
فَمَكَارِمُ الْقَاضِي سَفِينَةُ نُوحِ

وله فيه من أخرى^١ :

اللَّهُ أَكْبَرُ قَدْ وَافَيْتُ قَرُوبَةً
وَقَدْ تَهَلَّلَ بِي وَجْهُ النِّجَاحِ بِهَا
تَزْهَوُ الْعَلَا بِمَسَاعِيهِ إِذَا ذُكِرَتْ
لَمْ يُرْضِهِ عَرَضُ الدُّنْيَا فَجَادَ بِهِ

دَارَ الْعُلُومِ وَكُرْسِي السُّلَاطِينِ^٢ [١٥٧ب]
طَلَّقَ الْأَسْرَةَ مِنْ وَجْهِ ابْنِ حَمْدِ بْنِ
زَهْوَى الْأَنْوَفِ بِأَنْفَاسِ الرِّيحِ
وَضَنَّ بِالْأَكْرَمَيْنِ : الْعَرَضِ وَالْدِينِ

١ فيه من أخرى : سقطت من ط د .

٢ ورد هذا البيت في النفع ٣ : ٢٦ .

انتهى السفر الثاني من الذخيرة والحمد لله حق حمده وصلّى الله على سيدنا ومولانا
محمد المصطفى الكريم ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً

وكان الفراغ منه عام خمسة بعد ألف في زوال
يوم الأربعاء الرابع والعشرون [كذا]
من ذي القعدة ، عرفنا الله خيره ،
ووقانا خيره ، بمنه ويمنه

تذليل و استدراکات

تذييل

حين كان هذا القسم يكاد يشارف النهاية في المطبعة ، وصلني صورتان عن نسختين منه ^١ وإليك وصفاً موجزاً لكل منهما :

(١) نسخة الخزنة الملكية بالرباط (رقم : ٧٧٥٣) ورمزها (ك) ، وهي تشمل القسم الثاني كله ، وتضم ٢١٥ ورقة ، وفي كل صفحة من صفحاتها ٢٣ سطراً ، ومعدل الكلمات ١٣ كلمة في السطر الواحد ؛ مكتوبة بخط مغربي حديث ، وفي بعض سطورها تحشيات بخط أحدث ، وفي أوراقها اضطراب ، وفيها خرم ضاعت بسببه بضع صفحات .

ويمكن أن تعدّ هذه النسخة دون تردد من فئة (ط) ولهذا نجدها تطابق (ط د) بوجه عام وربما انفردت بزيادات قليلة (وخاصة في إحدى قصائد ابن عمار وفي بعض أبيات للمعتمد) ، وهي لا تشذ عن (ط د) في القراءات حيث تكون هاتان متطابقتين . وتنفرد بعد ذلك بقراءات بعضها مرجح على ما عداه . ولهذا أثبتته في الاستدراكات التالية . وبعضها مرجوح ولذلك أرجأته إلى جزء أخصه للتعليقات العامة على جميع أقسام الذخيرة (وهو فيما أقدر سيكون جزءاً تاسعاً ، إذا وفقني الله إلى انجازه) ، وهذا القسم المرجوح هو الذي تنفرد به (ك) عن أختيها (ط د) ، فأما ما تتفق فيه معهما فلا أرى داعياً لاثباته .

(٢) نسخة المكتبة اليهوديانية باكسفورد (I : 749) ورمزها (ل) ، وهي أصل

١ تلطف الصديق الدكتور عدنان البخيت ، الأستاذ بالجامعة الأردنية . فأرسل إلي ميكرو فيلم عن نسخة الخزنة الملكية رقم 7753 كما تلطف الابن العزيز الأستاذ رمزي بعلبكي فأرسل إلي ميكرو فيلم عن نسخة المكتبة اليهوديانية باكسفورد . فالصديقين ، جزيل الشكر وأوفاه .

النسخة (س - الباريسية) ولذلك تقع في فئة النسختين (م س)، إلا أنها أكمل من (م) لأن هذه الأخيرة تقف عند جانب من ترجمة ابن عبدون، وأصح كثيراً من (س) التي تشاركها في الأخطاء الأصلية وتضيف كثيراً من الأخطاء الجديدة. ولما كانت كذلك فإنها تتمتع بما في النسختين من زيادات أشرت إليها في الحواشي؛ وربما كان خطها المغربي الدقيق الجميل يشير إلى أنها من أقدم ما لدينا من نسخ الأخيرة. إلا أنها لا تحمل تاريخاً للنسخ. وتقع في ٢٣٠ ورقة وفي الصفحة الواحدة من صفحاتها ٢٥ سطراً، ومعدل الكلمات في السطر الواحد ١٢ كلمة. وتحفل بعنوانات للفصول والفقرات مكتوبة بخط كبير.

وقد اعتمدت بعض قراءاتها الضرورية لقارئ هذا القسم وأدرجتها في الاستدراكات التالية محتفظاً بالمقارنة الشاملة للجزء الخاص بالتعليقات العامة.

مما تقدم يتضح أن هاتين النسختين لوقوعهما في فئتي المخطوطات التي اعتمدتها منذ البداية لم يتشكك هذا القسم من الأخيرة مما يشكوه من نقص متصل بترجمة البكري وترجمة ابن حجاج (التي لا وجود لها في المخطوطات المتوفرة لدي) - كما وضحت في مقدمة هذا القسم - ولكنهما قدّمتا بعض الفائدة في ترجيح بعض القراءات على البعض الآخر.

استدراكات

٧٤ حاشية رقم ١ : البيتان المشار إليهما لا يردان في هذا القسم، فالقول بوزودهما وهم.

٢٧٤ : ٨ - ٩ أن غماءهم لا تنفرج، وظلماهم لا تنجلي ولا تتبلج (كما قدرت في الحاشية رقم ٤)

١ ميزت ما اعتمدت فيه على النسخة (ل) بإثبات هذا الحرف إلى جانب القراءة المرجحة، ومعنى ذلك أن كل ما لم يرق به رمز فانه مستمد من (ك). والرقم الأول يشير إلى الصفحة والثاني إلى السطر.

ومجلى دياجير الظلم والظلم	٢٨٦ : ١١
وتعطلت أجيادُ الأنوار	٢٩٠ : ٣
من مختم الكتاب	٣٠١ : ١٥
فكيف تزلُّ (لعلها : تزل) لي عن صهوة الابتداء	٣٢٩ : ٤
أن يشدَّ على علق مضنةً منه يده	٣٣٩ : ٩
زاد في (ك) بعد السطر : ١٣ :	٣٤٨ :
كلام لو ان البقل أدلى بمثله رمى البقل واخضرَّ العضاء المصيف	
وابذل لها (احذف كلمة : بها)	٣٥٠ : ١٢
وأعرب عن نحيزته وانتسب .	٣٥٤ : ٩
وبعد انتبازه من منازل شلب	٣٧١ : ١٠ - ١١
أما معاني أول هذه القصيدة (كما في النسخة : د)	٣٧٧ : ٢
زاد في (ك) بعد السطر : ٦ « وقد رأيت البيت الأول منهما على قافية أخرى :	٤٠٩ :
أسأت إليّ فاستوحشت مني ولو أحسنت أنسك الجميلُ	
من حَفَّ أظآر العلا في معشر	٤٥٧ : ٥
يا تربة استبقي سناه ويا بلى	٤٨٤ : ١٧
وألفاظ التأين مبنية على كثرة التضجع .	٤٨٩ : ٨
الشماثل الواعدة الصادقة .	٦٨٢ : ٢٠ - ٢١
إذا شهدوا القتال (ل = كما في الديوان)	٧٣٢ : ١٩
إذا التقت الرياح (ل = كما في الديوان)	٧٣٣ : ٣
أحال بالدين والدنيا على الخبر (ل)	٧٤٥ : ٣

- ٧٤٦ : زاد في (ل) بعد السطر : ١٩ البيت التالي :
- أجللتها فاستبانة نصف دائرة لو كلفت شأوها الأفلاك لم تسر
- ٧٤٨ : ٤ غير نفس حرة زاحمت به (ل) .
- ٧٤٩ : ٥ أهلاًوا بمنهل من الغيث (ل) .
- ٧٥٥ : ١٤ ويعيد بعض الریش إلى جناحي .
- ٧٥٨ : ٩ أمّلك أبا الحسين (كما قدرت في الحاشية رقم : ٣)
- ٨٧٣ : ٨ فسيل ما وردني به الآن .
- ٧٩٤ : ٣ اقرأ : « وإن كان [ابن المعتز] قد تقدم في تقسيم التشبيه . . . »
- والبيت التالي في غرائب التشبيهات : ٣٦ لابن المعتز ، وينسب أيضاً للصنوبري : انظر ديوانه : ٤٨٧ .

فہارسُ الکتابِ

١ - فهرس الأعلام

ابن أبي (أبو جعفر) ٧٤٢ ، ٧٤٣	أ
أحمد (في شعر) ٤٠٩	آدم ١٥٦ ، ٥٨٤ ، ٨٢٠
أحمد (دون تعيين) ٧٤٤	الآمدي ٦٤٤
أحمد ابن أبي أحمد المتوكل ٢٥	ابن الأبار أبو جعفر ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١٢٥ ، ٢٠٧ (١٣٥ - ١٥٨) ٢٠٣ ، ٢٠٧
أحمد بن الحسين المتنبي أبو الطيب ، انظر : المتنبي	— ٢٠٩ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧
أحمد بن صالح ٣٩٠	أبان بن عبيد ٣٩٧
أحمد بن عبد الله بن هريرة ، انظر : الأعمى التطيلي	إبراهيم (الخليل) ٢١١
أحمد بن علي بن القاسم ، انظر : ابن عشرة	إبراهيم الشاشي ٧٩
أحمد بن محمد البلعي الاشيلي (٢١٣ - ٢١٤)	إبراهيم بن العباس الصولي ، انظر : الصولي
أحمد بن المدبر ٨١٢ ، ٨١٣	ابن أبي ربيعة ، انظر : عمر بن أبي ربيعة
الأحيمر ٦٤٦	ابن أبي زرعة ١٤٨
ابن الأخضر (علي بن عبد الرحمن) ٣١٠	ابن أبي عامر ، انظر : المنصور
الأخطل التغلبي ١٤٧ ، ٥٤٤ ، ٦٣٠	ابن أبي عتيق ٢٢٥
	ابن أبي قرعة البغري ٣٩
	أبي (والد أبي جعفر) ٧٤٤

٢٩ ، ٢٢ ، ١٩ ، ١٥ ، ١٤

إسماعيل بن عباد (ابن المعتضد)

٥٠ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٨٣ ،

١٨٤

إسماعيل بن محمد الملقب بحبيب

(١٢٤ - ١٣٥) ، ٢٠٠ ، ٢٠٢

الأشتر النخعي ٨٩٦

أشجع السلمي ٤٨٤

أشعب ٤١٥

الأصنج ٦٣٨

أبو الأصنج ٧٣٠

أبو الأصنج ابن سعيد (٢٠٩ -

٢١٠)

الأصمعي ١١٧ ، ٢٢٤ ، ٥٨١ ،

٥٨٢

ابن الاطنابة ٧٦١

الأعشى ٢٠١ ، ٦٩١ ، ٧٧٢ ،

الأعشيان ٧٢٧

الأعدي التطيلي (أبو جعفر أحمد بن

عبدالله بن هريرة) ٥٤٤ ،

٧٢٤ ، (٧٢٨ - ٧٥٣)

الأعلم (يوسف بن عيسى أبو

الحجاج) ٤٧٤ ، ٤٧٨ ، ٤٨٤

الأخطلي ٧٦٧

الأخفشان ٧٢٧

ادريس بن يحيى الحمودي ٦٥٨ ،

٧٩٢ ، ٧٩١

ادريس بن اليماني ١٠٦ ،

١٣٦ ، ٦٩٢

اذفونش بن فردلند ٢٤١ ،

٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ،

٤١٠ ، ٤٣٦ ، ٦٥٠ ، ٨١١

أربد (أخو لييد) ٣٤٩

ابن أرقم ، أبو الأصنج ٤٦

ابن الاستجي ، أبو الحسن

(٢٠٠ - ٢٠٦) ، ٦٣٧

إسحاق الموصلبي ٢٢٤ ، ٣٤٩ ،

٣٨٥ ، ٧٠٧

إسحاق بن كيغلغ ٣٣٤

إسحاق بن معلى ٤٨٧

الأسعد بن بليطة ٤٤

إسماعيل البرمكي ٥٥٣

إسماعيل بن عباد (جد المعتضد)

٢٣٤

إسماعيل بن عباد (أخو المعتضد)

الباجي (جعفر بن يوسف) ١٨٦	ابن الأفتس ٥٤٤
الباجي (سليمان بن خلف أبو الوليد)	ابن الأفتس (المتوكل) ، انظر :
(٩٤ - ١٠٥)	المتوكل ابن الأفتس
الباجي (عبد الله بن جعفر) ١٨٦	ابن الأفتس (المظفر) ، انظر :
الباجي (يوسف الجحد) ١٨٦	المظفر بن الأفتس
ابن الباجي (يوسف بن جعفر ،	ابن الأفتس (والد المظفر) ٢١
أبو عمر) (١٨٦ - ٢٠٠)	امرؤ القيس ١٤٥ ، ١٤٦ ،
٢٦٦ ، ٣٤٢	١٥٣ ، ٢٥٠ ، ٣٥٧ ، ٤٤٦ ،
باديس بن جبوس ٣٣ ، ٤٩ ،	— ٤٤٩ ، ٤٥٥ ، ٥٥٠ ، ٦٩٠ ،
٥٠ ، ٢٣٧	٧٠٠ ، ٧٠٤ ، ٧١٥ ، ٧٢١ ،
باقل ١١٧ ، ١٨٢	٧٤٧ ، ٧٦٦ ، ٧٩٤
بجير بن الحارث ٦٢٨	أم الربيع (جارية المعتمد) ٤٣ ، ٤٤
البحري ١٢ ، ٩١ ، ٢٢٢ ،	أم مالك ١٠٢
٣٥٤ ، ٣٨٧ ، ٣٨٩ ، ٤٦٩ ،	أمير المسلمين وناصر الدين ، انظر :
٤٩٢ ، ٤٩٩ ، ٥١٢ ، ٧٧٧	علي بن يوسف بن تاشفين ؛
بديع الزمان الهمداني ٥٣٨ ، ٦٩٦	يوسف بن تاشفين .
ابن برد الأصغر ، أبو حفص	الأمين العباسي ١٥٢ ، ٧٢٣
١٢٧ ، ٢٣١ ، ٨٠٥	أبو أنس (الضحاك بن قيس) ٧٢٢
البرغواطي ، انظر : سقوت بن محمد	أويس القرني ٦٧٢
ابن برلوصة البطليوسي ، أبو عمر	ابن أيمن ، أبو عبد الله (٦٥٢ - ٦٦٨)
(٨٠٥ - ٨٠٧)	أبو أيوب ٧٧٩
ابن بسام الشنتريني ١١ ، ١٣ ،	ب
	ابن بابك ١٦٨ ، ٧٤٧

أبو بكر الخولاني المنجم ٢٤٤، ٥٦	١٨ ، ٢٣ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٨ ،
أبو بكر الداني ، انظر : ابن اللبانة	٤١ ، ٤٩ ، ٥٩ ، ٦٦ ، ٦٩ ،
أبو بكر الصديق ٩٤ ، ٤٤١	٩٤ ، ١٢٧ ، ١٣٦ ، ١٤٢ ،
أبو بكر ابن الاشيلي الحكيم ٣٨٥	١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٥ ، ١٦٨ ،
أبو بكر بن سعيد البطليوسي (ابن	١٨٦ ، ٢٢١ ، ٢٦٨ ، ٢٨٤ ،
القطورنه) ٧٤ ، ٦٠٨ ،	٣٧٦ ، ٣٨٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ،
(٧٥٣ - ٧٧٣) ، ٧٠١	٤١٧ ، ٤٢٨ ، ٤٤٠ ، ٤٤٥ ،
البكري ، انظر :	٤٤٦ ، ٤٥٢ ، ٤٦٢ ، ٤٧٩ ،
أبو الحسن غلام البكري	٤٩٩ ، ٥٤٤ ، ٥٥٠ ، ٥٧٩ ،
أبو زيد البكري	٥٨١ ، ٦٣١ ، ٦٣٤ ، ٦٣٧ ،
أبو عبيد البكري	٦٤٢ ، ٦٥٠ ، ٦٧٩ ، ٦٨٩ ،
ابن بلبل ، انظر : أبو الصقر ابن بلبل	٧٠٤ ، ٧٨٤ ، ٧٩٠ ، ٧٩٧ ،
بلج بن بشر القشيري ١٤	بسطام بن قيس ٧٢٩ ، ٧٦٩ ،
ابن يبياع السبتي أبو الحسن ٧٣٠	٧٧٠
٧٣٢ ، ٧٣٣	بشار بن برد ٤٢ ، ٢٢٥ ،
ابن بيض ٧٦٠	٢٩٦ ، ٦٨٥ ، ٧٧٧ ،
ابن البين البطليوسي ٢٢٢ ،	بشر بن أبي خازم ٧١٣
(٧٩٩ - ٨٠٣)	ابن بقي ، أبو بكر (يحيى بن محمد)
ت	(٦١٥ - ٦٣٦)
٥٥٠ تبع	أبو بكر ٧٨٤
٨٢ الترمذي	أبو بكر (في شعر) ٦١٨
أبو تمام ٦١ ، ٧٨ ، ٩١ ،	أبو بكر (صديق ابن بقي) ٦١٦

ابن الجلد أبو الحسين (الحسن) ، ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٤٧ ، ١٧٠ ،
 (٥٦٢-٥٥٦) ، ٢٥٦ ، ٤٨٧ ، ١٧١ ، ٢٥٦ ، ٢٥٤ ، ٢٤٧ ،
 ابن الجلد ، أبو القاسم (٢٨٥ - ، ٤٤٢ ، ٣٨٠ ، ٣٣٤ ، ٣٢٢ ،
 ، ٣٤٧ ، ٣٤٢ ، (٣٢٢ ، ٤٩٢ ، ٤٨٩ ، ٤٦٩ ، ٤٤٣ ،
 ، ٦٧٧ ، ٦٧١ ، ٦٧٠ ، ٣٥٣ ، ٤٩٣ ، ٥١٣ ، ٥٥٢ ، ٦٠٥ ،
 ٦٤٣ ، ٦٢٩ ، ٦٢١ ، ٦١٨ ، ٦١٥ ، ٦٧٩

جذيمة الأبرش ٦٣ ، ٧٢٥ ،
 ابن الجراح الوزير ١٣٩ ، ٧٧٦ ، ٧٦١ ، ٧٥٥ ، ٧١٤ ،
 ١٤٠

جبران العود النميري ٦٤٥ ،
 ابن جرج ، أبو جعفر ٤١٥ ،
 البحرمي النحوي ٧٢٧ ،
 جرج (الخطيئة) ٥٤٤ ،
 جريز بن الخطفي ٦٣ ، ١٥٣ ،
 ٦٤٦ ، ٥٣٩ ، ٢٢٤ ، ١٨٠ ،
 جعفر الطيار ٧٢٢ ،
 جعفر بن يحيى البرمكي ٧٢٣ ،
 أبو جعفر الكفيف ، انظر : الأعمى

التطيلي

أبو جعفر المحدث ٤٩٤ ،
 أبو جلدة اليشكري ٧٦٠ ،
 جمل ٦١٣

التنوشي القاضي ٦٣٣

التهامي أبو الحسن ٢٤٨ ،
 ٧٩٥ ، ٤٨٨ ، ٤٨٦

ث

ثابت بن أبي ثابت ١٥٤ ،
 الثعالبي ، أبو منصور ١٥٢ ،
 ٨٣٦ ، ٧٣٤ ، ٧١٣ ، ٦٣٣

ثعلب ٧٢٧

ج

جابر بن المعتضد ٥٠ ،
 الجاحظ . أبو عثمان ٦١ ،
 ٧٠٣ ، ٢٨٥ ، ١١٧

ابن جمهور	٢٥٦ ، ٤٥٠ ، ٤٥١	حبيب الوزير (محمد بن أحمد بن عامر)	١٩ ، ٢٤
الجميع (منقذ بن الطماح)	٧٠٠	حبيب بن أوس ، انظر : أبو تمام	
جميل بن معمر	٧٠٥ ، ٤٥١	ابن حبيب ، انظر : إسماعيل بن محمد	
جنوب أخت عمرو	٥١٣		
ابن جهور	٣٧ ، ٣٣ ، ١٨	ابن حجاج البغدادي	٧٨٤
ابن جهور، أبو الوليد	١٢٧ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧	ابن حجاج ، أبو بكر	٤٦٨
الجونان (عمرو ومعاوية)	٧٢٦	حجر بن عمرو الكندي	٧٢١
ح		ابن حزم ، أبو بكر	٦١١
حاتم الطائي	١٠٧ ، ٣٦٦ ، ٣٩٥ ، ٦١٧ ، ٦٢٨ ، ٦٨٧	ابن حزم ، أبو الحكم	٥٨٨)
أبو حاتم الحجاري	٦٣٤ ، ٤٤٣	— (٥٩٨ ، ٦١٠ ، ٦١١	
أبو حاتم السجستاني	١٣٨ ، ١٣٩	ابن حزم ، أبو محمد	٩٦ ، ٦٧٩
حاجب بن زرارة	٧٦٦	ابن حزم ، أبو المغيرة	٣٢١ ، ٦٧٩
الحارث بن بسختر	٤٠٦ ، ٤٠٥	ابن حزم ، أبو الوليد	٢٢٢ ، ٥٨٨ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٨)
الحارث بن ظالم	٧٦٦	— (٦١٥	
الحارث بن هشام	٢٤٦ ، ٢٥٠	حسام الدولة بن رزين ، انظر :	
	٢٥١	ابن رزين	

حسان بن ثابت ٣٢ ، ٢٥٠ ،	ابن حصن ، أبو الحسن (١٥٨)
٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٦٧٣	— (١٨٦) ، ٢٠٥ ، ٦٩١
حسان بن المصيصي ٢٤٨ ،	الحصين ٦٩٢
٢٧٣ ، (٤٣٣ — ٤٥١) ٥٩١	الحصين بن الحمام المري ٣٣٣
ابن حسداي ، أبو الفضل ٤٠١	ابن الحضرمي ، أبو الوليد ٣٩١
الحسن بن حسان ، انظر : السناط	٦٤٦ ، ٦٥٢
حسن بن علي بن أبي طالب ٧٢٢	ابن الحضرمي ، محمد بن عيسى
الحسن بن عمر الهوزني ، انظر :	٣٧٩ ، ٧٤١
الهوزني ، أبو القاسم	الحكم المستنصر ٦٤١
الحسن بن هانيء ، انظر : أبو نواس	حكم الوادي ٦٣١
الحسن بن وهب ٧٥٦ ، ٧٦١	الخليص ٦٨٧
أبو حسن ٥٩٠	حمدويه الأحول ٤٦٩
أبو الحسن بن سعيد البطليوسي	ابن حمديس الصقلي ٧٦ ،
٧٤ ، ٥٨٨ ، ٧٥٣ ، ٧٦٩ ،	٦٢٤
٧٧٢ ، ٧٧٣	ابن حمد بن القاضي ، أبو عبد الله
الحسين بن علي بن أبي طالب ٧٢٢	٢٢٢ ، ٢٦٠ ، ٥٦٩ ، ٧٤٧ ،
أبو الحسن (غلام) البكري	٧٤٨ ، ٧٥٠ ، ٧٦٤ ، ٨١٧
(٥٦٣ — ٥٧٣)	حمزة بن عبد المطلب ٧٢٢
الحصري المكفوف ٦٦ ، ٦٧ ،	ابن الحنط الرعيني ١٩٥
١٤١ ، ٥٥٧ ، ٦١٨ ، ٦٦٢ ،	حنظلة الكاتب (حنظلة بن الربيع)
٨٤٥	٨١٤
حصن بن حذيفة ٤٨٩	أبو حنيفة الدينوري ٢٠١
	حواء ٧٦٤

الخنساء (تماضر) ٧٠ ، ١٢٣ ،	ابن حيان، أبو مروان المؤرخ ١٤ ،
٤٤٩ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٧٢٠	١٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٤ ، ٢٨ ،
خولة ٩	٣٣ ، ٤٠ ، ٢٣٣ ، ٦٣٧ ،
ابن خيرة الصباغ (٢١٠) -	٦٤١ ، ٦٤٩ ؛ ٦٥٠ ، ٦٥٨ ،
(٢١٢)	أبو حية النميري ٤٧٦

د

دارا ٧٢١

ابن داود الظاهري ١٣٩

ابن الدب ، أبو مروان ٣٢٤

ابن الدباغ ، أبو المطرف ٣٩٢

٦٥١ ، ٦٥٣ ، ٦٦٤

ابن دراج القسطلي ٤٦٩ ،

٦٩٢

دريد بن الصمة ٢٧٢ ، ٤٩٠

دعبل الخزاعي ٥٤٤

دعبي ٦١٧

دعبيص الرمل ٧٦٦

أبو دلامة ٥٤ ، ٥٥

ذ

أبو الذبان ، انظر : عبد الملك بن

خ

خارجة السهمي ٧٢٢

ابن خاقان (وزير المتوكل) ٣٨٦

خالد ٦٩٠

خالد بن جعفر ٧٨٤

خالد بن الوليد ٨٧

خالد بن يزيد ١٤٧

خبيب (بن عدي الأنصاري)

٧٢٢

ابن خزرون ٣٩ ، ٢٨

الخصيب (والي خراج مصر)

٨٢٦ ، ٨٢٧

ابن خلدون ، أبو محمد

٧١٩ ، ٧٢٠

خلف الأحمر ٦٣٣

الخليل بن أحمد ٧٢٧

مروان	ربيعة بن مكرم ٤٦٠
أبو ذر الغفاري ٦٤٢	ابن رزين، حسام الدولة ٢٢١ ،
ذو الاصبغ العدواني ١٢	٢٢٩ ، ٤٠٠
ذو حاجب ٧٢٢	رستم ٧٢٢
ذو الخمار ٦٤٢	الرشيد (هارون) ٣٤٩
ذو الرمة ١٣٣ ، ١٦٩ ،	الرشيد بن المعتمد ، أبو الحسين
٦٩١ ، ٧٠٢ ، ٧٩٤	٣٨٥ ، ٤٠٥ ، ٤٠٧ ، ٤٢٦ ،
ذو القروح ، انظر : امرؤ القيس	٤٢٧ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٩٩ ،
ذو الكلاع الأصغر ٨٢	٥٠٠ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥٢١ ،
ذؤاب بن أسماء ٢٧٢	٧٠٨ ، ٧٠٩
أبو ذؤيب الهذلي ٤٢٢ ، ٨٤٨	ابن رشيق الأندلسي ٧٧٠
ابن ذي النون ، انظر : المأمون	ابن رشيق القيرواني ١٦٤ ،
ابن ذي النون	٤٣٨
ر	
الراضي بن المعتمد ، أبو خالد	الرضي ، انظر : الشريف الرضي
٦٩ — ٧١ ، ٢٨٥ ، ٤٢٢	الرمادي (يوسف بن هارون)
— ٤٢٤ ، ٤٢٨	١٤١ ، ١٥٦ ، ٣٧٧ ، ٤٦٧
الرباب ٦٦	٤٦٨ ، ٧٠٣
ابن رباح ، أبو تمام ٧٠٥ ، ٤٧٠	رملة بنت الزبير ١٤٧
٨٣٦	روح بن حاتم المهاجي ٥٥ ،
الربيع بن زياد ٧٢٥	٥٦
	روح بن زنباع ٦٩٤
	ابن الرومي ٩١ ، ١٣١ ،

١٤٦ ، ١٥٥ ، ١٦٨ ، ٢٢٢ ، زهير الصقلبي ١٧
 ٢٥١ ، ٣٧٩ ، ٤٨٨ ، ٤٩٦ ، زهير بن أبي سلمى ٧٧٢
 ٦٠٥ ، ٦٣٢ ، ٦٩٥ ، ٧٠١ ، زهير بن مسعود ٦٨٧
 ٧٦٨ ، ٧٦٩ ، ٧٩٣ ، ٨٤٢ ، زياد بن أبي سفيان ٣٨٣ ،
 ٣٩٩ ، ٥٦٣

زيد الخليل ٦٤٢ ، ٦٤٦

زيد بن ثابت ٨١٤
 أبو زيد البكري ٣٦ ، ٢٣٣ ،
 ٢٣٤

ابن زيدون ، أبو بكر ٤٢٩ ، ٧١٠ ،
 ابن زيدون ، أبو الوليد ٥١ ،
 ٥٢ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٧٣ ،
 ٢٣٩ ، ٣٧٨ ، ٤٦٣

س

سابور العامري ٦٤١
 سالم بن عبد الله ٣٥٧
 أبو سالم العراقي ٤٢٢
 سحبان وائل ١١٧ ، ١٨٢ ،
 ٣٥٧ ، ٦٧٣
 سحر (جارية المعتمد) ٤٥
 سحيم (عبد بني الحسحاس) ١٥٥

ز

الزباء ٦٣
 الزبرقان بن بدر ٥٤٤
 الزبيدي ، أبو بكر ١٩
 الزبير بن العوام ٧٢٢
 الزريزير ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥٣
 زفر بن الحارث ٦٩٤ ، ٧٢٢
 ابن الزنجاري ٦٨
 زهر بن عبد الملك ، انظر : ابن
 زهر ، أبو العلاء

ابن زهر (محمد بن مروان)
 (٢١٩)
 ابن زهر ، أبو العلاء (٢١٨)
 — (٢٣١) ، ٥٩٣ — ٥٩٥ ،
 ٦١٦ ، ٦١٨ ، ٦٩٦ ، ٧٤٥ ،
 ٧٤٧
 ابن زهر ، أبو مروان (٢١٩)

سراج الدولة، انظر: عباد بن المعتمد	سقوت بن محمد البرغواطى (المنصور
سراج الدولة	المعان (٣٧ ، ٤٠ ،
ابن سراج ، أبو الحسين ٣٤٧ ،	٦٥٧ - ٦٦١
٣٤٨ ، ٥٧٣ ، ٦٢٨ ، ٧٥٤ ،	ابن سكرة ٨٣٤
٧٥٨ ، ٧٦٧	السلامى ، أبو الحسن ٥٠٥ ،
ابن سراج ، أبو مروان ٤٧٤	٧٠٢ ، ٨٣٦
ابن سريج (المغني) ٧٦٠	سلمى ٧٤٣ ، ٨٤٤
ابن سريج ، أبو العباس ١٣٩	أبو سلمة الخلال ٧٧٠
سعد (حاجب ابن خاقان) ٣٨٦ ،	سليمى ٧٤ ، ٢٢٤ ، ٥٥٢
٣٨٧	سليمان بن الحكم ، انظر : المستعين
سعد بن أبي وقاص ٧٢٢	سليمان بن داود ٤٦٣ ، ٥٠٧
أبو سعد المخزومي ٤٤٣ ، ٤٢	٨٤٦
سعد الدولة بن لبون ، أبو الأصبغ	السمناني القاضي ٩٩
٢٦٣	السمهري العكلى ٧٢
سعدى ٦١٣	السناط (الحسن بن حسان) ٧١٨
سعيد بن حميد ١٣٨ ، ٧٢٩	سهل بن هارون - ٧٢٩
سعيد بن هارون (صاحب اكشوفية)	ابن سوار الأشبوني ، أبو بكر
٣٦	٢٢٢ ، ٧٦٦ ، (٨١١ - ٨٣٣)
أبو سعيد الثغري ٥١٢	ابن سوار الشتريني ، أبو عامر
السفاح ٣٤٢ ، ٧٢٢	٤٧٩
ابن السقاء (ابراهيم بن محمد)	ابن سيرين ٧٦٤
٢٣٧	سيف الدولة الحمداني ٢٢٦ ،

شيبان الخارجي ٥٤

أبو الشيص ٨١٧

ص

الصاحب بن عباد ٢٢٢ ، ٤٦٢

ابن صاحب الأسفيريا ، انظر :

ابن فتوح

ابن صارة الشنتريني ٦٩٦ ،

(٨٣٤ - ٨٥٠)

صاعد بن الحسين ٢٧ ، ٢١٦

صاعد بن مخلد ٢٢٢

صالح (النبي) ٤١٢

صالح بن صالح الشنتمري (٥٧٣)

(٥٨٧ -

صخر (أخو الخنساء) ١٢٣ ،

٤٤٩ ، ٧٢٠

صريع الغواني ١٣٦ ، ٤٨٦ ،

٦٩٤ ، ٧٠٣

صفية بنت عبد المطلب ٤٤٠

أبو الصقر ابن بلبل ٣٩٩

ابن صامح ، أبو يحيى ٢٦٢ ،

٢٦٤ ، ٤٧٥

٢٤٦ ، ٤٩٠ ، ٥٤١

سيف بن ذي يزن ، ٦٩٤ ،

٦٩٥

ش

شأس بن عبدة ٧٦١

ابن شبرين ٧٦٤

شبيب بن شيبه ٧٦٠

ابن شرف ، أبو عبد الله ٤٣٦ ،

٦٤١ - ٦٤٣ ، ٦٤٦

ابن شرف ، أبو الفضل ١٥٨ ،

٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٨٠٥

شريح القاضي ٨٣٣

الشريف الرضي ١٤٠ ، ٣٧٩ ،

٦٢٢ ، ٧١٤

ابن شماخ (عبد الملك) ٤٩٤

شمر بن ذي الجوشن ٧٢٢

شمس المعالي (قابوس) ٥٣٨

شميسة (والدة ابن عمار) ٤١٤

الشنفرى الأزدي ٧٦٩ ، ٧٧٠

ابن شهيد ، أبو عامر ٧٢ ،

٤٥٨ ، ٤٦٦ ، ٥٨٧ ، ٨٢١

أبو محمد بن سعيد	الصمة القشيري ١٣٧
طلحة بن عبيد الله ٦٥١	الصولي ، ابراهيم بن العباس
الطليق المرواني ٣٨٩	٨١٢ ، ٨١٣
الطماح الأسدي ٤٤٦ ، ٤٤٧	الصولي ، أبو بكر ٤٢ ، ١٣٨ ، ٣٨٩
أبو الطيب ، انظر : المتنبي	ابن الصيقل اليابري ٨٠٦ ، ٨٠٧
الطيطل (علي بن إسماعيل القرشي)	
(٧٩٧ - ٧٩٩)	
ابن طيفور ٢٠	ض
ظ	ضياء الدولة بن سقوت ٦٦١
الظافر بن المعتمد ١٢٣ ، ٢٧٦	ط
ع	طاهر بن الحسين العلوي ٣٨٠
عامر بن الطفيل ٦٤٢ ، ٦٤٦ ، ٦٧٩	ابن طاهر ، أبو عبد الرحمن
أبو عامر ٧٦٨	٨٢ ، ٤١٠ ، ٤١٢
أبو عامر (صديق ابن الجحد)	أبو طاهر ٥٥٢
٣١٩ - ٣٢١	الطائي الأصغر : انظر : البحري
عائشة (أم المؤمنين) ١٧١ ، ٧٥٨	الطائي الأكبر ، انظر : أبو تمام
عباد بن القاضي أبي القاسم محمد ،	طرفة بن العبد ٧٠٩
انظر : المعتضد	ابن طريف ، أبو الوليد ٤١٧
عباد بن المعتمد ، سراج الدولة	طلحة الفياض ٧٢٢
	طلحة بن سعيد البطليوسي ، انظر :

أبو عمرو ٧٠ ، ٢٦٦ ،	ابن عبد الصمد السرةسطي ٤٩٣
٢٦٨ ، ٢٧٠ - ٢٧٢	ابن عبد العزيز ، أبو الأصبغ
ابن عبادة القزاز ٢٤٤	٢٠٤ ، ٢٠٥ ، (٢٠٦ - ٢٠٩)
العباس بن الاحنف ٩٨٢ ،	ابن عبد العزيز ، أبو بكر (ابن
١٣٧ ، ٢٢٥ ، ٥١٤ ، ٧٧٧ ،	المرخي) ٤١٠ ، (٥٣٣ -
٧٣٨	(٥٥٦)
العباس بن المتوكل بن الأفتس	ابن عبد العزيز ، أبو مروان ٥٣٥ ،
٦٥١ ، ٧٢٣	٥٣٦
ابن عباس ٧٧٨	ابن عبد الغفور ، أبو القاسم
أبو العباس ٦١٠	(٣٢٣ - ٣٢٥)
ابن عبد البر ، أبو محمد ٩٦	عبد الغفور بن أبي القاسم ، أبو
ابن عبد البر الشتريني ٤٦٦	محمد (٣٢٥ - ٣٦٨) ،
عبد الجليل بن وهبون المرسى ،	٧٠١
انظر : ابن وهبون	عبد الله (ممدوح ابن الأستجي)
عبد الحميد الكاتب ٥٣٨ ،	٢٠٠ ، ٢٠١
٧٨٠	عبد الله بن الزبير ٧٢٢
عبد الرحمن بن معاوية (الداخل)	عبد الله بن الصمة ٢٧٢
٨٢ ، ٣٩٧	عبد الله بن طاهر ٥٥٢ ، ٧٥٧
عبد الرحمن بن مقانا الأشبوني ،	عبد الله بن مسلمة ٦٤١
انظر : ابن مقانا الأشبوني	عبد المجيد بن عبدون ، انظر :
عبد الرحيم الوزير ٣٦	ابن عبدون
ابن عبد الصمد ، أبو بحر ٥٧	عبد المحسن الصوري ٣٨٤ ،

٧٢٢	عبيد الله بن زياد	٨٤٥	
٦٤٦	عتاب	٧٤٤	عبد الملك
٢٨٥	العتابي (كلثوم بن عمرو)		عبد الملك بن محمد بن زهر ، انظر :
٥٨١			ابن زهر ، أبو مروان
٤١٧	عتاد الدولة بن سهيل	٦٣ ،	عبد الملك بن مروان
٧٩٧ ، ٦٠	أبو العتاهية	٧٢٢	
٦٤٦	عتيبة	٩٦	عبد الوهاب المالكي
٤٦٩	عثمان بن ادريس	٤٤٨	عبدة بن الطيب
٥٦٠ ، ٤٨٩	عثمان بن عفان	٤٦٧	ابن عبدوس
٧٢٢ ، ٨١٤		٧١٩	ابن عبدون ، عبد العزيز
	عدي ، انظر : مهلهل	٣٠ ،	ابن عبدون ، عبد المجيد
٥١٣ ، ٥١٢	عدي بن الرقاع	٤٤٢ ، ٢٢٨ ، ٦١ ، ٣١	
٩٤ ، ٥٩	عدي بن زيد	٥٩٠ ، ٥٨٨ ، ٥٤١ ، ٥٣٣	
٧٢١ ، ٢٢٥		٥٩٢ - (٧٢٧ - ٦٦٨) ،	
٧٦١	عرابة الأوسي	٧٦٥ ، ٧٦٦	
٤٥٠ ،	عرار بن عمرو بن شأس	٦٩٤	عبرة
٧٥٧		٤٠٦	عبيد بن الأبرص
٨٢٢	أبو العرب الصقلي	(٢٣٢ -	أبو عبيد البكري
٤٤٨	عروة بن حزام	(٢٣٨	
٦٦١ ، ٦٥٦	العز بن سقوت		أبو عبيدة (معمر بن المثني)
٦٦٤ ، ٦٦٣		٥١٢	
	ابن عشرة (أحمد بن علي) أبو	٤٩٦	عبيد الله

علي بن حمود ٣٨ ، ٦٥٧	المباس ٨٢٨ — ٨٣٠
٦٥٩	ابن عشرة (علي بن القاسم) أبو
علي بن القاسم ، انظر : ابن عشرة	الحسن ٨١٢ ، ٨١٥
علي بن مجاهد العامري ٢٩ ،	— ٨١٨ ، ٨٢٠ ، ٨٢٢ ،
٥٢١	٨٢٤ ، ٨٢٦ — ٨٢٨
علي بن محمد الايادي ٥٠٧	أبو عطاء السندي ٢٢٤
علي بن منصور الحاجب ٢٢٢	ابن العطار اليايسي ٤٦٤
علي بن يوسف بن تاشفين (أمير	عطاف بن نعيم ١٤
المسلمين) ٧٤٢ ، ٨٢٥	أبو العطف ٦٥٧
٨٣٢	ابن عكاشة ٧٠ ، ١٢٣ ، ٢٦٦ ،
أبو علي ٧٦٧	٢٦٩ ، ٢٧٣
عمار بن ياسر (أبو اليقظان)	العلاء بن صاعد ٢٢٢
٧٢٢	علوة ٧٧٢
ابن عمار ، أبو بكر ٤٦ ، ٤٧ ،	علي بن أبي طالب ٣٨٠ ، ٤٤٠ ،
١٥٠ ، ٢٧٣ (٣٦٨ — ٤٣٣) ،	٥٦٠ ، ٧٢٢ ، ٨١٤ ، ٨٣٣
٤٣٤ ، ٤٣٦ ، ٤٤١ ، ٤٧٥ ،	علي بن اسماعيل القرشي ، انظر :
٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٥٥٦ ، ٦٣٢ ،	الطيطل
٦٩٣	علي بن الحسين ٣٥٧
عمر بن أبي ربيعة ١٤٧ ، ١٥٣ ،	علي بن حصن الاشبيلي ، انظر : ابن
٧٢٠	حصن
عمر بن الحسن الهوزني ، انظر :	علي بن حمدان ، انظر : سيف
الهوزني ، أبو حفص	الدولة الحمداني

عياض بن ناشب ٧٤٩	عمر بن الخطاب ٩٠ ، ١٧١ ،
عيسى بن الأعلم ٤٢٨	٢٥٧ ، ٧٢٢ ، ٧٥٨
عيسى بن الحسن ، أبو الأصمغ ٣٧٧	عمر بن عبد الله بن الأفطس . انظر :
عيسى بن مريم (المسيح) ٧٨ ،	المتوكل ابن الأفطس
٢٢٠ ، ٤٣٦ ، ٤٩٥ ، ٨٠١	عمر بن هبيرة ٢٢٤
غ	أبو عمر الفرضي الوزير ٤٢٣
ابن غانم ، أبو طالب الوزير	عمران بن حطان ٦٩٤
٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٦٦	عمرو ٥٩١ ، ٥٩٢
أبو (ابن) غسان المتطبب ٤٨١	عمرو الأشدق ٧٢٢
الغريض ٣١٣ ، ٦٣١ ، ٧٢٨	عمرو ذو الكلب ٥١٣
ابن غصن الحجاري ، أبو مروان	عمرو بن العاص ٧٢٢
١٩٣ ، ١٩٤	عمرو بن قميثة ٤٤٧
ابن خطمش ، أبو عمرو ٤٧	عمرو بن كلثوم ٦٩٠
غيلان بن عقبة ، انظر : ذو الرمة	عمرو بن مذحج ، انظر : ابن حزم
ف	أبو الحكم
فائق الخادم ٦٤١	عمرو بن هند ٥٩٨ ، ٦٢٦
الفتح بن المعتمد ، أبو نصر ٦٩	عمرو بن ود ٣٨٠
— ٧١ ، ٤١٦ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ،	ابن عمرو ٦٤٦
٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦	ابن العميد ٥٣٨ ، ٧٨٠
أبو الفتح البستي ٢١٥	عنان ١٥١
	عنزة ٣٨٠ ، ٦٩٤ ، ٧٠٢
	عوف بن محلم ٦٩ ، ٢٢٤ ، ٧٦٨

القاسم بن حمود ١٥ ، ١٨ ، ٣٦ ، ٣٧	ابن فتوح ، عبد الرحمن ٤٦٥
أبو القاسم المنيشي ١٤٥ ، ١٤٩	٤٦٨
القائم الفاطمي ٥٠٧	فخر الدولة (حفيد المعتمد) ٧٩
ابن القبطورنه ، انظر : أبوبكر بن سعيد	فخر الدولة : انظر المعتمد
أبو الحسن بن سعيد	فرتنى ٦٦
أبو محمد بن سعيد	الفرار السلمي (حيان بن الحكيم)
القتال الكلابي ٣٥٨	٤٧٦
ابن قتيبة ٥٤	أبو فراس الحمداني ٢٤٦ ،
قدار (عاقر الناقة) ٤١١ ، ٤١٢	٦٩٣
القروي الإسلامي ٥٦٢	ابن فرج الجبائي ، أبو عمر ١٤٢
ابن قرمان ، أبو بكر ٧٦١ ،	الفرزدق ٩٠ ، ١٥٣ ، ١٨٠
(٧٧٤ - ٧٨٦)	الفضل بن سهل ٧٢٩
القس المكبي ١٣٧	الفضل بن علي بن حزم ١٣ ،
قس بن ساعدة ٣٤٩	١٤
قصير ٦٣	الفضل بن المتوكل بن الأفتس
ابن القصيرة ، أبو بكر (٢٣٩)	٧٢٣
— (٢٨٥) ، ٢٩٣	الفضل بن يحيى البرمكي ٧٢٣
القطامي ٤٠٧	فعال (غلام) ٣٩١
ابن القوطية ، أبو بكر ٢٠٣ ،	ق
(٢١٥ - ٢١٨)	
ابن القلاس ، أبو عبد الله ٨٠٧	القارطان ٣٦٠
قيس ليلى ، انظر : المجنون	قارون ٣٤٥

ل

ابن ليون ٣٩٤

لذيذة (قينة) ٧٣٥ - ٧٣٩

ابن لسان الحمرة ٧٦٠

لقمان ١١٧ ، ٥٠٢

ابن اللبانة (أبو بكر اللداني) ٦١

- ٦٦ ، ٧٧ ، ٧٩ - ٨١ ،

١٤٥ ، ١٥٠ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ،

٤٦٦ ، ٥٦٣ ، ٨٢٠

ابن لنكك ٨٣٤

لوط ٣٣٥

ليلى ٨٤٤

ليلى العامرية ٤٣

م

المأزني ، أبو عثمان ٧٢٧

مالك بن الربيع ٦٤٢

مالك بن نويرة ٧٨ ، ٦٤٦

مأمون بني عباد ، انظر : الفتح ابن
المعتمد

المأمون العباسي ٤٤٩ ، ٥٤٤ ،

٧٢٩

قيس بن الخطيم ٥٣ ، ٦٨٦

قيس بن ذريح ٤٤٨

قيس بن زهير العبسي ٧١١

قيس بن عاصم ٣٤٨ ، ٤٤٨ ، ٥٤٤

قيصر ٢٠٩ ، ٤٤٧ ، ٧٢٧

ك

كافور ١٦٧ ، ٣٨٦

كثير عزة ٢٢٣

كسرى ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٣٤٥ ،

٥٥٠ ، ٧٠٣ ، ٧٠٥ ، ٧٢٧

كسرى ابرويز ٦٩٥

كشاجم ٣٨٧

كعب بن مامة ٣٩٥ ، ٦١٧ ،

٦٢٨

ابن الكلبي ٤٥٥

كليب وائل ٣٦٠ ، ٥٤٤ ،

٧٢١ ، ٧٢٥

الكميت بن زيد ٦٤٥

الكندي ، انظر : امرؤ القيس

ابن كوثر الشتريني ، أبو عمر

(٨٠٨ - ٨٠٩)

المأمون بن ذي النون ، ١٩٣ ،	المتوكل العباسي ٧٢٣ ، ٨١٢
٢٦٨ — ٢٧٢ ، ٦٥٠	— ٨١٤
المبرد ، أبو العباس ١٣٨ ،	المتوكل بن أبي الحسن ٨١٠
٦٤٦ ، ٧٢٧	المتوكل ابن الألفطس ٦١ ،
المتلمس بن بطال البطلوسي ٧٠٥	١٥٨ ، ٣٩١ ، ٤٢٣ ، ٤٦٥ ،
متمم بن نويرة ٧٨ ، ١٠٢ ،	٤٦٦ ، ٥٩١ ، (٦٤٦—٦٥٢) ،
٥٦٧	٦٦٤ ، ٦٦٩ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ،
المتنبي ، أبو الطيب (أحمد بن	٦٨٨ ، ٦٩٠ ، ٦٩٣ ،
الحسين) ٤٢ ، ٦٠ ،	٦٩٤ ، ٦٩٧ ، ٧١٠ ، ٧١١ ،
٦٤ ، ١٠٧ ، ١١٥ ، ١٢١ ،	٧٢٣ ، ٧٧٢ ، ٧٧٤ ، ٨٠٣ ،
١٢٢ ، ١٣٤ ، ١٤٠ ، ١٤٣ ،	— ٨٠٥ ، ٨١٠
١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٦٧ ، ٢٢٢ ،	مجاهد العامري ٢٩ ، ٣١ ،
٢٢٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥٥ ، ٣٢٢ ،	٩٦ ، ٧٩٦
٣٣٢ ، ٣٣٤ ، ٣٨٠ ، ٣٨٦ ،	المجنون ٤٣ ، ١٥٠ ، ٤٢٢ ،
٤٠٩ ، ٤٤٢ ، ٤٥٩ ، ٤٦٣ ،	٤٤٨ ، ٥١٤ ، ٥٩٩ ، ٦٧٢ ،
٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ،	ابن محقور ٤١٧
٤٩٠ ، ٤٩٣ ، ٤٩٧ ، ٤٩٩ ،	محمد (ص) ٨٨ ، ٨٩ ،
٥٠٣ ، ٥١٥ ، ٥٤١ ، ٥٥٠ ،	١٠١ ، ١٠٣ ، ١٢٣ ، ١٧١ ،
٦١٨ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٤١ ،	٢٨٦ — ٢٨٩ ، ٣٧٦ ، ٤٤٠ ،
٦٤٤ ، ٦٩٩ ، ٧٠٩ ، ٧١٤ ،	٤٤١ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٥٦٩ ،
٧١٦ ، ٧١٧ ، ٧١٩ ، ٧٩٨ ،	٧٢٢ ، ٧٢٣ ، ٧٤٧ ، ٧٥٧ ،
٨٠٠ ، ٨٠١ ، ٨٤٩	٧٥٨ ، ٧٦٤ ، ٧٧٦ ، ٧٧٧ ،

محمد بن عبد العزيز بن المعلم ، انظر :	٧٧٩ ، ٧٩٣ ، ٨١٣ ، ٨١٤ ،
ابن المعلم	٨٣٣
محمد بن عبد الله البرزيلي ، ٢٠ ،	محمد ٦٠١
٢٢ ، ٢٨	محمد بن ابراهيم النهري أبو عبد
محمد بن عبد الله بن الجحد ، انظر :	الله ٣٧٨ ، ٧٨٦ ، ٧٩٧
ابن الجحد ، أبو القاسم	محمد بن أبي أمية ٨٣٨
محمد بن عبد الله بن مسلمة ، انظر :	محمد بن ادريس الحمودي ٣٣
المظفر بن الأفطس	محمد بن اسحاق بن الملح ، انظر :
محمد بن عبد الملك بن قزمان ،	ابن الملح
انظر : ابن قزمان	محمد بن ديسم الاشبيلي (٢١٢ -
محمد بن علي بن حمدين ، انظر :	محمد بن سليمان الكلاعي ، انظر :
ابن حمدين	ابن القصيرة
محمد بن القاسم ٣٣	محمد بن سليمان بن خلف الباجي
محمد بن مروان بن زهر ، انظر :	١٠١
ابن زهر	محمد بن عباد ، انظر : المعتمد بن
محمد بن هانيء ، انظر : ابن هانيء	عباد
محمد بن هشام بن عبد الجبار ٣٨	محمد بن عباد أبو القاسم القاضي
محمد بن يحيى بن حزم ، انظر :	(١٤ - ٢٣) ، ٢٥ ، ٣١ ،
ابن حزم ، أبو الوليد	٢١٩
محمد بن يوسف ، أبو عبد الله	محمد بن عبد الجبار الأموي ، انظر :
٢٥٨	المهدي
أبو محمد بن سعيد البطليوسي	

مصعب بن الزبير ٧٢٢
 المصطفى ، انظر : محمد (ص)
 مطر الشيباني ٦٩٤
 ابن المطرز ٤٠٢ ، ٤١١
 ابن مطري ٥٤٤
 المظفر بن الأفتس ٢٠ ، ٢١ ،
 ٣٣ - ٣٦ ، ٩٦ ، ٢٣٣ ،
 (٦٤٠ - ٦٤٦) ٦٥٠
 المعافى بن هزيم ٧١٣
 معاوية بن أبي سفيان ٣٩٦ ،
 ٣٩٧ ، ٣٩٩ ، ٧٢٢ ، ٨١٤ ،
 معبد (المغني) ٣١٣ ، ٣٤٩ ، ٦٣١ ، ٧٢٨
 المعتز العباسي ٧٢٣
 المعتز بن أبي عامر ١٨٧ ، ١٨٨
 ابن المعتز ٣٠ ، ١٥٥ ، ٢٢٣ ،
 - ٢٢٥ ، ٢٣١ ، ٣٧٩ ،
 ٧٠٠ ، ٧٠٤ ، ٧١٥ ، ٧١٨ ،
 ٧٩٥ ، ٨٢٢
 المعتصم العباسي ٣٥٧ ، ٤٤٤
 المعتصم بن صمادح ٤٠٢ ، ٤٠٣ ،
 المعتضد عباد ، أبو عمرو ١٩ ،
 (٢٣ - ٤١) ، ٤٧ ، ٤٩ ،

(ابن القبطورنه) ٧٧٣ ، ٧٧٢ ، ٧٥٣
 المختار الشففي ٧٢٢
 ابن مرتين ، عبيد الله ٧٥٢ ، ٧٥٠
 ابن مرتين ، محمد ٢٦٩ - ٢٧١
 ابن مرزقان ، أبو القاسم ٤٧٦ ،
 ابن المرخي : انظر : ابن عبد العزيز
 ٤٧٧ (٥٢٠ - ٥٢٢)
 مروان بن محمد ٧٢٢ ، ٩١ ، ٥٤
 ابن مزين (عيسى بن محمد) ٣٦
 المستنصر ، انظر : الحكم المستنصر
 مسلم بن الوليد ، انظر : صريح الغواني
 أبو مسلم الخراساني ٥٤
 المستعين العباسي ٧٢٣
 المستعين . سليمان بن الحكم
 ١٦ ، ١٧ ، ٣٨
 المستعين بن هود ٥٤٥
 ابن مسلمة ، انظر : المظفر ابن الأفتس
 ابن مسلمة ، أبو عامر (١٠٥)
 - (١١٢) ١٢٤ . ٢٠٦ ،
 ٢٠٧ ، ٣٩٧
 المسيح . انظر : عيسى بن مريم
 المصحفي ٧٦٧ ، ١٠٩

، ٤٤٣ ، ٤٤١ ، ٤٣٧ ، ٤٣٥

، ٤٧٢ ، ٤٥٤ ، ٤٥٠ ، ٤٤٦

، ٤٩٤ ، ٤٩١ ، ٤٧٦ ، ٤٧٤

، ٥٠٣ ، ٥٠١ ، ٥٠٠ — ٤٩٦

٥٢٠ ، ٥١٧ — ٥١٥ ، ٥٠٩

، ٥٦٨ ، ٥٦٦ ، ٥٣٥ ، ٥٢٢ —

، ٦٦٩ ، ٦٦٤ ، ٦٦٢ ، ٦٥١

، ٨١٠ ، ٧١٠ ، ٧٠٦ ، ٦٩٩

٨٣٨ ، ٨١١

المعري ، أبو العلاء ٩١ ، ١٦٩ ،

، ٣٧٨ ، ٣٧٤ ، ٢٤٨ ، ١٩٩

، ٤٥٧ ، ٤٠١ ، ٣٨٧ ، ٣٨١

، ٤٨٦ — ٤٨٤ ، ٤٨٢ ، ٤٥٨

، ٦٢٧ ، ٦٢٠ ، ٥٥٠ ، ٤٩٣

، ٧٠٧ ، ٦٤١ ، ٦٣٢ ، ٦٣١

، ٨٤٢ ، ٧٩٦ ، ٧٩٥ ، ٧٢٧

٨٤٩ ، ٨٤٨

معز الدولة (شمال المرداسي)

١٠٣ ، ١٠٢

المعز بن يوسف بن تاشفين ٦٦٤

ابن المعام ، أبو الوليد ٨٣ ،

١٥٥ ، (١٢٤ — ١١٢)

، ٨٧ ، ٨٥ ، ٨٣ ، ٨٢ ، ٥٠

، ١١٢ ، ١٠٨ ، ١٠٥ ، ١٠٠

، ١٢٣ ، ١٢١ ، ١٢٠ ، ١١٨

١٥٨ ، ١٥٦ ، ١٣٥ ، ١٣٠

١٧٨ ، ١٧٦ ، ١٧٤ ، ١٧٢ ، ١٦٠ —

، ١٨٧ ، ١٨٦ ، ١٨١ ، ١٧٩

، ٢٠٦ ، ٢٠٥ ، ٢٠٣ — ٢٠١

، ٣٧١ ، ٢٣٩ ، ٢٣٥ ، ٢٣٢

، ٣٨٤ ، ٣٨٢ ، ٣٨١ ، ٣٧٦

، ٦٣٧ ، ٥٣٥ ، ٤٦٠ ، ٤٥٦

٦٥٨ ، ٦٥٠

المعتمد بن عباد ، المؤيد ٢٨

، ١٢٣ ، ١٢٢ ، (٨١ — ٤١)

، ٢٢٠ ، ١٩٩ ، ١٩٧ ، ١٨٦

، ٢٣٨ ، ٢٣٧ ، ٢٣٥ ، ٢٢٧

، ٢٥٢ ، ٢٤٥ ، ٢٤٤ ، ٢٤٠

، ٢٧٢ ، ٢٦٩ ، ٢٦٨ ، ٢٦١ ، ٢٥٥

، ٣٦٩ ، ٣٢٦ ، ٣٢٣ ، ٢٨٥

، ٣٨٥ ، ٣٨٣ ، ٣٧٥ ، ٣٧١

، ٤٠٩ — ٤٠٧ ، ٤٠٥ ، ٣٩٦

، ٤٢٤ — ٤٢٠ ، ٤١٧ — ٤١٣

، ٤٣٣ — ٤٣٠ ، ٤٢٨ ، ٤٢٧

أبو المغوار الغنوي ٧٢٧	المنصور بن أبي عامر ٤٠ ،
مغيث ٨٤٥	٣٧٦
مقاتل (الدلام) ٥٤٥ ، ٥٤٤	المنصور (يحيى بن الألفطس)
مقاتل (نفق) ٧٨٠	٦٤٧ ، ٦٥٠ ، ٧٩٩
ابن مقانا الأشبوني ، أبو زيد	المنصور (؟) بن المتوكل ٧١٠
(٧٨٦ - ٧٩٦)	المهدي (محمد بن عبد الجبار)
ابن مقبل ٤٨٩ ، ٧١٤ ، ٧١٥	٢٧
المقتدر بن هود ، انظر : هود المقتد بالله	المهلب بن أبي صفرة ٥٦
ابن الملح ، أبو بكر ٤٣٣ ،	مهلهل التغلبي ٥٦٧ ، ٧٢١ ،
٤٣٤ ، (٤٥٢ - ٤٧٣) ، ٦١٣	٧٢٦ ، ٧٦٦ ، ٧٩٠
الملك الفضليل ، انظر : امرؤ القيس	مهيار الديلمي ٧٤٧ ، ٨٠٢
ابن المناصف ، أبو القاسم ٣٠٥	المؤتمن (يوسف بن أحمد بن هود)
ابن المنخر ، أبو الاصبع ٢٢٢ ،	انظر : ابن هود المؤتمن
٧٩٩ ، ٨٠٠	موسى (النبي) ٤٥٨ ، ٤٩٥
منذر ٦٩٢	٦٧٦
منذر بن يحيى التجيبي ٧٨٧	المؤيد ، انظر : المعتمد بن عباد
— ٧٩٠	ابن ميتويه الحاجب ٦٤١
المنصور ٧٦٩	مية ٥٠٢
المنصور العباسي ٥٥	مية (صاحبة ذي الرمة) ٦٩١
منصور الفقيه ٦١٣	
المنصور المعان ، انظر : سقوت بن	ن
محمد	الناطقة الجعدي ٣٥٧

٢١١ ، ٥٤٥ ، ٧٦٢ ، ٨٥٠	الناطقة الديبالي ١٤٧ ، ٢٢٣ ،
ابن نوح الدمري ٢٨ ، ٣٨ ،	٤٢٩ ، ٤٨٩ ، ٧٠٦
٣٩	الناجم ١٤٨ ، ٤٠٩
ابنا نويرة (مالك ومتمم) ٧٢٥	الناشيء ٧٠٤
هـ	ناصر ٧٥٦
هارون (أخو موسى) ٤٩٥	ابن نباتة السعدى ٣٧٩ ، ٤٦٦
ابن هارون الشنتمري ، أبو الحسن	النحلي ، أبو الوليد ٤٦٥ (٨٠٩
(٦٣٧ - ٦٣٩)	- ٨١١)
ابن هانيء ٤٢ ، ١٢٢ ، ٣٧٨ ،	نسيم (غلام التنوخي) ٦٣٣
٣٨٣ ، ٤٣٦ ، ٥٠٦ ، ٦٢١ ،	نصر بن سيار ٩١
٦٨٥ ، ٧٠٠ ، ٧١٨ ، ٧٩٣ ،	ابن نصر الاشبيلي ، أبو بكر
٧٩٥ ، ٧٩٩ ،	(٢١٢)
أبو هاشم بن المعتمد ٧٣	أبو نصر ٢٦٨
هشام الرضي (بن عبد الرحمن)	نصيب بن رباح ٦١ ، ٢٢٥
٨٢	النعمان بن بشير ٥٤٤
هشام بن الحكم (المؤيد) ١٦ ،	النمري (رفيق كعب بن مامة)
١٨ ، ٣٧ ، ٧٥٧	٦١٧
هلال بن الأديب ٥٣٦ - ٥٣٩	أبو نواس (الحسن هانيء) ٦٠ ،
هند ٧٤٠	٩٣ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ،
هند (أم معاوية) ٣٩٦	٤٣٦ ، ٦٠٥ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ ،
ابن هند ، انظر : معاوية بن أبي سفيان	٧١٦
	نوح (النبي) ١٥٦ - ١٥٧ ،

٤٧٢ ، (٤٧٣ - ٥١٩) ٥٦٣ ، ٨٦٣	أبن هود، أبو محمد (٨٠٣ - ٨٠٥)
وهرز ٦٩٤ ، ٦٩٥	أبن هود ، المقتدر بالله ١٨٧ ،
ي	١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٩ ، ٢٠٠
٢٤٥	أبن هود ، المؤتمن ٣٧١ ، ٣٨٨
٤٨٧	٤١٠ ، ٤١٥
يحيى بن إسماعيل بن ذي النون ١٨٧	المهوزني ، أبو حفص (عمر بن الحسن)
٨١٣ ، ٨١٤	(٨١ - ٩٤) ١١٨
يحيى بن البحرى ٣٩٠	المهوزني ، أبو القاسم (الحسن بن عمر)
يحيى بن خالد البرمكي ٧٢٣	٢٩١ ، ٣١٤
يحيى بن علي الحمودي ١٩ ،	و
٢٨ ، ٦٥٧ ، ٦٦٤	واضح العامري ٢٧ ، ٣٨
يحيى بن محمد بن بقي ، انظر :	والبة بن الحباب ١٥٤
أبن بقي	أبو وائل الحمداني ٢٥٥
يحيى بن المظفر بن الأفتس ، انظر :	ورقاء بن زهير ٧٨٤
المنصور أبن الأفتس	أبن وكيع ٤٦
يحيى بن هذيل ٤٦٩ ، ٥١٤	أبن الوكيل ٢٦٤
أبن يحيى (صاحب لبلة) ٣٣ ،	الوليد بن يزيد ٧٢٢
٣٤ ، ٣٦ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤	وهب بن سليمان بن وهب ٨١٢
أبن يريم ١٩	أبن وهبون المرسي ، عبد الجليل
يزد جرد ٧٢٢	١٤٤ ، ١٦٩ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ،
يزيد بن الطرية ٧٤٣ ، ٧٩٣	٢٥٥ ، ٤٣١ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ،

٢٢٠ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠ — ٢٤٢ ،

٢٤٥ ، ٢٥٤ — ٢٥٦ ، ٢٦٣ ،

٢٦٥ ، ٢٩١ ، ٥٠٣ ، ٥٤٦ ،

٥٤٧ ، ٥٩٤ ، ٦٥٣ ، ٦٥٦ ،

٦٦٠ — ٦٦٣ ، ٨٣١

يوسف بن محمد بن الجلد ، انظر :

ابن الجلد أبو الحسين (الحسن)

يوسف بن هارون الرمادي ، انظر :

الرمادي

يونس (النبي) ٨١٨

يزيد بن مزيد الشيباني ٤٨٦ ،

٦٩٤

يزيد بن المعتمد أبو خالد ، انظر :

الراضي بن المعتمد

يعقوب (النبي) ٤٩٦ ، ٨٣١

ابن يعيش ١٦

يوسف (النبي) ٧٨ ، ٢٤٥ ،

٧٦٤ ، ٨٣١ ، ٨٤٦

يوسف بن تاشفين (أمير المسلمين

وناصر الدين) ٥٧ ،

٢ - فهرس الاماكن

أضخات	٥٧ ، ٧٣ ، ٧٥ ،
	٧٦ ، ٢٢٧
المرية	٢٤٥ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ،
	٤١٩ ، ٤٧٥
أنلدرين	٧٩١
الأندلس	١١ - ١٤ ، ١٦ ،
	١٧ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ،
	٤٠ ، ٤٦ ، ٨٢ ، ٩٥ ، ٩٧ ،
	١٢٥ ، ١٤٢ ، ١٨٧ ، ٢٣٢ ،
	٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٩ ،
	٢٨٠ ، ٤٣٨ ، ٥١٥ ، ٥٣٥ ، ٥٥٨ ،
	٦٣٩ ، ٦٥٠ ، ٦٥٤ ، ٦٥٦ ،
	٦٥٨ ، ٦٦٩ ، ٧٨٧ ، ٨١١ ،
أنقرة الروم	٤٤٩
أونية	٢٣٣
باب النخيل	٤٣٠
بابل	٦١٧
باجة الأندلس	١٩ ، ٢٠ ، ١٨٧
آلس	٢٥٦
أبان	١٨٢ ، ٦١١
أجا	٤٣٦
أركش	٣٩
الأشبونة	٢٢ ، ٣٧٨ ، ٥٤٤
	٧٨٦ ، ٨٠٣
اشيلية	١١ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٨ ،
	٢١ - ٢٨ ، ٣٣ - ٣٥ ،
	٣٨ ، ٤٦ ، ٥٦ ، ٧٥ ، ٧٦ ،
	٨٢ ، ٨٣ ، ١٦٦ ، ٢٠٢ ،
	٢٢٠ ، ٢٣٩ ، ٣٢٥ ، ٣٧١ ،
	٣٩٦ ، ٤١٥ ، ٤٢٨ - ٤٣٠
	٤٧٢ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٥٣٥
	٦١٥ ، ٧١٠ ، ٨٣٥ (وانظر
	أيضاً : حمص)
إضم	٥٧٣
أعفر	٨٢٢

بالس ٢٤٦	توضح ١٧٠
بحر الروم : انظر البحر المحيط	ثبير ٢٠٠
الرومي	الثرىا (قصر) ٧٦ ، ٧٥
بحر الزقاق ٦٥٨ ، ٦٥٠	شهلان ١٧٥
البحر المحيط الرومي ١١ ،	شمد ٩٩
٢٢ ، ١٨٧ ، ٤٦٣ ، ٦٣٩ ،	جاسم ٥٩٢
٨١٢	جامع قرطبة ٥٨ ، ٢٧١
بربشتر ٨٢	الجزيرة ، انظر : الأندلس
بربعيص ٢٥٠	الجزيرة الخضراء ٣٦ ، ٤٠
بسطة ٢٧٩	الجزيرة العراقية ٤٨٦ ، ٥٥٨
بطليوس ٢٢ ، ٣٥ ، ٩٦ ،	جفر الهباءة ٧٢٥
٢٤٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٦٣٩	جاق (واد أندلسي) ٧٩٠
٦٤١ ، ٦٥٠ — ٦٥٣ ، ٧١٠	جو ٨٧
٧١١ ، ٧٩٩ ، ٨٠٣	جيرون ٧٦٢
بغداد ٨٠ ، ٩٨ ، ١٣٥	الحجاز ٢٢٥ ، ٢٨٨ ، ٧٨٨
١٩٢ ٣٥٧ ، ٣٩٨ ، ٧٠٦ ،	حجر ٧٩٠
٧١٢	الحرمان ٢٨٩
بلنسية ٣٩٣ ، ٤١١ ، ٧٩٠	الحساء ٣٣٥
بياسة ٤١٦	حلب ٩٥ ، ٥٤١ ، ٧٢٤ ،
تدمر ٤٦٩ ، ٨٤٦	٧٢٩
تدمير ٤١١ ، ٤٧٤	الحمى ٦٩٠
تلمسان ٢٥ ، ٨٣٠	حمص (اشيلية) ١١ ، ١٣

الري ٦٩	٧٥ ، ٨٠ ، ١٢٣ ، ١٦٦ ،
الزاب ٢١٧	١٨٦ ، ٣٢٤ ، ٣٧٢ ، ٣٨٥ ،
الزاهر (قصر) ٧٥	٣٩٣ ، ٥٠٤ ، ٥٩٣ ، ٧٠٦ ،
الزاهي (قصر) ٧٦ ، ٧٥ ،	٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٦ ، ٧٤٠ ،
٥٠٨	٧٤٥ ، ٧٦٨
زرود ٦٩٠	حمص (الشام) ١٤ ، ٧٢٩
زمزم ٦٨٥	حير الزجالي ٧٦٧
سبتة ٣٧ ، ٤٠ ، ١٢١ ، ٦٥٦ ،	الخيف ١٠٢ ، ١٧٥
٦٦٣ —	دار تنوير ٦٦٣
السد ٣٧٢	دارين ٣٥٠ ، ٣٦٣
سرتة ٢٤٩ ، ٦٥٥	دانية ٢٩ ، ٩٦
سرقسطة ٣٧١ ، ٣٧٤ ، ٧٨٨	دجلة ٥٠٥ ، ٦٨٤
٨٠٣ ، ٨٠٤	الدخول ١٥٨
سعد السعود (قصر) ٧٦ ، ٧٥	الدكادك ٧٢٥
سقط اللوى ٧٨٨	الدمنة ٦٦٠
سلا ٨٢٠ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧	الذئاب ٧٢٦
سلمى ٤٣٦	ذو طلوح ٢٢٤
السند ٥٠٢	ربض الرصافة ٣٩٧
شاطبة ٤١٧	الربض الشرقي ٢٧٣
الشام ١٤ ، ٨٢ ، ٩٥ ، ٢٢٠	رضوى ١٩٧ ، ٥٧٣
٣٠٧ ، ٨١٢	رنده ٣٢ ، ٣٩ ، ٥٠ ، ٦٩
شامة ٦٣٣	رومة ٢٦٠

طفيل ٦٣٣	شدونة ٥٣٥ ، ٢١
طليطلة ١٦ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ،	شرق الأندلس ٣٧ ، ٢١٩ ،
٢٧٢ ، ٢٧٩ ، ٦١٥ ، ٦٤٣	٢٢٠ ، ٣٧١ ، ٧٩٠
٨٠٤	شعب جياة ٧٢٦
طنجة ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٦١ ، ٦٦٢	شقورة ٤٠١ ، ٤١٥ ، ٤١٧
عالج ٦٨٥	٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٨
عدن ١٩٢	شلب ٣٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧١ ،
العراق ٧٢ ، ٨٢ ، ٨٧ ،	٤١٤ ، ٤٣١ ، ٤٣٣
٩٥ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ٢٢٠	شلطيش ٢٣٣ ، ٢٣٤
٣٠٧ ، ٥٣٩ ، ٧٢١ ، ٧٥٦	شنبوس ٤١٣ ، ٤١٤
٧٦١ ، ٨١٢	شنرة ٧٨٧
عرفة ٢٨٨	شنتمرية الغرب ٦٣٧
العريش ١٤	الصراة ٦٨٤
عسوس ٧٠١	الصفا ٢٨٨
عسيب ٤٤٨ ، ٤٤٩	صقلية ٨٢
عقرقس ٢٥٦	صنبر ١٩٧
العقيق ١٧٠ ، ٧٨٨	صنحاء ١١١ ، ٢٩٠
عكاظ ٣٤٩	صول ٢٩٤
العلياء ٥٠٢	الصين ٧٢٢
عمان ٧٢٥	ضارج ٤٥٥ ، ٦٨٥
غافق ١٩٧	طرطوشة ٧٩٠
١٤ ، ٢٠ ، ٢٨ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣	طشانة ١٤
الغرب	

٧٦٨	قلمرية	٦٨٥، ٦٥٠، ٦٤١، ٤١٤، ٢٣٩
٣٣٥	القوادم	٨٣٠، ٨٢٤، ٧٨٦، ٦٨٦
٦٥٥، ٢٤٩، ٢٤٣	قورية	٢٧٧، ٢٣٧، ٢٢٧
٨١٧، ٨١٥، ٨١١، ٧٦٦		٢٢ غليسية
٩٥	القيروان	٣٩٠ الغوير
٦٩٤	الكعبة	٧٧٧، ٧٠٥ فارس
٧١٢	لب	٧٢٣ فخ
٢٣٤، ٢٣٣، ٣٥ - ٣٣	لبلة	٨٠١، ٣٩٨ الفرات
٢٨٦		٣٣٤ القاصرة
٧٢٥	اللولى	٧٨٧ القبداق
٢٦٥، ٢٦٣	لورقة	٢٧، ٢٤، ٢١ - ١٥ قرطبة
٢٦٤، ٢٦٢، ٢٢٠	ليبط	٦٩، ٥٨، ٣٧، ٣٦، ٣٤
١٠٢	المأزمان	٧٠، ٨٢، ١٢٣، ١٦٦،
٥٠، ٤٩، ٤٧، ٣٣	مالقة	٢٦٦، ٢٦٠، ٢٣٤، ٢٣٣
٥١٧، ٤٣٠	المبارك (قصر)	٢٦٩ - ٢٧١، ٢٧٢،
٥٢٠		٣٩٧، ٣٨٣، ٣٥٧، ٣٠٥
٣٦	المجاز	٤٣٥، ٤٢٨، ٤٢٣، ٤١٦
٤٧٥	المحصب	٥٤١، ٥٣٩ - ٥٣٤، ٤٤٦
٨٧، ٢٧	مدينة سالم	٧٦٧، ٦٣٩، ٥٦٨، ٥٤٥
١٩٧	المتور	٨٥٠، ٨٤٧
٤٠	مراكش	٥٣٥، ٢٠ قرمونة
٢٧٣، ٨٣، ٨٢	مرسية	٢٥٧ قلعة بني حماد

ميورقة	٥٥٨ ، ٩٦	٣٧١ ، ٤٠٥ ، ٤٧٥ ، ٥٥٦	المروة	٢٨٨
نجد	٣٠٧		المزدلفة	٢٨٨
النيل	٨٢٧ ، ٨٢٦		المشرق	٩٧ ، ١٣٦ ، ٢١٩
هجر	٦٣٠		المشقر	٤٨٩
الهند	١٣٥ ، ٢٤٢ ، ٣٠٧ ،		مصر	١٤ ، ٨٢ ، ٩٥ ، ١٩٢
	٤٩١ ، ٦٢٠			٢٤٠ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧
وادي آتة	٧١٢		المطالي	٦٩٠
وادي الأخرم	٤٦٠		المغرب	٦٧ ، ٨٢ ، ٦٧٣ ،
وادي قرطبة	٣٤ ، ١٦٦			٨١٠ ، ٨١٢
وادي منى	٢٥٧		مكة	٨٢ ، ٩٢
واسط	٣٩٠		منى	١٠٢ ، ٢٨٨
وجرة	٨٠١		منبة الزيتون : انظر اشبيلية	
ولبة	٢٣٤		منج	٣٠٤
يابرة (يابورة)	٢٠ ، ٦٤٧ ،		منج	١٧٠
	٦٥١ ، ٦٦٩ ، ٦٩٠ ، ٧٦٦		المنية الصمادحية	٤٠٢
يبرين	٣٥٠ ، ٣٦٣		المهدية	٢٨٣ ،
يثرب	٢٨٩		مورور	٣٩
يلدبل	٧٥٠		الموصل	٣٨٥٠
يلعلم	٥١ ، ٥٦٧ ، ٦٨٥ ،		ميرتلة	٢٠
	٨٢٢		ميسر	٢٥٠
يُمن	٣٣٥			

٢٤٥ ، ٢٤٤ ، ٢٤١،٧٣ ،	اليمن ١٩٢ ، ٦١٩ ، ٦٩٤
٧١٩ ، ٥١٠ ، ٢٥٦ ، ٢٥٥	٦٩٥
٤١٥ ، ٤١٤ ، ١٤ يومين	يوم الأحزاب ٣٨٠ ، ٤٤٠
	يوم الجمعة (يوم العروبة : الزلافة)

٣ - فهرس الأمم والطوائف والقبائل

٦١٢ بكر	بنو أسد ٥٦ : ٤٤٧ ، ٧٢١
البكريون (بنو البكري) ٢٣٣ ،	أصحاب الأيكة ٧٢٧
٥٦٣ ، ٥٦٩	الأعراب (الأعراب) ٢١٧ ،
١٢ ، ٦٣٩ ، ٦٤١ ،	٤٨٠ ، ٤٩١ ، ٦٧٥ ، ٧٠٩ ، ٨٢٣
٦٤٢ ، ٧٨٩	الأفرنج : انظر الفرنجة
٧٢٢ الترك	الأكاسر ٤١٣
٦٢٨ ، ٥٩٨ ، ٥٩٧ ، ٥٧٠ تغلب	بنو أمية (بالشرق) ٤٢ ، ٥٤ ،
٩٣ ثمود	١٨٦ ، ٣٩٧
٨٧ بنو جالوت	إياد ٢١٨ ، ٣٤٩ ، ٣٩٥ ،
٥٥٦ بنو الجلد	٦١٨ ، ٧٤٧
٧٤٣ بنو جرم	بنو الباجي ١٨٧ ، ١٩٧
٧٢١ جرهم	بجتر ٧٧٧
٤٦٠ جشم	بنو بلر ٧٢١ ، ٧٦٦
٣٨٨ ، ٢٦٨ بنو جهور	البراجم ٦٢٦
٦٩٥ الحبشة	البرابرة ١٦ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢١ ،
٣٩٧ الحربية (بنو حرب)	٣٣ ، ٣٧ ، ٣٩٧ ، ٥٣٥
٧٤١ الحضرميون	بنو برزيل (البرازلة) ٢١ ،
٨١٧ ، ٢٢٢ بنو حمدين	٣٨ ، ٤٠

٤٦٣ ، ٦١٩ ، ٦٢١ ، ٦٥٣	الحمودية ٣٣
٨٣١ ، ٦٩٦ ، ٦٩٠	حمير ٢٤٥ ، ٤٥٧
بنو الزبيلدي ١٥	بنو حنيفة ٧٧٧
زنانة ٢٢١ ، ٦٦٠	الخزر ٧٢٢
الزنج ٢١٤	الخوارج (الشراة) ٥٥ ، ٦٩٦
بنو زهر ٥٩٤ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٧٤٦	خولان ١١١
بنو ساسان ٤٦٣ ، ٧٢١	بنو الدب ٣٢٤
سبأ ٧٢١	بنو دمر ١٧٩
بنو سراج ٦٢٨	الدولة الأموية (بالمشرق) ٧٢
سعد العشيرة ٧٤٤	الدولة البرغواطية ٦٦١
بنو سعيد (ابناء القبطورنه) ٧١١	الدولة الحمودية ٦٥٧ ، ٦٥٨
٧١٢ ، ٧١١	الدولة الدياحية ١٢
السودان المغاربة ٥٠	الدولة العامرية ١٢ ، ٥٣٥ ،
الشراة : انظر الخوارج	٦٣٩
شيبان ٦٨٦	الدولة العبادية ٢١٩ ، ٥٦٣
الصفير : انظر الروم	٦٤٠
الصقالب ٤٣٠	الدولة العباسية ٨١٢
الطالبيون ١٣٨	ذبيان ٦٢١ ، ٧٢٥
بنو طاهر ٢٧٣	ربيعة ٦٩٤
طسم ٧٢١	بنو رشيق ٧٧١
طي ٣٧٦ ، ٣٩٥ ، ٤٣٦	الروم ٨٢ ، ١٨٥ ، ٢٤٨ ،
عاد ٩٠ ، ٢١١ ، ٧٢١ ، ٧٢٧	٢٥٤ ، ٣٥٨ ، ٣٨٨ ، ٤٤٧

٤٤٧ ، ٤٥٥ ، ٥٣٨ ، ٥٤٠ ،	بنو عامر (الاندلسيون) ٣٨
٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٦٥٨ ، ٦٦٠ ،	٥٣٥ ، ٥٩٩ ، ٦٣٩
٦٧٥ ،	بنو عامر (قبيلة) ١٥٠
٨١٢ بنو عشرة (بنو القاسم)	بنو عباد (آل عباد) ٣ ،
٨١٩ ، ٨٢٣ ، ٨٢٤	٥٨ ، ٦١ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٣٩٦
بنو عقيل ٥١٣	٤١٥ ، ٤٢٧ ، ٤٩٢ ، ٦٤٠
عك ١٦٧	العباسيون (بنو العباس) ٢٥
بنو عمار ٤١٢	٤٢ ، ٨٠ ، ٧٢٣
غسان ١٦٨	بنو عبد العزيز (بنو المرخي)
غفار ٦٤٢	٣٩٣ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤٢١
الفرس ٧٢٢	٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٧٦٥
آل فرعون ٣٤ ، ٩٥	عبد القيس ٦٨٦
الفرنجية ٢٧٤ ، ٤٠٥ ، ٤٩١	بنو عبس ٧١١ ، ٦١٢ ، ٢٢٣
فهر ٦٦٨ ، ٦٧١ ، ٧١٥ ،	٧٢٥ ، ٧٨٤
٦١٩ ، ٧٢٠	العجم (الأعاجم) ٦٨ ، ٢٥١
بنو القاسم : انظر بنو عشرة	٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٣٧٤ ، ٥٣٨
قحطان ١١١ ، ٤٣٩ ، ٤٦٣ ،	٥٧٢ ، ٦٢٦ ، ٦٦٠
٦٤٢ ، ٦٩٤	عدنان ٤٦٣
قريش ٢١ ، ٤٩٠ ، ٧٦٥	بنو عدوان ١٢ ، ٧٢٦
بنو قريظ ٢٤٧	العرب ١٩ ، ٦٨ ، ١٨٥ ،
ابنا قبيلة ٧٢٦	٢٢٤ ، ٢٣٢ ، ٢٥١ ، ٢٥٥
بنو كعب ٤٩٩	٢٥٦ ، ٢٥٩ ، ٣٣٣ ، ٣٧٤

٢٤٨ ، ٢٤٤ ، ٢٤٣ ، ٢٣٧	بنو كلاب ٢٤٦
٢٦٣-٢٥٩ ، ٢٥٤ ، ٢٥٣ ، ٢٤٩	كندة ٥١
٦٥٠ ، ٥٤٦ ، ٢٨٣ ، ٢٧٥	لحم ١٢ ، ٧٨ ، ٢٤٥ ، ٣٧٦
٧٩٣ ، ٧٩٢ ، ٦٥٥ ، ٦٥٤	٣٨١ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٨٤
آل المصطفى : انظر آل محمد	٤٩١ ، ٤٩٤ ، ٥٠٢ ، ٥٣٣
٧٢٤ ، ٧٢١ ، ٦٩٤ مضر	٦٣٩ ، ٦٩٩ ، ٧١٠ ، ٧٢١
٧٤٧	لمتونة ٦٦٠
بنو المظفر (الأفتس) : ٧٢٣	بنو ماء السماء ٧٥ ، ٥٩
معد ٢٢٥ ، ٣٥٢ ، ٦٤٢ ، ٧١٤	المانوية ٢٤٧
مكناسة ٦٤١	المجوس ٦٩٦
الملثمون (المرابطون) ٤٠ ، ٢٦١ ، ٦٦١ ، ٦٦٣	المحدثون ٤٨٠
ملوك الطوائف ١٦ ، ٦٦ ، ٢٤٠ ، ٢٤٨ ، ٢٥٦ ، ٦٥٠	آل محمد ٧٧٠ ، ٧٢٣
٦٦٩ ، ٦٦١ ، ٦٥٣	آل محمد (مرثي) ٨٣٣
مهرة ٣٨١	مخزوم ٧١٠
المولدون ١٩	ملنجج ٥٩٠ ، ٥٩٧ ، ٦٠٣
نزار ٦٤٢	المرابطون : انظر الملثمون
النصارى ٢٢ ، ٧٣ ، ٢٤٨	بنو مرتين ٧٥٢
٣٧٤ ، ٢٦٢ ، ٢٥٤ ، ٢٤٩	بنو المرخي : انظر بنو عبد العزيز
٨١٦ ، ٦٨٢ ، ٥٤٦ ، ٤٧٥ ، ٤٠٥	بنو مروان (المروانية) ١٦
	١٧ ، ٣٣
	بنو (آل) مسلمة ٦٩٥ ، ٦٩٤ ، ٣٩٧
	المسلمون ٩٢ ، ١١٨ ، ١١٩

بنو (آل) هاشم	٥٤٤ ، ٣٧٦	بنو يزداد	٤٩٩
بنو (آل) هود	٨٠٤ ، ٤١٠	يعرب	٤٧٥ ، ٥٠٢ ، ٦٨٩
هوزن	٨٢		٥٩١ ، ٧١٥
وائل	٣٦٠ ، ٥٤٤ ، ٥٦٩ ،	بنو يفرن	١٧٩
٦٢٨		يمن	٧٢١
ابنا وائل	٧٢٥	اليهود	٩٢ ، ٣٥٤ ، ٣٦٤٣
بنو يريم	١٥		٥٦٢
بنو يرفيان	١٧٩	يونان	٣٣٥ ، ٤٦٣ ، ٧٢١

٤ - فهرس الكتب المذكورة في المتن

- الاعتماد على ما صحّ من شعر المعتمد بن عباد لابن بسام ٨١ ، ٤٧٧
 الاكليل المشتمل على شعر عبد الجليل لابن بسام ٤٧٧
 البديع في وصف الربيع لأبي الوليد الحميري ١٢٥ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢١٤
 التذكرة لابن الأفطس ٦٤٠
 الحدائق لابن فرج ١٤٢
 حديقة الارتياح لابن مسلمة ١٠٦ ، ٢٠٦ ، ٣٩٦
 خلق الانسان لثابت ١٥٤
 ذخيرة الذخيرة لابن بسام ٨٣٥
 الزهرة لابن داود ١٤٢
 سلك الجواهر من نواذر ترسيل ابن طاهر لابن بسام ٤٧٧
 شعر المعتضد جمعه ابن أخيه إسماعيل ٢٩
 العمدة لابن رشيق ٧٢٧
 كتاب الترمذي في الحديث ٨٢
 الكتاب الكبير لليعقوبي ٨١٢
 كتاب المظفر (المظفري) : انظر : التذكرة لابن الأفطس
 نخبة الاختيار من أشعار ذي الوزارتين أبي بكر بن عمار لابن بسام ٤٧٧
 نظم السلوك في وعظ الملوكة لابن اللبانة ٦٢
 الهادي إلى معرفة النسب العبادي لأبي رافع بن حزم ١٤
 اليتيمة للثعالبي ٨٣٦

٥ - فهرس للقوافي

قافية الهمزة

٥٣	قيس بن الخطيم	الطويل	بقاءها
٦٨٦	قيس بن الخطيم	الطويل	أضاءها
٥٨٤٦	صالح الشتمري	الكامل	البرحاء
١٢٠	ابن المعلم	البسيط	هيجاء
١٢٣	ابن المعلم	البسيط	الداءُ
٣٥٨	—	البسيط	دعجاء
٢٢٧	المعتمد	الوافر	البقاء
٢٢٨	ابن زهر	الوافر	الشقاء
٢٥١	حسان بن ثابت	الوافر	لحاء
١٦٨	ابن الرومي	الكامل	الرقباء
٢٢٢	ابن اليعين	الكامل	الأسماء
٨٠٠	ابن اليعين	الكامل	الخضراء
٤٣٧	ابن هانيء	الكامل	شركاء
٤٧٨	ابن وهبون	الكامل	البيضاء
٦٢٠	المتنبي	الكامل	نجلاء

العزاء	الخفيف	أبو القاسم ابن عبد الغفور	٣٢٤
وبهاؤه	الخفيف	أبو محمد البطليوسي	٧٧٣
بماء	الطويل	صالح الشتيمري	٥٨٤
وحياء	الطويل	أبو الحكم ابن حزم	٥٩٤
الرقباء	الطويل	أبو الوليد ابن حزم	٦٠٣
السناء	مخلع البسيط	ابن بردأو ابن الرومي	٢٣١
الفناء	الوافر	أبو حفص الهوزني	٩٣
الامراء	الكامل	عدي بن الرقاع	١١٦
الغماء	الكامل	أبو تمام	٧١٤
بصفاء	الكامل	ابن عبدون	٧١٦
وبدائه	الكامل	حسام الدولة ابن رزين	٢٢١
وفائه	الكامل	ابن زهر	٢٢١
ومضائه	الكامل	المتنبي	٢٢٧
أحشائه	الكامل	ابن نباتة	٤٦٦، ٣٧٩
جوزائه	الكامل	ابن فتوح	٤٦٦
شراء	مجزوء الكامل	ابن عمار	٤٢٠
سمائه	مجزوء الكامل	ابن المعتز	٢٣١
صفاء	المجث	أبو عامر ابن مسلمة	١٠٦
وصفاء	المجث	ادريس بن اليماني	١٠٧
الدعاء	المتقارب	ابن الملح	٤٥٢
الضياء	المتقارب	أبو الحسن البكري	٥٦٩

قافية الباء

٧١٥	ابن المعتز .	الرجز	طلب
٥٣٨	ابن بسام	المتقارب	الحسب
٥٤٠	ابن عبد العزيز	المتقارب	العرب
٦٢٠	المعري	المتقارب	كتب
٥٦٨	أبو الحسن البكري	المتقارب	القضيب
٦٨٧	ثعلبة الشيباني	المتقارب	صبيب
٤٧٠	ابن الملح	الطويل	ندويا
٤٩٢	أبو تمام	الطويل	خائب
١٠٤	أبو الوليد الباجي	الطويل	غائب
١٤٧	خالد بن يزيد	الطويل	قلبا
٣٣٢	المتنبى	الطويل	كذبا
٥٥٠	المتنبى	الطويل	ركبا
٥٥٤	—	الطويل	لبى
٧٦٩	أبو بكر البطليوسي	الطويل	الجديبا
٨٣٠	ابن سوار الأشبوئي	الطويل	عني
١٧٤	ابن حصن	الطويل	اصطحابها
١٦٨	ابن بابك	البيسط	لانتصبا
٢٧٠	مرة بن محكان	البيسط	الطنبا
١٦٥	ابن حصن	الوافر	التقابا
١٢٢	ابن هانيء	الكامل	شبابا
٢٢٣	أبو الوليد ابن حزم	الكامل	أبا

٢٢٣	ابن زهر	الكامل	كبا
٢٢٢	المتني	الكامل	الحاجبا
٥٨٣	صالح الشنتمري	الكامل	مذهبا
٦٨٦	ابن هانيء	الكامل	الغيهبا
٧١٨، ٤٢	ابن هانيء	الكامل	طحلبا
٣٢٦	أبو محمد عبد الغفور	مجزوء الكامل	الكتابه
٦٧	المعتمد	مجزوء الكامل	صوابه
٢١٧	ابن القوطية	السريع	الزبابا
٤٩٤	أبو جعفر المحدث	الخفيف	الذنانبا
١٥٠	ابن الأبار	الخفيف	الكثيبا
٢٣٦	—	الخفيف	طبيبا
٣٥٠	—	الخفيف	قليبا
٢١٤	البلمي	الخفيف	وغرابه
٦١	نصيب	الطويل	الحقائب
٥٨٠	—	الطويل	لراغب
٦٢٠	—	الطويل	حواجب
٧٦٥	ابن عبدون	الطويل	ونواب
٧٦٦	أبو بكر البطليوسي	الطويل	وتعاب
٣١	المعتضد	الطويل	ثواب
٤٩٤	ابن وهيون	الطويل	شباب
٦٩٣	أبو فراس	الطويل	شهاب
٧٣٩	الأعشى التطيلي	الطويل	غضاب

٥١٦	ابن وهبون	الطويل	ونثوب
٦٠٦	أبو الوليد ابن حزم	الطويل	تذوب
٦٠٧	أبو الوليد ابن حزم	الطويل	ينثوب
٨٢٥	ابن سوار الأشبوني	الطويل	وتثوب
٣٨١	ابن عمار	الطويل	رحيب
٤٤٩	امرؤ القيس أو صخر	الطويل	عسيب
٤٤٩	امرؤ القيس	الطويل	نسيب
٧٠١	أبو بكر البطليوسي	الطويل	محاريب
٧٧١	أبو بكر البطليوسي	الطويل	وتعذيب
٢٤٨	أبو تمام	الطويل	الغرب
٦١٩	أبو تمام	الطويل	المضب
٦١٤	—	الطويل	قلب
٦٩٣	ابن عمار	الطويل	العضب
١٦٧	المتني	الطويل	وأكتب
٢٤٧	المتني	الطويل	تكذب
٤٩٠	ابن مقبل	الطويل	تغرب
٧١٨	ابن عبدون	الطويل	وأصوب
٥٥٢	أبو تمام	الطويل	مطالبة
٧٩٣	يزيد بن الطثرية	الطويل	عقابها
٧٢	السمهري العكلي	الطويل	ذنوبها
٥٩٩	أبو الوليد ابن حزم	الطويل	لهيبها
٩١	البحثري	البيسط	ينسكب
٤٧٢	ابن الملح	البيسط	ينسكب

٢١٤	البلمي	البيسط	ذوائبه
١٤٦	—	الوافر	والخطاب
٤٤٢	ابن عبدون	الوافر	الرباب
٥٨٠	—	البيسط	الذباب
٧٠٨	ابن عبدون	البيسط	ذباب
٧٠٩	المتني	البيسط	العقاب
٧٨١	—	الكامل	توهبُ
٨٤٠	ابن صارة	الكامل	تكذبُ
٤٨٧	إسحاق بن معلى	الكامل	يرتاب
٩١	ابن الرومي	المجث	سبيبُ
٢٧٢	دريد بن الصمة	الطويل	قاربِ
٢٨٠	ابن أبي فنن	الطويل	التثاؤب
٣٨٠	المتني	الطويل	المواهب
٤٠٣	المعتصم بن صمادح	الطويل	صاحب
٤٠٤	ابن عمار	الطويل	التجاربِ
٤٧٣	ابن الملح	الطويل	الغياهب
٧٤٨	الأعمى التطيلي	الطويل	راتب
٧٥٧	—	الطويل	الحواجب
٧٧١	أبو بكر البطليوسي	الطويل	الكواكب
٤٩٧	ابن وهبون	الطويل	شهابِ
٤٥٣	ابن الملح	الطويل	تأنيب
٣١٨	المتني	الطويل	طبيب

٥٨٤	صالح الشنتمري	الطويل	محيبي
٥٨٦	صالح الشنتمري	الطويل	حسيب
٣٣٤	امرؤ القيس	الطويل	تولب
٧١٥	امرؤ القيس	الطويل	بنخطب
٤٧٥	ابن وهبون	الطويل	يعرب
٤٣	المجنون	الطويل	مغرب
١٠١	أبو الوليد الباجي	الطويل	القلب
٤٠٧	ابن عمار	الطويل	الركب
٤٠٨	المعتمد	الطويل	العتب
٧١٧	ابن عبدون	الطويل	الحب
٦٨	المعتمد	البيسط	النوب
٢٣٧	أبو تمام	البيسط	التعب
٣٨١	أبو تمام	البيسط	السلب
٤٤٤	أبو تمام	البيسط	مرتقب
٦٠٥	أبو تمام	البيسط	صعقب
٦٨٦	أبو تمام	البيسط	شحب
٢٥٦	ابن جمهور	البيسط	للعراب
٤٨٠	المتنبي	البيسط	الشجب
٥٥٨، ٤٨٦	المتنبي	البيسط	الكذب
٤٩٠	المتنبي	البيسط	سبب
٧٠٦	ابن عبدون	البيسط	أرب
٧٣٥	الأعمى التطيلي	البيسط	بمقرب

٧٧٧	البحثري	البسيط	والجسب
٢١٧	ابن القوطية	البسيط	أعراب
٤٩٥	ابن عبدون	البسيط	التجاريب
٦٩٨	ابن عبدون	البسيط	تذهيب
٦٩٩	المتني	البسيط	محبوب
٧٠٠	الجميح	البسيط	مقروب
٨٢٣	ابن سوار الأشبوني	البسيط	سراحيب
٣٨٤	عبد المحسن الصوري	البسيط	مضاريه
٧١٤	بشر بن أبي خازم	الوافر	السحاب
٧١٦	أبو نواس	الوافر	ذنوبي
٦٧	المعتمد	الكامل	منهـب
١٦١	ابن حصن	الكامل	تشرب
١٦٩	المعري	الكامل	يخطب
٣٨٧	المعري	الكامل	المركب
٤٩٢	البحثري	الكامل	بالمضرب
٥٠٧	علي بن محمد الأيادي	الكامل	يركب
٦٣٥	ابن بقي	الكامل	يشرب
٥٥	أبو دلامة	الكامل	وضراب
٣٨٠	علي بن أبي طالب	الكامل	أثوابي
٢١٠	أبو الأصغـر ابن سعيد	الكامل	بمشيبي
٢١٥	ابن القوطية	الكامل	شريبه
٨٣٨	العباس بن الأحنف	السريع	القلب

٤٨١	المتنبي	الكامل	كسبه
٢٢٥	العباس بن الأحنف	المنسرح	أرب
٦٩١، ١٥٩	ابن حصن	الخفيف	الغراب
٧١٢	ابن عبلون	المتقارب	بلب

قافية للتاء

٢١٠	ابن خيرة الصباغ	مجزوء الكامل	المصامت
١٦٦	ابن خضن	المتقارب	وتعنيته
١٤٨	الناجم	مخلع البسيط	عنكبوت
٨١٨	ابن سوار الأشبوني	الكامل	أبيت
٨٠٣	أبو محمد ابن هود	المجث	وليت
٧٤	أبو الحسن البطليوسي	المتقارب	فارقته
٨٠١	ابن البين	الطويل	وجرة
٤٨٢	المعري	البسيط	السموات
٨٤٢	ابن صارة	الوافر	المكرمات
١٣٩	ابن سريج	الكامل	سناته
١٤٣	ابن الأبار	الكامل	لحظاته
٣٥٨	المتنبي	الكامل	سراويلاتها
٧٩٧	الطيطل	السريع	النحت
١٣٢	ابن حبيب الحميري	الخفيف	هيئاته

قافية للثاء

٨٤٥	ابن صارة	المتقارب	الحدث
٤٥٣	ابن الملح	المنسرح	انبعث
٢٠٩	ابو الأصينغ ابن سعيد	الطويل	نافث
٤٠٥	ابراهيم الصولي	الطويل	الحوادث
٤٠٦	ابن عمار	الطويل	الحوادث
٨٤٥	عبد المحسن الصوري	مجزوء الرجز	الرفث

قافية الجيم

٨٤٠	ابن صارة	الطويل	الحوادث
١٧٠	ابن حصن	الطويل	منهج
٢١٣	البلبي	الطويل	تخرج
٦٢٨	ابن بقي	الوافر	الزجاج
٥٦٢	أبو الحسين ابن الجند	الوافر	وبالسروج
٤٥	المعتمد	مجزوء الكامل	البروج
٤٨٨، ٣٧٩	ابن الرومي	الخفيف	الأعلاج
٥٨٩	ابن عبدون أو أبو الحسن البطليوسي	مجزوء الخفيف	أرتجي

قافية الحاء

٢١٨	ابن القوطية	مجزوء الرجز	قرح
٣٦٦	—	الطويل	ألحى

١١٤	النابعة الذبياني	الكامل	نجاحا
٤٤٦	حسان بن المصيصي	الكامل	جناحا
٨٢٩	ابن سوار الاشبوني	الكامل	ورواحا
٥٩٥	أبو الحكم ابن حزم	الكامل	طاعما
٢٣٠	المرادي	الخفيف	وشحا
٤٨٩	أشجع السلمي	الطويل	الصحاصح
٥٤٩	أبو بكر ابن عبد العزيز	الطويل	صائح
٤٢٠	ابن عمار	الطويل	وأوضح
٧١٤	ابن مقبل	الطويل	تلمح
٦٩	عوف بن علم	الطويل	ينوح
٤٨٩	النابعة الذبياني	الطويل	جنوح
٤٨٢	المعري	الطويل	روحها
٢٤٥	ابن عبادة القزاز	الوافر	الجراح
٤٤٥	حسان بن المصيصي	الكامل المرفل	سطح
٦٢٥	ابن بقي	المنسرح	نفاح
٤٤٤	حسان بن المصيصي	المقارب	الرماح
٥١٤	المجنون	الطويل	الأباطح
٧٧١	أبو بكر البطليوسي	البسيط	مقترحي
٣٨٦	البحري	الكامل	الذابح
٣٨٧	البحري	الكامل	الذابح
٨٣٨	ابن صارة	الكامل	البارح
١٠٩	أبو عامر ابن مسلمة	الكامل	جناحي

٦٩٢	ادريس بن اليماني	الكامل	الراح
٨٣٩	ابن صارة	الكامل	ضحضاح
٨٤٩	ابن صارة	الكامل	نجيح
٣٠	المعتمد	مجزوء الكامل	الأقاح
٤٠٢	ابن عمار	مجزوء الكامل	السماح
٤٠٢	المعتصم بن صمادح	مجزوء الكامل	الصباح
٢١١	ابن خيرة الصباغ	المجث	الصباح
٦٩٧	ابن عبدون	المتقارب	فصاح
٣٨٥	ابن عمار	المتقارب	للبارح

قافية الدال

٤٤٢	ابن عبدون	الكامل المرفل	وشهد
٥٩١	ابن عبدون	الكامل المرفل	ومجد
٢١٣	البلمي	مجزوء الكامل	البرود
٧٨٦	ابن قزمان	مجزوء الكامل	واستعد
٤٨٠	—	المنسرح	الفائد
٢٣٨	أبو عبيد البكري	الطويل	أنجدا
٤٥٤	ابن الملح	الكامل	الورادا
٦١٣	ابن الملح	الكامل	الصدا
١٩٨	أبو عمر الباجي	الكامل	الآسادا
٧٠٤	الناشيء	الكامل	وغيدا
٨٠٢	ابن البين	الكامل	قدودا

٧٧٦	عمرو بن معد يكرب	مجزوء الكامل	بردا
٣٢	المعنضد	الجزع	عقدہ
٦٩٠	—	مجزوء الرجز	واحد
٦٨٦	ابن عبدون	المتقارب	تحدى
٤٥	المعتمد	الطويل	واجد
٤٥	المعتمد	الطويل	بارد
١٤٠	المتنبى	الطويل	راقد
٨٠٠	المتنبى	الطويل	والفراقد
٧٩٦	ابن طباطبا	الطويل	لواجد
٨٥	أبو حفص الهوزني	الطويل	أرمد
٢٢٢	ابن الرومي	الطويل	ويصعد
٥٠٦	ابن هانيء	الطويل	أسود
٨٣٠	ابن سوار الأشبوني	الطويل	أرقد
٥٠٣	المتنبى	الطويل	العقد
٥٧٨	المتنبى	الطويل	بد
٦٢٤	ابن حمديس	الطويل	أشدو
٧١٠	ابن عبدون	الطويل	رعد
٧٢	ابن شهيد	الطويل	وكبود
٩٢	أبو حفص الهوزني	الطويل	شهود
٢٢٥	أبو عطاء السندي	الطويل	يعيد
٥٩٤	أبو الحكم ابن حزم	الطويل	وتعيد
٥٩٩	أبو الوليد ابن حزم	الطويل	يعيد

١١٥	المتني	الطويل	استجده
١٢١	أبو تمام	البسيط	كبد
٦٢١	أبو تمام	البسيط	تلد
٤٨٢	المعري	البسيط	الجسد
٤٨٣	المعري	البسيط	وردوا
٥١٤	العباس بن الأحنف	البسيط	رقدوا
٤٨٣	المعري	البسيط	ميعاد
٦١٧	ابن بقي	البسيط	أنجاد
٥٠٣	ابن وهبون	البسيط	الأناشيد
٧٩٨	الطيطل	مخلع البسيط	المراد
١٩٩	المعري	الوافر	يستعاد
٨٤٢	المعري	الوافر	الجراد
٥٠٥	السلامي	الوافر	تقاد
٣٨٨	ابن عمار	الوافر	فريد
٤٨٦	صريع الغواني	الوافر	يزيد
٧٦١	—	الوافر	يسود
٨٤٣	ابن صارة	الوافر	تحيد
٦٠٩	—	الوافر	تجود
١٣١	ابن الرومي	الكامل	الفاسد
٨٤٢	ابن الرومي	الكامل	الوالد
٣٩٤	ابن عمار	الكامل	نهود
٧٠٦	ابن عبدون	الكامل	عبيد
٥٦	المعتمد	الكامل المرفل	تعد

٥٩٦	—	السريع	الأبعد
٥٥٣	—	المنسرح	أحد
١٥٠	—	الخصيف	النهود
٦٠	أبو العتاهية	المتقارب	جاحد
٨٧	أبو حفص الهوزني	الطويل	ماجد
١١٧	أبو تمام	الطويل	عطار
٤٤٢	أبو تمام	الطويل	بزاهد
٧٨٤	الفرزدق	الطويل	خالد
٨٤٨	ابن صارة	الطويل	الشدائد
١٥٤	ابن أبي ربيعة	الطويل	توسد
٢٢٤	—	الطويل	يهرد
٨٣٣	ابن سوار الأشبوني	الطويل	محمد
٢٣٨	أبو عبيد البكري	الطويل	الجرد
٣١٩	أبو القاسم ابن الجعد	الطويل	ند
٤٥٠	ابن الملح	الطويل	الغد
٨٣٨	المعتمد	الطويل	كبدي
٨٤٢	ابن صارة	الطويل	سيّد
١٠٣	أبو الوليد الباجي	الطويل	لمعاد
٥٦	أبو دلامة	البيسط	أسد
١٣٥	أدريس بن اليماني أو ابن الأبار	البيسط	كبدي
٤٧١	ابن الملح	البيسط	جسدي
٤٩٨	ابن وهبون	البيسط	الغيد

٤٩٩	ابن وهبون	البيسط	فاقتصد
٥٠٠	ابن وهبون	البيسط	الفند
٤٩٩	البحثري	البيسط	تزد
٥١٤	يحيى بن هذيل	البيسط	واكبدي
٦٢١	ابن بقي	البيسط	منجرد
٦٢٣	الوأواء الدمشقي	البيسط	بالبرد
٦٢٥	ابن بقي	البيسط	لغد
٧٣٧	الأعدى التطيلي	البيسط	تزد
٧٦٣	النابعة الذبياني	البيسط	الأسد
٨٤٦	ابن صارة	البيسط	الأبد
٥٧	المعتمد	البيسط	عباد
٨٠	ابن اللبانة	البيسط	عباد
٦٢١	ابن هانيء	البيسط	بمولود
٧٠٨	إسحاق الموصلي	البيسط	مسلود
٧٦٥	صريع الغواني	البيسط	الجود
١٢١	المتنبي	الوافر	فؤاد
١٤٣	ابن فرج الجياني	الوافر	الرقاد
٥٥٤	—	الوافر	عيد
٣١	—	الكامل	الأكباد
٥٨	أبو بحر ابن عبد الصمد	الكامل	عواد
٣٩٤	ابن لبون	الكامل	الوراد

٣٩٥	ابن عمار	الكامل	صعادي
٤٦٩	القسطلي	الكامل	المباد
٢٥١	الحارث بن هشام	الكامل	مزبد
٧٠٦	الناطقة الذبياني	الكامل	هاليد
٧٧٧	أبو تمام	الكامل	الوالد
٨١٨	ابن سوار الأشبوني	الرملي	الغواذي
٦٨٥	بشار	الرجز	لمرتة
٣١٤	أبو فراس	السريع	خالد
٨٣٩	ابن صارة	السريع	جندة
٧٩٣	ابن الرومي	المنسرح	ورد
٤٣٢	ابن عمار	المنسرح	نقده
٤٨٥	المعري	الخفيف	والاجداد
٧٩٦	المعري	الخفيف	الأفراد
٤٢٦	ابن عمار	الخفيف	الرشيد
٧٥	المعتمد	المتقارب	القيود
٨٤١	عمر بن الشهيد	المتقارب	ندي
٣٩٢	ابن عمار	المتقارب	ردة

قافية الذال

٢١٥	ابن القوطية	الرملي	وبذ
٢١٠	أبو الأصبع ابن سعيد	الكامل	رذاذ
٢٣	القاضي ابن عباد	الطويل	يغتذي

غذي	الطويل	ابن حبيب الحميري	١٣٣
فخذي	الكامل المرفل	الحصري الكفيف	١٤٢

قافية الراء

كدر	الطويل	امرؤ القيس	٧٠٤
أثر	البيسط	ابن برلوصة	٨٠٥
المجوهر	مخلع البيسط	أبو الأصبع ابن عبد العزيز	٢٠٨
معدر	مخلع البيسط	ابن الأبار	٢٠٩
المجير	مجزوء الكامل	أبو محمد عبد الغفور	٣٦٢
البهار	الرمل	ابن مرزقان	٥٢١
تغور	الرمل	ابن خيرة الصباغ	٢١١
القمر	السريع	ابن حصن	١٦٦
نزار	السريع	أبو عبد الله ابن شرف	٦٤٢
الفرار	السريع	أبو عبد الله ابن شرف	٦٤٢
نضر	المنسرح	القاضي ابن عباد	٢٣
غير	المنسرح	ابن اللبانة	١٤٥
النظر	المنسرح	ابن حبيب الحميري	١٣٣
اذكر	المنسرح	أبو الحسن الشتمري	٦٣٨
تناثر	الخفيف	ابن فرج أو المصحفي	٣٩٠
البشر	مجزوء الخفيف	—	٢٠١
الأوار	المتقارب	المعتمد	٧٣
قصر	المتقارب	ابن نباتة السعدي	٩٢

١٥٤	أبو نواس	الطويل	صفرا
٢٢٨	ابن عبدون	الطويل	جهرا
٢٢٩	ابن زهر	الطويل	أورى
٢٥٠	امرؤ القيس	الطويل	وميسرا
٧٣	المعتمد	البيسط	مأسورا
١٩٩	أبو عمر الباجي	الوافر	نارا
١٤٨	—	الكامل	ظهورا
٣٢٢	أبو المغيرة ابن حزم	الكامل	مسكرا
٣٨٢	ابن عمار	الكامل	السرى
٦٣٢	ابن عمار	الكامل	أخضرا
٥٦١	أبو الحسين ابن الجلد	الكامل	أبصرا
١٠٤	أبو الوليد الباجي	الرجز	النيرا
٧٨٢	—	الرجز	برّا
١٠٤	أبو الوليد الباجي	السريع	جائرا
٣٣٤	أبو تمام	السريع	القاصره
٨٢٠	—	السريع	الآخره
٨٢٠	—	السريع	برّا
٦٤	المعتمد	الخفيف	وشكرا
٤١٥	ابن عمار	المتقارب	مشيرا
١٠٣	أبو الوليد الباجي	المتقارب	ميثره
٦٤٥	الكميت	المتقارب	وأفكارها
٣٠	ابن المعتز	الطويل	جواهر

١٦٩	ذو الرمة	الطويل	أغبر
١٩٧	أبو عمر الباجي	الطويل	أكبر
٤٥٩	ابن شهيد	الطويل	فيشر
٧٩٥	—	الطويل	مدنر
٦٨	المعتمد	الطويل	الدهر
١٣٣	ذو الرمة	الطويل	الخمير
١٥٤	أبو نواس	الطويل	فخر
٢٣٧	أبو عبيد البكري	الطويل	القطر
٣٢٠	أبو عامر ابن مسامة	الطويل	الخبز
٣٢٠	أبو القاسم ابن الجعد	الطويل	نشر
٣٢٢	أبو تمام	الطويل	البدر
٣٤٠	أبو محمد عبد الغفور	الطويل	والصبر
٤٠١	ابن عمار	الطويل	الدهر
٤٤٣	—	الطويل	صفر
٤٩٣	المعري	الطويل	الدهر
٤٩٤	ابن شماخ	الطويل	عمر
٥٩٠	ابن عبدون	الطويل	الزهر
٥٩٠	أبو الحكم ابن حزم	الطويل	البدر
٦٠٢	أبو الوليد ابن حزم	الطويل	سنر
٧١٧	أبو الشيعس	الطويل	حمر
٧٢٠	ابن عبلون	الطويل	بكر
٧٧٣	أبو محمد البطليوسي	الطويل	شبر

٧٩٤	ذو الرمة	الطويل	الفجر
٨١٥	ابن سوار الأشبوني	الطويل	وعر
٧٥	المعتمد	الطويل	وسري
٧٦	ابن حمديس	الطويل	ويجور
١٦٩	ابن وهبون	الطويل	يدور
٣٣٣	—	الطويل	لكثير
٤٦٢	الصاحب بن عباد	الطويل	ضمير
١٥٣	الفرزدق	الطويل	كاسره
٤٨	المعتمد	البيسط	والخذر
١٥٠	ابن اللبابة	البيسط	ينكسر
٢٥٥	ابن وهبون	البيسط	السمر
٣٠٥	ابن وهبون	البيسط	الفكر
٢٥٦	أبو الحسين ابن الجحد	البيسط	خبر
٥٩٥	أبو الحكم ابن حزم	البيسط	وطر
٥٩٦	أبو الوليد ابن حزم	البيسط	والغير
٦٠٧	أبو الوليد ابن حزم	البيسط	الشرر
٦٣٠	الأخطل	البيسط	هجر
٧٧٣	أبو الحسن البطليوسي	البيسط	ذخروا
٥٨	—	البيسط	محدور
٣١	المعتضد	البيسط	ناظره
١٤٩	المتنبي	البيسط	مآزره
٤١٠	المتنبي	البيسط	دوائره

٧٣٥	الأعشى التطيلي	البيسط	مصدره
١٦٥	ابن حصن	مخلع البسيط	والبهار
١١٠	ابن الأبار	مخلع البسيط	البلور
١١٠	أبو عامر ابن مسلمة	مخلع البسيط	النفور
٩١	أبو تمام	مخلع البسيط	مطير
٤٩٩	المتنبي	الوافر	السوار
٧١٧	ابن عبدون	الوافر	ثمار
٤٤٨	ابن الدهقانة أو غيره	الوافر	كثير
٢١٤	البلعي	الكامل	وتمطر
٢٩٦	—	الكامل	يكدر
٩٢	العباس بن الأحنف	الكامل	الأقدار
٧٧٨	العباس بن الأحنف	الكامل	مدرار
٤٤	المعتمد	الكامل	أمور
٢٢٥	بشار	الكامل	أمير
٦٠٦	أبو الوليد ابن حزم	الكامل	كثير
٣٩٢	ابن عمار	الكامل	اضراره
٤٤٩	حسان بن المصيصي	الكامل	بهاره
٧٠٩	طرفه	مجزوء الكامل	النسور
١٥٤	—	الرجز	عتوره
٨٤٥	الحصري الكفيف	الخفيف	الحضور
٤٤٠	حسان بن ثابت	الخفيف	يطير
١٧١	ابن حصن	الطويل	تصير

٦٨٧	زهير بن مسعود	الطويل	محبّر
٥٩٣	أبو الحكم ابن حزم	الطويل	وظاهر
٨٤٧	ابن صارة	الطويل	بخواطري
٤٣	المعتمد	الطويل	هجري
٦٩	المعتمد	الطويل	عمري
١٤٧	الأخطل	الطويل	يجري
١٦٦	ابن حصن	الطويل	والنهر
٢٧٣	حسان بن المصيصي	الطويل	بحري
٤٨٧	—	الطويل	الدهري
٦١٢	أبو الوليد ابن حزم	الطويل	أدري
٦١٢	أبو بكر ابن حزم	الطويل	القدر
٦١٨	الحصري الكفيف	الطويل	القدر
٧٠٥	أبو تمام ابن رباح	الطويل	الخمر
٤٦٣	ابن الملح	الطويل	مطار
٢٠٧	أبو الأصبغ ابن عبد العزيز	الطويل	منير
٢٠٨	ابن الأبار	الطويل	منير
٤٥	المعتمد	البيسط	الغير
٧٦	المعتمد	البيسط	الشجر
١٢٦	ابن حبيب الحميري	البيسط	والجبر
١٣٧	العباس ابن الأحنف	البيسط	والبصر
١٥٥	ابن المعتز	البيسط	الجبر
٧٠٠	ابن المعتز	البيسط	الأثر

٨٠٥، ١٥٨	أبو الفضل ابن شرف	البسيط	حور
٣٢٢	أبو تمام	البسيط	بالقمر
٣٧٤	المعري	البسيط	أشر
٤٥٧	المعري	البسيط	الصغير
٨٤٩، ٤٥٨	المعري	البسيط	الزهر
٤٩٤	المعري	البسيط	العكر
٤٠٠	ابن عمار	البسيط	نظري
٤٨٨	التهامي	البسيط	بصري
٧٩٥	التهامي	البسيط	التمر
٧٢٧	الأعدي التطيلي	البسيط	ذكر
٧٤٥	الأعدي التطيلي	البسيط	بالصدر
٦٩٣	ابن عبدون	البسيط	والحور
٨٠٥	أبو محمد ابن هود	البسيط	الحذر
٨٤٧	ابن صارة	البسيط	السفر
٨٤٩	ابن صارة	البسيط	والغرر
٣٠	ابن عبدون	البسيط	آذار
١٥٠	ابن عمار	البسيط	بأطيار
٣٨٤	ابن عمار	البسيط	الساري
٢١٧	ابن القوطية	البسيط	بلاّ
٣٥٨	القتال الكلابي	البسيط	بالعار
١٦٩	—	البسيط	نور
٦٤٦	جرير	الوافر	الخمير

٧٢٧	المعري	الوافر	حوار
٦٢	المعتمد	الوافر	الشكور
٦٣	ابن اللبابة	الوافر	ضميري
٧١١	ابن عبدون	الوافر	الدهور
٧٩٠	مهلهل	الوافر	بالذكور
٣١	أبو تمام ابن رباح	الكامل	بشرار
٢٤٨	التهامي	الكامل	عذار
٤٨٦	التهامي	الكامل	الأشفار
٤١١	ابن عمار	الكامل	النار
٤١٣	المعتمد	الكامل	الاعصار
٥٩٦	—	الكامل	جدار
٧٢٧	المعري	الكامل	الأسوار
٨٤١	ابن صارة	الكامل	للنظار
٨١٠	المعتمد	الكامل	وبواتر
٨١١	النحلي	الكامل	ظاهري
٤٥٦	ابن الملح	الكامل	فاصدي
٥٩٢	أبو الحكم ابن حزم	الكامل	فتذكري
٦٢٩	ابن بقي	الكامل	المقفر
٧٢٧	المعري	الكامل	الصرصر
٦٣٨	أبو الحسن الشنتمري	الكامل	غديرها
٤٠١	ابن عمار	الكامل المرفل	الزهر
٥١٢	الخنساء	الكامل المرفل	الحضري

٦١٧	ابن بقي	الكامل المرفل	النجر
٢٩٦	بشار	الكامل المرفل	قدره
٩٤	عدي بن زيد	الرميل	اعتصاري
٢٣	القاضي ابن عباد	السميع	المخبر
٨٤٥	—	السريع	الأبخر
٨٠٩	النحلي	المنسرح	النظر
٢١٥	ابن القوطية	الخفيف	واقترار
٢٣٠	ابن زهر	الخفيف	نهار
٤١٠	ابن عمار	الخفيف	بالتندير
١٦١	ابن حصن	المجث	أواري
١٤٥	أبو القاسم المنيشي	المتقارب	أمريها

قافية للزاي

٢١٨	ابن القوطية	البسيط	الخرز
١٥٥	ابن الرومي	الكامل	المتحرز
١٥٦	ابن الأبار	الكامل	منعوز

قافية السين

٢١٢	البلمي	مخلع البسيط	ألحسن
١٣٣	ابن حبيب الحميري	المنسرح	الأنفس
١٠٩	المصحفي	الطويل	الشمسا
٤٤٧	امرؤ القيس	الطويل	تلبسا

٧٠٠	امرؤ القيس	الطويل	وقوسا
٧٠٣	أبو نواس	الطويل	الفوارس
٧٠٥	المثلثس البطليوسي	الطويل	فريسها
١٦٢	ابن حصن	السريع	والآس
٢٣٨	أبو عبيد البكري	الطويل	والآس
٤٧	المعتمد	البسيط	حرأس
٢١٦	ابن القوطية	البسيط	مقتبس
٨١٤	ابن سوار الأشبوني	البسيط	المهرس
٢٧	صاعد البغدادى	الوافر	الرعوس
١٢٩،٧٠	الخنساء	الوافر	نفسى
٣٩١	ابن عمار	الكامل	مجلس
٥٩٢	أبو الحكم ابن حزم	الكامل	أناس
٣٩٦	الأشتر	الكامل	عبوس
٣٩٧	ابن الأبار	الكامل	ونفوس
١٥٥	والبة بن الحباب	السريع	راسى
١٦١	ابن حصن	السريع	الأنفس
٤٦	ابن وكيع	مجزوء الخفيف	دنجسى

قافية الشين

٥٨٤	صالح الشتمري	الوافر	ويمشى
٧٧٢	أبو الحسن البطليوسي	السريع	أعشى
٦٨٧	حاتم	الطويل	تخمش

قافية الصاد

٤٠٧	علي بن زيد	السريع	الحريص
١٢٤	ابن المعلم	الكامل المرفل	خرصي
١٢٤	أبو عامر ابن مسلمة	الكامل المرفل	الفرص

قافية الضاد

٢٠٢	ابن الأستجي	المجث	أرضه
٢٠٣	ابن القوطية	المجث	أرضه
٢٠٣	ابن حبيب الحميري	المجث	وارضه
٢٠٤	ابن الأبار	المجث	وافترضه
٢٠٤	أبو الاصبغ ابن عبد العزيز	المجث	غضه
٢٠٥	ابن حصن	المجث	غمضه
٢٠٥	المعتضد	المجث	لتمضه
٢٣١	ابن زهر	البسيط	غرض
٢٩	المعتضد	المنسرح	تبيض
٦٩٣	أبو نخيلة	الطويل	بعض
٨٤٥	ابن صارة	الكامل	النضناض
١٢	ذو الاصبغ العدواني	الهرج	الأرض
٣٨٠	—	الخفيف	رياض

قافية الطاء

٨١٠	متوكل بن أبي الحسن	البسيط	سَقَطَا
٣٩٠	البحري	الطويل	ولا قَطُّه
٢٥٠	ابن العسال	البسيط	الغَطِ

قافية العين

٥٤	(خارجي)	الرجز	الطمع
١١١	أبو عامر ابن مسلمة	السريع	الطاوع
١٥٣	امرؤ القيس	الطويل	أتلعا
٧٠٢	ابن الرومي	الطويل	مشرعا
٨٠٤	أبو محمد ابن هود	الطويل	أجمعا
٥٤١	أبوبكر ابن عبد العزيز	البسيط	موضعه
١٤٦	ابن الرومي	الكامل	دموعا
٦٨	المعتمد	الرملي	الطمعا
١٩٥	أبو الأسود الدؤلي	الرملي	منتزعه
٩٨	أبو الوليد الباجي	المتقارب	كساعه
٨٣	أبو حفص الهوزني	الطويل	يتوقع
١٧١	أبو تمام	الطويل	فيوجع
٣١٨	أبو القاسم ابن الجحد	الطويل	وأمتع
٧٩٩	ابن البين	الطويل	متشيع
٥٩٩	المجنون	الطويل	المضاجع

٧٠٢	السلامي	الطويل	جوامعُ
٧٠٣	صريع الغواني	الطويل	الجوامعُ
٥٦٧	أبو الحسن البكري	الطويل	سمعُ
٤٤	المعتمد	الطويل	تواقعةُ
٣٢٣	المعتمد	الطويل	متاعُها
٢٤٩	ابن اللبابة	البسيط	فتنخدع
٦٢١	المتنبي	البسيط	زرعوا
٨٤٩	المتنبي	البسيط	يضعُ
٦٢٩	—	البسيط	البعقُ
٧١٣	أبو نصر المعافى	مخلع البسيط	الفضاعُ
٤٢٢	أبو ذؤيب	الكامل	تنفع
٤٦٦	ابن عبد البر الشنبري	الكامل	تسطع
٤٨٧	المتنبي	الكامل	الأدمع
٥٣	المعتمد	مجزوء الكامل	الصديعُ
٤٤	المعتمد	السريع	لماعُ
٣٧٧	عيسى بن الحسن	الطويل	وتفجمي
٥٥٠	المعري	الطويل	أربع
٧٠٣	الرمادي	الطويل	المشعشع
٧٧٠	أبو بكر البطلوسي	الطويل	بمباضع
٨٣٧	ابن صارة	الطويل	شفيع
٣٨٨	ابن عمار	الطويل	دع
١٦٩	المعري	الطويل	جدع

٤٤٢	—	البسيط	الورع
٥١٣	ابن فرج الجلياني	الوافر	بالمطاع
١٤٢	أبو تمام	الوافر	الرقاع
٧١٢	ابن عبدون	الوافر	الزماع
٧٨٨	ابن مقانا	الوافر	الطبيعي
٨٣٧	ابن صارة	الكامل	أسماعي
٦٢٣	الشريف الرضي	الكامل	المطبوع
٨٠١	المتنبي	الكامل	دموعي
٧٢١	ابن شهيد	المتقارب	الشجاع

قافية الفاء

١٤٣	ابن الأبار	مجزوء الكامل	للارشاف
١٧٤	ابن حصن	الطويل	تناثفا
٧٩٥	ابن هاني	الطويل	تخفى
٢٠٧	أبو الأصبع ابن عبد العزيز	مجزوء الكامل	عطفه
٦٠٠	أبو الوليد ابن حزم	المتقارب	الطاقها
٣٧٧	الرمادي	الطويل	وتتف
٩٣	أبو نواس	البسيط	تعرف
٤٧٣	ابن الملح	البسيط	منزوف
٤٠٩	الناجم	الوافر	ظريف
١٤٧	ابن أبي ربيعة	مجزوء الرجز	مهف
٨٣٦	ابن وهبون	الرمل	طرفه

٦٣٧	أبو الحسن الشتمري	السريع	والخيفُ
١٦٤	ابن حصن	المتقارب	ينصفُ
٤٦٨	أبو بكر ابن حجاج	المتقارب	عرفهُ
١٤٩	أبو القاسم المنيشي	الطويل	الخشفِ
٦٣٤	ابن بقي	البسيط	الأسفِ
٤٨٣	المعري	الوافر	شعفي
٥١٢	البحري	الكامل	يشرفِ
٧٧٠	أبو بكر البطليوسي	الكامل	طافي
٧٨٥	ابن قزمان	الكامل	نطاف
٦٣٩	أبو الحسن الشتمري	المنسرح	طرفهُ
١٣٨	سعيد بن حميد	الخفيف	الأردافِ

قافية القاف

٥٨		الرمل	بسقُ
٥٨	المعتمد	الرمل	حقُ
١٥٦	ابن الأبار	الرمل	فاغتبِق
٨٤٣	ابن صارة	البسيط	طرَقا
١٤٨	المتنبي	الوافر	نطاقا
٢١٢	ابن نصر الأشبيلي	الكامل	وأعتقا
١٤٨	ابن أبي زرة	الكامل المرفل	نطقا
٣٨٩	الطليق المرواني	الرمل	شفقا
٥٩٥	أبو الحكم ابن حزم	الخفيف	وعقيقا

١٧٧	ابن حصن	الطويل	أرقق
٢٣٦	الأعشى	الطويل	وتطلق
٦٩١	الأعشى	الطويل	معلق
٤٩٧	الصابي	الطويل	أحذق
٤٩٤	ذو الرمة	الطويل	معلق
٤٢٢	المجنون	الطويل	عاشق
٣١	المعتضد	الطويل	رقيق
١٥٠	المجنون	الطويل	لصديق
٨٢٥	ابن سوار الأشبوني	الطويل	يروق
٨٥	أبو حفص الهوزني	الطويل	شرق
٦٢٢	—	البسيط	الخلق
٢١٦	صاعد البغدادي	البسيط	سراق
٣٨٥	ابن عمار	البسيط	وإسحاق
١٢٢	ابن المعلم	الوافر	البراق
٢٣٠	ابن زهر	الكامل	مونق
٨٣٦	ابن صارة	الكامل	يشرق
٨٣٧	ابن صارة	الكامل	رقاق
٧١٨٠٤٢	المتنبي	الطويل	الشقائق
١٤٠	المتنبي	الطويل	مفرق
١٤٧	الناطقة الذبياني	الطويل	منطق
٤٠٣	ابن عمار	الطويل	المنق
٦٢٤	ابن بقي	الطويل	أطوق

٨٣٢	ابن سوار الأشبوني	الطويل	اصدق
٥٨٨	أبو الحسن البطليوسي	الطويل	الطوق
٧٠٥	جميل بثينة	الطويل	بطريق
١٣٥	—	البسيط	الحدق
١٥٨	المتوكل بن الأفتس	البسيط	الحدق
٤٧٢	ابن الملح	البسيط	والحدق
٤٦٥	ابن العطار اليايسي	البسيط	العتق
٨٠٤	أبو محمد ابن هود	البسيط	بقي
٦١٦	ابن بقي	البسيط	حدقه
٦١٦	أبو بكر	البسيط	درقه
٦١٦	ابن بقي	البسيط	ورقه
١٤٤	ابن وهبون	الوافر	اتفاق
٥٨٣	صالح الشنتمري	الوافر	البروق
٣٧٩	ابن نباتة السعدي	الوافر	الشفيق
١٣٢	ابن حبيب الحميري	الكامل	الفاثق
٤٧٠	أبو تمام ابن رباح	الكامل	تلحق
٥٠٥	ابن وهبون	الكامل	الأزرق
٦٣٦	ابن بقي	الكامل	لناشق
٥٨٩	ابن عبلون	الكامل	تحريرق
٨٤٤	ابن صارة	الكامل	نفاقها
١٦١	ابن حصن	السريع	لاختلاقها
٢٥١	ابن الرومي	المنسرح	والحدق

٤٦٧	ابن عبلوس	المنسرح	بلقي
٤٨١	المتنبي	الخفيف	المذاقي
٢١٧	ابن القوطية	مجزوء الخفيف	ورونقي

قافية الكاف

٥٦٢	أبو الحسين ابن الجحد	مخلع البسيط	لساحتيك
١٦٧	ابن حصن	الطويل	الشركا
٨٤٦	ابن صارة	البسيط	بكا
٣٨٤	ابن عمار	الكامل	لقياكا
٧٠٠	ابن هاني	الطويل	الفوارك
١٦٤	ابن حصن	الوافر	الديوك
٥٨٢	صالح الشتيمري	الكامل	هواك
٨٣٨	—	الكامل	أغناك

قافية اللام

١٥٩	ابن حصن	المجث	يتدلل
٦٢٥	—	المتقارب	الحمل
٧١٥	ابن عبدون	المتقارب	العذل
١١٥	أبو تمام	الطويل	يتحوّل
٦٩٣	أبو تمام	الطويل	مجهلا
٧٦١	أبو تمام	الطويل	مؤملا
١٣٨	—	الطويل	وعجلا

١٨٠	ابن حصن	الطويل	وصائلا
٢١٣	ابن ديسم الاشبيلي	الطويل	عدلا
٧٩٠	ابن مقانا	البسيط	والنبلا
١٣٧	القس المكي	الوافر	قالا
٢٢٣	كثير	الوافر	المطالا
٣٧٨	المعري	الوافر	الظلالا
٧٠٧	المعري	الوافر	الرقالا
٤٧٢	ابن وهبون	الوافر	ملالا
٥٠٨	ابن وهبون	الوافر	والخلالا
٧٣٢	الأعمى التطيلي	الوافر	خبالا
٩٢	أبو تمام	الكامل	كاملا
٦١٠	أبو الوليد ابن حزم	الكامل	قبولا
٧٦٧	أبو بكر البطليوسي	الكامل	رسولا
١٢١	ابن المعلم	الكامل	عليلا
٣٨٧	كشاجم	الكامل	قايللا
٤٦٦	ابن اللبانة	الكامل	التأميلا
٥٦٢	أبو الحسين ابن الجدة	الكامل	طويلا
٧٩٤	ابن هاني	الكامل	جبريلا
٨٢٨	ابن سوار الأشبوني	الكامل	أشكالها
٣٣٢	المتنبي	المنسرح	قتلته
١١٣	المتنبي	الخفيف	بنجلا
٢٢٦	المتنبي	الخفيف	محلتي

٨١٣	ابراهيم الصولي	الخفيف	والعذا
٧٨٥	ابن قزمان	الخفيف	انهمالا
٧٧٣	أبو بكر البطليوسي	الخفيف	شمولا
١٥٢	المفجع البصري	الخفيف	طويلا
٤١٤	ابن عمار	المتقارب	جمالا
٥١٣	جنوب	المتقارب	عصلا
٦٠٦	أبو الوليد ابن حزم	المتقارب	قليلا
٧٩٦	ابن مقانا	المتقارب	وخلخالها
١٤٨	أبو تمام	الطويل	الخلاخل
٦٣٤	ابن بقي	الطويل	دلائل
٧٨١	ابن المعتز	الطويل	وأرجل
١٠٢	أبو الوليد الباجي	الطويل	غافل
٧١	المعتمد	الطويل	كَبَل
٨٨	زهير بن أبي سلمى	الطويل	قبل
٨٨	أبو حفص الهوزني	الطويل	فصل
١٣٦	صريع الغواني	الطويل	والبذل
٥٥٣	صريع الغواني	الطويل	النصل
١٤٧	الحكم الخضري	الطويل	عبل
٥٦٤	أبو الحسن البكري	الطويل	النصل
٦١٣	أبو الوليد ابن حزم	الطويل	القتل
٦٣٤	—	الطويل	الشغل
٦٢٧	المعري	الطويل	أصلا

٧٧	المعتمد	الطويل	حجول
٦٠٤	أبو الوليد الباجي	الطويل	فأقول
٨٢٦	ابن سوار الأشبوني	الطويل	وفعول
٨٢٢	ابن المعتز	الطويل	صقييل
١٢٣	ابن المعلم	الطويل	دخيل
١٤٦	ابن الطثرية أو غيره	الطويل	فتيل
١٣٧	الصمة أو ابن الطثرية	الطويل	أنامله
١٧٠	أبو تمام	الطويل	خلاخله
٨٤٨	أبو ذؤيب	الطويل	رسولها
٨٩	أبو حفص الهوزني	المديد	أزل
٧٧٠	الشنفرى أو غيره	المديد	لخل
٤٠٧	القطامي	البسيط	الزلزل
٤٠٧	—	البسيط	عجلوا
٤٩١	ابن وهبون	البسيط	زحل
٢٩٤	حنديج المري	البسيط	صول
٦٢٥	جران العود	البسيط	مشغول
٩١	المعري	الوافر	الهلل
٢٢٥	عدي بن زيد	الوافر	أقول
٤٥١	جميل بثينة	الوافر	وبيل
١٤٨	النحلي	الكامل	يحمل
٨٢٧	ابن سوار الأشبوني	الكامل	ينال
٦٣٣	ابن بقي	الكامل	سيزول

٣٣٨	—	الكامل	دليل
٤٦٩	يحيى بن هذيل	الكامل	أليل
٦٠٥	ابن الرومي أو أبو نواس	الكامل	طويل
١٦٥	ابن حصن	السريع	إكليل
٢٢٦	المتنبي	المتقارب	منصل
٤٤١	حسان بن ثابت	المتقارب	الأكحل
٥٧٠	أبو الحسن البكري	المتقارب	يعقل
١٤٦	امرؤ القيس	الطويل	تسهل
٤٤٧	امرؤ القيس	الطويل	فأجمل
٥٥٠	امرؤ القيس	الطويل	ومنز
٧٠٠	امرؤ القيس	الطويل	مرحل
٧٩٤	امرؤ القيس	الطويل	المفصل
٧١٠	ابن عبدون	الطويل	والتطول
٦٣٥	ابن بقي	الطويل	بطائل
٣٦٠	أبو ذؤيب	الطويل	لوائل
١٣٤	أبو الوليد الحميري	الطويل	الشد
٢٩٥	أبو القاسم ابن الجدة	الطويل	يبلي
٣٧٨	ابن زيدون	الطويل	النصل
٦٤٨	المتوكل ابن الأفطس	الطويل	فضلي
١٤٦	امرؤ القيس	الطويل	إذلال
٤٦٧	الرمادي	الطويل	قتال
٦٣١	المعري	الطويل	طوال

٨٤٨	المعري	الطويل	وجلاي
٨٢١	ابن سوار الأشبوني	الطويل	وجمالي
٥٨٧	صالح الشنتمري	الطويل	خليلي
٧٦٩	أبو بكر البطليوسي	الطويل	احتلاله
٤١	أبو سعد المخزومي	البسيط	وجل
١٣٥	أبو سعد المخزومي	البسيط	مكحل
٧٩٨، ٣٢٢	المتنبي	البسيط	زحل
٦٤	المتنبي	البسيط	البلل
١٣٥	المتنبي	البسيط	والعمل
٤٤٢	المتنبي	البسيط	الحلل
٧١٦	المتنبي	البسيط	المقل
٦٩٥	ابن عبدون	البسيط	مثل
٧٩	ابراهيم الشاشي	البسيط	مرتحل
٤٣٦	أبو عبد الله ابن شرف	البسيط	والمقل
٤٣٧	حسان بن المصيصي	البسيط	الأسل
٥٩١	حسان بن المصيصي	البسيط	القبّل
٤٣٩	ابن رشيق	البسيط	والرسل
٤٦١	ابن الملح	البسيط	الطلل
٥١٥	ابن وهبون	البسيط	الجلل
٦٢٠	ابن بقي	البسيط	المطل
٦٢٠	ابن بقي	البسيط	والإبل
٦٢٤	ابن بقي	البسيط	البحمل

٦٢٩	ابن بقي	البسيط	ومنفعـ
٦٩٥	ابن الرومي	البسيط	المللـ
٢٤٦	أبو فراس الحمداني	الوافر	العوالي
٤٨٦	المتنبي	الوافر	الأوالي
٤٩٠	المتنبي	الوافر	بالجمالـ
٦١٨	المتنبي	الوافر	الغزالـ
٥٢١	ابن مرزقان	الوافر	المعالي
٥٢١	المعتمد	الوافر	للهملالـ
٥٣٤	ابن عبدون	الوافر	بسالـ
٧٠٤	ابن المعتز	الوافر	الرجالـ
٤٤	الأسعد بن بليطة	الكامل	الآصالـ
١٥٠	صالح الشنتمري	الكامل	والخلخالـ
٥٨٣	صالح الشنتمري	الكامل	إعمالـ
٢٠٦	أبو الأصمغ ابن عبد العزيز	الكامل	والـ
٢١٤	البلخي	الكامل	أعمالي
٤٦٨	الرمادي	الكامل	مجالـ
٦٣٤	أبو حاتم الحنجاري	الكامل	الأشغالـ
٧٢٩	الرمادي	الكامل	عويلي
٤٣١	ابن وهبون	الكامل	القاتلـ
٤٦٩	البحثري	الكامل	الأحولـ
٦٢٥	ابن بقي	الكامل	يعذلـ
٧٦٩	أبو بكر البطليوسي	الكامل	الأولـ
٨٣٣	ابن سوار الأشبوني	الكامل	يجملـ

٤٦٨	ابن فتوح	الكامل	مجاله
٦٤٤	المتني	الكامل	وزياله
٤٤٣	أبو حاتم الحجاري	الكامل	زوالها
٦٧٦	—	الهرج	المال
٧٧٩	ابن قزمان	الهرج	حال
٥٩	—	الرمل	الزلال
٤٦٥	النحلي	الرمل	مهله
٤١٩	ابن عمار	السريع	المال
٧٨٤	امرؤ القيس	السريع	نابل
٤٥٣	ابن الملح	الخفيف	أبالي
٤٦٢	—	الخفيف	الصقال
٨٣٨	ابن أبي أمية	الخفيف	الرسول
١٣٤	أبو الوليد الحميري	المتقارب	مقتلي
١٦٠	ابن حصن	المتقارب	نوى لي
٢٥٥	المتني	المتقارب	واثل
٦٩٢	ابن دراج القسطلي	المتقارب	بتعطيله

قافية الميم

٤٦٦	ابن شهيد	مجزوء الكامل	القوائم
٦٣٣	—	الرمل	نسيم
٤٢	بشار	المتقارب	بدم
٨٦	أبو حفص الهوزني	المتقارب	تنصرم

٩٨	أبو الوليد الباجي	المقارب	القديم
٣٨٣	ابن هاني-	المقارب	القلم
٥٥	أبو دلامة	الطويل	مخطما
٧٧	ابن اللبانة	الطويل	مُنخَتما
١٣٩	ابن داود	الطويل	محرّما
٢٤٨	حسان بن المصيصي	الطويل	لمتكرما
٤٣٥	حسان بن المصيصي	الطويل	متمما
٢٥٦	أبو تمام	الطويل	مسلمما
٤٤٨	عبدة بن الطيب	الطويل	مهدّما
٤٩٧	المتنبي	الطويل	والفهما
٦٢٣	ابن بقي	الطويل	كالدمى
٨٠٤	أبو محمد ابن هود	الطويل	جهنّما
٨٢١	ابن اللبانة	الطويل	ضيقما
١٥٦	الرمادي	الطويل	ملامها
٧٩	ابن اللبانة	البسيط	عظما
٥٩٣	أبو الحكم ابن حزم	البسيط	والقلما
٧٧٠	—	البسيط	مسلّمَة
١٦٤	ابن رشيّق	مخلع البسيط	حساما
٨٤٤	ابن صارة	الوافر	والغلاما
٤٣	المعتمد	الكامل	فتكلّمّا
٦٠٩	أبو الوليد ابن حزم	الكامل	عمّى
٦٩٦	ابن صارة	الكامل	التحكّيمّا

٣٦٠	—	الرميل	سجما
٧٣	المعتمد	السريع	ترحما
٣٣٢	عبد الغفور أبو محمد	المنسرح	هذمة
١٠٨	أبو جعفر ابن الأبار	المجث	الكريمة
٢٣٠	أبو العلاء ابن زهر	المتقارب	عسى
٩١	الفرزدق	الطويل	فيفعم
٣٥٣	—	الطويل	يكرم
٥٦٦	أبو الحسن البكري	الطويل	المتبسم
٢٣٧	المتنبي	الطويل	نائم
٣٥٧	—	الطويل	المباسم
٣٧٨	—	الطويل	الحمائم
٥٩٢	أبو الحكم ابن حزم	الطويل	التمائم
٧٩٥	ابن هانيء	الطويل	الخواتم
٦٣٢	المعري	الطويل	الكرم
٨٠٢	مهيبار	الطويل	دم
٦٥	المعتمد	الطويل	حرام
٦٥	ابن اللبانة	الطويل	حمام
٥٥٢	—	الطويل	وتسيم
٢٢٦	المتنبي	الطويل	لظالمه
٤٦٣	المتنبي	الطويل	كائمة
٦٢٢	كثير عزة	الطويل	خيمها
٤٦	المعتمد	البيسط	حلم

٢٢٦	المتنبي	البيسط	والخدمُ
٧١٠	ابن عبلون	البيسط	مفهومُ
١٨٤	ابن حصن	البيسط	وتسليمُ
٧٠٢	ذو الرمة	البيسط	ترنيمُ
٩١	نصر بن سيار	الوافر	الكلامُ
٢٢٤	جرير	الوافر	البشامُ
٢٤٥	ابن وهبون	الوافر	واللنمامُ
٤٣٠، ١٦٠	أبو العتاهية	الوافر	الخصومُ
٥١	—	الكامل	ينثمُ
٥١	المعتمد	الكامل	أكرمُ
٥٢	ابن زيلون	الكامل	الأسهمُ
١٠١	أبو الوليد الباجي	الكامل	يسلمُ
٤٤٢	المتنبي	الكامل	يظلمُ
٦٢٩	أبو تمام	الكامل	وتعلمُ
٦٨٤	ابن عبلون	الكامل	نجهمُ
٧٣٨	الأعمى التطيلي	الكامل	يتضرمُ
٨١٩	ابن سوار الأشبوبي	الكامل	يبنمُ
٦١٤	أبو الوليد ابن حزم	الكامل	وتقومُ
٨٣٧	ابن صارة	الكامل	تحومُ
٧٩٤	ابن المعتز أو الصنوبري	المنسرح	قلمُ
٥٢	المعتمد	الطويل	ومعصم-
٤٠٩	المتنبي	الطويل	توقم-

٦٩١	ابن عبدون	الطويل	تعام-
٨٢٢	أبو العرب الصقلي	الطويل	بأسهم-
٥٨٥	صالح الشنتمري	الطويل	قائم-
١٥٣	جرير	الطويل	والمكارم-
٣٧٢	ابن عمار	الطويل	الغنائم-
٤٧٠	أبو تمام ابن رياح	الطويل	قوائم-
٦٢٦	ابن بقي	الطويل	قوادم-
٦٩٢	-	الطويل	المواسم
٤٥٥	امرؤ القيس	الطويل	طامي
٨٢٤	ابن سوار الأشبوني	الطويل	كلام-
٤٦٠	ابن الملح	الطويل	نجوم-
٧٠٤	أبو نواس	الطويل	بنجوم-
٣٩٣	ابن عمار	الطويل	وسيم-
٤٠٢	ابن عمار	الطويل	بقسيم-
٦٩١، ٦١	أبو تمام	البيسط	الكلم-
٤٩٣	أبو تمام	البيسط	الأمم-
٦٤٤	أبو تمام	البيسط	ينم-
١٠٤	أبو الوليد الباجي	البيسط	والكلم-
٥٧٢	أبو الحسن البكري	البيسط	الكلم-
١٤٠	الشريف الرضي	البيسط	قدم-
٣٧٩	الشريف الرضي	البيسط	واللسم-
٢٠١	ابن الاستحي	البيسط	اللسم-

٤٩٣	المتنبى	البسيط	المهرم-
٤٥٦	ابن الملح	البسيط	متهم-
٥٩٧	أبو الحكم ابن حزم	البسيط	الخدم
٥٩٧	ابن بسام	البسيط	والحكم-
٤٩٣	أبو الفضل ابن شرف	البسيط	منهزم-
٣٩٤	ابن عمار	الوافر	الثام-
٤٨١	المتنبى	الوافر	الرجام-
٧١٤	المتنبى	الوافر	القدام
٤٤٨	المجنون	الوافر	يوم-
٦٣٣	خاف الأحمر	الوفر	ميم-
٢٢٦	المتنبى	الكامل	الصارم-
٣٨٠	عنزة	الكامل	المغنم-
٧٠٢	عنزة	الكامل	الترنم
٣٨١	المعري	الكامل	تكرم-
٤٥٩	ابن الملح	الكامل	الأرقم-
٩٠	الحارث بن وعة	الكامل المرفل	ينمي
١٣٨	أبو حاتم السجستاني	مجزوء الكامل	الكلام-
١٠٥	أبو الوليد الباجي	الخفيف	الكرام-
٦٤٥	أبو تمام	الخفيف	واكتنام-
٤٩٦	ابن الرومي	الخفيف	حيزوم-
٦٣٣	ابن الرومي	الخفيف	لميم-
٦٣٠	ابن بقي	الخفيف	النسيم-

٦٩٦	ابن عبدون	الخفيف	النجوم
٨٠٨	ابن كوثر	المتدارك	بمخترم

قافية للنون

٧٩١	ابن مقانا	الوافر	المعين
٢٢٤	عوف بن محلم	السريع	ترجمان
٨٠٦	ابن برلوصة	السريع	دين
٨٠٧	ابن الصيقل	السريع	فاعلون
٨٠٧	ابن الصيقل	السريع	الفاسقين
٨٠٧	ابن القلاس	السريع	القرين
٧٧١	أبو بكر البطليوسي	المتقارب	البدن
٧٦٨	أبو بكر البطليوسي	الطويل	رياحينا
٢٩١	—	الطويل	كامنة
٧٠	المعتمد	البسيط	أحزانا
٤٦٣	ابن زيدون	البسيط	يفشيننا
٦٥٢	المتوكل ابن الألفطس	مخلع البسيط	علينا
٣٧٤، ١١٥	القطامي	الوافر	ترانا
٢١٦	ابن القوطية	الوافر	العيونا
٨٠٥	ابن برلوصة	السريع	مفتونة
١٥٢	أبو نواس	الخفيف	زمانا
١٦٤	ابن أبي ربيعة	الخفيف	وغنى
٥٥٥	أبو بكر ابن عبد العزيز	الخفيف	ركنا

١٥١	أبو نواس	المجث	فعلنا
٥٥٥	—	المقارب	مواطننا
١٠٣	أبو الوليد الباجي	الطويل	تبيانُ
٤٨٧	أبو الحسين ابن الجلد	الطويل	بهتانُ
٥٥٩	أبو الحسين ابن الجلد	الطويل	أجفانُ
٦٣٦	ابن بقي	الطويل	عقبانُ
١٨٣	ابن حصن	الطويل	تمكنُ
٨٠٨	ابن كوثر	الطويل	الحسنُ
٧١٩	المتنبى	البسيط	والاذنُ
٤٦٢	ابن الملح	البسيط	ميزانُ
٧٩٦	المعري	الوافر	الرهانُ
٧١٩	ابن عبدون	الوافر	المنونُ
٨٣٥	ابن صارة	الكامل	الحرمانُ
٣٧٨	ابن هانيء	الكامل	ظنونُ
٢٥٤	أبو تمام	الكامل	كينُ
٤٨٩	أبو تمام	الكامل	محزونُ
٣٩٢	ابن عمار	المجث	العيونُ
٧٨١	—	المقارب	ورثمائهُ
١٦٩	—	الطويل	عدنِ
٤٨٨	المعري	الطويل	الحسنِ
١٣٧	—	الطويل	مختطانِ
١٤١	الرمادي	الطويل	أذافي

٤٨٧	الأعمى التطيلي	الطويل	وعناني
٧٢٤	الأعمى التطيلي	الطويل	الحدثان
٥١٣	—	الطويل	ويقتران
٥٨٧	ابن شهيد	الطويل	تلتطمان
٦٠٤	أبو الوليد ابن حزم	الطويل	وجناني
٨٢٤	ابن سوار الأشبوني	الطويل	وأمان
٧٦٩	أبو بكر البطليوسي	الطويل	رفدين
٤٧٣	ابن الملح	الطويل	سيلانه
٦١٩	ابن بقي	البسيط	تُبن
٦١٩	—	البسيط	درن
١١٥	—	البسيط	بجيران
٣٧٩	ابن المعتز	البسيط	وسنان
٤٦٩	أبو تمام	البسيط	هتمان
٧١٤	الشريف الرضي	البسيط	دولي
٢١٧	ابن القوطية	البسيط	البساتين
٦٢٢	ذو الاصبغ العلواني	البسيط	حين
٨٥٠	ابن صارة	البسيط	السلطين
١١٢	أبو عامر ابن مسلمة	مخلع البسيط	والحمان
١١٢	أبو جعفر ابن الأبار	مخلع البسيط	وبالبيان
٢٢٣	الناطقة الذبياني	الوافر	فان
٥٣٤	أبو بكر ابن عبد العزيز	الوافر	الرهان
٦١٠	أبو الوليد ابن حزم	الوافر	الأماني

٦١١	أبو الحكم ابن حزم	الوافر	فلان
٤٠٩	—	الوافر	عفي
٧٤	المعتمد	الكامل	والأبدان
٢٢٦	المتنبي	الكامل	كالأجفان
٢٨٢	المتنبي	الكامل	جبان
٧١٧	المتنبي	الكامل	كالعقيان
٦٠١	أبو الوليد ابن حزم	الكامل	بفلان
٦١٣	أبو الوليد ابن حزم	الكامل	الاخوان
٦٢٣	ابن بقي	الكامل	عينان
٨٤١	ابن صارة	الكامل	النعمان
٨١٧، ٢٢٢	ابن سوار الأشبوني	الكامل	حمدين
٤٢٤	ابن عمار	الكامل	يكفيني
٧٧٢	أبو محمد البطليوسي	الكامل	التبيين
٦٨٠	—	الكامل المرفل	العين
٦٥٢	أبو الوليد ابن حزم	الكامل المرفل	الحزن
٦٠٨	أبو بكر البطليوسي	مجزوء الكامل	الحسين
١٦٢	ابن حصن	مجزوء الرمل	سنّي
٣٠	المعتضد	مجزوء الرجز	حسن
١١١	أبو جعفر ابن الأبار	السريع	والإعلان
١١١	أبو عامر ابن مسلمة	السريع	وخولان
١٤١	الرمادي	السريع	وسنان
٤٩٣	ابن عبد الصمد السرقسطي	الخفيف	الجبان

العيانِ	الخفيف	أبو الأصيف ابن عبد العزيز	١٠٧
الازمان	المجث	منصور الفقيه	٦١٣
مهنِ	المجث	أبو نواس	٦٠
السنانِ	المتقارب	السلامي	٨٣٦

قافية الهاء

كنها	الوافر	ابن صارة	٨٤٣
ولها	مجزوء الوافر	ابن القوطية	٢١٥
نسجها	الكامل	عدي بن الرقاع	٥١٣
يحتويها	مجزوء الرمل	أبو عامر ابن مسلمة	١٠٨
تحصيتها	المنسرح	أبو الوليد الباجي	١٠٤
ويرعاهُ	الطويل	أبو الحكم ابن حزم	٥٩١
علاهُ	الكامل	البحثري	٢٢٢
أهداهُ	الكامل	صالح الشتمري	٥٨٣
أفواهُ	المنسرح	المتنبي	٦١
ابكيه	الطويل	أبو الوليد ابن حزم	٦١٤
أبيه	الكامل	ابن عمار	٤٢٣
يسقيه	الكامل	أبو الوليد ابن حزم	٦٠٣
فيه	الكامل	ابن سوار الأشبوني	٨٣١
تشبيهه	السريع	أبو تمام ابن رياح	٨٣٦
عليه	المجث	ابن الحضرمي	٣٩١

قافية الواو

٤٧٩	أبو عامر ابن سوار	الرمل	بَنَوُا
-----	-------------------	-------	---------

قافية الياء

٦١	ابن عبدون	الطويل	حاديا
٦٨٣	ابن عبدون	الطويل	تاليا
٦٨٧	ابن عبدون	الطويل	ضافيا
١٢٢	المتني	الطويل	باكيا
٣٨٦	المتني	الطويل	السواقيا
١٥٥	سحيم	الطويل	تهاديا
٤٤٨	قيس بن ذريح	الطويل	صواديا
٧٥٠	الأعمى التطيلي	الطويل	تلاقيا
٧٨٤	—	الطويل	قافية
٧٨٥	—	الطويل	سارية
٨٧	أبو حفص الهوزني	الوافر	سويتا
٧٩٥	ابن المعتز	مجزوء الرمل	الثرىا
٣٨٩	ابن عمار	المتقارب	الثنايا
٥٨٣	صالح الشتمري	البسيط	محمي
٤٧	المعتمد	مخلع البسيط	العشي
٢٠٠	ابن الاستنجي	السريع	وفضي
٤٧	ابن عمار	مخلع البسيط	والنلي

٤٨١	أبو غسان المتطبيب	الخصيف	والألمعي
١٤٧	أبو تمام	الوافر	بطي
٧١٨	السناط	الوافر	صيرفي
٣٠٠	أبو تمام	الكامل	وريثي

مصادر التحقيق^١

- ابن شهيد لشارل بلاّ . منشورات الجامعة الأردنية ، ١٩٦٥ .
- ابن عمار لصلاح خالص . بغداد ، ١٩٤٧ .
- الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين ابن الخطيب (الجزء الأول) .
تحقيق محمد عبد الله عنان . دار المعارف بمصر ؛ (ج ١ - ٢) . مصر ،
١٣١٩ ؛ مخطوطة المكتبة الكتانية بالرباط ، رقم : ٢٧٠٤ .
- إحكام صنعة الكلام لابن عبد الغفور الكلاعي . تحقيق رضوان الداية .
دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٦ .
- أخبار أبي تمام لأبي بكر الصولي . القاهرة ، ١٩٣٧ .
- أدباء مالقة لابن عسكر . صورة عن نسخة خطية خاصة بمكتبة الأستاذ
محمد المنوفي .
- الأزمنة والأمكنة للمرزوقي (١ - ٢) . حيدر أباد الدكن ، الهند ، ١٣٣٢
- أساس البلاغة للزمخشري . دار صادر ، بيروت .

١ قد أثبتنا في هذا الفهرست ما اعتمدناه من مصادر في تحقيق القسمين الأول والثاني ؛ وهي المصادر التي لم يرد ذكرها في تحقيق القسم الثالث من الذخيرة .

الأشباه والنظائر للخالدين (١ - ٢) . تحقيق السيد محمد يوسف . مصر .
١٩٥٨ - ١٩٦٥ .

الاشتقاق لابن دريد . تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة ، ١٩٥٨ .
الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (ج ٦) . مصر ، ١٣٢٣ .
إعجاز القرآن للباقلائي . تحقيق السيد أحمد صقر . دار المعارف ، القاهرة
١٩٥٤ .

الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمت من الأعلام للعباس بن ابراهيم
(١ - ٥) . فاس ، ١٩٣٦ .

أعمال الأعلام للسان الدين ابن الخطيب (القسم الثالث) تحقيق الأستاذين
العبادي والكتاني . الدار البيضاء ، ١٩٦٤ ؛ وأعمال الإعلام تحقيق ليفي
بروفنسال ، بيروت ١٩٥٦ .

الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابن السيد البطلوسي ، القاهرة .

الاكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمختلف من الأسماء والكفى
والانساب لابن ماكولا (١ - ٥) ، بعناية عبد الرحمن اليماني . حيدر أباد
الدكن ، ١٩٦٢ - ١٩٦٦ .

الامتع والموانسة لأبي حيان التوحيد (١ - ٣) . تحقيق أحمد أمين
وأحمد الزين . القاهرة ، ١٩٣٩ - ١٩٤٤ .

أمالى الزجاجي . تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة ، ١٣٨٢ .

أنساب الأشراف للبلاذري (ج ٥) . تحقيق جويتاين . القدس ، ١٩٣٦ .

الأوراق الصولي . تحقيق هيورث دن . مصر ، ١٩٣٦ .

كتاب البديع لابن المعتز . تحقيق كراتشكوفسكي . لندن ، ١٩٣٨ .

البديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ . تحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد . القاهرة ، ١٩٦٠ .

البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي (١ - ٤) . تحقيق ابراهيم الكيلاني دمشق ١٩٦٤ - ١٩٦٩ .

بلاغات النساء لابن أبي طاهر طيفور . مصر ، ١٩٠٨ .

بهجة المجالس لابن عبد ربه النمري (١ - ٢) . تحقيق محمد مرسي الخولي . مصر ، ١٩٦٢ .

تاريخ بغداد للخطيب البغدادى (ج ١ - ١٤) . طبعة مصورة عن الطبعة الأولى . دار الكتاب العربي ، بيروت

تاريخ الحكماء للقفطي . تحقيق جوليوس ليرت . ليبسك ، ١٩٠٣ .

تاريخ الطبري (ج ٢) . نسخة مصورة عن الطبعة الأوروبية . مكتبة خياط ، بيروت .

تبيين كذب المفتري لابن عساكر أبي القاسم . ط . القدسي ، القاهرة .

تحفة العروس للتيجاني ، القاهرة ١٣٠١ .

تذكرة الحفاظ للذهبي (١ - ٤) . الطبعة الثالثة ، حيدر أباد الدكن ،

١٩٥٥ .

ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض (١ - ٤) . تحقيق أحمد

بكير محمود دار مكتبة الحياة ببيروت ، دار مكتبة الفكر بطرابلس - ليبيا .

كتاب التشبيهات لابن أبي عون . تحقيق عبد المعيد خان . كمبردج ،

١٩٥٠ .

التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار القضاعي (١ - ٢) . ط . مصر ؛

والتكملة (ط . مدريد - يذكر موضحاً بالرقم) .

التلخيص للعسكري (١ - ٢) . تحقيق عزت حسن . دمشق ، ١٩٦٩

تمام المتن في شرح الرسالة الجلدية لابن زيدون للصالح الصفدي تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم القاهرة ، ١٩٦٩ .

تهذيب تاريخ ابن عساكر للشيخ عبد القادر بدران (١ - ٧) . دمشق ،

١٣٢٩ - ١٣٤٩ .

تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني (ج ٢) . حيدر أباد الدكن ،

١٣٢٥ .

ثلاث رسائل في الحسبة . تحقيق ليفي بروفنسال . القاهرة ، ١٩٥٥ .

الجغرافية والجغرافيون في الأندلس لحسين مؤنس . مدريد ، ١٩٦٧ .

جمع الجواهر للحصري . تحقيق علي محمد البجاوي . القاهرة ، ١٩٥٣ .

- جمهرة أنساب العرب لابن حزم الظاهري . تحقيق عبد السلام هارون .
دار المعارف بمصر ، ١٩٦٢ .
- جمهرة نسب قریش للزبير بن بكار (الجزء الأول) . تحقيق محمود شاكر .
القاهرة ، ١٣٨١ .
- جوامع السيرة لابن حزم الظاهري . تحقيق ناصر الدين الأسد وإحسان
عباس . دار المعارف بمصر .
- الجواهر المضية في طبقات الحنفية لابن أبي الوفا القرشي (١ - ٢) .
حيدر آباد الدكن ، ١٣٣٢ .
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر ، والقاهرة للسيوطي (ج ١) . تحقيق
محمد أبو الفضل ابراهيم . القاهرة ، ١٩٦٧ .
- حلبة الكميت لشمس الدين التواجي : القاهرة ، ١٢٧٦ .
- حلبة الأولياء لأبي نعيم الاصفهاني (ج ٢) . القاهرة ، ١٩٣٨ .
- الحماسة لابن الشجري . حيدر آباد الدكن ، ١٣٤٥ .
- خاص الخاص للثعالبي . القاهرة ، ١٩٠٨ .
- الدرة الفاخرة في الأمثال لحمزة الاصفهاني (١ - ٢) . تحقيق عبد المجيد
قطامش . دار المعارف بمصر ، ١٩٧٢ .
- دمية القصر وعصرة أهل العصر لأبي الحسن الباخريزي (ج ١ - ٢) .
تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، القاهرة ١٩٦٨ - ١٩٧١ .

- الديارات للشابشتي . تحقيق كوركيس عواد . بغداد ، ١٩٥١ .
- ديوان ابن حمديس . تحقيق إحسان عباس . دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٠ .
- ديوان ابن رشيقي . جمع عبد الرحمن ياغي . دار الثقافة ، بيروت .
- ديوان ابن زيدون . تحقيق علي عبدالعظيم . مصر ، ١٩٥٧ .
- ديوان ابن مقبل . تحقيق عزت حسن . دمشق ، ١٩٦٢ .
- ديوان ابن وكيع التنيسي . تحقيق حسين نصار . القاهرة .
- ديوان أبي حبة النميري . مجلة المورد (بغداد) العدد الأول من المجلد الرابع (١٩٧٥) ص : ١٣١ - ١٥٢ .
- ديوان أبي الحسن التهامي . الطبعة الثانية ، دمشق ، ١٩٦٤ .
- ديوان أبي سعد المخزومي . جمع رزوق فرج رزوق . بغداد ، ١٩٧١ .
- ديوان أبي الشيص . جمع عبد الله الجبوري . بغداد ، ١٩٦٧ .
- ديوان أبي نواس . طبعة اسكندر آصاف ، مصر ، ١٨٩٨ ؛ وديوان أبي نواس (١ - ٢) تحقيق فاجنر .
- ديوان الأعمى التطيلي . تحقيق إحسان عباس . دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٣ .
- ديوان بكر بن النطاح . جمع حاتم الضامن . بغداد ، ١٩٧٥ .

ديوان الخليلع الحسين بن الضحاك . جمع عبد الستار فراج . بيروت . ١٩٦٠ .

ديوان دعبل بن علي الخزاعي . جمع محمد يوسف نجم . بيروت ، ١٩٦٢ .

ديوان دبك الجزن الحمصي ، تحقيق أحمد مطلوب وعبد الله الجبوري . بيروت . ١٩٦٤ .

ديوان سحيم عبد بني الحسحاس . تحقيق عبد العزيز الميمني . القاهرة ، ١٩٥٠ .

ديوان الشريف الرضي (١ - ٢) . بيروت ، ١٩٦١ .

ديوان الشماخ . تحقيق صلاح الدين الهادي . دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٨ .

ديوان صريع الغواني . انظر : ديوان مسلم بن الوليد .

ديوان الصنوبري . تحقيق إحسان عباس . بيروت ، ١٩٧٠ .

ديوان طرفة بن العبد . باريس . ١٩٠١ .

ديوان عدي بن زيد العبادي . جمع محمد جابر المعيند . بغداد . ١٩٦٥ .

ديوان علي بن الجهم . تحقيق خليل مردم بك . دمشق . ١٩٤٩ .

ديوان القتال الكلابي . تحقيق إحسان عباس . دار الثقافة ، بيروت ،

١٩٦١ .

ديوان مسلم بن الوليد (شرح ديوان صريع الغواني) . تحقيق سامي الدهان
دار المعارف بمصر . ١٩٥٧ .

ديوان المعتمد بن عباد . تحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد .
القاهرة ، ١٩٥١ .

ديوان مهيار الديلمي (ج ٣) . دار الكتب المصرية . ١٩٣٠ .

ديوان النابغة الجعدي . طبعة المكنب الإسلامي . دمشق - بيروت ،
١٩٦٤ .

ديوان النامي . جمع صبيح رديف . بغداد ١٩٧٠ .

ديوان الواواء الدمشقي . تحقيق سامي الدهان . دمشق ، ١٩٥٠ .

ديوان الوليد بن يزيد . جمع غابريلي . بيروت . ١٩٦٧ .

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام (ج ٤ قسم ١) ، مصر ١٩٤٥
(ج ٢ قسم ١) . تحقيق لطفي عبد البديع مصر . ١٩٧٥ ؛ (ج ١ قسم ١ - ٢)
و (ج ٣ قسم ١ - ٢) . تحقيق إحسان عباس . بيروت ، ١٩٧٥ .

الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي . (ج ١ قسم ١ - ٢) ، تحقيق
محمد بنشريف ، بيروت ؛ (ج ٤ و ٥ و ٦) . تحقيق إحسان عباس بيروت .
١٩٦٤ - ١٩٧٣ ؛ (ج ٨) مصورة عن مخطوطة العباس بن ابراهيم (قسم
الغرائب) .

رايات المبرزين لابن سعيد الأندلسي . تحقيق غرمية غومس . مدريد ،
(ورمزه غ) ؛ ورايات المبرزين (ط . مصر) .

ربيع الأبرار للزغشري ، مخطوطة جامعة برنستون ، مجموعة يهودا
رقم : ٤٢٧٢

الردّ على ابن النغريلة ورسائل أخرى لابن حزم . تحقيق إحسان عباس .
القاهرة ١٩٦٠ .

رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة للغرناطي (١ - ٢) . مطبعة
السعادة القاهرة . ١٣٤٤ .

روض القرطاس لابن أبي زرع . فاس . ١٣٠٣ .

الروض المعطار في خبر الاقطار لأبي عبد الله الجديري . تحقيق إحسان
عباس . بيروت ، ١٩٧٥ .

الريحان والريعان لابن خيرة المواعيني (ج ١) . مخطوطة الفاتح
رقم : ٣٩٠٩ .

كتاب الزهرة لابن داود الأصفهاني (ج ١) . تحقيق لويس نيكل
وابراهيم طوقان . بيروت ، ١٩٣٢ .

سركات المتنبي المنسوب لابن بستام ، تحقيق ابن عاشور ، ط تونس
١٩٧٠ .

سرور النفس بمدارك الحواس الخمس للتيفاشي . نسخة عن مخطوطة أحمد
الثالث رقم : ٢٥٥٧ .

كتاب السنن الكبير للنسائي .

سيرة رسول الله لابن هشام (١ - ٤) . تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم
الإبياري وشابي . الطبعة الثانية . القاهرة . ١٩٥٥ .

سيف الدولة لكانار . الجزائر ، ١٩٣٤ .

شرح المفضليات لابن الأنباري . تحقيق كارلوس يعقوب لايل . بيروت
١٩٢٠ .

شرح مقامات الحريري للشريشي (١ - ٢) . القاهرة ، ١٣٠٠ ، وشرح
المقامات (١ - ٤) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

شرح نقائض جرير والفرزدق (١ - ٢) . تحقيق بيغن . لندن ، ١٩٠٥ -
١٩٠٨ .

شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (ج ٢) . تحقيق محمد أبو الفضل
إبراهيم . القاهرة ١٩٥٩ .

شعر الخوارج . جمع إحسان عباس . الطبعة الثانية ، دار الثقافة ، ١٩٧٤ .

شعر اليزيديين . جمع محسن غياض . النجف ، ١٩٧٣ .

صحيح مسلم (١ - ٢) . القاهرة ، ١٢٩٠ .

صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد (ج ٧) : وثائق تاريخية جديدة
عن عصر المرابطين لـ أحمد مكي ص : ١٠٩ - ١٩٨ .

طراز المجالس للخفاجي . القاهرة ، ١٢٨٤ .

طبقات ابن سعد (ج ٣) . دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٧ .

- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (ج ٢) . القاهرة ، ١٣٢٤ .
- طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجهمي . تحقيق محمود محمد شاكر .
الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٥٢ ، والطبعة الثانية (١ - ٢) ، القاهرة ،
١٩٧٤ .
- طبقات الفقهاء لأبي إسحاق الشيرازي . تحقيق إحسان عباس . بيروت
١٩٧٠ .
- كتاب الطيخ لمؤلف مجهول . تحقيق ل . ميراندا . مدريد ، ١٩٦٥ .
- الطرائف الأدبية . تحرير عبد العزيز الميمني . القاهرة ، ١٩٣٧ .
- العبر في خبر من غبر للذهبي (١ - ٥) . تحقيق صلاح الدين المنجد
وفؤاد السيد . الكويت ، ١٩٦٠ - ١٩٦٦ .
- العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل لمحمد بن أحمد البلوي . نسخة
الخزانة الملكية بالرباط ، رقم : ٦١٤٨ .
- عقود الجمان للزركشي . مخطوطة الفاتح رقم : ٤٤٣٤ .
- عنوان الأريب للنيفر (١ - ٢) . تونس ، ١٣٥١ .
- عنوان المرقصات والمطربات لابن سعيد الأندلسي . تحقيق عبد القادر
محداد . الجزائر ، ١٩٤٩ .
- عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير لابن سيد الناس (١ - ٢)
القاهرة ، ١٣٥٢ .

الغيث المسجيم في شرح لامية العجم للصالح الصفدي (١ - ٢) . المطبعة
الازهرية المصرية . القاهرة . ١٣٠٥ .

فجر الأندلس لحسين مؤنس . القاهرة . ١٩٥٩ .

الفهرست لابن النديم . تحقيق رضا تجدد . طهران . ١٩٧١ .

قراضة الذهب لابن رشيقي القبرواني . تحقيق الشاذلي بويحيى . تونس .
١٩٧٢ .

كلىة ودمنة . تصحيح عبد الوهاب عزام . مطبعة المعارف . القاهرة .
١٩٤١ .

كنايات الأدباء للجرجاني . مصر . ١٩٠٨ .

الباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير (١ - ٣) . القاهرة . ١٣٥٦
- ١٣٦٩ .

الزوميات لأبي العلاء المعري (١ - ٢) . طبعة هندية . القاهرة . ١٩١٥ :
ونسخة ليدن رقم : ٩٠٦ .

مجلة البحث العلمي المغربية (العدد ١٠) . مقالة « عائلة بني عشرة »
لمحمد بنشريف (١٩٦٧) ص : ٦٥ - ١٠٢ .

المحمودون من الشعراء وأشعارهم للقطي . تحقيق حسن معمرى . الرياض
١٩٧٠ .

المختار في كشف الأسرار للجوبيري . دمشق . ١٣٠٢ .

المختار من شعر بشار للتجوي بعناية محمد بدر الدين العلوي . القاهرة ،
١٩٣٤ .

مختارات ابن الصيرفي . تحقيق هلال ناجي . مجلة المورد العراقية ، المجلد
الرابع (١٩٧٥) ص : ١٠٥ - ١٣٨ .

المخصص لابن سيده (١ - ١٦) . صورة عن الطبعة الأولى . المكتب
التجاري ، بيروت .

مخطوطة الرباط ، انظر : مفاخر البربر .

المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا للنباهي . نشر ليفي بروفنسال .
القاهرة . ١٩٤٨ .

المستقصى في الأمثال للزخشري (١ - ٢) حيدر آباد الدكن .

المسلك السهل للافراfi مخطوطة الخزانة العامة بالرباط .

مشاهير علماء الأمصار لابن حبان تحقيق م . فلا يشهر . القاهرة ،
١٩٥٩ .

معالم الإيمان للدباغ (ج ٣) . تونس ، ١٣٢٠ .

المعاني الكبير لابن قتيبة (١ - ٣) . حيدر آباد الدكن ، ١٩٤٩

معاهد التنصيص لعبد الرحيم العباسي (١ - ٤) . تحقيق محمد محي
الدين عبد الحميد . القاهرة ، ١٩٤٧ .

معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري (١ - ٤) . تحقيق مصطفى السقا .
القاهرة ، ١٩٤٥ - ١٩٤٩ .

المغرب ، لابن سعيد الأندلسي (قسم مصر ، ج ١) . تحقيق زكي محمد
حسن وشوقي ضيف وسيدة كاشف . مطبعة جامعة فؤاد الأول ، القاهرة ،
١٩٥٣ .

مفاخر البربر . تحقيق ليفي بروفنسال . الرباط ١٩٣٤ ، ومخطوطة الخزنة
العامة بالرباط ، رقم : ١٢٧٥ .

المفضليات ، انظر : شرح المفضليات .

المقاصد النحوية للعيني ، على هامش خزنة الأدب ، بولاق .

المقتضب من تحفة القادم لابن الأبار القضاعي . تحقيق ابراهيم الايباري .
القاهرة ، ١٩٥٧ .

المقتطف في أزهار الطرف لابن سعيد . نسخة مكتبة سوهاج .

المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي (٥ - ١٠) . حيدرآباد
الدكن ، ١٣٥٧ .

الموازنة بين الطائيتين للآمدي (١ - ٢) . تحقيق السيد أحمد صقر . دار
المعارف بمصر ، القاهرة . ١٩٦١ - ١٩٦٥ .

الميسر والقдах لابن قتيبة . بعناية محب الدين الخطيب . القاهرة ، ١٣٤٢ .

نزهة الجلساء في أشعار النساء للسيوطي . تحقيق صلاح الدين المنجد .
بيروت . ١٩٥٨ .

نزهة المشتاق للادريسي (قسم الأندلس والمغرب) . تحقيق دوزي ودي
خوية . امستردام ١٩٦٩ .

نسب قريش للمصعب الزبيري . تحقيق ليثي بروقنسال . دار المعارف
بمصر . القاهرة ، ١٩٥٣ .

نقائض جرير والفرزدق ، انظر : شرح نقائض جرير والفرزدق .
نهاية الخلافة الأموية للصوفي الطبعة الأولى ، حلب ، ١٩٦٣ .

نور القبس المختصر من المقتبس للمرزباني من اختصار الحافظ أبي المعاسن
الغيموري . تحقيق رودلف زهايم . بيروت ، ١٩٦٤ .

الوفاي في نظم القوافي . مخطوطة الخزانة العامة بالرباط ، رقم :
١٧٣٠ .

الوساطة بين المتنبي وخصومه لعلي بن عبد العزيز الجرجاني . تحقيق محمد
أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي . الطبعة الثالثة ، القاهرة ،
١٩٥١ .

Caskei, w. *Gamharat An-nasab de Ibn Al-Kalbi* (Bl. 1-2) Leiden, 1966.

Dozy, Reinhart. *Spanish Islam*. London, 1913

Encyclopaedia of Islam (New Edition).

Hesperis Thamuda: Ibn Darraj, by Blachère (1933) pp. 99 — 121.

Lévi-Provençal, E. *Histoire de L'Espagne Musulmanne* (I-III), Paris —
Leiden, 1951 — 1963.

فهرس المحتويات

- ٥٦٣ في ذكر الأديب أبي الحسن غلام البكري
٥٦٤ جملة من شعره
٥٧٤ في ذكر الكاتب أبي الحسن صالح بن صالح الشنتمري
٥٧٥ جملة من نثره
٥٨٢ وهذه أيضاً قطعة من شعره
فصل في ذكر الوزير أبي الحكم عمرو بن مذحج وأبي الوليد
٥٨٨ ابن عمه - ابني حزم
٥٩٠ جملة من شعر أبي الحكم
٥٩٨ أبو الوليد ابن حزم
٥٩٩ جملة من شعره
٦٠٧ من شعره في العتاب
٦١٥ في ذكر الأديب أبي بكر يحيى بن بقي
٦١٦ جملة من شعره
٦٣٧ في ذكر الأديب أبي الحسن بن هارون الشنتمري

- فصل يشتمل على ذكر الكتاب الوزراء وأعيان الأدباء الشعراء
 ٦٣٥ ممن نشأ في المدة المورخة بحضرة بطليوس
- المظفر أبو بكر محمد بن عبد الله بن مسلمة المعروف بابن الأفتس
 ٦٤٠ جملة من نثر المتوكل [عمر ابن الأفتس] وشعره
 ٦٤٦ [الخلاف بين المتوكل وأخيه]
 ٦٤٩ في ذكر الوزير الكاتب أبي عبد الله محمد بن أيمن
 ٦٥٢ فصل من ترسيله
 ٦٥٣ إيجاز الخبر عن فتح مدينة سبنة
 ٦٥٧ [عود إلى ترسيل ابن أيمن]
 ٦٦٤ فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي محمد عبد المجيد بن عبدون
 ٦٦٨ [مراسلات بينه وبين أبي القاسم ابن الجلد]
 ٦٧٠ فصول من ترسيل أبي محمد
 ٦٨٠ ما أخرجه من شعره الرائع
 ٦٨٤ [رسالة لأبي محمد عبد الغفور]
 ٧٠١ [التشبيهات العقم]
 ٧٠١ رجع إلى شعر ابن عبدون
 ٧٠٦ بعض مقطوعاته الاخوانيات
 ٧١١ شعره في الرثاء والتأبين
 ٧١٩ هـ في ذكر أحمد بن عبد الله بن هريرة الأعمى التطيلي
 ٧٢٨

- ٧٢٩ [بعض من ترسيله]
 ٧٣٥ من شعره في النسيب
 ٧٣٩ من شعره في المديح
 ٧٥٠ من شعره في التأيين
 ٧٥٣ الوزير الكاتب أبو بكر عبد العزيز بن سعيد البطليوسي
 ٧٥٤ [جانب من ترسيله]
 ٧٥٨ [رسالة له في الزرور]
 ٧٦٥ قطعة من شعره
 ٧٧٢ شعر له ولأخويه أبي الحسن وأبي محمد
 ٧٧٤ في ذكر الوزير الكاتب أبي بكر بن قزمان
 ٧٧٤ [فصول من رسائله]
 ٧٨٥ [من شعره]
 ٧٨٦ في ذكر الأديب أبي زيد عبد الرحمن بن مقانا الأشبوني
 ٧٨٨ جملة من شعره
 ٧٩٤ [أشعار في الثريا]
 ٧٩٧ في ذكر الشيخ أبي الحسن علي بن اسماعيل الشقباني (الطيطل)
 ٧٩٩ في ذكر الأديب أبي عبد الله محمد بن البين
 ٧٩٩ فصل من مقدمة كتاب له
 ٨٠٠ [من قصائده في كتابه]

٨٠٣	في ذكر ذي الوزارتين أبي محمد بن هود
٨٠٥	في ذكر الشيخ أبي عمر فتح بن برلوصة البطليوسي
٨٠٨	في ذكر الأديب يوسف بن كوثر الشنتريني
٨٠٩	في ذكر الأديب أبي الوليد النحلي
٨١١	في ذكر الوزير الكاتب أبي بكر محمد بن سوار الأشبوني
٨١٤	جملة من شعره
٨٣١	جملة من مراثيه
٨٣٤	الأديب أبو محمد عبد الله بن صارة الشنتريني
٨٣٦	جملة من شعره في النسيب
٨٤٠	من شعره في الأوصاف
٨٥٥	تذييل
٨٥٦	استدراكات
٨٥٩	فهارس الكتاب
٨٦١	فهرس الاعلام
٨٨٨	فهرس الأماكن
٨٩٥	فهرس القبائل والأمم والطوائف
٩٠٠	فهرس الكتب المذكورة في المتن
٩٠١	فهرس القوافي
٩٤٥	مصادر التحقيق
٩٧١	فهرس المحتويات